

الآباء الكبار والكبار



# القدّيس باسيليوس الكبير

الجزء الثاني

الرهبة والنسك

والحياة الفاضلة المقدسة



# القديس باسيليوس الكبير

الجزء الثاني

الرهينة والنسك

والحياة الفاضلة المقدسة

طبعة تحضيرية

٢٠١٢

إعداد

القمص تادرس يعقوب ملطي

كنيسة الشهيد العظيم مارجرس

سبورتنج - الإسكندرية

# بِاسْمِ الْآبِ وَالْإِبْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُّسِ الإله الواحد، آمين.

ملاحظة هامة:

الباب الأول دراسي وهو يهم الكثيرين، خاصة المهتمين بالرهبة، وقد يشعر القارئ العادي أن الكتاب كله دراسي، غير أن الأبواب التالية إلى حد كبير تمس الحياة العملية لكل مؤمن، ونافعة جدًا لبنيان النفس والإرشاد.

أيضًا عند اقتباس عبارات من المخطوطات العربية، اضطررت أن أقوم بتصحيح بعض العبارات، واستبدال الكلمات غير المستخدمة في العصر الحالي - ما استطعت - حتى لا يجد القارئ صعوبة في فهمها. كما قمتُ أحيانًا بمراجعتها مع بعض الترجمات الإنجليزية.

اسم الكتاب: القديس باسيليوس الكبير - الجزء الثاني - الرهبة والنسك

إعداد: القمص تادرس يعقوب ملطي

الطبعة: تحضيرية ٢٠١٢م

الناشر: كنيسة الشهيد العظيم مارجرس - سبورتنج - الإسكندرية

فصل ألوان وطباعة:

مطبعة دير الشهيد العظيم مارمينا العجائبي بمريوط

موبايل: ٠٥٥٥.٤٤١/٢ . ١٢ & تليفاكس: ٤٥٩٦٤٥٢ ٠٣

رقم الإيداع: ٢٠١٢/١٩٤٢٢

الترقيم الدولي: 2 - 221 - 392 - 977 - 978 I.S.B.N.:



صاحب الغبطة والقداسة

**مثلث الرحمة البابا شنودة الثالث**

بابا الإسكندرية وبطريك الكرازة المرقسية الـ ١١٧



# الباب الأول

## باسيليوس والحياة الرهبانية

- ١ . الرهينة والنسك.
- ٢ . مدرسة رهبانية جديدة.
- ٣ . قوانينه وكتابه النسكية والرهبانية.
- ٤ . غاية الرهينة.
- ٥ . الرهينة والأساس الإنجيلي.
- ٦ . الرهينة والحياة الكنسية.



## الرهبة والنسك

### الرهبة الباسيلية والكنيسة المعاصرة

جاءت الرهبة الباسيلية بعد ظهور كل أنواع الرهبة التي تأسست في مصر: نظام التوحد، والسياحة، ونظام الجماعات، وأخيراً نظام الشركة الباخومية. فقد درس القديس باسيليوس هذه الأنظمة، والتقى مع كثير من الرهبان في مصر وفلسطين وسوريا وما بين النهرين وغيرها.

ما كان يشغلي في دراستي لنظامه النسكي والرهباني وقوانينه الخاصة بالتكريس وكتابته بوجه عام، التّعرف على منهجه وتفكيره العميق ومفهومه لكلمة الله والحياة الإنجيلية، مع غيرته المتقدمة نحو عمله الرعوي. فالكثير من قوانينه كان هدفها واضحاً تماماً، وهو خلاص نفسه والسلوك في حياة إنجيلية عملية، والغيرة المتقدمة نحو خلاص كل إنسان، مع الاتجاه نحو خدمة البشرية في الرب. هذا المفهوم لا يخص الحياة الرهبانية وحدها، إنما يمسّ قلب كل مؤمن حقيقي، سواء كان راهباً أو ناسكاً أو كاهناً أو شماساً أو واحداً من الشعب.

جاءت قوانين القديس باسيليوس في غالبيتها تُلهب قلب المؤمن ليختبر الحياة الإنجيلية السماوية وهو بعد في الجسد دون تجاهل دوره والتزاماته هنا على الأرض. فقد نجح في فتح آفاق المؤمن على المجتمع السماوي، وأيضاً على الخليقة الأرضية غير العاقلة. فمن جانب، يدعونا إلى التطلع إلى عمل الثالوث القدوس فينا، لكي يُقيم منا شبه ملائكة، ويربط قلوبنا بالطغمت السماوية التي سنشاركها الحياة الأبدية والتسبيح الدائم ورؤية الله والتّمتع بشركة الأمجاد. ومن جانب آخر، كثيراً ما يدعونا إلى الاقتداء ببعض تصدّقات الكائنات غير العاقلة التي خلال الغرائز الطبيعية سبقتنا في السلوك اللائق، نحن الذين وهبنا عقلاً وإمكانات فائقة وحرية إرادة. كما تُقدّم لنا نعمة الله القادرة أن تُقيمنا أيقونة حيّة للسيد المسيح.

يمكنني في اختصار أن أسجّل الملامح الرئيسية للنظام الباسيلي من جهة تلامسه مع حياة المؤمن المعاصر الجاد في تحقيق رسالته والسمو بمفاهيمه، في النقاط التالية:

١. مع اهتمام القديس بحياة التدقيق والحزم، لا يطبق الحرفية التي تدفع بالنفس إلى الملل، بل وإلى حالة من الإحباط. إنه القائد الناسك والحازم جداً مع نفسه، لكن بكل قلبه يشتهي أن يتّمع كل المؤمنين بالفكر الروحي المُفرح والمُحيي.



٢. مع شوقه العجيب أن يصير الكل مثله، يُكْرَس حياته للعبادة والخدمة، ويتذوّق حياة البتولية، ليس فقط حسب الجسد، بل وبتولية النفس والحواس والعواطف وكل طاقات الإنسان، غير أنه يؤمن بأن لكل مؤمنٍ موهبته الخاصة. إنه يؤكد صراحة أن خلاص الإنسان ليس في القلاية، ولا في موضعٍ معيّنٍ، إنما في تكريس قلبه لله، حيث يُقيم الرب ملكوته فيه.

٣. مع اهتمامه بحزمٍ وفي قوةٍ باستقامة الإيمان مهما كلفه الأمر، فلم يكن يخشى إمبراطور ولا والياً، ولا يُداهن أو يُجامِل أسقفًا أو أحد العظماء في الدولة، ولا راعى أفراد أسرته بالرغم من حُبّه الشديد لهم وحُبّهم وتقديرهم له، على حساب الإيمان الحق، إنما كان يهتم أولاً وقبل كل شيءٍ بترجمة الإيمان إلى حياة عملية في أعماق القلب والفكر وفي الكلام كما في السلوك الظاهر.

٤. جاءت أنظمتها الخاصة بسلوك الراهب اليومي في عبادته وفي عمله بالدير، وأيضًا في طعامه وشرابه وطريقة اتّكائه على المائدة وفي أصوامه، كما في فرحه الداخلي وتهليل قلبه، كلها يمكن أن تكون إلى حدٍ كبيرٍ مُرشِدًا روحياً للمؤمن في تفاصيل تصرفاته اليومية وعبادته الظاهرة والخفية.

نذكر على سبيل المثال، اهتمام القديس بتنفيذ الأديرة وصية الكتاب المقدس الخاصة باستضافة الغرباء دون مُبالغةٍ، ودون ارتباك في حياتنا. فأوضح لنا أن السيد المسيح استضاف الجموع بخمس خبزاتٍ من الشعير، وليس من القمح، وأشبعهم بسمكتين. قدّم لهم صنفاً واحداً من الطعام، بالرغم من حُبّه الشديد لهم، وإمكانياته أن يُقدّم لهم ما هو أعظم من المَن السماوي الذي قدّمه لبني إسرائيل في البرية طوال أربعين عامًا.

وعندما طلبت مرثا من السيد المسيح أن يطلب من أختها مريم أن تساعد في عمل الضيافة، أوضح لها ضرورة عدم الارتباك بالمبالغة في هذا العمل، وأن مريم اختارت النصيب الصالح الذي لن يُنزع منها (لو ١٠ : ٣٨ - ٤٢).

٥. راعى في قوانينه الظروف الصحية لكل إنسانٍ، ونوع العمل الذي يلتزم به، والجو المحيط به. لقد أعطى لرئيس الدير أو الأب المُرشِد الروحي الحرية في وضع القانون المناسب لكل شخصٍ حسب ظروفه وإمكانياته.

٦. أبرز اهتمامه الشديد بتربية الأطفال الصغار الذين يلتحقون بالأديرة أو بالمدارس المُلحقة بالدير، مع طلبه من المُعلِّمين مراعاة سن الأطفال وقدراتهم؛ وفي نفس الوقت مراعاة ألا يكون وجود هؤلاء الأطفال مجالاً لأي اضطراب في نظام الدير أو إقلاق للشيوخ.



٧. تكشف كتابات القديس النُسكية عن حقيقة الرهبنة المسيحية أنها كتابية في أساسها كما في غايتها، مركزها محبة الله والإنسان، والرغبة في الاتحاد مع الله، والشهادة للإنجيل والالتزام بالوصية الإلهية<sup>١</sup>.

٨. ما كان يشغل قلب القديس أن يرى الدير يُمَثَّل حياة شركة، مُتطلِّعًا إلى حال الكنيسة الأولى في العصر الرسولي، حيث كان كل شيءٍ بينهم مشتركًا (أع ٢: ٤٤؛ ٤: ٣٢). وأن يكون لكل عضوٍ دوره الفعَّال في الجماعة، مع تقديره للأعضاء الأخرى. هذا ولا يوجد عضو فوق القانون، إنما نراه يحسب جميع القيادات حتى هو نفسه كقائدٍ عام لأديرته يقبلون نقد الآخرين لهم ليصلحوا من أنفسهم.

٩. مع دعوة الجميع لحياة التواضع، حتى القيادات نفسها، غير أن التواضع لا يُمارَس بطريقةٍ تُفقد الجماعة تدبيرها وتنظيمها، كمثال لذلك لا يليق الصراع على المتكأ الأخير من أجل التواضع.

١٠. تقدير الجماعة لكل عضوٍ، بغض النظر عن الجنس أو السن أو المواهب والقدرات، فالكل أعضاء في جسدٍ واحدٍ، ولكل عضوٍ عمله اللائق به.

١١. مع اهتمام الكل بالحياة النسكية الدقيقة، غير أنها لا تُمارَس على حساب المحبة الأخوية والضيافة، وفي نفس الوقت لا تُمارَس المحبة والضيافة على حساب الحزم والتدقيق في الحياة الروحية النسكية. لِيُدْرِكَ كل عضوٍ دوره أيًا كان وضعه في الجماعة، أن يكون نموذجًا فعالاً كشاهد للحياة الإنجيلية الصادقة.

١٢. يؤكِّد القديس باسيليوس الكبير أن الرهبان يعيشون في العالم، لكنهم ليسوا من العالم كما قال الإنجيل (يو ١٧: ١٤-١٦). فالحياة الرهبانية في نظر القديس باسيليوس وكما وصفها صديقه القديس غريغوريوس النزينزي تمزج الصلاة بالعمل، وتقرن الحياة مع الله مع خدمة القريب، وتسعى إلى الانقطاع عن العالم دون أن تأنف من خدمة العالم<sup>٢</sup>.

١٣. مع الدفاع عن الحياة المُشتركة، والاهتمام بوضع قوانين مُفصَّلة تضبط هذا النظام من كل جوانبه، لا يكف عن التشديد على الصمت، وعلى الالتزام بالخلوة والهدوء. هذا هو الشرط الذي بدونه لا تستقيم الحياة الرهبانية، بل وحتى حياة المؤمن في العالم، إذ كيف يمكنه أن يختبر الصلاة الدائمة، والتأمل في السماويات، وأن يدرس الكتاب المُقدَّس، وأن يعكف على اكتشاف أعماق نفسه إذا كانت الضوضاء تملأ نفسه؟!.

<sup>1</sup> Cf. E.F. Morison: St. Basil and his Rule, p. 131.

<sup>2</sup> Cf. WWW.Sofiea.com.



١٤ . تكشف كتابات القديس النسكية أن الرهبنة بالحقيقة لها دورها الحيوي في جذب المؤمنين إلى الانطلاق المُستمر نحو التمتع بالحياة السماوية، وتذوق عذوبة الاتحاد مع الله، واختبار عذوبة الوصية الإلهية كزينة المؤمن بكونه عضوًا في الكنيسة عروس المسيح البهية، أيقونة عريسها القدوس.

إنها ترفع المؤمنين المُخلصين الجادين في التمتع بالخلاص من كل الجوانب:

• تبرز أهمية البتولية وأمجادها، دون أن تدفع الكل إلى البتولية الجسدية، إنما يختبر كل مؤمن بتولية النفس والحواس والعواطف والفكر.

• تحت المؤمن على الهروب من الحياة المُتَعَمَّة وحياة الترف والتدليل، لكن لا تُطالب الجميع بالنسك الرهباني، إنما يليق بكل مؤمن أن يختبر ضبط النفس حسب قامته الروحية، دون أن يرتقي فوق ما ينبغي أن يرتقي، بل يرتقي إلى التعقل، كما قسم الله لكل واحد مقدارًا من الإيمان (رو ١٢: ٣).

• يود أن يتكرس كل المؤمنين للشركة مع المسيح، لكن للكاهن دوره، والراهب دوره، والعلماني (إن صح التعبير) دوره. للبتول دوره، والمتزوج أيضًا، بل والطفل والشيخ والمريض، ليس بين أعضاء الكنيسة من ليس له عمله!

١٥ . يكشف القديس لنا في قوانينه لمسات خفية داخل النفس، قد يصعب علينا ملاحظتها، مثال ذلك التزام الإخوة أن يقبلوا خدمات الرئيس لهم التي تبدو وضيعة بالنسبة له. فإنهم إن رفضوا خدماته هذه تحت ستار تكريمه، يرى القديس في هذا الرفض تواضعًا مُزيًا منهم، وذلك كرفض بطرس الرسول أن يغسل الرب قدميه. فإن قبول الخدمة المتواضعة من الرئيس أفضل من رفضها، لأن في ذلك طاعة له.

١٦ . لم يتَّسَّم فقط النظام الباسيلي للرهبنة بنظرته التي يمكن للمؤمن المُعاصر أن ينتفع منها، وإنما يتَّسَّم فكره الرعوي واللاهوتي أيضًا بهذه السمة. أذكر على سبيل المثال نظره العجيبة للخليقة. ففي دراستنا لعمله الهكساميرون<sup>١</sup> *Hexamaeron*، أي ستة أيام الخليقة، رأينا كثيرًا ما يُكرَّر أن الإنسان مركز المسكونة، ومع ذلك فالخليقة مدرسة سلوكية، يُمكن أن يتَّعلم فيها الإنسان كل يوم، ويتدرب على سلوكه مع إخوته في البشرية خلال تطلُّعه لتصرفات الخليقة غير العاقلة<sup>٢</sup>. من الأمثلة التي أشار إليها، الآتي:

<sup>١</sup> للمؤلف: رحلة ممتعة في رفقة الخالق، للقديس باسيليوس الكبير، طبعة تحضيرية ٢٠١١.

<sup>٢</sup> *Hom quod rebus mundanis adhaerendum non, 5.*

أ. يليق بالمؤمنين أن يتشبهوا ببعض النباتات؛ يكونون مثل زيتونة خضراء في بيت الرب (مز ٥٢ : ٨). فلا يفقد الإنسان أبدًا رجاءه، بل يُزَيَّن إيمانه بزهرة الخلاص. يليق به أن يتشبه بالنبات في خضرته الدائمة، وينافسه في أثماره، فيعطي صدقة وفيرة<sup>١</sup>.

ب. يليق بنا أن نقتدي بالنحل الذي يعيش في جماعات، تضم كل جماعة منها عددًا كبيرًا جدًا من الأفراد، ويخضع الجميع إلى سلطة واحدة تتمثل في الملكة داخل جماعتها، وهي التي تُنظِّم شؤون أفرادها، وتُعَيِّن لكل منهم وظيفته ودرجته<sup>٢</sup>.

كذلك الأسماك المهاجرة التي تسير في جماعات يستحيل حصر أعداد أفرادها، وكلها تُهاجر وفق نظامٍ وترتيبٍ خاصٍ وليس بعشوائية وفوضى. لها وقت مُحدَّد تبدأ فيه هجرتها، ولها طريق ثابت تُسبِّح فيه، ومسطحات مائية تتجمّع فيها لتتكاثر، ولها وقت ثابت للعودة إلى موطنها التي أتت منها. وأيضًا الطيور المهاجرة التي تهاجر في أسرابٍ كبيرةٍ، يسير أفراد كل سرْبٍ منها خلف قيادة طائرٍ واحدٍ منها، ولا يستطيع أحد منها أن يُخالِفَه<sup>٣</sup>.

ج. يتعلّق الخُفَّاش ببعضه البعض فيصير شكله أشبه بسلسلةٍ، يُقدِّم حُبًّا طبيعيًّا، قد لا نجده أحيانًا بين البشر.

د. تحتاج كريمة العنب القوية أن تنتبّه على دعامة بواسطة محلاق ضعيف لولبي، هكذا قد يحتاج الإنسان العظيم في نظر المجتمع إلى مُساندة من يبدو أنهم مُحترقون.

هـ. لا تتعدّى حيتان السمك حدود المنطقة البحرية التي تُلزمها بها الطبيعة، فنُقَدِّم توبيخًا للذين يُحرِّكون العلامات الخاصة بأراضيهم لكي يغتصبوا جزءًا من حقول جيرانهم<sup>٤</sup>.

و. لملك النحل حُمة، لكنه لن يستخدمها للانتقام لنفسه، فيُعَلِّم الذين يصعدون إلى مراكزٍ ساميةٍ أن يكونوا لطفاء في ممارسة العقوبة<sup>٥</sup>.

ز. لن تقبل اليمامة مُطلقًا أن تتجد برفيقٍ لها، بل تبقى أرملة بعد موت الذكر، فنُقَدِّم مثالًا يليق بالذين يطلبون الزواج الثاني أن يقتدوا به<sup>٦</sup>.

ح. وهب الله الإنسان عقلاً، يقدر أن يُميِّز ما يفيدُه ممّا يضره، مع ذلك قد يأكل نباتًا سامًا، بينما أعطيت الحيوانات بالغريزة أن تأكل ما هو نافع لها، ولا تأكل ما هو سام أو مُميت<sup>٧</sup>.

<sup>1</sup> Hexamaeron, homily 5:6.

<sup>2</sup> Hexamaeron, homily 8.

<sup>3</sup> Hexamaeron, homily 8.

<sup>4</sup> Hexamaeron, homily 8:4.

<sup>5</sup> Hexamaeron, homily 8:4.

<sup>6</sup> Hexamaeron, homily 8:5.

<sup>7</sup> Hexamaeron, homily 5.

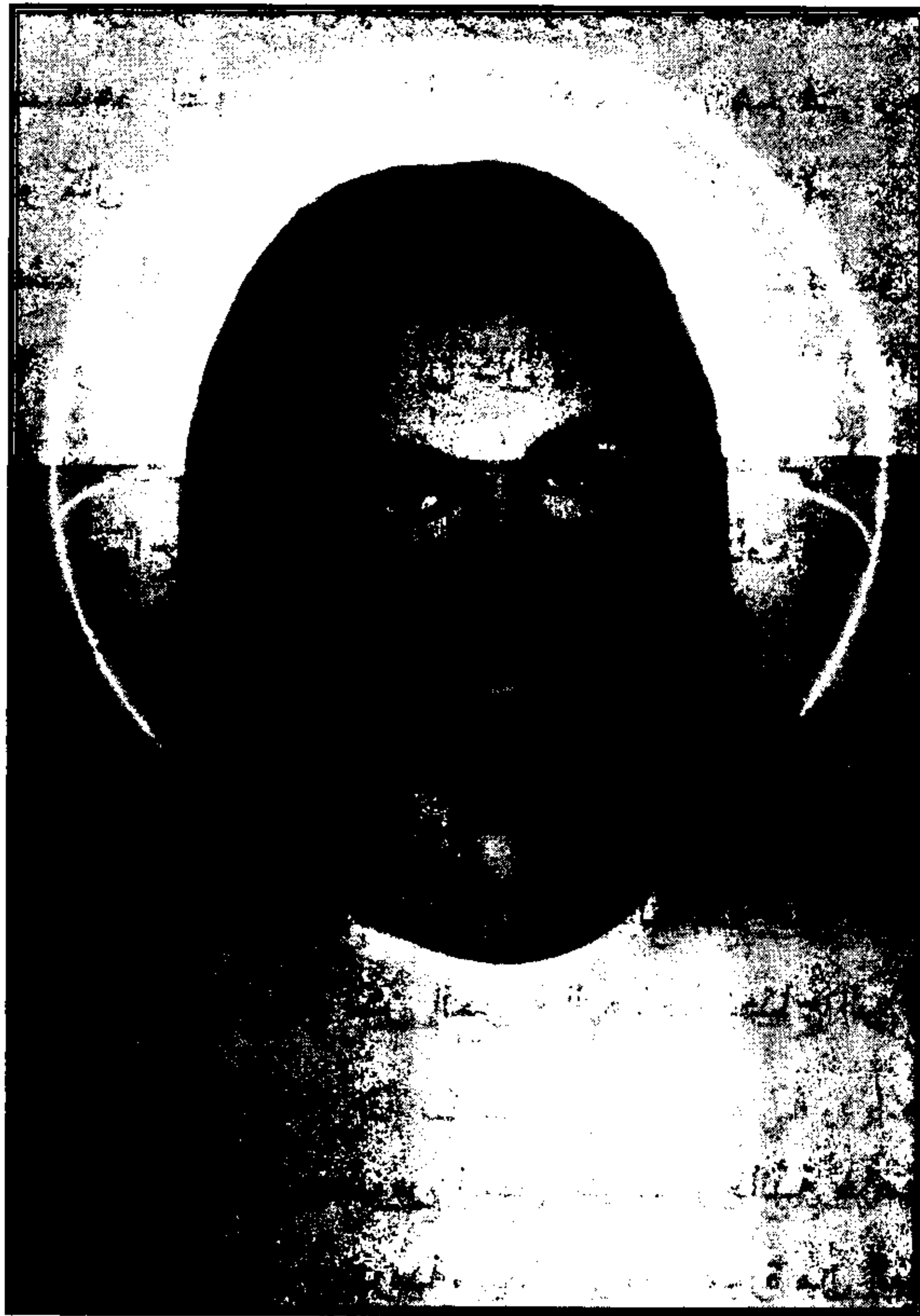


ط. ينثر الحنث (الثعبان) سُمّه بعيدًا عندما يلتقي بالأنثى حتى لا تُصاب بتسمُّم، وكأنه يُقدِّم لنا درسًا في الحياة الأسرية. يقول القديس باسيليوس: "ليُصغ الأزواج أيضًا! ها هو درس لهم، فإن الحنث ينثر سُمّه بعيدًا عند الزواج، وأنت أيضًا يجب أن تتخلَّص من همجيتك وعدم إنسانيتك، احتراما منك لذلك الرباط المقدَّس؟"<sup>1</sup>

ي. سلوك الغريان مع اللقلق يدعونا إلى استضافة الغرياء<sup>2</sup>.

ك. تصرُّف اللقلق بنبلٍ مع والديه اللقلق العجوز، يُعلِّم التزام الأبناء نحو آبائهم في

شيخوختهم<sup>3</sup>.



<sup>1</sup> Hexamaeron, homily 7:6.

<sup>2</sup> Hexamaeron, homily 8:5.

<sup>3</sup> Hexamaeron, homily 8:5.

## مدرسة رهبانية جديدة

لم تكن الرهبة بكل أنظمتها بالأمر الجديد في أيام القديس باسيليوس. لقد سجّل لنا القديس في رسائله كيف شاهد بنفسه الرهبان، وكيف أعجب بهم. تحدّث عنهم قائلاً:

لقد أعجبتُ بعفتهم في حياتهم، وتحملهم للمشاق.

دهشتُ لمثابرتهم في الصلاة، ونصرتهم على النوم، وعدم إزعاجهم للضروريات الطبيعيّة. يحفظون غاية نفوسهم يوماً في سموٍ وحرية، في جوعٍ أو عطشٍ، في بردٍ أو عريٍ (٢ كو ١١: ٢٧). لم يُذعنوا قط للجسد، ولم يريدوا قط أن يفسدوا تفكيرهم بالانشغال بها. يعيشون يوماً كمن في جسدٍ ليس هو جسدهم. أظهروا في كل تصرفٍ كمن هم في رحلة عابرة لهذه الحياة (عب ١١: ١٣)، كما لو كان موطنهم وبيتهم في السماء (في ٣: ٢٠).

هذا كله حرّك دهشتي. لقد دعوت هؤلاء الرجال طوباويين. إذ بالحق أظهروا أنهم حملوا في أجسامهم إماتة يسوع (٢ كو ٤: ١٠). صليتُ إن كان يمكنني أنا أيضاً أن أتمثّل بهم<sup>١</sup>.

لا يُعتبر القديس باسيليوس أحد مؤسسي نظام رهباني جديد في أحد أشكاله، كرهبة التوحّد مثل الأنبا أنطونيوس، أو السواح مثل الأنبا بولا، أو نظام الجماعات مثل القديس مقاريوس الكبير، أو نظام الشركة مثل الأنبا باخوميوس.

مع اختلاف القديس باسيليوس مع يوستاسيوس *Eustathus* أسقف سبسطية *Sebasteia* وأتباعه، إلا أنه أظهر إعجابه بشخصيته كناسكٍ. وهو أول من أدخل الحياة الرهبانية في آسيا الصغرى، وقد انتفع القديس باسيليوس منه، لكنه شعر بالحاجة إلى وضع نظام أفضل يناسب الكثيرين، خاصة الضعفاء. ففي عصره لم تكن الحركة الرهبانية تحتاج إلى من يسندها، إنما كانت في حاجة إلى تنظيم لائق وإشرافٍ مناسب<sup>٢</sup>.

بهذا يعتبر البعض أن القديس باسيليوس أسس مدرسة رهبانية خاصة، فاستحق لقب معلّم الحياة الرهبانية (في كبادوكية)، فقد أسس مدرسة، وجزّ وراءه جمهرة من المعلّمين الروحانيين، عملوا ليس فقط لإرشاد إخوانهم في الحياة الرهبانية، بل على تأسيس وتركيز أسس ثابتة لنهج رهباني جديد وفريد، هو نهج القديس باسيليوس الكبير<sup>٣</sup>.

<sup>١</sup> Epistle 223:2. Nicene & P.N. Frs, Series 2, Volume 8, p. 263.

<sup>٢</sup> E.F. Morison: St. Basil and Rule, Oxford University Press, 1912, p. 3-4.

<sup>٣</sup> الأب إلياس كويتر المُخلصي: القديس باسيليوس الكبير، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، ١٩٨٩، ص ٦٥



قام بهذا الدور بالنسبة لكبادوكيَّة، لذا دعاه البعض "أب الرهبنة الشرقيَّة"<sup>١</sup>، وإن كان قد سبقه في ذلك القديس باخوميوس في مصر. وكان للقديسين تأثيرهما الفعَّال على بندكت في الغرب.

## الحياة الرهبانية والتمتع بخلاص الله

تكشف مقدمته للقوانين المُطوَّلة، بل وأغلب كتاباته النسكية والتفسيرية ورسائله عما في قلب القديس باسيليوس في حياته الرهبانية كما في حياته الرعوية، بل وفي عبادته الشخصية، ألا وهو خلاص نفسه، بل ونلمس فيها لهيب قلبه نحو خلاص كل إنسان! عندما سجَّل لنا قوانينه المُطوَّلة، لم يقف عند دراسته للنظم الرهبانية التي سبقت عمله الرهباني، ولا مناقشاته مع آباء البرية أو القيادات الرهبانية الديرية، إنما انسكب أمام الله بدموع يُقدِّم تتهُذات قلبه من أجل خلاص الجميع. جاء في مقدمة هذه القوانين:

❖ بنعمة الله، باسم ربنا يسوع المسيح، نحن الذين وضعنا أمام أنفسنا هدفاً واحداً بعينه: حياة التقوى، فقد اجتمعنا معاً في مكانٍ واحد.

وبينما أنتم تشتتون بوضوح أن تتعلَّموا شيئاً عن الأمور الخاصة بالخلاص، فمن جانبي يلزمني أن أعلن أحكام الله، مُتذكِّراً ليلاً ونهاراً كلمات الرسول: "إني ثلاث سنين ليلاً ونهاراً لم أفتر عن أن أنذر بدموع كل واحدٍ" (أع ٢٠: ٣١). علاوة على هذا فإن الوقت الحاضر هو أعظم فرصة لنا في هذا الموضوع يمدنا بالهدوء والراحة من ضجيج العالم الخارجي<sup>٢</sup>.

**القديس باسيليوس الكبير**

## أنظمة الرهبنة<sup>٣</sup>

كرَّس القديس باسيليوس الكثير من وقته يُدبِّر موضوع الرهبنة في البحث والتحقيق في الرهبنة المصرية<sup>٤</sup>. لقد بدأت الحركة الرهبانية المسيحية في مصر بأشكالها الثلاثة الرئيسية. ترجع الجذور العميقة للرهبنة وبيوت العذارى في مصر إلى منتصف القرن الأول الميلادي، الوقت الذي دخل فيه القديس مرقس إليها. ويُعد القديس أنطونيوس هو المؤسس الحقيقي لنظام الرهبنة في المسيحية في أول مرحلته المنتظمة الكنسية، أي التوحد، وإن كان قد وُجدَ متوحدون وعذارى قبله، لكن لم يكن للرهبنة نظام وتدابير مُنظَّم تحت رعاية وإرشاد قائدٍ معروف.

<sup>١</sup> Cf. Adeney: *Greek and Eastern Churches*, p.158.

<sup>٢</sup> *The Long Rules, Preface (Daughters of St. Paul, Boston, 1950, p. 9)*

<sup>٣</sup> راجع للمؤلف: نظرة شاملة لعلم الباترولوجي في السنَّة قرون الأولى، فصل ١٢.

<sup>٤</sup> *W. K. Lowther Clarke: St. Basil the Great, a study in monasticism, Cambridge, 1913, p. 26.*

١. رهبنة التوحيد: ويُعتبر مؤسسها أب الأسرة الرهبانية القديس أنبا أنطونيوس (وُلِدَ حوالي عام ٢٥٠م)، وقد صار متوحدًا بعد عزلةٍ دامت حوالي عشرين عامًا. وتَجَمَّع حَوْلَهُ تلاميذ، كل منهم يسلك قدر طاقته تحت إرشاد مُرشدِهِ، دون وجود نظام عبادة مُشترك.

٣. نظام الجماعات في نتريا: تحت قيادة القديس مقاريوس الكبير وغيره من القادة، حيث تُقيم جماعات من الرهبان، إما كمتوحدين أو كل اثنين أو ثلاثة معًا أو كجماعات صغيرة معًا.

٢. رهبنة الشركة: أسَّسها القديس باخوميوس أب الشركة في صعيد مصر في عام (٢٩١/٢٩٣ - ٣٤٦ م)، حيث أنشأ الرهبنة الديرية، ومنه انتشرت في العالم أجمع. حيث يجتمع مئات الرهبان معًا في ديرٍ وأحيانًا آلاف، تحت قيادة "أب"، يخضعون لقوانين مُعيَّنة. ويشترك الكل في الطعام والعبادة، ويقوم كل راهبٍ بعملٍ يوكل إليه في نظامٍ دقيقٍ مُحدَّد. وكان يُسمَح لقلَّة قليلة جدًا أن تتطلق من نظام الشركة إلى نظام التوحيد، يعيشون حول الدير، كل له قانونه دون التزام بنظامٍ ديري مُعيَّن. غاية هذا النظام هو أن النظامين السابقين لا يُناسبان الجميع. لقد وضع القديس باخوميوس تنظيمًا دقيقًا لنظامه الرهباني. يشير بالاديوس<sup>١</sup> إلى الستة قوانين المنحوتة على اللوح النحاسي الذي تَسَلَّمَهُ القديس باخوميوس من ملاك الله. ويقول سوزومين<sup>٢</sup> إن اللوح كان لا يزال محفوظًا.

### نستطيع أن نُلخِّصَ هذه القوانين في النقاط التالية:

- اسمح لكل شخص أن يأكل ويشرب حسب قوته؛ وعلى قدر قوة الآكلين تُحدَّد لهم أعمالهم. لا تَمْنَع أحدًا من الصوم أو الأكل. على أي الأحوال، حدِّد الأعمال التي تحتاج إلى مجهودٍ للأقوياء، أما الضعفاء والنساك، فقَدِّم لهم الأعمال التي يمكن للضعفاء القيام بها.
- أقم عدة قلاوي في مبنى واحد، كل ثلاثة رهبان يسكنون قلاوية، وليتناول جميع الرهبان الطعام معًا في مبنى واحد.
- عند النوم لا يرقدون بالكامل، إنما يضطجعون وهم جلوس على كراسٍ مريحة بسيطة ويتغطون "ببطانية".
- ليرتدوا في الليل ثوبًا بلا أكمام ومنطقة، وليكن لكل واحدٍ منهم عباءة من جلد الماعز، لا يأكل أحد إلا وهو مرتديها. وعندما يشتركون في الصلاة والتناول أيام السبت والآحاد، فليجئوا مناطقهم ويلقوا العباءة الجلدية، وليدخلوا بالقلنسوة وحدها.

<sup>1</sup> Laus. Hist. 32.

<sup>2</sup> Sozomen H.E. 3.14.9.



- تُقسَّم الجماعة إلى ٢٤ قسمًا، كل قسم يُميّز بأحد الحروف اليونانية، فيكون لكل قسم حرف مناسب لسلوكه وعاداته. فالاسم "يوتا" يلقب به البسطاء، والقسم "زيتا" أو "إكسي" للملتوين، وأسماء الحروف الأخرى تُختار حسب الغرض بما يناسب شكل الحرف.
- إذا جاء شخص غريب من دير آخر له نظام مغاير، فلا يأكل معهم ولا يشرب، ولا يدخل حتى الدير، إلا إذا كان قد جاء في رحلة حقيقية (أي قادم في عملٍ جادٍ).

### القديس باسيليوس ونظام الشركة

كان اتجاهه في تنظيم الأديرة أن يجمع بين ما رآه في مصر من حياة المتوحدين وبين نظام أديرة الشركة. وكان يرى أن يكون الدير صغيرًا لا يضم عددًا كبيرًا من الرهبان حتى يمكنهم أن يعيشوا حياة هادئة، وحتى يستطيع رئيس الدير أن يكون على صلة مباشرة بكل راهب، وبذلك يجمع بين حياة النسك وحياة العمل والنشاط<sup>١</sup>.

تبنّى القديس باسيليوس عن القديس باخوميوس نظام الشركة، مُنتقدًا أحيانًا نظام الوحدة. أحيانًا جاء هجومه عنيفًا على نظام الوحدة بالنسبة لمن يتوحد دون أن يبدأ بقضاء فترة في المجمع، أو الذي يتوحد بدون إرشاد، أو الذي يتوحد ويغلق نفسه على أخطائه قبل أن تُعالج، أو الذي يتوحد توحيدًا مطلقًا منفصلًا عن الناس غير مُحِبِّ لهم، مُخفيًا المواهب التي يمنحها الله له، أو المتوحد بغير إفراز. فلا نظن أن القديس يهاجم التوحد على الإطلاق، وإنما التوحد الخاطئ<sup>٢</sup>.

ما يشغل قلب القديس هو أن المؤمن سواء كان من الشعب أو الكهنة أو الخدام أو الرهبان في نظام الشركة أو نظام الوحدة، يلتزم بوصايا الله المُقدّمة للجميع، خاصة محبة الله ومحبة القريب.

مع محبة القديس باسيليوس الشديدة لنظام الشركة، ما كان يشغله هو خلاص الإنسان، وليس التمسك بالنظام في ذاته، فقد جاءت كتاباته في هذا الشأن تكشف عن الآتي:

١. يطلب من السالكين في نظام الشركة، بل ومن المؤمن العادي أن يختبر من حين إلى آخر، إن أمكن يوميًا، فترة خلوة، حيث يتذوّق الوحدة، بكونها انسحابًا من الارتباك باهتمامات الحياة الزمنية حتى التي تبدو ضرورية، للالتقاء مع الله. في هذه الخلوة يَتَمَتَّع بالتعرّف على الله وأسراره الإلهية، كما يختبر معرفته لنفسه بعمل روح الله القدوس فيه.

<sup>١</sup> د. نصحي عبد الشهيد: مقال عن "النظام النسكي للقديس باسيليوس الكبير".

<sup>٢</sup> راجع دير السريان: القديس باسيليوس، ٢٠٠٣، ص ١١٢.

٢. يُشجّع المتوحدين على حياة الوحدة مع مراعاة الوصايا الإلهية، وهو يُقدّم لهم نصائح وإرشادات للسلوك في حياة الوحدة.

٣. أخيرًا ما أكّده القديس غريغوريوس النزينزي أن صديقه باسيليوس يؤمن بحاجة الكنيسة إلى النظامين، وأن كل نظام يكمل الآخر. هذا وكما تحدث عن مخاطر حياة الوحدة، تحدث أيضًا عن مخاطر حياة الشركة، مؤكدًا أن السكنى في قلاية في نظام الشركة لا يهب في ذاته الخلاص والأمان. فكل نظام بركاته ومخاطره!

### تشجيعه الشركة مع المجاهدين

في القوانين المطوّلة (رقم ٧) <sup>١</sup>، أورد سؤالاً عن ضرورة الحياة في صُخبة الذين يجاهدون في ذات الهدف، أي إرضاء الله، وصعوبة حياة الوحدة ومخاطرها. وجاءت الإجابة أنه يُشجّع الانضمام إلى نظام الشركة للأسباب التالية:

١. يحتاج كل إنسان إلى إخوته، كما يحتاج الإخوة إليه، إذ لا يستطيع أحد أن يُحقّق كل احتياجاته بمفرده، أي لا يمكن أن يكون مكتفيًا بذاته.

٢. يليق بالمؤمن ألا يُغلق قلبه، لأن المحبة لا تطلب ما لنفسها (١ كو ١٣: ٥).

٣. قد تدفع حياة الوحدة الإنسان إلى عدم معرفته لأخطائه، إذ لا يوجد من هم في شركة معه، ليدرك ضعفاته بمقارنة حياته بحياة الآخرين، فيظن في نفسه أنه كامل.

٤. قد يظن المتوحد أنه في غير حاجة إلى أب رُوحى يرشده، فيسقط في الكبرياء، وينحرف عن روح التواضع.

٥. قد تحرمه حياة الوحدة من وجود فرصة لخدمة الآخرين، كالعطاء للفقراء والمحتاجين والاهتمام بالمرضى ومواساة المتألمين واستضافة الغرباء.

٦. ربما يفقد المتوحد إحساسه العميق بالاتحاد مع الأعضاء الأخرى. أخطر ما قد يتعرّض له المؤمن في حياة الوحدة هو الشعور بالاكتماء الذاتي.

٧. قد تُفقد الوحدة المؤمن ضرم مواهب الروح المُقدّمة له، وانتفاع الغير بها، وأيضًا انتفاعه هو بمواهب إخوته.

٨. قد يحرم المتوحد نفسه من حياة الشركة التي مارسها الكنيسة في عصر الرسل (أع ٤: ٣٢).

<sup>١</sup> جاء هذا القانون أيضًا مختصرًا في كتاب دير السريان: القديس باسيليوس، ٢٠٠٣، ص ١١٢ - ١١٨.



فيما يلي نص القانون الذي وضعه، وإن كان يجب ألا يُقتبس مُفردًا عن بقية قوانينه وكتاباتهِ التُّسكية:

❖ سؤال: عن ضرورة الحياة في صُخبة الذين يجاهدون في ذات الهدف، أي إرضاء الله، وصعوبة حياة الوحدة ومخاطرها. مادامت كلماتك تقتعنا عن خطورة الصُخبة مع الذين يستخفون بوصايا الله، نحسب من المنطقي أن نسأل إن كان الذي ينسحب من المجتمع، يلزمه أن يعيش في توحد، أم مع إخوة لهم ذات الفكر، وقد وضعوا أمامهم ذات الهدف، أي حياة التقوى.

الإجابة: أحسب أن الحياة التي تعبر في رفقة عددٍ من الأشخاص لهم نفس الهدف أكثر ميزات من جوانب كثيرة.

الأسباب في نظري هي:

١. ليس أحد منّا مكتفيًا بنفسه، من أجل الاحتياجات البدنية (المادية)، بل كل واحد في حاجةٍ إلى معاونة الآخر في إشباع احتياجاته. فالقَدَم كمثلها، لها نوع واحد من القدرة، وتفتقنها قدرة أخرى. وبدون التعاون مع بقية أعضاء الجسم، تجد نفسها عاجزة عن القيام بعملها وهي مستقلة (عن الأعضاء الأخرى) لأي فترة من الزمن، كما لا تقدر أن تُحَقِّقَ ما ينقصها. هكذا حياة التوحد ما لديها لا نفع له بالنسبة لنا، وما ينقصها لا تُحَقِّقُه، حيث أن الله الخالق سنَّ لنا أنه يلزمنا أن نطلب معاونة الآخر، حتى يرتبط الواحد بالآخر...

٢. أيضًا بخلاف هذا الاعتبار، فإن تعليم المسيح عن المحبة لا يسمح للفرد أن يهتم فقط باهتماماته الخاصة. يقول الرسول: "المحبة لا تطلب ما لنفسها" (١ كو ١٣: ٥). بينما الحياة التي تُمارَس في التوحد تهتم فقط بالخدمة الخاصة بالاحتياجات الفردية. هذا يضاد بوضوح شريعة الحب التي حَقَّقها الرسول، الذي لم يطلب ما هو لنفسه، بل ما هو للكثيرين أن يُخَلِّصوا (١ كو ١٠: ٣٣).

٣. علاوة على هذا، فإن الشخص الذي يعيش في توحد غير مستعد أن يتبَيَّن أخطاءه، إذ لا يوجد من ينصحه ويُصلِح من شأنه بلطفٍ وحنوًا<sup>١</sup>.

<sup>١</sup> لذلك ففي الأديرة الآن لا يتوحد الراهب عند دخوله الدير، وإنما يقضي مدة في المجمع قد تطول وقد تقصر، ومن ضمن فوائدها أن يكتشف أخطاءه ويعالجها. وحتى عندما يتوحد يلزم أن يكون تحت إشراف أب روجي. (بير السريان - العذراء مريم: القديس باسيليوس، ٢٠٠٣، ص ١١٣).

في الحقيقة أن النصح حتى وإن جاء من عدو، غالبًا ما يُثمر في الإنسان الحكيم الراغب في الإصلاح. غير أن مُعالجة الخطية تتم بفهمٍ بواسطة من يُحبّه بإخلاص، إذ يقول الكتاب المقدس: "من يحب يُصلح عاجلاً" (أم ١٣: ٢٤ LXX).

مثل هذا الإنسان يصعب جدًا وجوده في التوحّد، مادام ذاك الذي في موقف من يدير حياته (بنفسه) ليس له شركة مع مثل هذا الإنسان. بالتالي يمارس المُتوحّد بالحق القول: "ويل لمن هو وحده إن وقع، إذ ليس ثابٍ لِيُقيمه" (جا ٤: ١٠).

٤. علاوة على هذا، فإنه يمكن بسهولة ملاحظة الغالبية العظمى من الوصايا بواسطة أشخاصٍ كثيرين يعيشون معًا، ولكن الأمر غير هكذا في حالة من يعيش بمفرده، لأنه فيما هو يطيع وصية واحدة، تتعارض معها ممارسة وصية أخرى.

كمثالٍ لذلك عندما يزور مريضًا، لا يستطيع أن يُظهر حُسن الضيافة لغريب، وعندما يساهم ويشارك في ضروريات (خاصة عندما تمتد الخدمات)، يُحرّم من أن يمارس أعمال أخرى بغيره. نتيجة هذا، لا تُلاحظ الوصية العظمى التي تحقّق الخلاص، حيث لا يُطعم الجائع، ولا يكسي العريان. إذن، من يريد أن يختار هذه الحياة العقيمة التي لا نفع لها، ولا يُفضّل عنها الحياة المثمرة التي تتفق مع وصية الرب؟!<sup>١</sup>

٥. بجانب هذا، إن كنا نحن جميعًا نتّحد معًا في رجاء دعوتنا (أف ٤: ٤)، فإننا جسد واحد لرأسنا المسيح، وأعضاء الواحد للآخر (١ كو ١٢: ١٢).

إن لم ترتبط معًا في وحدة الروح القدس في تتاعُم الجسد الواحد، بل يُختار كل منا أن يعيش في عزلة، فإننا لا نخدم الصالح العام حسب مَسْرّة الله الصالحة، بل نكتفي بإشباع أهوائنا الخاصة حسب بهجتنا الذاتية.

كيف نستطيع ونحن مُنقسمون ومُنفصلون، أن نحافظ على وضعنا الشرعي (كجسد واحد) وعلى الخدمة المشتركة للأعضاء<sup>٢</sup>، وخضوعنا لرأسنا الذي هو المسيح؟<sup>٣</sup>

<sup>١</sup> لغير الناضجين روحياً يكون التوحّد مقامًا بغير ثمرة بل قد يتلف حياتهم. أما الناضجون فإنهم يرتفعون بالتوحّد درجات كثيرة في عالم الروح ويكون لهم ثمر كثير يناسب طقسهم. وهؤلاء لا تكون لهم الخدمة الجسدية التي يقوم بها أعضاء المجمع وإنما تصبح خدمتهم روحية تُشبه خدمة الملائكة. راجع تعليق دير السريان: القديس باسيلوس، ٢٠٠٣، ص ١١٤.

<sup>٢</sup> يبدو من هاتين العبارتين أن القديس باسيلوس يقصد حالة مُعيّنة لتوحّد غير ناضج وليس التوحّد على الإطلاق وفي الأديرة حاليًا يكون المتوحّد عضوًا في دير في نفس الوقت وتابعًا له، غير منفصل عنه. راجع تعليق دير السريان: القديس باسيلوس، ٢٠٠٣، ص ١١٥.

<sup>٣</sup> هذا أيضًا مثال لتوحّد غير ناضج يُعالجه القديس. فالمتوحّد الصالح إذا أعطاه الله مثلاً موهبة شفاء فإنه يسمح له في نفس الوقت أن يستخدمها لنفع الآخرين. راجع تعليق دير السريان: القديس باسيلوس، ٢٠٠٣، ص ١١٥.



حقًا يستحيل علينا أن نفرح مع من يُكرّم، ونتعاطف مع من يتألم (١ كو ١٢: ٢٦). بانفصالنا الواحد عن الآخر، لا يستطيع كل شخصٍ بحالٍ من الأحوال أن يعرف شيئًا عن شئون أخيه.

٦. بجانب هذا، إذ لا يستطيع أحد أن ينال كل المواهب الروحية، إنما تُعطى موهبة الروح القدس نسبيًا حسب إيمان كل واحدٍ (رو ١٢: ٦)، فإن عاش أحد في شركة مع الآخرين، فإن النعمة التي تُعطى على وجه الخصوص لكل شخصٍ، تصير ملكًا عامًا لزملائه. "فإنه لواحدٍ يُعطى (بالروح) كلام حكمة، ولآخر كلام عِلمٍ (بحسب الروح الواحد)، ولآخر إيمان، ولآخر نبوة، ولآخر موهبة الشفاء" (راجع ١ كو ١٢: ٨-٩)، وهكذا.

من يتقبّل أية موهبة، لا يقتنيها لنفسه، بل بالحري لأجل الآخرين، وبهذا تسير الحياة في الجماعة. ينتقل عمل الروح القدس في الشخص في نفس الوقت بالضرورة إلى الجميع.

من يحيا وحده، بالتبعية إذ يكون له موهبة واحدة يجعل فاعليتها غير نافعة، إذ يدفنها فيه. يا لخطورة هذا كله، يا من تعرف ذلك بقراءة الإنجيل (راجع مت ٢٥: ٢٦ الخ).

٧. من جانب آخر، في حالة سُكِنَى كثيرين معًا، يَتَمَتَّع كل واحدٍ بموهبته ويُنَمِّيها، إذ يجعل الآخرين يشاركونه فيها؛ هذا بجانب ما يحصده من مواهب الآخرين كما لو كانت مواهبه هو.

تُقَدِّم الحياة الجماعية بركات أكثر من أن تُعَدَّ بالكامل وبسهولة. إنها أكثر نفعًا من حياة العزلة، وذلك لحفظ الخيرات الممنوحة لنا بواسطة الله، مع تفادي الهجمات الخارجية التي للعدو (إبليس).

٨. إن حدث أن أحدًا ما تنقّل في نومه حتى الموت، كما يُخبرنا داود، نَتَجَنَّبَه بالصلاة: "أُنِرْ عيني، حتى لئلا أنام في الموت" (مز ١٣: ٤ LXX)، بالتأكيد يوقظه أولئك الذين هم يلاحظونه.

بالنسبة للخاطيء، فإن انسحابه من خطيته أسهل إن كان يخشى الخزي الذي يحل عليه حين يُبَكِّتُه كثيرون من العاملين معه<sup>١</sup>. فتتطبق عليه الكلمات: "مثل هذا يكفيه هذا القصاص الذي من الأكثرين" (٢ كو ٢: ٦).

<sup>١</sup> المتوحد الصالح الذي تحت إرشاد أب روجي ينال هذه المنفعة بواسطة أبيه. راجع تعليق دير السريان: القديس باسيليوس، ٢٠٠٣، ص ١١٦.

وبالنسبة للإنسان البار، يوجد شباع عظيم له وكامل في تبجيل الجماعة له، واستحسانهم لسلوكه. إن كان على فم شاهدين أو ثلاثة تثبت كل كلمة (مت ١٨: ١٦)، فإن من يقوم بعملٍ صالحٍ يجد بالتأكيد مؤيدين له أكثر بكثير بشهادة الكثيرين.

٩. بجانب هذه المساوي، حياة العزلة مشحونة بمخاطرٍ أخرى. أولها وأخطرها هو الشعور بالافتقار الذاتي. حيث أنه لا يوجد في العزلة أحد يقوم بتقييم سلوكه، يظن أنه قد بلغ الكمال في الوصية. وإذا لا يمتحن نفسه بالتدريب لا يدرك نقائصه، ولا يكتشف التقدم الذي حلَّ بسلوكه...

كيف يظهر تواضعه، ما دام لا يوجد أحد يُقارن به نفسه، ويثبت تواضعه العظيم؟

كيف يُقدّم شهادة لحنوّه، ما دام قد قطع نفسه عن الشركة مع أشخاصٍ آخرين؟

إن قال أحد إن تعليم الكتاب المقدس فيه الكفاية لإصلاح طريقه، فإنه يُشبه إنسانًا يتعلّم النجارة دون ممارسة عمل النجارة قط، أو يُشبه إنسانًا قد تعلّم فن المعادن، ولم يدخل بالنظريات إلى الممارسة العملية<sup>١</sup>. لمثل هذا الإنسان، يقول له الرسول: "لأن ليس الذين يسمعون الناموس هم أبرار عند الله، بل الذين يعملون بالناموس هم يُبررون" (رو ٢: ١٣).

تأمل بالأكثر أن الرب بسبب محبته الفائقة للإنسان، لم يكتفِ بتعليم الكلمة، بل لكي ينقل إلينا بوضوح ودقة مثال التواضع في كمال المحبة، ثمّنطق وغسل أقدام التلاميذ (يو ١٣: ٥). إن كنت تعيش بمفردك، مَنْ إذن الذي تغسل (قدميه)؟ من الذي تخدمه؟ من الذي تُقارن نفسك به، فتحسب أنك أقل منه؟ علاوة على هذا، كيف يمكن في العزلة أن تُتمم ما هو صالح ومُسِر، إذ سكنى الإخوة معًا في مسكنٍ واحدٍ يُشَبَّهه (المُرْتَل) بالدهن الذي يبعث رائحة طيبة من رأس رئيس الكهنة (مز ١٣٣: ٢).

هكذا عندما يسكن الإخوة معًا في جماعةٍ تُوجَد حلبة للمعركة، وطريق صالح للتقدم، وتدريب دائم وممارسة لوصايا الرب.

هدف هذا النوع من الحياة مجد الله حسب وصية ربنا يسوع المسيح، القائل: "فليضيء نوركم هكذا قُدّام الناس، لكي يروا أعمالكم الحسنة، ويمجّدوا أباكم الذي في السماوات" (مت ٥: ١٦). إنها أيضًا تصون ممارسة سمات القديسين، التي يُسجّلها سفر الأعمال: "وجميع الذين آمنوا كانوا معًا، وكان عندهم كل شيء مُشترَكًا" (أع ٢: ٤٤). مرة أخرى قيل: "وكان لجمهور

<sup>١</sup> الذي يبدأ بالتوحد يقع في هذا الخطأ. ولكن التوحد الصحيح يأتي بعد قضاء فترة في المجمع يكتسب فيها الشخص كل هذا. راجع تعليق دير السريان: القديس باسيليوس، ٢٠٠٣، ص ١١٧.



الذين آمنوا قلباً واحداً ونفساً واحدة، ولم يكن أحد يقول إن شيئاً من أمواله له، بل كان عندهم كل شيءٍ مُشترَكًا" (أع ٤ : ٣٢)<sup>١</sup>.

### القديس باسيليوس الكبير

في رسالة بعث بها القديس باسيليوس إلى جماعة من الرهبان، كتب:  
❖ سألتكم أن تتبنوا حياة جماعية على منوال حياة الرسل. قبلتم هذا كتعليمٍ صحي، وشكرتم الله عليه. رغبتني عظيمة أن أراكم جميعاً مُتَّحدين في جسدٍ واحدٍ، وأن أسمع عنكم أنكم لا تعيشون حياة بلا شاهدٍ. بل تتعهدون أن تلاحظوا اهتمامكم الواحد بالآخر، ويشهد كل واحدٍ بنجاح الآخر. بهذا يَنْقَبَل كل منكم المكافأة كاملة، لكن ليس لحسابه وحده، بل لنمو أخيه. وكما يليق تكونون مصدر نفعٍ مُشترَك، الواحد للآخر في الكلمة والفعل، كثمرة للعلاقة والنُضج الدائم<sup>٢</sup>.

### القديس باسيليوس الكبير

بكل وضوحٍ قال: [حياة العزلة صعبة وخطيرة<sup>٣</sup>].

### الرهبنة الخادمة وبركات التَّوْحُد

مع تشجيعه لحياة الشركة وإبرازه لخطورة حياة التَّوْحُد للذين يُمارسونه بقلبٍ مُغْلَقٍ وتجاهلٍ لوصية محبة القريب، في مواقف كثيرة كان يُشجِّع البعض على حياة التَّوْحُد بطريقة سليمة ويحذّر من إساءة حياة الشركة. جاء في رثاء القديس غريغوريوس النزينزي له:

❖ لقد صالح ووحد التَّوْحُد الفائق السمو مع حياة الشركة... لقد أنشأ قلالي للنسك والمتوحدين، ولكن ليس على مسافات بعيدة من جماعات الشركة. وعضو التمييز والفصل الواحد عن الآخر كما بحائطٍ حاجزٍ، جمعها معاً ووحدهما، حتى لا يُتَزَع روح التأمل عن الجماعة، ولا الحياة العاملة تفقد تأثيرها بالحياة التأملية، وإنما كالبحر والبر، يتبادلان المواهب المتنوعة ليتَّجدا معاً في غاية واحدة هي مجد الله<sup>٤</sup>.

### القديس باسيليوس الكبير

العزلة بالنسبة للقديس باسيليوس ليست اعتزالاً عن القريب، وإنما هي اعتزال عن ارتباكات العالم. ففي خطابه لصديقه القديس غريغوريوس، كتب: [الهدوء هو الخطوة الأولى نحو تطهير النفس. العزلة هي أكثر الأمور نفعاً<sup>٥</sup>].

<sup>1</sup> *Regulae fusius tractatae*, 7.

<sup>2</sup> *Epistle 295*.

<sup>3</sup> *Regulae fusius tractatae*, 7.

<sup>4</sup> *Oration 43: 62*.

<sup>5</sup> *Ep. 2:2*.

إيها (بالعزلة) ننتصر على طريقة حياتنا السابقة، حيث أهملنا وصايا المسيح... وهكذا نَتَمَكَّن من أن نستأصل وصمات الخطية بالصلاة الحارة والاهتمام الدائم بإرادة الله. إذ لا نستطيع أن نُمارِس مثل هذا التأمل والصلاة وسط ارتباكات كثيرة تشتت الذهن، وتقود إلى اهتمامات زمنية... كل واحد منا يُلْزِمه على الأقل أن يعرف أننا لا نستطيع أن نحفظ أية وصية، ولا أن نُحَقِّق حُبَّ الله والقريب إن كنا ننحرف بأفكارنا تارة في اتجاه آخر<sup>1</sup>.

[لا تظنوا أن كل شخصٍ في القلاية يخلص، سواء كان صالحًا أو شرييرًا، فالأمر ليس كذلك. حقا إن كثيرين اقتربوا من حياة الفضيلة، لكن قليلين حملوا نيرها<sup>2</sup>.]

### التزام المتوحدين بعدم التراجع

مع اهتمام القديس باسيليوس بتشجيعه نظام الشركة، وتأكيد دور الرهبة في السمو بحياة الكنيسة والمجتمع روحياً، يطلب ممن بلغوا حياة الوحدة في الرهبة الالتزام بها وعدم التراجع، حتى لا يدخل المتوحد في صراع بين حياة الوحدة والرغبة في الخدمة. كتب إلى تلميذه شيلو Chilo يُشجِّعه على حياة الوحدة، جاء في رسالته:

❖ كثيرون لديهم الشجاعة أن يدخلوا حياة الوحدة، أما أن يعيشوا فيها حتى النهاية، فهذا العمل ربما قليلون يبلغون إليه<sup>3</sup>.

❖ لا تُحِبُّ أقباءك أكثر من الرب. يقول (الرب): "من أَحَبَّ أبًا أو أمًّا أو أخًا أكثر مني فلا يستحقني" (مت ١٠ : ٣٧؛ لو ١٤ : ٢٦).

ما هو معنى وصية الرب: "مَنْ لا يحمل صليبه ويتبعني، لا يقدر أن يكون لي تلميذًا" (لو ١٤ : ٢٧؛ مت ١٠ : ٣٨)؟ إن كنت قد مُتَّ مع المسيح من أجل قريبك حسب الجسد، فلماذا ترغب في أن تحيا معه مرة أخرى؟! إن كنت من أجل قريبك تبني مرة أخرى ما هدمته من أجل المسيح، فإنك ترتكب معصية.

إذن لا تهجر مكانك (تخرج من التوحد) من أجل قريبك، لئلا تهجر أسلوب حياتك (التوحد)، لا تحب (السكنى مع) الجماهير ولا في المدينة ولا في البلدة. لثُجِب البرية، ولا تسكن بعد مع فكر مُتَجَوِّل<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> *Regulae fusius tractatae*, 6:1.

<sup>2</sup> *De Ren.* 9.

<sup>3</sup> *Letter 42 to Chilo, his disciple*, 1.

<sup>4</sup> *Letter 22 to Chilo, his disciple*, 3.



❖ ماذا أنتفع بعد (بتركي الوحدة) إلا خسارة نفسي؟ لهذا السبب أهجرت (العالم) على التلال مثل طائر. "انفلتت نفسي مثل العصفور من فخ الصيادين" (راجع مز ١٢٤ : ٧).  
يا أيها الفكر الشرير، إنني أعيش في البرية حيث عاش المسيح.  
هنا بلوطات ممرا (تك ١٣ : ١٨).  
هنا السلم الصاعد إلى السماء، وحصن الملائكة الذي رآه يعقوب (تك ٢٨ : ١٢).  
هنا البرية التي فيها تطهر الشعب لاستلام الشريعة، وجاءوا إلى أرض الموعد ورأوا الله.  
هنا جبل الكرمل الذي تغرب فيه إيليا وسر الله (١ مل ١٨) ...  
هنا البرية التي أكل فيها يوحنا الجراد، وكرز بالتوبة للبشر.  
هنا جبل الزيتون الذي جاء إليه المسيح محب البرية...  
هنا الطريق الضيق والشاق الذي يقود إلى الأبدية (مت ٧ : ١٤).  
هنا المعلمون والأنبياء الذين جالوا في البراري والجبال والكهوف وشقوق الأرض  
(عب ١١ : ٣٨)¹.

القديس باسيليوس الكبير

قدم أيضا نصيحة إلى شاب يعيش حياة الوحدة، جاء فيها:

❖ حيث أنك تعيش حياة انفرادية مليئة بالإيمان والتقوى، لا بد أن تتعلم كيف تعيش كما يحق لإنجيل يسوع المسيح.  
درب نفسك أن تتحكم في جسديك، وتخضع أهواءك، وتسعى إلى نقاوة فكرك، وكيف تتحكم في غضبك.

إذا تجنبت للمسيح له المجد، فضع أمامك هذه الأمور لخدمة الله:  
لو سرقت، فلا تلجأ إلى محاكم العالم.  
أظهر محبتك تجاه الذين يكرهونك، وتحمل الذين يضطهدونك.  
وإن افتري عليك أحد، فتعامل معه برفق.  
كن كميت للخطية، واصلب نفسك لله.

ركز كل طلباتك تجاه الله وأنت تُصلي، حتى يمكنك أن تجد مكانا وسط الأعداد التي لا تُحصى للقديسين، وفي أماكن الأنبياء، وبين عظمة الآباء، وأكاليل الشهداء، ومدح

¹ Letter 22 to Chilo, his disciple, 5.

المستحقين. أنت أيضاً لا بد أن تُظهر كل اشتياق، وتؤكد من أنك ستصبح معدوداً مع المُستحقين في المسيح يسوع إلينا، له المجد إلى الأبد. آمين<sup>1</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## تكاملاً بين النظامين لا تعارضهما!

جاء موقف القديس بلامون المتوحد من تلميذه القديس باخوميوس عند تأسيس نظام الشركة عن موقف الكنيسة من هذين النظامين.

إكّم تآقت نفس (القديس باخوميوس) أن يكون لكل البشرية تلك الفرص التي له، تعشق حبيبها وتناجيه. ولكن إذ يرى طريق الرهبنة، نظام الوحدة، صعباً وقاسياً، يبكي من أجل غير القادرين... في أحد الأيام، إذ كان باخوميوس يمشي قرب القرية الخربة التي تُدعى Tabenna أو طبانسيين (بالقبطية) أي نخل إيزيس، وهي مواجهة لمدينة دندرة، يجمع حطباً، غارقاً في تأملاته، إذا ملاك يظهر له ويُحقّق له أمنيته التي طالما تلهّقت نفسه إليها ولم يكن يظن أنها ستتحقق على يديه.

طالبه الملاك أن يبني ديراً، مُخبراً إياه بأن كثيرين سيجمعون حوله، وأرشده إلى خضوعهم لقانونٍ منظم، وأعطاه لوحاً نحاسياً به الرصايا التي يلزم على الإخوة أن يسلكوا بها. وهي وصايا سهلة، يستطيع الإنسان العادي أن يُنفذها بنعمة الرب...

رجع باخوميوس إلى أبيه وأخبره بما رآه، وتوسّل إليه أن يذهب معه إلى طبانسين لتنفيذ الإرادة الإلهية. فلما سمع الشيخ بذلك، حزنّ لمفارقتة جداً، وقال له: "كيف بعد سبع سنوات، وأنت عاكف معي بطاعةٍ وخضوعٍ تُفارقني عند كبري. وأنا أرى وجودي معك أهون عليّ من مفارقتك؟! لذلك قرّر للحال أن يذهب مع ابنه ويساعده في بداية هذا النظام، ويسكن معه.

عجيب هو هذا الرجل المُسن! يؤمن بوحدة الكنيسة، بالرغم من اختلاف عمل الأعضاء وتباين مواهبهم! قبلَ وهو شيخ مُسن أن يترك ابنه يبني ديراً، بل ويساعده ويُشجّعه عليه، مع أنه لم يكن قد سمع من قبل عن نظام الشركة في الرهبنة.

إنه لم يستخف بنظام الشركة! لكن وإن كان هذا النظام لا يُوافقُه كناسكٍ متوحداً، لذلك بعد فترة من الزمن عاد ليقول لابنه: "اعلم أيها الابن المحبوب إليّ، إن نفسي تُتازعني بالعودة إلى قلايتي

<sup>1</sup> ترجمة: أبناء البابا كيرلس السادس، ١٩٩٦. *Basil the Great: Gateway to Paradise*.

<sup>2</sup> راجع للكاتب: القديس باخوميوس أب الشركة وتلميذه نادر، طبعة ٣، ٢٠١٢، بند ٣.



وَمَكَانٌ تَوْحُّدِي. وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ قَلَّدَكَ بِنِيَانِ هَذَا الدَّيْرِ، وَأَنَّهُ سَيَنْمُو وَيَمْتَلِئُ بِالنَّاسِ الْمَرْضِيِّينَ لِلَّهِ. وَأَنْتِ عَتِيدٌ أَنْ تَسْتَمِدَّ مِنَ اللَّهِ قُوَّةً وَطُولَ أُنَاةٍ فِي رِعَايَتِهِمْ. أَمَّا أَنَا فَقَدْ طَعَنْتِ فِي السِّنِّ، وَضَعَفْتَ قُوَّتِي، وَقَدْ آتَى وَقْتُ رَحِيلِي، وَأَرَى أَنَّ تَوْحُّدِي أَوْفَقٌ لِي. نَدَىكَ أَلْتَمَسُ بِنُوتِكَ وَأَطْلُبُ مِنْ إِخْلَاصِ مَحَبَّتِكَ أَلَّا تَحْرَمَنِي رُؤْيَاكَ بَيْنَ حِينٍ وَآخَرَ. أَنْتِ تَزُورَنِي مَرَّةً، وَأَنَا أَزُورُكَ مَرَّةً أُخْرَى، فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْيَسِيرَةِ الَّتِي تَبَقَتْ لِي".[

## شهرته الرهبانية

كتب موريسون *Ernest Frederick Morison*:

[بلا شك ساهمت أمور كثيرة في شهرة القديس باسيليوس في الكنيسة: رسائله العجيبة، ودفاعه عن الإيمان، وقدرته الإدارية، لكن خدماته في التدبير الرهباني وحده فيها الكفاية لتبرير عظمته... لديه من الثروة والتعليم وكل جانب كان يمكن أن يتبناه. لذلك عندما اتجه باسيليوس بناء على اقتراح أخته ماكرينا بأفكاره إلى الحياة الرهبانية، بالحق كانت الدعوة تحمل تضحية ببركات زمنية عظمت من غنى وكرامة، ومركزه العائلي، وسُمعته العلمية المعتبرة، جاذبًا هذا كله بغير تردّد. وكما قال عنه أخوه غريغوريوس أسقف نيصص<sup>1</sup> إنه كان مثل موسى الذي فضّل العبرانيين عن خزائن مصر (عب ١١: ٢٦)...

في الواقع كان باسيليوس هو ذات الرجل الذي كانت الحركة الرهبانية تحتاج إليه<sup>٢</sup>. مع اهتمامه الشديد بعمله الرعوي سواء وهو شماس أو كاهن أو رئيس أساقفة، لم ينس القديس باسيليوس رهبانه قط. كما كان يتطلّع إلى الحياة النسكية كتعبير كامل لما يعني به الإنسان أنه مسيحي.

<sup>1</sup> St. Gregory of Nyssa: In laud Bas. 1.

<sup>2</sup> E.F. Morison: St. Basil and Rule, Oxford University Press, 1912, p.5-6.

## قوانينه وكتابه النُسكية والرهبانية

توجد مجموعة من ١٣ كتابًا تُسمَّى *Ascetica* "نسكيات" منسوبة للقديس باسيليوس، بعضها من وضعه فعلاً، وبعضها يُشك في نسبتها إليه. هذه المخطوطات توجد بالأرمنية القديمة والجورجية، والعربية، والسلافية، واليونانية (*PG Migne 31*). وقد حَقَّقها العلماء، وأثبتوا ما هو صحيح وما هو منحول<sup>١</sup>.

توجد ثلاث مقالات عن الحياة النُسكية تُنسب للقديس باسيليوس:

١. مقدمة في الحياة النُسكية: تصف الناسك كمسيحيٍّ مُحارِبٍ. يضم جيش السيِّد المسيح بكل رتبته رجالاً ونساءً. هذا المقال القصير، يصعب نُسبه للقديس باسيليوس، إذ لا تتفق أفكاره وتعبيراته مع أفكار القديس<sup>١</sup>.

٢. مقال نُسكي عن زهد العالم وعن الكمال الروحي: وهو عمل أكيد، واضح أن مادته ولغته تُدكرنا بكتابات القديس باسيليوس غير المشكوك فيها. هذا المقال هو حث على جحد كل ملاهي العالم، وأن يحيا الناسك حزاماً الصليب. كما يُقدِّم تفاصيل عن سلوك الناسك في المجتمع.

٣. مقال عن النظام النُسكي، كيف يُزيِّن الراهب حياته: وهو مقال قصير يمكن انتسابه للقديس باسيليوس. وهو يُشبه المقال السابق في أمورٍ كثيرة، خاصة في حثه على التواضع.

توجد أيضاً ثلاثة أعمال أخرى مترابطة معاً، وهي من قلم القديس باسيليوس، وإن كانت لا تهتم كثيراً بالجانب الرهباني:

المقال الأول عن "دينونة الله": يتحدث عن شرِّ العالم الحاضر، ويُرَكِّز على تأكيد دينونة الله التي لا يقدر أن يتحاشاها سوى السالك بإنجيل إلها المُبَارَك يسوع المسيح ربنا.

المقال الثاني "عن الإيمان": وهو اعتراف وإعلان عن الإيمان المستقيم، مع حث على السلوك كما يليق بإنجيل المسيح في رجاء الحياة الأبدية. حالياً يُستخدَم كمقدِّمة للمقال الثالث.

<sup>١</sup> د. نصحي عبد الشهيد: مقال عن "النظام النُسكي للقديس باسيليوس الكبير".

<sup>٢</sup> Cf. Baliffol: *Anciennes Littératures chrétiennes*, I, p. 256. "Homélie banale et apocryphe sur La vie chrétienne."

المقال الثالث "الأخلاقيات الموراليا *Moralia*" أو إنجيل السلوكيات: يأتي هذا المقال بعد المجموعتين للقوانين اللتين يُجمعُ الكلُ أنهما من وضع باسيليوس. وُجِدَت شهادات خارجية قوية تؤكد أصالة نسبتها لباسيليوس.

هذا الكتاب هو تجميع لثمانين وصية أو قانون أو قاعدة أو تعاليم سلوكية *Regulae*، تستند على نصوص من الكتاب المقدس، خاصة العهد الجديد. وهو يُعالج الواجبات العامة. وقد وضعه القديس باسيليوس أثناء إقامته في إيريس *Iris* عندما كان القديس غريغوريوس النزينزي صديقه موجوداً معه<sup>1</sup>.

إنه موجّه للمسيحيين بوجه عام، لكنه يحمل فكرًا نسكيًا إلى حد ما. كما يبدو أنه وُضِعَ لاحتياجات الكهنة "الذين وُكِّلَ إليهم الكرازة بالإنجيل"<sup>2</sup>.

تُظهر "الأخلاقيات" كيف أن الكتاب المقدس هو أصل اللاهوت الأخلاقي الباسيلي، إذ يقول: "إن ما لا يوجد في الكتاب المقدس، ليس من الإيمان، فهو خطية"<sup>3</sup>.

يُقدِّم لنا القديس مفاهيم لاهوتية بأسلوب بسيطٍ مُختصرٍ، وإرشادات وتدابير روحية عملية تمسُّ سلوكنا، وتسد المؤمن سواء كان كاهنًا أو راهبًا أو من الشعب، للتمتع بالنمو الدائم في الروح، وتقوده للسلوك محفوظًا في المسيح يسوع، الطريق الحقيقي، دون أن ينحرف يمينًا أو يسارًا، ويلهب قلبه بالاشتياق للتمتع بعربون السماء، مُنطلقًا من مجدٍ إلى مجدٍ.

يُقدِّم لنا أيضًا إجابة على تساؤلات كثيرة، تثور في أذهاننا أثناء سلوكنا في جو الشركة. يلمس القديس في هذا العمل ليس فقط سلوكنا الظاهر وكلماتنا، وإنما حتى نياتنا الداخلية وأفكارنا الخفية. مع كل إجابة مُختصرة، أحيانًا لا تتعدى سطرًا واحدًا أو سطرين يلحق بها عددٌ من آيات الكتاب المقدس، استتبط منها هذه الإجابة. سأكتفي في اقتباسي منه الإشارة إلى آية أو آيتين فقط.

يصلح هذا العمل أن يُقدِّم كمرشدٍ حقيقي عملي في حياة المؤمن، ليحيا في الرب، يتمتع بعذوبة عمل الثالوث القدوس، ويختبر الحياة الكنسية في حياته اليومية.

سَجَّلَ أيضًا مقدِّمة تمهيدية عن *De judicio* عقوبات الرهبان.

الأعمال النسكية الأخرى التي تُنسب للقديس باسيليوس كتابات غير أصلية، مثل القوانين الديرية *The Monastic Constitutions*. واضح إنه لا يمكن أن يكون قد كتبها واضع القوانين،

<sup>1</sup> د نصحي عبد الشهيد: مقال عن "النظام النسكي للقديس باسيليوس الكبير".

<sup>2</sup> *Moralia* 70:1.

<sup>3</sup> *Moralia*, 80: 22.



وهي تُنسب ليوستاثيوس أسقف سبسطية *Eustathius of Sebaste*، ويُحتمل أن تكون قد وُضعت بواسطة متوحدين وجماعات ديرية.

## مجموعتان من القوانين

توجد أيضًا مجموعتان من القوانين من قلم القديس باسيليوس، وهي تهتم كثيرًا بالجانب الرهباني، أختم بهما الحديث عن قوانينه وكتابات النسكية والرهبانية.

هاتان المجموعتان - القوانين المطوّلة والقوانين المختصرة - يرجع تاريخهما إلى وقت متأخر عن كتابه الأخلاقيات. وهما موضوعتان على "نظام الكاتشيزم الرهباني"، أي عن طريق السؤال والإجابة، نتيجة أسئلة سألتها الرهبان الذين زارهم القديس باسيليوس. يُمتلأن تطوُّرًا لأفكار باسيليوس الواردة في رسالته التي كتبها إلى صديقه غريغوريوس، يصف فيها الحياة التي يمارسها هو بنفسه مع رفقائه في المنسك (الدير) ببنتس.

تُشكّل المجموعتان فكرة سليمة عن الدير الكبادوكي في أيام باسيليوس، وإن كان يصعب تحديد قانونه الرهباني بدقّة وتفصيل، لأنه يُفترض في كتابات باسيليوس الرهبانية أن المجتمع الرهباني كان موجودًا بالفعل (قبل القديس باسيليوس)، وأن إدارته تترك شيئًا من الحرية لرئيس الدير.

جاءت القوانين أو الأحكام *Rules* تتجنب الحديث عن أي نظم فيها تدبير مُشابه.

يروى التاريخ أن بعض رؤساء أديرة فرنسا في القرنين الخامس والسادس استعانوا بقوانين القديس باسيليوس للقيام بإصلاح حالة بعض الأديرة في ذلك الحين<sup>1</sup>.

الصفة التي طبعت روحانية القديس باسيليوس الرهبانية هي المرونة والاعتدال، حتى اتهمه البعض بأنه أدخل اللين إلى نظام الحياة الرهبانية<sup>2</sup>.

يُعتبر القديس باسيليوس الكبير أكثر آباء الكنيسة الجامعة تدوينًا للمصادر القانونية، وترجع أهميتها إلى أنها تُمثل صورة صادقة وعملية لحياته وأفكاره. جاءت ثمرة عوامل كثيرة، منها الآتي:

١. اهتم القديس باسيليوس بوصية القديس بولس الرسول، إذ يقول: "كل الذين يسلكون بحسب هذا القانون عليهم سلام ورحمة" (غل ٦ : ١٦).

٢. في دراستنا لحياة القديس ثبت وهو تلميذ في أثينا، ومُدّرّس في قيصرية كبادوكيا، وراهب في دير، وكاهن في قيصرية ورئيس أساقفة، أنه يتحلّى بروحانية عميقة وجادة بدون حرفية قاتلة، وبعقلٍ نابغٍ مُتّسعٍ وفكرٍ متفوّقٍ، وإرادةٍ فولاذيةٍ مقدسةٍ في الرب، وإدارةٍ نيرةٍ تحمل روح الأبوة، ورقةٍ

<sup>1</sup> Battifol: *His. Di Rossano: Moris: La Grande Grèce. Le moine de Constantinople.*

<sup>2</sup> الأب إلياس كويتر المخلصي: القديس باسيليوس الكبير. منشورات المكتبة البولسية، بيروت، ١٩٨٩، ص ٦٤.

مع حزم. بهذا اكتسب الاحترام والتقدير والمهابة عند الجميع حتى عند مقاوميه. قيل عنه: "من يقرأ حياة هذا القديس التي هي حياة واقعية صحيحة، خطها معاصروه ومعاشوه مثل صديقه القديس غريغوريوس النزينزي وشقيقه القديس غريغوريوس النيسي، ويطالع ما خلفه من الكتابات في حقول متنوعة، لا يتمالك من الإقرار بأن القديس باسيليوس هو هبة منحتها السماء للأرض<sup>1</sup>".

٣. سعة أفق ثقافته التي كسبها من جامعات أثينا ومن لقاءاته مع مشاهير عصره النساك مثل القديسين مقاريوس وبفنوتيس، إذ طاف بلاد الشرق، واطَّلع على طرق معيشة الرهبان في مصر وسوريا وفلسطين وبلاد ما بين النهرين.

٤. تكشف مقدمة القوانين المطوّلة على وضعه هذه القوانين بروح الصلاة مشتاقاً بدموع إلى خلاص المُتَحِقِّين بالأديرة والمؤسسات. جاء فيها: "لِما لا نضع نصب أعيننا ذلك اليوم العظيم الرهيب، الذي فيه يُقام الذين عملوا الصالحات عن يمين الرب، وينالون ملكوت السموات، ويقف الذين عملوا السيئات عن اليسار، فتقبلهم نار جهنم، ويغشاهم ليل الظلمات الأبدية، وهناك يكون البكاء وصرير الأسنان" (مت ٢٥ : ٣٠).

أيضاً جاء فيها: "ينبغي علينا ألا نُهمل شيئاً، ولو كان يسيراً من الأشياء التي فُرضت علينا، بل يجب أن نُتَمَّ كل شيءٍ بموجب ما أمرنا به. فقد قيل: "طوبى لذلك العبد الذي يأتي سيده يجده يعمل" (لو ١٢ : ٤٣).

٥. رَكَز في مقدمته هذه على الالتزام بالوصية الإلهية. يعفي الكاتب نفسه من تقديم رأيه الشخصي ليُظهِر أن كل وصايا الرهبانية وتعاليمه مصدرها الكتاب المقدس، وأن حياة الراهب إنجيلية. لقد قامت نسكيات باسيليوس على خضوعه التقوي لسلطان الكتاب المقدس. لا يعطي لنفسه الحق أن يخرج خارج دائرته، ويحسب أنه يلزم التأسف متى استخدم كلمة غير موجودة في الكتاب.

المجموعة الأولى: "القانون الكبير" أو القوانين المطوّلة *Regulae fusius tractatae* ((Long Rules).

كُتِبَت دون شك أثناء فترة خلوته ببنتس، لكنه قام بمراجعتها خلال زيارته المتلاحقة لبونتس، سواء حين كان كاهناً أو أسقفًا<sup>٢</sup>. تتضمن هذه القوانين مُقدِّمة طويلة وخمسة وخمسين سؤالاً وجواباً، محورها تنظيم الحياة الرهبانية وأصول تعامل الإخوة الرهبان مع بعضهم البعض.

<sup>1</sup> Cf. WWW.Softea.com.

<sup>2</sup> E.F. Morison: *St. Basil and Rule*, Oxford University Press, 1912, p. 18.

وفي إحدى تنقيحات هذه المجموعة أُضيفت قوانين لمعاقبة الرهبان والراهبات الذين يكسرون القانون الرهباني. هذه المجموعة المُنقَّحة استعملها ثيودور العمودي فيما بعد<sup>١</sup>.

تُعتبر قوانينه المطولة هي الرئيسية، وقد ضُمَّت الجوانب التالية:

- أ. أسئلة تتمحور حول الأمور الروحية.
- ب. أسئلة تتمحور حول الأمور التنظيمية.
- ج. أسئلة تتمحور حول الأمور السلوكية أو الأخلاقية.
- د. أسئلة تتمحور حول شئون الرهبان.

### المجموعة الثانية: القوانين القصيرة أو المختصرة *Regulae brevius tractatae*.

جاءت تحت ٣١٣ عنوانًا، تناقش التطبيق في الحياة اليومية لجماعة المتوحدين الذين يعيشون في شركة، مؤسسة على الكتاب المقدس في حياة الراهب.

غالبًا ما تُعالج هذه القوانين نفس المواضيع التي وردت في "القوانين المُطوّلة"، ولكن بعرض آخر. وهي عبارة عن تعليم ديني عن واجبات الرهبة والفضائل الخاصة بالرهبان، أو بالحري هي عبارة عن مجموعتين من "سؤال وجواب"، يختصّان بمبادئ الحياة الرهبانية وتطبيقاتها العملية في مختلف ظروف الحياة اليومية لديرٍ أو عدّة أديرة. تستند على مذكرات عن مناقشات خاصة بالإبارشية بين القديس باسيليوس وأعضاء أديرته، وقد تمّ كتابتها بسرعة. غالبًا ما وضعها خلال سنوات خلوته، لكنه قام بمراجعتها ونشرها بعد سيامته.

اندثر الأصل اليوناني، وبقيت الترجماتان السريانية واللاتينية.

يرى جريبومنت أن بعض الإجابات حملت اتجاهًا<sup>٢</sup> *Messalian* وحرًا. بعض الأسئلة تفترض الحديث عن حالة متقدّمة من النُسك للنظام الباسيلي للشركة (٢٤-٥٥).

<sup>١</sup> د. نصحي عبد الشهيد: مقال عن "النظام النُسكي للقديس باسيليوس الكبير".

<sup>٢</sup> اسم لطائفة هرطوقية قديمة من رهبان جائلين ازدهرت في ما بين النهرين مسوبوتاميا وسوريا نحو نهاية القرن الرابع (ابتداءً من ٣٦٠م) يعتقدون بوجود نفسين في الإنسان نفس دسالحة وأخرى شريرة. اهتموا بطرد النفس الشريرة وتعجيل عودة الروح الصالحة من خلال التأمل والصلاة التي آمنوا أنها السبيل الوحيد للخلاص. قالوا إن عمل المسيحي الرئيسي هو الصلاة، واحتقروا القانون الأخلاقي والطقوس الدينية والأسرار كما تبنا العديد من أفكار المانويين المستمدة من الفلسفة الشرقية (ترجمة الشماس بيشوي بشري فايز).



وُجِدَ مخطوط ثانٍ لهذه المجموعة من الأسئلة والإجابة، يبدو أنه يعود إلى دير القديس باسيليوس في قيصرية. وهي تضم 'Epitimia'، وهي تعاليم أو قانون يضم قواعد خاصة بتأديب الرهبان والراهبات المخالفين لنظام الرهبنة.

وُجِدَ مخطوط ثالثٍ اُتِّمَ بتحسين الأسلوب الأدبي، وقد قام القديس باسيليوس بنفسه بضمه مع الموراليا "الأخلاقيات"، وأرسلها إلى تلاميذه في بنتس، إذ لم يتمكن من زيارتهم شخصياً. هذا وإذ أرسلها لم يكن يهدف إلى نشرها، فكتبها كنسخة أولية *Rough copy* دون إعدادها للنشر.

انتشرت هذه القوانين في الشرق، كما تعرّف روفينوس *Ruffinus* على النظم الباسيلية، وزار الأديرة التي تتبّعها أثناء تجواله في الشرق، فترجم قوانين القديس باسيليوس المطوّلة والمختصرة إلى اللاتينية في كتاب واحد يضم فقط ٣٠٠ سؤالاً وإجابة. ويبدو أن الأخير تسلّمها من معلّمه أوغريس، الذي أخذها معه عند هروبه من مصر إلى القسطنطينية وفلسطين. نشرها يوستاسيوس من سبسطية بزمينيا في شكلها الأول، وهو صديق قديم للقديس باسيليوس قام بنشر الحياة الرهبانية في آسيا الصغرى. قام روفينوس بهذا العمل بناءً على رغبة رئيس أحد أديرة إيطاليا الجنوبية<sup>٢</sup>. وهذه الترجمة التي عرفها بندكت أب رهبان الغرب، واعتمدها لسن قوانينه<sup>٣</sup>.

تتضمن القوانين المختصرة للقديس باسيليوس ما يلي<sup>٤</sup>:

١. رسالة قانونية أولى موجهة إلى أمفيلوخوس، أسقف ايكونيا من أعمال فريجية، كتبت في عام ٣٧٤م، وقد أدرجت هذه الرسالة في مقدمة ستة عشر قانوناً (١-١٦).

٢. رسالة قانونية ثانية موجهة إلى أمفيلوخوس تتضمن هذه الرسالة ثلاثة عشر قانوناً (١٧-٥٠)، كتبت في عام ٣٧٥م.

٣. رسالة قانونية ثالثة موجهة إلى أمفيلوخوس. أرسل القديس باسيليوس الكبير رسالتين إلى أمفيلوخوس أسقف ليكونيا، وقد شكّلت هاتان الرسالتان القوانين الخمسين السابقة. بعد ذلك أرسل أمفيلوخوس رسالة إلى القديس باسيليوس تحمل أسئلة متنوعة محتاجة إلى إجابة، فجاءت إجابات في رسالة ثالثة يُشكّل مضمونها ٣٥ قانوناً، أولها القانون (٥١).

٤. له أيضاً مقالة أرسلها إلى أمفيلوخوس في اختلاف الأطعمة، وقد كتبت في عام ٣٧٦م.

<sup>1</sup>What is an Epitimia? An Instruction and a Help to Sinners, in the Sacrament of Confession. (<http://www.orthodox.net/articles/epitimia-sacrament-confession.html>).

<sup>2</sup> P.L. Ruffin: *Regulae S. Basilii*.

الأب إلياس كويتز المخلصي: القديس باسيليوس الكبير، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، ١٩٨٩، ص ٧٩-٨٠

<sup>4</sup> Cf. [WWW.Softea.com](http://WWW.Softea.com).

٥. رسالة إلى ديودورس أسقف طرسوس في من يتزوج بأختين، كُتبت في عام ٣٧٣م.

٦. رسالة قانونية موجهة إلى غريغوريوس القس لكي يفصل عن المرأة الساكنة معه.

٧. رسالة قانونية موجهة إلى أساقفة القرى (خوري إسكوبوس) في أنه لا يصير خدام بغير رأيه خلافًا للقوانين، كُتبت هذه الرسالة في السنة الأولى لتسلم القديس باسيليوس رعاية كرسي قيصرية كبادوكية في عام ٣٧٠م.

٨. رسالة قانونية موجهة إلى الأساقفة المتعاونين معه في أنهم لا يشرطون بالمال، كُتبت في السنة الأولى لرعاية القديس باسيليوس كنيسة قيصرية في عام ٣٧٠م.

٩. مقال "الروح القدس" وجهه إلى أمفيلوخوس، كتبه في عام ٣٧٥م.

يمكننا القول أن مصادر الأفكار الرهبانية الباسيلية هي الثلاث مقالات: عن دينونة الله، بخصوص الإيمان والأخلاقيات مع المجموعتين الخاصة بالأحكام. يمكننا أيضًا أن نضيف بعض المعلومات من كتابات أخرى لباسيليوس وهي جسد العالم، النظام النسكي. وأيضًا الرسائل الأصلية نُقدم لنا معلومات نافعة ومادة للمناقشة.

أصدر دير السيدة العذراء السريان الطبعة الأولى من كتاب "القديس باسيليوس الكبير: حياته، نسكياته، قوانينه الكنسية"، سنة ١٩٦٠م، وأعيد طبعه سنة ٢٠٠٣م، وقد اعتمد على المخطوطات التي بالدير وبيديري الأنبا بيشوي والبرموس. حاولت الاقتباس منه في أسلوب يُناسب القارئ المعاصر.

## غاية الرهبة

يمكننا التعرف على غاية الرهبة في قلب القديس باسيليوس مما كتبه إلى صديقه القديس غريغوريوس النزينزي:

[لكي نتبع المُخْلِص، حاملين الصليب كما أوصينا (مت ١٦ : ٢٤)، ينبغي أن نسعى لنصل إلى هدوء الفكر. فلكي نهرب من كل الهموم ينبغي أن ننفصل عن كل العالم، ليس انفصالاً جسدياً، بل أن نتفصل النفس عن التعلق بالجسد، وتعيش بلا مدينة ولا منزل، ولا أمتعة، ولا مجتمع، ولا مقتنيات، ولا وسائل المعيشة، ولا عمل، ولا انشغالات، ولا تعليم بشري، وذلك لكي يكون القلب مُستعداً لتقبل كل فاعلية وانطباع التعليم الإلهي.

إعداد القلب يكون بالابتعاد عن الأحاديث الباطلة. فيجب أن تنفض النفس عنها كل التأثيرات الرديئة لتخلو إلى ذاتها، وتصبح مثل لوح الشمع الذي يجب أن تُزال عنه الحروف القديمة لكي تُكتب عليه كتابة جديدة.

يبدأ اليوم عند الفجر بالصلاة وتمجيد خالقنا بالترانيم والتسابيح. وبعد شروق الشمس نبدأ أعمالنا اليدوية مصحوبة بالصلاة والترانيم. ونُخصِّص ساعات من النهار لدراسة الكتب المقدسة، لنحصل منها على التعليم من جهة السلوك، ونعرف حياة القديسين كصورٍ لحياة القداسة لنتمثل بأعمالهم الصالحة.

وبعد قراءة الكتب نُقدِّم صلوات، إذ تكون النفس أكثر استعداداً أو اشتياقاً لحُبِّ الله. وهذه الصلاة تطبع فكرة واضحة لله في النفس. ويثبت الله في النفس بواسطة التفكير في سُكْنَى الله داخلها. وهكذا نصير هيكلًا لله عندما يهرب المُصَلِّي من كل الأفكار والاهتمامات، ويخلو إلى الله، ويقضي وقته مُفَكِّراً في كل ما هو صالح<sup>١</sup>.

## غاية الرهبة

جاءت كتابات القديس باسيليوس تكشف بكل وضوح عن غاية الرهبة، ألا وهي:

١. خلاص النفس.
٢. الانشغال بالسماويات.
٣. الانسحاب من الارتباك بهموم العالم.

<sup>١</sup> د. نصحي عبد الشهيد: مقال عن "النظام النسكي للقديس باسيليوس الكبير".



٤. التجرد من أهواء نحو الشر.

٥. التجرد من الممتلكات الزمنية.

## ١. خلاص النفس

يحمل القديس باسيليوس في حياته الشخصية ورهبنته ورعايته فكرًا إنجيليًا واضحًا، فما يشغله هو خلاص نفسه وخلاص من يخدمهم، بل وكل إخوته في البشرية. في كل كتاباته يضع نصب عينيه الوصية الإلهية التي هي سند المومن في خلاصه ونموه الروحي.

❖ للحياة النُسكية هدف واحد، هو خلاص النفس. يلزم على كل الذين يمكنهم أن يشتركوا في هذا الهدف، أن يحفظوا الوصية الإلهية بخوفٍ عظيم. بالحقيقة ليس لوصايا الله نفسها هدف آخر سوى خلاص ذاك الذي يطيعها. لذلك يليق بالذين يتعهدون الحياة النُسكية أن يدخلوا طريق الفلسفة (الحكمة)، مُتجردين من كل الأمور العالية المادية، بنفس الطريقة كما يتجرّد الإنسان من كل ثيابه عندما يدخل حمامًا<sup>١</sup>.

❖ ليت الله يهبني الفرح بالالتقاء معكم (النُساك)، فإنني أشتاق أن أراكم، وأسمع عنكم، فإنني لست أجد راحة لنفسي أكثر من تَقَدُّمكم وكمالكم في وصايا المسيح<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## ٢. الانشغال بالسماويات

يليق بالمؤمن الحقيقي أن يحمل السيد المسيح السماوي في قلبه، فتصير السماء ليست ببعيدة عنه. يسير مع مسيحه السماوي القائم من الأموات طوال رحلة حياته، فنتحوّل حياته إلى حوارٍ مُمتعٍ مع السماوي. يشهد لحضور المسيح السماوي القائم من الأموات في عالمه، ويهبه روحه القدس أن يصير أيقونة السماوي، ويحوّل قلبه الترابي إلى سماءٍ جديدة.

وكما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [يجب أن تتوقوا إلى السماء، والأمور التي في السماء، بل حتى قبل السماء، فقد أمرنا أن نجعل الأرض سماءً، وأن نتصرف ونتحدث في كل الأمور كما لو كنا نتحدث هناك، بينما نحن على الأرض. هذا أيضًا يجب أن يكون غاية صلاتنا التي نُقدِّمها للرب. فلا شيء يعوق وصولنا إلى كمال القوى العلوية، لأننا نقطن على الأرض؛ إنما من المُمكن حتى ونحن نسكن هنا أن نفعل كل شيء كما لو كنا قاطنين سلفًا في الأعالي<sup>٣</sup>.]

<sup>1</sup> An Ascetical Discourse, (Frs. Of the Church, volume 9, p. 217).

<sup>2</sup> Letter 226 to the ascetics under him, 1.

<sup>3</sup> In Matt. hom., 19:7.

يقول أيضًا: [أريدكم أن تحفظوا أذهانكم في هذه الأمور على الدوام (كو ٣ : ١). فإن اهتمامنا بها يحررنا من الأرض، وينقلنا إلى السماء<sup>١</sup>.] كم بالأكثر يليق بالناسك أو الراهب أن يعد نفسه للسماء!؟

❖ أتوق إلى عطية واحدة، أصارع من أجل مجدٍ واحدٍ وحده، مجد ملكوت السماوات... كلما أشرق هذا الجمال الإلهي على أحد القديسين، يترك فيه حافزًا لرغبة لا تُحتمَل، فيصرخ مُضطربًا من جهة الحياة الحاضرة: "ويل لي، فقد طالت غربتي عليّ، متى أترأى أمام حضرة الله؟!!" (مز ١٢٠ : ٥ ؛ ٤٢ : ٢)<sup>٢</sup>.

❖ تتحني رؤوس (الحيوانات) نحو الأرض، ويتطلعون إلى بطونهم، ويسعون فقط من أجل خير بطونهم!

رأسك يا إنسان مُتَّجهة نحو السماء، وعيناك تنظران إلى أعلى! فحين تنحط بنفسك إلى أهواء الجسد، وتُستعبد لبطنك ولأعضائك السفلية، تتَمَثَّل بالحيوانات الدنيا غير العاقلة وتصير كواحدة منها.

إنكم مدعوون إلى اهتمامات أكثر شرفًا، فاطلبوا ما هو فوق حيث المسيح جالس. ارفعوا نفوسكم إلى فوق الأرضيات... ثَبَّتُوا سيرتكم في السماء، في وطنكم الحقيقي، التي هي أورشليم السماوية، فإن رفقاءكم في الوطن هم الأبقار المكتوبون في السماء<sup>٣</sup>.

❖ يوجد عشرات الألوف من الملائكة هناك، اجتماع القديسين، وكنيسة الأبقار المُسَجَّلة في السماء. "أعمال مجيدة قِبلت عنك يا مدينة الله" (مز ٨٧ : ٣ LXX). يعد الله هذه المدينة بإشعياء: "أجعلك فخراً (ملوكيتك) أبدياً، فرح دور فدور... لا خراب أو سحق في تخومك، بل تُسمَّين أسوارك خلاصاً" (إش ٦٠ : ١٥ ، ١٨). لذلك إذ ترفع عيني نفسك اطلب كما يليق الأمور العلوية، ما يخص مدينة الله. أي شيء يمكن أن يعتبره أحد ما مستحقاً للسعادة في هذه المدينة التي يُفرَّحها نهر الله، والتي الله هو صانعها وخالقها؟<sup>٤</sup>

❖ يُعرَّف البعض المدينة بأنها اجتماع لكائنات في جسم واحد منظم، يحكمه القانون... وهذا التعريف الذي أُطلق على المدينة يتناسب مع أورشليم العليا... المدينة السماوية، لأن هناك كنيسة أبقار المكتوبة أسماؤهم في السماويات (عب ١٢ : ٢٣)، لأنها منظمة أيضًا حيث انسياب

<sup>1</sup> *Baptismal Instructions*, 7:14.

<sup>2</sup> *Regulae fusius tractatae*, 2: 1.

<sup>3</sup> *Hexaemeron* 9: 2.

<sup>4</sup> *Homilies on the Psalms*, 18: 4.

حياة القديسين لا يتوقَّف، ويحكمها القانون السماوي، لا يمكن للطبيعة البشرية إدراك مدى استعداد هذه المدينة ونظامها لأنه "ما لم تَرَ عينٌ، ولم تسمع به أذنٌ، ولم يخطر على بال إنسان: ما أعدَّه الله للذين يُحبُّونه" (١ كو ٢ : ٩). أيضاً يوجد في هذه المدينة ربوات من الملائكة... وكنيسة أبكار مكتوبين في السماوات (عب ١٢ : ٣، ٢)... يذكر داود هذه المدينة فيقول: "قد قيل بك أمجاد يا مدينة الله (مز ٨٧ : ٣) ما وعد الله لهذه المدينة ينقله لنا إشعياء: "أجعلك فخراً أبدياً... فرح... دور فدور... لا يُسمع بعد... سحق في ثخومك، بل تُسمِّين أسوارك: خلاصاً (إش ٦٠ : ١٥، ١٨). فلنرفع عيون نفوسنا، ولنبحث عن الخيرات العليا اللائقة بمدينة الله.

القديس باسيليوس الكبير

### ٣. الانسحاب من الارتباك بهموم العالم

ما يشغل قلب القديس ليس انسحاب الراهب أو المؤمن من العالم جسدياً، إنما انسحاب قلبه من الارتباك بهموم العالم، وإن كان يرى في الراهب يحمل حباً للبشرية في المسيح يسوع، ورغبة في خدمة سيده مُحب البشر خلال محبوبيه، أي البشر. سنتعرَّض بمشيئة الله لنظرته في دور الراهب في خدمة البشرية.

يُشدِّد القديس باسيليوس الكبير<sup>١</sup> على أن الانسحاب الحقيقي من العالم، هو [أن نقطع الحبال التي تربطنا به وبهمومه ومشاكله].

الهدوء الذي نحصل عليه في الدير [هو بدء تطهير الذات، وعدم الاكتراث بأمر الدنيا بدء الاهتمام بأمر الله].

الانسحاب إلى الدير أو الوحدة، في نظره [هي دواء للأهواء والشهوات، لأنها تُهدِّثها وتُقرِّبنا لله، خاصة عندما تكون مقرونة بالصلوات والترانيم]. وهذه يجب أن ترافقنا دائماً، لأنها [تُثبِّت النفس في الفرح، وتخرجها من الأحزان]<sup>٢</sup>.

الصلاة المقبولة هي التي تطبع في النفس فكرة واضحة عن الله، وهذا هو معنى التسبيح لله، أي أن نجعل ذكرى الله قائمة فيها. وهكذا عندما لا تقطع الهموم الدنيوية هذه الذكرى، تصبح هيكلًا لله. فمن يحب الله، يبقى بالقرب منه، ويقتل في نفسه كل رغبة تقوده إلى الرذيلة، ويلتزم بحياة الفضيلة.

<sup>١</sup> الأب إبراهيم سروج: قراءة في رسائل القديس باسيليوس الكبير، مكتبة السائح، طرابلس لبنان، ص ٣

<sup>٢</sup> Epistle 2: 7, 8, 10.



#### ٤. التجرد من حركات الأهواء نحو الشر

يليق بالمسيحي، خاصة من يطلب الرهينة أن يركّز عينيه على القدوس، مشتاقًا أن يتخلّى عن كل شرّ أو شبه شرّ، ليكون أيقونة للقدوس.

❖ أكثر الأمور أهمية والاهتمام الأعظم بالنسبة للمسيحي أن يتجرّد من حركات الأهواء المختلفة والمتنوّعة نحو الشر، هذه التي تُدنّس النفس<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

#### ٥. التجرد من الممتلكات الزمنية

إذ ينطلق المسيحي إلى الدير، يليق به أن يتخلّى عن الزمنيات، مقتنيًا السيد المسيح يملأ قلبه وكل مشاعره. فالراهب كما يقول القديس باخوميوس لا يقول: هذا لي، وهذا لك.

❖ زهد الممتلكات العالمية هو إلزام لمن يطمح في بلوغ الحياة السامية العلوية، لأن الارتباك والعناية المفرطة بالاهتمامات المادية، يُولّد تشتيتًا للنفس. لذلك يليق بمجموعة الأشخاص الذين يحملون ذات الهدف للخلاص، أن يتبنّوا الحياة المشتركة. يلزم أن يسودهم هذا المبدأ فوق كل شيء، أن يكون لهم القلب الواحد والإرادة الواحدة والرغبة الواحدة، وأن تكون الجماعة كلها كما يأمر الرسول جسدًا واحدًا يحوي أعضاء متنوّعة (١ كو ١٢: ١٢). هذا لن يمكن أن يتحقّق بأية وسيلة سوى بتأكيد هذا القانون ألا يكون لأحدٍ استخدام خاص منفرد، لا ثوب ولا إناء ولا شيء مما يُستخدم في الحياة الجماعية، حتى أن كل شيءٍ من هذه الأمور يُعيّن للمحتاج وليس لمالك مُعيّن<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>1</sup> An Ascetical Discourse, (Frs. Of the Church, volume 9, p. 217).

<sup>2</sup> An Ascetical Discourse, (Frs. Of the Church, volume 9, p. 217).

## الرهبة والأساس الإنجيلي

### حفظ الوصايا الإنجيلية

يطالب القديس باسيليوس كل مؤمن بالكمال الإنجيلي ليكون مثلاً يُحتذى به. هذا يتحقق بحفظ الوصايا، فالتعدّي على إحداها يعني التعدّي على الوصايا كلها، ويستوجب الموت الأبدي. لكي نسلك درب القداسة، لا يكفي أن نبتعد عن الرذائل، بل نلتزم بالمحبة في عبادتنا وفي معاملتنا مع الناس. هذه الأفعال جميعها تأخذ قاعدتها من الكتاب المقدس الذي يروي لنا سير القديسين في العهدين، ويدعونا للاقتداء بهم.

فمن يوسف نتعلم العفة، ومن أيوب الصبر. وكما يجب على الرسّام أن ينظر مراراً إلى نموذجهِ ويحدق به، كذلك علينا نحن أن نثبت النظر في قديسينا.

غاية حفظ الوصايا الإنجيلية أن نتمم إرادة الله لا إرادتنا البشرية، وأن نصير أيقونة السيد المسيح، ونتهياً للغرس الأبدي. تشغل الوصية الإلهية قلب القديس باسيليوس في كل تعليمه وقوانينه لذلك أود أن أخصّص باباً عن "الوصية الإلهية عند القديس باسيليوس" فيما بعد إن شاء الرب.

❖ إن كنت تسمح لأية رذيلة كنت تمارسها سابقاً أن تبقى في داخلك، تصير الفضائل التي وُضعت فيك ملوثة، فنلقَى مثل إناء غير صالح للاستعمال<sup>1</sup>.

❖ خُلق الإنسان على صورة الله ومثاله، لكن الخطية أفسدت جمال الصورة بسحب النفس إلى أسفل بالشهوات العاطفية.

الله الذي خلق الإنسان هو الحياة الحقيقية. لهذا عندما فقد الإنسان شبهه بالله، فقد شركته في الحياة الأبدية، فصل نفسه عن الله، وتغرّب عنه، وصار مستحيلاً عليه أن ينعم بطوباوية الحياة الإلهية. إذن لنعد إلى النعمة (التي كانت لنا) في البداية، والتي تحولنا عنها بالخطية.

لنزيّن أنفسنا بجمال صورة الله، إذ خُلقنا على شبه خالقنا بتسكين أهوائنا.

ذاك الذي يطبع في داخله قدر ما يستطيع صورة هدوء الطبيعة الإلهية يبلغ التشبه بالله. إذ يصير على شبه الله في الأمور المذكورة أنفاً، يكتسب تمثلاً كاملاً للحياة الإلهية، ويقطن دوماً في طوباوية لا تنقطع.

<sup>1</sup> On Renunciation of the World, (Frs. Of he Church, volume 9, p. 19).

فإن كنا بالتغلب على أهوائنا نستعيد صورة الله، وإن كان التشبه بالله يمنحنا حياة أبدية، فلنكرس أنفسنا لهذا السعي ونفضله على كل شيء، فلا تعود نفوسنا تُستعبد لأية رذيلة، بل يبقى فهمنا ثابتًا غير منهزمٍ بسبب هجمات التجارب، وذلك بغية أن نصير شركاء في الغبطة الإلهية<sup>١</sup>.

- ❖ يلزمنا حفظ كل شيء تسلّمناه من الرب خلال الإنجيل والرسل دون استثناء<sup>٢</sup>.
- ❖ يليق أن نُنفذ وصايا الله كما يُوجّهها الرب، لأن من كان معيّنًا في سلوكه عند تنفيذها يُحسب شريكًا في نظر الله، حتى وإن بدا أنه ممتثلًا بالوصية<sup>٣</sup>.
- ❖ يلزمنا ألا نُنفذ وصية الله من أجل إرضاء الناس، ولا لأي دافع آخر أرضي، وإنما يكون هدفنا مسرة الله الصالحة ومجده في كل شيء (١ تس ٢ : ٤-٦)<sup>٤</sup>.
- ❖ يلزم تنفيذ وصايا الرب بعقلٍ واعٍ ورغبةٍ صالحةٍ أمام الله والناس، فمن لا يفعل هذا يُدان (مت ٢٣ : ٢٥-٢٧)<sup>٥</sup>.
- ❖ يليق بنا تنفيذ وصايا الرب بفهمٍ لا ينقطع، فننقذ على الدوام نحو أعمالٍ أعظم... "طوبى للجياع والعطاش إلى البرّ، لأنهم يُشبعون" (مت ٥ : ٦)<sup>٦</sup>.
- ❖ يجب إتمام وصايا الله قدر ما يستطيع من ممارستها بغية تمجيد الله واستتارة كل البشر... "أنتم نور العالم، لا يمكن أن تُخفى مدينة موضوعة على جبلٍ، ولا يُوقدون سراجًا ويضعونه تحت المكيال، بل على المنارة فيضيء لجميع الذين في البيت. فليضيء نوركم هكذا قدام الناس، لكي يروا أعمالكم الحسنة، ويمجدوا أباكم الذي في السماوات" (مت ٥ : ١٤-١٦)<sup>٧</sup>.
- ❖ كل اعتراض، حتى وإن صدر بروح تقوي وعن ودٍ، يجعل الشخص متغزّبًا عن الرب، إذ يلزم القبول التام لكل كلمة تصدر من الرب (يو ١٣ : ٥-٨)<sup>٨</sup>.
- ❖ لا يجوز لنا أن نوافق على تقاليد بشرية تتعارض مع وصية الله (مر ٧ : ٥-٨)<sup>٩</sup>.

<sup>1</sup> *An Ascetical Discourse, (Frs. Of the Church, volume 9, p. 207).*

<sup>2</sup> *Morals Rule 12:3.*

<sup>3</sup> *Morals Rule 18:1.*

<sup>4</sup> *Morals Rule 18:2.*

<sup>5</sup> *Morals Rule 18:3.*

<sup>6</sup> *Morals Rule 18:5.*

<sup>7</sup> *Morals Rule 18:6.*

<sup>8</sup> *Morals Rule 12:1.*

<sup>9</sup> *Morals Rule 12:2.*



❖ من يعمل إرادة الله يلزمه ألا يُعاق من أجل اعتبارٍ بشريٍّ، إنما يثبت في قراره... "بينما نحن مقيمون أيامًا كثيرة، انحدر من اليهودية نبيًّا اسمه أغابوس. فجاء إلينا، وأخذ منطقة بولس، وربط يديَّ نفسه ورجليه وقال: هذا يقوله الروح القدس: الرَّجُل الذي له هذه المنطقة، هكذا سيربطه اليهود في أورشليم ويُسلَّمونه إلى أيدي الأمم. فلَمَّا سمعنا هذا طلبنا إليه نحن والذين من المكان أن لا يصعد إلى أورشليم. فأجاب بولس: ماذا تفعلون؟ تبكون وتكسرون قلبي، لأنني مُستعدُّ ليس أن أربط فقط، بل أن أموت أيضًا في أورشليم لأجل اسم الرب يسوع. ولمَّا لم يُقنع سكتنا قائلين: لتكن مشيئة الرب" (أع ٢١: ١٠-١٤)¹.

❖ يلزمنا ألا نجادل في أمورٍ سمح بها الكتاب المقدس (رو ١٤: ٢٢-٢٣)².

❖ يلزمنا ألا نَعتمد على عقلنا لدرجة رفضنا لكلمات الرب، بل يليق بنا أن نفتتح أن كلمات الرب تستحق التصديق أكثر من معرفتنا الكاملة³.

❖ ليته قدر المستطاع لا يقلق (الناسك) من جهة حفظ وصايا الرب، بل يترقّب المكافأة ويُسبِّح الله، مستمرًا في شوقه نحو التمتع بالحياة الأبدية، حافظًا على الدوام أمام عينيه كلمات داود، قائلًا: "جعلت الرب أمامي في كل حين، لأنه عن يميني، فلا أتزعزع" (مز ١٦: ٨)⁴.

القديس باسيليوس الكبير

### نقتدي بمسيحنا ونحملة فينا!

أعلن ربُّنا يسوع حُبَّه لنا وتواضعه من أجلنا، فإذا جاء ليحتل مكاننا ويهبنا ما له، أعلن أنه آدم الجديد الذي وهو واحد مع أبيه في ذات الجوهر، أطاع وتَمَّ إرادة الآب لا إرادته، مع أنه يحمل ذات الإرادة الإلهية، حتى إذ نتَّجِد به لا نُتَمَّ إرادتنا الذاتية، بل الإرادة الإلهية حتى في تنفيذ الوصية.

❖ سؤال: هل يسمح الشخص لنفسه أن يعمل أو يقول شيئًا حسبما يظن بمشاعره الذاتية أنه صالح، دون (الرجوع إلى) شهادة الأسفار المقدسة الموحى بها؟

الإجابة: من جانب، يقول ربُّنا يسوع المسيح عن الروح القدس: "لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به" (يو ١٦: ١٣).

ومن جانب آخر يقول عن نفسه: "لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئًا" (يو ٥: ١٩). مرة أخرى يقول: "لم أتكلَّم من نفسي، لكنَّ الآب الذي أرسلني هو أعطاني وصية: ماذا أقول

<sup>1</sup> *Morals Rule 19:1.*

<sup>2</sup> *Morals Rule 53:2.*

<sup>3</sup> *Morals, Rule, 8:3.*

<sup>4</sup> *A Discourse on Ascetical Discipline, (Frs. Of the Church. volume 9, p. 35).*

وبماذا أتكلّم. وأنا أعلم أن وصيته هي حياةٌ أبديةٌ. فما أتكلّم أنا به، فكما قال لي الأب هكذا أتكلّم" (يو ١٢ : ٤٩-٥٠).

مَنْ إذن يستطيع أن يبلغ به مثل هذا الانحدار من الجنون، أن يجسر ويظن في نفسه مثل هذا الفكر، بينما هو في حاجة بالحري إلى الروح القدس الصالح أن يهديه في الرحلة (مز ١٤٣ : ١٠)، ويُوَجِّهه إلى طريق الحق (يو ١٦ : ١٣) في الفكر والكلام والعمل. فإن من ليس له شمس البرّ (مي ٤ : ١٠)، أي ليس له ربنا يسوع الذي ينيرنا بوصاياه التي هي أشعته، فهو أعمى ويسكن في الظلمة (يو ١٢ : ٣٥). لقد قيل عن وصايا الرب إنها بهية تُنير العينين (مز ١٩ : ٨)<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير



<sup>1</sup> *Regulae brevius tractatae, 1:1-6.*

## الرهبنة والحياة الكنسية

### أسقف عظيم وقائد حركة رهبانية

اتَّسم أغلب قادة الحركات الرهبانية في مصر مع ما لهم من فكرٍ كنسيٍّ حيٍّ، وغيره مُتَّقدة على بنیان ملكوت اللّٰه خلال كنيسة المسيح، أنهم لم يكونوا في درجات كنسية كهنوتية، لم يكن الأنبا أنطونيوس والأنبا بولا والقديس مقاريوس والقديس باخوميوس وأمثالهم كهنة، وكان الرهبان يُدعون "إخوة"، وإن سُمِح لقلّة قليلة جدًا بالسيامة الكهنوتية في ظل نظام الجماعات، فمن أجل خدمة الليتورجيا داخل أسوار الدير. وغالبًا ما كان المشتركون في هذه الخدمة من الرهبان وطالبي الرهبنة، وغالبًا لم يقوموا بأعمالٍ رعوية للإبارشيات القريبة منهم.

أمّا القديس باخوميوس، فكان يرفض أن يُمارس الكهنة المُلتحقون بالرهبنة أي عملٍ كهنوتي حتى في داخل الدير، بل يستدعي كهنة من خارج الدير للقيام بخدمات الليتورجيات. وعندما أراد البابا أثناسيوس سيامته كاهنًا، هرب ولم يلتقِ بالبابا إلا بعد تأكيد البابا أنه لن يرسمه.

هذا لا يعني تجاهل القادة لاحتياجات الكنيسة، فعندما علم الأنبا أنطونيوس بالخطر الأريوسي، نزل إلى الإسكندرية لتعضيد البابا أثناسيوس. وكان القديس باخوميوس يفتح أديرتة للشعب لسد احتياجاتهم الروحية والمادية.

لقد وُجِدَ أساقفة تركوا إبارشياتهم ومارسوا حياة التوحّد، مثل القديس مار إسحق السرياني. ووُجِدَ أساقفة لم يتخلّوا عن حياة الوحدة مثل القديس أمونيوس أسقف إسنا، الذي كان يُمارس حياة الوحدة في دير الأنبا إسحق على بعد خمس كيلومترات من المدينة أكثر أيام الأسبوع، وينزل لخدمة شعبه لمدة يومين أو ثلاثة أيام أسبوعيًا.

أمّا القديس باسيليوس، فمع التهاب قلبه الرعوي الناري كرئيس أساقفة، كان قائدًا لحركة رهبانية قوية فعّالة في حياة الكنيسة. قيل عنه:

إياسيليوس أول نموذج لإنسانٍ كان في نفس الوقت راهبًا عظيمًا وأسقفًا عظيمًا.

هذه المصالحة تحققت أولاً في شخصه، وبعد ذلك خلاله تحققت في الكنيسة على مستوى

مُتَّسع.

<sup>١</sup> أو بالأحرى هذا التكامل.



في قوانينه يرى... أنه من حق الأسقف أن تُطلب مشورته في شئون الدير، وفي قدرته كأسقف أن يُمارس الرئاسة على الأديرة في صورة مُتَّسعة.

لقد وضع قائمة بالخدمات التي تُقدِّمها الرهبنة لمساندة الكنيسة، إذ كانت الكنيسة بالحقيقة تقوم بخدمة الدولة، وكانت الرهبنة تُعين الدولة عوض أن ينظر إليها غالبًا كعدو لها. لقد أنشأ القديس باسيليوس جماعات شركة في المدن عوض قيامها في الصحراء<sup>1</sup>.

## الرهبنة الباسيلية والكنيسة

من الملاحظ في كل الحركات الرهبانية حتى بالنسبة لرهبنة التوحيد، بل والسياحة، كلما التهبت الرهبنة بروح الحب الناري، عكست على الكنيسة بهاءً روحيًا ونموًا وبركة وسط الشعب. فالرهبنة الروحية الحيَّة خلال تقديسها وصلواتها وكل عبادتها تهب قوة روحية لأعضاء الكنيسة كهنة وشعبًا! كانت الكنيسة في كبادوكية تبذل كل الجهد لخدمة الدولة، خاصة في فترات المجاعات والأزمات. هذا الدور قامت به الأديرة بكونها جزءًا لا يتجزأ من الكنيسة.

قامت الأديرة الباسيلية *Basilian monasteries* بخدمة فعَّالة في تعليم الأطفال من الجنسين. ربما كان هدفها الأول، إعدادهم للانضمام إلى الحياة الرهبانية فيما بعد، دون أي ضغط عليهم. من جانب آخر كان غاية القائمين بالعمل أن يتهيا هؤلاء الأطفال للقيام بأعمال أو وظائف لائقة<sup>2</sup>.

## الأديرة الباخومية والأديرة الباسيلية وخدمة الكنيسة

قدّم لنا وليم كلارك *William Kemp Lowther Clarke* في دراسته للرهبنة مقارنة بين دور النظام الباخومي والنظام الباسيلي في خدمة الكنيسة مظهرًا الآتي<sup>3</sup>:

١. قام القديس باسيليوس في عام ٣٥٨م بزيارة بعض أديرة مصر، وقد تأثر كثيرًا بنظام الشركة الباخومي أكثر من بقية الأنظمة.

٢. مع بذل كلا النظامين كل مجهودٍ ممكنٍ لممارسة حياة الشركة بفكرٍ كنسيٍّ وخدمة الكنيسة، غير أن نشأة كل من القديسين تختلف عن بعضهما البعض. فقد جاء القديس باخوميوس من خلفية أسرة وثنية وكان رجل جيش، أمّا القديس باسيليوس، فكما رأينا في دراسة سيرته أنه نشأ في أسرة تقيّة مسيحية، وتأثر كثيرًا خاصة بأخته ماكرينا. لذا قام النظام الباخومي على نظام شبّه

<sup>1</sup> W. K. Lowther Clarke: *St. Basil the Great*.1913, p.120.

<sup>2</sup> W. K. Lowther Clarke: *St. Basil the Great*.1913, p.121.

<sup>3</sup> W. K. Lowther Clarke: *St. Basil the Great*.1913, p.122-126.

عسكري لكن بفكرٍ رُوحِيٍّ حازِمٍ، أما النظام الباسيلي فحمل روح الأسرة الواحدة. ربما اهتم الأول بهيكل نظام الشركة بكل دقةٍ، خاصة وجود مجموعات متميزة حسب اللغة، أو حسب المهنة التي يمارسونها الخ.، أما النظام الثاني فاهتم بحياة الشركة.

٣. كان القادة في النظام الباخومي إلى حدٍّ كبيرٍ لهم سلطانٌ شَبُه مُطلق (مثل قادة عسكريين). أما في النظام الباسيلي، فكان سلطانهم محدودًا إلى حدٍّ كبيرٍ، وكان للجماعة دورها حتى في تقييم عمل القادة، وإن كان بتدبيرٍ ونظامٍ لائقٍ، وليس بنوعٍ من الفوضى.

٤. يرى البعض أن الدير في النظام الباسيلي كان يُمثِّل جزءًا لا يتجزأ من الكنيسة أكثر منه في النظام الباخومي.

٥. اهتم النظام الباخومي بالنظام والدقة، وإن كان بفكرٍ إنجيلي كنسي، أما النظام الباسيلي فكثيرًا ما تحدث بوضوح عن الالتزام بالوصية الإلهية أكثر مما ورد في القوانين الباخومية.

٦. في ظل النظام الباخومي، كان العمل بالنسبة للراهب أمرًا إلزاميًا، الأمر الذي لا يتطلبه نظام التوحد أو الجماعات. أمَّا بالنسبة للنظام الباسيلي فالإلزامي مثل النظام الباخومي، غير أن الباسيلي فتح مجالات جديدة للعمل، مثل إقامة مستشفيات والخدمة فيها، وتعليم الأطفال من الجنسين. هذه الأعمال لم تعرفها الرهبنة المصرية، ولم يكن ممكنًا أن تقبلها بنفس الدرجة عند القديس باسيليوس.

هذا ما دفع وليم كلارك أن يقول إن باسيليوس مَدِين لباخوميوس بِدِينٍ عظيم، غير أن باسيليوس ساهم بنصيبٍ كبيرٍ وحيويٍّ في تطوير الرهبنة، وقد تلقفت أوروبا ذلك وتفاعلت مع هذا التطور<sup>١</sup>.

<sup>١</sup> W. K. Lowther Clarke: St. Basil the Great. 1913, p. 124.

## الباب الثاني

### الالتحاق بالأديرة

- ١ . الانسحاب من العالم.
- ٢ . التجرد والزهد.
- ٣ . الانخراط في السلك الرهباني.



## الانسحاب من العالم

في صلاة السيد المسيح الوداعية. يُخاطب الآب، قائلاً: "لست أسأل أن تأخذهم من العالم، بل أن تحفظهم من الشرير. ليسوا من العالم، كما أنني أنا لست من العالم" (يو ١٧: ١٥-١٦).

لقد خلق الله العالم من أجل الإنسان، لا ليتعلق بالعالم ويُستعبد له، إنما ليستخدمه في لياقةٍ وبحكمةٍ وتعقلٍ، مُقدِّماً ذبيحة الشكر للخالق. لكن للأسف أساء الإنسان استخدام العالم، فعوض أن يملك العالم، صار العالم يملكه ويسيطر عليه. لهذا يطلب الرب من الإنسان الانسحاب القلبي والروحي من العالم، غير أنه بسبب ضعفنا، يطلب منا الانسحاب الجسدي من العالم إن أمكن، خاصة من الالتصاق بالأشْرار، حتى لا نُشاركهم فسادهم، فتتأذى نفوسنا، والهروب من الأماكن المُعثرّة.

جاءت أحاديث القديس باسيليوس وقوانينه تكشف نظرتَه عن الانسحاب من العالم.

ففي القوانين المُطوّلة (رقم ٦) يُحدِّثنا القديس باسيليوس عن الانسحاب من العالم واعتزاله بالمفهوم الروحي المُتَّسع.

هذا القانون خاص براغبى التوحّد، إلا أن حديثه يمُسُّ حياة الراهب في نظام الشركة أيضاً، بل وحياة كل مؤمنٍ حقيقيٍّ في العالم، حيث يحتاج إلى انسحاب قلبه وفكره وحواسه عن كل ارتباكٍ بالاهتمامات الزمنية وكل عثرةٍ، لكي تستتير أعماقه بالروح القدس، فيعرف حقيقة نفسه، ولا يُعاني من التغرُّب عن الله، والاستهانة بوصاياه.

يُطالبنا القديس في ندائه بالخروج قلبياً من العالم، مراعاة الآتي:

١. الهروب من الصداقات المُعثرّة واعتزالها.
٢. حفظ الحواس، خاصة النظر والسمع من العثرات.
٣. التخلُّص من العادات الخاطئة القديمة والمُزمنة، بحمل الصليب وتبعية المصلوب.
٤. الهروب من إدانة الآخرين!
٥. عدم الارتباك بالزمنيات التي تُفقد النفس بهجتها في الله.

### ١. اخرجوا من وسطهم واعتزلوا!

في الباب التالي، إذ نتحدّث عن حياة الراهب في ظل نظام الشركة، سنُشير بمشيئة الله إلى الصداقات الخاصة المُعثرّة. والآن في حديث القديس عن حياة التوحّد يشير إلى الهروب من الصداقات المُعثرّة.

❖ تُساهم السُّكْنَى في عزلةٍ بعيدًا في إزالة التشبث من النفس.

السُّكْنَى بين عديمي الضمير والمستهترين في حفظ الوصايا بتدقيقٍ هي أمر خطير. وذلك كما يظهر من كلمات سليمان: "لا تكن صديقًا لإنسانٍ غضوبٍ، ولا تسير مع رَجُلٍ ساخطٍ، لئلا تتعلَّم طريقه، وتأخذ شركًا لنفسك" (راجع أم ٢٢: ٢٤ - ٢٥ LXX). تتحدث أيضًا كلمات الرسول عن هذه النقطة: "اخرجوا من وسطهم واعتزلوا" (٢ كو ٦: ١٧)<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## ٢. حفظ الحواس من الفساد للتأمل في الإلهيات!

ليست العزلة عن العالم أمرًا سلبيًا، متى كان دافعها الانشغال بالتأمل في الله، لكي نتمتع بحواسٍ مقدسةٍ للرب. من الجانب السلبي العزلة هروب من كل ما يُفسد الحواس ويُذئسها، أي ينحرف بها عن رسالتها المقدسة.

يليق بمن يمارس حياة الوحدة أن يثابر على حياة الصلاة والتأمل في الإلهيات، حتى لا تتور ذكريات الماضي في ذهنه بما فيها من عادات غير لائقةٍ بالمؤمن.

❖ لكي لا نتقبل مثيرات لارتكاب الخطية خلال أعيننا وأذاننا، فلا نصير معتادين عليها لإراديتنا، وبالتالي لا تبقى في النفس آثار وأشكال ما نراه ونسمعه لثُحطُمها. ولكي نكون قادرين أن نصلي على الدوام، يلزمنا قبل هذا كله أن نبحت عن السُّكْنَى في مكانٍ منعزلٍ (عن العثرة). بهذا نستطيع أن نتغلب على عاداتنا القديمة التي عشناها كغرباءٍ عن وصايا المسيح. إنه ليس من وسيلة لاقتناء الغلبة على العادات (المُزمنة)، لأن العادة لمدة طويلة لها سلطانها على الطبيعة. غير أنه يمكننا التخلُّص من وِصَمات الخطية بالمواظبة على الصلاة والمثابرة على التأمل في إرادة الله<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## ٣. لنحمل الصليب ونتبع المصلوب

لا يعني الاعتزال الخمول والكسل والتراخي، إنما يليق بمن كان في خلوة كجنديٍّ صالحٍ ليسوع المصلوب، أن يدخل في معركة مستمرة ضد إبليس. أما سرّ الغلبة، فهو قبول الصَّلب مع رب المجد يسوع، بإماتة أعضائه عن الخطية، وتمتُّعه بقوة القيامة وبهجتها، وصَّلب إرادته الذاتية لا ليعيش بلا إرادة، إنما يتمتُّع بإرادة المسيح عاملة فيه، فيحيا في وحدته مع المسيح القائم من الأموات، كما في السماء عينها.

<sup>١</sup> *Regulae fusius tractatae*, 6.

<sup>٢</sup> *Regulae fusius tractatae*, 6.

❖ يستحيل علينا أن نقتني البراعة في التأمل والصلاة بينما كثيرًا ما يسحب تشتيت الفكر النفس، ويدخل بها إلى قلاقل بخصوص شئون هذه الحياة. هل يمكن لإنسانٍ مُنغمِسٍ في هذه الارتباكات أن يتم الوصية: "إن أراد أحد أن يأتي ورائي، فليُنكر نفسه" (لو ٩: ٢٣)؟ يلزمنا أن نُنكر نفوسنا، ونحمل صليب المسيح ونتبعه.

الآن، يتضمن إنكار النفس النسيان التام للماضي، وخضوع إرادته (للَّه)، هذا الخضوع يبدو صعبًا للغاية، ولكن ليس مستحيلًا، وذلك لأن الإنسان كثيرًا ما يعيش مُشوّشًا بالعادات التي في العالم. بالإضافة إلى ذلك، فإن العلاقات الاجتماعية تتطلب أحيانًا حياة تُمثّل عائقًا على الشخص أن يحمل الصليب ويتبع المسيح.

يليق بنا الاستعداد للموت من أجل المسيح، وإماتة الأعضاء التي على الأرض، والاستعداد لقبول كل خطرٍ من أجل اسمه. واعتزال هذه الحياة هو حمل للصليب، فإننا نتطلع إلى العوائق النابعة من عادات هذه الحياة في المجتمع أنها عوائق كبرى<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

#### ٤. لنحذر إداة الآخرين!

الخلوة أو العزلة، إما أن تكون مُقدّسة ترفع القلب كما إلى السماء، أو مُعيرة حيث يعاني الشخص من الفراغ الداخلي، فعوض التمتع بفرح الروح، ينشغل بخطايا الآخرين وبيدنيهم. قد يظن أنه بخلوته هذه قد ارتفع إلى العلو، فيستخف بالنفوس الساقطة.

المرتل في محبته للجميع عوض أن يدين الخطاة الأشرار يطلب من أجلهم، كما من أجل الصديقين الأبرار، ويطلب من أجل نفسه. الآن يؤكد أن الله وحده هو الفاحص للقلوب والكلى، والذي في يده إنساننا الداخلي كما أعضاء أجسادنا الظاهرة، هو وحده قادر أن يُصلح كياننا كله.

❖ بالإضافة إلى كل العوائق الأخرى وهي كثيرة، تتطلع النفس إلى جمهرة الجانحين، بهذا أول كل شيء لا تجد وقتًا لتهم بخطاياها، وتندم على أخطائها. بالعكس إذ تقارن خطاياها بخطايا من هم أشد منها، تأخذ صورة البرّ الخادعة<sup>٢</sup>.

❖ "فاحص القلوب والكلى الله" (مز ٧: ٩). حيث أن الكتاب المقدس في مواضع كثيرة ينظر إلى القلب بكونه العضو الرئيسي للجسم، وإلى الكليتين بأنهما العضوان اللذان لهما فاعليتهما على النفس. هنا أيضًا جاء هذا التعبير ليعني: "يا الله، احكم لي بخصوص التعاليم الخاصة بالتقوى التي أتمسك بها، وتحركات انفعالاتي، فإنك أنت هو الذي يفحص القلوب والكلى".

<sup>١</sup> *Regulae fusius tractatae*, 6.

<sup>٢</sup> *Regulae fusius tractatae*, 6.



الفحص هو تحقيق بكل سبل الآلام التي تقع على الممتحن بواسطة القضاة، حتى يضطر الأشخاص الذين يخفون بعض الأمور في داخلهم أن يظهروها تحت ضغط التعذيب. هكذا (مع الفارق) تُفحص أفكارنا وأعمالنا بتحقيقات الديان الذي لا يُخدع.

ليته لا يستعجل أحد الديان الحقيقي، ولا يدين قبل الوقت "حتى يأتي الرب، الذي سينير خفايا الظلام، ويُظهر آراء القلوب" (١ كو ٤ : ٥).

يُظهر الله عدله في فحص القلوب والكلى. لقد فُحص قلب إبراهيم ليظهر إن كان يحب الله بكل نفسه وكل قلبه، وذلك عندما أمر أن يُقدّم إسحق مُحرقاً، فيُظهر أنه لا يحب ابنه أكثر من الله. وفُحص يعقوب الذي كان موضع مكائد أخيه، حتى يشرق حبه الأخوي غير مخفي وسط خطايا عيسو الخطيرة.

لقد فُحص قلبا هذين، أما كليتا يوسف فُحصتا عندما سقطت سيدهته المستهتره بجنون في محبته، ففضل كرامة الطهارة عن اللذة المُخرِية. علاوة على هذا، فُحص (يوسف) بهذا الهدف، أن تظهر شهادة حكم الله مُتَّفقة مع الكرامة التي وهبت له، إذ أشرقت طهارته ببهاءٍ عظيم هكذا في تجاربه الخطيرة<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## ٥. ارتباكات الحياة تُفقد النفس بهجتها في الله

غاية الخلوة أو العزلة القلبية عن محبة العالم، أن يدخل المؤمن إلى أعماق كلمة الله، فيلتقي بالله الكلمة، ويستعذب الشركة معه. يدرك أن الوصايا الإلهية هي الحلي التي تُزيّن نفسه، وتُشكّل أعماقه بالروح القدس ليصير أيقونة العريس السماوي. في اختصار تدخل الخلوة بالمؤمن إلى عربون جو السماء المجيد.

❖ خلال الارتباكات والاهتمامات التي تُولّدها طبيعياً الحياة في المجتمع، تُسحب النفس بعيداً عن الاستحقاق العظيم لتذكّر الله، فتدفع ثمن ذلك بالحرمان من الفرح والبهجة في العالم، والاستمتاع بمباهج الرب، وتذوق عذوبة كلماته فتقول: "تذكرت الرب وابتهجت"، وأيضاً: "كلماتك حلوة في حلقي، أفضل من العسل والشهد في فمي" (مز ١١٩ : ١٠٣).

أما ما هو سيئ أن تصير النفس مُعتادة أن تتجاهل أحكام الله وتتساها تماماً، فيحل بها مكروه مميت<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>1</sup> Homily 11:6 on Psalm 7.

<sup>2</sup> Regulae fusius tractatae, 6.

## التجرّد والزهد

ما كان يشغل قلب القديس باسيليوس في كل حياته أن تتمتع البشرية بالحياة الملائكية المطوّبة. وقد انتهى أن تتجرّد البشرية من التعلّق بالزمنيات حتى لا تُعاق رحلتها نحو السماء. لقد سجّل لنا الكثير عن حياة التجرّد والزهد، وأبرز مفهومه في التجرد، ودوافع المؤمن، خاصة الراهب، نحو حياة التجرّد الصادقة. لقد أوضح أن التجرّد ليس حرماناً من الأمور الزمنية المادية، إنما في جوهره هو شبع حقيقي باللّه والتصاق به، فتزهد النفس كل ما هو زمني وأرضي.

### ١. التجرّد والتدرّب على حرفة واحدة سماوية!

في حديثه عن العمل في الحياة الرهبانية حذّر القديس باسيليوس من الانشغال بأكثر من حرفة أو مهنة واحدة، لئلا لا يُتقن شيئاً. يليق بالشخص ألا ينتقل من مهنة إلى أخرى، إلا بعد أن يُتقن الأولى تمامًا.

وفي حديثه عن "عدم الانشغال بالأرضيات"، يرى أن المؤمن الحقيقي مهنته الأولى هي التدرّب على الحياة الإنجيلية، أي الانطلاق نحو السماويات. فمن ينشغل باهتمامات هذا العالم يكون كمن يمارس مهنتين في وقت واحد، فلا يُجيد إحداهما.

❖ التفرغ لخدمة واحدة يؤدي إلى إتقانها. هذا ينبغي أن نعلمه ونعمل به، لئلا نكون غير حافظين لشيء من الوصايا، ولا لمحبة اللّه ومحبة القريب، وتتشتت أفكارنا في الأمور الأرضية، ونهتم هنا وهناك.

لا يقدر أحد أن يتعلّم أية حرفة إذا دام منتقلاً من صناعة إلى صناعة ومُشتغلاً بأمرٍ أخرى. ولا يمكن لإنسان أن يتقن صناعته إلا بعد أن يعرف الأمور التي تكمل بها، لأن أعمال الإنسان تابعة لتصوره...

كيف نقدر أن نقيم النسك والجهاد الذي يرضي اللّه كأنجيل المسيح، إذا كنا نتعلم اهتمامات هذا العالم، ولا نبتعد عن الانشغال به؟!<sup>١</sup>

القديس باسيليوس الكبير

<sup>١</sup> راجع دير السريان: القديس باسيليوس، ٢٠٠٣، ص ١٠٤-١٠٥.

## ٢. التجرد والحرية الداخلية!

خارج الإيمان الحقيقي يرتبط الإنسان بعبادات تُسيطر على إرادته ومشاعره وأحاسيسه، فيعيش كمدمنٍ قد فقد حريته. فالتجرد في حقيقته ليس حرمانًا من أمورٍ محبوبة لدى الإنسان أو مُتعلق بها، إنما هو استرداد للحرية التي وهبها الله للإنسان بكونه أيقونة الله.

❖ من يتبع الرب بالحق، يلزمه أن يتحرر من قيود هذه الحياة. هذا يتحقق بالتخلّي التام، وتجاهل طريقة الحياة القديمة<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## ٣. التجرد تَمَّع بخبرة الصلب والقيامة!

إذ يلتصق المؤمن بالمسيح المصلوب القائم من الأموات، يُصلب معه ليقوم معه. يحسب نفسه في حُكم الموت عن كل الزمنيات، لكنه موت مُبهج، لأنه شركة مع المسيح المصلوب واهب القيامة.

❖ يتحقق كمال الزهد عندما لا يعود الإنسان يحب حياته (الزمنية)، بل يضع في نفسه أمر الموت، فلا يعتد بذاته<sup>٢</sup>.

❖ تتحقق البداية بنبذ كل المتعلقات الخارجية مثل الممتلكات والشهرة الفارغة والكرامة الباطلة، والعلاقات الاجتماعية وارتباطات هذه الحياة، هذه الأمور غير النافعة وغير ضرورية<sup>٣</sup>.

❖ سؤال: كيف يُمكن لأحد أن يُخبر بموت الرب؟ (١ كو ١١ : ٢٦)

الإجابة: كما علّمنا الرب عندما قال: "إن أراد أحد أن يأتي ورائي، فليُنكر نفسه ويحمل صليبه" (مت ١٦ : ٢٤). وفي اعترافه صرّح الرسول: "الذي به قد صُلب العالم لي، وأنا للعالم" (غل ٦ : ١٤). هذا ما تعهدنا بموجبه أن نفعله عندما أخذنا صبغة المعمودية نفسها، كما للكثيرين، فيقول الرسول: "أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته" (رو ٦ : ٣). ويضيف لذلك، توضيح لما يجب تعميده لموت الرب: "إنساننا العتيق قد صُلب معه ليُبطل جسد الخطية، كي لا نعود نُستعبَد أيضًا للخطية" (رو ٦ : ٦).

<sup>1</sup> *Regulae fusius tractatae*, 8.

<sup>2</sup> *Regulae fusius tractatae*, 8: 1.

<sup>3</sup> *Regulae fusius tractatae*, 8: 1.



إذ نتطهر من كل ارتباطات، هذه الحياة نُعتبر نوي قيمة، كشهادة الرسول عندما قال: "لأنكم قد مُتُم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله" (كو ٣ : ٣)، وبالتالي نستطيع أن نتجرأ ونقول بكل ثقة: "رئيس هذا العالم يأتي وليس له في شيء" (يو ١٤ : ٣٠)¹.

القديس باسيليوس الكبير

#### ٤. التجرد وتصحيح المسار!

لم يخلق الله شيئاً شريراً في العالم، بل وهو الكلي الصلاح خليقته سالحة، إنما إرادتنا الشريرة هي التي تُسيء استخدام عطايا الله الصالحة التي خلقها لأجلنا. كأن التجرد ليس امتناعاً عن استخدام ما خلقه الله لأجلنا، إنما هو تصحيح لمفهوماً ونظرتنا للخليقة إن استخدمناها أو امتنعنا عن استخدامها، فنسلك بروح الحكمة والقداسة لبنيان نفوسنا وخدمة الجماعة.

❖ لم يخبرنا أن نبيع ما لنا لأنها أشياء شريرة بطبعها، وإلا ما كانت من صنع الله.

لم يأمرنا أن نلقيها عنّا كأمر رديئة، بل نوزعها.

لا يُدان أحد لأنه يملك شيئاً، وإنما لأنه يفسد ما يملكه.

بهذا، فإنه بحسب وصية الله تلقي عنّا ما لنا لغفران خطايانا والتمتع بالملكوت².

❖ سؤال: حيث أن الرب كلفنا أن نبيع كل ممتلكاتنا (لو ١٢ : ٣٣)، بأي معنى يلزمنا أن نفعل

هذا؟ هل لأن ممتلكاتنا التي ورثناها مؤذية أو لأن بسببها ترتبك النفس؟

الإجابة: أول شيء يُقال عن هذا، إنه ليس في الممتلكات شيء شرير في ذاته، إذ خلقها

الله. يُقال: "لأن كل خليقة الله جيدة، ولا يُرفض شيء" (١ تي ٤ : ٤).

ثانياً: لم تُعلمنا وصية الرب أن نلقي الممتلكات عنّا بكونها شرّاً، ونهرب منها، إنما أن

نديرها. وبالْحَقِيقَةُ إذا أُدين أحد، فليس لأن لديه مقتنيات، وإنما من أجل نظرتَه الخاطئة لها، أو

لأنه يُسيء استخدامها.

فإن من لا يشتبهها، ويُحسن استخدامها وإدارتها حسب الوصية، فهذا يفيدنا بطرق

كثيرة وضرورية للغاية.

الآن في تطهير خطايانا، كما هو مكتوب: "أعطوا ما عندكم صدقة، فهذا كل شيء يكون

نقيّاً لكم" (لو ١١ : ٤١). الآن لأجل ميراث ملكوت السماوات واقتناء كنز لا يفنى، حسب ما هو

مكتوب في موضع آخر: "لا تخف أيها القطيع الصغير، لأن أباكم قد سُرَّ أن يعطيكم الملكوت.

¹ *Regulae brevius tractatae*, 234.

² *Catena Aurea*.

بيعوا ما لكم وأعطوا صدقة. اعملوا لكم أكياسًا لا تفنى، وكنزًا لا ينفد في السماوات، حيث لا يقرب سارق، ولا يُبلى سوس" (لو ١٢ : ٣٢-٣٣).

القديس باسيليوس الكبير

## ٥. التجرد وتقديس الشهوات!

التجرد ليس حرمانًا من الزمنيات، وإنما هو تقديس مشاعرنا وأحاسيسنا، فلا تملك الشهوات الشريرة علينا، بل نخلعها، لنرتدي بزّ المسيح.

❖ كما أن الذين يدخلون الحمام يتعرون من كل لباسٍ عليهم، كذلك الذين يتقدمون إلى عيشة العبادة، يجب أن يتعروا من هولي هذا العالم أولاً؛ ثم يدخلوا إلى السيرة المملوءة فلسفة (حكمة). وينبغي لجميع المسيحيين أن يتعروا من جميع أهواء الشرور المختلفة التي تنجس بها النفس، ومن بعد هذا ينبغي للإنسان أن ينظر إلى السيرة العالية ويزهد في جميع مقتنياته<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## ٦. التجرد من الملكية الخاصة بالحب للجميع

❖ لا يمكن أن يُقام هذا الناموس (الشركة) في الإخوة المجتمعين، إلا بأن لا يدعى شيء من اللباس والأواني والآلات وبالجملة جميع أصناف الحاجات أنها خاصة بأحد الإخوة باسمه، أي أنها له وحده خاصة به، بل يكون جميع ما في المجمع برسم جميع من فيه، ولا يبقى شيء لصاحبه الذي أتى به إلى المجمع خاصًا به دون باقي الإخوة.

وكما أن الثوب القصير لا يصلح أن يلبسه الجسم الطويل والعكس بالعكس، بل الأفضل أن يلبس كل جسدٍ كمقداره حسب ما يوافق وينفعه، هكذا يجب أن نفعل في جميع الأمور التي للشركة كالأُسرة والمناطق والأحذية وغيرها، فيكون كل واحدٍ منها لمن يحتاجه بالحقيقة، لا لصاحبه الذي أتى به.

وكما أن المريض يستعمل الدواء (المناسب له)، ولا يأخذ ما هو هين وسهل، كذلك أيضًا في جميع الأمور يأخذ ما يوافق راحة جسده، إذ يحتاج إلى الراحة وإلى ما يستريح به، وليس ما هو سهل منها فقط، فإن قلوب الناس مختلفة<sup>٢</sup>.

<sup>١</sup> راجع دير السريان: القديس باسيليوس، ٢٠٠٣، ص ٨٥

<sup>٢</sup> راجع دير السريان: القديس باسيليوس، ٢٠٠٣، ص ٨٥-٨٦.

❖ سؤال: هل يكون لشخص ما شيء يخصه ملكًا له في الجماعة؟

الإجابة: هذا يخالف شهادة الرسل في سفر الأعمال بخصوص المؤمنين الأوائل، حيث كُتِب: "وكان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة، ولم يكن أحد يقول إن شيئًا من أمواله له، بل كان عندهم كل شيء مشتركًا" (أع ٤: ٣٢). لذلك إن قال أحد إن شيئًا ما له، فبلا شك يجعل نفسه غريبًا عن كنيسة الله، وعن محبة الرب الذي علّم بالكلمة وتَمَّ بالعمل أن يضع الإنسان حياته من أجل أصدقائه (يو ١٥: ١٣)، ولا يقول شيئًا عن مقتنيات خارجية.

الآن إن كان هو نفسه قد أعطى حياته لأصدقائه، فأى ادعاء لنا عن مقتنياتنا، التي هي خارج حياتنا تمامًا.

❖ سؤال: إن قال أحد: "إني لا آخذ شيئًا قط من الجماعة، ولا أعطي شيئًا، إنما أنا مقتنع بما لي"، ما هو تقديرنا لنظرته؟

الإجابة: إن كنا لا ندعم تعليم الرب القائل: "كما أحببتكم أنا، تحبّون أنتم أيضًا بعضكم بعضًا" (يو ١٣: ٣٤)، فلتؤيدوا الرسول القائل: "اعزلوا الخبيث من بينكم" (١ كو ٥: ١٣)، لنلا "خميرة صغيرة تخمّر العجين كله" (١ كو ٥: ٦).<sup>٢</sup>

القديس باسيليوس الكبير

## ٧. التجرد والبتولية

الله هو مؤسس الزواج، بخلقته حواء مُعينة لآدم ومساوية له. ومن جانب آخر بآر بارك الزواج، إذ أول معجزة صنعها رب المجد يسوع هي حضوره في عرس قانا الجليل، وتحويله الماء إلى خمر جيد أدهش رئيس المتكاف. غير أن الإنسان في قبوله حياة البتولية، ينسحب من الانشغال بمرضاة شريك الحياة ليهتم بما للرب، مُكْرَسًا كل قلبه بالحب لله، دون أن ينسحب فكره إلى متطلبات زمنية لحساب شريك الحياة. فالزواج مبارك، لكن له مطالبه والتزاماته التي قد تعوق البلوغ إلى الكمال.

تعرّض القديس باسيليوس في حديثه عن "عدم الانشغال بالأرضيات" إلى الزواج، موضحًا أن الذين يريدون أن يتفرّغوا لأعمال العبادة التي تقودهم إلى الكمال مُتَشَبِّهين بالله الكامل، هؤلاء تعوقهم مطالب الزواج والانشغال برضا شريك الحياة، مما يشغل أفكارهم.

<sup>1</sup> *Regulae brevius tractatae*, 85.

<sup>2</sup> *Regulae brevius tractatae*, 86.



❖ مع أن الله هو الذي أعطى الزيجة وباركها. لكن الرسول عرفنا أن الكائن فيما لله لا يستطيع أن يختلط بما للعالم، لأنه قال إن الذي لم يتزوج يهتم بما للرب كيف يرضي الرب، والمتزوج يهتم برضا زوجته فيتشتت فكره (١ كو ٧: ٣٢-٣٣)<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## ٨. التجرد والانسحاب من ارتباكات العالم

خلق الله العالم بكل جماله وإبداعه من أجل الإنسان، غير أن المؤمن، خاصة الراهب الحقيقي، ينسحب من العالم إلى خالقه، لينعم بمعرفة أسرار الإلهية، ويتمتع بروح الحق.

❖ شهد الرب على طهارة قلوب تلاميذه من دنس الانشغال بأمور هذا العالم قائلاً: "لأنكم لستم من العالم" (يو ١٥: ١٩). وبهذا المعنى أيضاً شهد أن العالم لا يستطيع أن يعرف الله، ولا يستطيع أن يقبل الروح القدس، لأنه قال: "أيها الأب البار، إن العالم لم يعرفك" (يو ١٧: ٢٥)، وقال: "روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله" (يو ١٤: ١٧)<sup>٢</sup>.

❖ سؤال: ما هي اهتمامات هذه الحياة (مت ١٣: ٢٢)؟

الإجابة: كل اهتمام الذهن ولو كان بأمور تبدو غير ممنوعة، إذ لا تؤدي إلى التقوى والفضيلة، تُحسب من اهتمامات هذه الحياة<sup>٣</sup>.

❖ سؤال: كيف يمكن في موضع يمنعنا الرب من حمل كيس في الطريق (لو ١٠: ٤)، وفي موضع آخر يقول: لكن الآن، من له كيس فليأخذه، ومزود كذلك. ومن ليس له فليبيع ثوبه ويشتر سيفاً" (لو ٢٢: ٣٦)؟

الإجابة: يوضح الرب نفسه هذا، حيث قال: "إنه ينبغي أن يتم في أيضاً هذا المكتوب: وأحصي مع أئمة" (لو ٢٢: ٣٧؛ إش ٥٣: ١٢). فإنه إذ تتحقق نبوة السيف، يقول لبطرس (يو ١٨: ١٠): "رد سيفك إلى مكانه، لأن كل الذين يأخذون السيف، بالسيف يهلكون" (مت ٢٦: ٥٢). هذا لكي يظهر أن القول: "من له كيس فليأخذه" ليس وصية، إنما نبوة عن الرب سبق فأعلنها وكان لا بد أن تتحقق، وهي أن الرسل ينسون العطايا وناموس الرب ويأخذون السيف.

<sup>١</sup> راجع دير السريان: القديس باسيليوس، ٢٠٠٣، ص ١٠٥

<sup>٢</sup> راجع دير السريان: القديس باسيليوس، ٢٠٠٣، ص ١٠٦

<sup>٣</sup> *Regulae brevius tractatae*, 88.

علاوة على هذا واضح أن الكتاب المقدس كثيرًا ما يستخدم صيغة الأمر بالنسبة للنبوات التي ستتحقق. وذلك كما في القول: ليكن بنوه أيتامًا" (مز ١٠٩ : ٩) و"ليقف شيطان (المُتهم) عن يمينه" (مز ١٠٩ : ٦)، وعبارات كثيرة مشابهة<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## ٩. التجرد من إرضاء الناس والالتصاق بالوصية الإلهية

في حفظ الوصية الإلهية يليق بالمؤمن ألا ينشغل بصورة التقوى الخارجية وإرضاء الناس، إنما أن تعمل الوصية الإلهية في أعماق قلبه، فتسحبه كما إلى السماء في زينة بهية، يلتهب بالكامل نحو محبة الله بلا عائق، وتعمل إرادة الله في إرادة المؤمن ليصير بالحق أيقونة المسيح العامل لحساب ملكوته الإلهي.

❖ يجب علينا أن نحفظ قلوبنا بكل نوع لئلا نفقد ذكر الله أو نتدنس بالخيالات، بل ليكن ذكر الله دائمًا في نفوسنا، كالرسم الذي لا ينفك ختمه أبدًا. بهذا نقدر أن نفتي المحبة لله بالكمال، ونحفظ وصاياه على الدوام. هكذا علمنا الرب، فأحيانًا يقول: "إن كنتم تُحبُّونني، فاحفظوا وصاياي" (يو ١٤ : ١٥). ومرة أخرى يقول: "إن حفظتم وصاياي، تثبتون في محبتي" (يو ١٥ : ١٠). ولم يكتب بالقول فقط في تعليمنا هذا، بل وأرانا ذاته مثالاً نفتي به. فمن أجل هذا، قال: "لأنني قد نزلت من السماء، ليس لأعمل مشيئتي، بل مشيئة الذي أرسلني" (يو ٦ : ٣٨). فعلمنا أن تكون مشيئتنا كمشيئته، وأن يكون عملنا مثل عمله، كمُعلمي صناعات هذا العالم<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## الزهد والتجرد في حياة القديس باسيليوس

نظام الفقر والتجرد عن العالم وترك الأهل عند القديس باسيليوس يفوق بدقته وتشدده نظام القديس باخوميوس. قال عنه أخوه القديس غريغوريوس أسقف نيصص:

لم يكن يملك إلا رداءً واحدًا وثوبًا واحدًا وخشبةً وبساطًا يُقرش على الأرض، وكان يأكل فقط الخبز والملح والأعشاب البرية، ويطفي ظمأه بالماء العذب النابع من الجبل.

هكذا ذلك الإنسان الذي تربى في الغنى والحبوحة، كان في هذه العزلة نحيل الجسم وشاحب الوجه بسبب الصوم، عائشًا دون امرأة ودون خيرات البتة، وأصبح دون لحم يُغطي جسمه، ودون دم يجري في عروقه<sup>٣</sup>.

<sup>١</sup> *Regulae brevius tractatae*, 251.

<sup>٢</sup> راجع دير السريان: القديس باسيليوس، ٢٠٠٣، ص ١٠٦-١٠٧.

<sup>٣</sup> الأب إلياس كويتر المخلصي: القديس باسيليوس الكبير، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، ١٩٨٩، ص ٢١

كما قال عنه إنه كان يجمع جسده ويستعبده كقول الرسول بولس، بل كان يُعامل جسده كما يعامل سيّد غضوب عبدًا هاربا، وهكذا أضنى جسمه من صرامته النُسكِيَّة. وفي نفس الوقت كان يحرص ألا ينحرف الراهب أو الناسك إلى أي اتجاه خاطئ. كما سقط بعض الغنوسيين الذين كانوا يتطلعون إلى المادة بوجهٍ عامٍ أنها نجسة وشريرة في ذاتها. لم يخلق الله شيئًا شريرا، إنما ينبع الشر في الإرادة الشريرة التي تسيء استخدام المادة، كما يحدث في ممارسة رذيلة النهم.

### كيف أمكن القديس باسيليوس ممارسة التجرد؟

لما كان التجرد يمسُّ أعمال الإنسان الداخلي، حيث تشبع النفس بعمل إلهها، الثالوث القدوس، فتستعذب الصلب مع المسيح ولأجله، فإن المؤمن يحتاج إلى نعمة الله تعمل فيه. وقد قدّم لنا القديس تدايب عملية مُعاشة تعين الإنسان على التجاوب مع نعمة الله، ذكرها في أثناء حديثه عن 'عدم الانشغال بالأرضيات'.

١. لنتذكّر أن الله ناظر إلينا!

٢. ليكن غرضنا إرضاء الله لا الناس!

٣. عدم الخلطة بالأشرار!

٤. تنقية النفس في الوحدة!

٥. شركة في حمل الصليب!

١. لنتذكّر أن الله ناظر إلينا!

أول تدريب يُقدّمه القديس باسيليوس لاقتناء التجرد من الانشغال بالزمنيات، هو أن نتذكّر على الدوام أن أبانا السماوي المُحب والقدير والحكيم يتطلّع إلينا، ويُعلن حضوره في وسطنا، ويؤكد رعايته لنا. تنزع هذه الحقيقة عنا القلق والارتباك باهتمامات العالم، ومن جانب آخر تهبنا النمو في محبة الله وطلب إرادته وكرامية الشر.

❖ فلنتذكّر صوت الذي قال: "أما أملأ أنا السماوات والأرض، يقول الرب؟" (إر ٢٣ : ٢٤). و"ألقي إله من قريب، يقول الرب، ولست إلهًا من بعيد" (إر ٢٣ : ٢٣)، "لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم" (مت ١٨ : ٢٠). فينبغي علينا أن نُتمم كل شيء حتى جميع أفكارنا، كأن الله يتطلّع إلينا، وكما هو مكتوب نبغض الظلم والافتراء والكبرياء وجميع الطرق الرديئة، وتصير محبته كاملة فينا، ونكمل إرادة الرب<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>١</sup> راجع دير السريان: القديس باسيليوس، ٢٠٠٣، ص ١٠٨



## ٢. ليكن غرضنا إرضاء الله لا الناس!

إذ يُمارس المؤمن التدريب السابق، لا يشغله مرضاة إنسانٍ ما، أياً كان مركزه أو علاقته به، إنما يطلب رضا الله ومسرته. لا يبالي بتكريم الناس له أو السخرية به، إنما يطلب أن يُمارس الوصية الإلهية التي تهبه التمتع ببهاء اثره مُنعكسًا على أعماقه.

❖ وأنا أرى أن هذا الأمر (التجرّد أو عدم الانشغال بالأرضيات) يستقيم بكلمة واحدة، وهي ألا نصنع وصايا الرب لإرضاء الناس. فلا يجوز لنا أن نميل إلى النواقص، بينما أمامنا ما هو أفضل.

كما أنه إذا ما عمل أحد عملاً مرضياً لإنسانٍ ذي مجد؛ فإذا لم يعجب ذلك العمل إنسانٍ آخر أقل منه، فإن صانع العمل يحتقر الناقص ولا يلتفت إلى رأيه، إذ هو ينظر إلى مجد الإنسان المرتفع. إن كان هذا هكذا بين إنسانٍ وإنسان، كم بالأفضل ينبغي أن يكون بين الإنسان والله.

فالنفس المتيقظة الصحيحة بالحقيقة، التي تيقنت أن الله ينظر إليها، وجعلت طلبها ما يُرضيه، لا تكسل عن وصايا الرب، ولا تتعبّد لوصايا الناس، ولا يأسرها شيء من أعمال هذه الدنيا، ولا تطغيها كرامة هذا الزمان. كالذي قال: "تكلّم معي مخالفو الناموس بكلام هذيان، لكن ليس كناموسك يا رب" (مز ١١٨ : ٦٤ LXX)، وأيضًا "أتكلّم بشهادتك قدام ملوكٍ ولا أخزى" (مز ١١٩ : ٤٦)¹.

### القديس باسيليوس الكبير

## ٣. عدم الخلطة بالأشرار!

مُخالطة الأشرار في مجالسهم الشريرة، تُفسد نقاوة المؤمن تدريجيًا، وتُدنّس حواسه دون أن يدري، وتتسلل إليه الخطيئة خلال الحواس، خاصة النظر والسمع.

لهذا يليق بالمؤمن أن ينسحب من مخالطة الأشرار، لكي تتفرّغ نفسه لتحقيق أهدافها، وتعكف على الانشغال بأبديتها. فانشغال حواس الإنسان بما في الشرير من تصرفات رديئة يجعلها تعتاد على ذلك، فتجد لذتها في الشرّ عوض التهايبها بحُبّ الأبديات.

❖ نافع لنا جدًا في ما نحن بسبيله (التجرّد أو عدم الانشغال بالأرضيات) تفرغ النفس وانعكافها، وأن نعكف في مساكننا لكي لا نختلط بالذين لا يحفظون الوصايا جيدًا، كما قال سليمان الحكيم: "لا تستصحب غضوبًا، ومع رجلٍ ساخطٍ لا تجيء، لئلا تألفَ طُرُقَهُ، وتأخذَ شركًا إلى

¹ راجع دير السريان: القديس باسيليوس، ٢٠٠٣، ص ١٠٨ - ١٠٩

نَفْسِكَ" (أم ٢٢ : ٢٤-٢٥)، لكي لا تجد سببًا للخطية، لا بالعينين، ولا بالأذنين، (وحتى لا) تُغرس فينا عادة الموت الرديئة دون أن نعرف، ويبقى مثال ما نراه ونسمعه (من شرور) قائمًا في أنفسنا، ويصير لها هلاكًا، ولا نقدر على مداومة الصلاة<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

#### ٤. تنقية النفس في الوحدة!

ممارسة المؤمن، خاصة الراهب، للوحدة، ولو في فترات خلال اليوم، يعطيه فرصة للانسحاب من الأمور الزمنية خلال الصلاة والقراءات المقدسة، فتهداً نفسه، ويكتشف ضعفاته، ويطلب عمل نعمة الله فيه، لكي تُقتل الخطية التي في أعماقه من جذورها.

كما يحرص المؤمن على عدم تدنيس حواسه بكلمات الأشرار وتصرفاتهم، يلزمه أن يحرص على اعتزاله لأفكاره هو وتصرفاته وعاداته القديمة، وذلك بالانسحاب إلى العزلة عن ماضيه بجلوسه في هدوءٍ ينعم باللقاء مع مُخلصه.

الانسحاب نحو الهدوء ولو إلى لحظات كل يوم يهبه قوة للخلاص من سلطان العادات القديمة التي كانت تسيطر عليه.

❖ وجب افتراقنا في السكن، لنستطيع أن نقهر العادات الرديئة التي لسيرتنا الأولى التي كنا فيها ونحن غرباء عن وصايا الله. فليس بالجهد اليسير ذلك الذي ينبغي أن يُبذل لمن قد قويت فيه عادات من زمان طويل، وصار لها قوتها في طبيعة (الإنسان).

بالصلوات المتعبة والقراءة الدائمة في كتب الله يمكننا أن نستأصل منا أدناس الخطية، وهذا ليس بإمكاننا مادامنا منشغلين بأمور هذا العالم. لأن الكائن في هموم العالم كيف يقدر أن يكمل المكتوب أن من يأت إليّ فليجد نفسه (مت ١٦ : ٢٤)<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

#### ٥. شركة في حمل الصليب!

انشغال المؤمن بمحبة الله الفائقة المُعلنة خلال الصليب، يحث أعماقه على حمل الصليب بفرح، واتباع المُخلص خلال الطريق الضيق بتَهليلٍ وبهجة قلبٍ، فيتجرّد من محبة العالم وكل الزمانيات من أعماق قلبه.

❖ ينبغي علينا أن نجد نفوسنا، ونحمل صليبنا، ونتبع المسيح ربنا. جحدنا نفوسنا هو أن ننسى جميع عاداتنا الأولى، ونبتعد عن أهوائنا.

راجع دير السريان: القديس باسيليوس، ٢٠٠٣، ص ١٠٩-١١٠

راجع دير السريان: القديس باسيليوس، ٢٠٠٣، ص ١١٠

وحملنا صليبنا واتباعنا الرب هو أن نكون مُستعدّين أن نموت مع المسيح، ونميت أعضاءنا الأرضية، ونكون مُحتملين بنشاط كل ضيق يأتي علينا من أجل المسيح، ونقتلع قلوبنا من أمور هذا العالم<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## لماذا لا نستطيع التجرد الكامل ونحن وسط الناس؟

يضع القديس باسيليوس أمام عينيه خدمة البشرية بحب صادق، لأن محبتنا للقريب لا يمكن عزلها عن محبتنا لله. لكن فيما نحن نشتهي أن نبذل حياتنا من أجل خلاص كل نفس، يلزمنا ألا ننهمك في الخلطة معهم، لئلا ننسى خطايانا التي نُقدّم عنها توبة يومية. هذا ومن جانب آخر، بخلطتنا مع الناس وعدم حرصنا على انسحابنا ولو إلى حين قد يفتح أمامنا الطريق لنكتشف أخطاءهم، فنحسب أنفسنا أفضل منهم، ونسقط في الفريسية. أيضًا انشغالنا بالآخرين بغير حكمة قد يسحبنا من تكريس القلب والوقت لله، والفرح بخلاصه، واستعذاب وصيته.

❖ هذه الأمور لا يمكن إقامتها مع الاختلاط بغير المُتحفظين، لأن النفس إذا رأت كثرة الجموع المُنحطّين:

أولاً: لا تشعر بخطاياها، فلا تتوب.

ثانيًا: تقارن حالها بالنسبة إلى حالهم، فتظن أنها سالكة في الفضيلة.

ثالثًا: من كثرة الجلبة التي في هذا العالم لا تتفرّغ لله دائمًا، فتخسر الفرح والابتهاج بالله،

ولا تقدر أن تقول: "إن كلماتك حلوة في حلقى أفضل من العسل والشهد في فمي"

(مز ١١٩)، وكذلك فإنها تفضل (أمور العالم) عن أحكام الله وهذا أشد عليها<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## يرفض الإنسان كل ما له ليتقدم إلى الفضيلة

في حديث تحت عنوان "من أجل أن يرفض الإنسان كل ما له، وبعد هذا يتقدّم إلى

الفضيلة"، يُقدّم لنا القديس الآتي:

١. يليق بالراهب أن يتجرّد من:

أ. العبودية لعدو الخير إبليس، ومن كل أعماله.

<sup>١</sup> راجع دير السريان: القديس باسيليوس، ٢٠٠٣، ص ١١٠-١١١

<sup>٢</sup> راجع دير السريان: القديس باسيليوس، ٢٠٠٣، ص ١١١



ب. أهواء الجسد أو شهواته التي تُقاوم شهوات الروح.  
ج. الأقرباء حسب الجسد، إذ يصير الكل آباءه وإخوته وأبناء له، دون محاباة لمن تربطه بهم قرابة الدم.

د. الدخول في صداقات غير بناءة مع الناس، حتى لا تسلب منه وقته.

هـ. العادات القديمة التي لا تليق ببشارة الخلاص.

و. أعمال الإنسان القديم، ليسلك بالروح، ويتمتع بأن يكون على صورة خالقه.

٢. إضافة إلى الجانب السلبي الخاص بالتجرّد يليق به الاهتمام بالجانب الإيجابي المُفرِح، وهو:  
أ. يرى في من يرشدونه بروح الإنجيل آباءه الذين يخضع لهم في طاعةٍ وبهجة قلبٍ في المسيح يسوع.

ب. يسلك مع إخوته في شركة، متطلعًا إليهم بالحقيقة هم إخوته.

ج. إذ تشبع نفسه من الكنز الإلهي، يحسب مال العالم غريبًا عنه.

د. إذ تختبر نفسه عربون السماء، يحسب السماء موطنه الحقيقي.

هـ. إذ يترقّب اللقاء المجيد مع مُخلّصه، لا يخشى الموت.

٣. يليق بالراهب أن يضع تلاميذ السيد المسيح أمام عينيه أمثلة عملية للتجرّد:

أ. ترك يعقوب ويوحنا السفينة وشباكهما.

ب. ترك زكا العشار مكان الجباية فور دعوته.

ج. ترك بولس العالم وصلب العالم عنه.

٤. لا يُعاني الزاهد أو الناسك من الشعور بالحرمان، إذ يجد نفسه في شركة مع السمائيين، وأبواب السماء مفتوحة أمامه تُرحّب به. أما ما هو أعظم من هذا، فإنه قد صار أيقونة لذاك الغني الذي افتقر لكي يغنيانا.

٥. أخيرًا يُحدّثنا القديس من أشواك العالم، لئلا تخنق نفوسنا، وتسلبنا ثمر الروح المفرح.

## التجرّد والشركة مع السيد المسيح

حدثنا القديس باسيليوس الكبير في القوانين المُطوّلة (قانون ٨) عن التجرد والشركة مع السيد المسيح، مُقدّمًا لنا أمثلة عملية للتجرّد، كما أوضح المفهوم الإيجابي للتجرّد.

١. الالتزام بالتجرّد للتمتع بالشركة مع السيد المسيح.

٢. أمثلة عملية للتجرّد.

٣. شهادة من كلمات الرب عن التجرد.

٤. المفهوم الإيجابي للتجرّد.

١. الالتزام بالتجرّد للتمتع بالشركة مع السيد المسيح

❖ سؤال عن التجرّد: هل يلزمنا أولاً أن نتجرّد من كل شيء، وبهذا ندخل إلى الحياة التقوية؟

الإجابة: إذ يُقدّم ربنا يسوع المسيح عرضاً دقيقاً لاقتترانهما (التجرّد والحياة التقوية) بتوضيح حازم، يقول للكل: "إن أراد أحد أن يأتي ورائي فليُنكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني" (مت ١٦: ٢٤). مرة أخرى يقول: "فكذلك كل واحدٍ منكم لا يترك جميع أمواله، لا يقدر أن يكون لي تلميذاً" (لو ١٤: ٣٣). هذه الوصية نظن أنها تحوي أنواعاً من التجرّد الضروري:

١. أولاً نجد الشيطان والعواطف الجسدانية بالتوقّف عن الأمور التي لخزينا، والرباطات المادية، والصدقات البشرية، وأسلوب الحياة العدائي لكمال إنجيل الخلاص.  
٢. أيضاً يبقى أمر أكثر أهمية: ذلك الذي يتخلّص من الإنسان القديم وكل أعماله (كو ٣: ٩) "الفاقد بحسب شهوات الغرور" (أف ٤: ٢٢)، وهو أن يجحد نفسه.  
٣. أيضاً يُنكر كل العواطف الزمنية التي يمكنها أن تعوقه عن بلوغ هدف التقوى. مثل هذا الشخص أيضاً يعتبر أولئك الذين جاءوا به بواسطة الإنجيل (١ كو ٤: ١٥) مثل والديه الحقيقيين، ويتطلّع إليهم كإخوته الذين نالوا ذات روح التبني، ويحسب كل ممتلكاته غريبة عنه، وهي بالحقيقة هكذا.

في اختصار من يُصلب عن العالم ويصلب العالم له من أجل المسيح (غل ٦: ١٤)، لا يقدر بعد أن يكون له اهتمامات زمنية.

صوّر ربنا يسوع المسيح بغض حياة الإنسان وإنكاره لذاته في شكلهما الحيوي للغاية، عندما قال: "من يأتي ورائي، فليُنكر نفسه، ويحمل صليبه"، وأضاف: "ويتبعني" (مت ٦: ٢٤). مرة أخرى "إن كان أحد يأتي إليّ ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده وإخوته وأخواته، حتى نفسه أيضاً، فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً" (لو ١٤: ٢٦).

إنه تجرّد كامل لا يقف عند نزع العاطفة من نحو هذه الحياة، ووضع أمام ذهنه "حُكم الموت لكي لا نكون مُتكلّين على أنفسنا" (٢ كو ١: ٩)، إنما تخلي الإنسان في البداية عن كل الخيرات الخارجية: الممتلكات، المجد الباطل، الحياة في جماعة، الشهوات الباطلة، وذلك على مثال تلاميذ المسيح القديسين<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>١</sup> القوانين المطولة، ٨

## ٢. أمثلة عملية للتجرّد

يقدم لنا القديس باسيليوس الكبير أمثلة عملية لأناس مارسوا حياة التجرد في أيام السيد المسيح وأيضاً بعد صعوده، وتبعوه، بل صاروا له تلاميذ ورسلاً.

❖ ١. ترك يعقوب ويوحنا أباهما زدي والسفينة ذاتها التي كانت عماد كل حياتهما (مر ١ : ٢٠).

٢. ترك متى (لاوي) مكان الجباية وتبع الرب، وليس مجرد ترك ما يجلبه له هذا العمل من فوائد فحسب، بل كان غير مبالٍ بالمخاطر التي بالتأكيد حلت عليه وعلى عائلته من الولاة، لأنه ترك حسابات الجباية دون أن يُتمّمها (مت ٩ : ٩).

٣. أخيراً بالنسبة لبولس صلب العالم كله له، وهو للعالم (غل ٦ : ١٤).

هكذا بالنسبة للإنسان الذي يرغب بقوة في التبعية للمسيح، يمكنه ألا يرتبك بعد بشيء يخص هذه الحياة، حتى بمحبة والديه والأقرباء الآخرين، إن كان في هذا إعاقة لوصايا الرب. لأنه في هذه الحالة تُطبّق الكلمات: "إن كان أحد يأتي إليّ ولا يبغض أباه وأمه" (لو ١٤ : ٢٦) وما إلى ذلك. ولا ينشغل بأي اهتمام بشيء، فينزع عنه كل عملٍ مُريح. لقد أزال القديسون هذا الخطأ، عندما قالوا: "ينبغي أن يُطاع الله أكثر من الناس" (أع ٥ : ٢٩).

من يستهين بشئونه الصالحة حاسباً إياها مزرية، لا يعود يستطيع أن يهتم بما هو دنس. ولكن إن كان إنسان يريد أن يعرف بأكثر دقة ووضوح التصميم مع الرغبة كسمة للذين يتبعون الرب، فعليه أن يتذكّر القول: "إن ظن واحد آخر أنه يتكّل على الجسد، فأنا بالأولى. من جهة الختان مختون في اليوم الثامن، من جنس إسرائيل، من سبط بنيامين، عبراني من العبرانيين، من جهة الناموس فريسي، من جهة الغيرة مضطهد الكنيسة. من جهة البرّ الذي في الناموس بلا لوم. لكن ما كان لي ربحاً، فهذا قد حسبته من أجل المسيح خسارة، بل إنني أحسب كل شيء خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربّي، الذي من أجله خسرت كل الأشياء، وأنا أحسبها نفاية لكي أربح المسيح" (في ٣ : ٤-٨)¹.

القديس باسيليوس الكبير

## ٣. شهادة من كلمات الرب عن التجرد

بعد أن قدّم أمثلة من حياة التلاميذ والرسل، أورد شهادة من كلمات السيد المسيح نفسه عن ضرورة التجرد.

¹ القوانين المطولة ، ٨



❖ لماذا نحتاج أن نؤكد هذا الحق ببرهان القديسين وأمثلتهم بينما يمكننا أن نقتبس شهادة من كلمات الرب نفسها، وبهذا نجعل النفس الجبانة في رُعبٍ؟

شهادته واضحة ولا يمكن إنكارها وذلك في كلماته: "فكذلك كل واحدٍ منكم لا يترك جميع أمواله، لا يقدر أن يكون لي تلميذًا" (لو ١٤ : ٣٣). وفي موضع آخر جاءت كلماته: "إن أردت أن تكون كاملاً"، يقول أولاً: "فاذهب بع أملاكك وأعطِ الفقراء"، ثم يتبعه "وتعال اتبعني" (مت ١٩ : ٢١).

مرة أخرى يُشير بكل وضوحٍ إلى نفس الفكرة، إذ يقول: "يُشبه ملكوت السماوات إنسانًا تاجرًا يطلب لآلئ حسنة، فلما وجد لؤلؤة واحدة كثيرة الثمن، مضى وباع كل ما كان له واشتراها" (مت ١٣ : ٤٥-٤٦). واضح أن اللؤلؤة الثمينة يُقصد بها صورة الملكوت السماوي، الذي تُظهره كلمة ربنا، هذا لا نستطيع أن نناله ما لم نُقايسه بكل أملاكنا من ثروة وشهرة ونسل وكل شيءٍ آخر يشتهيهِ كثيرون.

هكذا أيضًا يُعلن الرب أنه يستحيل بلوغ الهدف المُراد، إن كان الذهن مُشتتًا باهتمامات متنوعة، عندما قال: "لا تقدرّون أن تخدموا الله والمال" (مت ٦ : ٢٤). لذلك وجب علينا أن نختار كنزًا في السماء فقط، لكي ما نحفظ قلبنا هناك. إذ يقول يسوع المسيح: "حيث يكون كنزك، هناك يكون قلبك أيضًا" (مت ٦ : ٢١).

فإن كنا نستمر في حفظ ممتلكات أرضية أو ثروة قابلة للدمار، يغطس الذهن إلى تحت كما في وحلٍ، وتصير النفس عمياء تمامًا لا ترى الله، وعديمة الحس بالنسبة للرجبة في جمال السماء والصالحات التي تنتظرنا والموعود بها. لا نستطيع أن نقنتي هذه ما لم تكن لنا الرغبات التي للذهن المستقيم التي تقودنا أن نطلبها وتجعل الجهاد من أجل بلوغها خفيفًا<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

#### ٤ . المفهوم الإيجابي للتجرّد

يختم القديس باسيليوس الكبير حديثه بالالتزام أن تُركّزَ أنظارنا على ما نظن أننا نُحرم منه بسبب التجرّد، بل على ما ننعم به من بركات:

أ. اقتناء الخيرات النفيسة السماوية.

ب. التمتع بالله نفسه.

ج. التشبّه بالمسيح الغني وقد صار فقيرًا لأجلنا.

<sup>١</sup> القوانين المطولة، ٨

د. اقتناء ندامة القلب وتواضع الذهن أو الخلاص من الغضب والألم والقلق.  
هـ. التخلُّص من أشواك الارتباك باهتمامات رديئة خاصة بالغنى.

❖ هذا هو إذن التجرد، كما يُعرِّفه مقالنا، وهو تحطيم قيود الحياة المادية الزائلة، والتحرُّر من الارتباكات البشرية، حتى نُهيئ أنفسنا لتكون أكثر استعدادًا أن تنطلق إلى الطريق المؤدي إلى الله.

إنه الدافع الذي بلا عوائق يدفعنا نحو اقتناء الخيرات النفيسة والتمتع بها التي هي أثمان من الذهب ومن حجارة كريمة كثيرة (مز ١٩ : ١١).

في اختصار هو انتقال القلب البشري إلى أسلوب حياة سماوي، حتى يمكننا القول: "فإن سيرتنا نحن هي في السماوات" (في ٣ : ٢٠). أيضا، النقطة الرئيسية هي أنه هو الخطوة الأولى نحو التشبه بالمسيح الذي وهو الغني صار فقيرًا لأجلنا (٢ كو ٨ : ٩). فما لم نبلغ هذا الشبه، يستحيل علينا أن نبلغ طريق الحياة حسب إنجيل المسيح.

بالحقيقة كيف يمكننا أن نقتني ندامة القلب وتواضع الذهن أو الخلاص من الغضب والألم والقلق. وفي كلمة نخلص من كل الحركات المُدمِّرة للنفس، إن كنا متورطين في الغنى واهتمامات الحياة الزمنية، ونرتبط مع الآخرين بواسطة عاطفة وشركة؟

في اختصار، بأية عملية منطقية يمكن لشخصٍ لا يسمح لنفسه أن يهتم بالأمر الضرورية مثل الطعام والملبس أن يسمح لنفسه أن يرتبك باهتمامات رديئة خاصة بالغنى، فتكون كأشواك تمنع البذار التي غرسها فلاح نفوسنا من أن تثمر، إذ يقول ربنا: "الذي سقط بين الشوك هم الذين يسمعون، ثم يذهبون فيختنقون من هموم الحياة وغناها ولذاتها، ولا ينضجون ثمرًا" (لو ٨ : ١٤)'.<sup>١</sup>

**القديس باسيليوس الكبير**

## الانخراط في السلك الرهباني

### الدعوة للرهبنة

تكشف كتابات القديس باسيليوس عن الدوافع نحو الحياة الرهبانية، كما تُجيب على أسئلة الكثيرين من راغبي الرهبنة، أو من الذين سلكوا الحياة الرهبانية في إعادة تقييم حياتهم الرهبانية، ومدى تحقيقهم للهدف الذي خرجوا من أجله.

يمكننا تقسيم الكتابات الخاصة بالحياة الرهبانية والنسكية إلى صنفين رئيسيين كل منهما له اتجاه مُعيّن:

١. كتابات سجّلها بعض الراغبين في التعرف على حياة الرهبان، بُهروا ببعض التصرفات الظاهرة في حياة الرهبان أو كتابات الرهبان أنفسهم عن سلوك آبائهم الروحيين في البرية أو في الدير، وقد اتّسم أغلبها بأنها ملاحظات سلوكيات مُعيّنة سواء من جهة العبادة أو الحياة النسكية أو الجهاد الروحي، وغالبًا ما سجّلوا ما يبدو غريبًا عن سلوك المؤمنين الذين يعيشون في العالم، مثل الصمت لمدة طويلة أو الأصوام أو السهر أو الوحدة وعدم اللقاء مع الناس ... الخ.

٢. كتابات سجّلها بعض آباء البرية أو قادة الرهبان بأنفسهم مثل رسائل القديس أنبا أنطونيوس والعظات المنسوبة للقديس مقاريوس الكبير ورسائل القديس أمون ومناظرات يوحنا كاسيان، وكتابات القديس باسيليوس الكبير. اتّجّهت هذه الكتابات إلى حدٍ كبير نحو الكشف عن الدافع الداخلي نحو الحياة الرهبانية، ووضع هدف هذه الحياة وكيفية تحقيقه. بمعنى آخر، حاولت هذه الكتابات أن تُوجّه أنظارنا إلى الحياة الداخلية للراهب، وانشغاله بملكوت الله الذي في أعماقه.

في الواقع العملي لا يمكن فصل السلوكيات في المسيح يسوع أو بالروح عن الحياة الداخلية. هذا ما يظهر بوضوح في اهتمام القديس باسيليوس بالطاعة للوصية الإلهية التي غايتها ليس أن يصير الإنسان لطيفًا نبيلًا متواضعًا... فحسب، إنما أن يطيع الله، ويلتصق به، ويتّحد معه ويشتهي اللقاء معه وجهًا لوجه.

عمليًا من يُحب الله يحفظ وصاياه، كما قال السيد المسيح (يو ١٤ : ٢٣)، فنحمل أيقونته بسكّنى الله فينا (يو ١٤ : ٢٣). غاية الوصية التمتّع بملكوت الله داخلنا، والتجديد اليومي لحياتنا



بروحه القدوس، وهذا له انعكاسه الواضح على سلوكنا الخارجي ومعاملاتنا، ليس فقط مع الله، بل ومع كل خليقته المحبوبة لديه، خاصة البشر والطغمة السمائية.

في اختصار ليس من فصلٍ بين تَمَتُّعنا بالملكوت الداخلي وسلوكنا العملي، خاصة ممارسة الحُبِّ مع الحياة النسكية والتجرُّد من العالم والموت عن الشرور والخطايا! يقول موريسون في دراسته للنظام الباسيلي إنه في دراسة الرهبنة يلزم أن يُوضَعَ في الاعتبار عاملان هما<sup>1</sup>:

١. الحياة الداخليَّة أو الباطنيَّة *mysticism* أو شوق النفس الشديد نحو حُبِّها لله والاتِّحاد معه. إذ يسيطر العنصر السريّ *mystical* أو الباطني على معالجة كل الحياة الرهبانيَّة.

٢. النُّسك وهو الرغبة في تطهير النفس بالزُّهد وإنكار الذات *self-denial*. العلاقة بين هذين العاملين هي التي تقرِّر بقوة شكل أي سعي رهباني. لهذا وجب أن نرى وضع هذين العنصرين في توصيات باسيليوس في الحياة الرهبانيَّة.

تؤكد كتاباته أن النُّسك بالنسبة له على الأقل وسيلة وليس غاية. وأن هدف المسيحي الحقيقي هو الاتِّحاد مع الله. فالحياة الرهبانيَّة ذات قيمة، ليس أساساً من أجل الزُّهد، وإنما لأن مثل هذا الزهد يسمح بالتركيز على نوال الطوباويَّة الحقيقيَّة، باختبار عذوبة الوصية الإلهية. النفع العظيم للحياة النُّسكيَّة للزهد، هو التمكن من التَمَتُّع بالحضرة الإلهيَّة، والاقتراء بالمسيح بلا عائق.

يجب ألاَّ تعوق درجة النُّسك الممارسة هذه الغاية العظمى<sup>2</sup>. [يُعرَف أن هذه هي الفضيلة الواحدة الوحيدة، لكن خلال فاعليَّتها تتحقَّق كل الوصايا وتكمل، إذ يقول الرب: "من يحبُّني يحفظ وصاياي" (يو ٤: ٢٣)<sup>3</sup>.]

يمكننا أن نُلَخِّص تعاليم باسيليوس عن الدافع للنُّسك المسيحي وغايته بكلماته: [حيث أن أعمالنا يُقترح لها هدف وقانون هو أننا نُتَمِّم الوصايا بطريقة تسرُّ الله. فلا يمكن ممارسة عمل ما حقيقة، إلاَّ إذا تحقَّق حسب إرادة من يصور الأمر. ليتنا نسعى بحرص أن نتَمِّم فقط إرادة الله في كل عملٍ، فبتذكُّرنا هذا ننال الاتِّحاد مع الله<sup>4</sup>.]

❖ إن كلمة المسيح "تعالوا إليَّ يا جميع المُتعبين والثقيلي الأحمال، وأنا أريحكم" (مت ١١: ٢٨)، إنّما هي لترك الغنى والخطيئة والسلوك في طريق الحياة الرهبانيَّة.

<sup>1</sup> Cf. E.F. Morison: St. Basil and his Rule, chapter 4.

<sup>2</sup> Cf. Regulae fusius tractatae 18-19, 128; Reg. Breu. 139.

<sup>3</sup> Regulae fusius tractatae, 2: 1.

<sup>4</sup> Regulae fusius tractatae, 5: 3.

من يُلبّي هذه الدعوة السيّدية، يستحق كل إعجاب واحترام... لكن لا بد من التبصّر في العواقب، فالحياة الرهبانيّة ليست سهلة. قد يدرك الإنسان في رحلته فيها الخور والسأم، فيرتد إلى الوراء...

بسط الله للبشر طريق الزواج وطريق البتوليّة...

لا تخف يا من يُحب المثل العنّيا، ويرغب في العيشة كالملائكة، ويريد أن يكون رفيق القديسين وواحدًا من تلاميذ المخلص... أدخل الحياة الرهبانيّة بشجاعة وفرح. تبصّر منذ البدء، حتى لا تستهويك محبّة الأهل، ولا تألق المال، ولا غرور المجد... اعلم أنك تبدل الخيرات الماديّة بخيرات لا تزول. لا تجزع من ترك الأحبّاء والأصدقاء؛ إنك ستنال الله عوضًا عن كل شيء<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## الانضمام للحياة الرهبانية

مع تأكيد القديس باسيليوس انفتاح الأبواب أمام الراغبين في حياة التكريس، إذ يدعو السيد المسيح الأطفال أن يأتوا إليه، ولا يمنعهم أحد، لأن لمثل هؤلاء ملكوت السماوات (مت ١٩: ١٤)، إلا أن الانضمام للجماعة الرهبانية أو للتكريس له إجراءاته الخاصة. لا يستطيع الإنسان مهما بلغت غيرته أن يلتحق بالجماعة الرهبانية بناء على قراره الشخصي المنفرد. من حقه بعد التحاقه بالجماعة أن يأخذ قراره الشخصي بالسلوك في حياة الوحدة والعزلة، أما انضمامه للجماعة الرهبانية، كعضو في هذا الجسد فيستلزم خطوات مُعيّنة.

## قبوله في حضور الجميع<sup>٢</sup>

يصف القديس باسيليوس في قوانينه المختصرة أن جميع الإخوة يلزم أن يكونوا حاضرين عند استقبال المرشّح للانضمام للجماعة. فليس من حق رئيس الدير أن يقبله دون معرفة وقبول الجماعة له.

<sup>١</sup> الأب إلياس كويتر المخلصي: القديس باسيليوس الكبير، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، ١٩٨٩، ص ٦٢

<sup>٢</sup> E.F. Morison: *St. Basil and His Rule, chapter 10; Reg. Brev. 112.*

❖ سؤال: إن أراد أحد السلوك في الحياة حسب الله (الانضمام للرهبنة)، هل من اللائق أن يقبله الرئيس بدون موافقة الإخوة؟ أم يلزمه أن يعرض الأمر عليهم؟  
الإجابة: يُعلمنا الرب أنه متى تاب أحد يدعى الأحباء والأقرباء (لو ١٥ : ٦). لهذا من الضروري أن القادم حديثاً يُقبل بمعرفة كل الإخوة حتى يفرح كل واحدٍ مع الآخر، ويصلي الكل معاً.<sup>١</sup>

القديس باسيليوس الكبير

## فترة الاختبار

وضع القديس باخوميوس قانوناً بأن طالب الرهبنة يبقى عند باب الدير لمدة سبعة أيام، ويقضي فتره اختبار لا تقل مدتها عن ثلاث سنوات. أما القديس باسيليوس فلم يكتب لنا عن المدة اللازمة للاختبار، ولا عن ما يلتزم به طالب الرهبنة في هذه الفترة. إنما أوضح أنه يجب الترحيب به بابتهاج، كما أعلن السيد المسيح: "تعالوا إليّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال، وأنا أريحكم" (مت ١١ : ٢٨).<sup>٢</sup>

يلزم التحقق من حياته الماضية، وأن يقوم بالاعتراف عن خطاياها، كما يُختبر صدق رغبته في حياة النُسك والشركة مع الله. وإن كان له شهرته ومركزه في المجتمع، يُطلب منه القيام بأعمال بسيطة لاكتشاف صدق تواضعه وتكريس حياته للرب.<sup>٣</sup>

يُطلب من طالب الرهبنة حفظ بعض قطع من الكتاب المقدس عن ظهر قلب.<sup>٤</sup> كما يُطلب منه التدرب على الصمت<sup>٥</sup>، وأن يمارس بعض الأعمال التي يطلبها منه الرئيس.<sup>٦</sup>  
يترك أيضاً التدرب على بعض الأعمال الروحية، وأيضاً بعض الأعمال اليدوية تحت إرشاد أحد الرهبان الشيوخ، غالباً ما يختاره طالب الرهبنة نفسه.

<sup>1</sup> *Regulae brevius tractatae*, 112.

<sup>2</sup> *Regulae fusius tractatae*, 10.

<sup>3</sup> *Regulae fusius tractatae*, , 10; *Regulae brevius tractatae*.107.

<sup>4</sup> *Reg. Brev.* 95;235;236.

<sup>5</sup> *Regulae fusius tractatae*, 13.

<sup>6</sup> *Regulae brevius tractatae* 105.



## انتقال طالب الرهبة إلى الترشيح للرهبنة

بعد فترة الاختبار كطالب للرهبنة، يرشَّح للانضمام للرهبنة، حيث تتم إجراءات إقامته راهبًا وذلك في حضور شهود لهم سمعتهم. يطلب القديس وجود قادة كنسيين<sup>1</sup>، ويتم انضمامه للرهبنة بصلوات حارة مع تشكرات بفرح<sup>2</sup>.

❖ سؤال: هل من اللائق أن الذين انضموا (إلى جماعة الرهبنة) يلزمهم أن يبدأوا بتعلم الأسفار المقدسة عن ظهر قلب دون تأخير؟

الإجابة: إنه من الضروري والمناسب أنه يجب على كل واحد أن يحفظ عن ظهر قلب الكتاب المقدس الموحى به من الله بسبب الاحتياج، حتى يستطيع أن يُحقِّق التقوى، ولا يعتاد على التقاليد البشرية (مر ٧: ٨)<sup>3</sup>.

❖ سؤال: هل يلتزم كل المنضمين إلى الجماعة أن يبدأوا في تعلم صناعات يدوية في الحال؟  
الإجابة: يضع الذين يقومون بالرناسة القرار<sup>4</sup>.

القديس باسيليوس الكبير



<sup>1</sup> *Regulae fusius tractatae*, 15:4.

<sup>2</sup> *Regulae brevius tractatae* 212.

<sup>3</sup> *Regulae brevius tractatae*, 95.

<sup>4</sup> *Regulae brevius tractatae*, 105.



## الباب الثالث

### الرهينة والحياة الروحية

- ١ . الراهب وحياته الروحية
- ٢ . العفة Continnence
- ٣ . ملامح السلوك الرهباني
- ٤ . الرهينة وحياة الشركة
- ٥ . المنازعات وحياة الشركة
- ٦ . أسئلة حول سلوك المؤمن في ظل نظام الشركة
- ٧ . الراهب والنصرة على إبليس
- ٨ . أسئلة حول معركتنا مع إبليس

## الراهب وحياته الروحية

### المؤمن وحياته الروحية

إذ يتطلع القديس باسيليوس إلى الكنيسة كموكبٍ منطلقٍ نحو السماء، كثيرًا ما يوجه أحاديثه عن الحياة الروحية، إلى المؤمن، سواء كان من الشعب أو من الرهبان أو من رجال الكهنوت، حتى في كتاباته النسكية. لذا فضلت أن أسجل نظرتَه للحياة الفاضلة والسلوك في المسيح يسوع في بابٍ مستقلٍّ، إذ يشترك الكل في الانطلاق في رحلة هذه الحياة، يطلبون أن يصيروا أيقونة العريس السماوي، ويشتركون معًا في المعركة ضد إبليس وأعماله الشريرة. أرجو أن تعتبر الباب العاشر الخاص بـ "المؤمن والفضائل" تكملة لهذا الفصل.

### الراهب وحياته الروحية

سجّل لنا القديس غريغوريوس النزينزي صورة ممتعة للحياة الرهبانية التي مارسها، وكيف وجد لذة في متاعها، إذ كتب في إحدى رسائله:

[ما كتبتَه سابقًا عن إقامتنا في بنس كان دعابة في غير جدية. أمّا ما أكتبه الآن فهو في جدية تامة. من يرجع بي كما إلى شهرٍ من الأيام السابقة، حيث كنت استمتع معك بالحياة القاسية. فإن الألم الاختياري أثمن بكثير من اللذة غير الاختيارية. من يردني إلى التسايح (بالمزامير) والسهرات والرفقة مع الله بالصلاة والحياة غير المادية، أو قل غير الجسدية. حقًا إنها من أجل ألفة النفوس ووحدتها بين الإخوة الذين سمعوا بك، وصاروا رُوحيين (إلهيين).

من أجل الجهاد والحث على الفضيلة التي تؤمنها النظم والقوانين.

من أجل الجهاد العذب في الوصايا الإلهية، والنور الذي وجدناه فيهم بالروح القدس<sup>1</sup>.

وفي رسالة بعث بها القديس باسيليوس إلى صديقه القديس غريغوريوس، قدّم لنا وصفًا كاملاً لحياة الوحدة التي مارسها عند نهر الأيرس *Iris*، بناء على طلبه، نقتطف منها الآتي:

❖ هذا الموضع الذي لنا، منعزل عن العلاقات مع الناس، حتى لا يعوق شيء من الخارج أغنية

تدريبتنا. فإن التداريب التقوية تتعش النفس بأفكار إلهية.

أي حال أكثر طوباوية من أن تتمثل على الأرض بطغمت الملائكة؟

<sup>1</sup> Ep. 6.

نبدأ النهار بالصلاة، فنكرم خالقنا بالتسبيح والأغاني، وإذ يشرق النهار نسند أنفسنا بالصلاة، منكبين عليها أثناء أعمالنا، فنملح العمل بالتسبيح كما بملح! فالتسبيح اللطيفة تدخل بالنفس إلى حالة من البهجة والهدوء. الهدوء - كما قلت - هو الخطوة الأولى لبلوغ كفايتنا. فيتتقى اللسان من الانهماك في العالم. والعينان لا تثيرهما الألوان الجذابة والأشكال الجميلة. والأذنان لا تستمتعان ذهنياً بالأغاني الخليعة، خاصة المؤذية وبأحاديث الفاسقين والمازحين.

هكذا إذ يتخلص الذهن من الانغماس في الملذات الخارجية، وعدم انشغال الأحاسيس بالعالم، عندئذ يرجع الذهن إلى ذاته، ويرتفع سامياً متأملاً في الله<sup>١</sup>.

### القديس باسيليوس الكبير

بعد أن تحدّث القديس باسيليوس عن الحياة الداخلية والعمل الروحي، مثل قبول آلام الجهاد بنذرة وبهجة، وممارسة العمل اليومي مسبّحين ومرتلين لتتهلّل النفس على الدوام، ودراسة الكتاب المقدّس، والصلاة وتذكّر الله الدائم بغير ارتباك باهتمامات أرضية، يحدثنا عن الأمور الخارجية الخاصة بالراهب.

القديس باسيليوس الذي ترعى في أجواء الفلسفة اليونانية، واختبر أثناء ممارسته للمحاماة والتدريس حالات الإنسان المختلفة، كان يرجع دوماً إلى نور العقل في تخطيطه لنظام الحياة الرهبانية. ولذلك طرح عنها كل إفراط ومغالاة ومظاهر استثنائية<sup>٢</sup>.

### الحياة الرهبانية والبتولية الداخلية

كان قلب القديس باسيليوس ملتهباً منذ شبابه وهو طالب بجامعة أثينا، مشتاقاً أن يرى البشرية كلها إن أمكن العروس العذراء العفيفة للعريس السماوي (٢ كو ١١: ٢). دفعه هذا القلب الناري فيما بعد أن يبحث بجديّة عن الرهبنة في مصر وفلسطين وسوريا وما بين النهرين، لكن بقلب متسع يطلب أن يختبر كل مؤمن البتولية الداخلية.

يميّز القديس باسيليوس بين البتولية حسب الجسد وبتولية الإنسان الداخلي. بتولية الجسد تسند الإنسان الداخلي، ليتمتع المؤمن ببتولية القلب والفكر والحواس والعواطف. وهذه بدورها لها فاعليتها في كل جوانب حياة المؤمن الخفية والظاهرة.

<sup>١</sup> Ep. 2:2-2.

<sup>٢</sup> الأب إلياس كويتر المخلصي: القديس باسيليوس الكبير، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، ١٩٨٩، ص ٦٥.

أما بتولية الإنسان الداخلي، فتصح المؤمن إلى العذارى الحكيمات اللواتي ينشغلن بمجيء العريس بقلبٍ ملتهبٍ وجهادٍ بالنعمة الإلهية، ويسلك الطريق الملائكي الذي يتعدى حدود الطبيعة البشرية.

يوجد من يُمارس بتولية الجسد عن ضعفٍ جسديٍّ أو لدوافعٍ أخرى وأسبابٍ نفسيةٍ، أما البتولية الداخلية، فترفع الإنسان ليختبر عربون السماء.

إن كان يليق بكل مؤمنٍ أن يختبر البتولية الداخلية، فإن الراهب الناسك لديه إمكانياتٍ أعظم إن حرص على هذه البتولية، ولم يتوقف عند بتولية الجسد.

❖ لا تكمن نعمة البتولية فقط في الامتناع عن إنجاب الأطفال، إنما تمس حياتنا كلها، وسلوكنا، وأخلاقياتنا، فيكون ذلك كله بتولاً، مظهرين في كل تصرفٍ الاستقامة المطلوبة بالنسبة للبتول. فيمكن بالحق أن يرتكب الإنسان الفسق في كلماته، وجريمة الزنا بعينيه، والفساد بالسمع، والدنس في القلب، وأن ينتهك حدود العفة بعدم الضبط في الطعام والشراب. أما من يحفظ نفسه تحت ضوابط في كل هذه الأمور، حسب تدبير البتولية، فبالحق يُظهر في نفسه نعمة البتولية متقدمة تماماً، وتبلغ كمالها<sup>١</sup>.

❖ عندما يُخضع الإنسان نفسه برضاه لدعوى أمام رئيس الدير، يلزمه أن يحفظ نفسه لله كتقدمة نذرٍ مقدسٍ، لئلا يسقط تحت الدينونة بأنه دنس مقدسات<sup>٢</sup>.

❖ يلزم على وجه الخصوص أن يضع الإنسان في ذهنه أن من يختار طريق الملائكة بعبوره فوق حدود الطبيعة البشرية، يلتزم بمنهج حياة روعي. الآن هذه سمة خاصة بالطبيعة الملائكية أن يتحرر الإنسان من نير الزواج، وألا يلهو بجمالٍ مخلوقٍ، بل يكون دومًا مُركزًا على الملامح الإلهية<sup>٣</sup>.

❖ رفض الزواج لا يمكن أن يكون بتولية حقيقية، بل لا بد أن تكون بتولاً في أمور حياتك وطباعك، وتظهر نقاء البتولية في كل شيءٍ تفعله، لأنه من الممكن أن ترتكب شهوة الزنا بالكلام، وأيضًا بالنظر، بل وأيضًا بالسمع، ويصير القلب كله دنسًا وملوثًا، بل وإذا تعدينا حدود الاعتدال في الأكل أو الشرب نتدنس أيضًا.

لو استطعت أن تحكم نفسك في قانون البتولية هذا، ستجد نعمة البتولية بكل أشكالها كاملة في داخلك<sup>٤</sup>.

<sup>1</sup> *An Ascetical Discourse, (Frs. Of the Church, volume 9, p. 207-208).*

<sup>2</sup> *An Ascetical Discourse, (Frs. Of the Church, volume 9, p. 208).*

<sup>3</sup> *An Ascetical Discourse, (Frs. Of the Church, volume 9, p. 209).*

<sup>4</sup> *Basil the Great: Gateway to Paradise.* ١٩٩٦. ترجمة أبناء البابا كيرلس السادس،



❖ يا من أردت البتولية، الأفضل لك أن تتبع طريق الزواج الطبيعي مع الاهتمام بحياتك الروحية وتنفيذ الوصايا الإلهية إذا لم تكن تستطيع أن تحفظ ما أردت.

أما من نذر البتولية فلا بد أن يحفظ نفسه وجسده طاهرًا، فلا يفعل ما يفعله البعض إذ يهتمون بطهارة أجسادهم فقط، بل يلزمك أن تعتبر أن كل نوع من التصرفات في سلوكك محسوبًا عليك، فلا بد أن تكون نقيًا من أية رذيلة من رذائل هذا العالم: الغضب، والغيرة، والحقد، وإهمال الصلاة، وإهمال الوصايا، ومحبة الأشياء الفانية، وارتداء ملابس غالية الثمن، واستعمال أدوات التجميل، المقابلات والمناقشات غير الضرورية وغير المقبولة.

كل هذا تحتاجه بنفس الدرجة من اليقظة، لأن الوقوع في أي من هذه يعتبر خطرًا على حياتك الروحية، لأنه في حالة سقوطك في أي من هذه التصرفات المرذولة تتحطم نقاوة روحك، وتبتعد عن الطريق السماوي.

يليق بالذين زهدوا العالم أن يكونوا يقظين، ويحترسوا من أن يدنسوا نواتهم التي هي آنية لله، لأنك لو أردت أن تكون كالملائكة، لا بد أن تمر أولاً بحالة نقاوة الجسد، ثم تعبر بعد ذلك إلى مرحلة غير الجسدانيين (الروحانيين). لأن الطبيعة الملائكية ليست متحررة من قيود الزواج فقط، بل حائزة في داخلها على جمال الطبيعة الملائكية بكونها تنظر إلى وجه الله بصفة دائمة. لأنه لا يوجد أعظم من هذا، أن تنظر إلى وجه الله باستمرار، لأنك لو نذرت أن تعيش عيشة الملائكة، ثم سمحت لنفسك أن ترتكب أية رذيلة من هذه السابق بيانها، ففي هذه الحالة تشبه من يلبس جلد النمر الذي شعره ليس بالأبيض ولا الأسود، بل هو خليط من البقع السوداء والبياض، ولذلك لا تستطيع أن تصفه بأنه أبيض أو أسود، هذه هي حالة الذين يمزجون في أنفسهم بين حياة العالم والحياة المقدسة<sup>1</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## الحياة الرهبانية والإيمان

مع حرص القديس باسيليوس على سلامة الإيمان واستقامته، وقد انشغل باللاهوتيات، لكن ما يشغل الخادم أيضًا رعايته الروحية والاجتماعية، بجانب انشغاله بانطلاق قلبه إلى خبرة الثالوث القدوس، دون أن يدخل في مناقشات عقلية مكثفة على حساب عبادته.

❖ يليق به ألا يحاور بخصوص الأب والابن والروح القدس، بل يعترف بحرية الفكر والكلمة بالثالوث غير المخلوق، الواحد في الجوهر، ويقول للذين يسألونه في هذا الأمر إنه يلزمه

<sup>1</sup> ترجمة أبناء البابا كيرلس السادس، ١٩٩٦ *Basil the Great: Gateway to Paradise*

أن يعتمد على التقليد الذي تسلمناه، ويتمسك بالإيمان الذي اعتمدنا عليه، ويتعبد حسبما نؤمن<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## الحياة الرهبانية والخلاص

الرهبنة والنسك ليسا هدفًا، بل هما طريق الانطلاق المستمر نحو الأحضان الإلهية، وتمتع بالسماوات اللائقة بأبناء الله خلال تنفيذ وصية الرب بنعمته الإلهية. فالراهب كمؤمن، له فرصة أعظم لحمل نير المسيح بفرح وبهجة، مع عدم الاستسلام لمقاومة عدو الخير له بكل وسيلة.

❖ سيرة النساك قصدها واحد، وهو خلاص النفس. فكل شيء يقيم نشاطها للخلاص، ينبغي أن يحفظوه كوصية الله. فوصية الله لا تنظر إلا إلى خلاص سامعيها<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## حرارة الروح

قد ينطلق إنسان إلى الحياة الرهبانية هربًا من العثرة، وتخليًا عن مسئوليات الحياة، فيعيش وسط الجماعة الرهبانية في حياة خاملة. لذا يدعو القديس باسيليوس طالب الرهبنة أن يتم الوصية الكتابية أن يكون حارًا في الروح (رو ١٢ : ١١)، فينطلق كإنسان الله الملتهب بالغيرة المقدسة ليتم إرادة الله، ويمارس الوصية الإلهية بسرور. مثل هذا لا يعرف الخمول، بل يُسر بالصلب مع المسيح، مشتاقًا إلى خلاص نفسه وخلص كل إنسان ما أمكن، يطلب عن البشرية كلها، سواء من الأجيال السابقة، أو الجيل الحاضر أو الأجيال المقبلة، مشتاقًا أن يرى الجميع متهللاً يوم اللقاء مع المسيح على السحاب.

❖ سؤال: من هو الحار في الروح (رو ١٢ : ١١)؟

الإجابة: هو الشخص الملتهب بغيرة بشوق لا يشبع، وحماس شديد أن يتم إرادة الله في حب يسوع المسيح ربنا حسب الكتاب المقدس: "المسرور جدًا بوصاياها" (مز ١١٢ : ١)<sup>٣</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>1</sup> *A Discourse on Ascetical Discipline, (Frs. Of the Church. volume 9, p. 34).*

<sup>2</sup> راجع دير السريان: القديس باسيليوس، ٢٠٠٣، ص ٨٤

<sup>3</sup> *Regulae brevius tractatae, 259.*

## فحص الضمير اليومي

يليق بالراهب أن يجاهد كجندي صالح للمسيح، فتتجلى أيقونة الرب في أعماقه يوماً فيوماً، ويلزمه أن يحرص على نقاوة ضميره وقلبه. بهذا يليق به أن يتأمل بروح الله القدوس في أعماقه، ليكتشف بنيان ملكوت الله فيه، تشغله السماء التي في أعماقه!

❖ عندما ينتهي اليوم وكل عمل الجسد ويبلغ الفكر النهاية، يلزم على كل واحد أن يرجع ويفحص ضميره وقلبه، فإن كان قد عبر به فكر ممنوع أو كلمة باطلة أو إهمال في الصلاة أو تشتيت أثناء التسبيح أو رغبة في ممارسة الحياة الزمنية في العالم، يجب أن يكشف الخطأ، ويعترف به علانية، حتى بصلوات الجماعة يُشفى مرض ذاك الذي سقط فريسة لشرُّ كهذا<sup>1</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## الاهتمام بالأمور العظمى

عمل عدو الخير أن يشغل فكر الإنسان وقلبه وكل ما في أعماقه بعيداً عن الأمور العظمى، مثل مصيره الأبدي، وشركته مع الله، والتعرف على الأسرار الإلهية، ومحبه لله وإخوته. هذا ما حدث مع القيادات اليهودية التي كانت تهتم بحرفية الناموس، وتقاوم أعمال السيد المسيح الذي يهتم ببنيان الإنسان وخلصه. كمثال كان الفريسي يهتم بتقديم الطعام والشراب لثوره أو حماره، وإنقاذه إن سقط في حفرة في يوم سبت، بينما كان ينتقد السيد المسيح إن شفى إنساناً جسدياً أو روحياً في سبت، فيهتم بحرف الناموس القائل، ولا يبالي بما هو أعظم، أي المحبة التي هي روح الناموس.

❖ ينبغي أن تُظهر غيرة أعظم نحو الأمور الهامة عن تلك الأمور التي تقوم بدورٍ أقلٍ (لو ١٣: ١٥-١٧) ... "أجابه الرب وقال: يا مرائي ألا يحل كل واحد في السبت ثوره أو حماره من المذود ويمضي به ويسقيه؟ وهذه، وهي ابنة إبراهيم، قد ربطها الشيطان ثماني عشرة سنة، أما كان ينبغي أن تُحلَّ من هذا الرباط في يوم السبت؟ وإذ قال هذا أُخجل جميع الذين كانوا يُعاندونه، وفرَّح كل الجمع بجميع الأعمال المجيدة الكائنة منه"<sup>2</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

يقارن القديس باسيليوس بين ملكة سبأ التي بذلت الكثير لترى سليمان وتسمعه بمهابة وخوف، وبين القيادات اليهودية التي استخفت بالسيد المسيح وأعمال محبته العظيمة. ملكة سبأ تُمثل الذين

<sup>1</sup> An Ascetical Discourse, (Frs. Of the Church, volume 9, p. 215).

<sup>2</sup> Morals Rule 46:1.

يحملون رهبة نابغة عن إيمان عند رؤيتهم لأمرٍ صغيرة، بينما تسلك القيادات اليهودية باستخفافٍ وازدراءٍ حتى في أعظم الأمور، أي الإيمان بالمسيا المُخلص.

هكذا يليق بالمؤمن أن ينشغل بخلاصه والأمجاد الأبدية التي يعدها المُخلص له، ولا يرتبك بالأمور الزمنية الزائلة.

❖ يكشف البعض عن خوفٍ صادر عن الإيمان عند رؤيتهم لأمرٍ صغيرة مع بهجةٍ تتبع عن شوقهم المتلهف، أما الذين يسلكون باستخفافٍ وازدراءٍ بالأمور العظيمة، فيسقطون في دينونةٍ أعظم<sup>١</sup>.

❖ من يمارس غيرة في الأمور الصغيرة، يلزمه ألا يتطلع باستخفافٍ في الأمور الأعظم أهمية، إنما يحفظ الوصايا العظمى بأسلوبٍ بارز، كما يتم الوصايا الصغرى أيضاً<sup>٢</sup>.

❖ يليق (بالمؤمن) ألا يدخر كنزاً لنفسه على الأرض، بل في السماء، ويستخدم الوسيلة للتخزين في السماء (مت ٦: ١٩-٢٠)<sup>٣</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## الحياة الرهبانية وتذكر يوم الدينونة

يدعو القديس باسيليوس المؤمنين، خاصة الرهبان إلى تذكر يوم الدينونة، للتمتع بالبركات التالية:

١. الانشغال بالحياة الإسخاتولوجية (الأخروية) والأمجاد الأبدية حيث نلتقي بالله ونستقر في أحضانه. هذا هو الدافع الرئيسي للرهبنة والنسك. ننتطلع إلى الأبدية، فتدفعنا للسهر والعمل في الزمن الحاضر.

٢. توقع مجيء الرب الأخير يبعث فينا الاهتمام بالإصلاح، كما تحثنا مخافة دينونة الله على ممارسة الفضيلة [التي نقدر أن نفلت من الغضب الذي يحلّ على أبناء المعصية<sup>٤</sup>]. يرى القديس باسيليوس الكبير أن صوت الرب في يوم الدينونة يقطع لهيب النار بالنسبة للأبرار فيبقى ضوءها، أما بالنسبة للأشرار فيبقى حريقها بلا ضوء. أما كلمة "يقطع" هنا فتعني أن صوت الرب يفصل أو يميز أو يفرز الأبرار عن الأشرار في يوم الدينونة، فيتمتع الأبرار مباركوا الآب بالميراث المجيد، ويلقى الأشرار في النار المعدة لإبليس وملائكته.

<sup>1</sup> *Morals Rule 46:2.*

<sup>2</sup> *Morals Rule 46:3.*

<sup>3</sup> *Morals Rule 47:1.*

<sup>4</sup> *De Jud. ad fin.*



❖ لنسمع باجتهاد ما يُقال، ونطلب بغيره أن نمارس الوصايا الإلهية، لأننا لا نعلم في أي يومٍ أو أية ساعة يأتي ربنا<sup>١</sup>.

❖ ألا نضع أمام أعيننا يوم الرب العظيم المرعب هذا؟<sup>٢</sup>

❖ أعتقد أن النار المعدة لعقاب الشيطان وملائكته تنقسم بواسطة صوت الرب. وهكذا توجد قدرتان في النار، قدرة للاحتراق وأخرى للإنارة. قوة عقاب النار الصارمة تنتظر من يستحقون الحرق، أما إشعاعاتها واهبة الاستتارة، فتُحفظ ليتمتع بها الفرعون<sup>٣</sup>.

❖ يلزم ألا يُستهان بدينونة الله، بل نخشاها، حتى وإن كانت المجازاة ليست في الحال... "لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ولكن النفس لا يقدر أن يقتلوا، بل خافوا بالحري من الذي يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما في جهنم" (مت ١٠ : ٢٨)<sup>٤</sup>.

❖ تحدث هذه التغيرات في المستقبل... فهو يجدد "الذين يتغيرون"، كأنه أراد لنا أن ندرك أن هذا التغير مستقبلي...

ربما أراد أيضًا أن يُكلمنا عن القيامة حيث نتغير ولكن للأفضل... في جسدٍ روحاني، لأنه قيل: "يُزرع في ضعفٍ، ويُقام في قوةٍ، يُزرع جسمًا حيوانيًا، ويُقام جسمًا روحانيًا" (١ كو ١٥ : ٤٣-٤٤)...

كل الخليقة الجسدية سوف تتغير أيضًا معنا، "لأن السماوات تبيد، وأنت تبقى، ولكنها كثوب تبلى كرداء تغيرون فتتغير" (مز ١٠٢ : ٢٦). في ذلك اليوم سيتضاعف نور الشمس إلى سبع مرات، كقول إشعياء: "ويكون نور القمر كنور الشمس، ونور الشمس يكون سبعة أضعاف كنور سبعة أيام" (إش ٣٠ : ٢٦).

❖ "سيأتي إلها ولا يصمت" (مز ٥٠ : ٣). حينما يأتي ليُدين الأحياء والأموات، ويعطي كل واحدٍ حسب أعماله. حينما يوقظ البوق بصوته المرهوب أولئك الذين رقدوا عبر الأجيال؛ ويأتي الذين عملوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة<sup>٥</sup>.

**القديس باسيليوس الكبير**

<sup>1</sup> Reg. Fus. Introd. ad fin.

<sup>2</sup> Reg Fus. 1.

<sup>3</sup> On Ps. 28, no. 6.

<sup>4</sup> Morals Rule 11: 2.

<sup>5</sup> Epistle 46: 5.

## الحياة الرهبانية والتغصّب

التغصّب وصية إنجيلية، إذ يقول السيد المسيح في مدحه ليوحنا المعمدان: "إلى الآن ملكوت السماوات يُغصب، والغاصبون بختطفونهُ" (مت ١١ : ١٢). لقد جاء يوحنا المعمدان كسابقٍ للسيد المسيح فانفتح طريق الملكوت، ليستطيع كل مؤمنٍ أن يسرقه، مختطفًا إياه بالجهاد الحيّ. حقًا إن الملكوت هو عطية الله المجانية، لكنها لا تقدّم للمتهاونين المتراخين، إنما للمجاهدين كمن يسرقونها.

يشدّد القديس أمبروسوس على الجهاد المستمر دون تهاون، بقوله: [فقدان ساعة واحدة ليس بالأمر الهين، فالساعة هي جزء من حياتنا كلها<sup>١</sup>].

ربّما يسأل أحد: لماذا يقول السيد المسيح: "ملكوت السماوات يُغتصّب"؟ يجيب القديس جيروم: [انظر، أليس بالحق يُحسب اغتصابًا عندما يرغب الجسد أن يصير إلهًا، ويصعد إلى الموضع الذي منه سقطت الملائكة، ويدين ملائكة<sup>٢</sup>]؟

يتحدّث القديس يوحنا الدرجي عن ضرورة الجهاد والتغصّب، قائلاً: [كل الذين يبدأون النضال الصالح الذي هو صعب وضيق، لكن في نفس الوقت سهل، يليق بهم أن يدركوا أنه يجب عليهم أن يقفروا في النار، إن كانوا يودّون أن تمكث النار السماوية فيهم فعلاً. ليفحص كل إنسان نفسه، ويأكل خبزه بأعشاب مرّة، ويشرب الكأس بدموع، لئلا تؤدّي خدمته إلى دينونة الذات<sup>٣</sup>]. كما يقول: [التركض في طريقنا بحماسٍ كأناسٍ مدعوّين من إلهنا وملكننا، لئلا بسبب قصر عمرنا نوجَد في يوم موتنا بلا ثمر، ونهلك جوعًا<sup>٤</sup>].

يرى القديس باسيليوس الكبير أنه يليق بالمؤمن أن يجاهد بغيره متقدّمة لأجل خلاص نفسه، وفي جهاده يلاحظ المبادئ العملية التالية:

أ. أن لا ييأس المؤمن بسبب قلة الأتقياء، بل يثق في عمل نعمة الله فيه. فعندما ظن إرميا النبي أنه لم يعد يوجد أحد أمين ومُخلص لله غيره (١ مل ١٩ : ١٠)، أكد الله له أنه توجد بقية مقدسة مخفية عن عيني النبي: "قد أبقيت في إسرائيل سبعة آلاف كل الركب التي لم تجث للبعل، وكل فم لم يقبله" (١ مل ١٩ : ١٨). إنهم معروفون ومحصيون عند الله، يعتز بهم وإن كان العالم لم يعرفهم.

<sup>1</sup> Ep 63.97.

<sup>2</sup> Ep 22:40.

<sup>3</sup> Step 1:9.

<sup>4</sup> Step 1:15.

ب. لا يظن أن مجرد انضمامه للسلك الرهباني فيه ضمان الخلاص دون الجهاد بنعمة الله. فما يشغل الله، لا مظهر الإنسان، ولا رتبته أو عمله الكنسي، إنما أمانته في القليل ليقيمه على الكثير (مت ٢٥: ٢١)، أيًا كان هذا القليل!

ج. ليكن التغصب والجهاد بحكمةٍ واتزانٍ دون مبالغة، فالطريق الملوكي الآمن هو الاعتدال. د. لنحرص على وزنة الوقت، فإن كل لحظة من عمرنا هي هبة من الله نحرص عليها. كل الوقت مناسب للعمل حسب إرادة الله.

هـ. لنكن أمناء فيما بين أيدينا والذي يبدو سهلاً، فيعطينا الله نجاحًا في الأمور العظيمة التي قد تبدو مستحيلة. والتهاون مع خطيةٍ ما، يفسد سلطاننا في خطايا أخرى، فنسقط فيها بغير إرادتنا.

و. كل تهاون مع الخطية، حتى وإن بدت صغيرة، تجعلنا متحالفين مع الشيطان.

ز. في جهادنا نضع في اعتبارنا أننا نشهد لإيماننا بالسلوك الروحي.

❖ كن غيورًا في إتباعك الذين يسلكون حياة مستقيمة، وأنقش أعمالهم على قلبك.

صل لي تكون بين القلة، لأن الصالحين نادرون، هذه القلة أيضًا تدخل السماء. لا تظن أن كل الذين يسكنون في القلالي يخلصون، سواء كانوا طالحين أو صالحين، فهذا ليس حقًا.

حقًا، كثيرون يتعهدون حياة الفضيلة، لكن قليلين الذين يحتملون نيرها.

ملكوت الله هو مكافأة المغتصبين، والغاصبون يختطفونه ككلمات الإنجيل (مت ١١: ١٢). يُقصد بالتغصب أتعاب الجسد التي قبلها تلاميذ المسيح بإرادتهم كجحدٍ لمشيئتهم الذاتية، وذلك برفضهم راحة الجسم من أجل حفظ وصايا المسيح. فإن أردت أن تختطف ملكوت الله، فلتكن رَجُلٌ تغصّب.

أحنِ عنقك لنير خدمة المسيح.

اربط رُبط النير بقوة حول حنجرتك.

دعه يقبض على عنقك.

اجعله يتحرك برقةٍ بالعمل من أجل نوال الفضائل، في أصوامٍ وأسهارٍ وطاعةٍ وصمتٍ وتسبيحٍ وصلواتٍ ودموعٍ وتأملاتٍ واحتمال الضيقات التي تحل بك من البشر والشياطين<sup>١</sup>.

<sup>١</sup> On Renunciation of the World and Spiritual Perfiction.

- ❖ اجتهدوا أن تدخلوا من الباب الضيق" (لو ١٣ : ٢٤)... الطريق المستقيم ضيق، أي انحراف عنه مملوء بالمخاطر، سواء على اليمين أو اليسار. أنه كجسر، من يزل عنه من أي جانب منه يسقط في النهر<sup>١</sup>.
- ❖ يلزمنا دائمًا أن نكون رزينين، ومستعدين في غيرتنا على أعمال الله، متجنبين خطر روح الرخاوة... "قلا نم إذا كالباقين، بل لنسهر ونصح" (١ تس ٥ : ٦)<sup>٢</sup>.
- ❖ يجب علينا أن نعتبر كل زمن هو وقت مناسب لممارسة الغيرة في ما يُسر الله... "تمموا خلاصكم بخوف ورعدة" (في ٢ : ١٢)<sup>٣</sup>.
- ❖ إذ نعرف طبيعة هذا الزمان الحاضر من العلامات المُعلنة في الأسفار المقدسة، يلزمنا أن ندير أمورنا تبعًا لذلك (أي في جدية وتغصب) (مت ٢٤ : ٣٢)<sup>٤</sup>.
- ❖ تقوم المكافأة عن الأعمال العظيمة على أساس التدبير المتعقل في الأمور الصغيرة (مت ٢٥ : ٢٣)<sup>٥</sup>.
- ❖ بارتكابنا الخطية نتغرب عن الرب، ونتحالف مع الشيطان (يو ٨ : ٤٤)<sup>٦</sup>.
- ❖ من ينجذب إلى خطية ما بغير إرادته يلزمه أن يدرك أن هذا يتم لأنه أعطى سلطانًا بإرادته أن تسود عليه خطية أخرى، قادته إلى خطية يفعلها بغير إرادته (رو ٧ : ١٤-٢٠)<sup>٧</sup>.
- ❖ ليعطي كل واحد شهادة على دعوته خلال أعماله (يو ٥ : ٣٦؛ ٢ كو ٦ : ٣-٤)<sup>٨</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>1</sup> *Catena Aurea*.

<sup>2</sup> *Morals Rule 13: 1.*

<sup>3</sup> *Morals Rule 13:2.*

<sup>4</sup> *Morals Rule 17:1.*

<sup>5</sup> *Morals Rule 18:4.*

<sup>6</sup> *Morals Rule 22:1.*

<sup>7</sup> *Morals Rule 23:1.*

<sup>8</sup> *Morals Rule 29:1.*



يُقدّم لنا سليمان الحكيم النملة لِنقْتدي بها في اجتهداها، قائلاً: "اذهب إلى النملة أيها  
الذئبان، تأمل طرقها، وكن حكيماً" (أم ٦ : ٦). ويقدم لنا القديس باسيليوس الكبير السمك المهاجر  
مثلاً للجهد.

❖ توجد أسماك رُحَل، كأنها تهاجر بقرارٍ جماعي، بإشارة خاصة إلى مناطق غريبة. فإذا جاء  
موعد تكاثرها، رحلت هذه من خليج، وتلك من آخر، تدفعها سنّة طبيعية عامة، مسرعة إلى  
البحر الأسود. فترى هذه الأسماك إبان رحيلها، كالسيل يتدفق في البوسفور نحو البحر  
الأسود.

من حرّكها؟ وأين الملك الذي يرأسها؟ والأوامر التي علقت في الساحات العامة، وعيّنت  
موعد السفر؟ وأين القادة؟ إنك لترى العناية الإلهية تتم كل شيء، وتعتني بأدنى المخلوقات.  
فالسّمك لا يقاوم سنّة الله، أمّا نحن البشر فإننا نخالف تعاليمه.

فلا تحتقر الأسماك لأنها خرساء وغير ناطقة، وخف أن تكون أقلّ تعقلاً منها حينما  
تخالف أوامر خالقك.

استمع إلى الأسماك! لا ينقصها غير النطق، وسلوكها يقول لك: إن حفظ الجنس يحملنا  
على مباشرة هذا السفر الطويل.

ليس عندها إدراك، بل شريعة طبيعية راسخة كل الرسوخ في غريزتها تدفعها إلى ما يجب  
أن تعمل. فتقول: هلم بنا إلى البحر الأسود... إن ماءه أعذب من ماء سواه، والشمس فوقه أقل  
حرارة، فلا تمص ماءه الحلو كله، لهذا يصعد السمك في الأنهار ويبعد عن البحار، ويفضل  
البحر الأسود ليستقبل ويربي فيه صغاره، ومتى قضى هناك مأربه، عاد جميعاً أدراجه، لماذا؟  
كأنه بمسلكه يقول لنا: "البحر الأسود قليل الأعماق، عرضة للعواصف العنيفة، قليل الملاجئ،  
وكثيراً ما تقلبه الرياح الهوجاء رأساً على عقب، وتعكره أكوام من الرمال. وهو فوق ذلك بارد  
شتاءً، لما يصب فيه من الأنهار العظيمة". فيهجره السمك، بعد ما أفاد منه صيفاً، ويعجل  
العودة إلى دفء المياه العميقة، والمناطق التي بها دفء الشمس، فيستريح في بحر هادئ بعيداً  
عن ريح الشمال العاتية.

لقد رأيت هذا المشهد وأعجبت بحكمة الله الشاملة.

فإذا كانت البهائم فاقدة النطق تخضع لغرائز كامنّة، وتعرف كيف تتدارك أمور معاشها.  
وإذا كان السمك يعرف ما يجب أن يختار، وما يجب أن يجتنب، فماذا نقول نحن، وقد تشرفنا  
بطبيعة عاقلة، وتتقنا بالشرعية، ودُعينا بالمواعيد الإلهية وتشربنا الحكمة بالروح القدس، فهل  
ندبر شؤوننا تدبيراً دون الأسماك تعقلاً؟

أتعلم هي أن تتدارك بعض الأمور قبل وقوعها، ونحن، بخلافها، نكاد لا نكثرث، ونفني عمرنا في الملذات البهيمية.

تقطع السمكة البحار كلها بحثًا عن بعض منافعها، وأنت ماذا تقول، إذا كنت تعيش في التواني والكسل؟ فلا يحتج أحد بالجهل، فإن فينا ذهناً طبيعياً يبين لنا لياقة الخير، وينفّرنا من الأفعال المضرة<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

### لا تؤجل حتى الساعة الأخيرة!

يليق بالمؤمن أن لا يؤجل توبته وجهاده، معتمداً على أن أصحاب الساعة الحادية عشر ينالون ذات المكافأة التي ينالها أصحاب الساعة الأولى.

يشير أصحاب الساعة الأولى إلى رجال العهد القديم الذين سبقوا الأمم في معرفتهم للرب وعبادتهم له بينما يُحسب رجال العهد الجديد الذين من الأمم، والذين كانوا يعبدون الأصنام أو ينكرون وجود الله وأخيراً عرفوا الرب وآمنوا به هم أصحاب الساعة الحادية عشرة.

غير أن القديس باسيليوس يُقدّم لنا تفسيراً لهذا المثل الوارد في (مت ٢٠)، ليدعو الكل إلى التحرك المبكر ما استطاعوا للالتقاء بالرب والتمتع بعمله الخلاصي. إنه يرى أصحاب الساعة الأولى هم أولئك الذين وُلِدوا في أسرة متدينة، واهتم الوالدان بتربيتهم منذ الطفولة على الكتب المقدسة، كما حدث مع تيموثاوس (٢ تي ٣: ٥)، فتعرّف على الله منذ طفولته وسلك بروح الجدبة، لذا إذ التقى مع الرسول بولس وسمع منه عن المسيا المُخلص آمن، بل والتهب قلبه بالرغبة في الكرازة بالرغم من صغر سنه، وصار نلميذاً عاملاً مع الرسول بولس. إنه بدأ العمل في الساعة الأولى، أمّا كرنيليوس فعاش في عائلة أممية، وتعرّف على الحق الإلهي خلال كرازة بطرس الرسول وصار شاهداً للحق في الساعة الحادية عشرة.

❖ سؤال: هل يوجد حتى الآن من يعمل من الساعة الأولى، ومن يبدأ عمله من الساعة الحادية عشر؟ ومن هم؟ (مت ٢٠: ١، ٦)

الإجابة: ربما يكون هذا معلوماً جداً للجميع من الكتاب المقدس المُوحى به، فإنه يوجد كثيرون، بشهادة الرسول: "منذ الطهرلية يعرفون الكتب المقدسة" (راجع ٢ تي ٣: ١٥). ويوجد أيضاً كثيرين مثل كرنيليوس (أع ١٠: ١-٦)، هؤلاء الذين إذ استطاعوا استخدام دوافعهم

<sup>١</sup> ترجمة الأب ج. عقيقي اليسوعي.

العادية، وتقدموا بخطوات بطيئة إلى الكمال بحسب المعرفة بسبب حرمانهم من وجود كارز لهم، إذ يقول الكتاب: "كيف يؤمنون بمن لم يسمعوا به؟" (رو ١٠ : ١٤).

هكذا يوجد كثيرون مثل كرنيليوس، الذين لم يشتركوا في أعمال الشر، ولهم رغبة في أرضاء الله، ويمارسون الصلاح باخلاص حسب معرفتهم. مثل هؤلاء يمنحهم الله ما أعطاه لكرنيليوس، ولا يحاسبهم على فترات التكاثر في حياتهم، لأن ليس لهم ذنب كما ذكرت. يكفي الله ويُسر باشتياقاتهم الظاهرة في غيرتهم التي يظهرونها (من جهة حياة البرّ والصلاح) حسب ظروفهم، وما بلغوه من الكمال خلال اجتهادهم<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## الحياة الرهبانية والنمو الروحي

النمو الروحي والتقدم في الفضيلة ليسا سباقًا في النسك أو مبارزة في الأخلاقيات، إنما هما انطلاق مستمر نحو التمتع بخبراتٍ جديدةٍ في الحياة السماوية، والتشبه بالطغمت السماوية، والمشاركة في تسابيحهم، والتمتع بفرح المسيح. وكما يقول القديس مار يعقوب السروجي: [لا يستطيع من يسعى في إثر الكمال ويتمسك بالصعود إلى السماء، ويتطلع إلى درب العلو، أن يتوقف في علوٍ واحدٍ، ظانًا أنه اكتمل في عمله، ولم يعد في حاجة إلى الصعود إلى درجة أخرى، لكنه يسرع يوميًا ليرتفع إلى الأعلى، إلى أن يفتح له الموت الباب ليبلغ إلى ميناء القديسين. أقول لك يا مُحب الفضائل، يحسن بك أن تفكر وتتأمل أن تتقدم نحو الأمام. ويجدر بك أن تحسب أنه توجد سيرة أعظم من سيرتك. لو فكرت أنك تسلقت بواسطة الفضيلة بقدر ما كان ينبغي أن تتسلق، لكان سعيك باطلاً، وتبدأ في الهبوط بسبب الادعاء الذي يخامر نفسك، فتتحدّر من جمال التواضع<sup>٢</sup>.]

يكشف القديس باسيليوس عن طريق النمو الروحي، موضحًا الآتي:

١. مراجعة الإنسان حساباته تحت قيادة روح الله القدوس، مقارنةً حاله الروحي اليوم بما كان عليه بالأمس، إذ يليق بالمؤمن أن يتقدم روحياً يوماً فيوماً. أما إن كان حاله اليوم كما بالأمس، فهذا يعني أنه صار أشبه ببركة راكدة مياها لا تتجدد. يليق بإنسان المؤمن الداخلي أن يكون أشبه بينبوع حيّ، يفيض كل يوم متمتعًا بمراحم الله الجديدة، فيتغنى: "مراحمه لا تزول؛ هي جديدة في كل صباح، كثيرة أمانتك" (مرا ٣ : ٢٢-٢٣).

<sup>١</sup> *Regulae brevius tractatae*, 224.

<sup>٢</sup> الرسالة الخامسة.

٢. يدرك المؤمن أن حياته رحلة ممتعة في صحبة الملائكة، خلالها ينضم إلى خورس السمائيين، فيسبح مع الشاروبيم.

٣. مهما طال عمر الإنسان، فحياته قصيرة ميناؤها الفردوس، حيث يلتقي بالمسيح وجهًا لوجه.

٤. إن كان العالم قد وُضع في الظلمة غير أن المؤمن طوال رحلته يحمل سراج الروح القدس.

٥. حياة الإنسان هي فرصة رائعة لإضرام المواهب المعطاة له من الله، خاصة وديعة الإيمان والشهادة لعمل الله الخلاصي. وكما أوصى الرسول تلميذه: "احفظ الوديعة الصالحة بالروح القدس الساكن فينا" (٢ تي ١ : ١٤). "أذكرك أن تُضرم أيضًا موهبة الله التي فيك" (٢ تي ١ : ٦).

٦. يحذرنا القديس باسيليوس أن نهتم بالتقدم والنمو حسب فكرنا البشري، إنما لتكن غيرتنا وتقدمنا حسب إرادة الله ووصاياه.

❖ افحص تصرفاتك كل يوم، وقارنها بأحداث اليوم السابق، وجاهد نحو التقدم. تقدم في الفضيلة لتصير في صحبة الملائكة.

اقض وقتك في خلوة لا لأيامٍ وشهورٍ، بل إلى عدة سنوات، تسبح ربك بالأغاني، ليلاً ونهارًا، مقتديًا بالشاروبيم.

إن بدأت هكذا، وانتهيت هكذا مسافرًا في الطريق المستقيم إلى وقت قصير لامتحانك، فإنك بنعمة الله تدخل الفردوس بسراج نفسك المنير ببهاء، لتفرح مع المسيح إلى أبد الأبد. آمين<sup>١</sup>.

❖ سؤال: كيف يمكن للشخص أن ينمو دومًا في عمل الرب (١ كو ١٥ : ٥٨)؟

الإجابة: إما بإضرام الموهبة المعطاة له لنفع وتقدم من ينتفعون بها، أو بإظهار غيره أعظم في عمل الرب وليس مجرد النشاط البشري<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>1</sup> On Renunciation of the World, (Frs. Of the Church, volume 9, p. 31).

<sup>2</sup> Regulae brevius tractatae, 290.



## العفة *CONTINENCE*

### العفة في حياة المؤمن

يمكننا أن نقدّم مفهومه للعفة من خلال كتاباته هكذا:

من الجانب الإيجابي العفة ليست حرمانًا من إشباع شهوات جسدية، إنما هي حالة شبع حقيقي وفرح داخلي وسعادة روحية، فلا يشعر الشخص باحتياج إلى شهواتٍ جسديةٍ تهبه لذة وسعادة. هذا ما دفع القديس باسيليوس أن ينادي بأن العفة هي اقتناء الله نفسه، بكونه هو الشبع الداخلي عينه، من يقتنيه يشعر بالشبع والفرح والسلام، فيفيض على الآخرين بما في داخله.

بنفس الفكر يقول القديس أغسطينوس:

[من يقتني الله فهو سعيد<sup>١</sup>.]

[أولاً ارجع إلى نفسك ممّا هو خارج عنك، وأعد نفسك إلى خالقك، فإنه هو رصيد سعادتنا

وصلاحنا الكامل<sup>٢</sup>.]

[إذ تتبع الله تشّاق إلى السعادة، وتبلغ إليه، إذ هو السعادة عينها<sup>٣</sup>.]

كثيراً ما تحدّث القديس باسيليوس عن العفة *Continenca*، سواء بمفهومها الواسع أو المحدد

بالعلاقات الجسدية، خاصة في رسالته إلى الراهب *Urbicius* عن العفة<sup>٤</sup>، وفي قوانينه المطوّلة.

ما هزّ أعماقي نظرة القديس باسيليوس الكبير للعفة، إذ حديثه عنها لا يرفع قلب الراهب وحده

أو الناسك، بل كل المؤمن بكل كيانه الداخلي كما إلى حضن الآب، ليحيا متهللاً بالروح وسط

ضيقات العالم، وكأنه يشارك الثلاثة فتية القديسين تسابيحهم وهم في أتون النار.

١. العفة في نظره هي اقتناء الله نفسه، بكونه فيه المجد والبهاء والقداسة والحب والشبع، ولا

يحتاج إلى أحدٍ أو إلى شيءٍ خارج عنه. من يقتنيه يشعر بالفرح والسلام، ويتمتع بكل فضيلة،

فيفيض على الآخرين بما في داخله، ولا يشعر بالعوز.

٢. إذ يتجلّى رب المجد في أعماق القلب، تُبتلع كل حواسه وعواطفه وأفكاره فيه، فلا تجول

هنا وهناك، بل تجد استقرارها في التمتع بالحضرة الإلهية.

<sup>1</sup> *De beata vita*, 2:11.

<sup>2</sup> *The Spirit and the Letter*, 5.

<sup>3</sup> *Comm. On St. John s Gospel*, 40: 90.

<sup>4</sup> *Letter 366 to Urbicius the monk, concerning Continenca*.

٣. العفة من الجانب السلبي هي ضبط النفس والحواس والعواطف والفكر وأيضاً الجسد إلى حدٍ ما، فلا يسقط المؤمن في النهم، ولا في طلب الملذات سواء من جهة الشهوات الحسيّة أو الطعام أو حب الغنى أو المجد الباطل.

٤. خلال هذه المفاهيم الإيجابية والسلبية، يمكن القول إن العفة تحمل فيها كل جوانب الفضائل، وتتفاعل معها، وتطرد كل الرذائل، ولا تسمح لها أن تتسلل إلى الإنسان الداخلي، سواء في الفكر أو العواطف أو الأحاسيس، أو في الكلام أو في السلوك.

في اختصار يطالبنا القديس باسيليوس بالعفة بكونها تُشبع كل جوانب الحياة، وتحفظها من أي انحراف يميني أو يساري.

١. عفة القلب، هي امتلاؤه بالله محبوبه، فيعشق المؤمن الثالوث القدوس، ويتمتع بالشركة معه، وينعم بالنمو في النعمة، فينشغل فكره به، وتتجلّى صورة رب المجد يوماً فيوماً حتى نلتقي معه أبدياً.

❖ من يربك نفسه بأدوار غريبة عن التقوى لا يقدر أن يخدم الله<sup>١</sup>.

#### القديس باسيليوس الكبير

٢. عفة الجسد، هي تمتعه بالفكر الروحي، فلا يُستعبد لشهوة جسدية جنسية، ولا للنهم، ولا للانشغال بزينة الجسد المُبالغ فيها، بل يشتهي أن ينطلق كما إلى الجسد الروحي المُقدس والمُجدد، فلا يئن من دنسٍ ما، ولا يطلب إن أمكن حتى ما يبدو من الضروريات.

❖ من يريد أن يطيع الإنجيل، يلزمه أولاً أن يتطهر من كل أدناس الجسد والروح، حتى يكون مقبولاً لدى الله في أعمال القداسة الصالحة<sup>٢</sup>.

#### القديس باسيليوس الكبير

٣. عفة العينين، تنظران إلى كل شيء، فتراه طاهراً ونقيّاً، وتترقبان يوم اللقاء مع رب المجد وجهاً لوجه.

٤. عفة اللسان، فلا ينطق بكلمة بطالة لا نفع لها، بل بكل ما هو للبنيان.

٥. عفة بقيّة الحواس وكل أعضاء الجسم، ليتحرك كيان الإنسان في الطريق الحق، أي في المسيح يسوع طريقنا الأبدي، ولا يستطيع شيء ما أن يجتذبه إليه.

<sup>1</sup> *Morals, Rule, 2:1.*

<sup>2</sup> *Morals, Rule, 2:2.*

❖ من يتعلّق بأي شيء من هذه الحياة، أو يسمح بشيءٍ ما أن يسحبه، مهما كان بسيطاً لا يقدر أن يصير تلميذاً للرب<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

٦. عفة الوقت: يحرص المؤمن على كل لحظة من لحظات عمره، لتكون كل نسمةٍ من نسمات حياته مقدسة بالقدوس نفسه، مشتتياً أن تتطلق البشرية كلها إلى الحياة المتهللة في أحضان القدوس. ينظر إلى العفة أنها امتداد واكتمال للزهد، فالإنسان العفيف يسمو فوق غرائز الأهواء والشهوات. وهي تلد كل الفضائل. ويرى في العفيف جندياً صالحاً للمسيح، رفيقاً لتلاميذ المسيح القديسين<sup>٢</sup>.

### تحذير من عدم العفة وحث على اقتنائها

في السؤال ١٦ من القوانين المطوّلة، يجيب القديس باسيليوس على التساؤل إن كانت العفة ضرورية لمن يقود حياة دينية تقوية. وفي نفس الوقت يقدم لنا أمثلة خطيرة عن عدم العفة، كما يُقدّم أمثلة رائعة عن العفة.

من أمثلة عدم العفة الواردة في الكتاب المقدس:

١. تحذير سليمان من التتعم (أم ١٩ : ١٠).
٢. تحذير الرسول للمتعمّة (١ تي ٥ : ٦).
٣. مثل الغني الغبي الذي كان يتتعم " (لو ١٦ : ٢٥).
٤. أحد علامات الارتداد عدم النزاهة (٢ تي ٣ : ١-٢).
٥. باع عيسو باكوريته، من أجل وجبة طعامٍ واحدة (عدم العفة تك ٢٥ : ٣٣).
٦. أفسد آدم البشر بثمرة عدم العفة.

ومن أمثلة أصحاب العفة:

١. مثابرة موسى الطويلة في الصوم والصلاة (تث ٩ : ٩).
٢. بالتقشف (أو التعفف) حسب إيليا أهلاً لرؤية الله (١ مل ١٩ : ٨).
٣. بلغ دانيال التأمل في العجائب بعد أن صام واحداً وعشرين يوماً (دا ١٠ : ٣).
٤. غلب الثلاثة فتية قوة النار خلال العفة (دا ١ : ٨ الخ).
٥. قام كل منهج حياة يوحنا المعمدان على ممارسة العفة (مت ٣ : ٤).
٦. افتتح الرب نفسه خدمته العامة بممارسة الصوم (مت ٤ : ٢).

<sup>1</sup> *Morals, Rule, 2:3.*

<sup>2</sup> *Reg. Fus. 16: 1; 18: 1.*

❖ واضح أن ممارسة العفة أمر أساسي. أولاً، من حقيقة أن الرسول يحسب العفة ضمن ثمار الروح (غل ٥ : ٢٣).

ثانياً قوله إن الخدمة التي بلا نوم يمكن بلوغها خلال هذه الفضيلة بقوله: "في أتعاب، في أسهار، في أصوام، في طهارة" (٢ كو ٦ : ٥-٦).

وفي موضع آخر يقول: "في تعب وكد، في أسهار مرارًا كثيرة، في جوع وعطش، في أصوام مرارًا كثيرة" (٢ كو ١١ : ٢٧).

أيضًا يقول: "وكل من يجاهد يضبط نفسه في كل شيء" (١ كو ٩ : ٢٥).

تأديب الجسد وإخضاعه يمكن بلوغه بنجاح فقط عن طريق ممارسة العفة؛ فإنه بصعوبة يمكن ضبط الانفعالات الشبابية النارية التي تثب بواسطة العفة كما بلجام".

يقول سليمان: "التنعم لا يليق بالجاهل" (أم ١٩ : ١٠). أية جهالة أكثر من الجسد الذي ينغمس في الملذات، والشباب الذي يندفع إلى الشهوة!

لذلك يقول الرسول: "لا تصنعوا تدبيرًا للجسد لأجل الشهوات" (رو ١٣ : ١٤). وبطريقة مماثلة يقول: "وأما المتعممة، فقد ماتت وهي حية" (١ تي ٥ : ٦).

علاوة على هذا، مثل الغني الذي كان يتنعم، يبرز أهمية العفة بالنسبة لنا، فلا نسمع قط ما قيل للغني سوى: "إنك استوفيت خيراتك في حياتك" (لو ١٦ : ٢٥).

أيضًا أظهر الرسول كيف أن الانقياد للشهوات مميت، إذ حسبها من بين علامات الارتداد، حين قال: "في الأيام الأخيرة ستأتي أزمنة صعبة، لأن الناس يكونون محبين لأنفسهم" (٢ تي ٣ : ١-٢). بعد ذلك إذ يعدد أشكالاً كثيرة للإثم يضيف: "ثالبين (نمامين)، عديمي النزاهة (منقادين للشهوات)" (١ تي ٣ : ٣).

أيضًا إذ باع عيسو باكوريته من أجل وجبة طعام واحدة، أتهم بعدم العفة كأخطر الشرور (تك ٢٥ : ٣٣).

**العصيان الأول الذي أصاب البشر كان ثمرة عدم العفة.**

على العكس، فإن كل القديسين أشتهروا بالعفة. تمثلت حياة القديسين والمطوبين بالرب نفسه حين كان بيننا وهو في الجسد...

موسى خلال مثابرتة الطويلة في الصوم والصلاة (تث ٩ : ٩)، استلم الناموس، وسمع كلمات الله، وكان يكلمه كما يكلم رجل صاحبه، كما يقول الكتاب (خر ٣٣ : ١١).



حُسب إيليا أهلاً لرؤية الله عندما مارس التقشف (التعفف) بنفس الدرجة (١ مل ١٩ : ٨).  
وماذا عن دانيال؟ كيف بلغ التأمل في العجائب؟ أليس بعد أن صام واحدًا وعشرين  
يومًا (دا ١٠ : ٣)؟

وكيف غلب الثلاثة فتية قوة النار؟ أليس خلال العفة (دا ١ : ٨ الخ)؟  
أما يوحنا المعمدان، فقد قام كل منهج حياته على ممارسة العفة (مت ٣ : ٤).  
حتى الرب نفسه افتتح خدمته العامة بممارسة هذه الفضيلة (مت ٤ : ٢).  
على كل الأحوال، بالعفة لا يُمارس الامتناع التام عن الطعام (فإن هذا يحمل عنفًا في  
الحياة)، وإنما الامتناع عن الملذات الذي يهدف إلى إحباط شهوة الجسد بقصد تحقيق غاية  
التقوى.

بصفة عامة، نحن الذين نتعلم الحياة المُكرّسة، نرتبط بالامتناع عن تلك الملذات التي  
ينغمس فيها أولئك الذين يمارسون ذلك.

لذلك لا تقف ممارسة العفة فقط عند ملذات المائدة، بل تمتد أيضًا إلى تجنب كل ما يمثل  
عوائق لنا. فمن هو عفيف بالكمال، لا يضبط شهوة الأكل فقط، بينما يسقط فريسة لشهوة محبة  
الشهرة البشرية. إنه لا يقتني السيطرة على الشهوة المعيبة، ويتجاهل النصرة على تعلقه بالثروة،  
وأيضًا كل العواطف الأخرى الدنيئة، مثل الغضب والاكْتئاب وبقية الرذائل التي اعتادت أن  
تستعبد النفوس العديمة الخبرة.

بالحقيقة، إننا نلاحظ أن كل الوصايا - وهذه على وجه الخصوص - أي العفة، متداخلة  
فيما بينها، فغالبًا ما يستحيل حفظ وصية في معزلٍ عن وصيةٍ أخرى.  
هكذا فإن العفيف في المجد الزمني متواضع، ويبلغ المستوى الإنجيلي في الفقر من كان  
مسيطرًا على ذاته في الخيرات الزمنية.

والذي يُمارس ضبط نفسه من الغيظ والاستياء يمتنع عن الغضب.  
أيضًا تضع العفة الكاملة حدودًا للسان، وحواجز للعينين، وتحفظ الأذنين من الفضول عند  
استخدامهما للسمع.

أي إنسانٍ لا يراعي هذه التحفظات يكون غير عفيفٍ ولا منضبطٍ.  
الآن ترى كيف أن كل الوصايا الأخرى تتجمع حول هذه الوصية الواحدة وتتدمج  
معها؟<sup>١</sup>

القديس باسيليوس الكبير

<sup>١</sup> Reg. Fus. 16.

## العفة والاعتدال

من أجل السلوك بلياقةٍ وترتيب (١ كو ١٤ : ٤٠) وضعت الكنيسة نظامًا عامًا خاصًا بالأصوام والميطانيات والسهر... الخ، غير أنها تطالب قادة الكنيسة عدم تنفيذ هذا النظام في جمودٍ، إذ يجب مراعاة سن الشخص وقدراته الجسمية والظروف التي تحيط به. فإن بالغ الشخص عن ما يناسب إمكانياته حتى يتسبب في عجزه عن ممارسة الوصية، تفسد هذه المبالغة عفة الشخص، لأنه يعتد بإرادته الذاتية، متجاهلاً إرادة الرب ووصيته.

❖ سؤال: إن كان أحد يريد ممارسة ضبط النفس أكثر من قدرته، حتى خلال نسكه الزائد يُعاقب عن ممارسة الوصية التي أمامه، فهل يُسمح له بذلك؟

الإجابة: هذا السؤال يظهر لي أنه لم يوضع بطريقة حسنة. فإن ضبط النفس لا يتوقف على الامتناع من الطعام بطريقة غير مقبولة ليكون صارمًا على الجسم (كو ٢ : ٢٣)؛ هذا أدانه الرسول. إنما يتحقق بالانسحاب الكامل عن الإرادة الذاتية.

يا لعظم الخطورة على الإنسان الذي بممارسته لإرادته الذاتية ينحرف عن إرادة الرب. هذا واضح من كلمات الرسول: "عاملين مشيئات الجسد والأفكار، وكنا بالطبيعية أبناء الغضب" (أف ٢ : ٣).<sup>١</sup>

القديس باسيليوس الكبير

### عفة المشاعر (انضباط الضحك والتميز بين الرقص الروحي والرقص الماجن)

في "الأحكام المطولة" جاء السؤال ١٧ بخصوص الضحك، وقد أوضح القديس باسيليوس الآتي:

١. ضرورة التمييز بين الضحك المفسد الذي يكشف عن التسبب الداخلي وفراغ القلب والضحك بمعنى فرح النفس وتهليلها بالله الذي يكشف عن تمتع المؤمن بعربون السماء والشركة مع السمائيين في حياتهم المطوية.

٢. يختم القديس باسيليوس الكبير حديثه عن الضحك المفسد والضحك الداخلي الروحي بالحديث عن العفة. وكأنه يؤكد أن الضحك المفسد هو ثمرة عدم ضبط المشاعر وعدم تقديسها، أي عدم التمتع بالعفة الداخلية، التي تنطلق بالنفس إلى فرح الروح، وتذوق عربون السماء، عوض التسبب والفراغ الداخلي.

<sup>1</sup> *Regulae brevius tractatae, 128.*

٣. الضحك المُفسد يكشف عن عدم المبالاة بهلاك الكثيرين الضالين عن طريق الحق،  
وإصرار إلى الله من أجل رجوعهم إلى طريق الخلاص.

❖ يلزم هؤلاء الذين يعيشون تحت التأديب (انضباط النفس) تجنب الأعمال المفرطة بكل حرص،  
والتي يُنظر إليها بصفة عامة كأمرٍ هيّن. فالانغماس في الضحك بطريقة غير منضبطة ومُبَالغ  
فيها، علامة على الإدمان، ونقص ضبط مشاعر الإنسان، والفشل في قمع طيش النفس بتعقلٍ  
حازم.

على كل الأحوال، إنه ليس بالأمر غير اللائق أن نشهد عن بهجة النفس بابتسامة  
مبهجة، إن كانت فقط تحقق ما هو مكتوب: "القلب الفرحان يجعل الوجه طلقًا" (أم ١٥ : ١٣).  
أمّا الضحك الأَجش (الصاخب)، والذي بلا ضبط لحركات الجسم، فلا يشير إلى نفس متزنة أو  
عن وقارٍ شخصيٍّ أو من يسود على نفسه.

هذا النوع من الضحك يشجبه سفر الجامعة، خاصة بكونه مدمرٌ لثبات النفس، وذلك  
بالكلمات: "للضحك قلت خطأ (مجنون)" (جا ٢ : ٢). مرة أخرى: "كصوت الشوك تحت القدر،  
هكذا ضحك الجهلاء" (جا ٧ : ٦). علاوة على هذا، يظهر الرب كمختبرٍ لهذه العواطف  
الضرورية الملازمة للجسم، كما أيضًا تلك التي ترتبط بالفضيلة، كمثال حزنه على المتألمين  
والحنو عليهم، ولكن كما نعلم من الإنجيل أنه لم يضحك قط. على العكس أعلن عن الذين  
يستسلمون للضحك أنهم بؤساء (لو ٦ : ٢٥).

ليتنا لا نسمح للمفهوم المعيب لكلمة الضحك أن تخدعنا إذ لها معنيان. فكثيرًا ما  
تستخدمها الأسفار المقدسة عن فرح الروح وبهجة المشاعر التي تتبع الأعمال الصالحة.

كمثالٍ تقول سارة: "قد صنع إليّ الله ضحكًا" (تك ٢١ : ٦ LXX). ويوجد قول آخر:  
"طوباكم أيها الباكون الآن، لأنكم ستضحكون" (لو ٦ : ٢١). بطريقة مماثلة كلمات أيوب:  
"عندما يملأ فاك ضحكًا" (أي ٨ : ٢١ LXX). كل هذه الشواهد للبهجة تشير إلى بهجة النفس  
عوض المرح الصاخب. لذلك من يكون سيدًا لكل هوى ولا يشعر بهياجٍ في اللذة، أو على الأقل  
لا يظهر تعبيرات خارجية، بل يميل إلى ضبط كل لذةٍ ضارةٍ بحزمٍ، مثل هذا فهو عفيف كامل،  
وهو في نفس الوقت متحرر من الخطية تمامًا...

علاوة على هذا، يمتنع حتى عن أعمالٍ مسموح بها وضرورية، عندما يكون هذا الامتناع  
لنفع القريب. هذا يقوله الرسول: "إن كان طعام يُعثر أخِي، فلن آكل لحمًا"  
(١ كو ٨ : ١٣). ومع أنه استطاع أن يقتني حياته للكراسة بالإنجيل، لم ينتفع بحقه هذا حتى  
لا يوجد أي عائق لإنجيل المسيح (١ كو ٩ : ١٢).

العفة إذن تحطم الخطية، وتقمي الأهواء، وتميت الجسد حتى بالنسبة لانفعالاته وشهواته الطبيعية. إنها تشير إلى بداية الحياة الروحية، وتقودنا إلى البركات الأبدية، وتطفئ في داخلها الرغبة في اللذة.

اللذة بالحقيقة هي إغراء خاص شرير، خلاله غالبًا ما نخطئ نحن البشر، وبه تُسحب كل النفس لتحطيمها كما بصنارة. لهذا من لا يُغلب أو يضعف بواسطتها يتجنب كل خطية خلال ممارسة العفة.

إن كان إنسان غالبًا ما يهرب من كل إغراءات الخطية، لكنه يسقط فريسة لواحدة منها، فمثل هذا الإنسان ليس عفيفًا، إنما يكون كمن فقد صحته بسبب مرضٍ واحدٍ جسدي. فمن يسقط تحت سلطان شخصٍ واحدٍ أيا كان هذا الواحد، ليس بحرٍ.

أضف إلى ذلك، كل الفضائل الأخرى تُمارس سرًا ونادرًا ما تُعرض على البشر، أمّا العفة فتكشف عن ذاتها، ما أن تلتقي بإنسانٍ حتى يُمارسها.

كما أن الامتلاء جسمانيًا هو لون من الصحة يدل على أنه مصارع، هكذا فإن هزال الجسد وشحوب الوجه الذي يحدث بممارسة العفة هو علامة المسيحي، فإنه هو المصارع الحقيقي في وصايا المسيح في ضعف الجسم، يغلب مصارعه، ويكشف عن بطولته في نضاله من أجل التقوى، وذلك حسب الكلمات: "لأنني حينما أنا ضعيف، فحينئذ أنا قوي" (٢ كو ١٢: ١٠).

هكذا من النافع لنا مجرد أن نرى إنسانًا عفيفًا يستخدم الضروريات في بساطة واقتصاد، خادمًا الطبيعة، كما لو كان ذلك واجبًا ثقيلًا، مستكثرًا الوقت الذي يقضيه فيه، فيقوم من المائدة بسرعة، مشتاقًا إلى العمل.

أظن أنه ليست عظة يمكن تلمس نفس من كانت شهيتته للطعام غير منضبطة وتسبب تغييرًا له مثل لقائه مع إنسانٍ عفيفٍ. بالحقيقة علة التزامنا أن نأكل ونشرب هو أن نمجد الله (١ كو ١٠: ٣١)، وذلك بأن تشرق أعمالنا الصالحة على المائدة لمجد أبينا الذي في السماوات (مت ٥: ١٦)<sup>١</sup>.

❖ يلزمه أن يحجم عن المرح الصاخب والسُكر، ولا يتعامل مع الاهتمامات العلمانية، ولا في حوارٍ بخداعٍ، ولا ينطق بكلمةٍ ضد أحدٍ، ولا ينشر إشاعات، ولا يجد لذة في الاستماع لها<sup>٢</sup>.

<sup>1</sup> Reg. Fus. 17.

<sup>2</sup> A Discourse on Ascetical Discipline, (Frs. Of the Church. volume 9, p. 34).



❖ سؤال: هل لا يُسمح بالضحك تمامًا؟

الإجابة: إذ يدين الرب الذين يضحكون الآن (لو ٦ : ٢٥)، واضح أنه بالنسبة للنفس الأمينة لن يكون لها وقت للضحك، خاصة أنه يوجد كثيرون يعصون الناموس ويهينون الله (رو ٢ : ٢٣)، ويموتون في خطاياهم (يو ٨ : ٢٤)، هؤلاء الذين يليق بالإنسان أن يحزن عليهم ويتهد بلا انقطاع<sup>١</sup>.

### القديس باسيليوس الكبير

يميز القديس باسيليوس الكبير أيضًا بين الرقص الروحي العفيف والرقص الماجن غير العفيف، فيحسب الفرحة السماوي الأبدية رقصًا مقدسًا، إذ يقول: [فوق هذا كله ليراعي كلمات الرسول: "إن آلام الزمان الحاضر لا تُقاس بالمجد العتيد أن يُستعلن فينا" (رو ٨ : ١٨)، وتوقع الإعلان مع داود من أجل الذين يحفظون الوصايا توجد مكافأة عظيمة (مز ١٩ : ١٢)، وجزاء وأكاليل البرّ، والسكنى الأبدية، والحياة التي بلا نهاية، والفرح غير المنطوق به، والمواضع غير الزائلة مع الآب والابن والروح القدس، الذي هو الله الحق في السماء، واللقاء وجهًا لوجه، والرقص مع الملائكة والآباء والبطاركة والأنبياء والرسل والشهداء نُحصى مع هؤلاء بنعمة ربنا يسوع المسيح الذي له السلطان والمجد إلى أبد الأبد. آمين.]

أما عن الرقص غير العفيف فيقول:

❖ نحن الذين نختر ضبط النفس حسب الشريعة عوض الملذات المتسببة، ونستبدل آلات العزف وجوقات (الرقص) والسُكر بالمزامير والصوم والصلاة<sup>٢</sup>.

❖ هنا نتمسك برفاهيات الجسد، حيث الاستعباد للجسد بالسُكر، وهناك بالصوم.

هنا الضحك غير المنضبط، وهناك الدموع الوفيرة.

في هذه الحياة الرقص، وفي تلك الصلاة...

هنا التسبب وهناك البتولية<sup>٣</sup>.

### القديس باسيليوس الكبير

<sup>1</sup> *Regulae brevius tractatae*, 31.

<sup>2</sup> *Homily 20:2, A Psalm of David on Hope in Defeat (On Ps 59 LXX)*.

<sup>3</sup> *Homily 10 on Psalm, 5*.

## بين العفة أو ضبط النفس *contenance* والشبع بالرب!

في رسالة مختصرة لأحد الرهبان سجل لنا القديس باسيليوس مفهومًا عميقًا وإيجابيًا للعفة أو ما يُدعى ضبط النفس *contenance*.

عندما نتحدث عن العفة غالبًا ما نقصد رفض الشهوات الجسدية فحسب، لذا نقف أحيانًا في دهشةٍ عندما نسمع عن إنسانٍ شيخٍ، لا يشغل نفسه أو حواسه بأمور مثيرة، ومع ذلك يعاني من حروب الشهوة، ويبدو كمن هو عاجزٍ عن ضبط حواسه وعواطفه وأفكاره وأحلامه. هذا ما يدفعنا كثيرًا أن نتوقف عند التداريب السلبية التي لا تثير الشهوات. أما القديس باسيليوس، فيرى في العفة شبعًا داخليًا في النفس، فلا يطلب شيئًا خارجًا عنه، وهي بهذا تجعل المؤمن أشبه بأيقونة الله الكامل الذي لا يحتاج إلى شيءٍ، بل فيه كل الشبع، يعطي ولا يشتهي أن يأخذ من بشرٍ.

يرى القديس باسيليوس أن كمال الله فيه، لذا فهو ينبوع كل حبٍ وفرحٍ وسلامٍ الخ! يدعو القديس باسيليوس رب المجد "العفة"، فإن من يقتنيه في أعماقه تشبع نفسه، ولا تطلب شيئًا، لأن ملكوت الله فيه (لو ١٧ : ٢١).

في هذا يلتقي مع العلامة أوريجينوس الذي يرى أن الفضائل جميعها هي جوانب متباينة من المسيح الساكن فينا. يبعث فينا من حبه وفرحه وسلامه وكماله وشبعه ووداعته وتواضعه ... الخ، فتصير لنا شركة الطبيعة الإلهية (٢ بط ١ : ٤). فما نحمله من سمات مقدسة، إنما هي نعمة إلهية، هي عمل رب المجد يسوع فينا كأعضاءٍ في جسده. بهذا فالإنسان العفيف هو من يقتني الثالوث القدوس الذي يملأ قلبه وكل كيانه!

لا نعجب إن رأينا القديس يتطلع إلى من يسرُّ أو يُصاب بداء النهم أو يشتهي الكماليات أنه غير عفيف!

العفيف، وقد تمتع بالاتحاد مع ربنا يصير في رفقته، يكون كمن يتذوق عربون السماء وهو بعد بالجسد على الأرض. ولعل هذا ما دعا الكثير من آباء الكنيسة أن يتطلعوا إلى الحياة الرهبانية كحياة ملائكية سماوية. ويرى القديس يوحنا الذهبي الفم أن رب المجد يسوع جاء لكي يقيم من الأرض سماءً، ومن البشر ملائكة!

## معايير العفة وضبط النفس

مع اتسام النظام الباسيلي بالحزم يُقدّم لنا خلال خبرته العملية معايير للعفة بكونها ضبط النفس، يمكن إيجازها في الآتي:

١. كمبدأ عام يلزم الامتناع عن كل ما يُسبّب لذّة ضارة سواء للجسد أو النفس. بهذا يرى أنه يليق بالمؤمن أن يكون حكيماً، فلا يظن أن بُنيان النفس يقوم على تحطيم الجسد أو الإضرار به، كما لا يجوز أن يقوم الاهتمام بالصحة الجسدية على تجاهل النفس وخلصها.

٢. لا يوجد قانون جامد تلتزم به مدرسة التكريس، سواء كان الذي يُكرّس حياته للرب من الشعب أو كاهناً أو راهباً أو متوحّداً. لا يليق وضع قانون واحد لممارسة ضبط النفس، ولا يُقلّد إنسان شخصاً ما بغير حكمة وتمييز، إذ لا يوجد قالب واحد للعفة يتشكّل به الجميع.

٣. يليق بالقائد الروحي أن يُراعي ظروف من هو تحت إرشاده، سواء من جهة صحّته أو قدراته الفكرية أو مواهبه.

٤. لا يليق بالمؤمن أن يقيم من الأمور الزمنية مهما كانت ضرورية كالطعام إلهاً يتعبّد له.

٥. لا يجوز للمؤمن في محبّته لإخوته وسخائه أن يضرّ الآخرين. مثال ذلك: لم يُقدّم رب المجد للجموع أكثر من صنفٍ واحدٍ لإشباعهم، إنما قدّم لهم سمكاً صغيراً، ولم يُقدّم لهم خمراً بل ماءً للشرب. وهكذا في البرية قدّم الرب لشعبه لمدة أربعين عاماً من السماء وماءً من الصخرة. غير أنه بسبب مرض تيموثاوس سمح الرسول له بالخمير كعلاج لمعدته وليس للترف واللذّة.

٦. لا يجوز للمؤمن أن يبحث في سدّ احتياجاته بتكلفةٍ مُبالغ فيها، ولا يطلب ما يصعب الحصول عليه، إلا إذا كان لعلاج مرضٍ. كما لا يطلب ما يُسبّب ارتباكاً وإزعاجاً للآخرين.

❖ للعفة قانون واحد: الامتناع التام عن كل ما يميل إلى اللذّة الضارة.

بالنسبة للطعام تختلف الاحتياجات الفردية حسب السن والوظيفة والظروف البدنية على التوالي. هكذا أيضاً تختلف طريقة استخدامه والكمية. لهذا لا يمكن وضع قانون واحد يلتزم به كل من هم في مدرسة الحياة المُكرّسة.

بالنسبة للنسّاك الذين بصحة جيّدة، ففي الوضع الطبيعي نسمح بالتباين المناسب الذي يراه الرؤساء، حسب ظروف كل واحد. فلا يمكن لمقالٍ واحد أن يغطّي حالة كل شخص، إنما الأمر قابل للتعديل حسب التعليم العام.

بالنسبة للطعام الذي يُقدّم لمرضى لراحتهم، أو لمن له وضعه الاستثنائي بسبب عملٍ مُرهق، أو من يُعدّ لعملٍ شاقٍّ مثل القيام برحلة أو أي عملٍ آخر، يُحدّد الرؤساء ما هي احتياجاته، بما يتناسب مع القول: "كما يكون لكل واحدٍ احتياجٍ" (أع ٢: ٤٥).

كما يستحيل وضع قانون عام للجميع من جهة الزمن (الخاص بالطعام)، وأيضًا الطريقة التي يتناول بها الطعام وكميته. امتلاء المعدة حتى الشبع وإثقالها بالطعام، عمل غير مقبول، كقول الرب: "ويل لكم أيها الشبّاعى" (لو ٦: ٢٥).

بجانب هذا، كل زيادة في الطعام تجعل الجسم في وخمٍ غير قادرٍ على العمل، بل يميل إلى النوم، ومعرّض للأذية. يجب التأكيد أن غاية أخذ الطعام، ليس التمتع باللذّة، إنما مُساندة المعيشة للذين يرفضون الملذّات المفرطة.

أن يصير الإنسان عبدًا لملذّات المائدة، معناه أنه يجعل من مائدته إلهاً له.

حيث أن معدتنا دائماً تفرغ وتشتتّف، فهي تحتاج أن تمتلئ. لهذا فإن شهيتنا للطعام أمر طبيعي، والسبب حقيقي ثملي علينا الحاجة إلى طعام، حتى نتزوّد بطعامٍ جافٍّ أو رطبٍ كحاجةٍ ملزمة، نستخدمها لتسند حياتنا الجسمية (الحيوانية).

لذلك يلزم أن نحسب ما هو لازم أن يُشبع احتياجنا بأقل تعبٍ ممكن. هذا ما شهد عنه الرب نفسه عندما استضاف الجمهور المُرهق، لئلاّ يخوّروا في الطريق كما هو مكتوب (مت ١٥: ٣٢). مع أنه كان في استطاعته أن يزوّدهم بمعجزة في البريّة بأطعمةٍ ثمينة، لكنه أعدّ لهم مائدة اقتصادية مُبسّطة، قدّم لهم خُبزًا من الشعير، وبجانب الخبز قليل من السمك الصغير (يو ٦: ٩). ولم يشر إلى مشروبات، إذ كان الماء الذي قدّمته لهم الطبيعة كافيًا لإروائهم.

لكن حسب نصيحة بولس لتيموثاوس، رُفض هذا المشروب (الماء) إن كان مُضرًا لأحد بسبب ضعف جسماني (١ تي ٥: ٢٣). بالحقيقة، لا يستخدم شيء ما مادام كان مُضرًا، فإنه ليس من المعقول استعمال طعامٍ للذّية، إن كان استخدامه يُسبّب ضررًا للجسم، ويعوق تحقيق الهدف.

هذا المبدأ عينه يجب مراعاته بالنسبة للذهن، إذ يجب أن يمتنع عن ما هو مُضر، مهما كان جذابًا.



علاوة على هذا يلزمنا أن نفضل بكل وسيلة ما يمكن الحصول عليه بأكثر سهولة، ولا نشغل أنفسنا بأمور تُكَلِّفنا الكثير، ولا نطلب الحصول على أطعمة مُبالغ فيها مع صلصات باهظة التكلفة بذريعة ضبط النفس. على العكس، يلزمنا أن نختار ما يمكن الحصول عليه بسهولة في أي مكان، ويكون رخيصًا، ومُتاحًا للعامة، فنستورد فقط ما هو ضروري لیسند الحياة مثل زيت الزيتون وما أشبه ذلك. بالإضافة إلى ذلك، إن وُجد شيء نافع لشفاء المرضى، فهذا أيضًا يُسمح به، إن كان يمكن الحصول عليه بدون صعوبة أو إزعاج، أو ارتباك<sup>1</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## المعمودية وطهارة الجسد والنفس

في رسالته إلى بالاديوس عند عماده، يكشف القديس باسيليوس عن عطية الطهارة التي يُقدِّمها الرب للجسد والنفس.

إذ يدرك المؤمن ما قد تمتع به من زينة عظمى في سرِّ المعمودية، حيث صار لجسده حق التمتع بالمجد الأبدي مع نفسه، فيرتدي الخلود عوض الموت والفساد، تصير الخطية غريبة عنه، والعفة في متناول يده، بكونها عطية إلهية لمن يسألها ويعتز بها.

يرى القديس باسيليوس في التمتع بالبنوة لله خلال المعمودية، صارت أبواب السماء مفتوحة، والقصر السماوي مُعدَّ له، فلا يحسب العفة أمرًا غريبًا أو مستحيلًا.

صارت العفة كنزًا ملوكيًا يليق بالمؤمن أن يحتضنه ويحفظه، أو ثوبًا مُنيرًا يلتحف به.

❖ الآن أشتاق أن أراك بالأكثر، خصوصًا بعدما سمعت أنك قد تزينت بتلك الزينة العظمى، وثوب الخلود الذي إذ يُغطي موتنا، قادر أن يهدِّب أجسادنا الفانية، إذ يُبتلع الموت في عدم الفساد. إنك قد أصبحت بصلاح الله واحدًا من المُقَرَّبِينَ، إذ تغرَّبت عن الخطية، وفتح الله لك أبواب القصر السماوي، وأراك الطريق الذي يُوَدِّي إلى هذا النعيم السماوي، وأنا أدعوك يا من تفوقت في الحكمة أن تفرح بهذه النعمة وتفكر فيها، وتتنظر إليها حتى تحرس هذا الكنز الملوكي، الذي أوُتمنت عليه بالعناية التي يستحقها، فإذا حافظت على هذا الختم سليمًا حتى النهاية ستقف عن يمين الله، فستبرق مُضيئًا في وسط بهاء القديسين، بدون أي تشويه أو فساد على أعضائك.

<sup>1</sup> Reg. Fus. 19.

احفظ أعضائك التي تقدّست، إذ لبست المسيح له المجد، لأنه قيل: "كلّم الذين اعتمدتم للمسيح قد لبستم المسيح" (غل ٣: ٢٧)، فيا ليت كل أعضائك تكون مقدّسة حتى تستحق أن تتغطى بهذا الثوب المقدّس النوراني<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## العفة وتجنّب العثرات

كمثالٍ يوضّح القديس باسيليوس الكبير لنا في إحدى رسائله كيف يُحارب الشيطان حتى الراهب ليفسد عقته، مُظهرًا له أن يعيش في الصحراء كمَن لا دور له في الحياة. إذ يُقدّم الحُب للمؤمن إمكانيات فائقة للتمتّع بالعفة وطهارة النفس والجسد، يليق بالمؤمن أن يتجاوب مع هذه الإمكانيات. فالرب من جانبه يُقدّم حُبّه ويفتح لنا الباب، ونحن من جانبنا لا نقف في تهاونٍ وخمولٍ وعدم مُبالاةٍ، إنما يلزمنا الآتي:

١. نجاهد بالنعمة الموهوبة لنا بروح الرجاء والفرح. فنحسب جهادنا ليس عملاً ثقيلاً، إنما فرصة رائعة للتمتّع بالعمل الإلهي فينا وينا.
٢. في جهادنا لا تفارق الأمجاد السماوية أعيننا، حاسبين أن الله أعدّ لنا موضعًا مع قديسيه.
٣. مع محاولة عدو الخير تحطيمنا، نتطلّع إلى الكفة الراجعة، ألا وهي عمل الله الفائق.
٤. يليق بنا أن نعرف حيل عدو الخير الذي يلذّ له أن يحطّمنا باليأس.
٥. يدعونا القديس باسيليوس للدراسة المُستمرة للأسفار الإلهية التي تقدّم لنا أمثلة عملية نقندي بها، مثل يوسف العفيف.

❖ تجنّب المُلذّات، واطلب العفة؛ درّب جسمك على العمل الشاق؛ عوّد نفسك على الجهاد. بخصوص تحرير النفس والجسد من كل شرٍّ، ترقّب التمتع بالخيرات الأبدية التي يشترك فيها كل القديسين.

احذر كل اقتراح يلقيه الشيطان خلال فكر (يبدو) مقدّسًا، وانظر إلى الكفة الراجعة. فوق هذا كله، عندما يبدأ الفكر الشرير يقول: ما هو النفع الذي يعود عليك بعبورك الحياة في هذا الموضع (الدير)؟ ما الذي تنتفع به من انسحابك من المجتمع البشري؟... إنك تجلس هنا في موضع قفرٍ مثل الوحوش... لهذا السبب هجرت إلى التلال مثل طائرٍ؛ هربت كما من فخ الصيادين.

<sup>١</sup> ترجمة أبناء البابا كيرلس السادس، ١٩٩٦ *Basil the Great: Gateway to Paradise.; Letter 242 to Palladius*

أيها الفكر الشرير، إنني أعيش في البرية التي عاش فيها الرب.  
هنا توجد بلوطات ممرا (تك ١٣ : ١٨)،  
هنا السلم الذي يصعد إلى السماء (تك ٢٨ : ١٢)،  
هنا حصن الملائكة الذين رأهم يعقوب<sup>١</sup>.

❖ دراسة الأسفار الموحى بها هي الطريق الرئيسي لننلمس واجبنا، إذ نجد فيها التعاليم عن سلوك المطوبين وحياتهم، مُسجّلة كتابةً، إذ يتسمون صورة الحياة التقوية من أجل الاقتداء بأعمالهم الصالحة. لهذا فإن مَنْ يشعر في نفسه أنه ضعيف، فليُكرّس نفسه للاقتداء بهم، فيجد الدواء المناسب لمرضه كما في مستشفى.

من تفتته العفة، فليبتلع إلى تاريخ يوسف، ويتعلّم أعماله العفيفة، فيقتني ليس فقط ضبط النفس على اللذة، بل يعتاد أن يقتني ذهنًا فاضلاً<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## خطورة فقدان العفة!

نستطيع أن ننلمس مشاعر القديس من جهة فقدان نذر العفة من رسالة وجهها إلى راهب سقط في الزنا<sup>٣</sup>.

❖ انتابني دُعر مزدوج في أعماق قلبي ذاته، وأنت هو السبب!...  
عندما أمسكت بالقلم لكي أكتب، أصاب يديّ عصبية لا إرادية كرد فعل، واكتأب وجهي بسبب حزني عليك. لم تكن فيّ قوة حتى أتغير. غطّاني العار من أجلك، وتحركت شفّاتي في حدادٍ، وللغور سقط فمي.

يا لمرارتي؟! ماذا أكتب؟ كيف أفكر في ارتبائي؟!...  
أذنيّ مجروحتان باتهامك بالزنا، الذي طار أسرع من السهم، ومزّق قلبي بوخزة حادة للغاية...

كم من شباك للشيطان مُتشابكة حلّت عليك، وأفسدت قوة فضيلتك؟  
ماذا صارت إليه قصة أتعابك؟!...

<sup>1</sup> Letter 42.

<sup>2</sup> Letter 2:3.

<sup>3</sup> Letter 45 to a Lapsed Monk, 1-2.

لقد سببت خزيًا لنذر العفة... لقد حطمت افتخار المسيح القائل: "افرحوا، أنا غلبت العالم  
(يو ١٦ : ٣٣) ورئيسه!

لقد مزجت لبلدك سُمعة رديئة<sup>١</sup>.

### القديس باسيليوس الكبير

لم يكن يتصور القديس باسيليوس كيف يمكن لمؤمن أن يسقط في خطية الزنا، لهذا كان  
مُتشدّدًا للغاية بالنسبة لمن يسقط فيها. كمثال كان يطلب من الشماسة التي تسقط في الخطية مع  
شخصٍ وثني أن تُحرم من تناول بعد توبتها لمدة سبع سنوات<sup>٢</sup>.

إذ فقد الإنسان بعصيانته لخالقه القدوس ما كان عليه كصورة الله ومثاله، لم يكن ممكنًا أن  
يسترد ذلك بدون عمل الخالق القدوس. تجسّد كلمة الله القدوس، وقدم للبشرية الخلاص ممّا حلّ  
بالإنسان من فساد مع استرداده صورة القداسة التي حُرِم منها.

في تفسير القديس باسيليوس الكبير لكلمات سمعان الشيخ عن الطفل يسوع: "قد وُضِع لسقوط  
وقيام كثيرين في إسرائيل" (لو ٢ : ٣٤)، يرى أن السقوط والقيام يتم لنفس الشخص، فتسقط أعمال  
إنسانه العتيق، وتقوم أعمال الإنسان الجديد الذي على صورة خالقه.

خلال عمل-المسيح الخلاصي يسقط فينا الشر، ولا يجد له موضعًا داخلنا، وتقوم فينا أعمال  
برّ المسيح. يسقط الزنا فلا يتسلّل إلينا، وتقوم العفة التي هي عمل الله فينا.

❖ في نظري أن الرب قد وُضِع لسقوط وقيام كثيرين، ليس لأن البعض يسقطون وآخرون يقومون،  
لأنه يسقط فينا نحن ما يُقهر، ويقوم فينا ما هو أفضل.

مجيء الرب مُحطّم للشهوات الجسدية، وقيام للسّمات اللائقة بالنفس. وذلك كما يقول  
بولس: حين أنا ضعيف، فأنا قوي (٢ كو ١٢ : ١٠).

الإنسان نفسه ضعيف وقوي. لكنه، ضعيف في الجسد، وقوي في الروح.

هكذا فإن الرب لا يُعطي للبعض فرصًا للسقوط، ولآخرين فرصًا للقيام.

هؤلاء الذين يسقطون، إنما يسقطون من موقع كانوا فيه واقفين. لكن من الواضح أن  
الإنسان الخائن لا يقف قط، إنما دائمًا يُسحب على الأرض مع الحية التي يتبعها. إنه لا يوجد  
واقفًا في موضع يسقط منه، لأنه هو ساقط بالفعل بعدم إيمانه...

<sup>1</sup> Letter 45 to a Lapsed Monk, 1-2.

<sup>2</sup> Letter 199, canon 44.



ليسقط فينا ما هو شرّ، ليجد ما هو أفضل الفرص ليقوم. فإن سقط الزنا تقوم الطهارة (العفة). فإن لم يتحطّم جنوننا، لن يكمل عقلنا. بهذا المعنى يسقط ويقوم كثيرون<sup>1</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## العفة والاتحاد مع الله

إن كان مسيحنا قد جاء لكي يسقط فينا الشرّ، ويقوم فينا برّه، يليق بنا أن نقبل الاتحاد معه، فنمارس حياة العفة والطهارة.

رأينا أننا بالمعمودية نرتدي ثوب الطهارة والقداسة المُنير، يبقى هذا الثوب بهيّا ما دمنا مُلتصقين بالرب، مُتمتعين بانعكاس بهائه علينا. هذا ما دفع القديس باسيليوس أن يتحدّث عن الله كأنه هو العفة عينها. من يقتنيه لا يطيق الفساد، ولا يستعذب بعد الخطية، بل ولا يشتهي شيئاً من الزمنيات.

❖ ثمرة العفة هي الصحبة مع الله. فمن أجل عدم الفساد، كُنْ في رفقة الله، وذلك كما أن الفساد هو رفقة مع العالم.

العفة هي جحد للجسد، اعتراف لله.

العفة هي انسحاب من كل ما هو قابل للموت، كالجسد الذي يقتني روح الله.

العفة تجعلنا نتحد مع الله ولا نحسد.

مَنْ له شهوات الجسد يحسد غيره.

مَنْ لا يقبل في قلبه مرض الفساد، يكون في المستقبل قوياً بما فيه الكفاية، فيحتمل أية

متاعب، حتى إن مات بالجسد يحيا في عدم الفساد.

بالحقيقة، إن كنت أدرك الأمر حقاً، يبدو لي كأن الله هو العفة، إذ لا يشتهي شيئاً، إنما

كفايته في ذاته. لا ينقصه شيء، ولا يطلب بلوغ شيء، ولا تشتتهي عيناه وأذناه شيئاً. هو كامل

في ذاته وتامّ.

الشهوة الجنسية مرض يصيب نفسي، وأما العفة فهي صحتها.

يجب ألا يُنظر إلى العفة بكونها صورة ذهنية فحسب، كما في أمور الحب الحسي. إنما

يلزم أن يُحسب (الحب الحسي) من بين شهوات النفس كأمرٍ شريرٍ، بكونه غير مكثفي بما

يحتاج إليه.

<sup>1</sup> Letter 260: 7.

فالجسد يحسد من أجل طلب الذهب، ويرتكب أخطاء لا حصر لها من أجل شهوات أخرى.

فحين يكون الإنسان سكرانًا، لا يُحسَب عفيفًا.

من يأكل أكثر من اللازم، لا يحسب عفيفًا.

عندما تُضَعِج الجسد يُحسَب ذلك عفةً، وأيضًا إخضاع الأفكار الشريرة عندما تكون النفس مضطربة بأي أمرٍ وهمي باطل وشرير، ويكون القلب مرتبًا باهتمامات باطلة.

العفة تجعل الإنسان حُرًّا، فهي دواء، وفي نفس الوقت قوة. إنها لا تُعَلِّم بالقناعة، إنما تهب

القناعة.

العفة نعمة من الله، بدا أن يسوع هو العفة، عندما أثار الأرض والبحر، إذ لم تحمله الأرض، ولا المحيط، عندما سار على البحر، ولم يتقل على الأرض<sup>1</sup>.

❖ ذاك الذي هو فوق كل هوى، ولا يشعر بأية إغراءات للشهوة، ولا حتى إلى ميل غادر، إنما يسلك بشجاعة وثباتٍ في كل الملذات الحسية المعيبة، فهذا عفيف كامل<sup>2</sup>.

❖ العفة هي امتناع عن الملذات، التي تهدف نحو السيطرة على الجسد المتشامخ وبلوغ هدف التقوى<sup>3</sup>.

❖ العفيف في الرغبة في الكرامة، هو أيضًا متواضع. والعفيف في الغنى قانع، ويُحقِّق قياس الإنجيل في الفقر.

الذي يتحكَّم في السخط والغضب هو لطيف.

بالحق ملاحظة العفة الحقيقية تضبط اللسان، وتضع حدًّا للعينين، وتطهر الأذنين من سماع النميمة بحب استطلاع. أما من لا يحفظ هذا كله، فهو جامع وليس عفيفًا<sup>4</sup>.

❖ إن تجنَّب إنسان الخطايا العظمى وانهزم في واحدة، فهو ليس عفيفًا<sup>5</sup>.

❖ الكامل في عفته بكل وضوح هو متحرِّر من كل خطية... العفة ينبوع الحياة الروحية، تجذب إلينا البركات الأبدية<sup>6</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>1</sup> Letter 366.

<sup>2</sup> Reg. Fus. 17: 1.

<sup>3</sup> Reg. Fus. 16: 2.

<sup>4</sup> Reg. Fus. 16: 3.

<sup>5</sup> Reg. Fus. 172.

<sup>6</sup> Reg. Fus. 172.

## ملاحح السلوك الرهباني

### أحاديث مُختصرة عملية عن السلوك الرهباني

جاءت أغلب أحاديث القديس باسيليوس الكبير عن السلوك الرهباني تمسّ قلب المؤمن وأعماقه، بجانب تقديمه إرشادات عملية، ومعالجة الكثير من المشاكل، أو أخذ قرارات في مواقف مُعينة.

قليل من هذه الإرشادات تخص الحياة الرهبانية وحدها، إذ أغلبها يمكن للمؤمن الذي يمارسها في حياته اليومية وينتفع بها. إن لم يكن يلتزم بالسلوك بها حرفيًا، فيسلك بروحها. إنه يُقدّم فكرًا يمكن للجميع الانتفاع به.

في عام ٣٦٨م قدّم القديس باسيليوس الكبير مُلخصًا عن الحياة الرهبانية بفكر كتابي، بكونها الحياة المسيحية الكاملة، اقتبسها من أسفار الكتاب المقدّس وبفكر كتابي، دون أن يشير إلى المصادر. سجّلها في الرسالة رقم ٢٢. يعتبرها البعض مسودّة ثانية لما سبق أن وضعه مع القديس غريغوريوس عام ٣٦١/٣٦٢م، وقد كانت هذه الرسالة نواة لعمله، "نظام الطريق النّسكي للحياة بحسب إنجيل المسيح" *Rule for the Ascetic Way of Life according to the Gospel of Christ*.

هذا وقدّم القديس في بعض مقالاته ورسائله، أحاديث مُختصرة عن السلوك الرهباني، اقتبس منها ما يرد في هذا الفصل.

❖ توجد أشياء كثيرة تضعها الأسفار المقدّسة الموحى بها أمامنا، توضع عمليًا بواسطة الذين يريدون أن يرضوا الله. الآن أقدم فقط تطبيقًا للإصدارات البارزة بينكم، التعليم الذي اقتنيتته من الأسفار الموحى بها.

التزم هنا الاختصار، فأقدم النقاط الأساسية للفكر. وسأترك تحليل الشاهد لكل نقطة، إذ يمكن فهمها بسهولة، يعرفها أولئك الذين ليس لهم وقت لدراستها. ما أقوله هنا يسندنا في تذكير الآخرين.

يليق بالمسيحي أن يفكر في الدعوة السماوية، ويسلك حياة تليق بإنجيل المسيح. يليق بالمسيحي ألا يضطرب، ولا يترك نفسه يحيد عن معرفة إرادة الله وأحكامه...

يليق به أن يكون صبورًا، يحتتمل كل شيء. إن أخطأ إليه أحد، ينتظر إلى اللحظة المناسبة ليتحدث معه. يفعل هذا ليس رغبة في الانتقام، إنما من أجل إصلاح أخيه كما أمرنا الرب.

يلزمه ألا ينطق بشيءٍ ضد أخيه في غيابه، بقصد الحط من شأنه. فإن هذا يُحسب وشاية، حتى وإن كان ما يقوله حقيقي.

يلزمه أن يبتعد عن أي إنسان يقوم بالقذف ضد أخيه.

يلزمه ألا يقسو على أحد.

يلزمه ألا يستهزئ بأحد، أو يشجّع مَنْ يسخر بآخرين.

يلزمه ألا ينطق بكلمة بطالة، أي بكلمة لا نفع لها للسامعين، أو غير ضرورية أو غير لائقة بمن له علاقة بالله. حقًا يليق حتى بالذين يعملون أن يحاولوا قدر الاستطاعة أن يعملوا في صمت. وليتركوا الكلمات الصالحة تصدر من الذين عهد إليهم تدبير الكلمة بتمييز لبناء الإيمان، حتى لا يحزنوا روح الله القدوس...

يليق به ألا يُستعبد لخمير، أو تكون له شهوة للطعام. بطريقة عامة، يليق به ألا يجري وراء اللذة في أي طعام أو شراب.

في كل الأحوال، يلزم الإنسان الذي يشترك في المصارعة، أن يتدرّب على ضبط النفس في كل شيء.

إذا أُعطيَ لأحد شيء لاستخدامه، يلزمه ألا يحسبه ملكه أو يحفظه لنفسه. إنما بالتأكيد يلزمنا أن نهتم أن نحسب كل شيءٍ خاص بالرب، ولا نستخفّ بالأشياء المستعملة أو ننبذها.

لا يعتمد إنسان على ذاته، فإن الله أعطانا ذلك من أجل خدمة الإخوة الروحيين.

يليق بكل إنسان أن يُصلح قدر المستطاع علاقته بكل أحدٍ متضايق منه.

ليمنحك الله أن تقبلوا كلماتي باقتناعٍ كاملٍ. فلمجد الله أظهروا ثمرًا لائقًا بالروح حسب مسرة صلاح الله، بمعونة ربنا يسوع المسيح<sup>1</sup>.

❖ كُنْ غيورًا أن تقلد من لهم عادات مهذّبة، ولا تنتظر حتى تتعلم كل شيء.

جاهد أن تبلغ الفضائل العظيمة، ولا تتجاهل الفضائل الأقل...

لا تدين خطايا الغير، إذ لهم الديان العادل، "الذي سيُجازي كل واحدٍ حسب أعماله"

(رو ٢: ٦). إنما كُنْ سيّدًا على خطاياك، وخفّف أحمالك قدر استطاعتك، لأن من يزيد من

أعماله فسيحملها هو.

<sup>1</sup> Letter 22.



الخلاص بالتوبة، أمّا عدم التوبة فغباوة.

اخف نفسك من الطائشين، ولتظهر أمام الرب قدر استطاعتك...

افرح بكل نجاح يبلغه قريبك، ومجد الله، لأن نصرته هي نصرتك، كما أن نصرتك هي نصرته<sup>١</sup>.

❖ أحبب البرية، فلا تسكن مع فكر متجول، حاسباً الصلاة والتسبيح عمل حياتك.

لا تهمل القراءة، خاصة في العهد الجديد، لأنه كثيراً ما تحدث أذية من قراءة العهد القديم، ليس لأنه مؤذي، وإنما لأن أذهان الذين يتأذون ضعيفة. فكل الخبز مغذي، لكنه قد يضر المرضى. هكذا كل الكتاب المقدس موحى به من الله، ونافع (١ تي ٣ : ١٦)، وليس فيه شيء غير طاهر.

امتحن كل شيء، وتمسك بالحسن، وامتنع عن كل شر (١ تس ٥ : ٢١-٢٢). كل الأشياء

تحل (لك)، لكن ليس كل الأشياء توافق (١ كو ٦ : ١٢).

كن بلا عثرة للذين تلتقي بهم (١ كو ٢ : ٢٣).

لتكن مبهجاً، محباً لهم كأخ، مسروراً، متواضع الفكر، لا تضيع فرصة حسن الضيافة

بالمبالغة في الطعام، بل دائماً اكتف بما لديك.

لا تأخذ من أحد أكثر من الاحتياجات الضرورية اليومية لحياة التوحد.

فوق كل شيء تجنب الذهب كعدو للنفس، وأب للخطية، ووكيل للشيطان<sup>٢</sup>.

❖ في حضور شيخ (أو صاحب كرامة)، لا تكن تواقاً أن تجلس، وإن أمرت فلا تجلس بجواره، بل

فتش وحاول أن تجد موضعاً أقل، فيمجدك الله بسبب تواضعك<sup>٣</sup>.

❖ عندما تُسأل أحب بنعمة لائقة وديعة، وإن وُجّه إليك الحديث فلتبقي صامتاً. إن سُئل آخر امسك

لسانك، لئلا تحت ضغط الاندفاع العاطفي يجري معك لسانك<sup>٤</sup>.

❖ في جلوسك لا تضع رجلاً على رجل، لأن هذا علامة على الفكر المشتت وغياب العقل<sup>٥</sup>.

❖ في الحديث مع من هو أقل منك، أو من سألك شيئاً لا تُجبه باستخفاف، مُستهيناً بأخيك، فإنك

تهين الله. "لأن المُستهزئ بالفقير يُعير خالقه" كما يقول سفر الجامعة (١٧ : ٥)<sup>٦</sup>.

<sup>1</sup> *Renunciation of the World and Spiritual Perfection.*

<sup>2</sup> *Letter 42 to Chilo, his disciple, 3.*

<sup>3</sup> *On Renunciation of the World, (Frs. Of the Church, volume 9, p. 27).*

<sup>4</sup> *On Renunciation of the World, (Frs. Of the Church, volume 9, p. 27).*

<sup>5</sup> *On Renunciation of the World, (Frs. Of the Church, volume 9, p. 27).*

<sup>6</sup> *On Renunciation of the World, (Frs. Of the Church, volume 9, p. 27).*

- ❖ في تثبيت حُبك لقريبك، ابدأ حديثك بكلمات مُعزية أو نصح. ليت هذه الكلمات تجد لها موضعًا في وسط الحديث وفي نهايته. لتكن ملامحك بهيئة مرحة، لتبعث فرحًا فيمن يتحدث معك<sup>1</sup>.
- ❖ يليق به ألا يُسرع في الثقة في التقارير الشريرة عن أحدٍ، ولا تسوده نزعة رديئة، ولا تغلبه الكآبة<sup>2</sup>.
- ❖ الهمسات والتكلم في الآذن وتحريك رؤوسنا بإيماءة، كل هذه ممنوعة، لأن الهمس يوُلد اشتباه في القذف، وعلامات الإيماءة شهادة أن الأخ يحمل لبثًا مُضرًا سرّيًا، مثل هذا هو أساس البُغضة والريبة<sup>3</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

### المظهر اللائق بالراهب

بعد أن تحدّث القديس باسيليوس في رسالته الثانية عن الحياة الداخلية والعمل الروحي مثل قبُول آلام الجهاد بلذّة وبهجة، وممارسة العمل اليومي مُسبّحين ومرتلّين لتتهلّل نفس الراهب أو المؤمن على الدوام، ودراسة الكتاب المقدس، والصلاة وتذكر اللّهُ الدائم بغير ارتباك باهتمامات أرضية، يُحدّثنا عن الأمور الخارجية الخاصة بالراهب:

❖ ينبع عن روح التواضع والخضوع أن تكون العين حزينة تتطلّع إلى أسفل، ولا يُبالي الشخص بالمظهر الخارجي.

يجب ربط الثوب بمنطقة، ولا يكون الحزام على الخصر مثل النساء، ولا يُترك بإهمال فيكون الثوب سائبًا مثل الكسالي.

لا يكون المشي بتراخٍ (بتسكّع)، كمن يظهر شخصيته أنه بلا قوة، وفي نفس الوقت لا يكون المشي باندفاعٍ وتباهٍ، كما لو كانت دوافعنا متهورة وعنيفة<sup>4</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

### حُبّ التعلّم المستمر

يخشى القديس باسيليوس أن يسقط الراهب في الكبرياء، فيظن أن بالتحاقه بالدير، ونذره للبتولية، وممارسته للعبادة اليومية في الدير، لا يعود يحتاج إلى أحدٍ يُعلّمه، بل قد صار قائدًا ومُرشدًا لمن يزور الدير ويلتقي بالرهبان.

يُعتبر الشعور بالاكْتفاء مع شعوره أنه قائد، ضربة خطيرة يوجّهها عدوّ الخير للراهب.

<sup>1</sup> On Renunciation of the World, (Frs. Of the Church, volume 9, p. 27-28).

<sup>2</sup> A Discourse on Ascetical Discipline, (Frs. Of the Church, volume 9, p. 34).

<sup>3</sup> An Ascetical Discourse, (Frs. Of the Church, volume 9, p. 220).

<sup>4</sup> Epistle 2: 6.

لا يليق بأحد أن يهمل في التعلُّم فيما يلزم أن يفعله، بل يصغي بإنصاتٍ وفهمٍ إلى كلمات الرب ويتمُّ إرادته الإلهية (مت ١٥ : ١٥-١٨)<sup>١</sup>.

❖ هذا هو واجب من هم غيورون في مسرة الله الصالحة، أن يسألوا ما هو الأفضل لهم أن يفعلوه<sup>٢</sup>.

### القديس باسيليوس الكبير

يليق أن يرتبط حُب التعلُّم المستمر بالرغبة الجادة في التمتع بتحويل المعرفة النظرية إلى خبرة عملية مُعاشة، إذ يقول الرب: "أما ذلك العبد الذي يعلم إرادة سيِّده ولا يستعد ولا يفعل بحسب إرادته، فيضرب كثيرًا، ولكن الذي لا يعلم ويفعل ما يستحق ضربات، يُضرب قليلاً، فكل من أُعطي كثيرًا يُطلب منه كثير، ومن يودعونه كثيرًا يطالبونه بأكثر" (لو ١٢ : ٤٧-٤٨).

❖ دينونة من يعرف ولا يعمل بما يعرفه أكثر شدة، أما من يُخطئ في جهلٍ، ففي هذا أيضًا خطر<sup>٣</sup>.

### القديس باسيليوس الكبير

## ليكن النوم خفيفاً

يليق بالراهب أن يكون نومه خفيفاً. وتكون الشمس مدفأته في تلك المناطق التي يشتد بردها بعُنْفٍ.

❖ ليكن النوم خفيفاً، ويمكن بسهولة القيام منه، وهذا يحدث طبيعياً عندما تكون الوجبة خفيفة. يجب كسر النوم عمداً بأفكار تخصّ أموراً عظيمة...

يهب صمت الليل راحة للنفس، فليس من أصواتٍ مُزعجةٍ، ولا من مناظرٍ تقتحم قلوبنا، إنّما يبقى الذهن مع الله، يُصلح من شأن نفسه بتذكُّر خطاياها، مُقدِّماً وصايا لنفسه: فم بصد الشرِّ، وتوسَّل طالباً عوناً من الله لتحقيق ما تشتهيهِ بالكمال<sup>٤</sup>.

### القديس باسيليوس الكبير

## عدم الارتباط بملكية خاصة

اقتبس من القديس باخوميوس أب الشركة عدم ارتباط الراهب بملكية خاصة، فمن أقوال أبينا باخوميوس: [لا يليق بالرهبان لابسِي الزي المُقدَّس المقيمين بالأديرة أن يقولوا "لي ولك ولفلان".

<sup>1</sup> *Morals, Rule, 9:1.*

<sup>2</sup> *Morals, Rule, 9:3.*

<sup>3</sup> *Morals Rule 9: 5.*

<sup>4</sup> *Epistle 2: 6.*

فجماعة الشركة ليس لهم أن يدّعو شيئاً ملكاً خاصاً بأحدهم، وإلاّ فإنها لا تُدعى "شركة" بل مجامع لصوص ومغائر مملوءة ردائل وسلب للأشياء المنذورة لله<sup>١</sup>.]

فمن يقول: "هذا لي"، إنما يسلب ما هو حق للجماعة كلها، ويسرقه لحسابه الشخصي.

❖ يلزم أن توجد حجرة تضم الاحتياجات العامة للكل، ولا يكون لأحدٍ شيء خاص أو شخصي، لا ثوب ولا حذاء، ولا شيء مما يلزم للجسم. استخدام هذه الأمور يلزم أن يكون في سُلطة الرئيس، حيث توزّع الأمور التي في المخزن العام على كل واحدٍ حسب احتياجه بتوجيه الرئيس<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

### عدم ترك القلاية إلى زمان!

يرى القديس أنبا أنطونيوس أب العائلة الرهبانية أن الراهب مثل السمكة إن خرجت من الماء ماتت.

❖ ولا يخرج أحد من منسكه أو قلايته إلاّ لضرورة. ومهما رُسم له فليعمله<sup>٣</sup>.

❖ لا يُسمح بالخروج من الدير إلاّ لأداء واجب أو لظروف طارئة<sup>٤</sup>.

❖ اخفِ نفسك من الطياشة، واظهر أمام الله ما استطعت.

لكي تتجنّب خلاعة القلب، امتنع بقدر استطاعتك من الخروج (من قلايتك).

هل تهجر قلايتك؟ فإنك بهذا تحني نظرك نحو العالم.

إنك بهذا تسقط كما مع زانية، تسحر آذانك بكلماتها المثيرة، وتفتن عينيك بجمال ملامحها، وشهيتك بأطعمة شهية، وتصطادك إليها كما بصنارة. وعندما تعانقها بأحضان متبادلة، تضعف حزمك في الرغبة في العفة، وبعد ذلك تسحبك قليلاً قليلاً من حياة الفضيلة، وتصير علّة دمارك القادم. حتى وإن كنت بمعونة الله تستطيع الهروب من شباك هذه الزانية، فإنك تعود إلى قلايتك بالحقيقة، لكنك لست ذات الشخص، إنما تكون كمن هو مُضنى ومريض ومُنحرف وفي عناد عن التصرفات الفاضلة. بعد وقت طويل فقط، يمكنك العودة إلى وضعك اللائق....

لذلك، إن حدث أن ألزمتك الظروف على ترك قلايتك وتذهب بعيداً، سلّح نفسك بدرع مخافة الرب، واقبض بيدك محبة المسيح، وارفض بكل عفة هجمات الملذات الحسية.

<sup>٤</sup> القمص تادرس يعقوب ملطي: باخوميوس أب الشركة وتادرس تلميذه، الطبعة الثانية ٢٠٠٨، ص ٥٣.

<sup>٢</sup> *An Ascetical Discourse, (Frs. Of the Church, volume 9, p. 213).*

<sup>٣</sup> راجع دير السريان: القديس باسيليوس، ٢٠٠٣.

<sup>٤</sup> *An Ascetical Discourse, (Frs. Of the Church, volume 9, p. 221).*



عندما ينتهي عملك ارحل في الحال دون تأخير، وُعد بسرعة الريح مثل حمامة بسيطة ترجع إلى الفُلك الذي أرسلت منه (تك ٨ : ٩). احمل مراحم المسيح على شفَتَيْكَ، بهذا تُبكم الاعتراضات الداخلية وتحث نفسك على الهدوء المُنقذ، والذي لا يتحقق في موضع آخر<sup>١</sup>.

**القديس باسيليوس الكبير**

## الهروب من التجمُّعات الشبابية غير الناضجة

مع اهتمام القديس باسيليوس برعاية الشباب والأولاد الصغار، وحرصه أن يتعامل الرهبان معهم بحكمةٍ وحُبٍّ واتساع فكرٍ، وتشجيعهم على النمو في المعرفة والنجاح، يهتم أن يتمتع الشباب بروح النضوج والحكمة والاتزان.

كان يطلب منهم كما من الرهبان أن يهربوا من التجمُّعات الشبابية غير الناضجة. يطلب من الجميع أن يركِّزوا أنظارهم على خلاص نفوسهم، وتحقيق رسالتهم، والاهتمام بأبديتهم. حينما يتحدَّث عن التجمُّعات الشبابية غير الناضجة، لا يعني مجرد صِغر السن، إنما عدم نضوج الفكر مهما بلغ عمر الشخص.

يُحذِّر القديس من اللقاءات المُنعزلة التي قد تبدو روحية، لأنها حول كلمة الله، لكن عدو الخير يحولها لهلاك نفوسهم.

مع اهتمام القديس باسيليوس أن يُمارس الراهب عملاً لنفعه روحياً، ولخدمته للآخرين ولبنيان الجماعة، يحرص تماماً على التزام الراهب بعدم خروجه من قلايته أو تركه الدير بلا ضرورة. هذا التدريب لا يُخص الراهب وحده إنما يُخص أيضاً كل مؤمنٍ من الشعب أو الخدام أو الكهنة. فالتزام المؤمن بهذا نافع لبنيانه روحياً وبنيان الجماعة:

١. الالتزام بوجود فترات هدوء للمؤمن في بيته أو حجرته الخاصة، يعطيه فرصة للهدوء تحت قيادة روح الله القدوس للتأمل في مستقبله الأبدي، وتقييم حياته في الرب.
٢. يحث هذا التدريب المؤمن أن يُدرك كيف يدخل إلى أعماق نفسه بروح الرب عوض انشغاله الدائم بما هو خارج نفسه. وقد تحدَّث القديس باسيليوس كثيراً عن "اعرف نفسك"، لأننا كثيراً ما نهتم بما لنا وما حولنا، ولا نجد الفرصة لنعرف أعماقنا في الرب.
٣. كثرة التحرك خارج القلاية يشغل حواس الإنسان وعواطفه بالعالم والزمنيات، ويفقدها الانطلاق نحو السماويات.

<sup>1</sup> Renunciation of the World and Spiritual Perfection.

٤. إن وجدت ضرورة للخروج لخدمة مقدسة أو لممارسة محبة القريب، فليتسلح الإنسان بمخافة الرب ومحبتته، ويكون حذرًا من المذات الحسية.

٥. ليتطلع المؤمن إلى موضع خلوته اليومية أنه الفلك، ينطلق سريعًا إليه كما فعلت الحمامة في أيام نوح، السماوي رب المجد يسوع يديه مبسوطتين كي تحتضنه وتضمه إليه.

٦. يشبه القديس باسيليوس الارتباط بهذه التجمعات بسدوم وعمورة التي جنبت لوط، فبالكاد خرج من هناك وفقد كل ما يملكه كما فقدت زوجته، وفقد طهارته وطهارة ابنتيه.

❖ إن كنت فتى جسمانيًا أو فكريًا، فاهرب من الاجتماع مع أصدقاء من سنك، وأجر منهم كما من النار. فإن العدو بالحقيقة يشعل الكثير من اللهب خلال مثل هذه الوسيلة، ويسلمهم للنار الأبدية، وينحدر بهم إلى الحفرة الكريهة التي سقطت فيه المدن الخمس (تك ١٩؛ تث ٢٩: ٢٣) تحت ذريعة الحُب الروحي. حتى أولئك الذين يأتون بسلام خلال كل ريح وعاصفة في البحر، ويبلغون إلى ميناء سلام، ينزل بهم إلى العمق مع السفينة وطاقمها. لتجلس في وجبات الطعام بعيدًا عن أخيك، وعند رقادك للراحة، لا تجعل ثيابك بجواره، وإنما ليكن لك أخ شيخ يرقد بينكما.

عندما يُناقشك أخ فتى أو يكون مقابل كرسيك، لتجب عليه برأس مُنحنية، لئلا إذ تثبت نظراتك على وجهه، تُغرس بذرة الشهوة فيك بواسطة المزارع الشريرة، فتحصد سنابل الفساد والدمار.

لا تكن في صحبته في البيت أو في موضع لا يوجد فيه شاهد لتصرفاتك، بدعوى التأمل في الكلمات الإلهية أو تحت أية حجة أخرى، حتى وإن كانت لضرورة مستعجلة. فليس شيء أكثر أهمية من النفس التي مات المسيح عنها...

صدّق كلماتي هذه التي تصدر عن محبة قلبي الأخوية. لتلجأ إلى الشيوخ، الذين يصعب اللقاء معهم، والذين لا يؤذون فتيانًا بجمال مظهرهم، إنما يحثونهم على الأعمال الفاضلة بأحاديثهم الصادرة عن الأمثال: 'فوق كل تحفظ احفظ قلبك' (أم ٤: ٢٣). فإن هدف السهر الدائم للصوم هو الكنوز الذهبية، يسهرون ليلاً ونهارًا، وفي لحظة بلا حراسة يسرقونها دون أن تدري<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>١</sup> Renunciation of the World and Spiritual Perfection.

## الهروب من الأحاديث الغبية

جاء عن القديس باخوميوس أب الشركة أنه كان مُدققًا في أحاديثه فلا يستخدم اللسان إلا للبنين. وقد سمع يومًا راهبًا يُخاطب صبيًا كلامًا بلا معنى ولا فائدة، قائلاً: "الآن أوان عنب...". فانتهره الأب، قائلاً:

"لماذا تعطي للشيطان موضعًا لكي يتكلم من فيك. أما سمعت الرسول يقول بالأ تخرج من أفواهنا كلمة رديئة، بل كل كلمة صالحة لبناء الجماعة، حتى تعطي السامع نعمة. إنني الآن أشهد بأن كل كلمة بطالة، أو استهتار، أو مزاح، أو لعب أو جهل... هذه كلها زنا للنفس.

ولكي أوضح لك مدى غضب الله على الإنسان الذي يتكلم كلامًا باطلاً أو كلمة استهزاء، أقول لك هذا المثل: دعا رجل غني أناسًا إلى وليمة لكي يأكلوا ويشربوا ويفرحوا، وفي أثناء الوليمة قام بعض المتكئين وأخذوا يمزحون، فكسروا الأواني الموجودة في بيت ذلك الغني. ترى ماذا يفعل بهم؟! إنه يغضب عليهم ويوبخهم قائلاً: يا عديمي الشكر، لقد دعوتكم لكي تأكلوا وتشربوا، فكيف تمزحون وتكسرون الأواني؟! هكذا يغضب الرب على أولئك الذين دعاهم لوليمته، قائلاً لهم: دعوتكم لكي تتوبوا عن خطاياكم وتخلصوا، لكنكم هدمتم نفوسكم ونفوس الذين جمعتم لكي يخلصوا، وذلك بالضحك والكلام الباطل".<sup>1</sup>

بنفس الروح اهتم القديس باسيليوس الكبير بهروب المؤمن من الأحاديث الغبية غير البناءة للإيمان وخلص النفس.

❖ سؤال: أية كلمات يُحکم عليها أنها "بطالة *idle*" (مت ١٢ : ٣٦).

الإجابة: بوجه عام أية كلمة لا تساهم في الاحتياج المقدم لنا في الرب، هي كلمة بطالة. هكذا إنه لخطر عظيم لمثل هذه الكلمة التي وإن بدت صالحة عندما يُنطق بها، لكنها لا تخدم بنين الإيمان. فإن المُتكلم لا يهرب من الحظر بسمو كلماته؛ إنه يُحزن روح الله. هذا ما يُعلمنا به بولس الرسول بوضوح، بقوله: "لا تخرج كلمة رديئة من أفواهكم، بل كل ما كان صالحًا للبنين حسب الحاجة، كي يعطي نعمة للسامعين" (أف ٤ : ٢٩). أضاف إلى ذلك: "ولا تُحزنوا روح الله، الذي به خُتمتم ليوم الفداء" (أف ٤ : ٣٠).

يا لعظم الشر أن تُحزن روح الله القدوس، ماذا تحتاج إذن أن تقول؟<sup>2</sup>

❖ لتكن أذناك مفتوحتين للاستماع، ويداك مُستعدتين لتنفيذ الأمر الذي تسمعه، وليكن لسانك صامتًا، وقلبك محفوظًا تحت وصاية.

<sup>1</sup> القمص تادرس يعقوب ملطي: باخوميوس أب الشركة وتادرس تلميذه، الطبعة الثانية ٢٠٠٨، ص ٣٠

<sup>2</sup> *Regulae brevius tractatae*, 23.

كُن بطيئًا ومترخيًا من جهة الحديث الباطل، إنما تعرف بحكمةٍ أن تتصت إلى كلمات الكتاب المقدس الخلاصية.

ليكن الاستماع إلى القصص لعالمية (الزمنية) مُرة المذاق في فمك، أما أقوال القديسين فتكون كقرص العسل.

❖ لا تعطِ أذنك لكل ثرثارٍ، ولا تتجاوب مع كل مناقشةٍ تافهةٍ لا تناسب الحياة النُسكية.

كُن مُصغيًا للتعاليم اللائقة، وبالتأمل فيها لاحظ قلبك بدقّة.

امتنع عن الإصغاء للقصص الزمنية، حتى لا تدنّس نفسك بأي غُضنٍ برشٍ وحلٍ (في أذنيك). لا تكن تواقًا إلى الاستماع لأقوال الآخرين، ولا تلقي بنفسك في مناقشات الغير، فلا تجعل نفسك موضع سخرية، وتدفع الآخرين إلى الافتراء على الغير.

لا تكن فضوليًا ولا تواقًا إلى رؤية كل شيء، فلا يدخل إلى ذهنك رد فعل الرذيلة السامة. استخدم عينيك لتحقيق الهدف، واستخدم أذنيك لتحقيق هدفها، وانطق بما يُحقّق ذلك، وأيضًا لتكن إجابتك هكذا.

في حضور الرئيس، لا تشتهي أن تجلس، فإن أمرت بذلك لا تجلس بجواره، إنما بحرصٍ تطلّع لتجد مكانًا متواضعًا، فيمجدك الله على تواضعك.

عندما تُسأل أجب بلهجة لائقة متواضعة، وإن لم يُوجّه لك حديث التزم الصمت. إن سؤل آخر امسك لسانك، لئلا تحت ضغط الدافع العاطفي، يجري لسانك معك بإهانتك لشخصٍ يُمارس حياة نُسكية دقيقة، وتدفع بك إلى قيود التوبيخ.

عندما تجلس لا تمدد رجلتك، فإن هذا علامة على تشتيت الفكر، وغياب الذهن.

عندما تحاور من هو تحتك، وسألك شيئًا لا تجيب عليه باستخفافٍ، فتهين أخاك، وبهذا تسيئ إلى الله. إذ يقول سفر الأمثال: "المستهزئ بالفقير يُعير خالقه" (أم ١٧ : ٥).

لكي تثبت حُبك للقريب، قدّم حوارك بكلمات مُريحة أو نصيحة. لتكن مثل هذه الكلمات (اللطيفة) تحد لها مكانًا في وسط حوارك وفي نهايته. ولتكن ملامحك مُبهجة وببشاشة، فتسكب فرحًا على من تتكلم معه<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>١</sup>On Renunciation of the World, (Frs. Of he Church, volume 9, p. 26ff).



## عدم الافتراء

لا يليق بالمؤمن أن يفترى على أحد، ولا أن يدين أحداً أو ينطق عليه بكلمة سوء، حتى وإن كان صادقاً فيما يقول. غير أن القديس باسيليوس يُقدّم استثناءين، حيث يمكن للمؤمن بحكمةٍ وحبٍّ وهدفٍ أن يذكر أخطاء إنسان، وهما:

١. إن كان أحد يصنع شروراً بجهالةٍ حاسباً أن ما يفعله صالح.
  ٢. إن كان هذا الإنسان يُعثر الآخرين ويدفعهم للخطأ، كما حذّر القديس بولس تلميذه تيموثاوس من إسكندر النحاس، لأنه كان يقاوم كلمة الكرازة.
- يؤكد القديس باسيليوس خطورة الافتراء على أحد أو الإنصات لمن يفترى على أخيه أو السماح له بذلك، مثل هذا إن لم يتب يُقطع من الجماعة (مز ١٠١ : ٥).

❖ سؤال: ما هو الافتراء (أو الانتقاص من الآخرين)؟ (رو ١ : ٣٠ ؛ ٢ كو ١٢ : ٢٠ ؛ ١ بط ٢ : ١).

الإجابة: أحسب أنه يوجد طرفان يُسمح فيهما أن تقول شيئاً رديئاً عن أحد.

١. عندما توجد ضرورة لأخذ مشورةٍ مُبرمةٍ مع آخرين لتحقيق هذا الهدف، وهو كيف يجب إصلاح إنسان صنع شيئاً خاطئاً أو ارتكب خطية.
  ٢. أيضاً متى وُجد احتياج لوضع إنسان في موقفٍ أكيدٍ متوازنٍ، هذا الذي بجهالةٍ يقبل ما هو خطأ حاسباً إياه صالحاً. إذ يقول الرسول: "سموا هذا ولا تخالطوه" (٢ تس ٣ : ١٤). هذا ما فعله الرسول نفسه عندما كتب إلى تيموثاوس، قائلاً: "إسكندر النحاس أظهر لي شروراً كثيرة... فاحتفظ منه أنت أيضاً، لأنه قاوم أقوالنا جداً" (٢ تي ٤ : ٤ - ١٤ - ١٥).
- أما خارج هذه الظروف الضرورية مثل هذه، فإن من يقول شيئاً ضد آخر لمهاجمته أو التشهير به، فهذا مفترى، حتى وإن كان الذي يقوله يبدو أنه حقيقي<sup>١</sup>.

❖ سؤال: ماذا يستحق من يفترى على أخ، أو ينصت لمفترى وهو يفترى أو يسمح له بذلك (راجع يع ٤ : ١١)؟

الإجابة: كلاهما يستحقان العزل، لأن من يفترى على قريبه سراً، يُقال عنه: "الذي يغتاب صاحبه سراً هذا اقطعته" (مز ١٠١ : ٥). وفي موضعٍ آخر قيل: "لا تخالط المُفترى لئلاً تُقطع" (أم ٢٠ : ١٩ LXX)<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>١</sup> *Regulae brevius tractatae*, 25.

<sup>٢</sup> *Regulae brevius tractatae*, 26.

## عدم الحسد

يبرز القديس باسيليوس خطورة الحسد في النقاط التالية:

١. أخطر ما في الحسد أنه مرض يُصيب النفس في الداخل بكتمانٍ شديدٍ، إذ يخجل الحاسد أن يعترف حتى لأصدقائه أو أقربائه وأحيانًا حتى أمام الله في صلواته الخفية بأن نفسه مرة لا لشيء إلا لنجاح إخوته، أو سعادتهم أو لجمالهم أو حكمتهم أو لسمو مواهبهم.
  ٢. يعمل الحسد على إخفاء نفسية الإنسان وتحطيم جسده تدريجيًا، بسبب كتمان ما يصيبه من مرارة وعذاب داخلي.
  ٣. لا يجد الحاسد طبيبًا أو دواءً يشفيه، لأن ما يطلبه هو فشل إخوته وشقاءهم.
  ٤. أحيانًا يبدو أنه يُشارك المتألمين الأهم، لكنه لا يفعل ذلك لتعزيتهم، إنما ليتشفى حين يزداد الأهم. أمّا بالنسبة للفرحين، فلا يستطيع أن يشاركهم فرحهم من قلبه، لأنه لا يطلب سعادة أحد.
  ٥. الحاسد يشبه رسامًا خبيرًا في إبراز التشويهاات التي في الآخرين كي يسخر بهم الناس، ويفسد سلامهم. ويبذل جهده للتشهير بالفضائل ليرزها كذائلٍ، فيحسب الشجاعة تهوّرًا، والحكمة خُبْنًا، والعدل قسوة قلبٍ، والاقتصاد بخلاً.
  ٦. الحسد نوع من قتل الآخرين نفسيًا واجتماعيًا، لذا فهو أشرّ من الكسل.
- ❖ أشرّ ما في الحسد أنه داء يُطوى في الكتمان. ترى الحسود خافض البصر، كالح الوجه، يشتكي باستمرار من عذاب داخلي، ممّا يذبل وجهه ويضني جسده، فيهزل ويضعف. فهو يستحي أن يقول:
- "إني حسود، أشعر بالمرارة والحزن للخير الذي حصل عليه إنسان غيري، وإني أتعدّب لسعادة أصدقائي، ولا أطيق نجاح أترابي.
- إني أرى أن سعادة الآخرين هي سيف يُمزّق أحشائي ويطعني في الصميم".
- هذا ما كان يجب أن يبوح به الحسود. لكنه يُفضّل أن يحفظه في قلبه ويصمت، وهكذا يبقى الداء في ذاته، فيضنيه العذاب، ويفنى جسمه قليلاً قليلاً<sup>١</sup>.

<sup>١</sup> راجع الأب إلياس كويتز المخلصي: القديس باسيليوس الكبير، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، ١٩٨٩، ص ٣٠٧، عظة ١١

❖ ليس شيء ينبع من النفس أكثر تدميرًا مثل ألم الحسد، فبينما لا يضرّ الآخرين تكون سطوته الشريرة على وجه الخصوص على النفس التي تتقبله.

كما يفسد الصدا الحديد، هكذا يُبدد الحسد النفس التي يسكنها ويهلكها تمامًا. كما يُقال عن الأفاعي أنها تُولد بالتهامها أحشاء أمّها، هكذا يلتهم الحسد النفس التي تلده. الحسد هو ألم ينبع عن نجاح الغير، لهذا فإن الحاسد لن يعيش بغير ألم، ولا تفارقه كآبة الذهن<sup>1</sup>.

❖ ليس في قلب الإنسان هوى أوخم من الحسد، يلحق الضرر بالإنسان المصاب به. كما أن الصدا يستهلك الحديد، فإن الحسد يحطم ذاك الإنسان المصاب به. إن الحسد هو حزن تولده سعادة القريب. ولذلك لا يخلو الحسود من فرص الحزن. هل حقل الجار خصيب؟ وهل داره مُمتعة؟ وهل هو سعيد؟ كل ذلك يدفع الحسود إلى تنمية مرضه، وإلى زيادة عذاباته.

إنه يشبه إنسانًا عاريًا يُسهم كل شيء في جرحه. هل يوجد أحد قوي وفي صحّة جيّدة؟ إنها ضربة تصيب الحسود. وهل يوجد إنسان جميل؟ إنه جرح جديد. وهل يوجد إنسان ذكي ينجح في أعماله، ويصنع الخير؟ كل ذلك سهام تصيب الحسود في صميم قلبه.

أشقى ما في هذا المرض، أنه مرض مُخجل. يخشى الحسود أمره، وتنحط قواه، ولكن إن سألته عن سبب مرضه، يخجل أن يعترف به: إني حسود، وأشعر بالمرارة في قلبي، وأتألم من سعادة صديقي، ولا أحتمل نجاح الآخرين، وتبدو لي سعادة القريب مُصيبة. هذا ما يجب عليه أن يقوله. لكنه يُفضّل ألا يقول شيئًا من كل ذلك، وأن يحفظ في صميم قلبه مرضه الذي يُضنيه.

ليس هناك طبيب أو دواء يشفي هذا المريض، لأن الانشراح الوحيد الذي ينتظره هو خراب الذين يحسدوهم. وليس لبغضه إلاّ أجل واحد، وهو أن يرى قريبه يتحوّل من إنسان سعيد إلى شقي. حينئذ ينهض ويظهر صداقة حالما يجده يذرف الدموع. إنه لا يعرف أن يفرح مع الفرحين، بل أن يبكي مع الباكين، وهو يأسف للكارثة التي حلّت، لا عن شعور بالتعاطف، بل ليزيد من ثقل الألم بتذكيره ما فقد منه.

<sup>1</sup> PG 31:372.

يُثني على ولد بعد وفاته ويغمره بألف مديح: ما أطفه في حياته، وما أذكاه وما أكثر مواهبه! في حين كان لا يجد كلمة لصيفة، حين كان الولد على قيد الحياة! ومن جهة أخرى، إن رأى أن غيره يُثني على الميت، يغير موقفه ويستسلم للحسد.

ويُعجب كذلك بالغنى حين يُفقد، ويُعجب بالجمال والقوة والعافية حين يحل المرض. وبكلمة واحدة، إنه عدو الخيرات الحاضرة، ويعيش في ماضٍ دائم... لا بل يفقد حتى تمييز الأمور الصحيحة. لم يبق، في نظره أية فضيلة وجمال وقوة وسحر، وأي شيء يستحق المديح...

لا يقدر الحسود أن يتوقّف عند بهاء حياة وعظمة ما تم من الأعمال، بل لم يعد يرى في كل ذلك إلا الشوائب. وإذا ارتكب خطأ، وهو أمر يصعب تجنّبه في الأعمال البشريّة، يذيعه على الفور، وإليه يستند في تعريف كل إنسان، وكأنه رسّام هزلي لا يرى، في العناصر التي تكون صورة الإنسان، إلا أنفاً مشوّهاً، أو حذبة في الظهر...

وفضلاً عن ذلك، فإنه خبير في تلك التشويهات الخداعة التي تمكن من الاستهزاء بالخير وتشهير الفضيلة... فيحسب الشجاع متهوراً، والحكيم غيبياً، والعاقل قاسي القلب، والمقتصد بخيلاً. وبكلمة واحدة، تتحوّل الفضائل، في نظره، إلى الرذائل التي تناقضها<sup>١</sup>.

❖ سؤال: إلى أين يذهب ذاك الذي يسمع: "خذ الذي لك واذهب" (مت ٢٠ : ١٤)؟

الإجابة: ربما يؤمرون أن يذهبوا إلى ذلك الموضع الذي يقف فيه الأشخاص الذين على اليسار (مت ٢٥ : ٤١)، الذين يُشار إليهم بسبب كسلهم في العمل الصالح. مع ذلك أي شخص يحسد أخاه فهو أشدّ من الشخص الكسلان، فقد اعتاد الكتاب المقدس في كثير من المواضع أن يضم الحسد مع القتل (رو ١ : ٢٩؛ غل ٥ : ٢١)<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## عدم الطمع

أراد الغني الغبي أن يهدم مخازنه التي كادت أن تتفجر من فيض المخزون، ولم يدر أن بقراره هذا هدم مخازن قلبه من الحُب والعطاء، ولم يُعدّ لنفسه رصيذاً يسنده في الأبدية.

❖ فقال له الله: يا غبي هذه الليلة تُطلب نفسك منك، فهذه التي أعدتها لمن تكون؟ هكذا الذي يكتز لنفسه، وليس هو غنياً لله (لو ١٢ : ٢١)... إنه لم يذكر إخوته في الخليقة، ولم يحسب أنه يجب أن يعطي من فائضه للمحتاجين.

<sup>١</sup> راجع الأب صبحي حموي اليسوعي: القديس باسيليوس الكبير، لبنان. عظة ١١

<sup>٢</sup> *Regulae brevius tractatae*, 255.



كادت مخازنه تتفجر من فيض المخزون، أما جشع ذهنه فلم يشبع بأيّة وسيلة... يقول:  
أعمل هذا، أهدم مخازني... حسنًا تفعل، فإن مخازنك الشريرة تستحق الهدم. تهدم مخازنك التي  
لا تقدّم راحة لأحد<sup>١</sup>.

❖ يليق بنا ألا يكون لدينا ضروريات الحياة بفيضٍ، ولا نطلب الرفاهية أو التخمّة، إنما يلزمنا  
التحرّر من كل أشكال الطمع والمُباهاة (لو ١٢ : ١٥ ؛ ١ تي ٢ : ٩)<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## عدم اليأس

لم يتجسّد كلمة الله لكي يرفع عنا التجارب، إنما لكي يحلّ في وسطنا، ويفتح أبواب السماء  
أمامنا، فلا يتسلّل اليأس إلى قلوبنا أو أفكارنا تحت أي ظرفٍ من الظروف.

❖ الآن نستطيع أن نهرب. فإذا يمكننا ذلك لنقم من السقوط، فلا نياس من أنفسنا ما دمنا نهرب  
من الشرّ.

لقد جاء يسوع المسيح لكي ينقذ الخطاة. لنأتي ونسجد أمامه مُتعبّدين، لنبكي قدّامه (مز  
٩٥ : ٦).

إن الكلمة الذي يدعونا إلى التوبة يُنادينا بصوتٍ عالٍ: "تعالوا إليّ يا جميع المُتعبين  
والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم" (مت ١١ : ٢٨).

إنه يوجد طريق للخلاص إذا أردنا "يُبلغ الموت إلى الأبد، ويمسح السيّد الرب الدموع عن  
كل الوجوه" (إش ٢٥ : ٨)، أي عن كل التائبين.

الرب صادق في كل أقواله (مز ١٤٥ : ١٣). إنه لا يكذب عندما يقول: "إن كانت

خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج، وإن كانت حمراء كالوددي تصير كالصوف" (إش ١ : ١٨).

إن طبيب النفوس العظيم، الذي يريد أن يُحرّر، هو مُستعد أن يشفي مرضك، لا أنتِ

وحدكٍ فحسب بل كل الذين أسرّتهم الخطيّة.

فمنه قد صدر ذلك القول الذي من شفّيته العذبتين المخلصتين قائلاً: "لا يحتاج الأصحاء

إلى طبيب بل المرضى... لم آتٍ لأدعو أبرارًا بل خطاة إلى التوبة" (مت ٩ : ١٢-١٣)<sup>٣</sup>.

<sup>1</sup> Catena Aurea.

<sup>2</sup> Morals Rule 48:4.

<sup>3</sup> رسالة ٤٦ رسالة إلى عذراء ساقطة.

❖ لا تتحقّق النُّصرة بكمية المال ولا بالاعتزاز بالقوة، ولا بعلو المجد، إنما يهب الربّ عونهُ مجاناً للذين يطلبونه بالأحزان المُكثفة. هكذا كان بولس الذي حمل أحزانه، موضوع فخره. لهذا صار قادراً أن يقول: "حينما أنا ضعيف، فحينئذ أنا قوي"...

أترون إلى أين تقودكم الأحزان؟ إلى الرجاء الذي لا يخيب (رو ٥ : ٣)¹.

❖ سؤال: ماذا يعني "مُتَحَيِّرِينَ، لكن غير يائسين" (٢ كو ٤ : ٨)؟

الإجابة: هنا يوضّح الرسول اقتناعه الكامل بأن اتكاله على الله يتناقض مع الحكمة البشرية، إذ يُحدّد كل عنصر وُجد في هذه العبارة (٢ كو ٤ : ٨). لذلك من جهة الحكمة البشرية، يقول: "نحن محاصرون من كل جانب"، لكن من جهة الاتكال على الله "غير مقهورين".

مرة أخرى من جهة الحكمة البشرية "مُتَحَيِّرِينَ"، لكن من جهة الاتكال على الله "غير يائسين". وهكذا بالنسبة للباقي.

له أيضاً أقوال مشابهة في موضع آخر: "كمائتين وها نحن نحيا... كفقراء ونحن نغني كثيرين، كأن لا شيء لنا ونحن نملك كل شيء" (٢ كو ٦ : ٩-١٠)².

❖ كن كزيتونة خضراء في بيت الله. لا تفقد الرجاء أبداً، بل تحصن بالإيمان بزهور الإخلاص، فتشبه ذاك النبات... بل وتفوقه في الإثمار، إن كان كل يوم يردك، وأنت تفيض بعباء الصدقات³.

القديس باسيليوس الكبير

## الرهبة والحياة الكنسيّة

يمكن القول بأن القديس باسيليوس من بعد القديس باخوميوس تخلّى إلى حدّ ما عن النُسك الفردي الذي قد يحمل عُزلة داخلية عن الحياة الكنسية الصادقة، ونُظم الحياة الرهبانيّة. يرى ضرورة الالتصاق بالكنيسة المجتمع الكبير، والعيشة في الدير المجتمع الصغير بالنسبة للراهب، والعمل ضمن إطاريهما.

يرى القديس باسيليوس أنه بدون هذا الطابع الكنسي الاجتماعي، قد تفسد الحياة الرهبانيّة وتتعلّط، وبدونه أيضاً لا تقدر الكنيسة ولا الجماعات الرهبانيّة أن تأتي بثمارٍ روحيّة نافعة للراهب وللجماعة أيضاً. فأراد المزج بينهما، فتتعاقد القِيم، وتُستكمل المواهب.

¹ Hom. 20 On Ps. 59.

² Regulae brevius tractatae, 270.

³ Hexameron 5:6.

يرى أن الحياة النُسكِيَّة المنفردة قد تعرّض الإنسان للكبرياء والغرور، وتبعده عن العيشة مع الآخرين الذين يفيدونه بأمثلتهم الفاضلة ونصائحهم الرشيدة<sup>١</sup>.

كانت الأديرة صغيرة الحجم، قليلة السكان. ولذلك كان يستطيع الرئيس أن يراقب حياة مرؤوسيه عن كثب، فيوبّخ أو ينصح، يثير الحماس أو يُخفّف منه، لأنه على اطلاع على حالة كل راهب من رهبانه<sup>٢</sup>.

في هذه الأديرة الصغيرة أيضاً، يكون العمل بسيطاً، فلا ينحرف عن غايته، ولا يبتعد عن هدفه، فيصبح سبيلاً للتجارة والكسب. وقد نظّم القديس العمل، فحثّم أن تتخلّله الصلوات خمس مرات في النهار<sup>٣</sup>.

ويشدّد القديس باسيليوس في قوانينه النُسكِيَّة على قيمة العمل، وجاء قانون بندكت يأمر بأنه ما دامت البطالة هي عدوّ للنفس، لا بد من انشغال الإخوة تارة في الأعمال اليدوية، وأخرى في المطالعات الدينية.

## الرهبة والحياة الاجتماعية

يرى القديس باسيليوس أن للراهب دوره الإيجابي بالنسبة للعالم، إذ يستطيع حقاً ممارسة كل الأنشطة ونشر التعاليم التي أوصى بها السيّد المسيح، حتى يكون اكتساب الفضائل المسيحيّة والرهبانيّة عن استحقاق<sup>٤</sup>.

جعل الحياة الرهبانيّة إشعاعاً يصل إلى أبعد حدّ، وعطاءً وبذلاً يبلغ إلى كل محتاج وبائس. وهذا ما تحقّق فعلاً في المشروع الضخم الذي سمّاه البعض "مدينة المحبّة"، والذي قام في قيصرية بسعي القديس باسيليوس، والذي ضمّ مدرسة ومستشفى ومدرسة مهنيّة وغير ذلك<sup>٥</sup>.

❖ الخدمة التي في متناول يدنا حسب قدرتنا حتى وإن كانت صغيرة جداً مقبولة لدى الله، حتى التي تقدّمها سيّدة (أرملة) (مت ١٠: ٤٢؛ لو ٢١: ٤)<sup>٦</sup>.

## القديس باسيليوس الكبير

<sup>١</sup> الأب إلياس كويتز المخلصي: القديس باسيليوس الكبير، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، ١٩٨٩، ص ٦٦.

<sup>٢</sup> الأب إلياس كويتز المخلصي: القديس باسيليوس الكبير، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، ١٩٨٩، ص ٦٦-٦٧.

<sup>٣</sup> الأب إلياس كويتز المخلصي: القديس باسيليوس الكبير، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، ١٩٨٩، ص ٦٧.

<sup>٤</sup> *Regulae fusius tractatae Question 7.*

<sup>٥</sup> الأب إلياس كويتز المخلصي: القديس باسيليوس الكبير، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، ١٩٨٩، ص ٧٩.

*Regulae fusius tractatae 24, 37, 42; Regulae brevius tractatae 207, 252, 274, 275.*

<sup>٦</sup> *Morals Rule 37:1.*

## البُعد عن النساء ومنع دخول النساء أديرة الرجال

إذ يتطلّع القديس إلى الدير كينبوعٍ يفيض بالروحانية على المؤمنين، يهتم أن يتفرّغ الرهبان للعبادة كما للخدمةٍ بفكرٍ روحيٍّ نقيٍّ. وهو يخشى أن يفقد الدير الجو الروحي، لذا طالب بعدم الدخول النساء في أديرة الرجال، بل وحتى الرجال الذين قد يفسدون وقت الرهبان في أمورٍ غير بناءة.

❖ يجب يا أحبائي أن نهرب بالأكثر من الاختلاط بالنساء والحديث معهن. وإن حدثت ضرورة أكيدة لذلك، فلنحذر مثلما نحذر من الاحتراق بالنار.

لنحذر من أن نبطئ معهن في الجلوس، ولنسرع باجتهاد أن ننهي الأمر الذي قد اضطررنا لعمله، ونفارقهن سريعاً.

تأملوا ما قالته حكمة الله من أجل هذا: فإنها قالت: "أَوْ يَمْشِي إِنْسَانٌ عَلَى الْجَمْرِ، وَلَا تَكْتَوِي رِجْلَاهُ؟" (أم ٦ : ٢٨)

وإذا قال أحدٌ إنني لا أتأذى إذا اجتمعت بالنساء، فلعنّ هذا مثل الذين قيل عنهم إنهم ولدوا خصيان من بطون أمهاتهم، وإلاّ إن لم يكن كالخصي، بل هو مثل باقي الذكور، فهو غارق في آلام (أهواء) اتجسد ولا يحس في ذاته بهلاكه. مثله مثل السكران التائه القلب، الذي يأتي عليه ألم كثير وهو لا يشعر، ظاناً أنه لم يلحق به شرّ. وإني أقول إنه ليس من إنسانٍ إلاّ ويتحرك فيه هذا الألم (فكر الشهوة ولو كان عابراً).

بعد هذا أقول: وإن كان الرجل لا يتدنس في فكره إذا اجتمع مع امرأة، لكن من أين يعرف هو فكر المرأة أنها لم تتأذ من جهة الاجتماع معه مع زيادة ضعفها؟!!

فالأصلح أن لا نجلس مع امرأة بالجملة إن أمكن هذا. وإلاّ فينبغي أن نعتذر عن الجلوس معهن دفعات كثيرة. وإذا اجتمعنا لضرورة عظيمة، فلا نطل الجلوس عندهن والحديث معهن.

هذا ليس لأننا نبغض النساء، أو ننكر اشتراكنا معهن في الانتساب الواحد، أعني البشرية. كلاً، بل إنه جيّد أن نعطين ربحاً وتحفظاً، لا سيما اللواتي قد اخترن أن يحملن جهاد الطهارة ويجاهدن معنا في الأتعاب عينها. وإنما نتحفظ من الاجتماع بهن والحديث معهن، لنلأ نتذكّر دفعة أخرى الألم الذي تركناه في هذا العالم ورنلناه<sup>١</sup>.

<sup>١</sup> راجع دير السريان: القديس باسيليوس، ٢٠٠٣، ص ٧١-٧٠



❖ قبل كل شيء يلزم على الراهب أن يمتنع عن الاجتماع بالنساء وشرب الخمر، لأن الخمر والنساء يدفعان حتى الحكماء إلى السقوط (جا ١٩ : ٢) <sup>١</sup>.

❖ يجب أن يُمنع دخول النساء الأديرة، حتى الرجال لا يُسمح للكل بالدخول، وإنما من يسمح لهم الرئيس.

كذلك توجد حاجة إلى التمييز بخصوص الزائرين، حيث يُدخلون مناقشات وقصص عقيمة وأحاديث باطلة، تجلب أفكارًا باطلة عقيمة. لذلك يلزم أن يكون قانون الكل هو أن الرئيس وحده يُسأل، وهو وحده الذي يجيب بخصوص الأحاديث معهم <sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير



<sup>1</sup> *A Discourse on Ascetical Discipline, (Frs. Of the Church, volume 9, p. 35).*

<sup>2</sup> *An Ascetical Discourse, (Frs. Of the Church, volume 9, p. 213).*

## الرهبة وحياة الشركة كيف نعيش مع بعضنا البعض؟

### نظام الشركة ووصية الحُب

جاءت كتابات القديس باسيليوس الكبير، خاصة "القوانين المطوّلة" والكثير من البنود الواردة في عمله "الأخلاقيات *Morals*"، تعالج عملياً كيف يُمارس المؤمن حياة الشركة، أو كيف يسلك في معاملاته مع إخوته، سواء مع الرؤساء أو المرؤوسين أو زملائه. أمّا القانون الرئيسي لكل المعاملات فهو حفظ الوصية الإلهية، والذي تتحقق بممارسة الحُب الأخوي بكونه الثمرة الأولى لعمل الروح القدس في حياة المؤمن، والوصية الإلهية التي لا يمكن فصلها عن محبتنا لله.

### الحياة الرهبانية والحُب لله والناس

يضع القديس باسيليوس محبة الله التي تحوي حُبنا للقريب أيضاً مركزاً للاهوته السلوكي، والدافع الرئيسي للحياة المسيحية، سواء كان المؤمن في ديرٍ أو في العالم. يطلب خالقنا وصانع الخيرات أن نقدم محبة لخليقته:

- ❖ نحن نحب خالقنا، لأنه صنعنا وفيه بهجتنا، ويلزم أن نفكر فيه على الدوام كأطفالٍ نحو والدتهم.
- ❖ نقصان الحُب بالنسبة للنفس هو أمرٌ الشرور<sup>١</sup>.
- ❖ لماذا لا يلزمنا أن نحب الله إن كنا ننال خيراته بامتنان وسعادة؟ فهو مصدر بركات كثيرة وعظيمة ويوجد بالفعل في كل نفس صحيّة ميل للحب، مزروعاً كما بالطبيعة وليس بالتعليم.
- ❖ نحن نكنّ فينا حب الله، ولنا القدرة على حُب الله، إذ وضع ذلك فينا منذ جننا إلى الوجود<sup>٢</sup>.
- ❖ علاوة على هذا يلزمه كابين أن يحب الله بكل قلبه وقوته وفكره (لو ١٠: ٢٧)، لكنه كعبدٍ يلزمه أن يوقره ويهابه ويطيعه، 'ممارساً خلاصه بخوفٍ ورعدةٍ (في ٢: ١٢)، حازاً في الروح (رو ١٢: ١١)، متمنطقاً بسلاح الروح القدس الكامل<sup>٣</sup>.

<sup>1</sup> *Regulae fusius tractatae* 2: 2.

<sup>2</sup> *Reg Fus.* 2: 1.

<sup>3</sup> *A Discourse on Ascetical Discipline, (Frs. Of the Church, volume 9, p. 35).*

- ❖ الله هو غاية كل رغبة، إذ هو الصالح الأعظم. هو خالقنا هدفنا وغايتنا. إدراكنا لهذه الحقيقة يُنشئ في العبادة والصلاة تسليم الإنسان نفسه لله بلا تحفظ.
  - ❖ ليعرف أن هذه هي الفضيلة الواحدة الوحيدة، لكن خلال فاعليتها تتحقق كل الوصايا وتكمل، إذ يقول الرب: "من يحبني يحفظ وصاياي" (يو ٤ : ٢٣)¹.
  - ❖ لا تتفصل محبة الله عن حب القريب. يمكن بالوصية الأولى أن نتمم الثانية أيضًا، وبالثانية نعود إلى الأولى. وهكذا من يحب الرب بالتبعية يحب قريبه².
  - ❖ يلزمه أن يتعاطف مع المتألمين، ويبكي معهم (رو ١٢ : ١٥)، ويحزن بعمقٍ من أجلهم، غير أنه في كل الأحوال لا يليق به أن يدينهم. ولا يتسبب مع من ينكر خطيته، ولا يُبرّر نفسه مُطلقًا. فوق هذا كله، يلزمه أن يعترف أمام الله والناس أنه خاطئ. هذا هو واجبه أن ينصح غير المتدبرين بالنظام، يُشجّع ضعاف القلوب، ويخدم المرضى، ويغسل أقدام القديسين (١ تي ٥ : ١٠)، ويكون مهتمًا بالتزام الضيافة والمحبة الأخوية³.
  - ❖ يلزمه ألا يغضب على قريبه بلا سبب، ولا يتبنّى السخط ضد أحدٍ، ولا يرد الشر بالشر. يليق به أن يُشتم لا أن يشتم، ويُضرب عن أن يضرب، ويُساء إليه عن أن يخطئ، وأن يُسلب عن أن ينهب⁴.
  - ❖ يليق بالمسيحي ألا يحمل حقداً، إنما من قلبه يغفر لمن أخطأ إليه (مت ٦ : ١٤-١٥)⁵.
  - ❖ يجب أن تكون محبتهم لبعضهم البعض بمساواة، كما يحب الإنسان جميع أعضائه بمساواة بالطبع، لأن ألم عضو أيًا كان يجلب التعب لجميع الجسد. هذا في المحبة، أمّا في الكرامة، فعضو أكرم من عضو. لأن إصبع الرجل ليست مساوية للعين، وإن كان الجسد يتألم بألم كل واحدٍ منهما. وهكذا ينبغي أن تكون المحبة متساوية لكل من في الشركة، وأن تُعطى الكرامة بالأكثر للنافعين بالأكثر، لكل واحدٍ كما يليق به⁶.
- القديس باسيليوس الكبير**

<sup>1</sup> Reg. Fus. 2: 1.

<sup>2</sup> Reg Fus. 3: 2.

<sup>3</sup> A Discourse on Ascetical Discipline, (Frs. Of the Church, volume 9, p. 34).

<sup>4</sup> A Discourse on Ascetical Discipline, (Frs. Of the Church, volume 9, p. 34-35).

<sup>5</sup> Morals Rule 53:1.

<sup>6</sup> راجع دير السريان: القديس باسيليوس، ٢٠٠٣، ص ٨٧-٨٨

## الحب الأخويّ علامة التلمذة للمسيح

جاء كلمة الله متجسداً لينزع عداوتنا مع الآب ومع بعضنا البعض، فمن يقبله مُعلِّماً له، يليق به أن يصير مُحباً للبشر كمُعلِّمه!

❖ علامة تلاميذ المسيح حبهم الواحد للآخر فيه<sup>1</sup>.

❖ يليق بنا أن نتحرّر من العداوة نحو كل البشر، ونحب حتى الأعداء؛ وعند الضرورة نضع حياتنا عن أحبائنا بالحب مثل ما فعل الله ومسيحه لأجلنا<sup>2</sup>.

❖ من يُخطئ في حق قريبه بأية وسيلة وبسبب له عثرة تحطم إيمانه، علامة على عدم اقتناء حب المسيح للغريب، حتى وإن كان ما يبغاه الإنسان مسموحاً به في الكتاب المقدس لسببٍ ما. "إن كان أخوك بسبب طعامك يحزن، فأنت تسلك بعد حسب المحبة. لا تُهلك بطعامك ذاك الذي مات المسيح لأجله" (رو ١٤: ١٥).

القديس باسيليوس الكبير

## الحب الأخويّ والوحدة

من يحب إخوته في الرب، يلتصق بهم، ولا تقدر المسافات المكانية أو الزمنية أن تفصله عنهم، أو تفصلهم عنه، حتى الموت لا يعزل بينهم. يعيش الكل في وحدة، يتذوقها من عبروا إلى الفردوس، إذ يختبروا وحدتهم حتى مع الساهدين. تقوم هذه الوحدة في المسيح يسوع، كأعضاء في جسده، يحملون فكره؛ كل منهم يطلب خلاص إخوته.

❖ أي شيء أكثر بهجة من رؤية كل الذين انفصلوا بمسافات بعيدة ارتبطوا معاً بوحدة الحب في تناغم كأعضاء في جسد المسيح؟!<sup>3</sup>

❖ الرب نفسه الذي فصل الجزائر عن القارة بالبحر، يربط جزيرة المسيحيين بالقارة خلال الحب.

يا إخوة، ليس شيء يفصلنا عن بعضنا البعض سوى النفور المتعمد<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> *Morals, Rule, 5:2.*

<sup>2</sup> *Morals, Rule, 5:1.*

<sup>3</sup> *Morals, Rule, 5:3.*

<sup>4</sup> *Mike Aquilina: The Way of the Fathers, Indiana 2000, article 514.*

<sup>5</sup> *Mike Aquilina: The Way of the Fathers, Indiana 2000, article 515.*



❖ إذا أثر كثيرون صورة الخلاص، وارتضوا أن يعيشوا مع بعضهم البعض، يجب قبل كل شيء أن يكون لهم قلب واحد، وإرادة واحدة، وشهوة واحدة... وأن يكونوا متفقين مع بعضهم البعض، وإن كانوا أعضاء مختلفة<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## الحياة الرهبانية وبث روح السلام

يرى القديس باسيليوس أن المؤمنين يسلكون كما في رحلة نحو ربنا يسوع، ملك السلام، لهذا وهم في طريق رحلتهم في هذا العالم يلزمهم التدرّب على السلام. هذا يتحقّق بالآتي:

١. التمتع بالسلام الداخلي.
٢. يختبر المؤمن السلام، حتى مع من يقاومه.
٣. يبحث بكل وسيلة الآخرين على تذوّق السلام في المسيح يسوع.
٤. لا يقف مُتفَرِّجًا أو غير مُبالٍ بمن يسقط في الخطية، وبالتالي يفقد السلام.
٥. يُسر المؤمن بأخبار السلام حتى فيما بين الآخرين، ويشعر بالسعادة عندما يحل السلام.
٦. لا يكفّ المؤمن عن الصلاة من أجل سلام البشرية كلها، أو سلام العالم كله.

❖ يليق بنا ألا ننازع آخر ولا ننتقم، إنما إن أمكن أن نعيش في سلام مع كل بشر، كما يوصي الرب (مت ٥ : ٣٨-٣٩)<sup>٢</sup>.

❖ يلزمنا أن نقود الآخرين معنا إلى السلام الذي في المسيح (مت ٥ : ٩)<sup>٣</sup>.

❖ يلزمنا ألا ننتقم حتى لخطأ أصاب آخر من ذلك الذي سبب الأذية (مت ٢٦ : ٥٠-٥٢)<sup>٤</sup>.

❖ يلزمنا ألا نكون غير مُبالين بالخطاة، بل نندبهم، ونحزن عليهم (لو ١٩ : ٤١-٤٣)<sup>٥</sup>.

❖ ليتنا لا نتطلع إلى الخطاة في صمتٍ (لو ١٧ : ٣)<sup>٦</sup>.

راجع دير السريان: القديس باسيليوس، ٢٠٠٣، ص ٨٥

<sup>2</sup> *Morals Rule 49:2.*

<sup>3</sup> *Morals Rule 50:1.*

<sup>4</sup> *Morals Rule 49:3.*

<sup>5</sup> *Morals Rule 52:1.*

<sup>6</sup> *Morals Rule 52:2.*

❖ ليتنا لا ندخل في شركةٍ مع الخطاة إلا بغرض دعوتهم للتوبة، وبكل وسيلة بعيدًا عن الخطية (مت ٩ : ١٠-١٣)<sup>١</sup>.

❖ تحت أي شكل من الاشتياق والاعتناء بهم (بالإخوة)، يلزمنا أن نتجنب الذين يصرون على السلوك في طرقهم الشريرة (مت ١٨ : ١٥-١٧)<sup>٢</sup>.

❖ لا توجد أخبار تدعو للسعادة لأي مسيحي، مثل أخبار السلام، ولا شيء يفرح الله أكثر من هذا. يكافئك الله على مجهوداتك الشاقة الدقيقة التي فعلتها في هذا العمل الرائع لصنع السلام. تذكر يا صديقي العزيز أننا لا نكف عن الصلاة، حتى نرى اليوم الذي نكون فيه جميعًا واحدًا غير مُنقسمين في الفكر وفي المجمع الواحد. حقًا سنكون أناس غرباء عن الله إذا كنا نفرح في الانشقاقات والانقسامات التي تهدد الكنيسة، وإذا لم نعتبره إنجازًا عظيمًا أن نرى أطراف المسيح المتشتمة تتجمع مرة أخرى<sup>٣</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## الشركة الأخويّة في الرب

لا يرضى القديس باسيليوس أن بضحيّ بالفرد لحساب المجتمع، ولا المجتمع لحساب الإنسان. فهو يبرز بكل قوّة أهميّة الكائن البشري ورفعة كرامته، وفي نفس الوقت أهميّة الحياة الاجتماعيّة<sup>٤</sup>. بحياة الشركة تتضاعف الإمكانيات، إذ تعمل الأيدي الأخرى لحساب المؤمن، كما تعمل يداه لحساب إخوته. وكما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم:

[وحدة عشرة أشخاص أتقياء يجعلون من الواحد عشرة. بالتبعية كل واحدٍ منهم يمكنه أن يعمل خلال عشرين يدًا، ويرى خلال عشرين عينًا؛ وكل واحد ينال رعاية كما للعشرة، كما يهتم هو بنفسه. لهذا فإنّ الأعين والأيادي والأقدام التي للعشرة تخدم كل واحدٍ منهم. فلا يكفي إنسان بأن يهتم بنفسه وحده، بل يهتم أيضًا بالآخرين.

بهذا يستطيع الواحد أن يفعل أمورًا كثيرة، لأن له طاقات العشرة. إذن متى وجدت وحدة بين مائة شخص تقي، كل واحدٍ يحمل طاقة مائة شخص<sup>٥</sup>.

<sup>1</sup> *Morals Rule 52:3.*

<sup>2</sup> *Morals Rule 52:4.*

<sup>3</sup> *Basil the Great: Gateway to Paradise.* ترجمة. ١٩٩٦. أبناء البابا كيرلس السادس، *Cf. Letter 156,1.*

<sup>٤</sup> الأب إلياس كويتر المخلصي: القديس باسيليوس الكبير، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، ١٩٨٩، ص ١٠١

<sup>5</sup> *Hom. 78 in John. PG 59:425.*

❖ ليس أحد منا يقدر أن يقوم وحده بكل حاجاته الجسدية، بل نحتاج بعضنا إلى بعض لقضاء تلك الحاجات<sup>١</sup>.

❖ لا يتمتع الإنسان في العيشة الاجتماعية بموهبته الخصوصية فقط، بل يضاعفها بإشراك الآخرين فيها، ويجتني ثمرًا من مواهبهم، كما يجتني من موهبته<sup>٢</sup>.

❖ الإنسان الذي يخفي في ذاته ما منحه الله من النعم والمواهب، ولا يشرك الآخرين في فوائدها، يُدان كمن دفن وزنته<sup>٣</sup>.

❖ إذ تُعطى عطية الله كهبة مجانية، من واجبنا أن نشارك فيها (الآخرين) مجانًا، ولا نستخدمها وسيلة لإشباعنا الذاتي (مت ١٠ : ٨-٩؛ أع ٣ : ٦-٧)<sup>٤</sup>.

❖ لمّا كانت مواهب الروح القدس متباينة، ولا يوجد شخص واحد يتقبلها كلها، كما لا يتقبل الجميع موهبة بعينها، لذلك يلزم كل واحد أن يقتنع بحكمة وشكر بالموهبة الممنوحة له، ويعمل الجميع في تناسق في محبة المسيح كأعضاء في الجسد. هكذا فإن من مُنح بمواهب أقل لا يعاني من الإحباط بمقارنته بمن نال موهبة أسمى نسبيًا، ولا يزدري من نال موهبة أعظم بمن نال أقل منه. فإن من ينقسمون على بعضهم، ويختلفون مع بعضهم البعض يستحقون الدمار (مت ١٢ : ٢٥؛ ١ كو ١٢ : ١٢-١٣)<sup>٥</sup>.

❖ يجب أن نهتم ليس فقط بالحاضرين، بل وأيضًا بالغائبين، ونعمل كل شيءٍ مطلوب لأجل البنیان (١ تس ٣ : ١-٢)<sup>٦</sup>.

❖ يفودني روحك المحب في أرض الأبرار (مز ١٤٣ : ١٠)، عندئذ نمارس أعمالنا. قد يكون بعض الإخوة غائبين عنا بسبب العمل، أو لبُعد مسافة السكن، ومع ذلك يلزمنا أن نتّمّ التزامات الجماعة معًا بدون تردّد. "فإنه حيث اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي، أكون في وسطهم" (مت ١٨ : ٢٠).

**القديس باسيليوس الكبير**

<sup>1</sup> *Regulae fusius tractatae Question 7.*

<sup>2</sup> *Regulae fusius tractatae Question 7.*

<sup>3</sup> *Regulae fusius tractatae Question 62.*

<sup>4</sup> *Morals, Rule 58:3.*

<sup>5</sup> *Morals, Rule 60:1.*

<sup>6</sup> *Morals, Rule 70:16.*

## الحُب الأخوي وخلص الإخوة

❖ من له محبة المسيح يسبب أحيانًا حزنًا حتى لمن يحبه لأجل صالحه (٢ كو ٧: ٧-٩)¹.

القديس باسيليوس الكبير

### كيف نمارس حياة الشركة؟

❖ سؤال: يليق بنا أن نتعلم كيف يلزمنا أن نعيش الواحد مع الآخر...

عندما يقول الرسول: "ليكن كل شيء بلياقةٍ وبحسب ترتيب" (١ كو ١٤: ٤٠)، أظن أنه يشير إلى اللياقة والترتيب حسنًا في أسلوب الحياة في مجتمع المؤمنين، حيث تتحقق العلاقة بين أعضاء الجسد.

الشخص الذي يُعهد إليه الإشراف العام، والذي يقيّم ما قد تحقق، ويضع الخطط، ويجهّز ما يجب عمله، يُقال عنه إنه يقوم بدور العين.

يقوم آخر بدور الأذن أو اليد في الاستماع للأوامر وتنفيذها، وهكذا كل عضو في الجسد (له دوره).

إنه من المهم أن تضع في الذهن مماثلة كل أعضاء الجسم، حيث أن أي إهمال أو فشل في استخدام الأعضاء لتحقيق الهدف الذي من أجله خلقها الله، يعرّض العضو للخطر. إن كانت اليد أو القدم كمثال لا تتبع قيادة العين، تجلب الأولى خرابًا لنفسها لا مفر منه، وتحل الكارثة على كل الجسم.

إذ تفقد العين النظر، تهلك بالضرورة مع بقية الأعضاء، وتعاني من المحنة السابق الإشارة إليها. بنفس الطريقة، من الخطر على الرئيس أن يُهمل، إذ يحتل مركز الحكم في كل شيء، فإن عدم طاعة المرؤوسين مضر ومؤذي ويكون الخطر أكثر على وجه الخصوص إن صار الأمر مخزيًا للبقية.

كل شخص يُظهر غيرة لا تكل في موقعه، يحقق وصية الرسول: "غير متكاسلين في الاجتهاد" (رو ١٢: ١١)، يستحق المديح لنشاطه، أما في إهماله فيستحق العكس، أي البؤس والويل، إذ يقول النبي: "ملعون من يعمل عمل الرب برخاءٍ (برخاوة)" (إر ٤٨: ١٠)².

❖ الذين لا يتساوون مع الأطفال فيما بينهم، وذلك في علاقتهم الواحد مع الآخر (مت ١٨: ٣) لن يستطيعوا أن يُحسبوا أهلًا لملكوت السموات³.

القديس باسيليوس الكبير

¹ *Morals, Rule, 5:5.*

² *Reg. Fus. 24.*

³ *Morals Rule 45:1.*



## تكريم كل عضو الآخر

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [حينما يقول "وآدين بعضكم بعضًا بالمحبة" (رو ١٢: ١٠)، يعني كونوا أصدقاء وحازين أيضًا. لا تنتظر أن يحبك الغير، بل اقفز نحوه بنفسك ولتكن أنت المبتدئ. بهذا تحصد أجرة محبته أيضًا. أظهر السبب لماذا يلزمنا أن نحب بعضنا بعضًا واخبرنا عن الطريق الذي فيه تلتهب المودة الثابتة، إذ أردف قائلاً: "مقدمين بعضكم بعضًا في الكرامة". هذا هو الطريق الذي يُنتج المودة، والذي فيه تسكن مودة بعد إنتاجها. ليس شيء يخلق أصدقاءً مثل السعي بغيرة لتكريم الإنسان قريبه.]

❖ بهذا عرفنا محبة الله، لأنه أسلم نفسه عوضًا عنا. فينبغي علينا نحن أيضًا أن نبذل أنفسنا عوضًا عن إخوتنا (١ يو ٣: ١٦). فإذا كان ينبغي أن يبلغ حبنا للمسيح هذا الحد، أي إلى بذل أنفسنا عوضًا عن إخوتنا، فبالحري إذاً أن يبلغ بنا إلى أشياء كثيرة نصادفها كل يوم، وهي أقل كلفة بكثيرٍ عن بذل أنفسنا عنهم.

أحد هذه الأشياء وأحقها؛ الذي تقتضيه المحبة منا وتعيننا في حياتنا ونموها هو اعتبارنا للقريب، فهذا عليه يتأسس ويعتمد كل بنيان المحبة الحقيقية...

اعتبارنا لإخوتنا يجعلنا نحبههم ونكرمهم ونخدمهم ونتمم نحوهم بقية ضرورات المحبة. بمقدار ما يزيد فينا اعتبارنا لهم... تزداد فينا المحبة وتوابعها، لهذا يحث الرسول أهل فيلبّي: "لا شيئًا بتحزبٍ أو بعجبٍ، بل بتواضع، حاسبين بعضكم البعض أفضل من أنفسكم" (في ٢: ٣). وقال أيضًا لأهل رومية: "وآدين بعضكم بعضًا بالمحبة الأخوية، مقدمين بعضكم بعضًا في الكرامة".

❖ لن يستطيعوا أن يُحسبوا أهلاً لملكوت السموات، الذين لا يتساوون مع الأطفال فيما بينهم، وذلك في علاقتهم الواحد مع الآخر (مت ١٨: ٣).<sup>١</sup>

❖ يليق بالمسيحي أن يكون هادئًا في صوته، لا يجيب أحدًا أو يتصرف مع أحد بخشونة أو باستخفاف بل في كل شيء يسلك بحلم (في ٤: ٥) مكرمًا كل أحد.<sup>٢</sup>

القديس باسيليوس الكبير

## خدمة القديسين

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [إن خدمت القديسين (الفقراء) فستشاركهم مكافأتهم].<sup>٣</sup>

<sup>١</sup> *Morals Rule 45:1.*

<sup>٢</sup> *Ep. 22: 2.*

<sup>٣</sup> *In Phil. Hom 1.*

❖ مبارك هو الله الذي يختار هؤلاء الذين في كل جيل يسرونه، ويُعرفون كأوانٍ مختارة منه، ويستخدمهم لخدمة القديسين<sup>1</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

### أيهما تختار: عمل مريم أم مرثا؟

يقول القديس أغسطينوس: [صالح هو ما فعلته مرثا بخدمتها للقديسين، لكن الأفضل هو ما فعلته أختها مريم بجلوسها عند قدمي الرب واستماعها كلمته<sup>2</sup>]. ويقول القديس أمبروسيوس: [لا يعيب الرب على مرثا أعمالها الصالحة، لكنه يفضل عليها مريم لأنها اختارت النصيب الصالح، فعند يسوع توجد كنوز الغنى وهو كريم في عطاياه الوفيرة، لذا اختارت الحكمة الأساسي. هكذا لم يترك الرسل كلمة الله ليعدموا الموائد (أع ٦: ٢)<sup>3</sup>].

❖ تأمل ما أقول: مرثا قبلت الرب، ومريم جلست عند قدميه تسمع كلامه. فنشاطهما كلاهما جيد. لكن ينبغي أن نميز عمل الواحدة عن عمل الأخرى، ونفهم ما قيل فيه. خدمت مرثا بنشاطٍ حاجة الجسد لتضع (الطعام) أمام الرب، وأمّا مريم فجلست عند قدميه تسمع كلامه...

سألته مرثا أن يترك أختها تساعدها في خدمتها وتعبها، فقال لها الرب: "مرثا، إنكِ تهتمين من أجل أمورٍ كثيرة، ولكن الحاجة إلى واحدٍ، ومريم اختارت لها نصيبًا صالحًا لا ينزع منها" (راجع لو ١٠: ٤١-٤٢). كأنه قال لها لم آت لراحة البطن، بل أتيت لأقوتكم بكلام الحق. فمدح عزم مريم، ولم يمنع مرثا من خدمتها. فعمل مرثا ليس بمنبوذٍ، ولكن عمل مريم أفضل منه، لأنها رفعت عقلها إلى ما هو أفضل.

افهم هذا المعنى روحياً يا حبيبي، فإن كنت تريد أن تخدم الناس من أجل المسيح، فاصنع هذا فهو جيد ومقبول عند الله، لأنه قال بفمه: "الحق أقول لكم: بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر، فبي فعلتم" (مت ٢٥: ٤٠).

وإن كنت تريد إن ملكتك الغيرة على عمل مريم التي تركت خدمة الجسد وصعدت بفكرها إلى التعليم الروحاني، فاسلك كاستحقاق العمل، واطهر قريحة مستقيمة في الله، واترك الأمور الظاهرة المختصة بجسدك وبالعالم من راحة المآكل وغير ذلك، واجلس عند قدمي الرب واسمع كلامه، لتكون مشاركاً لأسرار اللاهوت.

<sup>1</sup> Mike Aquilina: *The Way of the Fathers*, Indiana 2000, article 970.

<sup>2</sup> *On the Good of Marriage* 8.

<sup>3</sup> *In Luc. 10:38-42*.

فإن النظر في تعليم الرب عظيم هو، أرفع من كل خدمة الجسد. وإن قدرت وملكتك الغيرة على العاملين، فإنك تفتني أجرهما والطوبى التي لهما. وإلا فاختر الأفضل وهو الروحاني الذي قال عنه إنه النصيب الصالح<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## فن الحوار

يليق بمن ينضم إلى نظام الشركة أن يتدرّب على آداب أو فن الحوار، وقد أبرز القديس باسيليوس الآتي:

١. مع الجدية في الحديث، يلزم عدم المبالغة.
٢. لا يكون الدافع للحوار التباهي في المعرفة أو الحكمة أو القدرة على الإقناع، إنما يكون الدافع هو الحُب وبنیان النفوس في الرب.
٣. الاستماع للآخر بطول أناة وبغير مقاطعة لكلامه.
٤. لا ننسب كلمات الغير لأنفسنا من أجل الظهور.
٥. الانتفاع بخبرة الآخرين مع حُب التعلم بغير خجل.
٦. عدم التسرع في الإجابة، بل نزن كل كلمة قبل النطق بها.
٧. استخدام اللطف ما أمكن.
٨. عدم التدخل فيما لا يعنينا، ولا نكون مُحبين للاستطلاع.

❖ لتتعلّموا كيف تتناقشون، كيف تُستجوبون بدون مبالغة في الجدية، وكيف تجاوبون بدون رغبة في التباهي، مع عدم مقاطعة من يتكلم في أمورٍ نافعة، وعدم الرغبة في نسب كلمة آخر إليكم من أجل الطموح.

يليق بكم أن تزنوا كل كلمةٍ مقولةٍ ومسموعةٍ، مع عدم الخجل من قبول أية معلومة، وعدم إنكار الجميل لما تعلّمتموه من الآخرين...

يليق بالشخص أن يفكر أولاً فيما سيقوله وعندئذ ينطق به.

كونوا لطفاء عندما تُخاطبون، ورفيقيين في الحوار المتبادل، دون الهدف أن تُسرّوا بالحدّاقة، بل تبقوا على اللطف بنصائح رقيقة. لتتجنبوا الفظاظة تمامًا حتى في توجيه اللوم<sup>٢</sup>.

❖ يليق بنا أن نستمع إلى الذين يسألوننا كي نتشاور معًا للفائدة (أع ٩ : ١٨-١٩)<sup>٣</sup>.

<sup>٢</sup> راجع دير السريان: القديس باسيليوس، ٢٠٠٣، ص ٤٩-٥٠.

<sup>٢</sup> Mike Aquilina: *The Way of the Fathers*, Indiana 2000, article 601.

<sup>٣</sup> *Morals*, Rule 70:17.

❖ يليق بنا ألا نشغل أنفسنا بأمور لا تخصصنا<sup>١</sup>.

## ما هو موقفنا إن وجدت مناقشات أو حوار بين بعض الإخوة؟

يلتزم المؤمن أولاً وقبل كل شيء أن يضع خلاص نفسه وخلاص إخوته نصب عينيه.

❖ لا يليق بنا أن نشترك في مناقشات غير مثمرة جدلية (٢ تي ٢: ١٤، ٢٣)<sup>٢</sup>.

❖ يلزم ألا ننطق بكلمات بطالة لا نفع لها، لأنه من يتكلم أو يمارس حتى عملاً صالحاً لا يهدف للبنيان، يحزن روح الله القدوس (مت ١٢: ٣٦)<sup>٣</sup>.

❖ كل كلمة وكل عمل يلزم أن يُصدق عليه بشهادة الكتاب المقدس، لتعزيز موقف الصالحين ولخزي الأشرار (مت ٤: ٣-٤)<sup>٤</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## وفاء الكلاب

كثيراً ما أبرز القديس باسيليوس أن الخليفة بما فيها من حيوانات وطيور وحشرات وأسماك تُقدّم للإنسان بعد سقوطه في الخطية دروساً، لأن ما تمارسه بالغريزة الطبيعية صار أفضل مما يفعله الإنسان بانحرافه عن الفكر السليم والاعتزان.

❖ ما يحفظه الحيوان من ذكر المعروف الذي ناله، يُجبل الإنسان الناكر الجميل لمن أحسن إليه. ويحفظ لنا التاريخ ذكر كثير من الكلاب التي ماتت يأساً على مقتل أسيادها في أماكن مقفرة. وفي أحوال أخرى دلت على القاتل، ودفعت إلى القبض عليه.

فماذا يقول من ليس فقط يتغافلون حُب الله الذي خلقهم ويقوتهم، بل يشتركون مع من

يُجذّفون على اسمه؟<sup>٥</sup>

القديس باسيليوس الكبير

<sup>1</sup> *Morals, Rule, 9:2.*

<sup>2</sup> *Morals Rule 25:1.*

<sup>3</sup> *Morals Rule 26:2.*

<sup>4</sup> *Morals Rule 26:1.*

<sup>٥</sup> ترجمة الأب ج. عتيقي اليسوعي.



## الصدّاقة

اعتاد القديس باسيليوس أن يُقدّم نفسه مثلاً لأبنائه الرهبان كما للأساقفة والكهنة والشعب. كان مثلاً لكل مؤمن، يتمتع بصدّاقة أشخاص كثيرين. يقول: [منذ زمن شبّابي إلى شيخوختي، نعمتُ بوفرة الأصدقاء؛ وكنت أحبذ الصداقة وأسعى إليها<sup>١</sup>.]

سبق لنا الحديث عن صداقته مع القديس غريغوريوس النزينزي<sup>٢</sup>، ونظرته للصدّاقة<sup>٣</sup>. باح باسيليوس إلى هؤلاء الأصدقاء بخوالج نفسه، وكشف عن دفائن قلبه. كتب للأسقف فاليريان:

[بالرغم من أنك بعيد عني، تفصل بين أجسادنا مسافات هائلة، إلا أنك قريب إليّ، وحاضر في قلبي، بواسطة الرسائل وبواسطة المعانقة الحبيبة التي أحضنك بها، والتي تبعث في أعظم الشوق وأعظم المودّة...]

وفي الحقيقة علمتنا التجارب والخبرة اليومية صحّة هذا المثل المأثور والسائر: مثل الماء البارد الذي ينزل على الأرض العطشى، هكذا تقع في القلب البشري القادمة من بعيد. إن القحط في المحبّة، والانقطاع في الود لهو شيء رهيب وخطير. وسبب ذلك بسيط جدّاً، فإن المحبّة تبرّد عندما يتكاثر الشرّ.

ولهذا السبب كانت رسالتك عزيزة وجميلة الأثر في قلبي، ولهذا أيضاً أُجيب عليها سريعاً، باعناً بالجواب مع حامل رسالتك إليّ.]

❖ كيف يختلف الصديق على المتملّق، المتملّق يتحدّث ليهب لذّة، أمّا الصديق فلا يحجم عن شيء حتى ولو كان فيه ألم.

القديس باسيليوس الكبير

## الصدّاقات الخاصة

كل صدّاقة ليست في الرب لا يحق دعوتها صدّاقة، لأنها تزول سريعاً. ومن أمثلة تلك الصداقات غير الحقيقية، الصداقات الخاصة المُعثرة.

إذا جلس الإنسان في وسط جماعة يليق به أن يحذر من تكوين صدّاقة خاصة تجلب غيرة الباقيين نحوهما، بل يتحدّث مع الكل، ويتعامل مع الجميع بلا تمييز.

<sup>١</sup> الأب إلياس كويتر المخلصي: القديس باسيليوس الكبير، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، ١٩٨٩، ص ١٩٩

<sup>٢</sup> للمؤلف: القديس باسيليوس الكبير، ج ١، ٢٠١١، ص ٢٨-٢٩

<sup>٣</sup> المرجع السابق ص ١٠٩-١١١

وقد تحدث القديس باسيليوس الكبير كثيرًا في عظاته عن تدبير الرهبان، عن تلك الصداقات المُعثرة التي توجد في وسط جماعة عامة، طالبًا الالتزام بالحكمة في تكوين الصداقة، فلا نحب شخصًا أكثر من الآخرين، وبخاصة من الرؤساء، لئلا يتسبب عن ذلك تحزبات وانشقاقات وحسد وغيره بين الرؤساء.

يليق بنا التمييز بين نوعين من الصداقات الخاصة. إذ توجد صداقات خاصة مقدسة في الرب، حتى قيل عن بعض الرهبان في صداقتهما لبعضهما البعض، إن كل اثنين منهما كانا أشبه بروح واحدة في جسدين. لا يشغلها إلا مساندتهما لبعضهما البعض في نموها الروحي، يسلكان معًا كما في صداقة ملائكية. أمّا النوع الثاني من الصداقات الخاصة فهو الذي يقوم على نوع من الدالة تسبب غيرة وحسدًا وسط الجماعة، وتحمل نوعًا من المحاباة.

❖ لا يسمح قانون المحبة بالصداقات الخاصة، ولا بالمجموعات المغلقة على نفسها وسط الحياة الجماعية، لأن العلاقات الخاصة تسبب ضررًا للوحدة العامة يستحيل تجنبها. لهذا، يليق بكل أحد أن يُقدّم حُبًا متساويًا للواحد والآخر، هذا ما يسود الجماعة كلها. إن وُجد لسبب ما من يُقدّم عاطفة خاصة لزميل بكونه أخاه أو قريبه أو غير ذلك، يجب أن يُؤدّب بكونه يؤذي الصالح العام، فإن أية زيادة في المحبة نحو فردٍ ما يُسبب نقصًا في محبتك للآخرين<sup>1</sup>.

❖ من يحب أحدًا أكثر من آخرين يخون رغبته في الحُب الكامل للآخرين<sup>2</sup>.

❖ يلزم أن تكون محبة الكل لكل متساوية بغير مُحاباة، ويليق بكل فردٍ أن ينال قدرًا لائقًا من الكرامة. فإن الذين يتحدون هكذا لن تجد العلاقة الدموية طريقًا لتقديم درجة أعظم للحب أو للرباط الدموي في حالة الأخ أو الابن أو الابنة حسب الجسد لتثير حُبًا أعظم من أجل العلاقة الدموية عن محبة البقية. من يتبع الطبيعة في هذه الأمور يُقدّم شهادة واضحة أنه لم ينسحب بعد من الطبيعة تمامًا، بل لا يزال خاضعًا لقانون الجسد<sup>3</sup>.

❖ النزاعات غير اللائقة، والمحبة الخائفة متشابهان، كلاهما يجب إزالتها من الدير. لأن العداوة تنشأ عن المشاحنات، والصداقة الخاصة والانقسامات تنشأ عن الريبة والغيرة.

في كل مثالٍ فقدان المساواة (في التعامل) هو أصل وأساس كل حسدٍ وكراهيةٍ من جانب الذين يُستخف بهم. لهذا تقبلنا أمر الرب أن نتمثل بصلاحه الذي يُشرق الشمس على الأبرار

<sup>1</sup> *An Ascetical Discourse, (Frs. Of the Church, volume 9, p. 213-214).*

<sup>2</sup> *An Ascetical Discourse, (Frs. Of the Church, volume 9, p. 219).*

<sup>3</sup> *An Ascetical Discourse, (Frs. Of the Church, volume 9, p. 220).*

والأشرار (مت ٥ : ٤٥). فإن كان يهب نصيباً من النور بلا مُحاباة للجميع، هكذا يليق بأتباعه أن يبعثوا أشعة الحُب ببهاءٍ متساوٍ على الجميع تماماً.

لكن إن كان كما يقول يوحنا: "اللَّهُ محبة" (١ يو ٤: ١٦)، فبالضرورة الشيطان هو الكراهية. وكما أن الذي له الحب له بالتبعية الله، هكذا من له البغضة يحتضن الشيطان داخله<sup>١</sup>.

❖ من الظلم أن يوجد في المجمع مجموعات مرتبطة وحدها. لأن من يحب واحداً أكثر من الباقين، يُظهر أن ليس فيه المحبة الكاملة للكل.

وكما يجب أن يخرج من المجمع كل خصامٍ غير نافع، كذلك يجب أن تخرج منه هذه المحبة حتى لا يُحب قوم أفضل من قوم.

لأنه كما تنشأ العداوة من الخصام، كذلك الحسد والمخالفات من الذين أحتقروا تكون من هذه المحبة. من أجل هذا، أوصانا الرب أن نتشبه بصلاح الذي يشرق شمسُه على الصالحين والظالمين.

الموضع الذي تكون فيه المحبة الناقصة، تدخل إليه البغضة.

وإذا كان الله هو المحبة كما قال يوحنا اللاهوتي، فإبليس هو البغضة. وكما أن الذي فيه المحبة، فالله له، كذلك الذي له البغضة، فقد اقتنى إبليس ساكنًا فيه<sup>٢</sup>.

❖ يجب على الرهبان أن يكون بينهم حب واتحاد عظيم، إلا أنه ينبغي أن يُنتزع عنهم كل اتحادٍ خاص كائن بين شخصين أو ثلاثة، على أن هذا الاتحاد الخاص ولو ظهر كأنه مقدس، فهو انشقاق عن الآخرين.

❖ الذي يحب أحداً من الإخوة أكثر من الباقين، فبمجرد فعله هذا، يُظهر أنه لا يحب بقية الإخوة حُباً كاملاً، وبالتالي يُسيء إليهم، مُفترياً على جماعة الدير.

فإن كان الله يغتاظ ممّن أساء إلى شخصٍ واحدٍ غيظاً هذا حده، حتى يقول: "يمسّ حدقة عين الله" (زك ٢ : ٨)، فماذا يكون حال من يسيء إلى كل الجماعة؟

❖ الصداقات الخاصة تزرع على الدوام الحسد والعداوة، وتسبب الانشقاق والتعصّب واللوم الخفي التي هي خراب للرهبنة وهدم لها.

**القديس باسيليوس الكبير**

<sup>1</sup> *An Ascetical Discourse, (Frs. Of the Church, volume 9, p. 221).*

<sup>٢</sup> راجع دير السريان: القديس باسيليوس، ٢٠٠٣، ص ٨٨



## المُنازعات وحياة الشركة

### بخصوص المُنازعات في الجماعة

خلال أي نظام في وسط جماعة، خاصة إن قامت على نظام الشركة، قد توجد خلافات في الرأي، مما قد تتطور إلى منازعات تُفسد جو المحبة والتفاهم. وقد قدم القديس باسيليوس علاجًا للموقف على المستوى الاجتماعي، كما تلى المستوى الإيماني الفعّال.

تحت عنوان "الخلافات في الكنيسة - في السبب في اختلاف أولاد الكنيسة والخطر في تضاد بعضهم لبعض"، كتب المقال التالي، حيث يُقدّم علاجًا لوجود أية نزاعات في وسط الجماعة.

في هذه الفترة التي فيها تستعد الكنيسة لانتخاب البطريرك بعد نياحة البابا شنودة الثالث، إذ كنت أدرس نظرة القديس باسيليوس الكبير لِمَا تتعرض له الكنيسة من اختلافٍ في الرأي، قد تبلغ إلى منازعات، أود أن نتطّلع إلى معالجة القديس باسيليوس لهذا الأمر، كأحد آباء الكنيسة الأولين، الذي عاش في جوّ كنسي وعائلي رائع مع اتسامه بالفكر المتفتح منذ صباه، ودعوته للشباب للدراسات اليونانية المعاصرة.

### خطوات عملية لحلّ المنازعات

خلال المقال السابق ذكره، يقدم لنا خطوات عملية تسند الجماعة الرهبانية التي تقوم على نظام الشركة، بل ويقدم لنا القديس منهجًا اجتماعيًا وروحيًا وإيمانيًا لحفظ حياة الإنسان نفسه من وجود منازعات فيما بين جسده وروحه، وبين عقله وعواطفه وحواسه ... الخ، وحفظ الأسرة كما المجتمع الكنسي المحلي والجامعي ... الخ. إنه منهج يمسّ حياة الراهب كما الكاهن والشعب.

١. **عدم اعتداد المؤمن برأيه الذاتي**، بل يلتزم بفحص الأسفار الإلهية المقدسة التي تعلمها منذ صباه، كمصدر لمعرفة الحق الإلهي.

لقد وهبنا الله عطية العقل دون سائر المخلوقات الأرضية، لا لتجاهل هذه العطية، إنما لكي نُحسن استخدامها تحت قيادة روح الله القدوس. نعتز بهذه العطية لنسلك بروح الحكمة والفهم، لكن لا في كبرياء وعجرفة، إنما بروح القداسة نطلب الحق الإلهي خلال كلمة الله المُعلّنة للبشرية.

٢. **مع تمتعنا بكلمة الله - الكتاب المقدس - بعهديه**، يسألنا القديس باسيليوس ألا نتجاهل ما تدرّينا عليه تحت إرشاد أب الاعتراف والمعلمين الروحيين.



٣. في حوارنا معًا نضع أمام أعيننا الرفض التام لكل ما يخالف الوصية الإلهية. فلا تشغل الجماعة بالانحياز إلى فريق ما، إنما ما يشغل الكل هو الطاعة للوصية الإلهية، فتصير تصرفاتنا الظاهرة وأفكارنا الخفية موضع سرور الله.

٤. بعد أن أبرز القديس باسيليوس جهاد كل عضو في الجماعة في عدم الاعتداد برأيه الذاتي، خلال التمسك بكلمة الله والسلوك بروح الطاعة لأب الاعتراف والمعلمين الروحانيين، يتحدث عن التدبير والنظام. يليق بنا أن نخضع لرئيس عام واحد أو ملك، حتى لا يحل بنا ما حدث مع إسرائيل في أيام القضاة، إذ قيل: "في تلك الأيام لم يكن ملك في إسرائيل؛ كل واحد عمل ما يحسن في عينيه" (قض ٢١: ٢٥).

مع ما اتسم به القديس من سموً روحي، وتمتع بعلاقة شخصية مع الله، يؤمن بضرورة وجود تدبير منظم في حياة المؤمن وفي حياة الجماعة، "لأن الله ليس إله تشويش" (١ كو ١٤: ٣٣)، "ليكن كل شيء بلياقة وبحسب ترتيب" (١ كو ١٤: ٤٠). "لأننا لا نسلك بلا ترتيب بينكم" (٢ تس ٣: ٧).

يرى القديس وجود رئيس عام واحد أو ملك ... الخ، يُحسب أمرًا هامًا للسلوك بترتيب ولياقة، لإزالة المنازعات في وسط الجماعة.

٥. يحرص القديس باسيليوس في معالجته لكل الأمور أن يبرز التناغم بين اعتزاز المؤمن بما وهبه الله من عطايا ومواهب وقدرات شخصية مثل العقل البشري، واعتزازه بالحياة الكنسية مثل الطاعة لأب الاعتراف والاعتزاز بالتدبير والترتيب بلياقة في الرب. هذا كله يتحقق في الرب بكونه ملك الملوك، والقائد الحقيقي للمؤمن كما للجماعة. وكأن كل النزاعات تزول بالإعلان عن حضرة الرب وسكناه في الإنسان الداخلي، وأيضًا في الجماعة المقدسة، وقيام روحه القدوس باستلام عجلة القيادة.

ما أجمل العبارة: "إن سبب مضادات بعضنا لبعض، هو أننا لم نجعل أنفسنا مستحقين أن يرأسنا الله، ويحلّ فينا".

٦. يليق بنا أن نتعلم من الحيوانات غير العاقلة والحشرات، فبالغريزة تطيع من يرأسها. كثيرًا ما دعانا القديس أن نتعلم من النحل حيث تقود ملكة واحدة جماعة من النحل، دون أن تعصاها نحلة واحدة، وأيضًا الطيور والأسماك المهاجرة، إذ يسير الآلاف من السمك وراء سمكة واحدة قائدة لها.

٧. بحثنا القديس باسيليوس أن ندالب الاستنارة الإلهية، كي نسلك في النور الإلهي بكونه الحب، ونرفض الظلمة التي هي مصدر البغضة والكراهية والانشقاقات.

٨. يليق بنا أن ندرك أننا جميعًا أعضاء لجسد واحد له الرأس الواحد، المسيح يسوع. فالخلاف والنزاع فيه تجاهل للرب الحقيقي الذي يضم الجسد كله، ويوحد الأعضاء معًا، ويرفضون دوره كملك عليهم.

٩. عندما نسقط في نزاعات فلندرك أن علة هذه النزاعات ليس مجرد اختلاف أو تباين في الفكر، إنما وراء ذلك انحرافنا عن كوننا روحيين، فنصير جسديين، كتعبير الرسول بولس (١ كو ٣: ٣).

١٠. نضع في اعتبارنا أن الابن الوحيد والروح القدس وهما واحد مع الآب في ذات الجوهر، ولهما ذات إرادة الآب يعملان بحسب مشيئة الآب، كم بالأكثر يلزمنا نحن البشر أن نتعلم الخضوع وعدم الاعتداد برأينا الذاتي.

فيما يلي نصّ المقال مع وضع ترقيم لسهولة تتبع فكر القديس في هذا الشأن.

[١. بالمسيحية ومحبة الله للبشر ونعمة ربنا يسوع المسيح تخلصت من ضلالة العالم هذه الكائنة بإرادة الناس، ورُبيت من آباء عابدين مسيحيين، وتعلمت منذ كنت عندهم صبيًا الأسفار المقدسة التي جلبت إلي معرفة الحق.

ولما كبرت تغربت كثيرًا، ووقفت على أمور كثيرة، ورأيت أن جميع الصنائع (تتفق) اتفاقًا عظيمًا، وتوحد قلوب الذين يعملون في كل واحد منها.

وأما في كنيسة الله التي مات عنها، وأفاض عليها من غنى روح قدسه، فرأيت شقاءً عظيمًا بين الناس، ومضادات كثيرة بعضهم لبعض وللأسفار (المقدسة) وأصعب الأمور مضادات الرؤساء بعضهم لبعض في الرأي والاعتقاد، ومضادات لوصايا ربنا يسوع المسيح، وتنفيرهم لقطيعه بدون شفقة. حتى كمل عليهم المكتوب: "ومنكم أنتم سيقوم رجال يتكلمون بأمور ملتوية، ليجتذبوا التلاميذ وراءهم" (أع ٢٠: ٣٠).

فلما نظرت ذلك، تحيرت في معرفة سبب هذه الشرور. فأولاً صرت في ظلمة، وصار فكري كميزان، تارة يميل إلى هذه الناحية، وتارة إلى الناحية الأخرى. فدفعات تقنعني الأفكار أن سبب ذلك هو العادات الرديئة التي صارت في الناس، ودفعات أضداد هذه الأفكار، قائلة: ليس هذا يحقق الأسفار الطاهرة.

٢. فأعيببت بتفكيري في هذا زمانًا طويلًا. وتذكرت الكلام المكتوب في سفر القضاة، القائل ان في ذلك الزمان كان كل واحدٍ يعمل ما استقامت (إليه) يده. ثم يذكر أنه في تلك الأيام لم يكن ملك لإسرائيل (قض ١٧ : ٦).

٣. فقلت لعل هذا الانقسام هو من مخالفتنا للملك الحقيقي الذي هو الله. فصرنا كمن ليس عليهم ملك، عندما ابتعد كل واحدٍ عن تعليم ربنا يسوع المسيح، وأقام له حدودًا وحججًا، تاركًا قضاءه منسئة الله، مريدًا أن يصير رئيسًا لذاته.

٤. فطاب قلبي بهذا، لأنني رأيت أن اتفاق الكثيرين يدوم، إذا أقاموا جميعهم ناظرين إلى مقدمهم فقط، سامعين له وحده. وأن الموضع الذي ليس فيه رئيس واحد، ويترأس عليه كثيرون بغير رتبة، ويضاد بعضهم بعضًا، ورأيت أن النحل له ناموس الطبيعة كذلك. وإذا كانت توجد ألقاب لكثيرين، فتلك علامة على كونهم ناظرين إلى واحدٍ وتابعين لرئيسٍ واحدٍ.

بالحقيقة أن المقاومة ومضادات البعض للبعض الآخر هي علامة قوم ليس عليهم رئيس. وبهذا نعلم أن الملك الحقيقي قد ابتعد عنا، كما هو مكتوب: "قال الجاهل في قلبه ليس إله" (مز ١٤ : ١). ودلّ على تحقيق قوله هذا، فقال إنهم فسدوا وتنجسوا بأفكارهم (مز ١٤ : ١). بالأعمال الرديئة التي يصنعونها ظاهرًا، تبكت نفاقهم المخفي.

وقد ذكر المغبوط بولس نفاق هؤلاء، إذ قال: "وكما لم يستحسنوا أن يبقوا الله في معرفتهم، أسلمهم الله إلى ذهنٍ مرفوضٍ، ليفعلوا ما لا يليق. مملوئين من كل إثم وزنى وشرٍّ وطمعٍ وخبثٍ، مشحونين حسدًا وقتلاً وخصامًا ومكرًا وسوءًا" (رو ١ : ٢٨-٢٩).

وأنا أظن أن الرسول لم يُميز هذا من ذاته وحده، إذ له المسيح ناطق فيه. لكنه أراد أن يُميز هذا من جهة الصوت القائل إن من أجل هذا تكلمت مع الجموع بأمثال ولم يفهموا سرائر الإنجيل المقدسة، "لأن قلب هذا الشعب قد غلظ، وبأذانهم سمعوا ثقيلًا وأعينهم أغمضوها، لئلا يبصروا بأعينهم، ويسمعوا بأذانهم، ويفهموا بقلوبهم، ويرجعوا فأشفيهم" (أع ٢٨ : ٢٧)، أي لا يريدون ما هو أعظم، لأنهم صاروا عميان بمشيئتهم بأعين قلوبهم عن أن يروا الأوائل. ومن هذا خاف داود، فقال: "أتر عيني لئلا أنام في الموت" (مز ١٢ : ٣).

فبهذه الأشياء قلت إن جميع الشرور إنما صارت من أجل قلة المعرفة بالله. وإن كانت (لنا) معرفة فهي غير ثابتة. وأن سبب مضادات بعضنا لبعض، هو أننا لم نجعل أنفسنا مستحقين أن يراسنا الله ويحلّ فينا.

٥. لما عرفت هذا، لم أدر مقدار عظم هذا الشر!



لأننا إذا كنا قد رأينا الاتفاق والوحدانية كائنين في البهائم بطاعتها للمترأس عليها، فماذا يُقال فينا نحن الذين فارقنا وعارضنا بعضنا بعضًا ووصايا الله التي كتبت لنا من قبل الله الصالح لتكون لنا تأديبًا في هذا العالم، كما تكون حجة علينا في اليوم المرهوب، إذا لم نتأدب بالمكتوب: "الثور يعرف قانيه، والحمار مغلف صاحبه. أما إسرائيل فلا يعرف! شعبي لا يفهم" (إش ١ : ٣).

وقد قال الرسول: "فإن كان عضو واحد يتألم، فجميع الأعضاء تتألم معه. وإن كان عضو واحد يُكرم، فجميع الأعضاء تفرح معه" (١ كو ١٢ : ٢٦). وذلك لكي لا تكون في الجسد فرقة. بل جميع الأعضاء يهتم بعضها ببعض، وتتحرك بنفس واحدة كائنة فيها. وأنا أظن أن هذه الشركة هكذا كانت حينما كان في كنيسة الله اتفاق، هذه التي قيل عنها: "أما أنتم فجسد المسيح وأعضاؤه" (١ كو ١٢ : ٢٧). ورأس الوحدة الحقيقية هي المسيح، تقود جميع الأعضاء، وتصل ما بين الكل، البعض بالبعض الآخر باتفاق.

فالذين ليس لهم القلب الواحد. ولا يحفظون رباط السلام ووداعة الروح، بل فيهم الشقاق؛ جسارة عظيمة أن يُظن أنهم أعضاء المسيح أو أنه ملك عليهم. فحقًا إن فكر الجسد هو الذي ملك عليهم، كقول الرسول: إن الذي أقمتكم لنفسكم له لطاعته، أنتم عبيد الذي تطيعونه<sup>١</sup>. وقد قال (بولس الرسول) "فإنه إذ فيكم حسد وخصام وانشقاق، أستم جسديين؟!!" (١ كو ٣ : ٣) ثم أظهر عاقبة الأعمال الرديئة بأنه لا شركة لها مع عبادة الله، فقال: "لأن اهتمام الجسد هو عداوة لله، إذ ليس هو خاضعًا لناموس الله" (رو ٨ : ٧). حقًا إنه "لا يستطيع ذلك، لأن ربنا قال: "لا يقدر أحد أن يخدم سيدين" (مت ٦ : ٢٤).

وإذا كان المسيح ابن الله الوحيد، الذي كان كائنًا من قبل كل شيء، يقول "لأنني قد نزلت من السماء، ليس لأعمل مشيئتي، بل مشيئة الذي أرسلني" (يو ٦ : ٣٨). وقال: "أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئًا" (يو ٥ : ٣٠). وقال: "لأنني لم أتكلم من نفسي، لكن الآب الذي أرسلني هو أعطاني وصية، ماذا أقول، وبماذا أتكلم" (يو ١٢ : ٤٩). ومكتوب أيضًا عن الروح القدس الذي يقسم المواهب العظيمة ويفعل في الكل "لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به" (يو ١٦ : ١٣).<sup>١</sup> يعني اتفاق جوهر الطبيعة الإلهية، فكيف لا يجب ضرورة أن تحفظ كنيسة الله اتفاق الوحدانية الذي للروح برباط السلام، وتكمل المكتوب في الإبركسيس: "وكان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة" (أع ٤ : ٣٢)؟! ولم يكن أحد منهم كالظاهر يقيم له

<sup>١</sup> لعل المقصود هو قول بطرس الرسول "وهم أنفسهم عبيد الفساد، لأن ما انقلب منه أحد فهو له مستعبد أيضًا" (٢ بط ٢ : ١٩).



زادة، بل كان جميعهم يطلبون من الروح القدس الواحد مشيئة ربنا، القائل: "لأنني قد نزلت من السماء، ليس لأعمل مشيئتي، بل مشيئة الذي أرسلني" (يو ٦ : ٣٨).

بهذا ومثله علمت أنه واجب أن تكون كنيسة الله بقلب واحد، وأنه خطر عظيم وهلاك هو قلة لضاة لله ومضادات مشيئته بمضادة مشيئة بعضنا البعض<sup>١</sup>.

يقدم القديس باسيليوس النصائح التالية:

١. يليق ألا يحدث الحوار بين المختلفين في الرأي بروح التشاجر، بل بروح الحب والبنيان.  
٢. إن تحوّل الأمر إلى نزاع، وهذا غير لائق بنظام الشركة، يُعرض الأمر على الرئيس أو من يعين لحل مثل هذه الخلافات.

٣. يُعطى سلطان للقائمين بحلّ هذه الخلافات، ويخضع المتنازعون لما يحكم به.

٤. يشترط في تعيين القائمين بمعالجة الخلافات أن يتسموا بالآتي:

أ. أن يكونوا أصحاب معرفة وخبرة.  
ب. أن يكونوا قادرين على اختيار الكلمات اللائقة، والوقت المناسب، ويجيدون الإنصات بطول أناة، ويهتمون ببنيان الجماعة.

يقدم القديس تشبيهاً لهم قائلاً بأن العامل لا يعهد بأدوات عمله، خاصة الدقيقة والتمينة كي يستخدمها من ليس له خبرة، فبالأكثر لا يُعهد حلّ المشاكل لمن لا خبرة لهم، فيشعلون المنازعات بالأكثر عوض معالجتها، فإن ما ينطقون به كلمات أثنى من أدوات العمل المادية.

❖ الآن بالنسبة للمنازعات التي تثور بين الإخوة، حينما يكون بعض الأفراد في غير توافقٍ على أمرٍ ما، يلزمهم ألا يتجادل الواحد مع الآخر بروح التشاجر، بل يعرضون الأمر على من كان منهم أكثر كفاءة. مع ذلك يجب عدم تشويش النظام الحسن بواسطة كل أحدٍ على الدوام بتقديم مشاكله على الدوام، ممّا تسبّب طياشة وحماسة، إنما يُعطى لشخص السلطان أن تُقدم له المنازعات التي في الجماعة بسبب ما، أو تُعرض على الرئيس. بهذا يتم فحص الأمر بلياقة ويُعالج بحكمة، فإن المعرفة والخبرة ليست رئيستين في أمرٍ ما مثلما في أمورٍ مثل هذه.

إن كان لا يأتى العامل أدواته أن يستخدمها أشخاص ليس لهم خبرة، بأكثر أهمية أن يقف استخدام كلمات (لفظ المنازعات) عند القادرين على اختيار الوقت المناسب بتمييز وكفاءة، واختيار المكان وطريقة التساؤل، والذين يجادلون بتعقلٍ بدون حقدٍ، ويجيدون الإنصات ببراعة، ويساهمون في إيجاد حل المشكلة بدقة للبنيان العام<sup>٢</sup>. القديس باسيليوس الكبير

<sup>١</sup> راجع دير السريان: القديس باسيليوس، ٢٠٠٣، ص ٢٧٦-٢٨٢

<sup>٢</sup> *Regulae fusius tractatae*, 49.

يليق بالمؤمن أن يتشبه بالمرتل الذي لم يصنع شرورًا بأحدٍ، ولا جازي من صنعوا به شرورًا بشرورٍ مثلهم، لهذا يتعجب من العدو الذي يطارده بلا سبب، لأنه لم يرد الشر بالشر. يكشف القديس باسيليوس عن نفوس المرتل الذي ليس فقط لا يبادر بالشر أي يعطي شرًا، وإنما ما هو أسمى من هذا أنه لا يجازي من يُبادره بالشر بشرٌ مثله، وبالتالي لا يدخل مع الأشرار في دائرة تبادل الشرور بغير توقف.

هذه التقوى ليست لأن طبيعته أفضل من طبيعة الذين يبادرونه بالشرور، إنما سرّها عمل الله فيه، أو الاختفاء في المسيح. وكان أمامنا طريقين، إما أن نستتر في المسيح فنحمل برّه، أو نسقط من النعمة الإلهية فنسحق تحت قدمي إبليس.

❖ "يارب إلهي، إن كنت فعلت هذا، وإن كان ظلمًا في يدي، أو جازيت (كافأت) الذين صنعوا بي الشرور، أسقط إذن أمام أعدائي فارغًا، ليطارد العدو نفسي ويأخذها" (راجع مز ٧: ٣-٦ LXX).

اعتاد الكتاب المقدس أن يستخدم كلمة "يجازي (يكافئ)" ليس فقط بخصوص الأعمال المعتادة، كمن يكافئ عن عملٍ صالحٍ أو شريرٍ، وإنما حتى في بداية العمل، مثل "كافئ (جازي) عبدك". عوض قوله: "أعط"، يقول: "جازي أو كافئ". العطاء هو بداية إحسان (من جانب شخص إلى آخر)، أما المجازاة فهي تبادل منفعة (أو ضرر) بين طرفين. إنها بداية من الطرف الآخر للدخول في دائرة من المنافع المتبادلة أو الشرور المختزنة للغير.

في نظري أن استخدام تعبير "جازيت" عوض "أعطيت"، يعني وفاء دين... المتحدث هنا في ثقةٍ لا يرد شرورًا لمن يصنعون له شرورًا، ولا يعاملهم بالمثل.

"إن كنت قد فعلت هذا... إن كافأت مسالمي شرًا، أستحق أن أسقط فارغًا أمام أعدائي".

من يسقط من النعمة التي هي ملء المسيح، يسقط فارغًا أمام أعدائه...

نفس البار التي تقف بحزمٍ أمام انفعالات الجسد، تختفي حياتها في الله (الآب) بالمسيح، فتستطيع أن تقول مع الرسول: "أحبيا لا أنا، بل المسيح يحيا فيّ، فما أحياء الآن في الجسد، فإنما أحياء في الإيمان (غل ٢: ٢٠).

أما نفس الخاطيء الذي يعيش حسب الجسد، ويتدنس بملذات الجسد، فتلتحف بأهواء الجسد كما في الوحل، ويطأ العدو على هذه النفس، ويعمل بقوة ليدنسها أكثر فأكثر، كما يدفنها، ويطأ على الساقط كما على الأرض، أي يبطأ على حياة من ينزلق في الجسد<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>١</sup> Homily 11:3 on Psalm 7.

## إرضاء الخصم

في حياة الشركة غالبًا ما تقوم الخصومة بسبب الإنسان أن أخاه يستغله ويغتصب ما لا حق له لذا يطالب القديس باسيليوس أنه يليق بالمؤمن أن يتنازل بكل حُبِّ ما أمكن من أجل السلام.

❖ سؤال: من هو خصم الإنسان؟ وكيف يرضيه طوال الطريق؟ (مت ٥ : ٢٥)؟

الإجابة: أوضح الرب على وجه الخصوص خصم الإنسان وهو من يحاول أن ينتزع ما هو لنا. ونحن بلا شك نتفق معه متى عملنا بهذه الوصية التي للرب القائل: "من أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك، فاترك له الرداء أيضًا" (مت ٥ : ٤٠). وبالمثل يجب أن نمارسها في كل أمر من هذا النوع (كل أمور النزاعات)<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## إيتوقف تدفق خطية الخبيث

إن كان المقاومون للمرتل يعاملونه بخُبثٍ، ففي محبته لهم يطلب من الله أن يوقف تدفق خطايا الخبيث منهم. كأن ما يشغل الإنسان ليس وجود من هو خبيث وسط الجماعة، فيحمل نوعًا من الضيق نحوه، إنما يتطلع إلى الخبيث كشخصٍ مريضٍ يحتاج إلى الطبيب السماوي ليشفيه من هذا المرض الخطير.

❖ "لينته شر الخطاة" (مز ٧ : ٩)

من ينطق بهذه الصلاة بالتأكيد هو تلميذ للوصايا الإنجيلية. إنه يُصلي من أجل الذين يعاملونه بخُبثٍ، سائلًا الله أن يضع حدًا لشر الخطاة.

كما أن الذي يُصلي لأجل الذين يعانون من ألمٍ في الجسد، يقول: "لينته مرض هؤلاء الذين يتألمون"، هكذا يطلب (من أجل عدوه) أن تتسلل الخطية ببطء بعيدًا عنه، ولا تنتشر مثل آفة آكلة (٢ تي ٢ : ١٧).

إنه يحب عدوه، ويشتهي أن يقدم خيرًا لمن يبغضونه، لهذا يُصلي من أجل الذين يتعاملون معه بخُبثٍ، لكي ما يتوقف تدفق خطيتهم ويحجم حدودها<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## الصلاة من أجل الصديق ليثبت في الله

إن كان المرتل يطلب من الله شفاء الخطاة من شرورهم، فهو يطلب منه أيضًا قيادة الصديق حتى لا يضعف، ولا يضلله إبليس عدو الحق.

<sup>١</sup> *Regulae brevius tractatae*, 222.

<sup>٢</sup> *Homily 11:6 on Psalm 7*.

❖ "قُد الصديق" (مز ٧ : ٩). يُدعى الصديق بارًا، والقلب القائم باستقامة بارًا.

ماذا إذن تعني صلاة النبي هس؟ إنه يُصَلِّي لأجل من هو بالفعل يقنتي البرّ أن يثبت في الاستقامة. بالتأكيد ليته لا يقل أحد. ن الصديق فيه شيء ملتوي أو منحرف أو معوج. إنما الصلاة ضرورية من أجله لكي ما توجه يد الله استقامة هدفه ونزاهة إرادته، حتى لا يميل عن قانون الحق خلال الضعف، ولا يضلّه عدو الحق خلال تعاليم منحرفة<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير



<sup>1</sup> Homily 11:6 on Psalm 7.



## أسئلة حول سلوك المؤمن في ظل نظام الشركة

يُقدّم لنا القديس باسيليوس الكبير الكثير من الأسئلة الخاصة بسلوك المؤمن أو الجماعة في ظل نظام الشركة، غالبًا ما قام بتجميع أسئلة الرهبان أو الرؤساء له خلال جلسات فردية أو جماعية. نذكر منها الأمثلة التالية:

### مباركتنا للشاتمين

يتساءل القديس باسيليوس: ماذا تعني مباركتنا للشاتمين؟ إننا نرى في الشاتمين قلوبًا تحتاج أن تتقي برنا يسوع المسيح فتمتلئ بالبركة والتعزية. فما يشغلنا حين يشتمنا أحد هو الشعور بحاجة الذي يشتمنا إلينا أن نطلب من الله كي يسكب تعزياته فيه. فحين يقول الكتاب: "عزوا شعبي" (إش ٤٠: ١)، إنما يطالبنا الرب أن نصرخ إليه بالحب، طالبين تعزياته لكل بشر. لقد كشف الرسول بولس أن الرسول نفسه يشعر باحتياجه لتعزيات الله خلال الشعب، كما يعلن أنه تمتع بتعزيات الله.

سؤال: يقول الرسول: "ثُتِمَ فَنبارك، نُضطهد فنحتمل" (١ كو ٤: ١٣)، كيف يمكن للإنسان الذي يُثتم أن يبارك، وأية مناشدة يصنعها من أفترى عليه؟

الإجابة: أعتقد أن الرسول يُعلّمنا الاحتمال من خبراته الخاصة لكي نقبلي التسامح تجاه الكل، ونرد الخير لكل الذين بادرونا بالشر. ليكون هذا إذن طريقنا ليس فقط مع من يشتمنا، بل مع كل من يصنع شرًا معنا، تطبيقًا للقول: "لا يغلبنك الشر، بل اغلب الشر بالخير" (رو ٢١: ١٢).

أما عن الاحتمال، فالكتاب المقدس لا يقصد به المعنى الدارج، وإنما حث القلب تجاه الاستماع (بروح التعزية)، كما قيل: "عزوا شعبي، يقول إلهكم" (إش ٤٠: ١). ويقول الرسول: "لأنى مشتاق أن أراكم، لكي أمنحكم هبة روحية لثباتكم، أي لنتعزى بينكم بالإيمان الذي فينا جميعًا، إيمانكم وإيماني" (رو ١: ١١-١٢)، وفي موضع آخر: "لكن الله الذي يُعزى المتضعين عزانا بمجيء تيطس" (٢ كو ٧: ٦)<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>١</sup> *Regulae brevius tractatae*, 226.

## الحاجة إلى المصالحة قبل تقديم الذبائح

يؤكد القديس باسيليوس أنه لا ينبغي بالكاهن كما بالشعب أن يقدموا ذبائح للرب خلال أسرار الكنيسة والعبادة العقلية ما لم نصلح مع اخوتنا، فيشتم الله عبادتنا رائحة الحب، ويسر بها.

❖ سؤال: هل الكلمات: "فإن قدمت قربانك إلى المذبح، وهناك تذكرت أن لأخيك شيئاً عليك، فاترك هناك قربانك قدام المذبح. واذهب أولاً اصطلح مع أخيك، وحينئذ تعال وقدم قربانك" (مت ٥: ٢٣-٢٤) موجهة فقط للكهنة أم للآخرين على حد سواء؟ وكيف يقدم كل منا قرباناً على المذبح؟

الإجابة: من الممكن أن تكون متلائمة أن توجه على وجه الخصوص وأولاً للكهنة، حيث كتب: "أما أنتم فتدعون كهنة الرب، تسمون خدام إلهنا" (إش ٦١: ٦). مع ذلك يوجد "ذابح الحمد يمجديني" (مز ٥٠: ٢٣)، وأيضاً: "ذبائح الله هي روح منكسرة القلب" (مز ٥١: ١٧). ويقول الرسول: "تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية" (رو ١٢: ١). كل من هذه الأقوال تناسب الجميع، ولذلك من الضروري على كل واحد منا أن يتممها<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

### ما هو موقف جماعة فقيرة من جماعة لا تريد الشركة معها؟

كما يليق بالإنسان ألا يستخف بأخيه في نفس الجماعة، حاسباً إياه أقل منه فكرياً أو ثقافياً أو روحياً، هكذا يليق بالجماعة ألا تستخف بجماعة أخرى لسبب أو آخر.

❖ سؤال: إن وجدت جماعات قريبة الواحدة من الأخرى، وكانت إحداها فقيرة، والأخرى نافرة من الشركة معها، ماذا يليق أن يكون موقف الجماعات الفقيرة من تلك التي لا تريد الشركة معها؟

الإجابة: كيف يمكن لهؤلاء الذين تعلموا في محبة المسيح أن يسلموا حياتهم الواحد عن الآخر (يو ١٥: ١٣) أن تقتر في أمر الجسد؟ يبدو أنهم قد نسوا ذلك القائل: "لأنى جعت فلم تطعموني" (مت ٢٥: ٤٢). لكن إن حدث فإن الفقراء يكونوا طوال الأناة مثل لعازر، ويقتنعون تماماً أن تعزيتهم في العالم العتيد<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>1</sup> *Regulae brevius tractatae*, 265.

<sup>2</sup> *Regulae brevius tractatae*, 181.

## محبة أخوية بنّاءة

يلزم ممارسة الحب بحكمة لخلّاص كل نفسٍ وبنیان الجماعة، فإن وُجد نزاع وسط الجماعة لا يكفي أن يحتمل الإنسان المظلوم أخاه، إنما يلزم معالجة الظالم ليس لمجرد إزالة النزاع، وإنما لتوبته ورجوعه إلى الرب.

❖ سؤال: إن حدث أن البعض يعيشون في جماعة في جدال الواحد مع الآخر، هل التساهل مع مثل هؤلاء من أجل المحبة لا يُسبّب خطرًا؟

الإجابة: يقول الرب: "كما أنك أنت أيها الأب فيّ وأنا فيك، ليكونوا هم أيضًا واحدًا فينا" (يو ١٧: ٢١). وكتب الرسول: "لكم محبة واحدة.... مفكرين شيئًا واحدًا" (في ٢: ٢)، وفي تاريخ الأعمال: "وكان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة" (أع ٤: ٣٢).  
فإن المجادلين هم غرباء عن هذه الأقوال.

لكن المحبة التي تتفق مع الكلمة تلاحظ القول: "من أحبه يطلب له التأديب" (أم ١٣: ٢٤). أما المحبة التي لا تتفق مع الكلمة (الإلهية)، فمهما كانت الحالة، فهي غير مقبولة، إذ قال الرب: "من أحب أبًا أو أمًّا أكثر منّي فلا يستحقني" (مت ١٠: ٣٧)¹.

القديس باسيليوس الكبير

ما هو موقف أخ أصغر طلب منه أن يُعلم أخًا أكبر منه في السن؟

يليق بالإنسان أن يحترم أخاه خاصة إن كان أكبر منه في السن، فإن طلب منه أن يُعلم أخاه الأكبر، يليق به ألا يجرح مشاعره، ولا ينتفخ عليه.

❖ سؤال: إن طلب من أخ أصغر أن يعلم أخًا أكبر منه في السن، فكيف يكون سلوكه معه؟

الإجابة: يتمم الخدمة بكل وقارٍ حسب وصية الرب الإله، في خوفٍ لئلا يسقط تحت حكم القائل: "ملعون من يعمل عمل الرب برخاءٍ (بإهمالٍ) (إر ٤٨: ١٠)، ويحذر لئلا ينتفخ ويسقط في دينونة إبليس" (١ تي ٣: ٦)².

❖ سؤال: هل يلزم أن نتطلع إلى الذين يحققون تقدمًا أعظم بالتساوي مع من يُحقّقون ما هو أقل؟

الإجابة: يجب أن نلاحظ ما وضعه الرب بخصوص غفران الخطايا، عندما قال: "قد غُفرت لها خطاياها الكثيرة لذلك أحبت كثيرًا، والذي يغفر له قليل يحب قليلًا" (راجع لو ٧: ٧).

¹ *Regulae brevius tractatae*, 183.

² *Regulae brevius tractatae*, 169.

(٤٧). مرة أخرى ماذا وضع الرسول بخصوص الشيوخ، قائلاً: "أما الشيوخ المدبرون حسناً، فليحسبوا أهلاً لكرامة مضاعفة، ولا سيما الذين يتعبون في الكلمة والتعليم" (١ تي ٥: ١٧). إنني أحسب أن هذا يجب ملاحظته في ذلك مثل هذه الحالات<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

### هل يلتزم الراهب أو الدير بدفع الضرائب الموضوعه عليه؟

يلزم المؤمن أن يقدم لقيصر ما لقيصر، فإن كان عليه ضرائب يلزمه أن يدفعها. إن كان قد قدم أمواله للدير، يلتزم الدير بدفع الضرائب المستحقة عليه، أما إن كان قد تركها لأهله أو أقربائه، فيلتزمون بدفع الضريبة.

❖ سؤال: إذا انضم أحد إلى جماعة (رهبانية) تاركًا وراءه التزامه بضرائب، وكان من الصعب على

أقربائه أن يسقطوا تحت ضغط هذا الالتزام، أما يُسبب هذا لومًا عليه أو على الذين قبلوه؟  
الإجابة: قال ربنا يسوع المسيح للذين سألوه إن كان يُسمح لهم أن تُعطى الجزية لقيصر أم لا: "أروني معاملة الجزية... لمن هدد الصورة والكتابة؟" فقالوا له: لقيصر. أجاب: "أعطوا إذا ما لقيصر لقيصر، وما لله لله" (مت ٢٢: ١٧-٢٢؛ لو ٢٠: ٢٢-٢٥).

واضح من هذا أنهم اقتنعوا أن يخضعوا لابتزاز قيصر فيما هو لقيصر. فإن أحضر معه في الجماعة شيئًا مما لقيصر، فليخضع لدفع الجزية، ولكن إن كان قد ترك كل ما لديه عند أقربائه، فإنه لا يلتزم هو ولا من قبلوه بدفع شيء<sup>٢</sup>.

❖ سؤال: إن كان أحد يشترق أن يلتحق بالجماعة، لكن لأن عليه التزام برعاية أقربائه بالجسد أو

أن يدفع ضرائب، مما يمنعه بشكل متواصل من التقدم في الحال وبلا رجعة لهذا الطريق من الحياة، فهل يسمح له بالدخول بين الإخوة؟

الإجابة: إن قطع الغيرة نحو الحياة الصالحة (أي منعه من الالتحاق بالحياة الرهبانية) فيه خطورة. ومع ذلك ليس في فتح المجال لمناقشة أمور خارج عن الحياة الرهبانية وغريبة عن الحياة حسب الله فيه أمان (على النظم الرهباني)<sup>٣</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>1</sup> *Regulae brevius tractatae*, 170.

<sup>2</sup> *Regulae brevius tractatae*, 94.

<sup>3</sup> *Regulae brevius tractatae*, 107.



## التزام الأقوياء بحمل ضعفات الضعفاء

خلال نظام الشركة يليق بالأعضاء القوية أن تتشبه بالرأس. فإن كان الرأس، ربنا يسوع، بحمل أحزاننا، ويتحمل أوجاعنا (إش ٥٣ : ٤)، يليق بالأعضاء القوية أن تتشبه به ما استطاعت، كيف؟

١ انحنى المُخلص ليحمل خطايانا، ويكفر عنها بدمه الثمين، واهبًا الشفاء لنا. هكذا يليق بنا أن نحسب خطايا الآخرين كأنها خطايانا، فتنن نفوسنا أمام المُخلص طالبين عمل الروح القدس فيهم لينعموا بالخلاص.

٢. خلال الصليب تُشفى نفوسنا إذ نحمل برّ المسيح، وهكذا نطلب للضعفاء أن يتمتعوا بالشفاء خلال التوبة، حيث يرجعوا إلى الطبيب القادر أن يكسوهم ببرّه الإلهي.

❖ سؤال: كيف يلتزم القوي أن يحتمل ضعفات الضعفاء (رو ١٥ : ١)؟

الإجابة: أن تحتمل، هو أن تحمل (الضعفات) بعيدًا وتُشفى (الضعيف) حسب ما هو مكتوب: "أحزاننا حملها، وأوجاعنا تحملها" (إش ٥٣ : ٤؛ مت ٨ : ١٧)، ليس لكي يتعهد ضعفاتنا فيه؛ إنما لكي ينزعها ممّن لديهم ويشفي الذين كانوا يعانون منها. لهذا فإنه في هذه الحالة أيضًا أسلوب التوبة وكلمة التوبة تنطبق على ذلك، حيث يُشفى المريض برعاية القوي الذي قيل عنه يحمل ضعفاتهم، أي يحملها ويلقيها بعيدًا<sup>١</sup>.

❖ سؤال: ما هو حمل أثقال الغير، وإتمام ذلك، وما هو ناموس المسيح الذي نتممه؟

الإجابة: نفس ما قيل حالاً، لأن الخطايا تسحب النفس إلى أعماق الجحيم، وحملها يتم بطرد خطايا الغير، نحملها بعيدًا عندما نحث الذين يخطئون على الاهتداء (والتوبة). يقال "يحمل" في الاستخدام العامي للذين يحملون الشيء بعيدًا، إنني أنا نفسي أذكر سمعت هذا كثيرًا من كثيرين.

الآن ناموس المسيح هو أن نحقق ما هو للقائل: "لم آت لأدعو أبرارًا، بل خُطاة إلى التوبة، (لو ٥ : ٣٢؛ مت ٩ : ١٣؛ مر ٢ : ١٧). هو أيضًا أعطانا الناموس: "إن أخطأ إليك أخوك، فاذهب وعاتبه بينك وبينه وحدكما. إن سمع منك فقد رحت أخاك" (مت ١٨ : ١٥)<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>1</sup> *Regulae brevius tractatae*, 176.

<sup>2</sup> *Regulae brevius tractatae*, 178.

## المحبة الصادقة للعدو

خلال حياة الشركة يشعر أن وصية سحبة الأعداء تبدو مستحيلة، فيتساءل القديس باسيليوس:

من هو هذا العدو الذي نحبه؟

ماذا يعني بالحب هنا؟

هل يمكن عملياً أن يحب إنسانٍ عدوه؟

١. العدو هو الشخص الذي يؤدي الإنسان، وهو يخطئ، لأنه يطلب أذية إنسانٍ مثله. يتطلع القديس باسيليوس إلى هذا العدو أنه خاطئ. وكثيراً ما يدعو القديس الخاطئ مريضاً. فخلال نظام الشركة يتطلع المؤمن إلى من يُخطط ضده ليؤذيه أنه مريض ومحتاج دواء الحب كي يُشفى، وليس إلى مقابلة شرّه بالشر، والرغبة في الانتقام منه كعدو.
٢. عوض التطلع إلى العدو من جهة جسده، يتطلع المؤمن إلى نفسه المريضة، فيطلب له الهداية والخلص ممّا يُصيب نفسه من دمارٍ بسبب خطيئته.
٣. من جهة إمكانية تنفيذ وصية محبة الأعداء، يتطلع المؤمن إلى نفسه، فيجد أن مسيحه أطاع الأب حتى الموت، موت الصليب لينقذه. لذا يليق به أن يرد هذا الحب الإلهي بالحب نحو أخيه الذي في جهالة يقاومه.
٤. يليق بالمؤمن أن يدرك أن مسيحا ما كان يُقدّم لنا وصية محبة الأعداء ما لم يكن قد وهبنا إمكانية تنفيذها عملياً، لذا نطلب ممّن قدّم لنا الوصية أنه أهبنا إمكانية تنفيذها.

❖ سؤال: من هم الأعداء الذين يُطلب منهم أن يُحبوا؟ أيضاً كيف نحب أعداءنا (مت ٥ : ٤٤) -

ببساطة بتقديم منافع لهم. أو هل هم في نفس النزعة؟ وهل يمكن بلوغ هذا؟

الإجابة: علامة العدو أنه يؤذينا ويُخطّط ضدنا. لذلك كل أحدٍ مهما فعل من أذية للغير

يُمكن أن يدعى عدواً، ولكن على وجه الخصوص ذاك الذي يُخطئ.

فإن مثل هذا، قدر ما يستطيع يؤدي بطرق متنوعة، ويخطط ضد رفيقه، أو ضد أي إنسانٍ

يلتقي به

ولما كان هذا الإنسان يتكون من جسدٍ ونفسٍ، لنحبه هكذا، بالنسبة للنفس، بمواجهته

وتحذيره، إثارته بكل وسيلة نحو الاهتداء، وأما بالنسبة للجسد بتقديم منافع لهم إن كانوا في

حاجة إلى ضروريات الحياة.

ولكن من الواضح للكل أن الحب يكمن في النزعة الداخلية. أما عن إمكانية ذلك،

فإن الرب يُظهر ويعلم، مظهرًا محبة الله الأب، ومحبته هو خلال الطاعة حتى الموت

(في ٢ : ٨). وهذا من أجل الأعداء ومن أجلنا نحن الذين كنا عاقين ولسنا أصدقاء. كما يشيد

الرسول بقوله: "ولكن الله بيّن محبته لنا، لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا" (رو ٥ : ٦). وهو يحتثنا أن نفعل نفس الشيء، بقوله: "فكونوا متمثلين بالله كأولادٍ أحبباء، واسلكوا في المحبة، كما أحبنا المسيح أيضاً، وأسلم نفسه لأجلنا قرباناً وذبيحة لله" (أف ٥ : ١-٢). فإن ذلك الذي هو سخي وبار ما كان يأمرنا بذلك لو لم يكن قد منحنا القدرة على فعل ذلك. لهذا يظهر إن ذلك بالضرورة مغروس في طبيعتنا نفسها، فإنه حتى الحيوانات والوحوش بالطبيعة تحب من يُحسن إليها.

لكن أية منفعة يمكن لصديقٍ أن يمنحنا، تعادل ما يقدمه لنا الأعداء من تطويب، والذي يتحدث عنه الرب: "طوبى لكم إذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلي كاذبين. افرحوا وتهللوا، لأن أجركم عظيم في السماوات" (مت ٥ : ١١-١٢)<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## إن أحزن أخ أخاه، كيف يمكن إصلاحه؟

يُميز القديس باسيليوس الكبير بين من يُسبب حزنًا لأخيه لأجل توبته ونموه الروحي، مُقدمًا النصيحة بحُبِّ وحكمة وبين من يُسبب حزنًا لأخيه في عدم مبالاة وبغير حُبِّ وحكمة.

❖ إن أحزنه حسب قول الرسول: "لأنكم حزنتم بحسب مشيئة الله لكي لا تتحسروا منّا في شيء" (٢ كو ٧ : ٩)، عندئذ ليس (الأخ) هو السبب في الحزن للمحتاج إلى إصلاح، إنما الذي حزن يلزمه أن يُظهر علامات هذا الحزن الذي حسب مشيئة الله.

أما إن كان قد سبب حزنًا عن عدم مبالاته، وهو ليس حسب مشيئة الله، فليفكر الذي سبب الحزن في الرسول القائل: "فإن كان أخوك بسبب طعامك يحزن، فليست تسلك بعد حسب المحبة (رو ١٤ : ١٥). وعندما يعرف أن هذا خطية فليتمم ما قاله الرب: "إن قدّمت قربانك إلى المذبح، وهناك تذكرت أن لأخيك شيئاً عليه، فاترك هناك قربانك قدام المذبح، واذهب أولاً اصطح مع أخيك، وحينئذ تعال وقدم قربانك" (مت ٥ : ٢٣-٢٤)<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## كيف نفتدي بإخوتنا الأتقياء؟

إذ نرى أمثلة حية لأشخاصٍ أتقياء، يليق بنا أن نراعي الآتي:  
أ. لا نقف عند الافتخار بهم، بل نتعلم منهم ونفتدي بهم.

<sup>1</sup> *Regulae brevius tractatae*, 176.

<sup>2</sup> *Regulae brevius tractatae*, 40.

ب. يلزم ألا نقندي بمجرد مظهرهم، بل نجاهد أن تكون لنا الإرادة المقدسة في الرب كما لهم هذه الإرادة.

ج. يجب أن نحرص لئلا يوجد من بينهم من لهم مظهر التقوى، ولا يسلكون حسب الوصية الإلهية ولا يتمتعون بعذوبة كلمة الله.

❖ لا يليق بالإنسان أن يُهمل واجبه، معتمداً على صلاح آخرين (مت ٣: ٨-٩).<sup>١</sup>

❖ الذين يعيشون مع أناس يرضون الله، لا ينتفعون بأي شكلٍ ما لم يتقنوا إرادتهم، حتى وإن صاروا في المظهر مثلهم (مت ٢٥: ١-٤).<sup>٢</sup>

❖ ليتنا لا نُحمل بسهولة وبدون تفكير بواسطة الذين لهم مظهر الحق، إنما نتعرف على كل واحدٍ منهم بالعلاقة المُعطاة لنا بالأسفار المقدسة (مت ٧: ١٥-١٦).<sup>٣</sup>

القديس باسيليوس الكبير

### هل نتدخل في مشاكل إخواننا؟

يُقدّم لنا مبدأ عامًا، حيث نلتزم بالحُب كما بالحكمة في الكلام والعمل.

❖ لتجنب التدخلات في أوقات غير مناسبة، ونكتشف الوقت المناسب لكل كلمة وكل عملٍ (مت ٩: ١٤-١٥).<sup>٤</sup>

❖ سؤال: ماذا إن كان أحد في مركز أقل يتجهّم عند رؤيته آخر في ورعٍ أعظم مما هو فضلته لنفسه؟ كيف نتطلع إليه؟

الإجابة: مثل هذا يلزم أن يُدان على إرادته الشريرة، حسب المثل الوارد في الإنجيل، حيث يقول الرب للذين يحزنون لأنهم نالوا كرامة مساوية لهم. إنه يسألك: "أم عينك شريرة لأنني أنا صالح؟!!" (مت ٢٠: ١٥) علاوة على هذا فإن حكم الله بخصوص مثل هذا واضح، حيث قيل بالنبي: "الشرير مُحترق في عينيه، وبكرّم خائفي الرب" (راجع مز ١٥: ٤).<sup>٥</sup>

❖ سؤال: أي حب يلزم أن يكون لنا كل واحدٍ نحو الآخر؟

الإجابة: كما أظهر الرب وعلم. عندما قال: "أن تحبوا بعضكم بعضًا كما أحببتكم، ليس لأحدٍ حُبٍ أعظم من هذا، أن يضع نفسه لأجل أحبائه" (يو ١٥: ١٢-١٣). إذا كان من

<sup>1</sup> *Morals Rule 15:1.*

<sup>2</sup> *Morals Rule 16:1.*

<sup>3</sup> *Morals Rule 28:1.*

<sup>4</sup> *Morals Rule 14:1.*

<sup>5</sup> *Regulae brevius tractatae, 171.*



الضروري أن يضع الإنسان نفسه، إذن كم بالأكثر يلزمنا أن نظهر ورعًا وغيره في الأمور الأقل، طبعًا ليس لكي نتبنى عادات بشرية، بل نساعد كل أحد على تحقيق الهدف الذي يقرره الكل أن يكون موضع سرور الله<sup>١</sup>.

❖ سؤال: بأية وسيلة يمكن للشخص أن يحقق الحب لقريبه (مت ٢٢ : ٣٩)؟

الإجابة: أولاً بالخوف من الحكم ضد من يُعصي وصية الرب، القائل: "الذي لا يؤمن (يطيع) بالابن لن يرى حياة، بل يمكث عليه غضب الله" (يو ٣ : ٣٦). عندئذ باشتياق النعمة أن يصير الكل شبه الرب، قال: "وصية جديدة أنا أعطيتكم أن تحبوا بعضكم بعضًا، كما أحببتكم أنا تحبون أنتم أيضًا بعضكم بعضًا" (يو ١٣ : ٣٤).

لكن حتى من الإحساس العام، نحن نعجب بهذا، للاعتبار الآتي: كمثال عندما يكون أخ مُحسنًا، ندين له بالحب حتى على المستوى البشري. هذا الأمر الذي اعتاد حتى الوثنيون أن يحفظوه، كما قال الرب في الإنجيل: لأنه إن أحببتهم الذين يحبونكم، فأجر لكم، أليس العشارون والخطاة والوثنيون يحبون الذين يحبونهم؟! (لو ٦ : ٣٢؛ مت ٥ : ٤٦-٤٧)

لكن إن أساء أخ معاملته لنا بطريقة ما أو عارضنا يلزمنا أن نحبه، ليس فقط من أجل الوصية، وإنما كشخص يمنحنا منافع عظيمة بكونه يؤذينا. فإننا نصدق الرب القائل: "طوبى لكم إذا عيروكم وطردوكم، وقالوا عليكم كلمة شريرة من أجلي كاذبين. افرحوا وتهللوا، لأن أجركم عظيم في السماوات" (مت ٥ : ١١-١٢)<sup>٢</sup>.

**ماذا إن كان الشخص الذي أحزن أخاه لا يقدر أن يتقدم ليعتذر؟**

❖ في هذه الحالة، يلزمنا أن نتّم ما قاله الرب عن الخاطي الذي لا يتوب: "إن لم يسمع من الكنيسة فليكن عندك كالوثني والعشار" (مت ١٨ : ١٧)<sup>٣</sup>.

**ماذا لو أن الذي سبب الحزن اعتذر، أمّا الذي حزن فلم يقبل المصالحة؟**

❖ حُكم الرب في مثل هذه الحالة واضح، كما أخبر في مثل العبد الذي بالرغم من أن زميله العبد توسّل إليه، لم يرد أن يُظهر تسامحًا. "فلما رأى العبيد رفاقه ما كان... قصّوا على سيدهم كل ما جرى... وغضب سيده وسلّمه إلى المُعذّبين حتى يوفي كل ما كان له عليه" (مت ١٨ : ٣١، ٣٤)<sup>٤</sup>.

<sup>1</sup> *Regulae brevius tractatae*, 162.

<sup>2</sup> *Regulae brevius tractatae*, 163.

<sup>3</sup> *Regulae brevius tractatae*, 41.

<sup>4</sup> *Regulae brevius tractatae*, 42.

❖ سؤال: كيف يُعرف من يحب أخاه حسب وصية الرب، وكيف يُواجه من لا يحب؟

الإجابة: يوجد معياران للحب، ان يحزن ويهتم بالضرر الذي يصيب المحبوب، وأن يفرح ويجاهد من أجل ما يفيده. لذلك ضربى لمن يحزن على الخاطئ (مت ٥ : ٤) الذي في خطرٍ مُرعب، ومن يفرح بمن يسلك باستقامة، الذي مكاسبه لا تُقارن، كما هو مكتوب (أم ٣ : ١٤ - ١٥؛ في ٣ : ٧-٨). يشهد أيضًا الرسول بولس لهذا الأمر عينه، عندما يقول: "إن كان عضو واحد يتألم فجميع الأعضاء تفرح معه" (١ كو ١٢ : ٢٦).  
هكذا، فإن من لا يسلك هكذا. واضح أنه لا يحب أخاه حسب المحبة<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

**كيف نتعامل مع إخوتنا الذين لنا دالة عليهم؟**

مع وجود دالة الحب بيننا، يليق أن نعطي الكرامة لمن لهم الكرامة بحكمة وبدون مبالغة.

❖ يلزم أن يُقدم لكل شخصٍ ما هو لائق به وبعده (لو ٢٠ : ٢١-٢٥)<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

**ما هو موقف الراهب من كاهنٍ يُخطئ إليه؟**

جيد للمؤمن أن يغفر لكل إنسانٍ يُخطئ إليه، سواء كان من الشعب أو الكهنة أو الرهبان. غير أن المغفرة لا تقوم على أساس المداهنة، لأن خطية الكاهن أثقل من خطية المؤمن العادي (من الشعب). كلما ارتفعت الرتبة، وكان المُخطئ من القادة، تكون دينونته أمام الله أعظم.

❖ سؤال: إذا أظهر لي أخ شرًّا، وأظهر لي العدا، وفي بعض الأحيان قد يكون كاهنًا، هل يجب

عليّ التقيد بما أمرت بما يخص عدوي حتى في هذه الحالة؟

الإجابة: الرب في وصاياه بما يخص (محبة) الأعداء، لم يقترح أي تمييز بين الأعداء أو

العداوة.

في الواقع، بما يخص الرُتب العليا وصف نفس الخطيئة بأنها أثقل، عندما قال لهم:

"لماذا تنظر القذى الذي في عين أخيك، وأما الخشبة التي في عينك فلا تفتن لها؟"

(مت ٧ : ٣)

إذًا فيما يخص هؤلاء الأشخاص أو الآخرون الذين على ما يبدو أنهم أصحاب رتبة أعلى،

توجد هناك حاجة للحماس والمراقبة. وبالتالي دعنا لا نُبالي بالاهتمام الذي يجب أن يحصلوا

<sup>1</sup> *Regulae brevius tractatae*, 175.

<sup>2</sup> *Morals Rule 32:1*.

عليه، سواء بالإطراء أو بالتوبيخ مع الصبر المناسب ( ١ تي ٤ : ٢ )، وكل شيءٍ آخر كما أمر الرب، نحفظ أنفسنا أبرياء في هذا الأمر ( ٢ كو ٧ : ١١ )<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

### هل نلتزم الصمت أمام من يخطئ إلينا من أجل طول الأناة؟

بحكمة يليق بالمؤمن أن يواجه من يخطئ إليه، فهو مستعد أن يتحمل المخطئ من أجل مبدأ طول الأناة والاحتمال. غير أنه من أجل نفع المخطئ نفسه، وليس من أجل الانتقام، يلتزم أحياناً بمناشدة المخطئ أن يراجع نفسه فيما فعله، كما قد يحتاج إلى التوبيخ لأجل بنیان نفسه.

❖ سؤال: لو أن شخصاً فعل شيئاً خاطئاً لشخصٍ آخر، وبمبدأ طول الأناة والاحتمال أمام الشر، لا ينطق، تاركاً الحكم للرب، فهل هذا يتصرف وفقاً للرب؟

الإجابة: قال الرب في موضعٍ: "اغفروا إن كان لكم على أحد شيء" (مر ١١ : ٢٥). وفي موضعٍ آخر: "وإن أخطأ إليك أخوك، فاذهب وعاتبه بينك وبينه وحدكما، إن سمع منك فقد ربحت أخاك، وإن لم يسمع، فخذ معك أيضاً واحداً أو اثنين لكي تقوم كل كلمة على فم شاهدين أو ثلاثة" (تث ١٩ : ١٥)، وإن لم يسمع منهم، فقل للكنيسة وإن لم يسمع من الكنيسة، فليكن عندك كالوثني والعشار" (مت ١٨ : ١٥-١٧).

وبالتالي من الضروري، من ناحية أن تظهر ثمر طول الأناة، وتصلّي للرب صلاة صادقة للشخص الذي أخطأ، وتقول: "يارب، لا تقم لهم هذه الخطية" (أع ٧ : ٦٠)، لكي لا يُعاقب الشخص بكونه غاضباً على أخيه (مت ٥ : ٢٢). ومن ناحية أخرى، من اللائق أن الشخص يناشد أو يوتخ الشخص المخطئ لكي يُحرّره من الغضب الحال على أبناء المعصية (أف ٥ : ٦). لكن ليتحلّى بالصبر من فعل ذلك ويبقى صامتاً، على أساس مبدأ طول الأناة، لئلا تخطئ خطيئة مضاعفة في هذه الحالة وأيضاً تتعدى على الوصية التي تقول: "لا تبغض أخاك في قلبك؛ إنذاراً تنذر صاحبك ولا تحمل لأجله خطية" (لا ١٩ : ١٧)، وأيضاً يصبح الشخص متواطئاً عن المخطئ بصمته، والنتيجة أنه يتركه يهلك بالشر الذي كان من الممكن أن يستفيد منه بتوبيخاته، كما أوضح الرب في الواقع (مت ١٨ : ١٥)<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>1</sup> *Regulae brevius tractatae*, 231.

<sup>2</sup> *Regulae brevius tractatae*, 232.



## حول قانون الطاعة

❖ سؤال: يوصي الرب: "من سخرك ميلاً واحداً، فاذهب معه اثنين" (مت ٥ : ٤١). ويُعلمنا الرسول أن نخضع بعضنا لبعض في خوف المسيح (أف ٥ : ٢١)، فهل نلتزم بالطاعة لكل أحد، لأي إنسان يعطينا أوامر؟

الإجابة: يختلف الأمر حسب الذين يعطون الأمر، يلزمهم ألا يجحفوا طاعة الذين يتقبلون الأمر. موسى لم يرفض أن يسمع لحييه يثرون عندما قدم له مشورة صالحة (خر ١٨ : ١٩).

لكن بالتأكيد يوجد اختلاف ليس بالهين في الأوامر،

فالبعض يقدمون أوامر ضد وصايا الرب،

آخرون يفسدون وصايا الرب، يزيقونها بطرقٍ متنوعةٍ بمزجها بأمرٍ ممنوعٍ،

وآخرون يعطون أوامر تنفق مع الوصية، وآخرون أيضاً وإن كانوا لا يتفقون مع الوصية

بوضوح، غير أنهم يساهمون ويساعدون على تنفيذها.

إذن من الضروري أن نتذكر وصية الرسول القائل: "لا تحتقروا النبوات؛ امتحنوا كل شيء،

تمسكوا بالحسن. امتنعوا عن كل شبه شر" (١ تس ٥ : ٢٠-٢١). مرة أخرى يقول: "هادمين

ظنوناً وكلّ علو يرتفع ضد معرفة الله، ومستأسرين كل فكرٍ إلى طاعة المسيح"

(٢ كو ١٠ : ٥).

بهذا إن أمرنا أن نفعل شيئاً يتفق مع وصايا الرب أو ما يساهم في إتمامها أو يساند

النفس، يلزمنا أن نقبل الأمر بعبرة واهتمام حسب إرادة الله، ونحقق المكتوب: "محتملين

بعضكم بعضاً في المحبة التي للمسيح" (أف ٤ : ٢٠).

أما إذا أمرنا أن نفعل شيئاً ضد وصايا الرب أو شيئاً يبدو أنه يُفسد الوصية أو يزيقها، فقد

حان الوقت للقول: "ينبغي أن يُطاع الله أكثر من الناس" (أع ٥ : ٢٩)، ونتذكر الرب القائل:

"أما الغريب فلا تتبعه، بل تهرب منه، لأنها تعرف صوت الغرباء" (يو ١٠ : ٥).

يليق بنا أن نأخذ بعين الاعتبار الرسول الذي أراد أن يعيد تأميننا، فتجاسر ليتحدث حتى

عن الملائكة قائلاً: "ولكن إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم فليكن أناثيما"

(غل ١ : ٨).

من هذه الأقوال نتعلم أنه حتى إن كان الشخص عزيزاً علينا جداً، وربما في مركزٍ كبيرٍ

وموضع إعجاب، لكنه يعرفنا ما يطلبه ربنا، أو يأمرنا أن نفعل شيئاً يمنعه الرب، هذا الشخص

يلزم نبذه، ويُشجب بواسطة كل الذين يحبون الرب<sup>١</sup>.

<sup>١</sup> *Regulae brevius tractatae, 114.*



❖ سؤال: كيف يلزم أن يطيع الواحد الآخر (أف ٥ : ٢١؛ في ٢ : ٣؛ ١ بط ٥ : ٥)؟

الإجابة: مثلما يفعل الخدم مع سادتهم، وذلك كما يأمرنا الرب: "من أراد أن يكون فيكم عظيمًا، فليكن لكم آخر الكل، وخادمًا لكل" (مت ٢٠ : ٢٦-٢٧؛ مر ٩ : ٣٥؛ ١٠ : ٤٣-٤٤).  
ويوجد أيضًا قول الرسول: "بمحبة الروح اللّٰه اخدموا بعضكم بعضًا" (راجع غل ٥ : ١٣).<sup>١</sup>

❖ سؤال: ماذا ينبغي أن يكون قياس الطاعة لمن يرغب في أن يتم الحكم الذي يرضي الله؟

الإجابة: يُظهر لنا الرسول ذلك بوضعه أمامنا طاعة الرب، قائلاً: "أطاع حتى الموت موت الصليب" (في ٢ : ٨)، وقد قدّم لها "ليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع" (في ٢ : ٥).<sup>٢</sup>

❖ سؤال: إن كان أحد يقول: أريد أن أستفيد في وقت قصير منك، فهل يُرحَّب به؟

الإجابة: قال الرب: "من يُقبل إليّ لا أخرجه خارجًا" (يو ٦ : ٣٧)... بهذا نكون موضع سرور الله، وهذا الشخص إمّا أنه ينتفع أو تفنّد أخطاؤه.<sup>٣</sup>

❖ سؤال: إن فرح إنسان في الحوار، لأنه لاحظ أن السامعين تأثروا بما قاله، فكيف يُميّز إن

كان سروره هو نوع من الدافع الداخلي الصالح، أم صادر عن هواه الخاص؟

الإجابة: إن وجد هذا الفرح فقط بسبب الإطراء، فواضح أن الذي حركه هو هواه الذاتي. وإن رأى أنه فهم الذين استحسنوه سريع، إذ كانوا يصغون، وإنه يفرح لأنه غرس رجاء الطاعة، وبعد ذلك يهتم أن يفرح حين يجد فيهم أعمالاً فاضلة تتناغم مع مديحهم، أو يحزن حينما يرى الذين أطروا عليه لم ينتفعوا بشيءٍ عندئذٍ يليق به أن يشكر اللّٰه أنه حُسِبَ أهلاً أن يتحرك بهذه الكيفية، لأنه يحب اللّٰه وإخوته، لا يطلب مجده الذاتي بل مجد الله، وبنيان إخوته.<sup>٤</sup>

القديس باسيليوس الكبير

ما هو موقف الجماعة ممن يبثون تعاليم خاطئة؟

❖ يلزم عدم التهاون مع من يبثون تعاليم خاطئة، حتى إن كانوا مُهذبين، إذ يخدعون غير الثابتين ويريكوهم (مت ٢٤ : ٤ - ٥؛ غل ١ : ٨ - ٩).<sup>٥</sup>

القديس باسيليوس الكبير

<sup>1</sup> *Regulae brevius tractatae*, 115.

<sup>2</sup> *Regulae brevius tractatae*, 116.

<sup>3</sup> *Regulae brevius tractatae*, 97.

<sup>4</sup> *Regulae brevius tractatae*, 185.

<sup>5</sup> *Morals Rule 40:1*.

## ما هو موقفنا من أخٍ يُخطئ؟

كثيرًا ما يرتبك الإنسان حين يرى أخاه يخطئ، هل يصمت بينما يرى أخاه ينحرف نحو الشرِّ، أم يوجهه نحو الطريق المستقيم؟ وهل يُحسب هذا إدانة؟ وإن شعر أن كثيرين يتهمونه فهل ينضم إليهم؟

يجيب القديس باسيليوس على هذه الأسئلة، قائلاً:

١. حين نشاهد أحدًا يخطئ، يليق بنا أولاً أن نراجع أنفسنا لنلنا ننشغل بخطية الأخ وننسى خطايانا، أو لا نشعر بها.
٢. يليق بنا أن نتأكد من الموقف لنلنا نسيء فهمه، أو نتهمه ظلماً.
٣. يجب ألا نحابي أخًا على حساب آخر.
٤. ألا نجري وراء إشاعات حول تصرفات شخصٍ معين.
٥. نحذر لنلنا نستخف بخطايا معينة لإخوتنا، فنكون كمن وجد السم يجري في جسم أخيه ويستهيئ بذلك.
٦. في حديثنا مع المُخطئ يلزم أن يصدر عن قلبٍ مُحبٍ لخلصه، ونتحدث معه بطول أناة، ودون جرح لمشاعره أو استخفاف به أو إهانته، مقتدين برب المجد الذي بطول أناته يجذب الزناة والعشارين.
٧. ألا نتهاون مع الخطاة تحت ستار طول الأناة، كما فعل آدم مع حواء، إذ لم يأخذ موقفًا ضد كسر الوصية، أو كما فعل بيلاطس مع اليهود عندما أسلموا رب المجد يسوع ظلماً.
٨. ألا يكون توجيه الخاطئ صادر عن دافع شخصي، إنما بصدقٍ ونقاوة قلبٍ وحكمةٍ نقول مع المرثل: "غيرة بيتك أكلتني".
٩. لا تتشكك قائلاً: إني لست كاهنًا ولا قائدًا، فالكتاب يوصينا بروح الحب: "إنذارًا تنذر صاحبك، ولا تحمل لأجله خطية" (لا ١٩ : ١٧). ولنلنا بسببه يُقال: "في وسطك حرام يا إسرائيل" (يش ٧ : ١٣).
١٠. يلزم قبل توجيه الخاطئ أن ننوح عليه كي يعمل الرب في قلبه، فلا نسمع توبيخ الرسول: "بالحري لم تتوحوا حتى يُرفع من وسطكم الذي فعل هذا الفعل" (١ كو ٥ : ٢)، بل نسمع "هوذا حزنكم هذا عينه بحسب مشيئة الله" (٢ كو ٧ : ١١).

١١. يليق بنا أن يلتهب قلبنا مع كل أخ يتعثّر، مقتدين بالرسول بولس (١ كو ١١ : ٢٩).
١٢. عند توجيه الخاطئ يلزم أن يبدأ الشخص باللقاء الفردي معه وحدهما حتى يشعر المخطئ أنك لا تشهّر به (مت ١٨ : ١٥)، وأن يكون الحديث بكل طول أناة (٢ تي ٤ : ٢).
- ❖ يليق بنا أن نُصلح كل خطأ في أنفسنا قبل أن نتهم آخرين (مت ٧ : ٣-٥).<sup>١</sup>
- ❖ يلزمنا ألا نحكم في أمور مشكوك فيها (١ كو ٤ : ٥).<sup>٢</sup>
- ❖ يجب ألا نحكم دون اعتبار للأشخاص (يو ٧ : ٢٣-٢٤).<sup>٣</sup>
- ❖ يجب ألا نحكم على أحدٍ، حتى وإن كان المتهمون له كثيرون، قبل أن نقوم بدراسة جادة لحالته في حضوره.<sup>٤</sup>

❖ سؤال: إن اتهم أحد الإخوة البعض حتى من أجل خطايا صغيرة، قائلاً لكل واحدٍ منهم: "لنتب!", فهل مثل هذا يبدو أنه فاقد الحنو ومحطم للحب؟

الإجابة: حيث أكد الرب أنه "لا يزول حرف *iota* واحد أو نقطة من الناموس حتى يكون الكل" (مت ٥ : ١٨)، مرة أخرى أعلن "إن كل كلمة بطّالة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حساباً يوم الدين" (مت ١٢ : ٣٦). فيجب ألا يستخف بشيءٍ (من الخطايا) بكونها صغيرة، فمن يستخف بشيءٍ، سيستخف بالخطايا شيئاً فشيئاً (أم ١٣ : ١٣؛ سي ١٩ : ١). بجانب هذا أية خطية يجسر أحد أن يدعوها بسيطة وصغيرة، إن كان الرسول يعلن أنه خلال معصية الناموس تهين الله (رو ٢ : ٢٣)؟ وإن كان يُقال شوكة الموت هو الخطية، ولم يقل هذه الخطية أو تلك، بل بوضوح دون تعيين لخطيةٍ ما بل كل خطية (١ كو ١٥ : ٥٦).

بهذا فإن من يصمت (على خطايا أخيه) ولا يفعل شيئاً، هذا ينقصه الحنو أكثر من ذلك الذي ينتهر على الخطية. وذلك مثل من يترك السم أن يتسلل في شخصٍ لدغته حية (ينقصه الحنو) أكثر ممن يسحب السم ويزيله. بالحق مثل هذا هو المدمر للحب، كما هو مكتوب: "من يمنع عصاه يمقت ابنه، ومن أحبه يطلب له التأديب" (أم ١٣ : ٢٤).<sup>٥</sup>

❖ سؤال: إن كان أحد له خطأ ولا يُصلح من شأنه (بالتوبة)، بالرغم من توبيخه المستمر، إذ هو مستمر في حالته المؤذية، فهل من الأفضل أن نتركه وحده؟

<sup>1</sup> *Morals Rule 51:1.*

<sup>2</sup> *Morals Rule 53:3.*

<sup>3</sup> *Morals Rule 53:4.*

<sup>4</sup> *Morals Rule 53:5.*

<sup>5</sup> *Regulae brevius tractatae, 4.*

الإجابة: لقد سبق الإجابة على ذلك في موضع آخر، إنه يلزمنا أن نُصلح الخطاة بطول أناة، بالطريقة التي أظهرها الرب. ولكن إن كان كثيرون وجهوه ووبّخوه، ومع هذا لم يتغير فليُنظر إليه الوثني والعشار (مت ١٨ : ١٧). فإن عزل من يدينه الرب فيه أمان لكل أحد، إذ يقول الرب إن هلاك عين أو يد أو رجل وندخل الملكوت أفضل من ترك عضو وإلقاء كل الجسم في نار جهنم حيث البكاء وصرير الأسنان (مت ٥ : ٣٠، ٢٢، ١٣ : ٤٢).  
يشهد الرسول أيضاً بذلك بقوله إن خميرة قليلة تفسد العجين كله (١ كو ٥ : ٦)¹.

❖ سؤال: إن صبر شخص على آخر يخطئ، فهل يُحسب مشترك معه في ذات الخطية؟

الإجابة: إدانة هذا الشخص واضحة من الكلمات التي قالها الرب لبيلاطس، إذ قال: "الذي أسلمني إليك له خطية أعظم" (يو ١٩ : ١١). واضح من هذا أن بيلاطس في صبره على الذين سلّموا الرب أخطأ، وإن كانت خطيته أقل منهم.

هذا أيضاً يظهر بوضوح عندما صبر آدم ووافق حواء، وذلك كما أن حواء صبرت على الحيّة (تك ٣ : ٦). لم يتبرأ أحد منهما أو يفلت أحد بدون عقوبة. حقاً إن غضب الله حلّ عليهما، وأظهر ذلك بوضوح. لأنه عندما اعترض آدم مقدماً عذراً: "المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت" (تك ٣ : ١٢)، أجابه الله: "لأنك سمعت لقول امرأتك، وأكلت من الشجرة التي أوصيتك، قائلاً: "لا تأكل منها، ملعونة الأرض بسببك" (تك ٣ : ١٧)، وهكذا بالنسبة للجميع².

❖ سؤال: كيف يعرف الإنسان إن كان يتحرك ضد أخٍ يخطئ بسبب غيرته على الله أم بدافع غضب شخصي؟

الإجابة: في مواجهة أي خطية لأخ، يختبر ما هو مكتوب: "غيرة بيتك أكلتني، لأن أعدائي نسوا كلماتك" (مز ١١٩ : ١٣٩؛ ٦٩ : ١٠)، ففي هذه الحالة واضح أن الغيرة من أجل الله. مع ذلك يتعامل في كل هذه الأمور بحكمة، مُتطلّعاً إلى بُنيان الإيمان.  
أما إذا لم توجد مثل هذه النزعة بالفعل في النفس، كدافع لها، فإن دوافعه مرتبكة، وهو لا يخدم هدف الورع بأية طريقة³.

❖ سؤال: هل نبقى صامتين وفي هدوءٍ نحو الإخوة الذين يخطئون؟

الإجابة: واضح من وصايا الرب التي في العهد القديم أنه يلزم ألا نصمت، حيث يقول: "إنذاراً تنذر صاحبك، ولا تحمل لأجله خطية" (لا ١٩ : ١٧).

¹ *Regulae brevius tractatae*, 57.

² *Regulae brevius tractatae*, 46.

³ *Regulae brevius tractatae*, 165.



علاوة على ذلك، قيل في الإنجيل: "إن أخطأ إليك أخوك، فاذهب وعاتبه بينك وبينه وحدكما، إن سمع منك فقد رحت أخاك، وإن لم يسمع، فخذ معك أيضًا واحدًا أو اثنين، لكي تقوم كل كلمة على فم شاهدين أو ثلاثة. وإن لم يسمع منهم، فقل للكنيسة. فإن لم يسمع من الكنيسة، فليكن عندك كالوثني والعشار" (مت ١٨ : ١٥-١٧).

لكن خطورة دينونة هذه الخطية يمكن أن نتعلمها أولاً من نطق الرب العام حيث يقول: الذي لا يطيع الابن لن يرى حياة أبدية، بل يمكث عليه غضب الله (راجع يو ٣ : ٣٦).

ثانيًا: من القصص التي رويت في أسفار العهدين القديم والجديد. تطلع إلى عاخان كمثال (يش ٧ : ٢٠-٢٦). عندما سرق لسان الذهب والرداء، حلَّ غضب الله على كل الشعب، مع أن الشعب كان يجهل من هو الخاطيء وما هي خطيته، حتى وضح الأمر في النور، وعانى مع كل بيته خرابًا مشهورًا مُرعبًا.

أيضًا يوجد عالي الكاهن (١ صم ٢ : ٢٢-٢٤)، فإنه صمت على خطايا ابنه التي كانت بالحق خطايا وبيلة. إنما حذَّره مرارًا وأنبههم قائلاً: "لا يا بني، لأنه ليس حسنًا الخبر الذي أسمع" (١ صم ٢ : ٢٤). وهكذا أشار في حديث طويل عن رعب الخطية، وإدانتها التي لا يمكن تجنبها. ومع هذا فقد ثار غضب الله على الشعب نفسه مع ابنه فهلكوا، وانتزع تابوت العهد بأيدي غريبة، بينما (عالي) نفسه إذ سمع الأخبار كان موته بنهاية يرثى لها.

الآن كان غضب الله عظيمًا متوهجًا ضد الذين لم يعرفوا من كان الخاطيء، وضد الذي حاول أن يوقف الخطية وشهد ضدها، فماذا يُقال عن هؤلاء الذين يعرفون خطايا الآخرين ويصمتون ولا يقدمون علاجًا للكل؟

ألا يلاحظون ما قاله الرسول لأهل كورنثوس: "أفأنتم منتفخون، وبالحري لم تتوحوا حتى يُرفع من وسطكم الذي فعل هذا الفعل؟! (١ كو ٥ : ٢)، وهكذا أيضًا ما جاء بعد ذلك: "فإنه هوذا حزنكم هذا عينه بحسب مشية الله. كم أنشأ فيكم من الاجتهاد، بل من الاحتجاج، بل من الغيظ، بل من الخوف، بل من الشوق، بل من الغيرة، بل من الانتقام. في كل شيء أظهرتم أنفسكم أنكم أبرياء في هذا الأمر" (٢ كو ٧ : ١١).

هؤلاء جميعًا كانوا في خطرٍ عظيم، بسبب الأمور التي تسبب نفس الخراب، بل وأشر منه، لأن من يقف بجانب الرب (مخطئًا) أشر ممن يقف بجانب ناموس موسى (عب ١٠ : ٢٨-٢٩)، فإن من يتجاسر ويرتكب نفس الخطية التي بالفعل ارتكبت وديننت، فإن قايين أنقم له سبع مرات، أما لامك فسبعة سبعين مرة (تك ٤ : ٢٤)<sup>١</sup>.

<sup>١</sup> *Regulae brevius tractatae*, 47.

❖ سؤال: ما هي الثمار التي يلزم أن تكون بالنسبة لمن يوبخ أخًا مخطئًا بحنو؟

الإجابة: أول معيار للحنو حسب قول الرسول: "إن تألم عضو تتألم معه كل الأعضاء" (١ كو ١٢: ٢٦)، أو "من يعثر وأنا لا ألتهب؟" (١ كو ١١: ٢٩).

ثانيًا: عندما يحزن ويتألم بنفس الطريقة نحو أية خطية، ويحزن ويئن بنفس الطريقة على كل الذين يخطئون، سواء كان الشخص مخطئاً ضد نفسه أو ضد آخر، وعندما يوبخ لا يفسد الطريقة التي سلّمت بواسطة الرب (مت ١٥: ١٨-١٧).

ثالثًا: عندما يجادل أحدًا يلاحظ الحكم الذي وضعه الرب أن يكون ذلك بين الشخص والغير بمفردهما، أو يأتي بشاهد أو شاهدين (مت ١٨: ١٥-١٦؛ تث ١٩: ١٥).  
فوق هذا كله أن يلاحظ ما يفعله الرسول: "بكل طول أناة" (٢ تي ٤: ٢).<sup>١</sup>

❖ سؤال: إن أشتبه في أحدٍ من جهة خطية، وهو لا يرتكبها علانية، فهل يلزمنا أن نلاحظه حتى نتحقق من شكوكنا؟

الإجابة: يدين الرسول أساس الشكوك التي تتبع عن الإرادة الشريرة (١ تي ٦: ٤). أمّا الشخص المنوط به الاهتمام بالكل، فيلزمه أن يلاحظ الكل في محبة المسيح، وأن يحرص على معالجة كل شك، حتى يتحقق قول الرسول: لكي نحضر كل إنسانٍ كاملاً في المسيح يسوع (كو ١: ٢٨).<sup>٢</sup>

القديس باسيليوس الكبير

**ما هو موقفنا ممن يهوى النقد المستمر لتبرير نفسه؟**

يُحذّرنا القديس باسيليوس ممن يهوى نقد إخوته، ليس غيرة على خلاص نفوسهم، وإنما بدافع تبرير نفسه.

❖ سؤال: إن كان أحد يواجه مُذنبًا ليس رغبة في إصلاح إخوته، وإنما بقصد تبرير نفسه، كيف

يمكن إصلاح مثل هذا الشخص بالرغم من أن كثيرين ناشدوه، أما هو فيصير على هواه هذا؟  
الإجابة: ليت مثل هذا يُعرف كمحبٍّ لذاته ومُحبٍّ للسلطة. ليُكشف له الطريق ليُصلح من نفسه خلال ممارسة التقوى، فإن أمرَ على رذيلته، من الواضح أنه يُدان مع الذين لا يتوبون عن إثمهم.<sup>٣</sup>

القديس باسيليوس الكبير

<sup>1</sup> *Regulae brevius tractatae*, 182.

<sup>2</sup> *Regulae brevius tractatae*, 19.

<sup>3</sup> *Regulae brevius tractatae*, 73.

❖ سؤال: ماذا عن من يرفض بغضبٍ أن يقبل شيئاً مُعطى له لأجل احتياجه؟

الإجابة: مثل هذا يستحق ألا يُعطى شيء ما قط حتى إن سأل، حتى يتحقق الرئيس ويرى هذا الألم الذي يلحق بنفسه، أو بالحري هذه الأهواء قد شُفيت، وعندئذٍ بالحق يقدم له احتياجات جسده<sup>1</sup>.  
القديس باسيليوس الكبير

ما هو موقفنا ممن يسلك بعجرفة؟

عندما يبدو على أخٍ روح عجرفة يلزم علاجه بحكمة، فقد يكون علّة ذلك تخيله أنه متفوق بطريقة تفوق الواقع الذي فيه، أو العكس قد يكون ذلك ردّ فعل لِنفس محطمة بسبب شعوره بالفشل، فيخفي ما يعانيه داخلياً بعجرفة مفتعلة. لذا معالجة هذا الشخص تحتاج إلى دراسة عميقة ورعاية شديدة لإنقاذه من انفعاله هذا.

❖ سؤال: إن كان أحد يمسك نفسه مراراً وهو يعامل أخصاً متعجرفاً، فكيف يُصلح من شأنه؟

الإجابة: حسب ما جمعته من دراستي لهذا الأمر، يحدث هذا إما بانطلاق العقل في تخيلات من جهة تفوقه، أو بسبب الحزن عند فشله، إذ كان يلزم إن يسلك باستقامة. فعندما نلتقي بأمرٍ مؤلم مضاد لما نتوقعه حيث نتوقع خيراً، فهذا يؤثر على النفس بقوةٍ عظيمةٍ. هذا الأمر يتطلب رعاية شديدة، إن كان هذا يحدث لأول مرة من نوعه، نكبح هوى العجرفة، وإن تكرر ثانية، فعوض السخط نظهر له حنوًّا مع توسلٍ وتحذيرٍ. أما إذا كان هذا التصرف يظهر أنه بسبب هوى منحطٍّ وكامنٍ، عندئذٍ يلزمنا أن نستخدم سخطاً شديداً مع تعاطفٍ، مع اختيار الوقت المناسب والتعقل، حتى يمكن أن نقيّد الخاطئ ونصلح من شأنه<sup>2</sup>.  
القديس باسيليوس الكبير

كيف يليق بنا أن نستقبل الراهب الراجع تائباً بالحق من كل قلبه؟

التوبة بالنظرة الإنجيلية لا تقف عند الندم على الخطايا، إنما ثمرها اللقاء مع الله مصدر الخلاص والفرح. هذا ويليق بجماعة المؤمنين أن يرحبوا بالتائبين الحقيقيين ويفرحون بهم، ولا يذكروا بعد ما سقطوا فيه من خطايا.

❖ سؤال: كيف يليق بنا أن نستقبل الراجع تائباً بالحق (من كل قلبه)؟

الإجابة: كما يعلمنا الرب عندما قال: "يدعو الأصدقاء والجيران، قائلاً لهم: افرحوا معي، لأنني وجدت خروفي الضال!" (لو ١٥ : ٦)<sup>3</sup>.  
القديس باسيليوس الكبير

<sup>1</sup> *Regulae brevius tractatae*, 134.

<sup>2</sup> *Regulae brevius tractatae*, 79.

<sup>3</sup> *Regulae brevius tractatae*, 8.



## بين الخطية والتجديف

يربط كثير من الآباء بين الانحراف في الخطية والانحراف عن الإيمان الحق. يقول القديس أغسطينوس: "وراء كل إحاد شهوة". ويقول القديس باسيليوس أن تسبب الإنسان في حياة القداسة والطهارة والعفة، كثيرًا ما يدفع الشخص إلى الانحراف عن الحق الإلهي، لهذا يسهل على المبتدعين أن يجتذبوا المنحرفين في الخطايا.

❖ سؤال: هل يُمنع من تورط مرة في خطايا من أن تكون له شركة مع مبتدع ويطلب منه أن يتجنب الذين حياتهم شريرة؟

الإجابة: حيث يقول الرسول: "من تتجنبوا كل أخ يسلك بلا ترتيب، وليس حسب التقليد الذي أخذته منا" (٢ تش ٣: ٦)، فإنه صفة عامة أية شركة مع إي شيء ممنوع سواء في الفكر أو الكلمة أو العمل، فهو ضار وخطير على كل أحد.

أما الذين تورطوا مرة في خطايا، فيجب ملاحظتهم عن قرب جدًا.

هذا هو أول كل شيء، لأن النفس التي اعتادت أن تخطئ، في أغلب الأوقات معرضة أن تسقط فيها مرة أخرى. فكما أن المرضى جسديًا يحتاج شفاؤهم إلى ملاحظة قريبة، حتى أنهم يلتزمون بتجنب حتى ما هو نافع لمن هم بصحة جيدة، هكذا الأمر يحتاج بالأكثر جدًا بالنسبة للحرص والعناية بالذين هم معاقين في النفس.

يا لعظم الضرر الذي يحدث بسبب الشركة مع الخطاة! هذا ما قدمه الرسول نفسه في الوصف القائل: "خميرة صغيرة تفسد العجين كله" (١ كو ٥: ٦).

الآن إن كان الضرر يحل على الذين يسقطون في انحرافات أخلاقية هو عظيم هكذا، فماذا نقول عن الذين لهم مفاهيم منحطة من جهة الله، هؤلاء الذين لا يسمح لهم أساس تفكيرهم أن تكون لهم مفاهيم سليمة في أمور أخرى، وبالتالي ماذا بالنسبة الذين يُسلمون مرة لشهوات قبيحة؟ هذا يظهر في أماكن كثيرة. وعلى وجه الخصوص ما قيل في الرسالة إلى أهل رومية عن البعض: "وكما لم يستحسنوا أن يُبقوا الله في معرفتهم، أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض، ليفعلوا ما لا يليق، مملوئين من كل إثم وزنا وشر وطمع وخبث، مشحونين حسدًا وقتلًا وخصامًا ومكرًا وسوءًا، نامين، مفتريين، مبغضين لله، ثالبيين، متعظمين، مدّعين، مبتدعين شرورًا، غير طائعين للوالدين. بلا فهم ولا عهد ولا حنو ولا رضى ولا رحمة، الذين إذ عرفوا حكم الله أن الذين يعملون مثل هذه يستوجبون الموت، لا يفعلونها فقط، بل أيضًا يُسرون بالذين يعملون" (رو ١: ٢٨-٣٢)<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>1</sup> *Regulae brevius tractatae*, 20.



## قبول خدمة الغير

يظن البعض أن رفضهم لخدمة الغير لهم نوع من التواضع، كما فعل بطرس الرسول حين رفض أن يغسل السيد المسيح قدميه. بالحب يلزم ألا يرفض الإنسان خدمة أخيه في تسرع، إنما يلزمه بحكمة أن يدرس الأمر، ويتعرف على ثمر قبول أو رفض الخدمة بالنسبة للأخ وبالنسبة له هو أيضًا.

❖ سؤال: بأي تواضع يلزم أن يقبل الشخص خدمة مقدمة من أخ له؟

الإجابة: كعبدٍ من سيده (الرب) كما أظهر الرسول بطرس عندما خدمه الرب (يو ١٣ : ٦-٩). من هذا أيضًا نتعلم خطورة أولئك الذين لا يرحّبون بهذه الخدمة التي من إخوتهم<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

❖ سؤال: هل يليق تقديم مكافأة من الجماعة لمن يقوم بعمل خير؟ وإن كان كذلك هل يكون له نصيب من العطية؟

الإجابة: السؤال كله ضعيف، ولكن إن كان يلزم تقديم نوعًا من العرفان بالجميل، فإن هذا القرار يصدر من الوكيل، سواء قبول العطايا أو المكافأة على عمل الخير<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

من هم الأحباء الذين نموت من أجلهم؟

يؤكد القديس باسيليوس أنه يليق بالمؤمن أن يحب إخوته حتى الموت، دون تمييز بين إنسان بارٍّ وآخر خاطئ، بهذا يتشبه بمسيحه الذي مات عن الجميع.

❖ سؤال: كما تعلمنا عن المحبة: "ليس لأحد حُب أعظم من هذا: أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه" (يو ١٥ : ١٣)، نريد أن نعرف أي نوع من الأحباء يجب أن نطبق معهم هذه الوصية؟

الإجابة: من المحتمل أن تكون النزعة (الميل) لهذه الفضيلة أو نهجها تختلف (من شخص إلى آخر)، لأن غالبًا ما يحدث في احتمالنا لحساب الخطاة شيء أما ما يدفعنا على حب الأبرار شيء آخر.

تعلمنا أن نحب الجميع حتى الموت، الأبرار والخطاة، بدون أية تفرقة. لهذا قال الكتاب: "ولكن الله بين محبته لنا، لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا" (رو ٥ : ٨).

<sup>1</sup> *Regulae brevius tractatae*, 161.

<sup>2</sup> *Regulae brevius tractatae*, 308.

يقول الرسول بولس للقديسين: 'بل كنا مترققين في وسطكم كما تربي المرضعة أولادها، هكذا إذ كنا حانين إليكم، كما نرضى أن نعطيكم، لا إنجيل الله فقط بل أنفسنا أيضًا، لأنكم صرتم محبوبين إلينا' (١ تس ٢: ٧-٨)<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

### بخصوص الصفقات التجارية في الاجتماعات العامة

❖ يُخبرنا المنطق أن الصفقات التجارية لا تليق بالمزارات المقدسة الخاصة بالشهداء. فإنه لا يليق بالمسيحيين أن يظهروا في هذه الأماكن المقدسة، في هذه الضواحي، بهدف آخر غير الصلاة وتذكر جهاد القديسين حتى الموت من أجل التقوى، ليكونوا في غاية الحيوية بغيره هكذا. ليضعوا أيضًا في ذهنهم غضب الله الخطير، فإنه وإن كان دائمًا وفي كل موضع وديعًا ومتواضع القلب كما هو مكتوب (مت ١١: ٢٩)، غير أنه يهدد بالتأديب الذين يشترون ويبيعون في الهيكل (يو ٢: ١٥). لأن الذين يتاجرون (في الهيكل)، يحولون بيت الصلاة إلى مغارة لصوص.

لهذا فإن الذين يرون فينا نموذجًا للاستخفاف بالقديسين، بتحويل مزاراتهم إلى سوقٍ ومعرضٍ للتجارة العامة عوض الصلاة الواحد عن الآخر، والعبادة لله معًا، وطلب عونه بدموعٍ، للاستراحة من خطاياهم وتقديم الشكر لله عن إحساناته، وتقوية إيمانهم بالاستماع إلى كلمات النصح... لبيتنا لا نتمثل بهم، ونثبت السلوك غير اللائق بممارسة أعمالٍ تجارية.

إنما على العكس، يلزم الاقتداء بالاجتماعات الواردة في الإنجيل في أيام المسيح، والطاعة لوصية الرسول... لقد كتب هكذا: 'متى اجتمعتم، فكل واحدٍ منكم له مزمور، له تعليم، له لسان، له إعلان، له ترجمة، فليكن كل شيءٍ للبنيان' (١ كو ١٤: ٢٦)<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>1</sup> *Regulae brevius tractatae*, 186.

<sup>2</sup> *Regulae fusius tractatae*, 40.

## الراهب والنُّصرة على إبليس

إذ يدعو القديس باسيليوس الرهبان والنُّسك كما كل فئات المؤمنين للجهاد المستمر من أجل النمو الدائم في الحياة الروحية، يؤكِّد للجميع أن المعركة الحقيقية هي بين الملك السماوي، محب البشر مُخلص العالم، وبين إبليس الذي لا يتوقف عن مقاومة أبناء الله. جاءت مقالاته النُّسكية كما بقية كتاباته، تؤكِّد النُّصرة على إبليس ما دمنا مستترين في المسيح. إنه يدعونا أن نكون في رفقة المسيح طوال هذه المعركة المستمرة ضد عدو الخير.

### الشیطان وملائكته<sup>١</sup>

ناقش القديس باسيليوس موضوع الشيطان وملائكته أو الأرواح الشريرة، أو قوات الظلمة. فمن جانب كانت هذه القوات برئيسها مرتبطة بالطغمت السمائية، ومجموعة منها فقدت ما وهب لها من نعمة إلهية خلال إساءة حرية إرادتها. ومن جانب آخر ارتبطت ولا زالت ترتبط بسقوط الإنسان، ومقاومتها له حتى لا ينعم بما فقدته هذه القوات. وكان الشيطان وقواته من جانب لهم علاقة بالطغمت السمائية، أو العالم غير المنظور، ومن جانب آخر لهم علاقة بالعالم المنظور، خاصة سقوط الإنسان ومصيره النهائي. يرى القديس باسيليوس أن معالجة موضوع العالم والإنسان دون الرجوع إلى موقف الشيطان وقواته ودورهم بالنسبة للخليقة أمر غير كامل. في اختصار فكر القديس باسيليوس في الخليقة غير المنظورة سواء الطغمت السماوية الصالحة أو إبليس وملائكته يتسم بالآتي:

١. كثيرًا ما يعتمد على الكتاب المقدس، فهو المصدر الرئيسي في مناقشات القديس وأحاديثه.
٢. يعتمد على التقليد الحي المعاش، فقد تأثر كثيرًا بالعلامة أوريجينوس بطريقة واضحة، وإن كان قد رفض أخطاء معلمه.
٣. يبرز في كلا الحالتين رعاية الله محب البشر للبشرية واهتمامه بخلصهم.
٤. يحمل في كتاباته روح الرجاء الفرح.

<sup>1</sup> Cf. M.A. Orphanos: *Creation and Salvation according to St Basil of Caesarea*, Athens 1975; Jean Daniélou: *The Angels and their Mission*, 1993..

## اسم الشيطان

١. يقول القديس باسيليوس إن اسم الشيطان ديابلوس *δίαβλος*، لأنه أصل الافتراء، ومع أنه يُعرف خلال أعمال شريرة أخرى، لكن شره الخاص به هو في اسمه (المفتري).

❖ إنه دون شك مُنشئ الافتراء. يُعرف بكثير من الأعمال الشريرة، لكن يُميز بالأكثر بهذا النوع من الشر، ولهذا السبب فالخطية هي التي أوجدت اسمه<sup>١</sup>.

### القديس باسيليوس الكبير

بهذا يود القديس باسيليوس ألا يدعو الذين يتهمونه دون أن يستمعوا إليه للدفاع عن نفسه إنهم مفترون، لأن هذا اللقب خاص بالشيطان، بل يدعوهم مُتَّهَمِينَ، بل ويفضل أن يدعوهم إخوة، يُقدم لهم النصيحة في حُبِّ أخوي<sup>٢</sup>.

٢. يدعى الشيطان أيضًا *Σατανας* (ساتاناس) ويعني خصم أو عدو للصلاح، كما ورد في ١ أي ٢: ١٤.

يؤكد القديس أن الشياطين هم خليفة الله نفسه كملائكة صالحين، وهم خليفة روحية غير جسمية كما أشار القديس بولس (أف ٦: ١٢). الشيطان هو ملاك من رتبة سامية، سقط من كرامة عظيمة، ومع سقوطه بقي في مركز حاكم، فهو "أركون" سلطانة بلغ الأرض، خاصة على أبناء المعصية. ولهذا دعاه السيد المسيح "رئيس هذا العالم" (يو ٢٢: ٣١؛ ١٤: ٢٠).

٣. استخدم القديس باسيليوس تعبيرات تكشف عن دوره: "أب الخطية ومنشئها"<sup>٣</sup>، والمكر<sup>٤</sup>، إنه لص<sup>٥</sup>، وذئب<sup>٦</sup>، ووحش مفترس<sup>٧</sup>، وأب الكذابين<sup>٨</sup>، مفترس وغادر<sup>٩</sup>. حامل كل الرذائل<sup>١٠</sup>. صانع الشر<sup>١١</sup>، قتال<sup>١٢</sup>، هو الخطية ذاتها<sup>١٣</sup>، المعصية ذاتها<sup>١٤</sup>. مع ذلك أوضح أن هذا ليس نابعا عن طبيعته، بل عن فساده. لقد خلقه الله روحًا صالحًا، له كل المحاسن والإمكانات للتقدم والتمتع

<sup>1</sup> Letter 204:2 PG 32: 748A.

<sup>2</sup> Letter 203:2.

<sup>3</sup> Hom. adversus iratos,.6. PG 31:348A.

<sup>4</sup> Hom. de invidia,.1 PG 31:372B.

<sup>5</sup> Hom. de fide 1. PG 31:472C.

<sup>6</sup> Hom. in Mamantem martyrem, 4. PG 31:596B.

<sup>7</sup> Ibid.

<sup>8</sup> Hom. adversus iratos,.6. PG 31:369A; Letter 4.

<sup>9</sup> Hom. in Mamantem martyrem, 4. PG 31:596B.

<sup>10</sup> Hom. quod Deus non est auctor malorum, 8. PG 31:348B.

<sup>11</sup> Hom. adversus iratos,.6. PG 31:369A.

<sup>12</sup> In Hex. hom 6:1. PG 117C.

<sup>13</sup> Regulae brevius tractatae 26, 268. PG 31:1268A.

<sup>14</sup> Ibid.



بإفداسة، مثله مثل بقية الملائكة. لكنه رفض النعمة الإلهية، وأساء استخدام حرية الإرادة، وصار ربحاً شريراً<sup>١</sup>.

كان القديس باسيليوس تواقاً أن يشرح بكل وسيلة أن الشيطان ليس شريراً بطبعه، لأن هذا الافتراض يجعل الله مسؤولاً عن الشر، إنما هذا حدث بإصرار الشيطان نفسه بإرادته<sup>٢</sup>.

## سقوط الشيطان

بخصوص سقوط الشيطان يرى القديس باسيليوس أن ذلك قد تمَّ قبل خلق العالم المنظور، وعلى وجه الخصوص قبل خلق الإنسان، حيث قام الشيطان بتجربة حواء وآدم كروح شرير في الجنة.

لم يذكر ذلك بالتفصيل، إنما أشار فقط إلى شهادة السيد المسيح الذي رأى الشيطان ساقطاً كالبرق من السماء (لو ١٠ : ١٨).

١. رفض القول بأن الشيطان وقواته سقطت في علاقة جسدية مع النساء، على أساس أنهم أرواح غير جسدية لا يخضعون لشهوات كهذه. لقد تبع القديس باسيليوس العلامة أوريجينوس<sup>٣</sup> الذي أكد مراراً أنهم سقطوا بسبب كبريائهم وعصيانهم لله. أوضح القديس باسيليوس ذلك بكل وضوح في مقاله "عن الروح القدس" قائلاً: بأن القوات العنيدة صارت شريرة، لأنها قست رقابها ضد القدير، ولأجل عصيانها على خالقها<sup>٤</sup>.

[هذه هي حالة القوات السماوية، التي تمردت، وصلبت أعناقها على الله ضابط الكل، رافضة الخضوع له، ليس لأنها من طبيعة أخرى (غير صالحة)، لأن سبب معصيتها كان التمرد على صانعها.]

لقد كرّر القديس باسيليوس نفس المعنى في كتابه الأول "ضد أفنوميوس" مشيراً إلى أن الكبرياء هو أخطر هوى للإنسان، ومن يتمسك به يُدان مثل الشيطان<sup>٥</sup>. كما قدمها في تفسيره لسفر إشعياء (١٤ : ١٣-١٤).

٢. مع قبول القديس باسيليوس لنظرية الكبرياء، أشار أيضاً إلى السبب الآخر لسقوط الشيطان، وهو "حسده الإنسان"<sup>٦</sup>.

<sup>1</sup> Hom. quod Deus non est auctor malorum, 8. PG 31:348B

<sup>2</sup> Hom. quod Deus non est auctor malorum, 8. PG 31:345CD.

<sup>3</sup> Origen: Hom. in Numb. 12:4; De Principiis 3:1:2.

<sup>4</sup> De Spiritu Sancto 20:51. PG 32: 161C.

<sup>5</sup> Adversus Eunomius 1:13. PG 29:541 BC.

<sup>6</sup> Hom. de invidia, 3. PG 31:377A.

في عظته *De invidia* يقول القديس إن الشيطان يشعر بحسد مستمر نحو الإنسان، ولهذا لا يكف عن أذيته من البداية حتى نهاية العايم، وأن سقوط الشيطان جعله يحسد الإنسان.

وفي عظته *De humilitate* يقول القديس باسيليوس إن الشيطان بسبب عداوته للإنسان يستدعي كل قوته وحيله لكي يستبعد الإنسان عن الله وعن الحياة الأبدية. ومع كل ما يترجأه العدو لا يبقى له أثر قدم في محاولته، إذ يصير هو نفسه معاندًا لله، ويُعاقب بالموت الأبدي<sup>١</sup>.

في تفسيره لإشعيا، نجد محاولة للتوافق بين النظريتين، حيث قيل إن الشيطان أصلاً سقط بسبب الكبرياء والتمرد على الله، هذا السقوط لم يكن غير قابل للتقويم. فكان لدى الشيطان إمكانية التوبة قبل خلقه الإنسان، وبالتالي استرداده لرتبته وكرامته. لكن عوض ذلك حسد الإنسان وخدعه، وأبعده عن الله، فكان هذا العمل سقوطاً لا عودة فيه، وفساداً بلا علاج<sup>٢</sup>.

بعد سقوط الإنسان لم تعد لدى إبليس فرصة لتغيير موقفه، فقد تأسس في الشر، وصار الشر سمة رئيسية له<sup>٣</sup>. يعلن القديس باسيليوس أن الخاطئ المُصمم على خطيته سيعاقب في النار الأبدية مع الشيطان<sup>٤</sup>.

## عمل الشيطان والأرواح الشريرة

بدأت عداوة إبليس للإنسان في الحال بعد خلقه الإنسان، إذ أراد أن يصب غضبه على الله في صورته، أي في الإنسان<sup>٥</sup>. لقد سقط إبليس من مركزه السامي، فلم يحتمل أن يرى الإنسان يرتفع ليحتل مركزاً ملائكياً. فمركز الإنسان الفريد وسعادته صارتا موضع حسد إبليس وكرهيته<sup>٦</sup>.

سقوط آدم وحواء لم يشبع إبليس، بل أراد أن يحطم نسلهما ويعزلهما عن الله، فكرس كل إمكانياته للعمل في تحقيق هذا إلى نهاية العالم<sup>٧</sup>.

### ١. محاولة إخضاع الإنسان للإرادة الشريرة

يرى القديس باسيليوس أن الشيطان في صراعه المستمر ضد الإنسان، يحاول أن يخضعه لإرادته الشريرة، ويضمه إلى مملكته تحت سلطانه، ليقم منه شخصاً متمرداً على الله. لقد وجد في ضعف الإنسان، وميله نحو الشهوات، الطعم الذي يُقدمه له لكي يصطاده به<sup>٨</sup>، أو السهام التي يوجهها لأعماقه كي يحطمه<sup>٩</sup>.

<sup>1</sup> Hom. de humilitate, 2. PG 31:528BC.

<sup>2</sup> Com. in Esaian Prophetam 14:279. PG 30:609AB.

<sup>3</sup> Com. in Esaian Prophetam 14:279. PG 30:609AB.

<sup>4</sup> Hom. adversus iratos, 6. PG 31:369A.

<sup>5</sup> Hom. quod Deus non est auctor malorum, 9. PG 31:349C.

<sup>6</sup> Hom. quod Deus non est auctor malorum, 8. PG 31:348B.

<sup>7</sup> Hom. de invidia, 4. PG 31:377D.

<sup>8</sup> Hom. quod rebus mundanis adhaerendum non sit, 1. PG 31:541A.

<sup>9</sup> Hom. in Sanctium Baptismo, 5. PG 31:436A.

## ٢. اصطیاد ضحایاه بالشهوات الشريرة

في أماكن كثيرة يعلن القديس باسيليوس أن الشيطان مخادع، يصطاد بعض ضحاياه بالنهم كما فعل مع آدم وحواء، والبعض بالطمع، والبعض بالشهوات الجسدية، وآخرون بالكبرياء والحسد وغيرها<sup>١</sup>. في صراعه ضد الإنسان يختبئ الشيطان وراء خطايا متنوعة، وشهوات متباينة، مثل النصوص والقتلة يكمن مترقبًا ضحاياه<sup>٢</sup>.

## ٣. محاولة منع المؤمن عن التوبة أو تأجيلها

على نقيض الملاك الحارس الذي يشجع الإنسان دائمًا على الأعمال الصالحة، ويعينه لينمو في فضيلته، يحاول الشيطان أن يعزله عن الله، وأن يغريه على الخطية ليقوده إلى الفساد والدمار<sup>٣</sup>. يشجعه الشيطان، ويهيئ له الجو لاقترافها، بعد ذلك يبذل كل قوته ويخدعه لكي يبقى الخاطئ فيما هو عليه، ويمتنع عن التوبة أو يؤجلها<sup>٤</sup>.

## ٤. محاولة تأجيل المعمودية

ينتقد القديس باسيليوس الذين يؤجلون معموديتهم، حاسبًا ذلك من عمل الشيطان. وفي عذاته يضع الإنسان أمام تعاليم الرب وتعاليم الشيطان ليتخذ قراره<sup>٥</sup>.

## ٥. حث البشر على ترك مكان الصلاة

يحذر القديس باسيليوس رهبانه، طالبًا منهم أن يكونوا يقظين، فقد اعتادت الشياطين أن تحت البشر على ترك المكان في ساعة الصلاة، مقدمين أعذارًا تبدو مقبولة، ويشتتون أفكارهم.

## ٦. يجرب الشهداء في لحظات استشهادهم

يحاول الشيطان أن يجرب الشهداء في لحظات استشهادهم بكل وسيلة، لكي يغيروا أذهانهم. يرعبهم بعذابات الاستشهاد، وعندما يراهم يحتملونها بفرح، يُظهر لهم حنواً وعطفًا، لأنه هكذا هي حيل إبليس<sup>٦</sup>. من جانب آخر يستخدم آلاته، وهي الأصدقاء والأقرباء، فيظهرون حبهم ويحاولون أن يثبوا الشهيد عن الاعتراف بالرب، والتخلي عن الاستشهاد.

<sup>1</sup> *Regulae brevius tractatae* 75.

<sup>2</sup> *Hom. quod rebus mundanis adhaerendum non sit*, 1. PG 31:541AB.

<sup>3</sup> *Hom. in Psalm 61:3* PG 29:476A; *Com. in Esaian Prophetam* 13:276.

<sup>4</sup> *Hom. in Sanctium Baptismo*, 6. PG 31:437BC.

<sup>5</sup> *Hom. in Sanctium Baptismo*, 6. PG 31:437BCD.

<sup>6</sup> *Hom. in Gordium martyrem*, 5.



ذكر القديس باسيليوس عن الشهيد جورديوس *Gordius* أنه كان على دراية كاملة بكل هذه الحيل. لذلك رأى بعينه الروحيتين الشيطان يجري حوله، ويحث البعض على الحزن، ويحث آخرين على جحد السيد المسيح، لكنه بقي ثابتاً في قراره<sup>١</sup>.  
مع أن الشيطان حوّل كل المسكونة ضد الأربعين شهيداً بسبسية، لكن كانت لهم الشجاعة والفضيلة التي هزمت الشيطان<sup>٢</sup>.  
كتب إلى الإسكندرانيين بخصوص الاضطهاد المرّ الذي أثاره فالنس في الإسكندرية بعد نياحة البابا أثناسيوس سنة ٣٧٣م بقليل بوازع من الشيطان<sup>٣</sup>.

#### ٧. يوحى للبشر بقبول هرطقات

الشيطان أيضاً هو الذي يوحى للبشر بالارتداد عن الله، وقبول هرطقات متنوعة<sup>٤</sup>. يركز القديس باسيليوس على أن إبليس يستبّ مشاكلة في الكنيسة بظهور الهرطقات والاضطهادات. فتحت تأثيره وقيادته يقاوم إبليس أتباع باسيليوس والأريوسيون تعاليم الإيمان المسيحي<sup>٥</sup>. وفي عظته عن التواضع *De humiliate* مُشجعاً مستمعيه ضد هرطقات متنوعة يقول بأن الهرطقة مع تعاليمهم المنمّقة وفلسفتهم ومجهوداتهم الضخمة لتحطيم الإيمان سيفشلون ويظهرون أنهم أغبياء، وذلك تماماً كما يحدث مع إبليس الذي هو أول السوفسطائيين ورئيسهم<sup>٦</sup>.

#### ٨. منع البشر من المعرفة الحقيقية لله

لهذا فإن الوثنيين يذبحون للأصنام، لأن إبليس نفسه يمنعهم من المعرفة الحقيقية لله<sup>٧</sup>.

#### ٩. يخترع الشرور ويحث عليها

ليس أول من يحث على الشرور فحسب، بل وهو مخترعها. إنه يسبّب أمراضاً وكوارث للبشر، لهذا في عظته *De invidia* بخصوص الخبث يقول إنه من عمل الشيطان نفسه<sup>٨</sup>. لقد استخدم قصة أيوب مثلاً لما يفعله إبليس، مستخدماً البشر كأداة لإحداث كوارث وشرور (أي ١: ١٢-٢٢).

<sup>1</sup> Hom. in Gordium martyrem, 7.

<sup>2</sup> Hom. in Gordium martyrem, 8.

<sup>3</sup> Letter 139:1.

<sup>4</sup> Adversus Eunomius 1:1.

<sup>5</sup> Hom. contra Sabellianos et Arium et Anomoeos, 1. PG 31: 600C.

<sup>6</sup> Hom. de homilitate, 2.

<sup>7</sup> Hom. in Psalm 45:1.

<sup>8</sup> Hom. de invidia, 2. PG 31:528CD.



## سُلطان إبليس على البشر

في القوانين المختصرة<sup>1</sup> يوضّح القديس باسيليوس أن إبليس بلا سُلطان على إنسانٍ ما بدون سماح من الله الذي يسمح أحيانًا بالتجربة لامتحان المؤمن وتزكّيته. ما يفعله إبليس بالنسبة للمؤمن الجاد في خلاصه، أن بتجاربه ينمو المؤمن الحقيقي روحياً، ويتمتع بالنمو. وذلك كسم الحية في يد الطبيب، إذ يصير دواءً منقذاً<sup>2</sup>. نُصرة المسيح عليه حجّمت من قوة إبليس.

❖ المزامير تهب النفس الطمأنينة وتعطيها السلام وتهدئ فيها بلبلّة الأفكار وتراكم الشهوات. هذا الكتاب هو كتاب المحبّة... هو سلاح ضد الشيطان... هو سبب راحة بعد تعب النهار... هو تعزية الشيوخ، هو باعث أفراحنا وأحزاننا المقدّسة... هو نشيد رائع، هو صوت الكنيسة، هو بخور زكي الرائحة<sup>3</sup>.

❖ إن كان كما يقول يوحنا "الله محبة" (١ يو ١٦ : ٤)، فبالضرورة الشيطان هو الكراهية. وكما أن الذي له الحب له بالتبعية الله، هكذا من له البغض يحتضن الشيطان داخله<sup>4</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## الرهينة معركة سماوية مع إبليس

❖ مهوبة هي القوانين التي يصدرها الملك للعامة الخاضعين له. لكن أكثر مهابة وملوكية تلك الأوامر التي يوجهها لجنوده. كما تعلن الأوامر العسكرية هكذا ليت الإنسان يصغي، ذاك الذي يود أن يتأهل لاستحقاق سماوي عظيم، هذا الذي يتوق أن يكون رفيقاً للمسيح في المعركة على الدوام. هذا الذي يعطي أذنًا للكلمة القديرة: "إن كان أحد يخدمني فليتبغني، وحيث أكون أنا هناك أيضاً يكون خادمي" (يو ١٣ : ٢٦).

أين هو المسيح الملك؟ إن أردت التأكد، إنه في السماء!

يليق به كجندي (المسيح) أن يوجه سبيله إلى هناك. ينسى كل المباهاج الأرضية. الجندي لا يبني بيتاً، ولا يتوق إلى امتلاك أراضٍ. لا يشغل نفسه بتجارة مراوغة لتكريس المال. "ليس أحد وهو يتجند يرتبك بأعمال الحياة لكي يرضي من جنده" (٢ تي ٢ : ٤). يتمتع الجندي بالقوت الذي يمدّه به الملك، لا يحتاج أن يُدبّر قوته ولا أن يرتبك بهذا. بقرار ملوكي يُفتح له بيت كل ما فيه خاضع للملك. لا يطلب منه أن يتعب نفسه ببناء بيت.

<sup>1</sup> *Regulae brevius tractatae* 275.

<sup>2</sup> *Hom. quod Deus non est auctor malorum*, 9. PG 31:350CD.

<sup>3</sup> راجع الأب إلياس كويتر المخلصي: القديس باسيليوس الكبير، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، ١٩٨٩، ص ٢٩٢. عظة على المزامير.

<sup>4</sup> *An Ascetical Discourse, (Frs. of the Church, volume 9, p. 210).*

خيمته توجد في الطريق المفتوح، ويأخذ طعامه قدر الضرورة. شربه هو الماء. هجعات نومه الخفيفة قدر ما تحتاج الطبيعة. تحركاته وأسهاره كثيرة، احتمالاً للحر والبرد، لقاءاته مع العدو، المخاطر الرديئة العظيمة، وربما يواجه الموت، لكنه موت مجيد يتبعه مكافآت الملك وعطاياها<sup>١</sup>.

❖ يليق به ألا يركض كما بدون هدَفٍ، ولا يحارب كمن يضرب الهواء (١ كو ٩: ٢٦)، مُلقياً بخصمه وهو هزيل الجسم، مسكين بالروح، ممارساً كل ما يؤمر به، معترفاً أنه عبد بطل (لو ١٧: ١٠)<sup>٢</sup>.

❖ ضع أمام عينيك ذاك الذي تألم من أجلك بواسطتهم، مُدركاً أنه من أجل المسيح يلزمك أيضاً أن تتألم منهم، فتكون لك نصرة عليهم. فإنك تتبع الملك الذي هو الفائز، ويريدك أن تشترك في فوزه. علاوة على هذا، فإنك حتى وإن مت لا تهزم، نعم، فإنك بالحق تتمتع بنصرة كاملة، ما دمت تحفظ في داخلك الحق حتى النهاية، هذا الذي يبقى دوماً غير مُتغير، وتتمتع أنت بشجاعةٍ ببسالةٍ في الحديث عن الحق<sup>٣</sup>.

❖ لتحاربوا برجولة كجنود صالحين، ولتركضوا بثُبلٍ في سباقكم من أجل الإكليل الأبدي في المسيح يسوع ربنا، الذي له المجد إلى الأبد. آمين<sup>٤</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

### تحني الشياطين نفوس الأشرار نحو التراب كالحوانات

يقول القديس جيروم: [أي إنسان مريض بسبب روح شرير ينحني ناظراً إلى أسفل، مُتطلِّعاً إلى الأرض، لا يقدر أن يتطلَّع إلى السماء].

يرى القديس باسيليوس أن عمل الحيّة أي الشيطان هو إفساد طبيعتنا، فلا ننظر إلى فوق ونفكر في الله والإلهيات، بل ننحني كالحوانات نحو التراب نطلب الأرضيات ونفكر فيها. لذا ينصحنا، قائلاً: [لأن رأس البهائم تتطَّلع نحو الأرض، أما رأس الإنسان فقد خُلقت لتتنظر نحو السماء، وعيناه تتجهان إلى فوق. لهذا يليق بنا أن نطلب ما هو فوق، وببصيرتنا نخترق الأرضيات<sup>٥</sup>].

<sup>1</sup> *An Introduction to the Ascetical Life, (Frs. Of the Church, volume 9, p. 9).*

<sup>2</sup> *A Discourse on Ascetical Discipline, (Frs. Of the Church, volume 9, p. 35).*

<sup>3</sup> *An Introduction to the Ascetical Life, (Frs. Of the Church, volume 9, p. 11).*

<sup>4</sup> *An Introduction to the Ascetical Life, (Frs. Of the Church, volume 9, p. 13).*

<sup>5</sup> *Hexam. Hom 9.*

❖ يقول القديس باسيليوس الكبير إذ كان الإنسان في كرامة ولم يعرفها وقيس بالبهائم وشبّه بها، لذلك استولى المحتال على الجنس البشري بأسره، وجمع كافة الناس في الجحيم، مثل الغنم التي بلا فهم ولا تقدر أن تمنع، ودفعها إلى الموت، وصار يرعاها منذ آدم حتى مجيء ربنا يسوع المسيح له المجد.

لأجل هذا قال في الإنجيل المقدس: أنا هو الراعي الصالح" والراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف (يو ١٠: ١١) التي كان يرعاها الموت. ثم أنه بالغداة، أي لما أشرق وارتفع نهار شمس البرّ الذي هو ربنا يسوع المسيح، فإنه الذين تبعوا الاستقامة وآمنوا به عتقهم من رق الموت العقلي الذي هو البُعد عن الحياة الأبدية. وسلّم حراستهم للمستقيمين، أعني الملائكة الذين يسودون على المؤمنين الذين كل واحدٍ منهم يتولّى ملاك مستقيم حراسته، يدبّر حياته لأجل خلاص نفسه وحراسة جسده.

### الأب أنسيمس أسقف أورشليم

❖ يأتي المسيح؛ والروح يُهيئ طريقه. يأتي في الجسد، والروح لا ينفصل عنه قط، يعمل عجائب ويمنح أشفية من الروح القدس. تخرج الشياطين بالروح القدس. حضور الروح يحطم الشيطان. غفران الخطايا يُعطى بعبودية الروح. لقد اغتسلتم وتقدستم... باسم الرب يسوع المسيح وبروح إلهنا" (١ كو ٦: ١١)¹.

❖ من يُخطئ يُعطي مكانًا لإبليس، غير مبالٍ بذاك القائل: "لا تعطوا إبليس مكانًا" (أف ٤: ٢٧) أو الجامعة القائل: "إن سعدت عليك روح المُتسلّط، فلا تترك مكانك" (جامعة ١٠: ٤). ليتنا نحن الذين في الرب، والقادرين قدر المُستطاع أن نحفظ عجائبه قريبة منا لكي ما نجذب الفرح إلى قلوبنا بالتأمل فيها².

### القديس باسيليوس الكبير

### اطرحهم تحت قدميك

يقول الرسول: "فاخضعوا لله، قاوموا إبليس، فيهرب منكم" (يع ٤: ٧).

❖ اتبع العريس السماوي، لتصمد أمام الأعداء غير المنظورين. لتثر حربًا ضد الرئاسات والسلطين (أف ٦: ١٢)، فتسحبهم أولاً عن نفسك، فلا يكون لهم نصيب فيك، وبعد ذلك تطردهم عن أولئك الذين يطرون إليك، طالبين الحماية بمشورتك. اطرحهم تحت قدميك كقائدٍ لهم ومدافعٍ عنهم.

¹ Liber de Spiritu Sancto 19:49. PG 32:157 A.

² Homilies on Ps. 51:1 (Ps. 32).

هل تجد تلك المجادلات التي ضد الإيمان بالمسيح.

حارب بكلمة التقوى ضد المشورة الشريرة الرديئة. وكما يقول الرسول: "هادمين ظنونًا وكل علو يرتفع ضد معرفة الله" (٢ كو ١٠: ٥). ضع ثقتك فوق الكل، في ذراع الملك العظيم، الذي بمجرد رؤيته يخاف أعداؤه ويرتعدون<sup>١</sup>.

❖ لو لم يعبر إسرائيل البحر لما خصر من فرعون، وأنت إن لم تدخل المياه فلن تهرب من طغيان الشيطان القاسي<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## التمييز بين الأفكار التي تأتي من تهاون النفس والتي تأتي من محاربة الشيطان

❖ تأتي الأفكار الرديئة التي تعوق الأفكار الجيدة بطريقتين:

أ - إما عندما تتوانى نفس الإنسان، وتبقى طائشة هنا وهناك في ما لا ينبغي، وتفش في الخيالات الخبيثة أو البطالة.

ب - أو عندما يتخابث الشيطان، ويلقي إلى قلوبنا أفكار الأعمال الرديئة، ليجتذب نفوسنا من التفكير في الأعمال الكريمة.

أما النوع الأول: فلغلة نفوسنا وكسلها، تتقطع منها الحرارة والاحتراس، فتتحل وتفكر في أفكار باطلة، فيتنازل العقل ويطيش في ما فكر فيه. وحينئذ ينتقل من ضلال إلى ضلال، ومن أباطيل إلى شرور، ويسقط في أعمال رديئة.

فينبغي أن ننهض نفوسنا من هذا الانحطاط والتواني، ونميز قلوبنا حتى يعود إلينا، فنقيم حتى يكون حارسًا متيقظًا ناظرًا في أعمال الله الصالحة التي أمامه.

أما أفكار النوع الثاني: فتأتي عندما يبدأ الشيطان بمكره أن يلقي في نفوسنا أفكارًا رديئة، هذه التي تشبه سهامًا مُنقّدة، ويسكنها مع النفس التي تقبلها حتى يعسر خروجها. فحينئذ ينبغي للإنسان أن يتيقظ، ويتأمل ذاته، ويجتذبها من هذه القتالات الخبيثة، ويجاهد كمصارح نجا من يد مقاتله، وعاد بشجاعة يحاربه، ويحترس، ويُدرّب جسده أن يعود بسرعة.

ثم يسلم الإنسان نفسه للصلاة بالدوام، ويصرخ نحو معونة الله من السماء ليعطيه غلبة في الحرب التي ثارت عليه وينزع منه سهام الخبث.

<sup>1</sup> An Introduction to the Ascetical Life, (Frs. Of the Church, volume 9, p. 10-11).

<sup>2</sup> De Spiritu Sancto 14: PG 31:425 B, C.



(هذه هي الوسيلة) التي ذكرها بولس الرسول قائلاً: "حاملين فوق الكلّ تُرس الإيمان، الذي به تُقدرون أن تُطفئوا جميع سهام الشرير المُلتَهبة" (أف ٦ : ١٦).

أحبائي، حتى لو ألقى علينا خيالاته وأفكاره الخبيثة في الصلاة أيضاً، فلا ندع نفوسنا تتحل من الصلاة، ولا ندعها تفكر أن تلك الأفكار والخيالات الخبيثة هي من (نفوسنا) ذاتها. بل تعلم أنها من العدو الذي هو مُعلم كل شرّ بكل نوع، لتزداد الطلبة، كإنسانٍ يستغيث من خصمه، ليس من ذاته وإنما على آخرٍ غيره.

وهكذا تطرح النفس ذاتها قدام الله، وتسأله أن يبعد عنها عسكر الخبيث المحيط بها. فإذا امتد عقلنا مرتفعاً نحو الله، فلا يستطيع شيء من أفكار العدو أن يغلب صلاتنا أو يمنعها. إن ثبت العدو في محاربتنا وقت الصلاة أيضاً، ينبغي ألا نقطع جهادنا... حتى ينظر الله إلى جهادنا، فيشرق علينا بنعمة روح قدسه، ويطرد عدونا، ويعطينا سبباً لهدوء أفكارنا، لنعبده بفرح دائم<sup>١</sup>.

**القديس باسيليوس الكبير**

## عدو لا يهدأ!

إذ خلق الله الإنسان على صورته ومثاله، أدرك إبليس إمكانية تقدمه وارتفاعه ليحتل مركزاً سامياً بين السمائيين، فاتخذ منه أرض معركته مع الله. يرى القديس باسيليوس أن عمل الحيّة أي الشيطان هو المقاومة الدائمة لأجل إفساد طبيعتنا، فلا ننظر إلى فوق ونفكر في الله والإلهيات، بل ننحني كالحيوانات نحو التراب نطلب الأرضيات ونفكر فيها.

**فما هو دور الراهب أو المؤمن في مقاومة عدو الخير عملياً؟**

❖ لتتأكد أنك سوف لا تهرب من المعركة مع المرتد، وأنت لا تتال النصرة عليه بدون الجهاد العظيم في حفظ التعاليم الإنجيلية.

كيف تتوقف في وسط معمة المعركة، وتنتصر في النضال ضد العدو؟ إنه يجول في كل الأرض تحت السماء وكل المناطق ككلبٍ مسعورٍ يطلب أن يفترس (١ بط ٥ : ٨)، هذا ما نتعلمه من تاريخ أيوب.

إذن إن رفضت المعركة مع خصمك، فلتلجأ إلى عالم لا يوجد فيه عندئذ تجنّبك الصراع معه يكون أمراً ممكناً بالنسبة لك، فتستكين من المخاطر لتمارس التعاليم الإنجيلية. لكن إن كان

<sup>١</sup>راجع دير السريان: القديس باسيليوس، ٢٠٠٣، ص ٨٠-٨٣

هذا غير ممكن لك، فلتسرع وتتعدّد كييف تحارب ضده، مُستمدًا تعليماتك من الكتاب المقدس في فن الصراع، فلا تنهزم خلال جهلك ولا تسلم للنار الأبدية.

يلزم تقديم هذه المشورات عرضاً لمن يعيشون في الحياة الزوجية الذين لا يهتمون بحفظ وصايا المسيح بخطورة. وأما أنت، إذ تطمح في أن تصير مُحبًّا للتدبير السماوي، وأن تكون شريكًا عاملاً في الحياة الملائكية، ورجدياً مرافقاً لتلاميذ المسيح القديسين، ثبّت نفسك في احتمال التجارب ملتجئاً إلى صحبة الرهبان<sup>1</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## هل الشيطان هو المبتدع لكل خطية؟

❖ سؤال: هل من المناسب القول بأن الشيطان هو المبتدع لكل خطية سواء بالفكر أو القول أو العمل؟

الإجابة: على وجه كامل، أظن أن الشيطان لا يستطيع من نفسه أن يكون سبباً للخطية في كل أحد، إنما لكي يُحقّق خبثه ينتفع مما يجده فينا، مرة خلال عواطفنا الطبيعية، ومرة خلال أهوائنا الممنوعة، ويحاول بكل وسيلة أن يضلّل من هم غير يقظين بما يتفق مع الأهواء.

إنه ينتفع بالعواطف الطبيعية كما حاول أن يُجرّب الرب، إذ عرف أنه جائع، وقال له: إن كنت ابن الله، فقل للحجارة أن تصير خُبزاً (مت ٤: ٣).

وانتفع بالأهواء الشريرة كما فعل مع يهوذا. فإنه حالما أدرك أنه طمّاع، مريض بالطمع، انتفع من هذا الهوى، وسحب هذا الإنسان الطمّاع إلى جريمة الخيانة للانتفاع بثلاثين قطعة من الفضة (لو ٢٢: ٣؛ مت ٢٦: ١٤-١٥).

لقد أظهر الرب أيضاً بوضوح أنه توجد شرور تتبع من أنفسنا، إذ يقول إنه من القلب الشرير تصدر أفكار شريرة، وهكذا (مت ١٥: ١٩).

هذا ما يحدث للذين خلال إهمالهم يتركون بذور الصلاح لا تُغرس فيهم بل تضيع. كما قيل في الأمثال: "عبرت بحقل الكسلان وبكرم الرجل الناقص الفهم، فإذا هو قد علاه كله القريض وصار مهجوراً" (راجع أم ٢: ٣٠-٣١). يتبع ذلك أن النفس تصير خلال الإهمال مملوءة أشواكاً ومهجورة، وينبت فيها حسك (تك ٣: ١٨). وتصير كما كُتب عنها: "فانتظر أن يصنع عنباً، فصنع شوكاً" (راجع إثر ٥: ٢)... يمكن أيضاً أن يجد الشخص نفس الشيء في

<sup>1</sup> On Renunciation of the World, (Frs. Of he Church, volume 9 p. 18).

إرميا الذي قال على لسان الله: "أنا قد غرستك كرمة مثمرة، زرع حق كلها، فكيف تحوّلت سرّوح جفنة غريبة (مُرّة)؟! (راجع إر ٢: ٢١) <sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

كيف ننتصر على إبليس؟

## ١. الالتصاق بالثالوث القدوس

حياة المؤمن معركة لا تتوقف مع أعداء غير منظورين، إبليس وملائكته، لهذا فهو في حاجة إلى الله نفسه ليكون عونًا له. يعمل الله نفسه لخلّصنا، كما يرسل الله ملائكته لحفظ خائفه. إن كان عدو الخير قد ركّز معركته ضد الله في أرضنا، فإن الله من جانبه قدّم لنا كل إمكانيّة للنصرة، لتحوّل المعركة لحسابنا، فيمتلئ كأس إبليس من شره، وتقدّم فرصة لنوال الإكليل ولتمتع بشركة المجد للإنسان محبوب الله.

١. من جانب الآب، أرسل ابنه الوحيد متجسدًا، ليتقدّم كقائد المعركة، العريس السماوي، يفدي عروسه، يقف أمام كل قوات الظلمة لكي لا يكون لهم نصيب فيها.

٢. وبالمسيح يسوع يدرك المؤمن أن موضع إبليس قد صار بالصليب تحت قدميه. وصار الإنسان الضعيف موضع رعب إبليس. تألم مخلص العالم، لكي بألامه يهبنا روح النصر.

٣. قدم لنا مسيحنًا روحه القدوس الذي أرسله لنا لكي ننعم بروح التبني في مياه المعمودية. فإن كان العدو قد دفعنا بخداعه إلى إفساد طبيعتنا الجميلة، ففي مياه المعمودية صرنا أبناء الآب القدوس. ویدمّوع التوبة نغتسل على الدوام من خطايانا، ونتقدس لنصير أيقونة المسيح القدوس. بعمل الثالوث القدوس صرنا ملوكًا وجنودًا للمسيح ملك الملوك!

❖ الله ملجأ وقوة لكل من استطاع أن يقول: "أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقوّيني" (رو ٤: ١٣)، فالله هو القوة. قد يقول الكثيرون: "الله ملجأنا"، "يارب ملجأ كنت لنا" (مز ٩٠: ١). لكن قليلين يردّدونها بالاستعداد الذي كان للنبي، قليلون هم الذين لا يتأثرون بالأمر البشرية... لكنهم متعلقون بالله... يستمدون منه شجاعتهم ويضعون فيه كل رجائهم وأملهم...

القديس باسيليوس الكبير

❖ يحتوي هذا المزمور (مز ٦٠) على نبوة للعلامة التي أعطيت لنا نحن المؤمنين، كما قال القديس باسيليوس، وهي دم ربنا يسوع المسيح الذي به ننجو من رشق السهام المحرقة التي تحارنا بها القوات المضادة. العلامة التي كانت لها رسم، مسحها العبرانيون على بيوتهم في

<sup>١</sup> *Regulae brevius tractatae*, 75.

مصر بدم الحمل المذبوح للفسح. وأيضًا العلامة التي كان يرسمها المؤمنون كما ورد في نبوة حزقيال النبي حيث أمر الله الملاك أن يجوز في وسط أورشليم، ويرشم جباه الرجال النائمين (حز ٩ : ٤).

الأب أنسيموس الأورشليمي

❖ معونتي من عند الله" (مز ٧ : ١٠ LXX)

في الحروب بحق يحتاج المحررين إلى عونٍ ضد هجمات المضادين لهم. هكذا هنا ذاك الذي يعلم أن أعداءه غير منظورين، وأن الخطر قريب منه، يعسكر حوله، قائلاً: عوني ليس من الثروة ولا القوة، ولا من روابط القرابة، إنما "عوني من عند الله".  
أي عونٍ يرسله الله لخائفه، هذا نعرفه في مزمور آخر: "ملاك الرب حالّ حول خائفه وينجيهم" (مز ٣٤ : ٧). وفي موضع آخر: "الملاك خلّصني من كل شرّ" (راجع تك ٤٨ : ١٦)<sup>١</sup>.

❖ لا تتحقق النصر بكمية المال، ولا بالاعتزاز بالقوة، ولا بعلو المجد، إنما يهب الرب عونه مجاناً للذين يطلبونه بالأحزان المكثفة. هكذا كان بولس الذي حمل أحزانه، موضوع فخره. لهذا صار قادرًا أن يقول: "حينما أنا ضعيف، فحينئذ أنا قوي"...  
أترون إلى أين تقودكم الأحزان! إلى الرجاء الذي لا يخيب (رو ٥ : ٣)<sup>٢</sup>.

❖ ضع أمام عينيك ذاك الذي تألم من أجلك بواسطتهم، مدركًا أنه من أجل المسيح يلزمك أيضًا أن تتألم منهم، فتكون لك نصرة عليهم. فإنك تتبع الملك الذي هو الفائز، ويريدك أن تشترك في فوزه. علاوة على هذا، فإنك حتى وإن مُت لا تُهزم. بلى، فإنك بالحق تتمتع بنصرة كاملة، ما دمت تحفظ في داخلك الحق حتى النهاية، هذا الذي يبقى دومًا غير مُتغير، وتتمتع أنت بشجاعةٍ وبسالةٍ في الحديث عن الحق<sup>٣</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

٢. رفع القلب نحو الإكليل السماوي

يدعونا القديس باسيليوس أن ندرك مركزنا الجديد كجنود المسيح الصالحين، نركز أنظارنا على الإكليل السماوي الذي ينتظرنا، ألا وهو تمتعنا بالله نفسه، حيث نستريح في أحضانه إلى الأبد!

<sup>1</sup> Homily 11:7 on Psalm 7.

<sup>2</sup> Hom. 20 On Ps. 59.

<sup>3</sup> An Introduction to the Ascetical Life, (Frs. Of the Church, volume 9, p. 11).



✦ لتحاربوا برجولة كجنود صالحين، ولتركضوا بنبل في سباقكم من أجل الإكليل الأبدي في المسيح يسوع ربنا، الذي له المجد إلى الأبد. آمين<sup>1</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

### ٣. رفع القلب والفكر نحو السماء

إن كان عدو الخير لا يكف عن خداعه، لكي تتطلع أعيننا مع أبينا آدم وأمنا حواء نحو شجرة معرفة الخير والشر، فنراها بهجة للعيون وشهية للنظر (تك ٣ : ٦)، فإن نعمة الله من جانبها تفتح بعسيرتنا الداخلية لنرى السماوات المجيدة، فنتتعش نفوسنا بالأفكار الإلهية السماوية، ونحسب كمن في السماء مع الطغمت السماوية، نتأمل الجمال الإلهي!

### ٤. بالصليب يتحطم العدو وينعم المؤمن بالقيامة

يظن عدو الخير أنه صاحب سلطان بلا حدود، يملك على قلب الإنسان، ويسيطر على كل إمكانياته. أما من يختفي في المسيح، فيحيا به، يُصلب معه فيرتفع كما على الصليب الذي يحطم إبليس، ويوقف كل شروره التي يبثها في البشر كمرضٍ مستعصٍ. مهما بلغت جراحات النفوس بسبب ذرورة شر إبليس، بالصليب تُشفى نفوسنا وتقوم من موتها. بهذا يتمتع المؤمن بالحياة المُقامة. إن كان المرتل لم يقم بمجازاة الأشرار، فلم يرد لهم شرورهم بالشرور، وهذه عطية من قبل النعمة الإلهية، فإن الرب مخلصه ومنجيه ينتقم من الأشرار الذين أساءوا إليه بكسرهم الوصايا الإلهية. لقد صُلب من أجل الخطاة كاسري الوصايا، وقام ليهبهم الحياة المقامة الغالبة لكسر الوصايا. لعل النبي وهو يتطلع إلى القيامة يطلب من الله بقيامته أن ينزع كسر الوصية من الأشرار، فيسلكون كأبناء لله خاضعين للوصية، فلا يحملون شرًا على النبي ولا على غيره من البشر.

✦ "قم يارب بغضبك، ارتفع على حدود عدوي" (مز ٧ : ٦ LXX).

يُصلي النبي أن يتحقق فيه الآن سرّ القيامة، وأن يرتفع على الصليب (مع المسيح المصلوب) بعد أن بلغ شرّ الأعداء أقصى حدوده.

ربما تعبير: "ارتفع على حدود عدوي"، معناه هكذا: بلغ الشر إلى الذرورة، حيث يرتفع إلى درجات لا تُقاس ولا تُحد، فإنك تستطيع (يارب) بغنى سلطانك، كطبيبٍ ماهرٍ أن تُعجل بصدّ انتشاره، فتوقف المرض المتزايد الذي يزحف، وتحطم سيره بلطمات علاجية...

"قم أيها الرب إلهي... بالوصية التي أوصيت بها" (مز ٧ : ٨ LXX). هذا القول يُمكن أيضًا أن يشير إلى سرّ القيامة، إذ يدعو المرتل من الديان أن يقوم لينتقم من كل خطية، ويتم

<sup>1</sup> An Introduction to the Ascetical Life, (Frs. Of the Church, volume 9, p. 13).

الوصايا التي سبق أن وضعها لنا. أيضاً أن يُقال إنها تشير إلى الزمن الذي عاش فيه النبي، لقد وُجِدَت وصية "أكرم أباك وأمك" (خر ٢٠: ١٢) التي أوصى بها الله والتي تُخص بالحقيقة الابن نفسه (أي الإنسان الذي يليق به أن يسمع لصوت الله بكونه أباه). فلكي يمنع الكثيرين (من كسر هذه الوصية) لا يطيل الله أناة بعد، بل يقوم بغضبه وينتقم لوصيته. كأنه يقول: "إنك لا تنتقم لي، بل لوصيتك التي أمرت بها".<sup>١</sup>

القديس باسيليوس الكبير

## ٥. الجهاد المستمر في ممارسة الوصايا خاصة المحبة

يرى القديس باسيليوس في الوصية الإلهية دعوة لتذوق الحياة السعيدة المطوّبة، حيث تقدم للمؤمن عربون الأبدية. يرى المؤمن في الوصية لباس العرس الذي يرتديه بنعمة الله، فيكون موضع إعجاب السمائيين واعتزازهم.

في عظته على المزمور ٣٠ يوضح أن الوصية تدخل بنا إلى التوبة، حيث تمزق مسوحنا القذرة، وتقدم لنا لباس العرس البهي، فلا نُصرد من وليمة العرس (مت ٢٢: ١١-١٣). تدخل بنا الوصية إلى الحب، نحب الله بكل القلب ونحب البشرية، فنُحسب أهل بيت الله. بهذا بالوصية الإلهية لا نجد فينا العدو موضعاً له.

❖ لم يكن حتى الطوباوي داود بلا لوم، لأن أفكاره قد انحرفت، وأخطأ في حق امرأة أورياً (٢ صم ١١).

يوجد مثل آخر كافٍ، يحفظ الإنسان في سيرة مقدسة ليعيش آمناً. هذا المثل هو يهوذا الذي سقط من الأفضل إلى الأسوأ. بعد أن كان تلميذاً للمسيح لمدة طويلة باع سيده من أجل مصلحته الشخصية، لكنه شنق نفسه.

تعلم من هذا أيها الحبيب أنه ليس من يبدأ حسناً بكاملٍ، إنما من ينتهي حسناً هو الذي ينال مدحاً من الله. لهذا لا تغمض جفونك فتنعس، حتى يمكنك أن تتجو مثل الإيل من الشبكة، والطير من الفخ، فإنك تمر وسط الفخاخ. إنك تمشي على قمة حائط عالٍ. إنه في غاية الخطورة أن تسقط من فوقه.

لا تحاول أن تبالغ في ضبط نفسك دفعة واحدة. إنما فوق الكل احترس من اتكالك على نفسك، لئلا تسقط من علٍ مرتفعٍ من ضبط النفس، بسبب عدم تدريبك.

من الأفضل أن تتقدم قليلاً قليلاً، وأن تسحق بالتدريج عاداتك الشريرة، فلا تجلب على نفسك وإبلاً من التجارب بإثارة كل أوجاعك دفعة واحدة. عندما تسيطر على وجع، عندئذٍ شن

<sup>١</sup> Homily 11:4 on Psalm 7.

الحرب على الآخر، بهذا تُحقّق نجاحًا أفضل في كل شيء في وقتٍ لائقٍ<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

اللّه في محبته لنا يدعونا أن نجاهد خلال عمل نعمته، فإننا نقدم ولو حبة رمل، غير أن هذه الحبة تستطيع أن تصد عنف المحيط.

❖ حبة الرمل، وهي أضعف شيء، تصد عنف المحيط<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## ٦. الانشغال بممارسة عمل يومي

يُشدّد القديس باسيليوس، في قوانينه التّسكية، على قيمة العمل مهما بدا تافهًا، أما قانون بندكت فهو يأمر "بأنه ما دامت البطالة هي عدو للنفس، لا بد من انشغال الإخوة تارة في الأعمال اليدوية، وأخرى في المطالعات الدينية". يرى القديس في مشاركة الراهب في العمل ليس دعوة للتخلص من البطالة فحسب، وإنما فرصة للتمتع بالحضرة الإلهية، لأنه يرى في ممارسة المؤمن للعمل يحسب نفسه أنه يعمل لحساب الرب ولمجده.

❖ يليق بنا حتى إن أوكّل إلينا أقل الأعمال، أن نمارسه بغير عزيمةٍ وحُبٍّ، عالمين أن ما يُصنع باللّه ليس تافهًا، بل يُقابله ملكوت السماوات<sup>٣</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## ٧. الاقتداء بالمجاهدين المنتصرين

يليق بالمؤمن بوجه عام، والراهب بوجه خاص، أن يقتدي بالمجاهدين في معركتهم ضد إبليس، فيتشدد بنعمة الله.

❖ هذا ما نتعلمه من حالة أيوب. يضع اللّه أولئك الذين هم قادرون أن يحتملوا التجربة حتى الموت أمام الضعفاء كنموذجٍ لهم<sup>٤</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>1</sup> Letter, 42.

<sup>2</sup> Hexaemeron, homily 4: 3.

<sup>3</sup> Catena Aurea.

<sup>4</sup> The Long Rules, Question 55.

## ٨. الجدية والهروب من مجال العثرات

مع اهتمام القديس باسيليوس بالجوانب الإيجابية في جهاده ضد إبليس، يؤكد أن كل تراخ في الجوانب السلبية يفتح ثغرة لعدو الخير كي يتسلل خفية إلى القلب والفكر والحواس والعواطف، فيفسد حياتنا.

❖ من يُخطئ يُعطي مكانًا لإبليس، غير مبالٍ بذلك القائل: "لا تعطوا إبليس مكانًا" (أف ٤ : ٢٧) أو الجامعة القائل: "إن سعدت عليك روح المتسلط، فلا تترك مكانك" (جا ١٠ : ٤). لبيتنا نحن الذين في الرب، نحفظ قدر المستطاع عجائبه قريبة منا لكي ما نجذب الفرح إلى قلوبنا بالتأمل فيها<sup>١</sup>.

❖ "تعبت أكثر من جميعهم" (١ كو ١٥ : ١٠): الذي يقضي زمانه في نعومة وكل ترفٍ بسبب ترف الحياة، والذي يرتدي الأرجوان والكتان الناعم، ويقيم حفلات كل يوم ببذخ (لو ١٦ : ١٩)، والذي يهرب من التعب اللازم للفضيلة، فإنه لن يتعب في هذه الحياة، ولا يعيش في المستقبل، بل سيجد الحياة بعيدة عنه عندما يتعذب في نار الأتون<sup>٢</sup>.

❖ يجب أن نموت عن الخطيئة، ونُصلب مع المسيح، واضعين فيه كل حبنا. هذا أمر صعب! ولكن ما السهل في نظام الخير؟

لا تُكتسب الانتصارات بكثرة النوم، ولا يُجنى إكليل الظفر في المذاذات وصوت الأبواق... إن من يجاهد ينتصر، وبالأتعاب نحصل على المجد.

أقول لكم بدوري: "يجب علينا أن نجتاز مضائق كثيرة لندخل ملكوت السماوات" (أع ١٤ : ٢٢). ولكن بعد هذه المحن، تنتظرنا الطوبى السماوية، بينما لا تفضي جهود الخطيئة إلا إلى التعاسة وعذاب جهنم<sup>٣</sup>.

❖ لا جرم أن نقول إننا راغبون في ملكوت السماوات، ولكننا لا نهتم بما يوصلنا إليه. إننا لا نريد أن نكابد أقل تعب لأجل حفظ وصايا الرب، ومع ذلك نتوهم بزيغ أفكارنا أننا سننال كرامةً ومجدًا يوازيان مجد الذين قاوموا الخطيئة حتى الموت (عب ١٢ : ٤) وكرامتهم. من ذا الذي يبقى في بيته جالسًا أو راقدًا في أوان الزرع، فيملأ حضنه أغمارًا في ساعة الحصاد؟

<sup>1</sup> Homilies on Ps. 51:1 (Ps. 32).

<sup>2</sup> Unto the End 19:5.

<sup>3</sup> الأب إلياس كويتر المخلصي: القديس باسيليوس الكبير، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، ١٩٨٩، ص ١٣٤



من ذا الذي يحق له أن يقطف عنب كرمة لم يخرسها ولم يتعب فيها؟  
إن الثمار لا يجنيها إلا الذين تعبوا فيها، كما أن الكرامات والتيجان لا ينالها إلا الظافرون.  
فمن تراه يكلل الذي لم يبرز لجهاد العدو؟ على أنه لا يكفي أن يبرز للجهاد، بل لا بد له أن  
يجاهد جهاداً شرعياً، كما أوصى الرسول (٢ تي ٢: ٥). أي أنه ينبغي لنا أن لا نهمل شيئاً  
ولو يسيراً من الأشياء التي فرضت علينا، بل يجب أن نتم كل شيء حسبما أمرنا به. فقد قيل:  
طوبى لذلك العبد الذي إذ يأتي سيده يجده يعمل، (لا على الإطلاق)، بل هكذا (لو ١٢: ٤٣).  
وقيل أيضاً: "إن أنت أحسنت التقدمة ولم تحسن القسمة تُخطئ" (تك ٤: LXX٧). أما  
نحن، فإذا ظننا أننا أتمنا وصية واحدة، لم أقل أتمنا، بل ظننا أننا أتمنا، لأن كل الوصايا  
مرتبطة بعضها ببعض بحسب تعليم الأسفار المقدسة الصحيحة بحيث أن من يحل واحدة منها  
يحل بالضرورة معها سائر الوصايا، ومع ذلك لا نخشى الانتقام لأجل الوصايا التي تجاوزناها،  
بل نرجو المكافأة لأجل الوصية الواحدة التي عملناها<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## ٩. الصلاة من أجل المُجربين والساقطين

تدفعنا معركتنا مع إبليس للاتصاق الشخصي بمسيحنا مصدر النصر والغلبة، كما تدفعنا  
للوحدة مع إخوتنا، فهي معركة بين الله وكنيسته من جانب، وبين إبليس وقوات الظلمة من الجانب  
الأخر. صلواتنا من أجل الضعفاء سند لنا، فما نطلبه لإخوتنا يهبه ربنا لنا نحن أيضاً.

❖ حياته شاقة في فترة الحرب وفي السلام، ومبهجة مكافأة بسالته، والإكليل لمن يعيش حياة نبيلة  
في بز ملوكي يوهب له، حيث يدعى صديق الملك، يجلس بجواره، ويتقبل تحياته، ويقبل كرامات  
من يد الملك، ويكون بارزاً بين شعب الملك، ويقوم بدور الوسيط لحساب أصدقائه الذين خارج  
القصر، في كل ما يشتهونه<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## ١٠. تذكر فرح الكنيسة كلها بنصرتنا

إن كان الرسول بولس يحسب نفسه ضعيفاً مع الضعفاء، ويلتهب قلبه مع كل متعثر، فإننا  
نحسب نصرة إخوتنا نصرتنا، ونصرتنا نحن هي لحساب إخوتنا أيضاً.

<sup>١</sup> راجع الأب إلياس كويتر المخلصي: القديس باسيليوس الكبير، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، ١٩٨٩، ص ٢٨٣-٢٨٤،  
ترجمة الأب يوسف شماس المخلصي.

<sup>٢</sup> *An Introduction to the Ascetical Life, (Frs. Of the Church, volume 9, p. 9-10).*

❖ ستعبر من الموت إلى الحياة الأبدية، ومن الخزي في أعين البشر إلى المجد مع الله، ومن محن هذا العالم وضيقاته إلى السلام الأبدى مع الملائكة.  
الأرض لا تقبلك مواطنًا، واسمء ترحب بك.

العالم يضطهدك، لكن الملائكة ترتفع بك إلى حضرة المسيح. ستدعى صديقًا له، وستسمع المديح الذي طالما اشتقت إليه منذ زمن طويل: "فعلت حسنًا، أيها العبد الصالح المخلص، والجندي الشجاع، والمتمثل بالرب، تابع الملك. سأكافئك بهباتي، سأصغي إلى كلماتك كما كنت تصغي إلى كلماتي".

ستسأل عن خلاص إخوتك الذين لا يزالون يجاهدون تحت التجربة، وستقبل من الملك محبة مقدسة لزملائك في الإيمان وشركة في بركاته، ستتضم إلى الرقصات الأبدية وتلبس الإكليل أمام أعين الملائكة، وتحكم تحت الملك على خليقته وتعيش مطوَّبًا في صحبة المطوَّبين. وإن شاء لك أن تبقى بعد جهادك على الأرض لتشن أنواعًا أخرى متنوعة من الحروب وتتقذ كثيرين من النضال مع الأعداء المنظورين وغير المنظورين، فسيكون مجدك أعظم حتى على الأرض.

تنال كرامة بواسطة أصدقاءك الذين يجدون فيك مدافعًا وصديقًا عند الحاجة، قادرًا أن تكون متكلمًا باسمهم. يعتزون بك كجندي شجاع، ويكرمونك كمقاتل نبيل، ويحيونك كصديق، ويرحبون بك بفرح كملوك الله، وبحسب بولس كالمسيح يسوع (غل ٤ : ١٤).

هكذا هي صور الحرب الروحية. لكن مقالنا لا يوجه للرجال وحدهم، لأن الجنس النسائي لا نتجاهله بسبب الضعف الجسماني، وإنما هن يُخترن في جيش المسيح بسبب رجولتهن الروحية. إنهن يدخلن المعركة في صف المسيح ويحاربن ليس بأقل رجولة من الرجال. بعضهن نلن شهرة أعظم منهم. من بينهن يوجد حشد من العذارى. بعضهن يوجد من هن مشهورات بالاعتراف بالإيمان، ومنهن من فزن بالاستشهاد<sup>1</sup>.

**القديس باسيليوس الكبير**

<sup>1</sup> *An Introduction to the Ascetical Life, (Frs. Of the Church, volume 9, p. 12).*

## أسئلة حول معركتنا مع إبليس

هل لإبليس سلطان أن يعوق أناس الله القديسين؟

ربما يدهش الإنسان، كيف يسمح الله للشيطان أن يعوق الرسول بولس، رسول الأمم، من زهابه للكراسة في روما، عاصمة العالم الأممي في ذلك الوقت.

يوضح القديس باسيليوس أن المؤمن قد يُمارس أعمالاً في الرب خاصة بتدبير النفس، وأخرى خاصة بتدبير الجسد وأعماله. بالنسبة للأولى لا يستطيع عدو الخير أن يعوق الإنسان فيها، أما الثانية فقد يسمح الله له أن يعوق الإنسان، حتى وإن كانت صالحة، فإنه إذ يثابر الإنسان ولا ييأس يتزكى ويتكامل.

لقد أعاق الشيطان الرسول بولس عن زهابه للخدمة في روما مرة ومرتين، لكن الرسول أصرّ أن يُحقّق شهوة قلبه الصالحة. وفي الوقت المُعين فتح له الرب باب الكرازة بروما.

❖ سؤال: هل يمكن للشيطان أن يعوق الشخص المقدّس، حيث كُتب: "أردنا أن نأتي إليكم - أنا بولس - مرة ومرتين، وإنما عاقنا الشيطان"؟

الإجابة: تُتجز بعض الأعمال في الرب خلال غرض النفس فقط وحكمها، والبعض لها فاعليتها في الجسم، سواء خلال الغيرة أو الصبر. لذلك، أيّاً كان ما يقيم في غرض النفس وحكمها، لا يمكن للشيطان أن يعوقه بأية وسيلة.

ولكن بالنسبة للأعمال التي تتم خلال الأنشطة الجسدية، يسمح الرب في كثير من الأحيان أن تثور بعض أنواع من العقبات، حتى يُختبر الشخص الذي أعيق ويتزكى. حتى يظهر إن كان يتغيّر عن غرضه الصالح خلال مثل هذه الإعاقة، وذلك كما فعل أولئك الذين قيل عنهم إنهم مثل البذور التي سقطت على الصخر، الذين يقبلون الكلمة بفرحٍ لوقت قصير، ولكن عندما يحلّ بهم الضيق أو الاضطهاد، سرعان ما يسقطون (مت ١٣ : ٢٠-٢١؛ لو ٨ : ٦، ١٣). أو يظهرون مُثابرين على العمل الصالح في غير صالحة، فيتأهلون للمكافأة العظيمة التي ينالها المنتصرون في المعركة. وذلك مثل الرسول الذي انتهى في كثير من الأحيان إلى الخروج إلى الرومان وتم منعه، كما اعترف بنفسه (رو ١ : ٩-١٣)، ولكنه لم يكف عن هدفه حتى يتحقق ما أراد أن يقوم به.

ولكن بالنسبة للصبر، يوجد مثال وهو أيوب المقدس، الذي وإن كان قد عانى كثيراً من الشيطان الذي كان يدفعه أن يُجَدّف ضد الرب، ولا يشكره، فإنه حتى في أوج كوارثه لم ينحرف



لا بالعمل ولا بالكلام عن الحكم والتقوى والأفكار اللائقة بالرب. فقد كُتِبَ عنه: "في كل هذا لم يُخطئ أيوب بشفتيه، ولم ينسب إليه، . هالة" (أي ١ : ٢٢ ؛ ٢ : ١٠) <sup>١</sup>.

❖ يلزمنا ألا نستهيين بالذين يُدبّرون علينا الله السخية، إنما نتطّلع إلى تواضعنا، فإن الله يُسرّ بهذا (كو ١ : ٢٦-٢٩) <sup>٢</sup>.

❖ يجب أن تُعرف الأعمال الصالحة التي تتم بنعمة الله للآخرين لأجل مجده (أع ١٤ : ٢٦) <sup>٣</sup>.

❖ يلزمنا ألا نُسلّم ذهننا للأمور الزمنية في اهتمامنا بالذين هم مُتحرّرين من هذه الأمور (٢ تي ٢ : ٤) <sup>٤</sup>.

القديس باسيليوس الكبير



<sup>1</sup> *Regulae brevius tractatae*, 275.

<sup>2</sup> *Morals*, Rule 61:1

<sup>3</sup> *Morals*, Rule 70:15.

<sup>4</sup> *Morals*, Rule 70:29.



### النظام الرهباني والعبادة

- ١ . حول العبادة.
- ٢ . الحياة الرهبانية والعبادة.
- ٣ . الحياة الرهبانية والصلاة.
- ٤ . أسئلة حول الصلاة.
- ٥ . الحياة الرهبانية والتسبيح.
- ٦ . الحياة الرهبانية والصوم.
- ٧ . الحياة الرهبانية والتقدمة المقبولة.

## حول العبادة

### العبادة في فكر القديس باسيليوس

يرى القديس باسيليوس أن كثيرين يُصَلُّون في الكنيسة وعقولهم مشغولة بالأباطيل، فلا يكونون بقلوبهم وأفكارهم في دار قدسه. كما يرى أن العبادة لا تتفصل عن التمتع بخبرة الإلهيات، إذ يقول: [المتقدم في الإلهيات يقدم مجداً وكرامة الله].

❖ نحن لا نُقيم الصلوات وقوفاً يوم الأحد أول الأسبوع بدون سبب. ليس فقط لأننا قائمون مع المسيح، ونطلب ما هو فوق ممتدين إليه، بل أيضاً لأن هذا اليوم إنما بشكل ما صورة الدهر الآتي (السماء). ولأجل ذلك أيضاً إذ هو مبدأ الأيام، لا يُسمَّى أولاً بل واحداً، فموسى يُردّد قائلاً: "كان مساء وكان صباح".

القديس باسيليوس الكبير

### العبادة والليتورجيا

لعل أعظم إنجاز قَدَّمه القديس هو "الليتورجيا" (القداس الباسيلي)، الذي لا يمكن تحديد السنة التي وضعه فيها، فإنه ككاهن ورئيس أساقفة كرس حياته للعبادة والليتورجيا، وبنوغي اللاهوتي وفكره الروحي وهبه الله أن يُقدِّم الليتورجيا التي وصلت إلينا.

صلاة حلول الروح القدس *Epiclesis* التي يتلوها الكاهن سرّاً بعد الرشومات، يُقدِّمها للروح القدس، ليحل على الكاهن والشعب والقرايين التي يُقدِّمها.

❖ أيها الأب الكلي القداسة؛ لقد منحنا نحن الخطاة عبيدك غير المُستحقِّين، أن نشترك في

الليتورجيا على مذبحك المقدس، ليس لأجل أي برّ فينا، لأننا لا نصنع صلاحاً على الأرض.

وإنما من أجل الرحمة والحنو اللذين تسكبهما بفيضٍ علينا. الآن نجسر أن نقترّب إلى مذبحك.

نُقدِّم علامات جسد مسيحك ودمه. نسألك ونطلب منك يا قدوس القديسين بسخاء صلاحك،

أن يحلّ روحك القدوس علينا، وعلى القرايين التي نُقدِّمها. فلتباركها وتقدّسها!

ليُحوّل هذا الخبز ليكون بلحوق جسد الرب إلينا ومُخلّصنا يسوع المسيح. وليجعل هذه

الكأس بالحقيقة دم الرب إلينا ومُخلّصنا يسوع المسيح المبذول عن حياة العالم وخلصه. آمين،

آمين، آمين<sup>1</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>1</sup> James Hanrahan: *The Life of Saint Basil the Great*, 1979, The Basilian Press, Toronto.

يقول القديس باسيليوس الكبير: [إننا نتجه نحو الشرق حسب تقليد غير مكتوب قد تسلمناه،  
إننا أننا قليلاً ما ندرك أننا بهذا إنما نطلب وطننا القديم، الفردوس الذي غرسه الله في عدن نحو  
الشرق].

٢. من جهة الأيقونة يقول إنها ليست صنماً نتعبد له، لكن كل تكريم لها إنما هو علامة لقاء  
حبي مع من تمثله الأيقونة، وكما يقول القديس باسيليوس<sup>١</sup>: [الكرامة التي تُقدَّم للأيقونة تعبر إلى  
الأصل].

٣. أمرت الكنيسة: "لا يتكلم أحد مطلقاً في المذبح خارجاً عما تدعو إليه الضرورة..."



---

<sup>1</sup> St. Basil: On The Holy Spirit, Ch. 18.

## الحياة الرهبانية والعبادة

### العبادة العقلية

يُمَيِّز القديس باسيليوس بين العبادة العقلية التي يقودها العقل المُقَدَّس في الرب بجديّة، فلا يترنَّح خلال الأهواء والعواطف المُنحطّة، وبين العبادة غير الهادفة التي لا تقودها كلمة الله وشهاداته، فيتترنَّح الشخص، ليعمل بلا تعقُّل، حتى إن اشتهى الصلاح.

كأن القديس يدعونا إلى العبادة العقلية، خلال:

١. أن تُقدِّم بروح الاتزان وبتعقُّل.

٢. مع التهاب الروح بنار المحبة يلزم تقديم عبادة مفهومة، يشترك العقل والفكر مع النفس في العبادة لله.

٣. يلزم تقديم العبادة متناغمة مع الكتاب المقدس والوصية الإلهية.

❖ سؤال: ما هي العبادة؟ وما هي العبادة العقلية (رو ١٢ : ١)؟

الإجابة: العبادة، كما أحسبها، هي النية، والاجتهاد، والاهتمام بغير تشتيت نحو الذي يُعبَد. أظهر الرسول الفرق بين العبادة العقلية وغير العقلية، عندما قال في موضع: "أنتم تعلمون أنكم كنتم أممًا منقادين إلى الأوثان البكم كما كنتم تساقون" (١ كو ١٢ : ٢). وفي موضع آخر: "تقدّموا أجسادكم ذبيحة حية، مقدسة، مرضية عند الله، عبادتكم العقلية" (رو ١٢ : ١). الآن الشخص الذي ببساطة ينحرف بعد أن يُقاد يُقدِّم عبادة غير عقلية، لأنه ليس مُرشدًا بالعقل، ولكن تقوده دوافعه وميوله ويترنَّح بأي شيء يقوده، وفي أي اتجاه يُقاد إليه، حتى لو كانت عكس أمنيّاته.

ولكن الشخص الذي، بالمنطق والإرشاد الجيد وبالتعقُّل الكثير، يُحدِّد هدفه دائمًا وفي كل مكان ليُحقِّق ما يرضي الرب، يستوفي شروط العبادة العقلية كما فعل ذاك الذي قال: "سراج لرجلي كلامك ونور لسبيلي" (مز ١١٩ : ١٠٥)، وقال أيضًا: "شهادتك هي... مشورتي" (مز ١١٩ : ٢٤).<sup>١</sup>

القديس باسيليوس الكبير

### الصلاة وتسبيح المزامير بفهم:

يدعونا الرسول إلى العبادة، خاصة التسبيح، أن تكون بالروح كما بالذهن أي الفهم، إذ يقول: "أصلي بالروح، وأصلي بالذهن أيضًا. أرتِّل بالروح، وأرتِّل بالذهن أيضًا" (١ كو ١٤ : ١٥).

<sup>١</sup> *Regulae brevius tractatae, 230.*



يرى القديس باسيليوس أن الله وهب الإنسان حاسة التذوق ليستطعم الأكل، كما وهبه العقل لفهم ما يترنم به، فلا يردد كلمات دون إدراك معانيها. لذا وجب أن تكون العبادة بلغة مفهومة.

• سؤال: ماذا يعني ترتيل المزامير بفهم (مز ٤٧ : ٨)؟

الإجابة: كما التذوق لكل نوع من الطعام لإدراك جودة الطعام، هكذا فهم كلمات الكتاب المقدس. لأنه يُقال الحنجرة تتذوق الطعام، والعقل يميز الكلمات (أي ١٢ : ١١ ؛ ٣٤ : ٣). لذلك إن كانت النفس تهدف نحو قوة كل كلمة، كما أن التذوق يهدف نحو جودة كل طعام، فإنه يُحقق الوصية التي تقول بترتيل المزامير بفهم<sup>١</sup>.

• سؤال: كيف يمكن لروح إنسان أن تُصلي عندما يكون العقل بلا ثمر (١ كو ١٤ : ١٤)؟

الإجابة: قيل هذا للذين يُقدّمون صلاتهم بلغة غير مفهومة للسامعين، فإنه يقول: لأنه إن كنت أصلي بلسان، فروحي تُصلي، وأما ذهني فهو بلا ثمر (١ كو ١٤ : ١٤). الآن عندما تكون كلمات الصلاة غير مفهومة للحاضرين، فعقل الذي يُصلي بلا ثمر، لأنه لا يوجد أحد مستفيد. ولكن عندما يستفيد السامعون، عندئذ يحمل المُصلّون الثمار خلال الذين استفادوا. يحدث هذا في كل مرة يتم النطق باسم الله. لذلك قد كُتب: " (لا تخرج كلمة ردية من أفواهكم)، بل كل ما كان صالحًا للبنيان، حسب الحاجة، كي يعطي نعمة للسامعين" (أف ٤ : ٢٩)<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## العبادة والمخدع

يأمرنا الله بالدخول إلى المخدع وغلق الباب أثناء الصلاة (مت ٦ : ٦)، ماذا يعني هذا؟ هل لا يجوز لنا الصلاة في الكنيسة؟ يجيب القديس يوحنا الذهبي الفم: [حقًا يلزمنا أن نُصلي بكل الطرق، وإنما يليق بنا أن نسلك بروح كهذا. فإن الله يطلب في كل الأحوال "النية"، فإنك حتى إن دخلت مخدعك، وأغلقت الباب صانعًا هذا من أجل المظهر، فإن الأبواب (المُغلقة) لن تتفعلك شيئًا<sup>٣</sup>.] كما يقول: [الله يرغب أن تُغلق أبواب الذهن، أفضل من غلق الأبواب<sup>٤</sup>.]

يقول الأب إسحق:

[إننا نُصلي داخل مخدعنا، لننزع من قلوبنا الداخلية الأفكار المُغلقة والاهتمامات الباطلة، وندخل في حديث سرّي مغلق بيننا وبين الرب.

<sup>1</sup> *Regulae brevius tractatae*, 279.

<sup>2</sup> *Regulae brevius tractatae*, 278.

<sup>3</sup> *In Matt., hom., 19:3.*

<sup>4</sup> *In Matt., hom., 19:3.*

وَنُصَلِّي بِأَبْوَابٍ مُغْلَقَةٍ، عِنْدَمَا نُصَلِّي بِشَفَاهِ مُغْلَقَةٍ فِي هَدْوٍ وَصَمْتٍ كَامِلٍ، لِذَلِكَ الَّذِي يَطْلُبُ الْقُلُوبَ لَا الْكَلِمَاتِ.

وَنُصَلِّي فِي الْخَفَاءِ عِنْدَمَا نَكْتُمُ طَلِبَاتِنَا الصَّادِرَةَ مِنْ قُلُوبِنَا وَأُذْهَانِنَا الْمُتَّقِدَةَ بِحَيْثُ لَا نَكْشِفُهَا إِلَّا لِلَّهِ وَحْدَهُ، فَلَا تَسْتَطِيعُ الْقَوَاتُ الْمُضَادَّةُ (لِلشَّيَاطِينِ) أَنْ تَكْشِفُهَا. لِذَلِكَ يَجِبُ أَنْ نُصَلِّيَ فِي صَمْتٍ كَامِلٍ، لَا لِنَتَحَاشَى فَقَطِ التَّشْوِيشِ عَلَى إِخْوَتِنَا الْمَجَاوِرِينَ لَنَا، وَعَدَمِ إِزْعَاجِهِمْ بِهَمْسِنَا أَوْ كَلِمَاتِنَا الْعَالِيَةِ، وَنَتَجَنَّبُ اضْطِرَابَ أَفْكَارِ الْمُصَلِّينَ مَعَنَا، وَإِنَّمَا لِكِي مَا نَخْفِي مَغْزَى طَلِبَاتِنَا عَنْ أَعْدَائِنَا الَّذِينَ يَرِاقِبُونَنَا، وَبِالْأَخْصِ فِي وَقْتِ الصَّلَاةِ، وَبِهَذَا تَتَمُّ الْوَصِيَّةُ: "احْفَظْ أَبْوَابَ فَمِكَ عَنِ الْمَضْطَجَعَةِ فِي حِمِّكَ"<sup>1</sup>.

❖ سؤال: ما هو المخدع الذي أمر الرب أي شخص يُصَلِّي أن يدخله (مت ٦ : ٦)؟

الإجابة: اعتاد العُزْفُ أن يدعو السكن الذي لا يوجد به أحد وهو خارج الطريق مخدعًا، هناك نضع أي شيء نحتاج أن نحفظه، أو يكون من الممكن إخفاء الشخص نفسه، وكما قال النبي: "هَلُمَّ يَا شَعْبِي ادْخُلْ مَخَادِنِي، وَأَغْلِقْ أَبْوَابَكَ خَلْفَكَ. اخْتَبِئْ نَحْوَ لِحِيظَةٍ حَتَّى يَعْبُرَ الْغَضَبُ"<sup>2</sup> (إش ٢٦ : ٢٠).

ولكن قوة الوصية كانت واضحة من محتوياتها. فقد وُجِّهَتِ الْكَلِمَةُ إِلَى الْمَرْضَى بِالْأَهْوَاءِ لِصَالِحِهِمُ الْبَشْرِيِّ. وَبِالتَّبَعِيَّةِ إِذَا سَقَطَ شَخْصٌ فِي هَذِهِ الْأَهْوَاءِ، أَنَّهُ يَبْلَى بِبَلَاءٍ حَسَنًا بِأَنْ يَنْعَزِلَ فِي صَلَاتِهِ، وَفِي عَزْلِهِ يُمْكِنُهُ اِكْتِسَابُ عَادَةِ عَدَمِ النَّظَرِ نَحْوَ مَدِيحِ الْبَشْرِ، وَإِنَّمَا يَنْظُرُ فَقَطُ لِلَّهِ، كَمَا قَالَ الْمُرْتَلُ: "هُوَذَا كَمَا أَنَّ عَيُونَ الْعَبِيدِ نَحْوَ أَيْدِي سَادَتِهِمْ، كَمَا أَنَّ عَيْنِي الْجَارِيَةَ نَحْوَ يَدِ سَيِّدَتِهَا، هَكَذَا عَيُونُنَا نَحْوَ الرَّبِّ إِلَهِنَا" (مز ١٢٣ : ٢).

ولكن إذا كان بنعمة الله، يُنْقَى شَخْصٌ نَفْسَهُ مِنْ هَذَا الْهَوَى، فَإِنَّهُ لَا حَاجَةَ لَهُ أَنْ يَخْفِيَ أَعْمَالَهُ الصَّالِحَةَ. هَذَا مَا عَلَّمَنَا بِهِ الرَّبُّ بِنَفْسِهِ عِنْدَمَا قَالَ: "لَا يُمْكِنُ أَنْ تُخْفِيَ مَدِينَةَ مَوْضُوعَةَ عَلَى جَبَلٍ، وَلَا يُوقِدُونَ سَرَاجًا وَيَضَعُونَهُ تَحْتَ الْمَكْيَالِ، بَلْ عَلَى الْمَنَارَةِ، فَيُضِيءُ لِجَمِيعِ الَّذِينَ فِي الْبَيْتِ. فَلْيُضِيءِ نُورُكُمْ هَكَذَا قَدَامَ النَّاسِ، لِكِي يَرَوْا أَعْمَالَكُمْ الْحَسَنَةَ، وَيَمَجِّدُوا أَبَاكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ" (مت ٥ : ١٤ - ١٦).

وبالتأكيد، نفس المنطق ينطبق على الصدقة والصوم المذكورين في نفس الموضع، وعمومًا، لكل شيء يخص التقوى.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>1</sup> Cassian: Conf. 9:35.

<sup>2</sup> Regulae brevius tractatae, 277.

## الحياة الرهبانية والصلاة

### الصلاة في حياة وفكر القديس باسيليوس الكبير

في دراستنا لحياة القديس باسيليوس، رأيناه وهو طالب في أكاديمية أثينا مع صديقه الحميم القديس غريغوريوس النزينزي يتحاوران بخصوص الحكمة، وقد بلغا إلى النتيجة التالية: إن مصدر الحكمة هو التمتع بالسيد المسيح حكمة الله. هذا هو جوهر الفلسفة العملية البنّاءة. أما ثمرة هذا السفهوم، فهو إصرارهما على الصلاة كضرورة حتمية جوهريّة في حياة المسيحي الحقيقي، وعلى وجه الخصوص بالنسبة للجماعة الرهبانية.

الصلاة عند القديس باسيليوس ليست انفعالاً مجرداً، وليست وسيلة عرضية في حياة المؤمن<sup>١</sup>، إنما هي شركة حية مستمرة مع الله، ورفع دائم للفكر فيه. في فكره الصلاة المرضية عند الله، هي التي تطبع في النفس فكرة واضحة عن الله، وهذا هو معنى تسبيح الله، أي أن نجعل ذكرى الله قائمة. وهكذا عندما لا تقطع الهموم الدنيوية هذه الذكرى، نصبح هيكلًا لله. فمن يحب الله يبقى بقربه ويقتل في نفسه كل رغبة تقوده إلى الرذيلة ويلتزم بحياة النضيلة.

### يا لبركات الصلاة

بالصلاة يلتصق الإنسان بالله الكلي الحُب والحكمة والقدرة؛ يصير من أهل بيت الله (أف ٢: ١٩)، فلا يشعر بالعوز، ولا يعاني من صغر النفس أو الشعور بالعزلة، بل يفتح أمامه قلب أبيه السماوي، إن صح التعبير، ويغرف من البركات بلا كيل!

يُقدّم لنا القديس باسيليوس مخازن الله المفتوحة لنغرف منها بفيض، نذكر منها الآتي:

١. تُنعش النفس، فلا تشعر بالركود أو الملل.
٢. بالصلاة تلتهب قلوبنا بمحبة الله.
٣. نتعرّف على الله وعلى أسرارهِ الإلهية.
٤. نكتشف سُكنى الله فينا، فنُحسب هيكلًا مُقدّسًا له.
٥. لا تتسلل الأفكار الزمنية إلى قلوبنا وعقولنا التي تفسدها.

❖ الصلاة أيضًا بعد القراءة تنعش النفس وتثيرها بهمة نحو حب الله.

<sup>١</sup> E.F. Morison: St. Basil and His Rule, p. 58.

الصلاة صالحة، إذ تطبع فكرة واضحة عن الله في النفس، وتتذكر سُكْنَى الله، يقيم الله فيها. بهذا نصير هيكل الله بتذكرنا الدائم الذي لا تفسده الاهتمامات الأرضية<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## الصلاة المقبولة

الصلاة ليست فريضة شكلية يلتزم بها المؤمن، إنما علاقة قلب، والتصاق الإنسان الداخلي بالله محبوبه. تتبع الصلاة من ضمير الإنسان، وتترجم عملياً خلال الأفكار والكلمات والسلوك، بل ولها فاعليتها حتى على الأحلام اللاإرادية.

الصلاة وإن خضعت للتدبير والنظام، غير أنها تصدر عن كل عمل تُمارسه، ما دام من أجل المحبة الصادقة لله. لذا يقول القديس باسيليوس إن حياة المؤمن الحقيقي كلها هي صلاة واحدة بلا انقطاع ولا اضطراب.

❖ لا يحتاج الله إلى خُطْبِ رثانة، ولا إلى كلمات فصيحة، إذ يعرف ما هو مفيد لنا. وهكذا يمكننا أن نُحدِّد الصلاة بأنها عمل يتم في ضمير الإنسان وفي داخله، وهي عمل يمتد إلى كل الأعمال التي تتسج حياة الإنسان<sup>٢</sup>.

❖ في استطاعتنا الوصول إلى قوّة الصلاة ودوامها لو شئنا. وهي ليست شيئاً نستحدثه أو نخلقه خلقاً، وإنما يمكن ممارسته في كل عمل نقوم به مدى الحياة، وفي كل لحظة من لحظاتها. الصلاة هي التصاق بالله في جميع لحظات الحياة ومواقفها، فتصبح الحياة صلاة واحدة بلا انقطاع ولا اضطراب<sup>٣</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## الصلاة والحياة السماوية

الصلاة في بيت الرب لها قدسيته وفاعليتها، غير أنه يلزمنا أن تكون قلوبنا ذاتها سماء ثانية، وهيكل مقدساً للرب، سواء كنا في الكنيسة أو في البيت أو في العمل أو في الطريق. أينما وجدنا نحسب هيكل للرب.

يتمتع السمائيون بصوت الرب، وينظرون عظمته، ويتلامسون مع جلاله. ولكي نشارك السمائيين هذه الخبرة السماوية يلزمنا أن نطرد الأفكار الجسدية وكل ما يتعلّق بالزمنيات، فنسمع صوت الرب بجلالٍ عظيم كما يقول المرتل.

<sup>١</sup> Ep. 2: 4.

<sup>٢</sup> عظة ٥

<sup>٣</sup> عظة ٢٩٢



إذ نسمع لصوت الفقراء والمحتاجين والمتألمين يهبنا الله أن نسمع صوته بجلاله العظيم. يرى القديس باسيليوس أن من يميل بأذنيه لسمع لصوت الشهوات الجسدية التي تُحسب تكافؤاً، ينشغل عن سماع صوت الرب الذي بجلالٍ عظيم. بمعنى آخر، من يتجاوب مع الملذات الزمنية يكون كمن ينحني لسمع صوت جسده عوض السمو وارتفاع الأذنين الداخليتين إلى السماء لتسمعا صوت الكلي العظمة والجلال.

"اسجدوا للرب في هيكل قدسه"... كثيرون يقفون للصلاة، ولكنهم ليسوا في الهيكل، فأفكارهم تجوب في الأمور الباطلة خارجاً...

وللهيكل مفهوم أسمى، إذ يشير إلى الحياة في السماء، من أجل المغروسين في بيت الله، كنيسة الله الحي (١ تي ٣: ١٥)، يُزهرون في بيت الله، إن كانوا ضمن جماعة المؤمنين<sup>١</sup>.

❖ "صوت الرب بقوة، صوت الرب بجلالٍ عظيم"... الجلال فضيلة عظيمة جداً، فالجلال صفة ذاك الذي يُكرّس كل نشاطه للأعمال العظيمة، والنفوس التي لا تُستعبد للأفكار الجسدية، بل تحيا في العظمة والكرامة التي لها من الله، فتسمع "صوت الله"، أيضاً الذين ارتفعت أفكارهم نحو الله، ويتأملون في سمو أهداف الخليقة ليستخلصوا منها، ولو بالقدر البسيط، عظم مجد عناية الله. وهم أيضاً الذين لا يعيشون في رغد العيش، بل يسرعون للتخفيف من آلام الفقراء. أولئك جميعاً ينطبق عليهم صفة الجلال وصوت الرب يسكن فيهم.

والإنسان الذي يتّصف بالجلال، لا يهتم كثيراً بالأمر المادية، ويعتبرها نفاية بالنسبة للخيرات غير المرئية. مثل هذا الإنسان لا يستسلم للألم لأي سبب. فلا تؤثر فيه التعبيرات أو الاحتقار أو الكراهية التي تصدر عن الأقسام. هو أيضاً لا يتأثر بشهوات الجسد التي تحط من شأن الإنسان، لأنها لا تعنيه، إذ أن أفكاره قد سمّت إلى الأعالي إلى فوق<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## صلاة أم ثرثرة!

الصلوات الطويلة والمتكررة من أجل أمورٍ زمنية تُحسب ثرثرة، وليست صلوات يليق تقديمها للرب.

يدعونا المُرْتِّل أن ننطق بالمجد في صلواتنا (مز ٢٩: ٩)، أي تصدر كلماتنا وصلواتنا عن قلبٍ يطلب السماويات ويشتاق إليها.

<sup>١</sup> تفسير المزمور ٢٨ (٢٩).

<sup>٢</sup> تفسير المزمور ٢٨ (٢٩).

يرى القديس باسيليوس في المجاملات البشرية في بيت الرب بثرثرة لا يليق تقديمها للسماوي الكلي المجد والعظمة.

أيضًا الصلاة بغير فهم هي نوع من البثرثرة، إذ يلزم تقديم الصلاة والتسابيح بالروح وأيضًا بالذهن.

❖ يليق بنا ألا نتلو صلوات طويلة وسكررة لأجل أشياء زائلة ولا تليق بالرب (مت ٦: ٧-٨؛ لو ١٢: ٢٩-٣٠).<sup>١</sup>

❖ **"وفي هيكله، كل واحدٍ ينطق بالمجد"** (مز ٢٩: ٩). بخجلٍ وعارٍ يتكلمون ويثرثرون في الكنيسة.

ماذا يقول المزمور؟ لا يصح النحدث بالكلام الرديء أو البطال أو غير اللائق في هيكل الرب. فالله يرى صلاة كل إنسانٍ، يرى القلب المستعد، الذي يبحث عن الخيرات السماوية، كما يرى الشفاه التي تُردّد الصلوات بانطلا، بينما ابتعد القلب بعيدًا عن الله، فهو يصلي ليطلب صحة الجسد، والغنى المادي، والمجد البشري. هذه الأشياء التي ينبغي ألا يطلبها كقول الرب: **"وفي هيكله كل واحدٍ ينطق بالمجد"**.

"السماوات تُحدث بمجد الرب" (مز ١٨: ٢). يقتصر عمل الملكة (النفس البشرية) على تمجيد الله، ويقتصر عمل الجنود السماويين أن يعطوا مجدًا للخالق. كل الخليقة التي تتحدث أو لا تتحدث، الأرضية أو السماوية، تمجد خالقها.

أولئك الذين يتركون منازلهم للاجتماع في الهيكل (بحياةٍ غير مقدسة) يستحقون الشفقة، لأنهم لا يستمعون لكلام حق، ولا يُقيمون نفوسهم على ضوئها. لقد سببتهم الخطية دون أن يتأثروا، لا يتألمون بسبب خطاياهم التي يتذكرونها، ولا يخشون الدينونة، لكنهم يتصافحون مع بعضهم، ويجعلون من بيت الصلاة مكانًا للثرثرة، مُحترقين قول المزمور: **"وفي هيكله كل واحدٍ ينطق بالمجد"**.

أما أنت، فلم تكتفِ بعدم إعطاء المجد لله في هيكله، بل زدت على ذلك بمضايقة الآخرين. تريد أن تجذب اهتمام الآخرين نحوك، وبالضوضاء التي تصدر عنك تمنعهم من الاستماع لتعليم الروح.

انتبه إذن لئلا تكون نهايتك مثل نهاية الذين يُجَدِّفون على اسم الله!

ما هي الطريقة التي بها تُمجد الله؟

<sup>1</sup> *Morals, Rule 56:3.*

ليت لسانك يترنم، وليت فكرك يفحص الكلمات التي قيلت حتى تترنم بالروح والذهن (كو ١٤ : ١٤). فالله لا ينقصه المجد، لكنه يريدك أنت! يريدك أن تكون أهلاً أن تمجده! فانذي يزرعه الإنسان، إياه يحصد أيضاً (غل ٦ : ٧). لبتك تزرع لمجد الله، فتحصد الأكاليل والكرامة والتسبيح في ملكوت السماوات.

"في هيكله كل واحد ينطق بالمجد". لم تأت هذه الكلمات من فراغ، لأن في هيكل الرب يوجد الذين يثرثرون بلا توقّف. وجودهم في الهيكل باطل. ليس باطلاً فقط، بل وسبب في دينونتهم<sup>١</sup>.

**القديس باسيليوس الكبير**

### الصلاة العقلية

يُشدّد القديس باسيليوس الكبير بالأكثر على الصلاة العقلية. يريد أن يصلّ بالراهب إلى رؤية الله، وإلى الوحدة معه. حينئذ تصبح حياة الراهب بالرغم مما يتخللها من العمل والشغل، مُظَلَّة بروح الله، يرف عليها في كل دقيقة وساعة، وحينئذ تصبح الصلاة هواء يستنشقه، وطعاماً يُغذّيه ويُحييه.

❖ أذكر أن القديس باسيليوس الكبير قد أجاب على السؤال: كيف استطاع الرسل أن يصلّوا بلا انقطاع؟ قائلاً إنهم في كل شيء يفعلونه كانوا يفكّرون في الله، عائشين في تكريس دائم لله. بهذا الحال الروحي كانت صلاتهم التي بلا انقطاع<sup>٢</sup>.

**الأب ثيوفان الناسك**

### الصلاة والتأمل في الله

يلتزم الإنسان أن يُقدّم لجسده احتياجاته، لكن لا يليق به أن يرتبك بها، ويقلق، لنألا تصير نسوفاً يخنق كلمة الله التي تُغرس في القلب والفكر. الانشغال بما لله يهب النفس استتارة ونقاوة!

❖ "تأملوا واعلموا إني أنا الله" (مز ٤٦ : ١١).

في كل مرّة نُكّرِس وقتنا في اهتمامات غريبة عن الله، لا يمكن أن نعرف الله. من هو الذي ملأ فكره بأمور العالم، واندمج كلية لسد احتياجات الجسد، ويستطيع أن يكرّس روحه لكلام الله، ويبتعد بعناية عن كل الأشياء التي تعنيه؟

تفسير المزمور ٢٨ (٢٩).

<sup>2</sup> Timothy Ware: *The Art of Prayer*, 1966, p 80-83.

ألم تَرَ أن الكلمة التي سقطت بين الشوك خنقها الشوك (مت ١٣ : ٧)، والأشواك هي ملذّات الجسد والغنى والمجد واهتمامات هذه الحياة؟ كل من انتهى أن يعرف الله، ينبغي أن يطرد كل هذه الأمور، ولا يستجيب للشهوات، من هنا يحظى بمعرفة الله.

كيف يمكن لفكر الله أن يخترق النفس التي تنن تحت ثقل الفكر المشتت الذي يهاجمها؟ لقد أدرك فرعون (الشیطان) إن الذين يتأملون يبحثون عن الله. ومن أجل ذلك سخط على بني إسرائيل: "أخذتم وقتكم وأنتم لم تفعلوا شيئاً لذلك تقولون نذهب ونذبح للرب" (خر ٥ : ١٧). هذه الوقفة للتأمل صالحة ونافعة تعطي الراحة التي نستطيع بها أن نقنتي تعاليم الخلاص.

ينبغي علينا إذن أن نتأمل في الله حتى نلهج في الصلاة. ونبتعد عن البحث عن الغنى، واشتهاء المجد الباطل، والتمتع بشهوات الجسد، وكل أنواع الشرور نحو أقبائنا، حتى تعيش نفوسنا في سلام بعيداً عن كل شهوة. حينئذ نستتير بالله كما في مرآة نقية خالية من كل قبح<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## الصلاة ومذبح القلب الهادئ

يحتاج القلب بكونه يُمَثَّل عين النفس أو البصيرة الداخلية إلى الهدوء لكي يتأمل الحق، وينطلق نحو السماويات بلا عائق. بالصلاة يعتزل القلب قلق العالم والانشغال بأحزانه المؤقتة كما بملذّاته الزمنية، فيتطلّع إلى الأبدية وبنشغل بها ويشتهيها.

❖ انفصال النفس عن الضوضاء الخارجية يُضفي على مذبح القلب هدوءاً خفياً، فيهب نفسه أن تتأمل الحق. إذا استمعت لمن يُقر بخطيئته، تجده يقول: "شاخنت من الغضب عيني" (مز ٦ : ٨). وليس الغضب فقط، بل والرغبات الشريرة والمجد الباطل والغيرة التي تُظلم عين القلب، وبصفة عامة جميع الشهوات تظلم النفس...

فالعين المُتعبة لا تستطيع أن ترى بوضوح. كذلك القلب الهائج لا يمكن أن يتأمل في الحق. ينبغي إذن الابتعاد عن التركيز في أعمال العالم، فنغلق القلب أمام كل فكرٍ غريب<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>١</sup> تفسير المزمور ٤٦ (٤٥).

<sup>٢</sup> تفسير المزمور ٣٤ (٣٣).



## الصلاة وطياشة العقل أو تشتيت الفكر

تحدّث مع الله بحُبِّ ودالة كأبٍ لنا، وفي نفس الوقت نُدرك كرامته. لقد عاتب شعبه، قائلاً: "الابن يكرّم أباه، والعبد يكرّم سيده، فإن كنت أنا أباً، فأين كرامتي؟!، وإن كنت سيّداً فأين مهابتي؟" (مل ١ : ٦).

كثيراً ما يشتكي البعض من تشتيت الفكر أثناء العبادة سواء الليتورجية أو الصلاة الشخصية، حتى في حجرة المؤمن الخاصة، غير أن القديس باسيليوس يُعالج هذا الأمر الذي يهاجم المؤمن، ليس فقط في أثناء العبادة، وإنما عند تنفيذ أيّة وصية إلهية. فحين يجول ذهن هنا وهناك لا يستطيع أن يُتمّ الوصية.

❖ سؤال: من أين يأتي تشتيت الفكر وكل أنواع الأفكار التي في القلب؟<sup>١</sup> وكيف نعالج هذا؟

الإجابة: يأتي التشتيت من فراغ العقل، وعدم انشغاله برعاية الضروريات. يكون العقل بالحري في فراغ وعدم مبالاة، متى لم يؤمن بحضور الله الذي يفحص القلوب والكلى (مز ٧ : ١٠). فإن آمن بذلك، لكان يعمل بكل وسيلة ما كُتِبَ: "الرب أمامي في كل حين، لأنه عن يميني لكي لا أتزعزع (مز ١٦ : ٨).

من يُتمّ ذلك وما يشبهه من أقوال أخرى، لا يجرؤ ولن يستريح بانهماكه في أفكارٍ تخصّ أمراً لا يخدم بنيان الإيمان، حتى وإن بدا صالحاً؛ ولا ينطق بشيء ممنوع لا يُسر الله<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

لقد قدّم لنا القديس علاجاً لهذا الأمر في "القوانين المطوّلة، رقم ٥".

١. الحاجة إلى التركيز في عملٍ واحدٍ، حتى نُثَقِّته تماماً. هكذا كأناس الله ليكن تركيزنا فيما يسر الله ولا نرتبك بأمورٍ أخرى. يعتبر القديس باسيليوس سلوكنا في الرب فناً أو عملاً لمجد الله، نشغل به على الدوام ونمارسه بنعمة الله خلال كل تصرفاتنا حتى نتمّمه بما يسر الله الذي كرّمنا بأن عهد إلينا ذلك.

٢. عدم الارتباك بالأمور الزمنية التي تُفقد التركيز في خلاص النفس والاهتمام بالأبدية.

٣. التعرّف على إرادة الله، لنعمل حسبها، ولا ننحرف عنها.

٤. الاهتمام بإرضاء الله لا الناس، مع الشعور بالحضرة الإلهية.

❖ يلزمنا أن نُدرك أنه لا يمكننا حفظ وصية محبة الله نفسها، ولا تلك الخاصة بالقرب، ولا أية وصية أخرى، إن كان ذهننا يجول هنا وهناك.

<sup>١</sup> كثيراً ما يتحدث الآباء عن القلب كمركز للأفكار، والكلى كمركز العواطف.

<sup>٢</sup> *Regulae brevius tractatae*, 21.

لا يمكن إتقان فنٍّ أو علمٍ، إن كان الشخص على الدوام يبدأ في مواضيع جديدة (أي عدم التركيز في موضوع واحد). إنه لا يسمو في عملٍ واحدٍ ما دام لم يعرف بعد ما يخصّه حتى النهاية. يليق الاستمرار في عملٍ واحدٍ، ما دام لم يبلغ بعد إلى غاية معقولة، إذ لا يتحقّق ذلك بوسائل لا علاقة له بالعمل.

إنه أمر يُخالف طبيعة الأشياء لإنسانٍ يصير ماهرًا في المعادن خلال ممارسته فن الخزف، ولا أكاليل المصارعين تُقنّى بالمتابرة على العزف على الناي. المهارة في أي شيءٍ تتطلب تدريبًا مُعيّنًا مُناسبًا له.

هكذا التدرّب على إرضاء الله. حسب إنجيل المسيح يُمارس باعتزال الارتباك بهموم العالم، وبالانسحاب التام من التشّيت. لهذا فإن الرسول، وإن سمح بالزواج وحُسب مستحقًا للبركة، رفضه لانشغاله باهتمامات الله، قائلًا: "غير المتزوج يهتم في ما للرب كيف يرضي الرب، وأما المتزوج فيهتم في ما للعالم كيف يرضي امرأته" (١كو ٧: ٣٢ - ٣٣). بنفس الطريقة حمل الرب أيضًا شهادة لبساطة قلب تلاميذه واستقامته، عندما قال: "لأنكم لستم من العالم" (يو ١٥: ١٩). ومن جانب آخر، أعلن أنه يستحيل على العالم أن يعرف الله أو يقبل الروح القدس، قائلًا: "أيها الأب... إن العالم لم يعرفك" (يو ١٧: ٢٥) و"روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله" (يو ١٤: ١٧).

لذلك من أراد أن يكون بالحق تابعًا لله، يلزمه أن يقطع الرباطات التي تربطه بهذه الحياة. هذا يتم خلال العزل الكامل عن العادات القديمة ونسيانها.

ما لم ننزع أنفسنا عن الرباطات الجسدية والمجتمعات العالمية، فنكون كمن ينتقل إلى عالمٍ آخر في أسلوب حياتنا. وكما يقول الرسول: "إن سيرتنا نحن هي في السماوات" (في ٣: ٢٠)، يستحيل علينا أن نبلغ هدفنا في إرضاء الله، لأن الرب يقول على وجه الخصوص: "كل واحدٍ منكم لا يترك جميع أمواله، لا يقدر أن يكون لي تلميذًا" (لو ١٤: ٣٣). إذ نعمل هذا نتجنّب فقدان فكر الله أو تدنيس الذاكرة الخاصة بعجائبه خلال تصوّرات باطلة، بل أيضًا نحمل أفكار الله المقدسة مختومة على نفوسنا كختمٍ لا يُمحي بالتذكّار الطاهر المستمر. بهذا نسمو في محبتنا لله التي في نفس الوقت تدفعنا للعمل لحفظ وصايا الرب. وبهذا يبقى الحب محفوظًا غير مدمر، هذا ما يثبتته الرب بقوله في مناسبة ما: "إن كنتم تحبونني، فاحفظوا وصاياي" (يو ١٤: ١٥). مرة أخرى: إن حفظتم وصاياي، تثبتون في محبّتي" (يو ١٥: ١٠). وفي أكثر إلحاح: "كما أنني أنا قد حفظت وصايا أبي" (يو ١٥: ١٠).

بهذه الكلمات يعلمنا دائماً أن نضع أماننا كهدفٍ لنا أن نتعهدَّ عملاً، وهو إرادة ذلك الذي يُشاركنا في العمل، ويوجِّه طاقتنا نحوه. إذ يقول في موضع آخر: "لأنني قد نزلت من السماء، ليس لأعمل مشيئتي، بل مشيئة الذي أرسلني" (يو ٦ : ٣٨).

كما أن الفنون الزمنية تُوجِّه نحو أهدافٍ خاصة، وتتكيف أنشطتها المُعيَّنة لهذه الأهداف، هكذا ما دامت أعمالنا لها أنظمتها، وتقود إلى حفظ الوصايا بطريقة تُرضي الله، فإنه من المستحيل أن يُمارس هذا بدقةٍ ما لم تتم حسب إرادة الذي أعطانا (الوصايا). وبغيرتنا المثابرة على عمل إرادة الله في عملنا، نتحد بالله خلال ذاكرتنا.

وكما أن الحدَّاد عند صياغته فأساً - يُفكِّر في الشخص الذي طلب منه العمل - وفي ذهنه يحسب ما هو شكله وحجمه، فيكون عمله متناسباً مع رغبة من طلب صنْع (الفأس)، لأنه إن لم يضع في ذهنه هذا، يُشكِّل شيئاً مختلفاً تماماً عما في ذهن طالبه. هكذا يُوجِّه المسيحي كل عملٍ، سواء كان صغيراً أو عظيماً، حسب إرادة الله، مُتمِّماً العمل في نفس الوقت بعنايةٍ ودقةٍ، وبحفظ أفكاره مُثبَّتة في (الله) الذي أعطاه العمل ليُمارسه. بهذه الطريقة يُتمِّم القول: "جعلتُ الرب أمامي في كل حين، لأنه عن يميني فلا أترزعزع" (مز ١٦ : ٨). أيضاً يلاحظ الوصية: "إِنْ كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئاً، فافعلوا كل شيءٍ لمجد الله" (١كو ١٠ : ٣١).

أما الذي يترك الملاحظة الدقيقة للوصية في إتمام أعماله، فيُظهر بوضوح أنه لا يبالي بالله. لذلك ليتذكَّر صوت القائل: "أما أملأ أنا السماوات والأرض، يقول الرب؟" (إر ٢٣ : ٢٤) وأيضاً: "ألعلي إله من قريب، ولست إلهاً من بعيد" (إر ٢٣ : ٢٣)؟ وأيضاً: "لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم" (مت ١٨ : ٢٠).

يليق بنا أن نُتمِّم كل عملٍ كما تحت عيني الرب، ونحسب كل فكرٍ كمن يلاحظه. هكذا، يسكن الخوف على الدوام في داخلنا، هذا الذي يبغض الإثم، كما هو مكتوب (مز ١١٩ : ١٦٣)، أي الإهانة والكبرياء وطرق الشرير؛ وتصير لنا المحبة كاملة (١ يو ٤ : ١٢). فتتحقَّق كلمات الرب: "لا أطلب مشيئتي، بل مشيئة الآب الذي أرسلني" (يو ٥ : ٣٠).

نفوسنا أيضاً ستستمر في الاقتناع بأن الأعمال الصالحة مقبولة لدى الديان الذي يحكم على حياتنا، وأن السلوك المُضاد يسقط تحت دينونة الله.

أظن، علاوة على ذلك، يلزم أن يُضَاف أن وصايا الرب نفسها لا يمكن تنفيذها بهدف إرضاء الناس. لا يلجأ أحد إلى من هو وضيع، إن عرف أن من هو أعظم منه نفوذاً حاضر. على العكس، إن حدث أن عملاً ما كان مقبولاً وموضع سرور أشخاص مشهورين، بينما بالنسبة لمن هم أقل درجة يظهر العمل ملوماً لا يقبله الوضيع ومكروه لديه (لا يهتم الشخص برأي



الأخيرين). إن كان هذا بالنسبة للبشر فإن النفس التي هي بحق مُتَعَقِّلة وحكيمة ولديها اقتناع ثابت بحضرة الله، بالتأكيد لن تهمل قط أن تعمل ما يرضي الله، ولا تشغل نفسها بالمجد الذي تتقبَّله من البشر. لا تهمل في وصايا الله في خنوع للعادات البشرية (مر ٧ : ٨)، ولا تحكمه الأحكام العامة المجحفة، ولا تتأثر بالكرامات. هكذا كان وضع ذاك القائل: "المتكبرون أخبروني بخرافات، ولكن ليس حسب شريعتك، يا رب" (مز ١١٩ : ٨٥ LXX)، وأيضًا: "وأتكلم بشهادتك قدام ملوك ولا أخزي" (مز ١١٩ : ٤٦)¹.

❖ لنصرخ نحو معونة الله باجتهاد وثبات عقل. لأن من كان عقله طائشًا هنا وهناك، ليس فقط لا يأخذ سؤاله، بل ويجلب عليه غضب الله.

لأنه إذا كان أحد قائمًا قدام سلطان يخاطبه، يقف بخوف، ولا يدع عقله طائشًا هنا وهناك، وأيضًا لا يدع عيني جسده تنظران إلى جهة أخرى، بل يقف ناظرًا إليه ببصره وبصيرته، باحتراس وخوف. فكم بالأولى يجب علينا أن نقف قدام الله بخوف ورعدة، ونضبط عقلنا بالنظر إليه دائمًا. لأن الله لا ينظر إلى الإنسان الخارجي مثلما ينظر إلى الإنسان الداخلي، بل يفحص القلوب والكلى كما هو مكتوب.

إذا وقفت قدام الله هكذا كما ينبغي، عاملاً جميع ما ينبغي باجتهاد، فلا تبتعد عنه حتى تتال طلبك.

احذر أن تقف قدام الله وسريرتك تُبَكِّتُك على أنك قد فكرت في ما لا ينبغي، ولم تجتهد بقدر طاقتك على ضبط فكري وأنت تستطيع ذلك. فاجتهد لئلا تصير صلاتك خطية. وإن كنت بسريرتك لا تقدر أن تصلي بغير طياشة عقل، فاغضب نفسك حسب طاقتك أن تجمع عقلك في الصلاة. والله يغفر لك من أجل أنك لم تتوان بتهاون واحتقار، بل من أجل ضعفك لم تقدر أن تقف قدام الله كما ينبغي².

القديس باسيليوس الكبير

❖ كيف يمكن للإنسان أن يبلغ إلى حالة الصلاة بلا تشتيت؟

الإجابة: أن يقتنع الإنسان تمامًا أن الله موجود أمام عينيه، فإنه إن رأى حاكمًا (رئيسًا) أو قائدًا وصار يحاوره يُرَكِّز عينيه، فكم بالحري يلزم على الإنسان الذي يصلي أن يُرَكِّز عقله في

¹ القوانين المطوّلة، ٥

² راجع دير السريان: القديس باسيليوس، ٢٠٠٣. ص ٥٥-٥٦



اللَّهِ، الذي هو فاحص القلوب والكلى" (مز ٧ : ٩)، وبالتالي يستطيع أن يُتَمَّ المكتوب: "رافعين أيادي طاهرة، بدون غضبٍ ولا جدالٍ" (اتي ٢ : ٨)<sup>١</sup>.

❖ هل من الممكن أن يُحَقِّق الإنسان تحرره من "التشتيت" في كل شيء وفي كل مكان؟، وكيف يمكنه أن يبلغ ذلك؟

الإجابة: كونه من الممكن ذلك، يظهره لنا القائل: "عيناى دائماً الى الرب" (مز ٢٤ : ١٥ LXX). مرة أخرى يقول: "جعلت الرب أمامي في كل حين، لأنه عن يميني فلا أتزعزع" (مز ١٦ : ٨).

أما فيما يتعلَّق بكيفية بلوغ هذا فكما قلت سابقاً، يجب ألا نعطي النفس أية فرصة للكسل في التفكير في الله، وأيضاً في أعمال الله والموهب التي أعطاها لنا وممارسة الاعتراف والشكر على كل شيء كما هو مكتوب (مز ٣٤ : ١ ؛ ١ تي ٢ : ١)<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## الصلاة الدائمة

تتحقق استمرارية الصلاة بالتدريب على الوجود في حضرة الله. يرى القديس باسيليوس أن الحياة الديرية الهادئة تسند المؤمن على ممارسة الصلاة الدائمة، إذ يُمارس الراهب حياة بلا تشتيتٍ للفكر، تسنده على شركة قوية مع الله خلال الصلاة والعبادة، تُحسب حياته كلها صلاة بلا انقطاع.

❖ بالنسبة للصلاة والتسبيح، كل الأوقات مناسبة... يمكننا وسط العمل أن نُتَمَّ واجبات الصلاة<sup>٣</sup>.

❖ يلزم أن يُغَطِّي وقت الصلاة الحياة كلها، ولكن حيث توجد ضرورة مُلزمة أن يتخللها ركوع (مطانيات) وترنم بتسابيح، فإنه يلزمنا مراعاة الساعات المُحدَّدة للصلاة بواسطة القديسين. يقول القوي داود: "في نصف الليل أقوم أسبِّحك من أجل أحكام عدلك" (مز ١١٩ : ٦٢). كما نجد بولس وسيلا اتبعا مثاله، إذ سبَّحا الله في السجن في منتصف الليل (أع ١٦ : ٢٥). يقول نفس النبي أيضاً: "عشية وياكر وفي الظهيرة" (مز ٥٠ : ٦ ؛ ٥٥ : ١٨).

علاوة على هذا، فإن حلول الروح القدس تحقِّق في الساعة الثالثة كما يخبرنا سفر الأعمال. عندما سَخَّر الفريسيون بالتلاميذ بسبب التكلم بالأسنة متنوعة، قال بطرس إنهم ليسوا بسكرى، لأنه كانت الساعة الثالثة (أع ٢ : ١٥).

<sup>١</sup> *Regulae brevius tractatae*, 201.

<sup>٢</sup> *Regulae brevius tractatae*, 202.

<sup>٣</sup> *Rog. Fus.* 37:2.

أيضًا الساعة التاسعة تُذَكِّرنا بِالْأَمِ الرَّبِّ الَّتِي حَدَثَتْ لَكِي نَحْيَا (مت ٢٧: ٤٥؛ مر ١٥: ٣٣ - ٣٤).

ولكن حيث أن داود يقول: تسبِّح مرات في اليوم أُسَبِّحُكَ عَلَى أَحْكَامِ عَدْلِكَ" (مز ١١٩: ١٦٤)، وَأَزْمَنَةُ الصَّلَاةِ الَّتِي أُشِيرُ إِلَيْهَا لَا نَقِيمُ السَّبْعَةَ أَقْسَامًا، لِذَا يَلْزَمُ تَقْسِيمَ صَلَاةِ نِصْفِ اللَّيْلِ. قَسَمَ قَبْلَ اخْتِفَاءِ الْقَمَرِ، وَالْآخِرُ بَعْدَ ذَلِكَ. بِهَذَا يَصِيرُ التَّسْبِيحُ السَّبَاعِيُّ اليَوْمِيِّ لِلَّهِ نَمُوذَجًا لَنَا<sup>١</sup>.

❖ إِنَّمَا نَغْلِبُ أَسْلُوبَ حَيَاتِنَا السَّابِقَةَ، الَّتِي كُنَّا فِيهَا نَتَجَاهَلُ وَصَايَا الْمَسِيحِ، وَبِهَذَا يَكُونُ لَنَا الْقُوَّةُ أَنْ نَسْتَأْصِلَ وَصَمَاتِ الْخَطِيئَةِ بِالصَّلَاةِ الدَّائِمَةِ وَالانْشِغَالِ الدَّائِمِ بِإِرَادَةِ اللَّهِ. فَإِنَّمَا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَتَرَجَّى أَنْ نَطْوَعَ نَفُوسَنَا إِلَى مِثْلِ هَذَا التَّأْمَلِ وَالصَّلَاةِ وَسَطِ الْانْشِغَالِ بِأُمُورٍ كَثِيرَةٍ تُشْتَتُّ ذَهْنَنَا، إِذْ تَقُودُهُ إِلَى ارْتِبَاكَاتٍ زَمْنِيَّةٍ<sup>٢</sup>.

❖ هَلْ يَلْزَمُ لَنَا الصَّلَاةُ بَدُونِ انْقِطَاعٍ؟ هَلْ يُمْكِنُ الطَّاعَةُ لِمِثْلِ هَذِهِ الْوَصِيَّةِ؟ أَرَى أَنْكُمْ تَتَهَيَّأُونَ لِتَقْدِيمِ هَذِينَ السُّؤَالِينَ. سَأَحَاوِلُ مَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أَوْضِّحَ هَذِهِ الْقَضِيَّةَ الَّتِي أَعْرَضْتُهَا. الصَّلَاةُ هِيَ طَلِبَةٌ لِلصَّلَاحِ، يُوجِّهُهَا الْأَتْقِيَاءُ لِلَّهِ. لَكِنَّمَا لِسْنَا نَحْدُ طَلِبْتَنَا بِالْكَلِمَاتِ فِي جُحُودٍ. وَلَا نَتَصَوَّرُ أَنَّ اللَّهَ يَحْتَاجُ أَنْ نَذَكِّرَهُ بِشَيْءٍ بِوَسْطَةِ الْحَدِيثِ. إِنَّهُ يَعْرِفُ احْتِيَاجَاتِنَا، حَتَّى إِنْ كُنَّا لَا نَسْأَلُهُ.

مَازَا أَقُولُ إِذْنِ؟ أَقُولُ، إِنَّهُ يَلْزَمُنَا أَلَّا نَنْظُرَ أَنَّ صَلَاتِنَا تَتَكَوَّنُ فَقَطْ مِنْ مَقَاطِعِ (كَلَامِيَّةٍ)، بَلْ تَكْمُنُ قُوَّةُ الصَّلَاةِ بِالْحَرِيِّ فِي غَايَةِ نَفُوسِنَا، وَفِي أَعْمَالِ الْفَضِيلَةِ الَّتِي لَهَا فَاعِلِيَّتُهَا عَلَى جَوَانِبِ حَيَاتِنَا، وَفِي كُلِّ لَحْظَةٍ مِنْ لَحْظَاتِ حَيَاتِنَا. يُقَالُ: "فَإِذَا كُنْتُمْ تَأْكُلُونَ أَوْ تَشْرَبُونَ أَوْ تَفْعَلُونَ شَيْئًا، فَافْعَلُوا كُلَّ شَيْءٍ لِمَجْدِ اللَّهِ" (١ كو ١٠: ٣١).

إِذْ تَأْخُذُ مَكَانَكَ عَلَى الْمَائِدَةِ، صِلِّ، وَإِذْ تَرْفَعُ الْخُبْزَ، قَدِّمْ شُكْرًا لِلوَاهِبِ. عِنْدَمَا تَسْنُدُ ضِعْفَ جِسْمِكَ بِخَمْرٍ، تَذَكَّرْ الَّذِي يَهَبُكَ هَذِهِ الْعَطِيَّةَ، وَلِيَكُنْ قَلْبُكَ مُبْتَهَجًا وَيَرْيَحُ ضِعْفَكَ...

هَلْ عَبَّرَ عَنكَ (الشُّعُورُ) بِاحْتِيَاجِكَ إِلَى الطَّعَامِ؟ لَا تَسْمَحْ لِلتَّفَكِيرِ فِي وَاهِبِ الْخَيْرَاتِ الرَّحِيمِ أَنْ يَعْبُرَ عَنكَ أَيْضًا. إِذْ تَرْتَدِي ثَوْبَكَ، اشْكُرْ مَنْ أَعْطَاكَ إِيَّاهُ.

<sup>1</sup> An Ascetical Discourse, (Frs. Of the Church, volume 9, p. 212-213).

<sup>2</sup> Reg. Fus. 6:1.

هل يغطيكَ معطفك؟ فلتشعر بحُبِّ الله العظيم، الذي يهبنا الملابس المناسبة لنا شتاءً وصيفاً، لكي يستر عرينا، ويحفظ حياتنا.

هل عبر النهار؟ اشكر ذلك الذي يعطينا الشمس لخدمة عملنا اليومي، ويمدنا بالنار لتضيء لنا بالليل، وتخدم احتياجاتنا الأخرى في الحياة.

ليمدنا الليل أيضاً بإيحاءات أخرى للصلاة. عندما تتطلع عاليًا نحو السماء، وترى جمال الكواكب، صلِّ لله من أجل كل الأشياء المنظورة، الفنان الأعظم للمسكونة الذي بحكمة صنع هذا كله (مز ١٠٤ : ٢٤).

عندما ترى كل الطبيعة تُغط نومًا، مرة أخرى اسجد لذلك الذي يُلزمنا لإرادياً بالراحة من ضغط العمل المُستمر؛ ويُجدد نشاط قوتنا براحةٍ قصيرة.

لا تسمح لليل بأكمله أن يكون مخصصًا للنوم، لا تسمح لنصف عمرك أن يضيع بلا فائدة في سُبَات نومٍ خاملٍ. بل قسِّم وقت الليل بين النوم والصلاة.

وليكن نومك الخفيف ذاته تدريباً على التقوى. فإن أحلامنا أثناء النوم، غالباً ما تكون انعكاسات لأفكارنا في النهار.

بهذا تصلي بلا انقطاع، ليس فقط بالكلمات، وإنما بكل سلوك حياتك، فتتَّحد مع الله، فتصير حياتك صلاة واحدة ممتدة بلا انقطاع<sup>١</sup>.

✦ هذا الجمال (الإلهي) مُخْفَى عن العيون الجسدية، مُدْرَك بالعقل والنفس فقط. عندما يُلقى بضوئه على أحد القديسين يتركه مُلتَهَباً بشعور لا يحتمل بألم الاشتياق، وإذ يدرك ماهية الحياة الدنيا يقول: "ويل لي فإن غربتي قد طالت عليّ" (مز ١٢٠ : ٥)؛ "متى أجيء وأترأى قدام الله؟!" [٢]؛ وأيضاً: "لي اشتهاه أن أنطلق وأكون مع المسيح، ذاك أفضل جداً" (في ١ : ٢٣)؛ "عطشت نفسي إلى الله الحيّ"... حقاً إنه بسبب لهفتهم التي لا تشبع للتمتع برؤية الجمال الإلهي، يُصلُّون كي يستمر تأملهم في التمتع بالرب مدى الحياة الأبدية<sup>٢</sup>.

✦ سؤال: قال الرب: "حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي، فهناك أكون في وسطهم" (مت ١٨ : ٢٠). كيف نكون مستحقين هذا؟

الإجابة: بالتأكيد الذين يجتمعون تحت اسم شخصٍ ما، يلزمهم أن يعرفوا هدف هذا الشخص من وراء اجتماعهم سوياً، وبالتالي يتكيفون مع الهدف، لأنهم يجدون نعمة خلال ارضائه، ولا يسقطون تحت الدينونة بسبب إساءة ظنهم به أو اهمالهم.

<sup>1</sup> Cf. Reg. Brev. 32; Hom. in Martyrem Julittam 3-4.

<sup>2</sup> The Long Rules.

تخيّل أن إنسانًا دعا مجموعة، وكان هدف الاجتماع الذي حدّده لهم معروفًا أمامهم، وقد تهيأوا لتحقيقه. فلو كان الدافع هو البدء، يستعدون للبناء. هكذا الأمر بالنسبة لنا نحن المدعوين من قِبَل الرب، يلزمنا أن نتذكّر كلمات الرسول: "أطلب اليكم، أنا الأسير في الرب: أن تسلكوا كما يحق للدعوة التي دُعيتم بها. بكل تواضعٍ ووداعةٍ وبطول أناةٍ، مُحتملين بعضكم بعضًا في المحبة، مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام. جسد واحد، وروح واحد، كما دُعيتم أيضا في رجاء دعوتكم الواحد" (أف ٤: ١-٤).

وضع لنا الرب هذا النداء بوضوح خلال وعده المُقدّم لكل واحدٍ: "إن أحبني أحد يحفظ كلامي، ويحبّه أبي، واليه نأتي، وعنده نصنع منزلاً" (يو ١٤: ٢٣). كما أن هذا الوعد أعطاه الرب لمن يحفظ الوصايا، هكذا أيضًا يُحقّقه مع اثنين أو ثلاثة وهو موجود بينهم إن تشكّلوا وفقًا لوصاياها.

أما الذين يجتمعون بطريقةٍ لا تليق بدعوتهم، الذين لا يرتبطون بإرادة الرب، بالرغم من أنهم يبدون مجتمعين باسم الرب، يسمعون: "لماذا تدعونني يارب، يارب، وأنتم لا تفعلون ما أقوله؟" (لو ٦: ٦٤).<sup>١</sup>

القديس باسيليوس الكبير

## الصلاة الدائمة وممارسة الحياة الملائكية

يقول القديس باسيليوس إنه يمكن للراهب بصلواته وتأملاته الدائمة [أن يتمثّل وهو على الأرض بطغمت الملائكة].<sup>٢</sup>

## الصلاة الدائمة وصلوات السواعي والمزامير

❖ يلزمنا ألا نُهمل الأوقات المُحدّدة للصلاة التي اخترناها للإخوة.<sup>٣</sup>

❖ بالحقيقة، ليس لأننا نشكر في كل وقتٍ حسب ما تأمر الشريعة، ونعلن هذا في حياتنا خلال التعقّل...، أننا بهذا نهمل حفظ تلك الأوقات الخاصة بالصلاة التي تثبتت حسب العادة في الجماعات. أُختيرت (هذه الساعات) بطريقة إلزامية، إذ تُقدّم كل ساعة صلاة ذكرى خاصة ببركات الله علينا.

تُقدّم الصلوات في الفجر *Orthros*، أو باكر *Lauds, Matutinum* لكي تُكرّس للرب كل الحركات الأولى التي للنفس والعقل، فلا يكون لنا أدنى اهتمام آخر خلاف تهليلنا وفرحنا

<sup>1</sup> *Regulae brevius tractatae*, 225.

<sup>2</sup> *Epistle 2:2*.

<sup>3</sup> *Rog. Fus. 37:2*.



وشبع قلوبنا بالتفكير في الله، كما يقول الكتاب: "تذكرت الرب فابتهجت" (مز ٧٦: ٤ LXX). ولا يتنقل الجسم بعمل ما قبل أن يُتمَّ الكلمات: "إليك أصلي يا رب. في الصباح تسمع صوتي. في الصباح أقف أمامك وأنظر" (مز ٥: ٤-٥ LXX).

### القديس باسيليوس الكبير

❖ مرة أخرى في صلاة الساعة الثالثة يلزم أن يجتمع الإخوة، ويلجأوا إلى الصلاة، حتى إن كانوا سيتفرقون لممارسة أعمال متباينة. يتذكرون عطية الروح القدس التي وهبت للرسول في الساعة الثالثة هذه، فيلزم الكل أن يتعبّدوا معًا، لكي يتأهلوا لقبول عطية القداسة، ويطلبوا قيادة الروح القدس وتعليمه فيما هو صالح ومفيد، حسب كلمات المرتل: "قلبا نقيًا اخلقه فيّ يا الله، وروحًا مستقيمًا جدده في أحشائي. لا تطرحني من قدام وجهك، وروحك القدوس لا تنزعه مني. رد لي بهجة خلاصك، وبروح رئاسي أعضدني" (مز ٥٠: ١٠-١٤). مرة أخرى قيل في موضع آخر: "روحك الصالح يهديني في أرض مستوية" (مز ١٤٣: ١٠). وإذ نصلي هكذا، يلزمنا مرة أخرى أن ننكب على أعمالنا.

لكن ربما لا يحضر البعض بسبب طبيعة مكان أعمالهم، إذ يعملون على مسافة بعيدة، يلتزمون أن يمارسوه حيثما يوجدون، بيقظة وحزم، يعملون للصالح العام. فإنه يقول الرب: "حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي، فهناك أكون في وسطهم" (مت ١٨: ٢٠).

أيضًا نحن ملتزمون بالصلاة في وقت الساعة السادسة، مقتدين بالقديسين القائلين: "في المساء وفي الصباح وفي الظهيرة سأخبر وأشهد، فيسمع صوتي" (مز ٥٥: ١٨). بهذا ننجو من غزو الشيطان في الظهيرة (مز ٩١: ٦).

وأيضًا الساعة التاسعة يجب أن تُتلى، إذ عُيِّنت الساعة التاسعة كموعِد للصلاة إلزاميًا بواسطة الرسل أنفسهم في سفر الأعمال، حيث رُوي: "صعد بطرس ويوحنا معًا إلى الهيكل في ساعة الصلاة التاسعة" (أع ٣: ١).

علاوة على هذا، إذ ينتهي اليوم، يلزم تقديم الشكر من أجل البركات التي نلناها والأعمال الصالحة التي تمّت خلال اليوم، ونعترف بما قمنا به من إهمال بإرادتنا أو بغير إرادتنا، أو ما فعلناه من أخطاء خفية أو ظاهرة، سواء بالكلام أو العمل أو في القلب ذاته، فإننا في الصلاة نستعطف الله عن كل شرورنا.

فإن فحص أفعالنا الماضية يُعيننا جدًّا ألا نسقط في نفس الأخطاء مرة أخرى. ولذلك قيل: "ما تقولونه في قلوبكم، اندموا عليه في مضاجعكم" (مز ٤: ٤ LXX).

<sup>1</sup> The Long Rules, Q. 37.

مرة أخرى عند حلول المساء، يلزمنا أن نسأل أن تكون راحتنا بلا خطية، ولا نقلق بالأحلام. في هذه الساعة أيضا يجب تلاوة المزمور التاسع عشر LXX (أو العشرين في العبرية). لذلك فإن بولس وسيلا سلمونا صلاة نصف الليل كعملٍ إلزاميٍّ كما يروي لنا سفر الأعمال: "ونحو نصف الليل كان بولس وسيلا يُصَلِّيان، ويُسَبِّحان الله" (أع ١٦: ٢٥). أيضًا يقول المرتل: "في منتصف الليل أقوم لأحمدك على أحكام برك" (مز ١١٩: ٦٢).

عندئذ يلزمنا أن نترقب الفجر بالصلاة، حتى لا يجد الليل فينا سباتًا على السرير، وذلك حسب الكلمات: "تقدّمت عيناى النزع، لكي ألهج بأقوالك" (مز ١١٩: ١٤٨).

ليست ساعة من ساعات الصلاة يجب ألا يحفظها الذين اختاروا حياة مكرّسة لمجد الله ومسيحه. علاوة على هذا، أظن أن التنوع والاختلاف في الصلوات والمزامير تُتلى في ساعات مُعيّنة مرغوبة بسبب الروتين والملل، مما يُسبّب تشبّبًا في النفس، إنما بالتغيّر والتنوع في التسبحة والصلوات التي تُستخدم في الساعات المُبيّنة، تعطي انتعاشًا في التكريس وتجديدًا في الرزانة<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## ذبيحة الشكر -

يكشف الرسول بولس عن رسالة الكنيسة، أنها أولاً وقبل كل شيء هي جماعة متعبدة لله لأجل تقديس العالم، تُقدّم الطلبات والصلوات والابتهالات والتشكرات عن جميع الناس. "فأطلب أول كل شيء، أن تُقام طلبات وصلوات وابتهاالات وتشكرات لأجل جميع الناس" (١ تي ٢: ١). والراهب إذ يشتهي أن يمارس الحياة الملائكية، لا يتوقّف عن تقديم التشكرات بكونها الحياة الملائكية التي تقوم على أساس الشكر الدائم بلا انقطاع، والتسبيح لله بغير انقطاع.

الشكر هو عرفان بالجميل بروح الصلاة من أجل عطايا الله وبركاته. جاء حديث السيد المسيح مع أبيه مثلاً فريداً، إذ يحمده لأجل عطاياه التي يُقدّمها للبسطاء، إذ يقول الكتاب: "في ذلك الوقت أجاب يسوع، وقال: أحمّدك أيها الأب رب السماء والأرض، لأنك أخفيت هذه عن الحكماء والفهماء وأعلنتها للأطفال" (مت ١١: ٢٥). هكذا يليق بالراهب أن يقتدي بالسيد المسيح.

يليق بكل مؤمن أن تتحوّل حياته كلها إلى سيمفونية شكر لله من أجل محبة الله للبشرية كلها، فكم بالأكثر الرهبان والمُكرّسين والعداري؟!!

❖ يلزمنا ألا نقبل خيرات الله في صمت، بل نرد له الشكر عنها (لو ٨: ٣٨-٣٩)<sup>٢</sup>.

<sup>١</sup> *Regulae fusius tractatae Question 37, An Ascetical Discourse, (Frs. Of the Church, volume 9, p. 212-213).*

<sup>٢</sup> *Morals, Rule 55:2.*

❖ ينبغي أن نُقدِّم الشكر لله، حتى على القوت اليومي للجسد، قبل أن نشترك فيه (مت ١٤ : ١٩)<sup>١</sup>.

❖ يلزم أن نُقدِّم تشكرات لله المهوب الممجد القدوس. ولا يُمارس شيء بروح الجدال والمجد الباطل (في ٢ : ٣)، وإنما من أجل مجد الله ومسرته. "فإن الله يُبدِّد عظام الذين يسرون البشر" (مز ٥٣ : ٦)<sup>٢</sup>.

❖ يلزمنا أن نُصلِّي من أجل التقدُّم الروحي للمؤمنين، كما نرد الشكر (لله) لأجل هذه النعمة (رو ١ : ٨ - ٩)<sup>٣</sup>.

❖ يليق بالعداري أن يكن متحررات من كل اهتمام لهذا العالم، حتى يستطعن أن يشكرن الله بدون تشتيتٍ للذهن أو الجسد، متوقعات ملكوت السماوات (مت ١٩ : ١٢)<sup>٤</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## شفاعة الآخرين

إذ يُكرِّس الرهبان والمُكرِّسون والعداري حياتهم للصلاة، يليق بهم خلال المحبة وروح التواضع أن يصلوا من أجل الجميع، خاصة من أجل العاملين في كرم الرب، وأن يطلبوا صلوات الآخرين عنهم.

❖ يلزمنا أن يصلي كل واحدٍ عن الآخر، وعن أولئك الذين يكرزون بكلمة الحق (٢ تس ٣ : ١)<sup>٥</sup>.

❖ يجب أن نصلي من أجل الذين في تجربة (أع ١٢ : ٥)<sup>٦</sup>.

❖ تذكري الله. احفظي مخافته في قلبك، وجنّدي كل بشرٍ ليرتبطوا بك في صلواتك، إذ عظمة هي معونتهم، وقادرة أن تُحرِّك الله بلجاجتهم<sup>٧</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## الصلاة وحياة السهر

يحدثنا السيد المسيح على السهر في الصلاة: "ما أقوله لكم، أقوله للجميع اسهروا" (مر ١٣ : ٣٧). يشعر المؤمن أنه كجندي المسيح في حالة معركة دائمة ما دام في الجسد وفي العالم. إنه

<sup>1</sup> *Morals, Rule 56:2.*

<sup>2</sup> *A Discourse on Ascetical Discipline, (Frs. Of the Church, volume 9, p. 35).*

<sup>3</sup> *Morals, Rule 70:14.*

<sup>4</sup> *Morals, Rule 77:1.*

<sup>5</sup> *Morals, Rule 56:5.*

<sup>6</sup> *Morals, Rule 66:2.*

<sup>7</sup> *Epistle 174, To a widow*

دومًا في خطرٍ، فإن الأعداء مترصّون صدّه. إبليس وجنوده يريدون أن يحطّموه. لذلك يسألنا الرب أن نسهر في الصلاة لكي نتقبّل نعمته، وأن نمارس الحياة المقدسة في الرب.

❖ يلزمنا أن نثابر على السهر والصلاة (مت ٧: ٧ - ٨)¹.

❖ لا تضع أعذارًا، قائلاً: آه! يا رأسي! أو يا معدتي!، مدعيًا أعذارًا غير منظورة لألم لا وجود له، فتسترخي من السهر لنوال راحة. بالحري ثابر على الصلاة السرية، فإن الله يراها في الخفاء، ويجازيك عنها علانية (مت ٦: ١٨)².

القديس باسيليوس الكبير

### لتطلب من الله ما يليق به

من يطلب من شخصٍ أمرًا يراه الأخير تافهًا، يُحسب ذلك إهانة له، هكذا عندما نطلب الأمور الزمنية من الله خاصة إن ركّزنا عليها، وجعلناها في افتتاحية صلواتنا، نكون كمن قد أسأنا إليه أمام القوات السماوية، وقُدّام قوات الظلمة، إذ كيف يمكننا كأبناء الله أن نطلب من أبينا السماوي الذي يُعدّ لنا المجد الأبدي، أمورًا تافهة، كما لو كانت تشغل قلوبنا ولا نبالي بالمجد المُعدّ لنا؟! حقاّ تصلي الكنيسة من أجل كل الأمور الخاصة بنا، بل والخاصة بالخليقة غير العاقلة، إنما تؤكد في كل صلاة أن ما تطلبه هو من أجل خلاص العالم، وتساله أن يُحقّق إرادته لا إرادتنا البشرية.

❖ إذا ما أتيت لتُصلي، انظر لئلا تطلب أمورًا بدلاً من أمورٍ، فتغضب الرب. تحرز من أن تؤثر غنى أو رئاسة أو مجدًا عند الناس، وبالجملة لا تطلب شيئًا زائلاً. لكن اطلب ملكوت الله، وهو يعطيك حاجة الجسد حينئذ من غير أن تطلبها كما قال (مت ٦: ٣٣)، فإن هذا هو المطلوب الثابت الذي لا يُنزع ممن يختاره³.

القديس باسيليوس الكبير

### كيف نصلي؟

اتسمت كتابات القديس باسيليوس بالمنهج الروحي العملي، هنا في حديثه عن الصلاة يسألنا أن نراعي كيف نصلي، مُقدّمًا لنا تداريب عملية الصلاة.

١. نبدأ صلواتنا بالشكر والتسبيح، فإن كانت لنا طلبات حتى وإن كانت روحية، يلزم أن لا نتجاهل نعمته وعطاياه، فنشكره أولاً على كل حال، حتى قبل أن نطلب الغفران عن خطايانا.

¹ *Morals, Rule 56:1.*

² *On Renunciation of the World, (Frs. Of the Church, volume 9, p. 28-29).*

³ راجع دير السريان: القديس باسيليوس، ٢٠٠٣، ص ٥٠.



يتضح هذا الفكر الكنسي في صلوات السواعي (الأجبية)، حيث نُقَدَّم في كل ساعة صلاة أو تسبحة الشكر قبل مزموّر التوبة (المزمور ٥٠).

٢. في لحظات الصلاة يلزمنا أن نحسب أنفسنا كمن في رحلة إلى السماء، ليس للزمنيات موضع في قلوبنا وأفكارنا، إنما تلتهب كل أحاسيسنا وأفكارنا وعواطفنا بالسماء والسماويات، لذا يسود الفرح على أعماقنا، حتى وإن قَدَّمنا تتهدّات التوبة.

٣. يدعونا القديس أن نُقَدِّم صلواتنا بروح الكتاب المقدس. هذا المنهج نلمسه بقوة في صلوات السواعي، حيث نُزَيِّم بالمزامير وبفصل من الكتاب المقدس، ونُقَدِّم الطلبات التي تُذَكِّرنا بعمل الثالوث القدوس فينا خلال ساعات اليوم، وهذا هو صُلب إنجيل خلاصنا.

٤. لنعترف أننا خطاة، فإننا وإن لم نتذكّر خطايا مُعيّنة، لكننا نقف أمام غافر الخطية، لا لنُبَرِّر أنفسنا، إنما نطلب برّه عاملاً فينا.

❖ ١. ينبغي أن نبدأ أولاً بتمجيد الله، ويتسايح وهذيذ. وبعد ذلك نسأل ما نريده كمرضاة الله. ولا تفتتح الصلاة بالطلب، لئلا يظهر أن الحاجة هي التي ألجأتك إلى الصلاة، ولولاها لما صليت.

٢. عندما تبتدئ بالصلاة، اترك ذِكْر كل ما على الأرض، وارفع عقلك إلى السماء. اترك كل الخليقة، ما يُرى منها وما لا يُرى، إذ تبتدئ أن تُمَجِّد خالق كل شيء وتُخاطبه.

٣. اختبر القول اللائق بالكتب المقدسة، وقل هكذا:

"أباركك أيها الرب الرحوم الطويل الروح، لأنك تأنيت عليّ، وأنا أخطئ كل يوم، وأعطيتنا جميعنا سلطاناً أن نتوب. من أجل هذا احتملتنا يا رب، لكي نباركك ونُمَجِّدك يا مُدبِّر خلاص جنس البشر، بما تصنعه لهم.

فلذلك أحياناً تجلب الأحزان والأتعاب والمخاوف، وأحياناً تُعَلِّمنا بتعاليمك المحيية، وأحياناً تُبَكِّتنا من جهة الأنبياء، وفي الآخر افتقدتنا بظهور ابنك الوحيد ربنا يسوع المسيح. أنت الذي خلقتنا. أنت إلها وأبونا."

٤. فإذا مجدته بتسايح من الكتب قدر ما تستطيع، حينئذ تبتدئ تقول بتواضع:

"أنا لا استحق يا رب أن أفتح فمي أمامك، لأنني خاطئ جداً."

قل هكذا حتى إن كانت سريرتك لا تُبَكِّتك على شيء من الشر. لأن ليس من هو بلا خطية إلا الله. ولأننا نخطئ دفعات كثيرة وتنساها قلوبنا. ولهذا قال الرسول: "إني لا أعرف شيئاً صنعته، ولكن ولا بهذا أنا أتبرر". يعني "إني أخطئ ولا أعلم". ولذلك قال أيضاً: "من الذي يفهم الزلات؟".

إذن أنت لا تكذب إذا ما أقررت بأنك خاطئ. ولكن عندما تقول إنني لست خاطئاً، تكون قد أخطأت. لأنه قال: "بالتواضع، ارفعوا بعضكم بعضاً". وقال في موضع آخر: "مَتَّى فَعَلْتُمْ كُلَّ مَا أَمَرْتُمْ بِهِ فَقُولُوا: إِنَّا عبيد بَطَّالُونَ" (لو ١٧ : ١٠) <sup>١</sup>.

❖ حين تبدأ الصلاة، لتنس كل خليقة منظورة وغير منظورة، وأبدأ الصلاة بمدح الله خالق الكل، لذلك قيل: "فقال لهم متى صلَّيتم، فقولوا أبانا" <sup>٢</sup>.

❖ لا يليق بنا أن نطلب الضيقات الجسدية في صلواتنا، إذ يأمر المسيح البشر بوجه عام أن يصلُّوا كي لا يدخلوا في تجربة، لكن إن دخل أحد فعلاً في تجربة، فيلزمه أن يطلب من الرب قوَّة احتمال، لتتحقق فينا الكلمات: "الذي يصبر إلى المنتهى، فهذا يخلص" (مت ١٠ : ٢٢) <sup>٣</sup>.

❖ عندما تجلس لتتناول الطعام لتقوت جسمك، لا تترك المائدة قبل أن تُشبع احتياجاتك إلا نادراً، لسبب طارئ مستعجل... كم بالأكثر يلزمك أن تبقى تتمتع بالقوت الروحي وتُقوي نفسك بالصلاة، لأن النفس أسمى من الجسم، والسماء أعلى من الأرض، والسموات فوق الأرضيات. النفس هي أيقونة السماء، لأن الرب يسكن فيها، أما الجسد فمن الأرض التي يعيش فيها البشر القابلون للموت والحيوانات غير العاقلة.

نظِّم احتياجات جسدك، بما يتفوق مع ساعات الصلاة، وكن مستعداً أن توقف المجادلات التي تسحبك بعيداً عن حفظ قانونك.

فإن هذا هو طريق الشياطين أن تحتثنا على أن نتغيَّب في وقت الصلاة بحجة تبدو أنها سبب لائق، وبهذا يسحبوننا بسبب معقول عن الصلاة المُخلَّصة <sup>٤</sup>.

❖ يليق بنا أن نُقدِّم طلبات مناسبة في الصلاة، كما لو أننا في لحظة الموت (مت ٢٧ : ٤٦) <sup>٥</sup>.

❖ لا يجوز للرجل أن يُصلِّي أو يتنَّبأ (يعظ) ورأسه مغطاة، ولا امرأة برأس مكشوفة (١ كو ١١ : ٣-٥) <sup>٦</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>١</sup> راجع دير السريان: القديس باسيليوس، ٢٠٠٣، ص ٥٢ - ٥٣

<sup>٢</sup> Monast. Cap 1.

<sup>٣</sup> In reg. Brev. Ad inter 221.

<sup>٤</sup> On Renunciation of the World, (Frs. Of the Church, volume 9, p. 28-29).

<sup>٥</sup> Morals, Rule 65:1.

<sup>٦</sup> Morals, Rule 56:7.

## الصلاة بروح التواضع

بعد أن قدّم لنا هيكل الصلاة اللائقة، خشيَ لئلا يفسده بروح الكبرياء والبرّ الذاتي، لذلك أكّد ضرورة تقديم الصلاة بروح التواضع.

❖ إذا ما قلت كلامًا، فقله بتواضع هكذا:

"أشكرك يا رب، لأنك أطلت روحك على خطاياي، وأمهلتي بغير عقوبة إلى الآن، وأنا مستحق كل عذابٍ عوضًا عن خطاياي. ومن أجل تأنيك، أشكرك أيها الرب الرحوم. وإن كنت أنا الحقير لا أقدر على الشكر المستوجب لعظمة احتمالك، فأقبل طلبتي الحقيرة بعظم محبتك التي لا حدّ لها.

فإذا أكملت نوعي الصلاة، أعني تمجيد الله والاعتراف له بفكر متواضع، حينئذ أسأل ما ينبغي أن تسأله، ليس مجداً أرضياً، ولا عافية جسدك، فإنه عارف ما ينفع كل واحدٍ، إما أن يبقى في صحةٍ وإما أن يبقى مريضاً، بل اطلب ملكوته فقط كما أمرك. لأنه عظيم جداً، فلا تطلب منه أشياء حقيرة فتغضبه<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## الصلاة بلجاجة

الله في محبته يريد أن يعطينا أكثر مما نسأل وفوق ما نطلب، ولا يؤخر الاستجابة، إنما يريد أن يُدرِّبنا على الحديث معه بلجاجةٍ، والدخول معه في حوارٍ، لذلك قد يؤخّر الاستجابة حتى نحاوره ونلتصق به بالأكثر.

❖ ربّما يؤخّر الطلبة عن عمدٍ لكي تضاعف غيرتك ومجيتك إليه، ولكي تعرف ما هي عطية الله، وتحرص عليها بشغفٍ عندما تتأله. ما يناله الإنسان بتعبٍ شديدٍ يجاهد على حفظه لئلا يفقده ويفقد تعبهُ أيضاً<sup>٢</sup>.

❖ إذا ما سألت منه ما يليق بجلاله، فلا تتبعد عنه حتى تتأله، لأنه هكذا علّمنا بمثال الصديق (الذي يطلب من صديقه بلجاجة)، إذ قال في آخر المثل: "أقول لكم وإن كان لا يقوم و يعطيه لكونه صديقه، فإنه من أجل لجاجته يقوم ويعطيه قدر ما يحتاج" (لو ١١ : ٨). طلب منا أن نكون أقوياء في الإيمان، وصابرين مُلزمين الطلبة منه، حتى ننال حاجتنا.

<sup>١</sup> راجع دير السريان: القديس باسيليوس، ٢٠٠٣، ص ٥٣ - ٥٤

<sup>٢</sup> Const. Mon. 1.

فإذا لم تتل طلبك عاجلاً لا تضجر. ولا تتبعد، حتى تنال حاجتك أخيراً. ولا تقل إني خاطئ، فتأس من أن يعطيك طلبك، إذا آمنت وثبت في سؤاله. فلذلك قال: إن كان لا يعطيه من أجل الصداقة لكن من أجل اللجاجة يقوم ويعطيه حاجته. ولو جاز شهر يا حبيب ولم تتل حاجتك، أو جازت سنة أو سنتان أو ثلاث أو أربع أو أكثر فلا تبعد نفسك حتى تنال طلبك. اطلب بإيمان واعمل الخير كل حين... فإن الإنسان إذا أسلم نفسه للشهوات بانحلاله، ودفع ذاته بنفسه لأعدائه الشياطين، لا يعينه الله ولا يسمع منه. والذي يريد أن يُعان من الله، فلا يدفع ذاته بنفسه لأعدائه. فيجب علينا ألا ندع سريرتنا تلومنا في شيء من الأمور<sup>1</sup>.

❖ يليق بنا أن نسأل العون الإلهي لا بكسل ولا بفكرٍ مُشَتَّت هنا وهناك، فإن إنساناً كهذا ليس فقط لا ينال ما يسأله، بل بالحري يُغضب الله. لو أن إنساناً يقف أمام رئيس تكون عيناه ثابتتين في الداخل والخارج حتى لا يتعرّض للعنوبة، فكم بالحري يليق بنا أن نقف أمام الله بحرصٍ ورعدةٍ؟ لكنك، إن كنت تُنار بخطيئة ما، فلا تقدر أن تُصلي بثباتٍ بكل قوتك.

راجع نفسك حتى متى وَقفتَ أمام الله تُرَكِّزُ فكرك فيه، والله يغفر لك، لأنك ليس عن إهمالٍ بل عن ضعفٍ لم تستطع أن تظهر أمامه كما ينبغي. إن ألزمت نفسك بهذا، فإنك لا تتركه حتى تنال. فإن لم تتل ما تسأله، يكون ذلك لأن سؤالك غير لائق أو بغير إيمان، أو لأنك قَدِّمته باستهانة، أو تسأل أموراً ليست بصالحك، أو لأنك تركت الصلاة.

كثيراً ما يسأل البعض لماذا نصلي؟ هل يجهل الله ما نحتاج إليه؟ إنه بلا شك يعرف ويعطينا بفيضٍ كل الزمانيات حتى قبل أن نسألها، لكن يجب علينا أولاً أن نطلب الصالحات وملكوت السموات، عندئذ ننال ما نرغب. لنسأل بإيمانٍ وصبرٍ، نسأل ما هو صالح لنا، ولا نعوق الصلاة بعصيان ضميرنا<sup>2</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## الصلاة والتغصّب

الله في أبوته الحانية ورعايته الفائقة يود أن يعطينا أكثر مما نسأل وفوق ما نطلب، غير أنه يدعونا إلى الجهاد المستمر والتغصّب، إذ يقول: ملكوت السموات يُغصّب، والغاصبون يخطفونه" (مت ١١: ١٢).

يتحدّث القديس يوحنا الدرجي عن ضرورة الجهاد والتغصّب، قائلاً: لكل الذين يبدأون النضال الصالح الذي هو صعب وضيق لكن في نفس الوقت سهل، يليق بهم أن يدركوا أنه يجب عليهم أن

<sup>1</sup> راجع دير السريان: القديس باسيليوس، ٢٠٠٣، ص ٥٤ - ٥٥

<sup>2</sup> Const. Mon. 1.



يعزوا في النار، إن كانوا يودون أن تمكث النار السماوية فيهم فعلاً. ليفحص كل إنسان نفسه، وأكل خبزه بأعشاب مُرّة، ويشرب الكأس بدموع، لئلا تؤدي خدمته إلى دينونة الذات<sup>1</sup>. كما يقول: [ركض في طريقنا بحماس كإناس مدعوين من إلها وملكنا، لئلا بسبب قصر عمرنا نوجد في يوم موتنا بلا ثمرٍ ونهلك جوعاً<sup>2</sup>].

يُقدّم لنا القديس باسيليوس بركات التغصّب، ألا وهي:

١. بالتغصّب نقتني طول الروح أو طول الأناة، السمة التي يتميِّز بها القديسون. فقد سأل أبونا إبراهيم الله أن يهبه طفلاً، وبدا كأن الله لم يستجب لصلاته لعشرات السنوات، فتزّين إبراهيم بسمة طول الأناة والصبر.

٢. بالتغصّب يُعلن المؤمن إيمانه وثقته في الله، الذي وإن لم يستجب للصلاة سريعاً، ويبدو أنه قد فات الأوان وصار الأمر مستحيلاً؛ مع ذلك فهو يؤمن بأن الله هو إله المستحيلات.

٣. لكي يُراجع المؤمن نفسه، لعله سأل الرب بغير إيمانٍ في يأسٍ، أو طلب أمراً غير نافعٍ لخلاصه.

٤. بتأخير استجابة الطلبة يتعرّف المؤمن على قيمة ما يناله من الله. فإن ما يؤخذ بسرعة وسهولة لا يشعر الطالب بقيمته.

٥. لكي يتدرّب المؤمن على حياة الشكر، فيشكر الله عندما يستجيب طلبته، ويشكره حينما لا يستجيب، واثقاً أن الله يعمل حسبما فيه بنيانه وخيره.

✠ إذا ما غصبت ذاتك هكذا حسب قدرتك واجتهادك، فلا تمل حتى تتال طلبك. لأنه قال: "مَنْ يقرع يُفتح له" (مت ٧: ٨). وليكن طلبك منه أيها الحبيب هو خلاصك فقط.

**تأمل طول روح القديسين!** دعا الله أبانا إبراهيم وهو صبي، ونقله من أرض السريان إلى فلسطين، ووعدته قائلاً: "إني أعطيك هذه الأرض ولنسلك من بعدك، وأجعل نسلك مثل نجوم السماء التي ليس لها عدد" (راجع تك ٢٢: ١٧)... وأطال الله روحه حتى عبرت أزمنة كثيرة، وشاخ إبراهيم، وصارت طبيعته كأنها ميتة، وقربت أيام موته. ولم يقل: يا رب وعدتني بالأولاد، وأن أصير أباً لأُمم كثيرة، وهوذا قد شخت وماتت حركات الطبيعة مني ومن زوجتي من جهة الكبر. لم يفكر ذلك الصديق هكذا. لكنه ثبت غير متزعزعٍ في الإيمان. فقد ضعفت فيه قوة الجسد، وأما رجاء الوعد فلم يضعف. لأن الذي وعد هو رب الطبيعة، وهو الذي لا يمكن لأمرٍ ما أن يخالف قوله، وهو الذي يقدر على الأمور التي لا تُستطاع.

<sup>1</sup> Step 1:9.

<sup>2</sup> Step 1:15.

خُذْ لك يا حبيب مثال أبينا إبراهيم. أما نحن المساكين، فإذا صلينا سنةً واحدةً من أجل شيءٍ، نَمَلُّ بعد ذلك، ونكف عن الصلاة! وإن صمنا سنتين من أجل تقويم العفة أو غير ذلك نسترخي بعدهما، ونرجع إلى خلف!

لا نَمَلُّ يا أحبائي، بل نثبت في الإيمان والسؤال والخير بغاية الاجتهاد، إلى أن ننال الوعد. فإن الذي وعد أبانا إبراهيم في ذلك الزمان، وَعَدْنَا نحن أيضًا خلال الأمثال الواردة في الإنجيل المقدس، أنه يعطينا ما نسأله، إذا سألناه بصبرٍ. وقد قال: تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال، وأنا أريحكم" (مت ١١ : ٢٨). فما هو يدعونا حتى نُقْبَلَ إليه، فيريحنا من ثقل الخطية.

ونحن نقول: إننا نصدق أنه يعطينا سؤالنا، ونيتنا تبكتنا بأننا غير مصدقين، إذ نتوانى في حمل نيره الحلو الخفيف، وأن ندخل من الباب الضيق إلى ملكوت السماوات. وهكذا نختار أن نحمل أحمال الخطية الثقيلة، ونمشي في الطريق الواسع، بالشهوات والملذات المؤدية إلى الهلاك.

لعلك تقول: قد سألتُ دفعات كثيرة ولم آخذ شيئًا. فأقول: حقًا قد سألت. لكن قد تكون سألت بياسٍ، أو سألت بغير إيمانٍ، أو كانت أفكارك طائشة هنا وهناك، أو يكون ما سألته غير نافع لك، أو لم تدم في السؤال كما ينبغي، وقد كُتِبَ: "بصبركم تقتنون أنفسكم" (لو ٢١ : ١٩)، وأيضًا: "الذي يصبر إلى المنتهى، فهذا يخلص" (مت ١٠ : ٢٢). فاعلم أيها الأخ أن الله ينظر إلى كيفية قلوب الذين يُصَلُّون إليه<sup>١</sup>.

❖ يجب أن نكون مُلَازِمِينَ للطلبة منه، لكي نعلم من الأتعاب التي نحتملها قدر موهبة الله التي أنعم بها علينا، ونحفظها بخوفٍ واجتهاد. فإن الذي يقتنيه الإنسان بتعبٍ كثيرٍ يجتهد في حفظه. فلا يصغر قلبك أيها الأخ إذا لم تتل ما سألته، فإن ربنا الصالح لو علم أنك لا تفقد النعمة إذا أعطاه لك سريعًا بدون تعبٍ ولا طلبٍ، لأعطاك قبل أن تسأله. فهو يصنع هذا مهتمًا بك كما ينبغي.

وإذا كان الذي أخذ الوزنة وحفظها سالمة كما أخذها أُلقي إلى الحكم، لأنه لم يعمل بها ويربح، فالذي يُفْسِدُ النعمة التي تُعْطَى له، أي حكم يستحق أن يسقط تحته؟!  
وإذ قد عرفنا هذا يا حبيب، فإن أخذنا ما سألناه سريعًا، فلنحفظ النعمة ونشكره عليها. فإن تأخَّر علينا الأمر، فلنلبث شاكرين الرب وقلبنا طيب، عالمين أن جميع ما يصنعه هو من أجل خلاصنا بتدبيره الذي لا ندركه. فلا تصغر قلوبنا ولا تتحل وتمل من الطلبة. ومن أجل هذا

<sup>١</sup> راجع دير السريان: القديس باسيليوس، ٢٠٠٣، ص ٥٦-٥٩

وضع لنا مثل الأرملة المُجتهدة في السؤال. وبهذا تظهر قوة عزمنا وأمانتنا في الله، إذ لم نزل ما سألناه بسرعة وثبتنا شاكرين. فلنشكر ربنا كل حين لنستحق خيراته الدائمة، له المجد إلى أبد الآبدين. آمين<sup>1</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## هل الله محتاج إلى صلاتنا؟

إن كان يعرف ما نحتاج إليه، فلماذا يطلب منا أن نسأله احتياجاتنا؟ بالنسبة للأمور الزمنية، يصدق الله بها على الجميع، حتى على غير المؤمنين. أما بالنسبة للأمور الروحية، فيطلب منا أن نسأله إياها بلجاجة، لنعلن بالحق أننا جادين في خلاصنا ونمونا الروحي، وأننا في تسليم كامل لا نتعجل استجابة صلواتنا.

لعلك تقول: هل الله محتاج إلى صلاتنا، أم هو لا يعرف ما نحتاج إليه؟! وإن كان يعرف، فما الحاجة إلى السؤال؟!<sup>2</sup>

أقول إن الله يعرف جميع ما نحتاجه، وهو يعطينا جميع الخيرات الجسدانية، ومن أجل صلاحه ومحبه للبشر يطيل روحه على الصديقين والخطاة معاً، ويشرق شمسَه على الصالحين والطارحين جميعاً قبل أن نسأله.

أما الإيمان واستقامة الفضيلة وملكوت السموات، فلا ينالها الإنسان إلا بالطلبه والمشقة والصبر، لأنه يجب على الإنسان أن يُحب الخير، فإذا ما أحبّه يطلبه بحق وإيمانٍ وصبرٍ، ويعمل جميع الأمور التي يليق عملها باجتهاد، ولا يدع سريره تُبكّته في شيء، وحينئذ ينال طلبته في الوقت الذي يريده الرب. لأنه يعرف خيرنا أكثر منا. ولعل الرب من أجل هذا يعمل بحكمته، فيتأخر الأمر لربحنا<sup>3</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## الصمت في بيوت الصلاة

في نظام جماعة ماكرينا وجماعة باسيليوس في نظام الشركة كانت هناك بيوت خاصة بإقامة الميتورجيات وصلوات المزامير الجماعية<sup>2</sup>، غالباً ما كانت كنيسة الدير وملحق بها صالة أو صالات للاجتماعات، خاصة يجتمع فيها رؤساء الأديرة أو رؤساء دير معاً لمناقشة بعض الأمور الروحية والإدارية.

<sup>1</sup> راجع دير السريان: القديس باسيليوس، ٢٠٠٣، ص ٦٠-٦١

<sup>2</sup> راجع دير السريان: القديس باسيليوس، ٢٠٠٣، ص ٥٩-٦٠

<sup>3</sup> Anna M. Silvas: *The Asketikon of St. Basil the Great*, Oxford University Press, NY 2007 (note).



❖ سؤال: هل يمكن لأحد أن يتكلم (في البيت) خلال ساعة الصلاة أو التسبحة بالبيت؟

الإجابة: لا يجوز لأحد أن يفعل هذا إلا المؤمنین على مسئولیات منها الاهتمام بالنظام الحسن، وتدبير الأعمال، وذلك ففیل في الحالات العاجلة. وحتى في هذا لا يكون ذلك بدون حذر، إنما بعناية عظيمة بخصوص المكان والنظام وفي وقارٍ وتجنُّب الإزعاج. فغير هؤلاء يلتزمون الصمت.

وإن كان الوقت خاص بمؤتمر حتى بين المسئولين في الكنيسة بكلمة التعليم، "إن أعلن لآخر جالس فليستك الأول" (١ كو ١٤ : ٣٠)، فكم بالأكثر يكون الكثيرون ملتزمون بالصمت. إلا إذا وجد - كما قلنا قبلاً - إشراف عامة وصارت هناك حاجة للحديث<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

### الصلاة من أجل الخلاص والنجاة!

يلاحظ القديس باسيليوس أن المُرْتَل يصرخ إلى الله طالباً أن يُخَلِّصَه وأن يُنَجِّيه في نفس العبارة، فما المقصود بالخلاص؟ وما هو المقصود بالنجاة؟

يرى القديس أننا نحتاج في هذه الحياة إلى الخلاص من ضعفاتنا الداخلية، فيرى في شهوات الجسد ومقاومة الأفكار لشهوات الروح مطاردين ومضطهدين له، وكما قال الرب نفسه: "أعداء الإنسان أهل بيته" (مت ١٠ : ٣٦). ويرى أنه في يوم لقائنا مع الديان في يوم الرب العظيم يقف إبليس وملائكته يطالبون بنا أن نسقط تحت سلطانهم من أجل خطايانا مهما بدت تافهة أو غير إرادتنا؛ فنحن نحتاج إلى النجاة من أسرهم. كأن المرتل يطلب عمل نعمة الله فيه في هذا العالم لخلصه، وفي العالم العتيد لنجاته من أسر إبليس.

هذا، ونلاحظ أن الكتاب المقدس كثيراً ما يستخدم التعبيرين بخصوص الأعداء الذين في الداخل أو الخارج.

❖ كيف يصلي داود أن يُخَلِّصَه من مُطارديه (مضطهديه)، وبعد ذلك ينجيه (مز ٧ : ٢)؟

توضيح ذلك يفسر لنا العبارة: 'خَلَّصَنِي من جميع المطاردين، ونجني لئلا يخطفوا نفسي

مثل الأسد" (مز ٧ : ٢). الآن ما هو الفرق بين خلصني ونجني؟

ربما يحتاج الضعفاء إلى الأمن، والذين يؤسرون في سبي يحتاجون إلى النجاة. فمن كان فيه ضعف في نفسه وله الإيمان فيه، يرجع إلى إيمانه كي يخلص، فقد قيل: "إيمانك قد خَلَّصَكَ" (لو ٧ : ٥٠)، "وكما آمنت ليكن لك" (مت ٨ : ١٣).

<sup>١</sup> *Regulae brevius tractatae*, 173.



أما المحتاج إلى النجاة، فينتظر أن يُدفع عنه مبلغ باسمه من الخارج. بهذا فإن من يسقط تحت حكم الموت، يعرف أنه يوجد من يُخلص ومن يُنجي، فيقول: "عليك توكلت، خلّصني من ضعفي، ونجّني من السبي".

أظن أن مصارعى الله الشرفاء، الذين يصارعون إلى حدٍ كبير مع أعداء غير منظورين خلال كل حياتهم، بعد أن يهربوا من كل اضطهاداتهم ويبلغون إلى نهاية الحياة، يمتحنهم رئيس العالم، فإن وُجِدَت فيهم جراحات من مصارعتهم، أو وُجِدَت أية لطخات أو آثار للخطية يحتجزون، أما إن لم توجد فيهم جراحات وغير مُلوّثين، يحضرهم المسيح إلى راحتهم، بكونهم أحرارًا غير مهزومين. لهذا يُصلّي من أجل حياته هنا، وأيضًا من أجل حياته العتيدة. إذ يقول "خلّصني" من الذين يطاردونني، و"نجّني" هناك في وقت الفحص، لئلا يمسخ أحد بنفسه مثل أسد.

يمكنكم أن تتعلّموا هذا من الرب نفسه الذي قال في وقت آلامه: "رئيس هذا العالم يأتي، وليس له فيّ شيء" (يو ١٤ : ٣٠).

ذاك الذي لم يرتكب خطية قال إنه ليس له فيه شيء. أما بالنسبة للإنسان، فيكفيه أن يتجاسر ويقول: "رئيس هذا العالم يأتي، وسيجد فيّ عقوبات قليلة وتافهة". فقد وُضعت أمامنا المحنتان، وقَدّمت طلبتان. "خلصني من جميع المضطهدين لي، ونجني لئلا يخطفوا نفسي حيث ليس منقذ"<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>١</sup> Homily 11:2 on Psalm 7.

## أسئلة حول الصلاة

❖ سؤال: إن جاء علمانيون (أي من الشعب وليسوا من الرهبان)، هل نوصيهم بالصلاة عنا؟  
الإجابة: إن كانوا أصدقاء الله، فهذا لائق، لهذا كتب الرسول: (صلّوا) لأجلي، لكي يُعطى لي كلام عند افتتاح فمي، لأعلم جهارًا بسرّ الإنجيل" (أف ٦ : ١٩)¹.

القديس باسيليوس الكبير

### عدم التركيز في الصلوات والتسابيح على شخص أو اثنين

يحرص القديس باسيليوس على سلام الجماعة ووحدتها، كما على روحانية كل شخص وسلامة نفسيته. لهذا يُحذّر الرؤساء والمسؤولين أن يُركّز أحدهم على شخص ما في الصلوات والتسابيح، فقد يُسبّب كبرياء للشخص، كما قد يُسبّب إحباطًا وصغر نفسه لإخوته.

### ❖ سؤال: هل الترنم بالتسبحة والصلوات يكون بالدور؟

الإجابة: ليوضع هذا السؤال بطريقة سليمة بين الكثير من الأسئلة الضرورية، حتى لا يُظن أن هذا الأمر تافه وغير منطقي، ومن جانب آخر التركيز على شخص أو شخصين قد يقود إلى التشكك في عجرة الرئيس أو الاستخفاف بالآخرين².

القديس باسيليوس الكبير

### استجابة الصلاة

- كثيرًا ما تعرّض آباء الكنيسة لهذا السؤال: لماذا لا يستجيب الله لصلاتي؟ وأوضحوا عدة أسباب لعدم استجابة الصلاة، منها الآتي:
١. لأن الإنسان يطلب أمرًا ليس حسب إرادة الله.
  ٢. قد يطلب أمرًا صالحًا في نظره، لكن الله يرى أن الوقت غير مناسب.
  ٣. لا يستجيب الرب للطلبية، لأنه يريد منا أن نراجع أنفسنا من جهة خلاصنا ونقاوة قلوبنا.
  ٤. لأجل تركيتنا خلال ممارسة الاحتمال أو اللجاجة في الطلب.

¹ *Regulae brevius tractatae*, 312.

² *Regulae brevius tractatae*, 307.

يطالبنا القديس باسيليوس في الصلاة بالآتي:

١. أن نطلب من الله أن يتم إرادته الإلهية لا إرادتنا الذاتية، لأننا لا نعرف ما هو لنفعنا، إذ لا نعلم ما نصلي لأجله كما ينبغي.

٢. أن نتدرب على الاحتمال بفرح، وإن نطلب ما لبنيان نفوسنا، ونظهر غيرتنا نحو خلاصنا وثبات رجائنا فيه، فلا نكف عن الطلبة.

❖ للصلاة شروط كي تُستجاب، منها:

أن يكون طلبنا وفقاً لإرادة الله (مت ٢٦ : ٣٩)،

ومنها الثبات واللجاجة (لو ١١ : ٨)،

ومنها إرادة الله أن نصلح سيرتنا قبل الاستجابة (إش ١ : ١٥)،

ومنها عدم استحقاقنا لننال ما نطلبه (١ أي ١٧ : ٤)، أو عدم استحقاق من نطلب من

أجله (إر ١٤ : ١١)،

ومنها كون عدم الاستجابة أفضل من الاستجابة (٢ كو ٧ : ١٢)...

أما إذا تحققت كل الشروط فلا شك أن الله يستجيب صلاتنا<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

**اتفاق اثنين في أي شيء يطلبانه فيكون لهما (مت ١٨ : ١٩)**

١. يُقدّم لنا القديس باسيليوس مفهوماً لاتفاق الاثنين معاً في الطلبة، فيرى هنا أن الاثنين هما

الأب الروحي وتلميذه. يوضح القديس باسيليوس الآتي:

إن كان المُعترف قد استهان بخلاصه واستهتر، فإن صمّت أب الاعتراف كنوعٍ من المجاملة،

تُطلب نفس الخاطي منه. إذ كان يلزمه أن يتحدث بصراحة مع حنوٍ ولطف لكن بدون مداهنة، وأن يصلي معه ومن أجله.

٢. إن صرح أب الاعتراف بتلميذه، فاستهان التلميذ بخلاصه وأبديته، يُدان.

٣. إن انتهر الأب الروحي تلميذه بسبب خطية معينة، طالباً بمحبة خلاص تلميذه، وقبل

التلميذ هذا الحزم، طالباً من الله أن يعمل فيه لبنيان نفسه، بهذا تفتتح أبواب السماء وتستجيب لطلبة الاثنين الروحية.

<sup>١</sup> Reg. Brev. 261.

❖ سؤال: إن كان الرب قد وعد: "كل ما تطلبونه في الصلاة مؤمنين تتألونه" (مت ٢١ : ٢٢)، وأيضًا: "إن اتفق اثنان منكم على الأرض في أي شيء يطلبانه فإنه يكون لهما" (مت ١٨ : ١٩)، فلماذا إذن حتى القديسين أنفسهم سألوا بعض الأشياء ولم يحصلوا عليها؟ هذا قد حدث مع الرسول القائل: "من جهة هذا تضرعت إلى الرب ثلاث مرات أن يفارقني" (٢ كو ١٢ : ٨)، ومع ذلك لم ينل ما سأله! وهذا عينه حدث مع إرميا النبي ومع موسى نفسه!

الإجابة: إذ قال ربنا يسوع المسيح في الصلاة: "يا أبتاه، إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس" (مت ٢٦ : ٣٩). وعندئذ أضاف: "ولكن ليس كما أريد أنا، بل كما تريد أنت". يلزمكم أولاً أن تعرفوا أنه غير مسموح لنا أن نسأل شيئاً نريده نحن.

بالحقيقة لسنا نعرف أن نسأل ما هو لنفعنا، "لأننا لسنا نعلم ما نصلي من أجله كما ينبغي" (رو ٨ : ٢٦). لذلك يجب أن تكون طلباتنا متناسبة مع إرادة الله.

فإن كان لا يُسمع لنا، يلزمنا أن نعرف أننا في حاجة إما إلى الاحتمال أو الغيرة، وذلك حسب المثل الذي قاله الرب، "أنه ينبغي أن يُصلى كل حين ولا يُملّ" (لو ١٨ : ١). وحسب ما قاله في موضع آخر: "من أجل لجاجته يقوم ويعطيه قدر ما يحتاج" (لو ١١ : ٨). أو ربما نحتاج إلى إصلاح واجتهاد، وذلك حسب ما قاله الله بنبيه للبعض: "حين تبسطون أيديكم أستر وجهي عنكم، وإذا كثرت الصلاة لا أسمع. أيديكم ملانة دماً، اغتسلوا، تنقوا. اعزلوا شرّ أفعالكم من أمام عيني..." (إش ١ : ١٥ - ١٦).

هذا نفسه يحدث حتى الآن، إذ يوجد كثيرون أيديهم مملوءة دماً.

لا يليق بأحد أن يشك، بل يؤمن أن حكم الله الذي ينطق به ضد من يؤمر أن يعطى للشعب (عن شرورهم) ويبقى صامتاً، فإن دم الخاطي يُطلب من أيدي الحارس (حز ٣ : ١٨).

فإن كان الذي يلتزم بالصمت، يُطلب منه دم الخطاة، فماذا نقول عن الذين يُعثرون الآخرين بالكلمات أو الأفعال؟

توجد حالات لا يُستجاب للطلب فيها، بسبب عدم استحقاق مُقدّم الطلب. هذه حالة داود الذي طلب أن يبني بيتاً للرب، ومُنِع. فمع كونه لم يُستبعد عن أن يكون مُسرّاً لله، لكن لم يُحسب أهلاً للقيام بهذا العمل (١ أي ٧ : ١٦).

هذا أيضاً يحدث لنا بسبب كسلنا، إذ لا نطلب الأمر في الوقت المناسب. فإننا إذ نطلب في وقت متأخر يكون الوقت غير مناسب، ويصير طلبنا باطلاً.



أما عن قوله: "من جهة هذا تضرّعت إلى الرب ثلاث مرات أن يفارقني" (٢ كو ١٢ : ٨)، يلزمكم أن تعرفوا أنه توجد أسباب كثيرة ومتنوعة للخصوم، سواء من الخارج أو من الجسد، الله يجلبهم علينا أو يسمح لهم لتدبيرٍ مُعَيَّن، لننال نفعًا عظيمًا مما لو عُتقنا منهم. لذلك إن كان أحد قادرًا على معرفة أنه يلزم أن يُعتَق من العدو بالصلاة والطلبية، يُسمَع له كما حدث مع الأعميين والعشرة برص (مت ٩ : ٢٧؛ لو ١٧ : ١٢-١٣) ومع آخرين كثيرين. أما إذا لم يعرف السبب لسقوطه في تجربة، فغالبًا يُقصد باحتماله (التجربة) أن يدرك غاية ما حلَّ به...

القول: "إن اتفق اثنان" (مت ١٨ : ١٩) يتضح من سياق الكلام، فهو يقصد الكلمة الخاصة بمن ينتهر الخاطي، ومن يُنتهر. الآن حيث أن الله لا يشاء موت الخاطي، بل أن يرجع ويحيا (حز ٣٣ : ١١؛ ١٨ : ٢٣)، فإنه إذ تُنَحَس نفس من يُنتهر وتتفق مع هدف من انتهره، فإنه يوهب لهما كل ما يطلبانه، أي التحرر من أية خطية، بواسطة الله مُحب البشر.

أما إذا كان من يُنتهر لا يتفق مع من انتهره، فإنه لا يمكن تحرره بل يُربط، حسب ما هو مكتوب: "كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطًا في السماء، وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولًا في السماء" (مت ١٨ : ١٨). ويوجد تحقيق للحكم القائل: "وإن لم يسمع (من يُنتهر) .. من الكنيسة، فليكن عندك كالوثني والعشار" (مت ١٨ : ١٧).<sup>١</sup>

القديس باسيليوس الكبير

**هل يستطيع كل إنسان أن يصلّي: "يارب إلهي، عليك توكلت"؟**

يقول القديس باسيليوس الكبير: [إن كثيرين ينطقون بهذا الكلام بأفواههم لا بقلوبهم، والدليل على ذلك إنهم إذ يسقطون في ضيقة، يسرعون إلى وساطات بشرية لا إلى الله]. يتساءل القديس باسيليوس: هل يستطيع كل إنسان أن يصلّي: "يا رب إلهي، عليك توكلت"؟ يجيب بأن من لا يُكْرَس قلبه بالكامل لله، لا يقدر أن يتكل على الرب إلهه. "يا رب إلهي، عليك توكلت"...

بالرغم من أن هذه الصلاة بسيطة، ويمكن أن يُقدّمها أي شخص، غير أنها لم تُقدّم هنا هكذا. فإن من يجعل اتكاله على إنسان، أو يتكئ على شيء آخر في الحياة مثل السلطة أو الممتلكات، أو أي شيء مما يعتبره الكثيرون أمرًا جيدًا، لا يستطيع أن يقول: "يا رب إلهي، عليك توكلت".

<sup>١</sup> *Regulae brevius tractatae*, 261.

بالحقيقة توجد وصية أنه لا يليق بنا الاتكال على الرؤساء. "ملعون الرجل الذي يتكل على الإنسان" (إر ١٧ : ٥). كما يليق بنا ألا نعبد شيئاً بجانب عبادتنا لله، هكذا يليق بنا ألا نتكل على آخر غير الله رب كل الأشياء. قيل: "الرب رجائي وتسبحتي" (مز ٧٠ : ٥؛ ١١٧ : ١٤)<sup>١</sup>.

❖ قد تتباعد أجسادنا عن بعضها بالمسافات، لكن عيني الله تتطلعان إلينا دون شك، مادامت حياتي تستحق أن تتطلع عينا الله إليها، إذ قرأت في المزامير أن عيني الرب على الصديقين<sup>٢</sup>.  
القديس باسيليوس الكبير

### هل نصلي ألا يدخلنا في تجارب؟

❖ سؤال: يُعلمنا الرب يسوع أن نصلي "ألا يدخلنا في تجارب". هل يجب علينا إذن أن نصلي كي لا نسقط في آلام جسدية؟ وإن سقط شخص ما في هذه الآلام، كيف إذن يحتملها؟! (مت ٦ : ١٣؛ ٢٦ : ٤١؛ لو ١١ : ٤؛ ٢٢ : ٤٠).

الإجابة: لم يُفرّق الرب بين أنواع التجارب، بينما أمر بتعبيرات عامة يلزمنا أن نصلي ألا ندخل في تجارب. لكن لو تعرّضنا لها (جربنا)، يجب أن نسأل الرب أن يعطينا المخرج لكي نتحملها، كقول الكتاب: "بل سيجعل مع التجربة أيضاً المنفذ" (١ كو ١٠ : ١٣)، وبالتالي ينطبق قول الرب فينا: "ولكن الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص" (مت ١٠ : ٢٢؛ ٢٤ : ١٣)<sup>٣</sup>.

❖ إذا ما صممت أن تحتمل الثقل بغير مُعين، فإنه لا يكون ثقيلاً فحسب، بل وغير مُحتمل. أما إذا شاركك الرب حملك، "ألقي على الرب همك"، فهو نفسه يعمل.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>1</sup> Homily 11:2 on Psalm 7.

<sup>2</sup> Ep. 150: 2.

<sup>3</sup> Regulae brevius tractatae, 221.

## الحياة الرهبانية والتسبيح

التمتع بحياة تسبيح متهللة

في رسالة إلى القديس غريغوريوس النزينزي يصف القديس باسيليوس الكبير حياته الجديدة، قائلاً:

حياتي في هذه العزلة، هي حياة تعبد وتقوى، تتغذى فيها النفس بالتفكير في الأمور الروحية السماوية.

ثم هي حياة عبادة لله، تتصاعد فيها الترانيم، وتمتزج مع تسابيح أجواق الملائكة. وترى الرهبان يسرعون عند انبلاج الفجر إلى حمد الله الخالق بالترنيم والتسبيح، وعندما تشرق الشمس بنورها الساطع، يعود كل راهب إلى عمله وشغله، مازجاً الصلاة بالعمل، كما يمزج الملح بالطعام.

إن الإلهام الذي توحى به هذه الصلوات والترانيم تُبعد الأوهام والأخطار، فيعيش الرهبان بالفرح والارتياح. ثم أن الصمت هو بدء تطهير النفس.

لذلك فالأسنة لا تعود تتكلم وترتبك بأمر الناس ومشاكلهم. والعيون لا تعود تتطلع إلى بشرة جميلة وشكلٍ بديع، ولا إلى هيئات رشيقة القد (القوام) وحلوة الشمائل.

والآذان لا تعود تُتصت إلى نغم جميلٍ ولحنٍ عذبٍ، يعمل بإيقاعه الموسيقي على تغذية اللذات العابرة، ولا تعود تسمع أيضاً النكات السمجة والأقوال البذيئة.

تتحرر النفس بالصمت والعزلة من الاهتمام المفرط بالأمور الدنيوية، ومن العثرة والارتباك بسبب تسرب التلذذ بالشهوات الحسية. بهذا التحرر فقط، تستطيع النفس الارتفاع والصعود في مراقبي الكمال والمحبة لله<sup>1</sup>.

ماذا يمكن أن يكون أكثر مسرة وغبطة للإنسان من أن يتشبه بالملائكة في ترنمها بالتسابيح، فيبتدئ يومه بالصلاة والتسبيح وتمجيد الخالق بالترانيم والأغاني؟!<sup>2</sup>

<sup>1</sup> راجع الأب الياس كويتر المخلصي: القديس باسيليوس الكبير، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، ١٩٨٩، ص ١٩٧-١٩٨

<sup>2</sup> Ep. 3 to Gregory.

❖ ما هي المُحرقة الروحية؟ "ذبيحة التسبيح"! (مز ٥٠: ١٤) أين نُقدِّمها؟ في الروح القدس<sup>١</sup>.

**القديس باسيليوس الكبير**

يدعونا القديس باسيليوس إلى حياة الفرح حتى في ممارسة الزهد. فالزهد ليس غاية في ذاته، إنما هو ضروري لبلوغ الكمال المسيحي، حيث يهب النفس تحرراً لممارسة العمل السماوي، والتمتع بقوة محبة الله.

❖ إن كنا نحفظ ببعض الممتلكات الأرضية، أو بعض الأمور الزائلة، وكأن النفس قد تمرغت في الوحل السفلي هنا، فلن تقدر أن ترفع نظرها إلى الله، ولن تقدر أن يصير لها الإلهام بالرغبة في الجمال السماوي والبركات السماوية التي وُعدنا بها، ما لم يكن لدينا الدافع المستمر الذي يُحرِّكنا للرغبة فيها، ويجعل الجهاد هيئاً<sup>٢</sup>.

**القديس باسيليوس الكبير**

## التسبيح وكلمة الله

إذ يلزم التسبيح بالروح وبالذهن أي بفكر روحي وفهم، فإن المرثل لله يلزمه ألا يُهمل كلمة الله التي تُقدِّسه وتحفظه من السقوط في الخطية. بهذا يتشبه المؤمن بالملائكة القديسين.

❖ سؤال: هل يمكن ترتيل المزامير دون إهمال كلمات الرب، أو قراءتها أو دون كسر (وصاياها)، مع منح الضرورات التي تأتي مع حاجات الجسد الكثيرة؟

الإجابة: وضع الرسول قانوناً لنا في هذه النقطة، قائلاً: "ليكن كل شيء بلياقة وبحسب ترتيب" (١ كو ١٤: ٤٠)، وبالتالي، يجب بالأحرى أن نجعل في فكرنا الاحتشام والترتيب الحسن من جهة الزمان والمكان<sup>٣</sup>.

**القديس باسيليوس الكبير**

## التسبيح وسفر المزامير في حياة الكنيسة

جاءت كتابات آباء البرية والرهينة تدعو لحياة التسبيح، بكون المسيحية وخاصة الرهينة، تدعو للحياة المسيحية المتهلهة. لا نعجب إن كانت العبادة الكنسية الجماعية والشخصية تدعونا للتسبيح بالمزامير، سواء في المناسبات المُفرحة كالقداس الإلهي وليتورجيا الزواج وسيامة رجال الكهنوت بكل رتبهم، وفي المرض (مسحة المرضى) وفي ليتورجيا المعمودية، كما في مناسبات الحزن كصلوات

<sup>1</sup> On the Holy Spirit, 26 (62).

<sup>2</sup> Reg. Fus. 8: 3.

<sup>3</sup> Regulae brevius tractatae, 238.



اجنارات، وأيضًا في الصلوات الشخصية (تسابيح الساعات أو الأجيبة). التسبيح بالمزامير جزء حيوي في حياة الكنيسة.

أعلن القديس باسيليوس الكبير أثناء تعليقه على المزمور الأول: [إن سفر المزامير هو الكنز العام لكل وصايا صالحة... صوت الكنيسة... الحاوي لكل اللاهوت].

## سفر المزامير دواء للنفس

كل الكتاب موحى به من الله، ونافع" (٢ تي ٣: ١٦)، كُتِبَ بالروح القدس.

جاءت عظة القديس باسيليوس على المزمور الأول بمقدمة رائعة<sup>١</sup>، كما وردت نفس المقدمة في كثير من المخطوطات الخاصة بتفسير القديس أغسطينوس على المزامير. وكان كثيرون يسبونها للقديس أغسطينوس، أما الآن فقد استقر الرأي على أنها من وضع القديس باسيليوس في عظاته، قام بترجمتها روفينوس *Rufinus*، إلى اللاتينية.

تكشف هذه المقدمة عن دور المزامير ليس فقط في عبادة القديس باسيليوس، وإنما في كل حياته. إذ يرى في المزامير الآتي:

١. المزامير دواء لأمراض النفس.
٢. سفر المزامير يُقَدِّم التعليم بروح الفرح.
٣. المزامير مَصْدَر الهدوء في النفس.
٤. المزامير تبعث على حياة الشركة.
٥. المزامير تهب خبرة الشركة مع السمائيين.
٦. المزامير باعث للتوبة الكنسية.
٧. المزامير تفتح طريق الفضيلة.
٨. المزامير ترفعنا إلى العلويات.

نحن البشر، كل واحد منا، بل وجميعنا كمن في مستشفى عام للنفوس، يختار كل واحدٍ العلاج حسب حالته. فقد قيل: لأن العلاج يُسَكَّن خطايا عظيمة (جا ١٠: ٤).

نُقَدِّم (أسفار) الأنبياء نوعًا واحدًا من التعليم، ونُقَدِّم الأسفار التاريخية نوعًا آخر، والناموس آخر، ويوجد نوع آخر مختلف في الأسفار الحكمية (الأمثال)، أما سفر المزامير ففيه كل الفوائد

<sup>1</sup> Homily 10 on Psalm 1.

التي جاءت فيها جميعًا. فهو يتنب عن أحداث المستقبل، ويشير إلى التاريخ، ويحدد قوانين الحياة، ويوصي بما ينبغي عمله.

باختصار هذا السفر بوجه عام خزينة عامة للتعليم الصالح، يجد كل شخص ما هو مناسب له. فتُشفى الجراحات القديمة تمامًا، وتتحسن الجراحات الحديثة بسرعة، ويعطي شفاءً للمرضى، ويحفظ القائمين. وخالصة الأمر، يرفع حرب الشهوات التي تُدنس النفس بطرق كثيرة، ويجذبها بتدبيرٍ مُقنعٍ وعذوبة، لتتم في الأفكار السليمة<sup>1</sup>.

❖ المزامير تهب النفس الطمأنينة، ويعطيها السلام، وتُهدئ فيها بليلة الأفكار وتراكم الشهوات، هذا الكتاب هو كتاب المحبة، هو سلاح ضدّ الشيطان، هو سبب راحة بعد تعب النهار، هو تعزية الشيوخ، هو باعث أفراحنا وأحزاننا المقدّسة، هو نشيد رائع، هو صوت الكنيسة، هو بخور زكي الرائحة<sup>2</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

### سفر المزامير وعذوبة طريق الفضيلة الوعر

يرى القديس باسيليوس أن روح الله القدوس العارف بصعوبة طريق الفضيلة، قدّم للمؤمنين المزامير ليتغنّوا بها أثناء جهادهم. فيطغى على الجهاد روح الفرح والتهليل. إنه كالطبيب الذي يمزج الدواء المرّ بالعسل حتى يستطيع المريض أن يأخذه. هنا نذكر كلمات القديس أغسطينوس الذي يُطالبنا أن نُغني في الطريق، فلا نشعر بالتعب والملل.

❖ يعرف الروح القدس بوضوح وعورة السباق في ممارسة الفضيلة. يرى كيف يميل الجنس البشري بطبيعته إلى اللذة، فيستخف بالطريق المستقيم. فماذا يفعل الروح؟ تتسم تعاليمه بالجادبية، فيه الوداعة والتناغم لنهل منها، مثل الطبيب الذي يُعطي لمريضه الدواء المرّ مُضافًا إليه العسل.

❖ المزامير هي غناء منظوم فيها الحق لصغار السن وصغار النفوس. وإن كان الإنسان ينسى سريعًا كلمات الوعظ والنبوة، إلا أنه لا ينسى المزامير التي يُردّها كثيرًا، في البيت، وفي الخارج. ترتيل المزامير يطرد الغضب، الذي يجعل من الإنسان حيوانًا مفترسًا، ويسرق منه سلامه، ويملأه بالثورة.

<sup>1</sup> Homily 10 on Psalm 1, 1.

<sup>2</sup> عظة على المزامير: الفصل الأول، الأب إلياس كويتز المخلصي ص ٦٣

النسيب بمزموٍرٍ يجلب هدوءًا للروح، فنستقر في سلام، كما يُهدئ عواصف أفكارنا العنيفة. فهو من ناحية يُهدئ انفعالات النفس، ومن ناحية أخرى يُسيطر على الشهوة، ويُطفئ النار التي في صدورنا قبل أن تلتهب.

أتريدون أن ترتبطوا بصداقةٍ، وتُصالحوا المُتخاصمين، ويغفر الأعداء لبعضهم البعض؟ رثسوا مزموٍرًا! كيف يمكن لأحد أن يحتضن عداوة لآخر يلتصق به وهو يُسبِّح الله بصوت واحدٍ؟ الخبّ هو أعظم صلاحٍ من الكل، والتسبيح بالمزامير يجلب الحب، لأنه يُقدِّم نوعًا من رباط الوحدة الكاملة، إذ يجمع الشعوب معًا في خورسٍ واحدٍ متناغمٍ.

إنه نقطة البداية للمبتدئين، وعون للذين هم بالفعل في الطريق، ومصدر القوة للبالغين. إن كان التسبيح بمزموٍرٍ يجلب حزنًا، فهو حزن إلهي، لأن المزموٍر يقدر أن يهب دموعًا لقلب الحجري!

القديس باسيليوس الكبير

## العظمة التسبيح بالمزامير!

المزامير تطرد الشياطين، وتجلب لنا معونة الملائكة.

هي سلاح في فزع الليل، وراحة من عناء اليوم.

هي الأمان للأطفال، وزينة للكبار، وعزاء للشيوخ، وزينة للنساء.

هي حكمة الساكنين في البراري، مُعَلِّم التجار، نمو النامين، سند الكاملين.

إنها صوت الكنيسة، فهي تضيء الفرح على الأعياد، وتُبكِّت الضمير. المزموٍر يجعل

النفوس الحجرية تبكي، والمزموٍر هو عمل الملائكة، وهو حياة السمائيين، وهو البخور الروحاني.

جاءت المزامير بترتيب حكمة إلهية، لتجعلنا نُرتِّل، وتُعَلِّمنا كل ما هو مفيد.

تستقر المزامير في الفهم، فما تتعلَّمه بالتغصُّب سرعان ما يتلاشى، بينما تستقر في داخلك

جاذبية التلذُّذ بالمزامير.

لماذا لا تحفظ المزامير؟ فتجد فيها الشجاعة والعدل والحكمة وكمال الحكمة، والطريق إلى

التوبة، وكمال الصبر. فيها كل ما هو مفيد، فيها ملء علم اللاهوت، ونبوات عن مجيء المسيح

في الجسد، ورجاء القيامة، والخوف من العقوبة، والوعد بالمجد، والكشف عن الأسرار. نجد كل

هذا المخزون في المزامير، كما في مخزنٍ يفتح أبوابه أمام الجميع.

القديس باسيليوس الكبير

## المزامير والموسيقى

يرى القديسان جيروم ويوحنا الذهبي الفم أن العود يُشبه القيثارة، غير أن الأخيرة تُشدُّ أوتارها إلى أسفل، والعود إلى أعلى، لذا يليق بذلك أن تُسبَّح الله وأوتارنا مسحوبة إلى أعلى، أي بالعود لا بالقيثارة.

❖ قال القديس يوحنا الذهبي الفم: إن اليهود لثقل ذهنهم وكثافة عقلهم وغلاظتهم، ولكونهم تركوا عبادة الأوثان من مدة قريبة، يُقرَّبون الذبائح لها، ويستعملون آلات الملاهي والمعازف... وأما نحن المسيحيين فيلزمنا أن نُثَمِّت شهوات جسدنا، ونجعلها طبلاً ينشغل بالسماويات، ونجتذب الروح من العلو، ونكون مثل مزمارة يجذب الروح من فوق، وليس من أسفل. فعلى قول هذا الجليل يجب على المسيحيين عدم استعمال العزف وآلات الضرب عند تسبيحهم لله.

### الأب أنسيمس الأورشليمي

❖ "بَدْفُ (طبل) وعودٍ ليرنموا له" (مز ١٤٩: ٣). أيضًا يشير بعض المُفسِّرين إلى هذه الآلات الموسيقية بمفهوم روحي، فيقولون إن الطبل يتضمن إماتة أجسادنا، بينما يشير العود إلى السماء، فإنه يُعزَّف على هذه الآلة من فوق، وليس من أسفل مثل القيثارة<sup>١</sup>.

### القديس يوحنا الذهبي الفم

## تسبحة جديدة

❖ "غنوا للرب أغنية جديدة. أحسنوا العزف بالرياب لإكرامه" (مز ٣٣). غنوا للرب أغنية حقًا جديدة، أي اعبدوا الرب، لا بعثق الحرف، ولكن بجدة الروح" (رو ٧: ٦).

الإنسان الذي لا يفهم الناموس بطريقة حرفية، بل يدركه بمفهوم روحي، يستطيع أن يغني أغنية جديدة، لأن العهد القديم شاخ وولَّى، وظهرت لنا الأغنية الجديدة المُتجدِّدة بتعاليم الرب، فهو الذي يُجدِّد مثل النسر شبابنا (مز ١٠٣: ٥). "وإن كان إنساننا الخارج يفنى، فالداخل يتجدَّد يومًا فيومًا" (٢ كو ٤: ١٦) "والذي يستند إلى ما هو قدام" (في ٣: ١٣)، يتجدَّد أكثر فأكثر. والذي يتجدَّد، يُصَلِّي دائمًا لله أغنية حقًا جديدة.

يطلق تعبير "حقًا جديدة"... على شيء استثنائي وحديث.

عندما تصف تجسد الرب الذي يفوق كل طبيعة، فأنت تُعَنِّي أغنية جديدة غير اعتيادية.

<sup>1</sup> On Ps. 149.



وعندما تشرح ميلاد العالم وتجديده كله، بعد أن شاخ بالخطية، الميلاد الجديد الذي جدّه  
تجديدًا شاملاً، فأنت تُغني أغنية حقًا جديدة.  
كذلك عندما تتكلم عن القيامة، فأنت تُغني أغنية حقًا جديدة وحديثة<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## التسبيح الدائم

يليق بنا أن نُسبِّح الله على الدوام، حتى أثناء نعاسنا.

«في كل حين. دائمًا تسبيحه في فمي» (مز ٣٤: ١). يبدو أن النبي يُقدِّم وعدًا لا يستطيع الوفاء  
به. كيف تكون تسبحة الله دائمًا في فم الإنسان؟ عندما يتكلم في أحاديثه العادية الخاصة  
بحياته، لا يُسبِّح فمه الله، وعندما ينام لا يتكلم أبدًا، عندما يأكل أو يشرب، كيف يُسبِّح الله  
بفمه؟!<sup>٢</sup>

والإجابة على هذا السؤال تأتي بالإشارة إلى فم الإنسان الروحي الداخلي، الذي يتغذى  
بكلمة الحياة، الخبز النازل من السماء (يو ٦: ٣٣). عن هذا الفم يقول النبي: «فغرت فمي  
لأجذب لي روحًا» (مز ١١٩: ١٣١). والرب يدعونا جميعًا أن نغفر أفواهنا حتى تمتلئ بغذاء  
الحق «افغر فاك واسعًا، فأملأه» (مز ٧٩: ١١).

عندما ينغرس فكر الله ويختَم في أعماق النفس، تستطيع أن تُسبِّح الله الساكن على الدوام  
في النفس، والإنسان البار يفعل كل شيء لمجد الله (١ كو ١٠: ٣١) كما ينصح الرسول،  
بحيث يأخذ كل فعل وكل كلمة وكل نشاط قوة تمجيد الله. ويُمجِّد الإنسان الله  
أيضًا أثناء أكله وشربه ونومه، إذ يقول قلبه مع عروس النشيد: «أنا نائمة وقلبي مستيقظ»  
(نش ٥: ٢) فكثيرًا ما تُعبِّر الأحلام عن أفكار النهار<sup>٣</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>١</sup> تفسير المزمور ٣٣ (٣٢).

<sup>٢</sup> تفسير المزمور ٣٤ (٣٣).

## الحياة الرهبانية والصوم

### الصوم في حياة وفكر القديس باسيليوس الكبير<sup>١</sup>

بجانب ما ورد في قوانين القديس باسيليوس، توجد عظتان عن الصوم، من المحتمل أن يكون قد ألقى العظة الثانية سنة ٣٧٠م، والفرض أن العظة الأولى كانت قد أقيمت قبل ذلك التاريخ بقليل. وهو يشير في كلتا العظتين إلى موضوع الصوم الانقطاعي في الخمسة أيام الأولى، لذا غالبًا ما ألقاهما في السبت أو الأحد الأول من الصوم الأربعيني المقدس. هاتان العظتان تُمثلان شهادة تؤكد ممارسة الكنيسة الأولى للصوم الأربعيني المقدس منذ وقت مُبكر.

### العظة الأولى

١. في العظة الأولى ينصح القديس باسيليوس بممارسة الصوم بفرح وببشاشة وجه، وليس بعبوسةٍ وحزنٍ بسبب تغيير الأطعمة في فترة الصوم.
٢. يؤكد أن الصوم عندما يدخل إلى عمق النفس، يُميت الخطية الساكنة فيها، ويشير إلى أن عدم الصوم يُسبب السقوط.
٣. يحذّر أيضًا من إدمان الخمر الذي يؤدي إلى فقدان الوعي، ويُبعدنا عن الله، حيث كان الإسراف في شرب الخمر من العادات المنتشرة في ذلك العصر، والتي عمل الآباء ومنهم القديس باسيليوس على محاربتها باستمرار في عظاتهم في مناسبات كنسية عديدة وفي كثير من كتاباتهم أيضًا.
٤. عدم الصوم جعل عيسو عبداً لأخيه، وهياً الصوم إيليا ليرى الرب على جبل حوريب، وأعاد الحياة إلى ابن الأرملة. وهو الذي حفظ الفتية الثلاثة في أتون النار، وجعل الأسود لا تقترب من دانيال. كما يؤكد مثل الغني ولعازر أن الرفاهية في الحياة هي التي سلّمت الغني لأتون النار، فلكي تُطفئ نار هذا الأتون، نحتاج إلى الصوم.
٥. ينبغي ألا نحصر الصوم في الابتعاد عن الأطعمة فقط، لأن الصوم الحقيقي هو في الابتعاد عن الشرور.

<sup>١</sup> الصوم المقدس للقديس باسيليوس الكبير، ترجمة جورج عوض - د. سعيد حكيم، مراجعة: د. جوزيف موريس فلتس حكيم عن الأصل اليوناني المجلد رقم ٣١ مجموعة ميغنا (P.G. 31: 164A-197C). الناشر: المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية بالقاهرة، ٢٠٠٥

## العظة الثانية

١. في العظة الثانية ينصح المؤمنون ويحثهم على ممارسة الصوم ويؤكد أهمية ذلك. يقول إن الصوم لا ينحصر في مجرد الامتناع عن بعض الأطعمة، لكن مفهوم الصوم يتضح ويتجلى في عفة المؤمن، وموقفه المتجرد تجاه أمور العالم المادية، وخضوعه لإرادة الله.
٢. فيها أيضاً يهاجم الإسراف في شرب الخمر الذي يؤدي إلى فقدان الاتزان والتعقل.
٣. يحارب أيضاً رذيلة الفجور والفسق، ويعتبرها من الأمور التي تُفسد حياة الإنسان وتخطئها.
٤. يُقدّم النموذج الصحيح للإنسان المسيحي، الذي يسلك في تجرد وبساطة وجدية وورع، وحمل فكرًا تحرر من كل القيود المادية لهذا العالم الحاضر.
٥. يؤكد أن الصوم يُهدب النفوس، ويجعلها مملوءة بالسلام، وبعيدة عن البخل والطمع وكل شر.

## الصوم في حياة القديس باسيليوس الكبير

من جهة طعامه، لم يكن القديس باسيليوس الكبير يتناول أكثر مما كان ضرورياً فعلاً ليسد رمقه من أفقر الأطعمة، وفي بعض الأحيان لم يكن ذلك الطعام سوى الخبز والماء. وحتى بعدما أصبح رئيس أساقفة، ما كان يطهي لحمًا في مطبخه.

## يا لعظمة الصوم!

- الصوم يجعل العاقر تلد أولادًا.
- الصوم يصنع الأقوياء.
- الصوم يجعل المُشرّعين حكماء.
- الصوم حارس للنفس.
- الصوم رفيق أمين للجسد.
- الصوم سلاح الشجعان.
- الصوم تدريب الرياضيين.
- الصوم يصدّ التجارب.
- الصوم يمهّد الطريق للتقوى.
- إنه رفيق الهدوء، وصانع العفة.
- الصوم يعمل أعمالاً باهرة في الحروب.

الصوم يُعَلِّمُ السكينة في وقت الصيام.  
الصوم يُقَدِّسُ النذير<sup>١</sup>، ويجعل الكاهن كاملاً. لأنه كيف يمكن للكاهن أن يُصَلِّيَ بدون صوم؟ لقد كانت ممارسة الصوم أمرًا ضروريًا، ليس فقط في عبادة العهد الجديد السرائرية، ولكن أيضًا بالنسبة للعبادة الناموسية<sup>٢</sup>.

- ❖ الصوم هو الذي يلد الأنبياء، ويُشدِّد الرجال بالعزم.  
هو الذي يُفَقِّه المُشْتَرِعِينَ، ويدرس النفوس.  
هو أوفى صديق، وأشد سلاح للشجعان الأبطال.  
هو رياضة المصارعين من أجل نيل الظفر والنعمة بالغبلة في الجهاد ضد الشهوة واللذات.
- ❖ تأمل في المسيح سيدك وربك. إنه صام لكي يُعَلِّمَنَا أن الصوم هو طريق الملكوت.
- ❖ يحفظ الصوم الأطفال ويَهْدِّبُ الشباب ويجعل الشيخ أكثر وقارًا.  
لأنه عندما تكون الشيخوخة مزينة بالصوم، تصير أكثر وقارًا.  
وهو للمرأة زينة لائقة ومناسبة، ولجام لكل من هم في حالة عنفوان كما يُمَثِّلُ الصوم حفظًا للحياة الزوجية وغذاءً للبتولية.  
مثل هذه الأمور ينبغي أن تكون موضع اهتمام كل بيت<sup>٣</sup>.

❖ الصوم هو تشبُّه بالملائكة، رفيق الأبرار، حياة العفة.  
الصوم هو الذي جعل موسى شاعرًا.  
وصموئيل أيضًا هو ثمرة صوم حنة النبية التي صلَّت إلى الله بعدما صامت قائلة:  
"يا رب الجنود، إن نظرت نظرًا إلى مائة أمتك، وذكرتني ولم تنسَ أمتك، بل أعطيت أمتك زرع بشر، فإني أعطيه للرب كل أيام حياتي" (١ صم ١: ١١). "وخمرًا ومُسْكِرًا لا يشرب، حتى يوم الموت" (انظر قض ١٣: ١٤).

الصوم هو الذي أسَّس ونمَّى شمشون العظيم. وحتى ذلك الحين الذي وقف معه آخرين ضد آلاف القتلة من الأعداء، هدم أبواب المدينة وحده والأسوار لم تتحملة بسبب قوة يديه

<sup>١</sup> النذيرون هم جماعة من اليهود مُكْرَسُونَ لِلَّهِ باسم شمشون وصموئيل ويوحنا المعمدان.

<sup>٢</sup> عظتان عن الصوم عن الصوم: ٦: ١

<sup>٣</sup> عظتان عن الصوم ٢: ٥، ص ٣٤ - ٣٥



(انظر قض ١٤ : ٦). لكن عندما وقع أسيرًا للسُّكْر والزنا، وقع في أيدي الأعداء بعدما فقد بصره وصار العوبة في أيدي عبيد أمم غريبة (انظر قض ٦ : ١٢ - ٢٥).

بصوم إيليا توقفت السماء عن أن تُعطي مطرًا ثلاث سنين وستة أشهر (انظر امل ١٧ : ١). فقد دعت الضرورة أن يدعو المُستمعين إليه إلى صوم انقطاعي عن الأكل بعدما رأى أنه بسبب شهوة الأكل ازداد الظلم والإهانة بين الشعب. بهذا الإجراء توقفت خطيتهم، لأن الصوم قد قطع الطريق نحو تفاقم الشر، كما لو أنه قد قُطِعَ بمقطع حاد<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## الصوم أول وصية إلهية

اللَّهُ الذي خلق كل شيءٍ من أجل الإنسان ليُقيم منه ملكًا لا يعوزه شيء، قدّم له وصية واحدة وحيدة، ألا يأكل من شجرة معرفة الخير والشر. وهو في هذا لا يطلب أن يحرمه من شيء، إنما أراد له أن تمتد يده ليأكل من شجرة الحياة، فيحيا خلال الطاعة في أبدية سعيدة مثل الملائكة القديسين. كان يمكن لآدم وحواء أن يتحدثيا إبليس وكل جنوده بطاعتهام للوصية الإلهية، فيُعلنان بصومهما عن ثمره الشجرة، إن حبهما لله يسمو فوق كل شيء، خاصة وأنه لم يحرمهما من أعمال كرامته. لقد غرس لهما جنة عدن ليقيم من قلبيهما جنة أو فردوس فائق.

هكذا يرى القديس باسيليوس أن الوصية التي قُدّمت لآدم وحواء في الفردوس هي الصوم عن ثمره معرفة الخير والشر، وإذ كسرا الوصية صارت العودة إلى الفردوس السماوي تستوجب الصوم. لقد "رأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل، وأنها بهجة للعيون، وأن الشجرة شهية للنظر" (تك ٣ : ٦). كان يليق بها هي ورجلها آدم أن يحفظا الوصية الإلهية ولا يأكلا منها.

الآن صارت الحاجة إلى الصوم كدواء للنفس، عوض اشتهاه الشجرة، يشتهي المؤمن التمتع بامصلوب على الشجرة، مُستمعًا للوصية الإلهية: "أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء. إن أكل أحد من هذا الخبز، يحيا إلى الأبد. والخبز الذي أنا أعطي هو جسدي، الذي أبذله من أجل حياة العالم" (يو ٦ : ٥١).

بدأ الصوم في الفردوس عندما قال الرب لآدم: "لا تأكل من شجرة الخير والشر". وقد طُرد أبوانا الأولان من الفردوس بسبب عدم الصوم. فالصوم إذن هو الذي به ندخل إلى الملكوت. لا ترتجف ولا تخف من الصوم.

<sup>١</sup> عظتان عن الصوم ٢ : ٦، ص ٣٦ - ٣٧

ألا يحتاج جسدك إلى دواء! نذكك نفسك في حاجة أحياناً كثيرة إلى دواء. فالصوم هو دواء النفس للتخلص من الخطيئة<sup>١</sup>.

❖ هل تظن أن الصوم هو أقدم من الناموس؟ نعم، الصوم هو أقدم من الناموس. انتظر قليلاً وتمهّل، فستتحقق من صدق كلامي. لا تظن أن بداية التشريع بممارسة الصوم بالنسبة لإسرائيل كان في اليوم العاشر من الشهر السابع (لا ١٦: ٢٩؛ ٢٣: ٢٧). بل تعالَ نفوس داخل التاريخ لنجد بداية للصوم. فالصوم ليس هو ابتداء حديث.

الصوم جوهرة غالية ورثناها من الأجداد، وكل شيء قديم جدير بالوقار. ليتك تُقدّر معي أقدمية الصوم. فالصوم قديم قدم البشرية. لقد شرّع الصوم في الفردوس. فالوصية الأولى لآدم كانت: "من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً، وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها" (تك ٢: ١٦-١٧).

عبارة "لا تأكل" هي تشريع للصوم والانضباط. فلو مارست حواء الصوم، وتجنّبت الأكل من ثمرة هذه الشجرة، ما كُنّا في حاجة إلى هذا الصوم، لأنه "لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى" (مت ٩: ١٢). خطيتنا هي التي جلبت علينا المرض. فدعونا إذا نُشقى بالتوبة، غير أن التوبة بدون ممارسة الصوم هي باطلة: "ملعونة الأرض بسببك. وشوكاً وحسكاً تُثبت لك وتأكل عشب الحقل" (تك ٣: ١٧-١٨)<sup>٢</sup>.

❖ لقد نُفينا من الفردوس الأول الأرضي لأننا لم نصم، فيلزمنا أن نصوم لكي نرجع إلى الفردوس السماوي... لأن الصوم يرد لنا الخسائر المتسببة عن عدم صوم آدم، ويُصالحنا مع الله.

❖ الصوم بالحقيقة هو دواء للنفس ودواء للجسد أيضاً. فقد يُسبب تناول الأطعمة الفاخرة تعباً للمعدة وبعض الأمراض الصعبة للجسم.

بينما الصوم مُفيد للصحة، إذ يجعل الإنسان الصائم ذا لون وردي، وعينين هادئتين، وسير مُتزن، وحركات رصينة. هذا الإنسان تراه لا يُقهقه، بل يبتسم، ولا يصيح، بل يتكلم بهدوءٍ واتزانٍ، وترى كلامه يفيض من قلبٍ نقيٍّ وطاهر<sup>٣</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>١</sup> راجع الأب الياس كويتر المخلصي: القديس باسيليوس الكبير، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، ١٩٨٩، ص ٢٨٨

<sup>٢</sup> عظتان عن الصوم ١: ٣؛ ص ١٣

<sup>٣</sup> راجع الأب الياس كويتر المخلصي: القديس باسيليوس الكبير، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، ١٩٨٩، ص ٢٨٩

## الصوم بنظام جماعي

إذ تقوم الرهبنة الباسيلية على نظام الشركة، فإن الصوم في ظل هذا النظام يُمارَس بنظام جماعي، فلا تُوجد منافسة أو مباراة من جهة تحديد نوع الطعام أو فترة الصوم الانقطاعي، إنما يلتزم الكل بما تُمارسه الجماعة كلها<sup>1</sup> مع استثناء حالة المرض.

## الاعتدال في الصوم

يُحذّر القديس باسيليوس من المُبالغة في الصوم، فإن الاعتدال هو الفضيلة اللائقة بالمؤمن. يعتبر القديس المُبالغة في الصوم التي قد تُسبب عجز الراهب عن ممارسة العمل العادي في الدير هي نوع من الأنانية<sup>2</sup>.

لا يوجد نظام مُوحّد للربان في النسك والصوم، إنما يجب مراعاة السن، والصحة، ونوع العمل<sup>3</sup>.

❖ لا بد أيضًا أن نتبع قانون الاعتدال في كل أمور حياتنا، فلا نُغالي في النسك حتى الجوع، أو الإفراط حتى السمنة، لأن الإفراط في كلا الحالتين سيؤدي إلى أضرار متساوية، وبذلك نتجنّب السير بالتهاون في حياة متساهلة أو نوذي أجسادنا ونضعفها ونجعلها متكاسلة، لأن أرواحنا في كلتا الحالتين ستُحرَم من جهادها الذي تسعى بواسطته لتحصل على المواهب الروحية، لأنها ستكون مُحطّمة ويتسلّط عليها إحساس الألم، وتهبط إلى أوجاع الجسد الضعيف المريض<sup>4</sup>.

❖ أفضل قانون وقاعدة للحياة المنظمة حسنًا هو هذا: أن يكون الإنسان غير مكترث بملاذات الجسد أو آلامه، وأن يتجنّب المغالاة في أي الاتجاهين، فلا يكون الجسد بلا ضابط بالبدانة، ولا أن يكون مريضًا غير قادر على إتمام واجباته. نفس الضرر يصيب النفس من كلا النوعين من المغالاة، عندما لا يوضع الجسد تحت ضابط، فيندفع النشاط الطبيعي بتهوّر ليثير الدوافع المُخجّلة. ومن الجانب الآخر عندما يكون الجسد واهنًا وضعيفًا ومُتبلدًا يكون تحت ضغط الألم. لا تستطيع النفس بجسدٍ حاله هكذا أن ترتفع متطلعة إلى فوق، إنما تتحدر كما في شركة مع مرض جسدها<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> *Regulae brevius tractatae*, 129, 138.

<sup>2</sup> *Regulae brevius tractatae*, 128.

<sup>3</sup> *Regulae fusius tractatae*, 19.

<sup>4</sup> *Basil the Great: Gateway to Paradise*. ترجمة ١٩٩٦.

<sup>5</sup> *An Ascetical Discourse, (Frs. Of the Church, volume 9, p. 211-212)*.

❖ لست أعني بالصوم ترك الطعام الضروري، لأن هذا يؤدي إلى الموت. ولكن أعني ترك المأكل الذي يجلب لنا اللذة ويُسبب تمرد الجسد.

❖ سؤال: إنسان يصوم كثيراً (عن الإخوة) وفي وقت الطعام لا يقدر أن يحتمل الطعام العام مع الآخرين، فماذا يختار: هل يصوم مع الإخوة ويأكل معهم، أم بسبب صومه المُبالغ فيه يطلب طعاماً آخر؟

الإجابة: لا يتوقَّف وقت الصوم على إرادة كل أحد، بل على احتياج وتدبير الذين يسلكون بالتقوى. وذلك كما نتعلم من أعمال الرسل (١٣: ٢ - ٣) ومن داود المختار (مز ٣٥: ١٣). لذلك من يصوم حسب النظام بأمانة، يُحسَب بكل وسيلة أهلاً لنوال قوة لممارسته، "لأن الذي وعد هو أمين" (عب ١٠: ٢٣)¹.

القديس باسيليوس الكبير

## أهمية الصوم

"اعلموا أن الرب يستجيب لصلواتكم، إن واطبتم على الصوم والصلوات أمام الرب" (يهوديت ٤: ١٢).

يرى القديس باسيليوس أن الصوم أوقف لهيب النار المتأجج، وكم أفواه الأسود الضارية، وهو يرفع النفس إلى السماء، كأنما على أجنحة، وهو جمال الشيوخ ومُرْتِي الشباب ورفيق المسافر².

❖ الصوم هو الذي جعل إيليا النبي يشاهد رؤى إلهية. إذ صام مدة أربعين يوماً، وتفتت نفسه واستحق أن يرى الرب على جبل حوريب (١ مل ١٩: ٨ - ٢٣)، الأمر الذي هو صعب الحدوث لأي إنسان. بالصوم أعاد إيليا الحياة إلى ابن الأرملة، فأقامه وسلّمه إليها، إذ بواسطة الصوم برهن أنه أقوى من الموت³.

❖ عندما يُنادى بحملة عسكرية خارج حدود الدولة، يُزوّد الجنود بالاحتياجات الضرورية وليست تلك التي تُثير المتعة. أما من جهتنا نحن الذين نُحارب ضد الأعداء غير المرئيين، فإنه لا يليق

¹ *Regulae brevius tractatae*, 129.

² الأب الياس كويتر المخلصي: القديس باسيليوس الكبير، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، ١٩٨٩، ص ٧٥، عظة عن الصوم.

³ عظة ١ عن الصوم: ٦؛ ص ١٨. ترجمة د. جورج عوض و د. سعيد حكيم. الناشر: المركز الأوثونكسي للدراسات الأبائية بالقاهرة،



بنا بالأكثر أن نُقبل على الأطعمة، بل يجب أن نكتفي الاحتياجات الضرورية، كما لو كنا نتدرب في معسكرات. لأن هدفنا هو الانتصار عليهم، والانتقال إلى الوطن السماوي<sup>١</sup>.

❖ هل من السهل أن ينقذ القائد سفينة تجارية مُحمّلة بأثقال كثيرة أم سفينة، مُحمّلة بأحمال خفيفة؟!

السفينة المُحمّلة بأثقال كثيرة عندما تتعرّض لنوء بحري صغير تغرق بسهولة، أما تلك التي بها أحمال معقولة ومتوازنة، تعبر النوء البحري طالما لا يعوقها شيء عن الارتفاع واجتياز هذا النوء. هكذا أجساد البشر عندما تتنقّل بالتخمة المُستمرّة، تُصاب بسهولة بأمراض كثيرة. وعندما تصير هذه الأجساد مُنضبطة بتناولها أطعمة خفيفة تتجنّب الإصابة بالأمراض حتى تلك التي يُسببها الطقس السيئ، ولا يعترّيها الملل حتى لو كان مثل الدوامة في هجومه. والإنسان الذي له قوة إرادة إيجابية من السهل أن يشعر بالكفاية الذاتية والقناعة أمام ملذّات العالم، بينما عندما يترك الإنسان الضعيف نفسه يتناول أطعمة كثيرة ومتنوعة وفاخرة وشهية، فإنه لا يبلغ حد الكفاية، فيُسبّب لنفسه أنواع أمراض كثيرة<sup>٢</sup>.

**القديس باسيليوس الكبير**

### **بالصوم نقترّب من الله وننعم برويته**

يُمارس الصوم بهدف التوبة والالتصاق بالله. ما يعتز به الراهب في صومه، ليس مدى تقشفه واحتماله للحرمان من الأطعمة، إنما التصاقه بالرب وتمتعه بالشركة معه.

مَنْ مِنْ رجال العهد القديم تَمَتَّع برؤية السيد المسيح في تجلّيه على جبل تابور بعد صومه؟ النبيان موسى وإيليا اللذان وحدهما شاركاه صومه الأربعيني! التقى النبيان الصائمان مع المسيح الصائم على جبل التجلي، وكانا يتكلمان معه (مت ١٧: ٣) عن الأمور العتيدة الخاصة بصلبه وقيامته وصعوده إلى السماء! ونحن بصومنا ندرك شركتنا مع المصلوب القائم من الأموات الصاعد إلى السماوات. مسكين من يصوم ولا ينشغل برؤية الرب والحديث معه، فإنه يُعاني من جوع الجسد والنفس!

كان يمكن لأدم وحواء وكل نسلهما لا أن يعيش الكل في جنة عدن فحسب، بل لو صاموا حسب الوصية الإلهية لتحوّلت الأرض كلها إلى فردوسٍ مُبهج. نقول، لتحوّل كل إنسانٍ إلى فردوسٍ يُقدّم ثمر الروح موضع سرور الله نفسه وملائكته.

❖ اقترب موسى من الجبل بعد أن صام (خر ٢٤: ٨)، إذ لم تكن له الجرأة أن يقترب من قمة الجبل الذي كان يدخن، ولم تكن له الشجاعة أن يأتي إلى الضباب إن لم يتسلّح بسلاح الصوم.

<sup>١</sup> عظة ٢ عن الصوم: ٢؛ ص ٣١. ترجمة د. جورج عوض و د. سعيد حكيم.

<sup>٢</sup> عظتان عن الصوم ١: ٤؛ ص ١٤ - ١٥

لقد قبل موسى الناموس بعد أن صام، ذلك الناموس الذي كُتِبَ على لوحى الشريعة بإصبع الله. وبينما صار الصوم أعلى الجبل سبباً لإعطاء الشريعة، تسببت شرهة شعب أسفل الجبل في الوقوع في عبادة الأصنام، إذ "جلس الشعب للأكل والشراب ثم قاموا للعب" (خر ٣٢: ٦). لقد أفسد إيمان الخمر ما كان ينتظره موسى من صومه وصلاته، لأن النبي رأى أن شعب الله المخمور لم يكن يستحق هذه الشرائع خلال الأربعين يوماً. وهكذا نرى وكأن الخمر قد كسرت لوحى الشريعة اللذين كُتِبَا بإصبع الله. هذا الشعب الذي عرف الله من خلال معجزات عظيمة حدثت له - في لحظة - بسبب الشرهة في عبادة الأصنام. قارن إذن بين الحالتين كيف أن الصوم يقود إلى الله، وكيف أن الشرهة تقود إلى الهلاك<sup>١</sup>.

❖ الصوم هو الذي جعل إيليا النبي يشاهد رؤى إلهية. إذ صام مدة أربعين يوماً وتنتقت نفسه واستحق أن يرى الرب على جبل حوريب (امل ١٩: ٨ - ٢٣)، الأمر الذي هو صعب الحدوث لأي إنسان. بالصوم أعاد إيليا الحياة إلى ابن الأرملة، فأقامه وسلّمه إليها، إذ بواسطة الصوم برهن أنه أقوى من الموت<sup>٢</sup>.

### القديس باسيليوس الكبير

### الصوم وتقديس النفس والجسد

كما يلتزم المؤمن أن يشترك بكل كيانه في ممارسة الصوم، ليس الفم والمعدة وحدهما، وإنما كل الحواس والعواطف أيضاً، بل والإرادة، فيصوم الإنسان عن كل رذيلة وإثم، ويمارس الفضيلة الخاصة بمحبة القريب والمصالحة من أجل السلام الداخلي. يجب أن يبدأ الجهاد ضد الخطية وشهواتها بالصوم، خصوصاً إذا كان الجهاد بسبب خطية داخلية.

كثيراً ما تحدّث آباء الكنيسة في الصوم عن الشرّ مع الصوم عن الطعام، حتى تُفسح المجال لإعلان ملكوت الله فينا بالنعمة الإلهية، حيث ليست شركة بين النور الإلهي وظلمة الشر. الصوم في جوهره هو انحناء الإنسان بكليته أمام روح الله القدوس لكي يُقدّسه. فالله خالق الجسد لا يطلب إهلاكه بل تقديسه. بالصوم يضبط الروح القدوس الجسد ليعمل في تناغم وانسجام مع النفس لحساب بنيان الإنسان ككل ومجده الأبدي. فمع الصوم الجسدي الظاهر يمارس المؤمن صوماً روحياً مقدساً، فيه تتحرر النفس من المفاصد لتتطلق في حرية نحو السماويات.

<sup>١</sup> عظتان عن الصوم ١: ٥؛ ص ١٦-١٧

<sup>٢</sup> عظتان عن الصوم ١: ٦؛ ص ١٨

الصوم نافع للصحة الروحية وأيضاً الجسدية، لذلك يُحذّرنا القديس باسيليوس من امتلاء البطن فنكون ثقيلة، ومن المُبالغة في النوم فيكون ثقيلًا، فمع مضارهما الروحية، يُفسدان الصحة الجسدية.

❖ الصوم الحقيقي هو سجن الرذائل، وأعني ضبط اللسان وإمساك الغضب وقهر الشهوات الدنسة.  
❖ الامتناع عن الأكل فقط هو حط لكرامة الصوم.

المطلوب في الصوم ليس الامتناع بواسطة الفم بل بواسطة العيون والآذان والأيدي وكل الجسم. نصوم بالأيدي بالطهارة والابتعاد عن السرقة، والأرجل بالابتعاد عن المشاهد المُحرّمة؛ والعيون بالامتناع عن النظر إلى أي شيء يغري...

يا ترى، ما معنى أن نقطع عن أكل اللحم، ونحن لا نقطع عن أكل لحم قريبنا بالنميمة والغيبة؟ وما معنى أن نصوم عن الأكل ونحن لا نقطع عن الأفكار الرديئة والزنا والحقد والبغض؟

احذر أن تصوم فقط عن اللحم، وتفكر أن هذا هو ما يُطلب منك. الصوم الحقيقي هو الامتناع عن كل رذيلة: "ابعدوا عن كل إثم" (إش ٨: ٥)، وهو مغفرة كل إساءة للقريب؛ وهو ترك الديون للمحتاجين. لا تصوموا لكي تخاصموا، وتترافعوا لدى المحاكم...

الصوم هو الذي يقود القديسين إلى الحياة مع الله...

الصوم هو جناح الصلاة لترتفع إلى السماء وتخرق إلى عرش الله...

هو عماد البيوت، وحاضن الصحة، ومُعَلِّم الشباب، وزينة الشيوخ، وصديق الأرواح.

لا تستقيم الفضيلة إلا بالنسك، لأن النسك يُلجم الشهوات. والطعام لا ينفع الجاهل هكذا قال سليمان الحكيم. "لا تهتموا لأجسادكم بما تأكلون" هكذا قال السيد أيضًا.

ولست أعني بالصوم ترك الطعام الضروري، لأن هذا يؤدي إلى الموت. ولكن أعني ترك المأكل الذي يجلب لنا اللذة ويُسبب تمرد الجسد.

الصائم الحقيقي هو الذي يتغرب عن كل الآلام الجسدية حتى الطبيعية<sup>١</sup>.

❖ ألا تلاحظ أن لون بشرة الصائم هو جميل وهادئ، فوجه الصائم لا يعتره أي احمرار من الخجل. إنه مزيّن بالحشمة والأدب، عيناه وديعتان، تصرفاته حكيمة، وجهه مشرق، ابتسامته رزينة، كلامه موزون، قلبه ظاهر ونقي<sup>٢</sup>.

❖ نبدأ بالاعتراف للرب بريابة أي بتنظيم تصرفاتنا الجسدية...

<sup>١</sup> راجع الأب الياس كويتر المخلصي: القديس باسيليوس الكبير، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، ١٩٨٩، ص ٢٩٠  
<sup>٢</sup> عظة ١ عن الصوم: ٩؛ ص ٢٣. ترجمة د. جورج عوض و د. سعيد حكيم. الناشر: المركز الأرثوذكسي للدراسات الأبائية بالقاهرة،

إن الذي أخطأ في جسده يلتزم باستعمال الجسد في التعويض والتكفير.  
عندما قَدَّمنا أعضاءنا أداة للخطية لنفعل الشر، ينبغي أن يعترف جسدنا بالخطأ باستعمال  
نفس الأداة لمحو الخطية (رو ٦ : ١٩).

إنك جدَّفت، فعليك أن تُسبِّح الله بفمك.

هل شتمت أحداً؟ قل عنه خيراً.

هل أسأت استخدام سلطانك؟ رد ما أخذت.

إنك سرقت، فعليك أن تعوّض بالحسنات.

إنك شربت المُسكر فعليك أن تصوم.

إنك تكبَّرت فعليك أن تتواضع.

هل رفضت أن تأخذ من أجل كرامتك؟ اسأل.

إنك حسدت الغير، فعليك أن تُصَلِّي من أجل من حسدته.

ربّما قتلت، فعليك أن تتحمَّل ألم الاستشهاد، وأن تُرهق جسدك بالإماتة<sup>١</sup>.

❖ لا تحصر الصوم في الابتعاد فقط عن الأطعمة. لأن الصوم الحقيقي هو الابتعاد عن الشرور  
"أن تحلَّ قيود الظلم" (إش ٦٣ : ٦).

فإن كنت في الصوم لا تأكل لحومًا، لكن مع الأسف تأكل لحم أخيك.

وإن كنت لا تشرب خمرًا، لكنك لا تستطيع أن تضبط لسانك عن الشتائم.

وبالرغم من أنك تنتظر حتى المساء لكي تتناول الطعام، إلا أنك تقضي كل نهارك في

المحاكم "ويل لإكليل فخر سكارى أفرام وللزهر الذابل جمال بهائه الذي على رأس وادي سمائن

المضروبين بالخمير" (إش ٢٨ : ١)<sup>٢</sup>.

❖ كل ما ابتدعه الإنسان بفكره فيما بعد لم يكن موجودًا في الفردوس. فلم يكن شرب الخمر موجودًا

بتاتًا، ولم تكن هناك ذبائح حيوانية ولا كل ما يُكَدِّر الذهن البشري<sup>٣</sup>.

❖ النفس التي تلوّثت بالسُّكْرِ، لا يسكن فيها الصوم والصلاة. إن السيد الرب يقبل في شركته ذاك

الذي يصوم، بينما لا يقبل في شركته الدنس والنجس والمُدمِن. فلو أنك أتيت غدًا ورائحة الخمر

تفوح منك، كيف أحسبك صائمًا، وأنت في هذه الحالة من السُّكْرِ الشديد؟ ولا تُقيم حساباتك على

<sup>١</sup> الأب الياس كويتر المخلصي: القديس باسيليوس الكبير، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، ١٩٨٩، ص ٧٠ On Ps. 33.

<sup>٢</sup> عظتان عن الصوم ١ : ١٠؛ ص ٢٥ - ٢٦

<sup>٣</sup> عظتان عن الصوم ١ : ٣، ص ١٤



أنك مؤخرًا لم تشرب خمراً بصورة كبيرة، لكن التقييم الحقيقي هو أنك لم تنتق من إدمان الخمر بعد. في أي وضع يمكن أن أصنّفك؟ هل أضعك ضمن السكارى، أم من ضمن الصائمين؟<sup>١</sup>

❖ هكذا نوح لم يكن قد رأى أحدًا يشرب الخمر، ولا هو نفسه قد ذاق الخمر ثم وقع في إدمانه، إذ يقول الكتاب "وأبتدأ نوح يكون فلاحًا وغرس كرمًا. وشرب من الخمر، فسكر وتعرّى داخل خبائه" (تك ٩ : ٢٠-٢١). وحدث ذلك الأمر لا لأن نوح كان مُدمِنًا خمراً، لكن لأنه لم يكن يعرف الكمية المُعتدلة في الشرب. بالتالي جاء اكتشاف شرب الخمر وإدمانه بعد الطرد من الفردوس أي أن الإنسان كان قد مارس الصوم في الفردوس<sup>٢</sup>.

❖ الصوم الحقيقي هو في الابتعاد عن الشر، وفي عفة الكلمة، وفي البُعد عن الغضب، وفي الانفصال عن الشهوة وعن التجديف وعن الكذب وعن حلف الزور. البُعد عن كل هذه الأمور هو الصوم الحقيقي<sup>٣</sup>.

❖ كما أنه ليس من الحكمة في شيء أن تكون البطن مملوءة وثقيلة، ليس لأن هذا غير مفيد في حالة السير فقط، بل ولا في حالة النوم أيضاً، لأن المِعْدَة وهي متخمة لا يمكنها أن تهدأ، لكنك تضطر أن تتقلب مرة إلى هذه الناحية، ومرة إلى الناحية الأخرى<sup>٤</sup>.

❖ هذا الصوم يقبله الفقراء والساكنون معكم فيكونون شركاء المائدة الواحدة. إنه للعبيد راحة من عناء العمل، وهو للأغنياء شفاء من ضرر النهم. وفي هذا الإطار، فإن الصوم يجعل الأمور التي كانت محتقرة قبلاً، أكثر مُتعة.

والصوم هو مصدر الصحة، وللأصحاء هو حفظ للصحة الجيدة. لتسأل الأطباء فسُجيبونك أن أكثر الأشياء خطراً على صحة الإنسان هو امتلاء الجسم. من أجل هذا فإن الذين هم أكثر خبرة بالصوم، يتخلّصون من الدهون الزائدة حتى لا تُسحق عافيتهم تحت ثقل الجسم الممتلئ. لأن الحرمان من بعض الأطعمة عن قصد، يؤدي إلى اختفاء الترهّل الناتج عن زيادة الوزن، ويمنح غذاءً صحياً مريحاً ونسكياً، وهكذا في كل عملٍ وكل عادةٍ جسديّة يكون الصوم هو أمر مفيد وهو مُناسب لكل الأشياء الأخرى.

<sup>١</sup> عظتان عن الصوم ٢ : ٤، ص ٣٣.

<sup>٢</sup> عظتان عن الصوم ١ : ٥، ص ١٦.

<sup>٣</sup> عظتان عن الصوم ٢ : ٧، ص ٣٩.

<sup>٤</sup> عظتان عن الصوم ٢ : ٤، ص ٤٣.

هو لائق في البيوت وفي السوق، وهو مناسب في الليل وفي النهار، في المدينة والصحراء. إذا فلنُقْبِلَ على الصوم بكل الطرق، فهو الذي يمنحنا كل الخيرات. لنُقْبَلْه بالفرح وفقًا لكلمة الله لكي لا نَظْهَر عابسين، بل نُظْهَر فرح النفس بدون تكلف (انظر مت ٦: ٦ - ١٧) <sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## الصوم طريق للسلام الداخلي

يربط القديس باسيليوس بين الرذائل وبعضها البعض، وأيضًا الفضائل وبعضها البعض. فالتراخي أو الإهمال في خطية يسحب الإنسان إلى سلسلة من الخطايا؛ والتمتع بفضيلة يفتح الباب لاختبار عذوبة الفضائل الأخرى. فمن ينعم بفرح الروح يتمتع بالسلام الداخلي، وتجد العفة لها موضعًا في أعماقه وهكذا.

كثيرًا ما يؤكد القديس أن الالتصاق بالمسيح فضيلتنا، يُقَدِّم لنا برّه عاملًا فينا بلا انقطاع!

❖ من الواضح أن الصوم يُعَلِّم الجميع ليس فقط العفة، لكن أيضًا الرحيل الكامل والتغرُّب عن البخل والطمع وعن كل شرٍ. فلو أننا ازدرينا بهذه الأمور، لن يكون هناك شيء يمكن أن يعوقنا عن أن نتمتع بسلام عميق ونفسٍ مهلوءة بالهدوء <sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## الصوم طريق النصر على الشيطان

معركتنا الوحيدة هي مع ذلك الذي لا يأكل قط، إبليس. ومع هذا فشتان ما بين عدم تناوله أي طعام مطلقًا كأمر طبيعي لأنه روح بلا جسد، وبين صومنا إلى حين، نحن الذين لنا أجساد تحتاج إلى طعام. أصوامنا خلال غنى نعمة الله الفائقة تتحدّى عدو الخير وكل جنوده. يَشْتَمُّ الله أصوامنا رائحة سرور، فنحمل إلهنا القدير؛ به نتحدّى عدو الخير ونُحَطِّمُه.

في التجربة على الجبل وسط البرية، كان مسيحنًا قائد المعركة صائمًا، حتى نتشبه نحن به كجنود صالحين له. فلا يليق بنا ونحن تحت قيادة ذلك الذي لا يحتاج إلى الصوم يُمارس الصوم عنا ونحن لا نبالي بالصوم. لقد صام وجاه، ولم يشته أن يُحوَّل الحجارة إلى خبزٍ يأكله، مع أنه القدير، يستطيع ذلك إن أراد. إنه النموذج الرائع كقائدٍ لنا، يُدَرِّبنا أثناء أصوامنا أن نُركِّز أنظارنا على قائدنا الصائم مُحَطَّم إبليس ومملكته.

عرف الآباء أن فترات الصوم الكنسية هي أكثر فترات الحروب الشيطانية. لكنهم بفكرهم الروحي الصادق يُعلِّلون ذلك كعلامة رُشَب الشياطين من الصائمين الحقيقيين.

<sup>١</sup> عظتان عن الصوم ٢: ٧، ص ٣٧ - ٣٨.

<sup>٢</sup> عظتان عن الصوم ٢: ٥، ص ٣٦.

❖ أساس كل شيء هو ربنا يسوع المسيح الذي صام، إذ اتَّخَذَ جَسَدًا لأجلنا، وانتصر على الشيطان، لكي يُعَلِّمَنَا أنه بالصوم نُجَهِّزُ أنفسنا لمواجهة محاربات الشيطان، كأنك تضع لجامًا لخصمك. لأنك عندما تسمو بالصوم لا يستطيع العدو أن يقترب منك<sup>١</sup>.

❖ ماذا أريد أن أقول أيها الإخوة؟ إن أولئك الذين يدرسون الأمور الخاصة برياضة المصارعة التي تُمارَس في حلبة المصارعة، يعرفون أنه أمر طبيعي إذا حدث إسراف في الطعام، فسيزداد وزن الرياضيين، حتى أنه يصعب عليهم المشاركة في المباريات. لكن أنتم لا تُصارعون مع لحمٍ ودمٍ، بل "مع الرؤساء. مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية في السماويات" (أف ٦: ١٢). من الضروري إذاً ممارسة الصوم وضبط النفس في هذه الحرب، لأن الدسم يُزيد وزن مَنْ يُجاهِد، بينما الصوم يُقَوِّي الإنسان التقي. حتى أنه على قدر ما يفقد الجسد هذه الزيادة، على قدر ما تُشرق النفس بالبهاء الروحي. لأن الانتصار على الأعداء غير المرئيين لا يتحقَّق بالإمكانات الجسدية، لكن بإصرار النفس وصبرها على الضيقات<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## الصوم يَعَلِّمُ الوحوش

إذ تدرب دانيال وأصدقاؤه الثلاثة فتية القديسين على الصوم، اكتشفوا فاعليته في حينه، فمارست الأسود الصوم، عندما أُلقي دانيال بينها، فلم تشته أن تلتهمه بالرغم من حرمانها من الطعام أيامًا. تُرى هل تغيَّرت طبيعة الأسود، فلم تفترس دانيال؟ أم تغيَّرت طبيعة دانيال، فرأته ليس لحمًا ودمًا تشتهى افتراسه، إنما صخرة قوية أو معدنًا صلبًا لا تقوى أسنانها عليه؟! ما حدث مع دانيال الصائم حين أُلقي وسط الوحوش حدث مع أصدقاؤه حين ألقوا في أتون النار. يا لقوة الصوم وفاعليته!؟

❖ دانيال الرجل الذي لم يأكل خبزًا لمدة ثلاثة أسابيع ولم يشرب ماءً (انظر دا ١٠: ٢-٣)، عَلمَ الأسود أن تصوم، عندما نزل جُب الأسود (انظر دا ٦: ١٦-٢٢). لم تستطع الأسود أن تلتهمه بأسنانها، وكان جسده مصنوع من الحجر الصلب أو النحاس أو من أي معدنٍ آخر صلب. هكذا يُقَوِّي الصوم الجسد ليصير مثل الحديد مما جعل الأسود لا تقوى عليه. لأنها لم تستطع أن تفتح أفواهها أمام القديس. فالصوم "أطفأ قوة النار، وسدَّ أفواه الأسود"<sup>٣</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>١</sup> عظتان عن الصوم ١: ٩؛ ص ٢٣.

<sup>٢</sup> عظتان عن الصوم ٢: ١؛ ص ٢٩-٣٠.

<sup>٣</sup> عظتان عن الصوم ١: ٧؛ ص ٢٠.

## التخلُّص من شهوة الطعام أو النهيم

يرى القديس باسيليوس الكبير في الصوم فرصة للامتناع عن الأطعمة، فمتى انتهت فترة الصوم نشعر ببهجة في الطعام، لا بالانغماس فيه والمبالغة، وإنما بالشعور ببركة الطعام.

❖ إذا أردت أن تستمتع بالطعام عليك أن تمارس الصوم. عليك أن ترى الشيء ونقيضه حتى تشعر بنعمة الشيء الذي تحصل عليه. هكذا الخالق قصد أن توجد أمور متنوعة في الحياة لكي نشعر ونُقَدِّر الأشياء التي أعطيت لنا.

ألم تر كيف تبدو الشمس أكثر لمعاناً بعد الليل المُظلم؟  
ألا تشعر بأن اليقظة حلوة بعد النوم الطويل، وأن قيمة الصحة عظيمة بعد اجتياز أزمات صحية؟

هكذا تصير المائدة أكثر بهجة بعد الصوم<sup>١</sup>.

❖ من هم الذين سقطوا في الصحراء أثناء ترحال شعب الله إلى أرض الموعد (عب ٣ : ١٧)؟ أليسوا هم هؤلاء الذين طلبوا أكل اللحم (عد ١١ : ٣٣)؟ هؤلاء البشر لم يكتفوا بالمنّ ولا بالماء الذي خرج من الصخرة، وكانوا بالأمر قد انتصروا على المصريين وعبروا البحر الأحمر. لكن بسبب أنهم اشتهوا اللحم المطبوخ في الأواني (انظر خر ١٦ : ٣)، تقهقروا إلى الخلف، ولم يرَ أحد منهم أرض الموعد.

هل لا تخاف من تكرار هذا النموذج؟

هل لا ترتعب من حقيقة أن الانسياق وراء الأكل ربما يحرمك من الخيرات المنتظرة؟  
أستطيع أن أقول لك إنه ولا الحكيم دانيال النبي كان سيرى رؤى إن لم يكن قد تطهّر أولاً بالصوم.

لا أخفي عليك أن الأكل الدسم تتبعث منه أدخنة تعتمّ أنوار العقل التي تأتي من الروح القدس.

يوجد غذاء ملائكي كما يقول النبي "أكل الإنسان خبز الملائكة" (مز ٧٨ : ٢٥). غذاء الملائكة مُختلف عن بقية الأطعمة، فهو ليس لحم ولا خمر ولا طعام يهتم به عبيد البطن<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>١</sup> عظتان عن الصوم ١ : ٨؛ ص ٢١، ٢٢.

<sup>٢</sup> عظتان عن الصوم ١ : ٩؛ ص ٢٥.



## كيف نمارس الصوم؟

١ . الصوم والصلاة مع الشبع بكلمة الله والتناول من الأسرار الإلهية  
بفكرٍ كتابيٍّ حيٍّ يربط آباء الكنيسة الصوم بالصلاة والتأمل في كلمة الله والمطانيات والعتاء  
مع التناول من الأسرار المقدسة (جسد الرب ودمه والمبذولين من أجلنا). فالصوم في حقيقته جزء لا  
ينجزُّ من العبادة بالروح والحق.

يُشَبَّه القديس مار اسحق السرياني الصوم بالجمر المُتَّقَد إن لم يُوضَع عليه بخور الصلاة  
يُصدِر دخانًا خانقًا عوض رائحة البخور الزكية.

❖ يُصعد الصوم الصلاة إلى السماء، كما لو كانت ريشة تطير نحو الأعالي.  
الصوم هو سبب رُقِيّ الشعوب وتَقَدُّمها، الصوم أصل الصحة، الصوم مُرَبِّي للشباب وزينة  
الشيخ، والرفيق الصالح للمسافرين.

الصوم هو خيمة آمنة للذين يطلبون مأوى. فالرجل المتزوج لا يشكّ في زوجته عندما يراها  
تصوم دائمًا. بالمثل فالمرأة تثق في رجلها ولا تدع الغيرة تتملكها عندما تراه يصوم دائمًا<sup>١</sup>.

❖ نترجّى ألا يأتي إلينا الصوم الذي هدّد به الله اليهود "هوذا أيام تأتي يقول السيد الرب أرسل  
جوعًا في الأرض، لا جوع للخبز ولا عطشًا للماء، بل لاستماع كلمات الرب" (عا ٨ : ١١). وقد  
أثار هذا الجوع، الديان العادل، لأنه رأى أن الإيمان الحقيقي في أذهان هؤلاء يتلوّث بأمورٍ  
هزيلة، وأن الإنسان الخارجي يزداد وزنه بصورة مُلْفِتة للنظر، ويصير كله جسم ضخم.  
إذا كل الأيام القادمة سيقدّم لنا الروح القدس وجبة روحية مُفْرِحة في الصباح والمساء. لذلك  
لا ينبغي أن يتغيّب أحد بإرادته عن هذه البركة الروحية.

فلنتناول جميعًا من الكأس الروحي النقي والذي قَدَّمته لنا الحكمة، بعدما فرحنا معًا، لكي  
ينهل منه كل أحدٍ على قدر ما يستطيع. لأن الحكمة "ذبحت ذبحها، مزجت خمرها"  
(أم ٩ : ٢). أي أنه هذا هو طعام الكاملين الذين "بسبب التمرن، قد صارت لهم الحواس مُدْرَبَةً  
على التمييز بين الخير والشر" (عب ٥ : ١٤).

إن الغنى يتحقّق بهذا، طالما أننا قد شبعنا به، وبإلينا نكون مستحقين لشركة الفرح، ونُحسَب  
ضمن قائمة العُرسِ في شركة يسوع المسيح ربنا الذي له المجد والقوة إلى الأبد، آمين<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

عظتان عن الصوم ١ : ٧؛ ص ٢٠  
عظتان عن الصوم ٢ : ٨، ص ٣٩-٤٠

## ٢. الصوم بدون رياء

يوصينا ربنا يسوع: "وأما أنتِ سمّتي صمت، فادهن رأسك، واغسل وجهك، لكي لا تظهر للناس صائماً، بل لأبيك الذي في الخفاء، فأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية" (مت ٦: ١٧-١٨).

❖ لا تضع قناعاً على وجهك، بل عشر على حقيقتك.

لا تتملق وتظهر بوجهٍ عابسٍ، لتفتنص مجداً ليس لك.

فبالإحسان الذي تفعله علناً، وبالصوم الذي لا تتوانى في إعلانه جهازاً، لن تستفيد شيئاً، لأن أمور النفاق والتملق التي تُمارسها بطريقة ظاهرة لا تأتي بثمارٍ للحياة الأبدية، فأنت تُفسد الثمار بقبولك لمديح الناس.

أسرع إذا بفرحٍ إلى نعمة الصوم. فالصوم هو عطية وهبت لنا منذ القدم وهو لا يُهزم ولا يشيخ. بل يتجدد دائماً، وينمو ويزهو لكي يأتي بثمارٍ ناضجة<sup>١</sup>.

❖ سؤال: يقول السيد المسيح: "أما أنتِ فمتى صمت، فادهن رأسك واغسل وجهك، لكي لا تظهر للناس صائماً، بل لأبيك الذي في الخفاء" (مت ٦: ١٧). الآن ماذا يجب أن يفعل الإنسان إذا أراد أن يصوم لسبب ما حسب مسرة الله، كما كان يمارس القديسون الصوم، بينما بدون إرادته، يظهر أنه صائم هكذا؟

الإجابة: تشير هذه الوصية إلى المتمسكين بالقيام بوصية الرب حتى يراهم الناس، حتى يستطيعوا معالجة هوى كسب استحسان الناس. ولكن إن تمت وصية الرب هذه لتمجيد الله، من غير اللائق أن يُخفى ذلك عن مُحبِّي الله. يُبيِّن الرب هذا عندما قال: "أنتم نور العالم. لا يمكن أن تُخفى مدينة موضوعة على جبل، ولا يُوقدون سراجاً ويضعونه تحت المكيال..." (مت ٥: ١٤-١٥)<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>١</sup> عظتان عن الصوم ١: ٢، ص ١٢-١٣

<sup>٢</sup> *Regulae brevius tractatae*, 223.

❖ سؤال: حينما نكون في حاجة إلى صوم لنُحَقِّق إحدى متطلبات التقوى، كيف يلزمنا أن نصوم، هل بالضغط إم إراديًّا؟

الإجابة: إذ يقول الرب: "طوبى للجياع والعطاش إلى البرِّ" (مت ٥ : ٦)، فإن كل ما يُفَعَل لأجل التقوى يحمل خطرًا ما لم يُفَعَل ذلك برغبةٍ وغيرَةٍ. لذلك يجب أن يرتبط الصوم بالغيرة. ولهذا من يصوم وهو مُكْرَه لا يفعل هذا هكذا بدون خطر<sup>١</sup>.

❖ سؤال: هل حسن أن يُقَرَّر إنسان لنفسه وقتًا مُعَيَّنًا للصوم الانقطاعي عن هذا الطعام أو الشراب أو ذاك؟

الإجابة: أي حُكْم يصدر عن إرادة الشخص الذاتية في مثل هذه الأمور يعارض لقول الرب: "نزلتُ ليس لأعمل مشيئتي، بل مشيئة الذي أرسلني" (يو ٦ : ٣٨). عرف داود ذلك عندما قال: "حلفت فقررت أن أحفظ أحكام برك" (مز ١١٩ : ١٠٦)، وليس رغباتي الخاصة<sup>٢</sup>.

❖ سؤال: هل من الصواب لأي أحدٍ في الجماعة أن يُسَمَح له أن يصوم أو يسهر أكثر من الآخرين، حسب إرادته الخاصة؟

الإجابة: قال الرب: "نزلتُ من السماء، ليس لأعمل مشيئتي، بل مشيئة الذي أرسلني" (يو ٦ : ٣٨). لذلك كل ما يفعله أحد حسب مشيئته يُنْتَسَب للفاعل ويكون غريبًا عن التقوى. الخوف إن مثل هذا الشخص يسمع من الله بالنسبة لما يظن أنه قد تَمَّه: "إليك تعود، وأنت تسود عليها" (راجع تك ٤ : ٧).

علاوة على هذا، فإن الرغبة في أن تفعل أكثر بالمقارنة بالآخرين، حتى في الأمور الصالحة، هذه في ذاتها هوى المجادلة ينبعث عن المجد الباطل، الذي يمنعه الرسول بوضوح بقوله: "لأننا لا نجترئ أن نُعَدَّ أنفسنا بين قوم من الذين يمدحون أنفسهم، ولا أن نقابل أنفسنا بهم" (٢ كو ١٠ : ١٢).

لذلك من الضروري أن نستبعد رغباتنا الخاصة ورغبة الظهور بأننا نفعل أي شيء يفوق ما يفعله الآخرون، وهكذا نطيع الرسول الذي يحثنا، قائلاً: "فإذا كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئًا، فافعلوا كل شيءٍ لمجد الله" (١ كو ١٠ : ٣١). لأن المجادلة والمجد الباطل وإرضاء الذات هذه معًا غريبة عن الذين يُجاهدون قانونيًا جهادًا حسنًا (٢ تي ٢ : ٥؛ ١ تي ٦ : ١٢). لذلك يُقَال: "لا نكن مُعجبين" (غل ٥ : ٢٦)، وفي موضع آخر: "إن كان أحد يُظهر أنه يحب

<sup>١</sup> *Regulae brevius tractatae*, 130.

<sup>٢</sup> *Regulae brevius tractatae*, 137.

الخصام، فليس لنا نحن عادة مثل هذه، ولا كنائس الله" (١ كو ١١ : ١٦)، وأيضًا في موضع آخر: "لا نرضي أنفسنا" (رو ١٥ : ١) حيث يضيف لكي يجعلنا أن نخجل بالأكثر: "لأن المسيح أيضًا لم يُرضِ نفسه" (رو ١٥ : ٣).

لكن إن شعر أحد أنه محتاج أن يفعل أكثر سواء بخصوص الصوم أو حفظ السهر أو شيء آخر، فليعرض اقتراحه على المؤمنين على الرعاية العامة، ويرتبط بقرارهم. فإنه غالبًا ما توجد حاجة لإشباع احتياجه بطريق آخر أكثر فاعلية<sup>١</sup>.

❖ سؤال: متى طال صومنا، قد نصير ضعفاء على ممارسة عملنا، فما هو الأفضل أن نفعله: نوقف عملنا من أجل الصوم، أم نهمل في صومنا من أجل العمل؟

الإجابة: يجب ممارسة الصوم والأكل في الطريق اللائق بالتقوى، حتى إذ يلزمنا أن نتم وصية الله خلال الصوم، فنصوم، وأيضًا أن نتم وصية الله خلال الطعام فلتقوية الجسم نأكل، لا كنهمين، إنما كعاملين لله. إذ يلزمنا أن نحفظ قول الرسول: "فإذا كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئًا، فافعلوا كل شيءٍ لمجد الله" (١ كو ١٠ : ٣١)<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>١</sup> *Regulae brevius tractatae*, 138.

<sup>٢</sup> *Regulae brevius tractatae*, 139.



## الحياة الرهبانية والتقدمة المقبولة

عظة ١٣ على المزمور ٢٩ (مزمور ٢٨ السبعينية)<sup>١</sup>

### التقدمة المقبولة

عندما نتحدث عن التقدمة للرب نتصور المؤمن في محبته لله لإخوته يُقدّم البكور والذور والعشور وكل عطايا، ويفتح مخازنه ليعطي الفقراء والمساكين أو يشارك المتألمين آلامهم عملياً من مرضى أو مسجونين أو مظلومين. هذه التدمات التي يأتي بها المؤمن للرب سواء في بيت الرب أو لدى إخوته لها تقديرها الخاص في نظر الرب نفسه. لكن ربما يتساءل أحد: كيف يفتح قلبي بالحب لله والناس لأقدم بفرح وتهليل تقدمه مقبولة لدى الرب، يشتتمها رائحة رضى.

جاءت عظة القديس باسيليوس عن المزمور التاسع والعشرين (مز ٢٨ LXX) تكشف عن منهج روحي كتابي عملي مُبهِج، يملأ النفس رجاءً! حيث يُقدّم لنا إجابة عملية لتساؤل المؤمن، سواء كان راهباً أو كاهناً أو من الشعب عن كيف نُقدّم للرب تقدمه مقبولة ومرضية أمامه.

يفتح القديس باسيليوس عظته بالتعليق على عنوان المزمور في الترجمة السبعينية "مزمور داود عند الانتهاء من الخيمة"، يتساءل:

١. ماذا يقصد المرثل بكلمة الانتهاء *finishing*؟

٢. ماذا تعني الخيمة؟

٣. ماذا يطلب المرثل من الكهنة واللاويين للاستعداد للخدمة في الخيمة؟

٤. بماذا يلتزمون في اجتماعهم معاً في اليوم التالي من خروجهم من الخيمة؟

مثل هذه الأسئلة كانت في قلب القديس باسيليوس المُلتهب غيرة، حيث يشاقق أن يُقدّم كل المؤمنين للرب ما يدعونا إليه القديس بولس: "فأطلب إليكم أيها الإخوة برأفة الله أن تُقدّموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله، عبادتكم العقلية" (رو ١٢: ١).

### المفهوم الحرفي للمزمور والمفهوم الروحي

يفتح القديس عظته بالمقارنة بين المفهوم التاريخي أو الحرفي للمزمور الذي يُناسب الذين هم تحت الناموس، والمفهوم الروحي (أو الرمزي) له والذي يُناسب الذين في عهد النعمة.

<sup>١</sup> Homily 13 (On Psalm 28) A Psalm of David at the Finishing of the Tabernacle.

❖ للمزمور الثامن والعشرون (حسب الترجمة السبعينية) عنوان عام، جاء فيه "مزمور لداود"، وله عنوان خاص أيضاً، ما هو؟ "عند الانتهاء من الخيمة". لنذكر ما هي الخيمة، حتى نستطيع أن نتأمل في معنى المزمور.

بالنسبة للجانب التاريخي يبدو أن الأمر صدر للكهنة واللاويين الذين كرسوا أنفسهم للعمل أن يدركوا ما يلزمهم أن يعدّوه للخدمة الإلهية. علاوة على هذا فإن الكتاب المقدس يعلن بطريقة مهيبه للذين يخرجون من الخيمة ما يليق بهم أن يعدّوه في اجتماعهم في اليوم التالي، أعني تقديم أبناء الكباش، تقديم المجد والكرامة، تقديم للرب مجداً لاسمه، أيضاً يعلن أنه لا يُقام موضع للعبادة إلا في دار الرب، في دار قدسه (مز ٢٩: ١-٢).

أما بالنسبة لفكرنا (الروحي) الذي يتأمل في سمو ويتعرّف على الناموس بمعنى سام يليق بالكتاب الإلهي، هذا يحدث معنا. فالكبش لا يعني الذكر بين الغنم، ولا الخيمة معناها مبنى قائم من مواد جامدة، ولا الخروج من لحيمة يعني رحيلاً من الهيكل. إنما الخيمة بالنسبة لنا هي هذا الجسد، كما علّمنا الرسول بقوله: "نحن الذين في الخيمة نئن" (٢ كو ٥: ٤). مرة أخرى في المزمور: "لا تدنو ضربة من خيمتك" (مز ٩١: ١٠).

الانتهاء من الخيمة هو الرحيل من هذه الحياة، هذا الذي يأمرنا الكتاب المقدس أن نستعد له، مُقدّمين هذا للرب، حيث أن جهادنا هنا هو قوتنا (زادنا) للحياة العتيدة. وأن من يُقدّم مجداً وكرامة للرب خلال أعماله الصالحة يكثر لنفسه مجداً وكرامة حسب مكافأة الديان العادلة<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## أولاً: الانتهاء من الخيمة Finishing the Tabernacle

واضح من عظة القديس باسيليوس أن هذا العنوان يُقصد به توجيهات من داود النبي والملك إلى الكهنة واللاويين وهم خارجون من نوبة خدمتهم في بيت الرب، أو في اليوم التالي لذلك، وقد قدّم المرتل هذا المزمور كسند لهم في تقييمهم هذا. يطلب منهم أن يضعوا أمام أعينهم أنهم في انتهاء نوبتهم وخروجهم من خيمة الاجتماع، يكونون قد مجدّوا الرب وكرمّوه ومجدّوا اسمه، فيرد لهم الرب هذا المجد وهذه الكرامة حين يجتمعون معاً في اليوم التالي من نهاية نوبتهم.

هذا المفهوم التاريخي أو الحرفي لعنوان المزمور، يمس حياتنا وعبادتنا، فيليق بنا ونحن بعد في هذا العالم في الجسد كما في الخيمة، أن نذكر خروجنا من الجسد، أو الانتهاء من الحياة

<sup>1</sup> Homily 13 (On Psalm 28) A Psalm of David at the Finishing of the Tabernacle, 1.

إرمنية، وأن يكون مُحَصِّلَةً حياتنا هو تمجيد الله وتكريمه، فيرد لنا الرب في الحياة العتيدة هذا الجسد وهذه الكرامة، حيث نَتَمَتَّعُ معًا ككنيسة المسيح. الله لا يحتاج إلى تمجيدنا وتسبيحنا وعبادتنا وخدمتنا، إنما يدعونا أن نُقَدِّمَ هذا كما في مَخْزَنِ سماوي ننعيم به شركة أمجاد أبدية.

التقدمة المقبولة التي يُسَرُّ الله بها هي تلك التي ترتفع ونحن بعد في الجسد لتصير لنا رصيد مجد وكرامة يوم لقائنا معه أبدياً.

### ثانياً: التقدمة عظيمة ومُقَدِّمها عظيم

خلال عنوان المزمور يدعونا القديس باسيليوس أن نضع نصب أعيننا يوم رحيلنا أو خروجنا من خيمة جسدنا، فنُقَدِّمُ لله المجد والكرامة على مستوى سماوي. الآن يبدأ الحديث في صُلبِ المزمور بدعوتنا للتعرف على حقيقة مركزنا الجديد خلال نعمة الله الفائقة. فإننا لا نستطيع أن نُقَدِّمَ للقدوس تقدمة يتقبلها منا ويُسَرُّ بها ما لم نُدرك أنه وهبنا التَّبَنِّيَ له. فالعبد مهما قَدَّمَ من إكرام لسيد، لا تُقَارَنُ تقدمته بتلك التي يُقَدِّمها الابن لأبيه. لذا يفتح المزمور بالدعوة: "قَدِّمُوا للرب يا أبناء الله" (مز ٢٩ : ١). إن كُنَّا أبناء كباش، فقد صرنا أبناء قطيع المسيح، نحمل رائحة المسيح بعمل الروح القدس. فتجديدنا اليومي المُسْتَمِرُّ هو موضع سرور الرب.

يليق بالمؤمن أن يُدرك عظمة مركزه ويعتزُّ ببِنُوته للآبِ السماوي ويسلك كابن الله، فيُسَرُّ الله بكل تقدمة تُصَدَّرُ عن أبنائه. لا يطلب الله تقدمات مادية، بل تقدمة الحُبِّ البنوي لأبيهم السماوي. قدموا أنفسكم أبناء لله السماوي. يدعونا المزمور أن نعتزُّ ببِنُوتنا لله، فبدالة البنين نُقَدِّمُ إلى أبينا السماوي تقدمة مقبولة بقلبٍ نقي. دعانا السيد المسيح أن نفتح صلواتنا بقولنا "أبانا الذي في السموات".

❖ في كثير من النسخ جاءت الكلمات: "قَدِّمُوا للرب يا أبناء الله" (مز ٢٩ : ١). ولما كانت ليست تقدمة كل أحدٍ مقبولة لدى الله، بل فقط تلك التي تُقَدِّمُ بقلبٍ طاهر، إذ يقول الكتاب: "تذور (الزانية المجاهرة بزناها) المأجورة دنسة" (راجع أم ١٩ : ١٣ LXX). مرة أخرى يقول إرميا: "أليست نذورك والجسد المقدس قد عبر عنك بجرائمك، فهل تُحَسِّبُين طاهرة بسبب هذا؟ (انظر إر ١٩ : ١٣ LXX). لذلك يُطالِبُنا المزمور أن نكون أبناء الله، وعندئذ نحمل تقدماتنا لله، وليست أية تقدمات، بل ما يُحَدِّدُها الله نفسه. لتقل أولاً "أبانا"، وبعد ذلك اسأل لنفسك ما تريد.

اختبر نفسك ما نوع الحياة التي تُقَدِّمها، هل يليق بك أن تدعو الله القدوس أباك. خلال القداسة ترتبط بالله القدوس. إن أردت أن تكون على الدوام ابن القدوس لتتبناك القداسة كابن. لهذا قَدِّمُوا للرب، ليس أياً كانت أشخاصكم، بل يا من أنتم أبناء الله.



ربما تتأكد أنه يطلب تقدمات عظيمة، لذلك يختار أناسًا عظماء ليقدّموها. لكي لا يجعل أفكارك تنحط إلى الأرض، يطلب منك كبشًا، ليس حيوانًا أعجم، حيوانًا يمامي، فتظن أنك تسترضي الله بذبح الكبش، إذ يقول: "قدموا للرب يا أبناء الرب"...  
إن كان الابن عظيمًا، فيليق بالتقدمة أن تكون عظيمة، وتليق أن ترتبط بالابن، وبكرامة الأب. إنه يقول: "قدموا أبناء الكباش"، حتى عندما تُقدّم بواسطتكم تتحوّل من كونها أبناء كباش إلى أبناء الله<sup>١</sup>.

❖ الكبش هو حيوان قادر على القيادة، يقود الغنم إلى المراعي المنعشة والمياه النقية، ويعود بهم إلى الحظائر والمزارع. مثل هؤلاء هم الذين يُقامون على قطع المسيح، حيث يقودونه إلى قوت التعاليم الروحية المزهرة العطرة، ويسقونه من المياه الحية، عطية الروح القدس.  
يُقيمونه إلى العلى، ويقوتونه بالثمر، ويقودونه إلى الراحة والأمان من أولئك الذين ينصبون له الشباك. الكتاب المقدس إذن يطلب من أبناء هؤلاء أن يُقادوا إلى الرب بواسطة أبناء الله.  
إن كان قادة البقية هم كباش، فإن أبناءهم سيكونون هم الذين يتشكّلون إلى حياة الفضيلة خلال الغيرة نحو الأعمال الصالحة، خلال تعليم القادة لذلك "قدموا للرب يا أبناء الله، قدموا أبناء الكباش". هل تعلمتم لمن وجه هذا (المزمور)؟ هو تعلمتم من هو المتحدث<sup>٢</sup>؟

القديس باسيليوس الكبير

### ثالثًا: التقدمات اللائقة بالله

إن كان دافعنا للتقدمة هو حفظ كنوزنا إلى يوم مجيئه، وإن كنا ندرك أن ما يسر الله هو اعتزازنا ببنوتنا له وتجديدنا المُستمر بعمل روحه القدس فينا، فماذا يليق بنا كأبناء لله أن نُقدّم له؟ من خلال هذا المزمور يكشف لنا القديس باسيليوس عن التقدمات التالية:

#### ١. المجد والعز لله

الله لا يحتاج إلى مجدٍ وعزٍ، فهو كلي المجد والعز، مجده فيه، وليس من مجدٍ خارجي يُضَاف إليه. تقديم المجد له إنما هو تمتّعنا ببرّ المسيح الذي يتلأأ فينا، فنصير نور العالم. "مجدّوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله" (١ كو ٧: ٢٠)، مستأسرين كل فكرٍ إلى طاعة المسيح (٢ كو ١٠: ٥).

<sup>1</sup> Homily 13 (On Psalm 28) A Psalm of David at the Finishing of the Tabernacle, 1.

<sup>2</sup> Homily 13 (On Psalm 28) A Psalm of David at the Finishing of the Tabernacle, 2.



إذ نُقَدِّمُ البكور والعشور والندور مع استقامة الإيمان، فلا نفصل عن كنيسة المسيح المستقيمة  
الأي نصير أيقونة مُحِبِّ البشر، شاهدين بمجده.

✠ إنه يقول: "قَدِّمُوا للرب مجداً وكرامة" (٢ : ٢٩).

الآن كيف لنا نحن التراب والرماد أن نُقَدِّمَ مجداً للرب العظيم؟ وكيف نُقَدِّمُ كرامة له؟  
نُقَدِّمُ مجداً خلال أعمالنا الصالحة، عندما تُشْرِقُ أعمالنا أمام الناس، حتى يرى الناس  
أعمالنا، فيُمجِّدوا أبانا الذي في السماوات (مت ٥ : ١٦). وخلال الزهد والقداسة اللذين يتمسك  
بهما من يمارسون التقوى لمجد الله، وذلك حسب نصيحة بولس القائل: "مَجِّدُوا الله في  
أعضائكم" (١ كو ٦ : ٢٠).

أيضاً يطلب الرب هذا المجد من الذين يؤمنون به والذين تكَرَّمُوا بنوالهم عطية التبنّي  
كأبناء. قيل: الابن يكرم أباه، ... فإن كنت أنا أباً، فأين كرامتي؟" (ملا ١ : ٦). بالحق يكرم الله  
ذاك الذي حسب الأمثال يكرم الله بأعماله البارة، ويُقَدِّمُ له بكور برّه (راجع أم ٣ : ٩).

كل شخص يناقش الأمور الإلهية بطريقة لائقة، فيتمسك دائماً بالفكر السليم الخاص بالآب  
ولاهوت الابن الوحيد ومجد الروح القدس، يُقَدِّمُ المجد والعز للرب.

ولما كانت عنايته الإلهية تبلغ حتى إلى أصغر الأمور، فإنه يُعَلِنُ المجد من كان قادراً أن  
يوضح ما وراء كل خليقة الله وحفظها ورعايتها وأحكامه العادلة. ذلك الذي يستطيع أن يتأمل  
كل خليقة بأفكار واضحة دون ارتباك، وبعد أن يتأمل فيها يُقَدِّمُ ذلك للآخرين، موضحاً حقيقة  
صلاح الله وأحكامه العادلة.

يُقَدِّمُ مجداً وعزاً للرب من يعيش (يسلك) في تناغم مع تأمله هذا. فإن نور مثل هذا  
الإنسان يشرق أمام الناس (مت ٦ : ١٦)، وذلك بالكلام والعمل وخلال أعماله الجادة في كل  
شيء، مُمجِّداً الآب الذي في السماوات.

أما الذي يُنَارُ بالشهوات نحو المجد البشري فلا يُقَدِّمُ مجداً وعزاً للرب، ولا ذلك الذي يتعلَّق  
بالمال، والذي يُرَكِّزُ على ملذات الجسد، والذي ينجذب نحو المعتقدات الدينية الغريبة.

كما أننا بالأعمال الصالحة نُقَدِّمُ مجداً للرب، فإننا بالأعمال الشريرة نعمل العكس.

بالحقيقة ماذا يقول للخطاة؟ اسمي يُجَدَّفُ عليه بسببكم بين الأمم (رو ٢ : ٢٤). مرّة أخرى  
يقول الرسول: "أَبْتَعِدِّي الناموس تهين الله؟" (رو ٢ : ٢٣) فإن الاستخفاف بالنواميس وتجاهلها  
إهانة لمُعْطِي الناموس.

عندما يُدَارُ بيت بطريقة خاطئة، ويوجد فيه هوى وصياح وغطرسة وضحك ساخر وخلاعة  
وفجور وذنس وفسق، يحلُّ العار والخزي على من يديره. لذلك، نعتقد أنه كما بالأعمال الصالحة

يُكْرَمُ اللَّهُ، فبالأعمال الشريرة يَكْرِمُ لعدو. عندما "أخذ أعضاء المسيح وأجعلها أعضاء زانية" (١ كو ٦: ١٥)، أُحوّل المجد من ذلك الذي خلصني إلى ذلك الذي يهلكني. غير المؤمن يُحوّل المجد من الله غير الفاسد إلى شبه صورة تصنع شكل إنسان فاسدٍ أو طيور أو حيوانات ذات أربعة أرجل أو زحافات على الأرض (رو ١: ٢٣). ومن يعبد المخلوق ويخدمه أكثر من الخالق، لا يُقدّم مجداً لله، بل للمخلوقات. لهذا ذلك الذي يقول إن مخلوقاً ما عظيم، ويتعبد له، فليعرف أين يكون موضعه.

**لنخف لنلا نُقدّم المجد والتهليل للشيطان خلال خطايانا، فنُسَلِّم لعارٍ أبدي معه. أمّا أن**  
تصير خطيتنا مجداً لذلك الذي يعملها فينا، فيفهم من الشبه بالشبه.

عندما تحدث معركة بين قائدين، واحد ضد الآخر، فيغلب جيش أحدهما، يتقبّل قائد الجيش المجد. وإن حدث أن الآخر غلب، يتحوّل المجد إليه.

هكذا، فإن الرب يتمجّد بأعمالك الصالحة، وأما بأعمالك المضادة فيكرم المضاد له. أطلب إليكم ألا تظنوا أن العدو بعيد عنكم، ولا تتطلّعوا إلى القادة من بعيد، بل امتحنوا أنفسكم فتجدوا بالحق الشبه. فإنه عندما يُصارح الذهن مع الشهوة، فبالحقيقة إن فاز خلال الاهتمام بقوة، ينال إكليل النصر على الشهوة، وبهذا يُكلل الله.

لكن إن تراخى وانحنى للذة، فصار عبداً وأسيراً للخطايا، يُعطي الإكليل للعدو، فينتفخ ويصير في غرور، ويجد فرصة للكبرياء<sup>١</sup>.

**القديس باسيليوس الكبير**

## **٢. الطاعة للوصية الإلهية**

نُقدّم لله طاعتنا للوصية الإلهية، فلسنا نُمجّد الله خوفاً من البشر، بل من أجل الطاعة للقدوس.

## **٣. غرسنا في بيت الرب**

ما يسر الله حين نُقدّم له المجد أن نتمتع بالشركة في بيته، فعوض كوننا أرز لبنان المتشامخ، نصير مغروسين في بيت الرب، في ديار إلهنا يزدهرون (مز ٦٩: ١٣).

"صوت الرب مكسر أرز لبنان". كانت لبنان مكاناً لعبادة الأوثان، فينقل الرب النفس من لبنان المتشامخة ليغرسها في بيت الرب، وذلك مثل كرمة مصر التي يقول عنها: "كرمة من مصر نقلت، طردت أمماً وغرستها...". (مز ٨٠: ٨-١١).

<sup>١</sup> Homily 13 (On Psalm 28) A Psalm of David at the Finishing of the Tabernacle, 2.

❖ "اسجدوا للرب في دار قدسه" (مز ٢٩: ٢) بعد تقديم التقدمة المطلوبة يلزم السجود، السجود الذي ليس في خارج الكنيسة، بل يُقَدَّم في دار الله. يقول: "لا تبتكروا لي ديار ومجامع خاصة". توجد دار واحدة مقدسة لله.

كان مجمع اليهود قبلاً داراً، ولكن بعد ارتكاب الخطية ضد المسيح، صار مسكنهم خراباً (راجع مز ٦٩: ٢٥). لهذا السبب قال الرب: "ولي خراف أخرى ليست من هذه الحظيرة" (يو ١٠: ١٦). بقوله هذا يشير إلى خلاص الأمم الذين سبق تعيينهم. إنه يُظهر داره بجانب تلك التي لليهود. تبعاً لذلك لا يليق أن نسجد لله خارج هذه الدار المقدسة، إنما فقط داخلها. فمن كان خارجها، وانجذب للذين في الخارج، قد يفقد الحق في دار الرب.

كثيرون يبدون أنهم يُصَلُّون، لكنهم ليسوا في الدار، إذ تَجُولُ أذهانهم وتَنَشَّتْ أفكارهم الصادرة عن اشتقاقات باطلة. من الممكن أن نعتبر الدار بمفهوم سامي أنها الطريق السماوي للحياة. لذلك فهم مغرورسون في بيت الرب، التي هي كنيسة الله الحيّ ويُزهرون في ديار إلها (مز ٩٢: ١٣). أما الذي يجعل بطنه إلهاً، أو يُكرِّم المجد أو المال أو أي شيء آخر أكثر من كل شيء، فهو لا يسجد للرب، ولا في الدار المقدسة، حتى وإن بدا أنه مستحق أن يوجد في الاجتماعات المنظورة<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

#### ٤. قبول صوته الإلهي فينا كينبوع مياه حية

إذ نَقْبَلُ صوته الإلهي فينا، نتمتع بأنهار مياه حية تجري من بطوننا (يو ٧: ٣٨) إنه يُقْبَلُ خضوعنا لصوته تقدمه مقبولة.

إن إله المجد أَرَعَد. إنه الصوت الذي يفصل بين مياه ومياه. مياه فوق الجَلْد ومياه تحت الجَلْد، وتجتمع المياه معاً وتظهر اليابسة (تك ١: ٩). هكذا يعمل صوت الرب في الطبيعة، فتمجده بعدم انحرافها عن مسارها. صوته يرعد على المياه فنتمتع بالبنوة لله في المعمودية. ويتحقق فينا الوعد الإلهي: "الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية" (يو ٤: ١٤).

❖ "صوت الرب على المياه" (مز ٢٩: ٣). كثيراً ما تجد كلمة "صوت"، فلكي نفهم ما هو "صوت الرب"، يلزمنا أن نجمع بقدر الإمكان من الكتاب المقدس ما قيل بخصوص الصوت. كمثال ذَكَرَ عن إبراهيم: "فإذا كلام الرب إليه قائلاً: لا يرثك هذا" (تك ١٥: ٤). وفي موسى: "وكان

<sup>١</sup> Homily 13 (On Psalm 28) A Psalm of David at the Finishing of the Tabernacle, 3.

جميع الشعب يرون الصوت واللَّيْب" (راجع تك ٢٠ : ١٨). مرة أخرى في إشعياء: "صوت قائل: نادِ" (إش ٤٠ : ٦). الصوت بالنسبة لنا مصدر موجات تتحرَّك في الهواء، تصدر عن المتكلم لتضرب (في الأذن).

الآن ما هو صوت الرب؟ هل هو موجات تترك أثرًا في الهواء؟ أم أنه هواء يتحرَّك ليضرب في آذان السامعين؟ ليس هو هذا ولا ذاك، إنما هو صوت من نوع آخر.

هل هو صورة تتشكَّل بواسطة ذهن البشر الذين يريد الله أن يسمعا صوته، ليكون لديهم هذا التصوير مُطابِقًا لما يحدث غالبًا في أحلامهم؟ بالحقيقة إذ لا يحدث تحرُّك في الهواء نجمع كلمات مُعَيَّنَة وأصوات تحدث في أحلامنا، ولا نسمع الصوت خلال السمع، بل نتطبع على قلوبنا نفسها، هكذا يلزمنا أن نعتقد أن مثل هذا الصوت كان يظهر في الأنبياء من قبل الله<sup>١</sup>.

❖ "صوت الرب على المياه". بالحقيقة بالنسبة للخليقة المحسوسة حين تكون السحب مملوءة ماءً، يصدر صوتًا عنيفًا وضجيج، يتصادم مع بعضه، هكذا يقال إن "صوت الرب على المياه". عندئذ أيضًا إذ يحدث تصادم بين اضطراب المياه يكسر بعض الحواجز، وإن كان البحر يصير في اضطراب بواسطة الرياح، ويحدث هياج ويصدر صوتًا، هذه المخلوقات الجامدة لها صوت من عند الرب، حيث يظهر الكتاب المقدس أن كل خليقة تصرخ شاهدة للخالق. فإن كان الرعد يحدث من تصادم السحب، نحتاج أن نؤمن فقط بأن إله الجلال يرعد، وأنه ذاك الذي يجمع كل الطبيعة الرطبة.

"الرب فوق المياه الكثيرة" (مز ٢٩ : ٣). إننا نتعلَّم في خليقة العالم أنه توجد مياه فوق السماوات (الجَدِّ) ومياه في العمق: أيضًا المياه المجتمعة في البحار. فمن هو هذا الذي يمسك معًا تلك المياه، ولا يسمح لها أن تهبط بوزنها الطبيعي، إلا الرب الذي أقام نفسه فوق كل الأشياء، وله سلطان على المياه؟

ربما حتى في مفهوم أكثر رمزية، كان صوت الرب على المياه، عندما جاء صوت من فوق عندما كان يسوع يعتمد: "هذا هو ابني الحبيب". بالحقيقة في ذلك الوقت كان الرب فوق مياه كثيرة، يُقدِّسها بعماده، لكن إله المجد أرعد من فوق بصوت شهادة القدير. أيضًا يمكننا أن نضيف لهذا الصوت ما نطق به الرب، القائل: "اذهبوا عمِّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس" (مت ٢٨ : ١٩). إذن "صوت الرب فوق المياه"<sup>٢</sup>.

<sup>١</sup> Homily 13 (On Psalm 28) A Psalm of David at the Finishing of the Tabernacle, 3.

<sup>٢</sup> أخذ القديس باسيليوس هذا عن نظرية أرسطو في عمله: Meteorology 2:9:369a.



يمكن أيضًا بالنسبة لكم بسبب بيان الجامعة، أن يدعو باسم الرعد التعليم الذي يودع في النفوس بعد العماد والذين بالفعل صار لهم بلاغة الإنجيل. كون الإنجيل هو رعد واضح بواسطة التلميذين اللذين نالا اسمًا جديدًا من الرب، ودعيا "ابني الرعد" (مر ٣ : ١٧). لهذا فإن صوت مثل هذا الرعد لا يكون في أي شخص، إنما فقط فيمن هو مستحق أن يُدعى زوبعة. يُقال "صوت رعدك في عجلة" (مز ٧٧ : ١٨ LXX). بمعنى كل من يمتد إلى قدام مثل عجلة تلمس الأرض بجزءٍ صغير منها، وذلك تمامًا مثلما حدث مع العجلة التي قال عنها حزقيال: "فنظرت... وإذا بكرة واحدة على الأرض بجانب المخلوقات الحية الأربعة ومنظرهم وشكلهم كان مثل الزبرجد" (حز ١ : ١٥ LXX).<sup>١</sup>

القديس باسيليوس الكبير

## ٥. تمتعنا بروح القوة خلال صوت الرب

يقول القديس باسيليوس إن صوت الرب له فاعليته في النفس البشرية، بل بقوة وبقين يُهَيئ النفس للبرِّ، فيقول المؤمن "أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقوّيني" (في ٤ : ١٣).

❖ "إله المجد أَرعد، الرب فوق المياه الكثيرة" (مز ٢٩ : ٣). المياه أيضًا هي القديسون، لأن أنهارًا تفيض من داخلهم (يو ٧ : ٣٨)، أي تعاليم روحية تُنعش نفوس السامعين. مرة أخرى يتقبّلون مياهًا تتبع إلى حياة أبدية، تصير في الذين يقبلونها باستقامة "ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية" (يو ٤ : ١٤).

إذن، الرب فوق مثل هذه المياه. تذكروا أيضًا قصة إيليا، عندما أُغْلِقَت السماوات ثلاث سنوات وستة أشهر، فمع وجود جو صافٍ على قمة الكرمل، سمع صوتًا لمياهٍ كثيرة، تبعه رعد جاء من السحب ونزلت مياه (١ مل ١٨ : ٤١ - ٤٥). فالرب إذن "فوق مياه كثيرة".

"صوت الرب بالقوة" (مز ٢٩ : ٤). إذ يوجد صوت بكرة، هكذا صوت الرب بالقوة. فإن ذاك الذي يسود على كل شيء بالمسيح الذي يقويه (١ تي ١ : ١٢)، هو ذاك الذي يسمع وصايا الرب ويعمل بها. لذلك صوت الرب ليس في نفسٍ ضعيفة مُنحَلَّة، بل في نفسٍ نشطة تُمارس الصلاح بسلطان<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>١</sup>Homily 13 (On Psalm 28) A Psalm of David at the Finishing of the Tabernacle, 3.

<sup>٢</sup>Homily 13 (On Psalm 28) A Psalm of David at the Finishing of the Tabernacle, 4.

## ٦. تمتُّعنا بالجلال خلال صوت الرب

صوت الرب يُقيم ملكوت الله، ويجعل من النفس عجبًا. يقول القديس: "تصير النفس صوت الرب"، إذ تصير إنجيلًا مقروءًا من اناس.

❖ صوت الرب بالجلال" (مز ٢٩ : ٤). الجلال هو سمة العظمة الفائقة. فمن يُحقِّق أعمالاً عظيمة بطريقة لائقة، مثل هذا يُدعى جليلاً. عندما لا تُستعبد النفس لكبرياء الجسد، تأخذ على عاتقها ما هو عظيم ومكرم لائق بها، في هذه النفس يوجد صوت الرب. لذلك فإن الذين يستمتعون بأفكارٍ إلهية نبيلة، يتأملون في سمو عن دوافع الخليفة، ويستطيعون أن يُدركوا إلى حدٍ ما على الأقل عناية الله الصالحة. والذين بجانب هذا ليسوا بخلاء، بل وأسخياء في مساندة إخوتهم في احتياجاتهم، هؤلاء هم أجلاء يسكن فيهم صوت الرب. بالحقيقة الإنسان الجليل يدتقر الأمور الجسدية، حاسبًا إياها لا تُقارن بالعالم غير المنظور.

ليس من ظروفٍ صعبة يمكن أن تُحزن الإنسان الجليل، وباختصار ليس من أية متاعبٍ شديدة تُربكه، ولا يهتز بسبب خطايا خسيصة ومهينة لأناسٍ ضعفاء، ولا ينله دنس الجسد. لا تستطيع الأهواء الحقيرة أن تبلغ إليه بسبب سمو ذهنه.

لقد أشير إلى نوع من جلال الله حسب القول: "جعلت جلالك فوق السماوات" (مز ٨ : ١). إذن، أولئك الذين يُقدِّمون مجداً عظيماً لله، يُشيدون بجلاله<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## ٧. تمتُّعنا بكسر روح الكبرياء خلال صوت الرب

صوت الرب يعمل في القلب فيهبنا القدرة على كسر روح الكبرياء بالتمتع بالشركة مع القائل: "تعلموا مني، لأنني وديع ومتواضع القلب، فتجدوا راحة لنفوسكم" (مت ١١ : ٢٩). يُميِّز الكتاب المقدس بين أرز لبنان التي كانت مركزاً لعبادة الأوثان، فيشير أرزها إلى الكبرياء مع التجديف على الله، وبين أرز الله المغطى بفروع الكرمة المثمرة.

❖ "صوت الرب مُكسر الأرز" (مز ٢٩ : ٥). أحياناً يمدح الكتاب المقدس شجرة الأرز بكونها شجرة ثابتة لا يحل بها فساد، وعطرة، وصالحة أن تكون مأوى. وأحياناً أخرى يُهاجمها بكونها غير مثمرة ويصعب أن تتحني، فتُمثِّل الشخص غير التقي. "قد رأيت الشرير عاتياً وارفاً مثل أرز لبنان" (مز ٣٧ : ٣٥ LXX).

<sup>١</sup>Homily 13 (On Psalm 28) A Psalm of David at the Finishing of the Tabernacle, 4.

الآن يؤخذ بهذا المعنى، فإن "صوت الرب مُكسر الأرز". وذلك كما يحدث مع النفس الشامخة، لذلك يُقال أنه يكسر الذين باطلاً ينتفخون، ويُمجّدون أنفسهم في أمور هذا العالم التي تُحسب متشامخة، بالثروة والمجد والسلطان وجمال الجسد والنفوذ والقوة.

نعم "يكسر الرب أرز لبنان" (مز ٢٩: ٥). أولئك الذين يطأون على شئون الآخرين، وبهذا يقتنون لأنفسهم مجداً باطلاً. إنهم أرز لبنان. وكما أن الأرز العالي في ذاته، وإذا يوجد على جبلٍ عالٍ يصير ظاهرًا بالأكثر بسبب علو الجبل، هكذا الذين يتكئون على أمور العالم الزائلة هم بالحق أرز خلال المجد الباطل والذهن الفارغ. ويُدعون أرز لبنان لأنهم يَتَمَجّدون في علوٍ يخص آخرين (الجبال)، ويرتفعون إلى المجد الباطل بواسطة الأرض وظروف أرضية، كمن هم على قمة لبنان.

على أي الأحوال فإن الرب لا يكسر كل الأرز، بل أرز لبنان. وحيث أن لبنان كانت مكانًا لعبادة الأوثان، فإن النفوس التي ترفع ذاتها تقاوم معرفة الله، فتُدعى أرز لبنان، وتستحق الكسر.

يوجد أيضًا بعض الأرز لله، الذي يُعطى بفروع الكرمة المنقلة من مصر، كما نتعلم من المزمير: "غطى الجبال ظلها، وأغصانها أرز الله" (مز ٨٠: ١٠).

من بين المفاهيم الخاصة بالمسيح، يُقال عن ربنا إنه كرمة. إذ يقول: "أنا هو الكرمة، وأنتم الأغصان" (يو ١٥: ٥). أرز الله، الذي إلى حين كان غير مثمرٍ ومؤهلًا للحرق، إذ صار تحت حماية المسيح، ولبسته النعمة التي جاءت منه غطوا عدم إثمار حياتهم. الفروع المثمرة احتضنت أرز الله، أما أرز لبنان فيُكسر. ويُقطع مثل عجل لبنان" (مز ٢٩: ٦).

تذكروا العجل المذكور في الخروج، الذي صاغوه لعبادة الأوثان، والذي سحقه موسى وأعطى الشعب أن يشربوه (خر ٣٢: ٢٠). بطريقة تشبه ذلك العجل، ستتخطم تمامًا كل لبنان، وممارسة العبادة التي سادت فيها<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## ٨. تمتعنا بقطع لهيب النار خلال صوت الرب

قطع الرب لهيب نار الأتون عن الثلاثة فتية، وأعطاهم نسمة ريح لطيفة مع راحة. لقد ميّز صوت الرب بين الثلاثة فتية في الأتون وبين الرجال الذين ألقوهم في النار. هكذا أيضًا ميّز صوت الرب بين شعب الله وبين جيش فرعون في بحر سوف.

<sup>١</sup>Homily 13 (On Psalm 28) A Psalm of David at the Finishing of the Tabernacle, 5.



❖ "صوت الرب يقطع لهيب النار" (مز ٢٩ : ٧). حسب قصة الثلاثة فتية في بابل (دانيال بالنتمة ٣ : ٤٧-٥٠)، انقطع لهيب النار، عندما ارتفع لهيب الأتون تسعة وأربعين ذراعًا، وحرقت كل من حوله. لكن اللهيب انقطع بأمر الله، وضم في داخله ريحًا مَدَّت الفتية بنسمة وبرودة، كما لو كانوا تحت ظل نباتات في موقع هادئ. فقد قيل "مثل هبوب ريح يجلب ندى" (دانيال بالنتمة ٣ : ٥٠).

إنه لأكثر عجبًا أن ينقطع عنصر النار من أن ينشق البحر الأحمر إلى أجزاء. مع هذا فإن صوت الرب يقطع استمرار طبيعة النار ووحدها. بالرغم من أن النار تبدو للعقل البشري أنه لا يمكن أن تُقَطَّع أو تنقسم.

أظن أن النار المُعَدَّة لعقاب إبليس وملائكته (مت ٢٥ : ٤١) تنقطع بواسطة صوت الرب، فيكون لها طاقتان، الاحتراق والاستنارة.

الجانب العنيف والعقابي للنار ينتظر الذين يستحقون الاحتراق، بينما جانب الاستنارة والتألق فيُخصَّص لتمتع الذين يفرحون. لذلك فإن صوت الرب يقطع النار ويخصصها، فتكون نار العقوبة ظلامًا، أما نور الباقيين فعاجز عن الاحتراق<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## ٩. تمتعنا بزلزلة البرية خلال صوت الرب

إذ نَقَبَل صوت الرب فينا، يُحوَّل البرية القاحلة إلى موضع سُكْنَى، وذلك كما يجعل العاقر المستوحشة أكثر بنين من المتزوجة (إش ٥٤ : ١).

صوت الرب زلزل برية قادش، حيث جعلها موضع تقديس (قادش). إذ يهبنا التقديس ونَقَبَله فينا بحسب الرب قبولنا هذا مقدمة مقبولة يُسَر بها.

❖ "صوت الرب يزلزل البرية" (مز ٢٩ : ٨). زلزلة البرية تُمنح كعطية صالحة من الرب، لكي تُحوَّلها من حالة الفقر، فتصير أرضًا للسكْنَى، إذ تنزع عنها عار الخراب (العقر)، وتتقبَّل المديح لخصوبتها. "لأن بني المستوحشة أكثر من بني ذات البعل" (إش ٥٤ : ١). وإذا تمتلئ بحيوية المياه، هذه التي كانت برية تصير أحواض مياه دائمة.

"الرب يزلزل برية قادش" (مز ٢٩ : ٨). الآن، لا يزلزل الرب أية برية، إنما برية قادش، أي التقديس، لأن "قادش" معناها "تقديس"<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>1</sup>Homily 13 (On Psalm 28) A Psalm of David at the Finishing of the Tabernacle, 6.

<sup>2</sup>Homily 13 (On Psalm 28) A Psalm of David at the Finishing of the Tabernacle, 6.



## ١٠. صوت الرب يُعدنا غزلانًا

يرى البعض أن الأيائل أو الغزلان أو الوعول أو الظبي<sup>١</sup> عند انطلاقها إلى مجاري المياه إذ تُلقي بالحيات تضربها بأرجلها فتقتلها.

١. يرى القديس باسيليوس - مُعتمداً على أرسطو - أنها لا تتأذى من لدغات الحيات. فامؤمنون كالغزلان لا تستطيع قوات الظلمة أن تؤذيهم، بل بنعمة الله إذ ينتصرون عليها يُكَلَّلون.

٢. من جانب آخر، تشتاق الأيائل إلى جداول المياه النقية، أي إلى التعاليم المستقيمة، ولا تشرب من التعاليم المنحرفة.

٣. أيضاً يقول إنه عندما يحترق قرن الإيل لأجل التبخير تتقهقر الحيوانات السامة وتهرب إلى موضع آخر.

٤. صوت الرب يكشف عن الغابات الكثيفة غير المثمرة والتي تهرب إليها الحيوانات السامة، يعطي صوت الرب المؤمنين فهماً فيهربون منها.

٥. إن كان المُقدَّسون في الرب يصيرون كأرز الله، مغروسين في بيت الله، فالأشجار كالغابات الكثيفة غير المثمرة التي تلجأ إليها الخطايا الشريرة السامة.

❖ "صوت الرب يعد الغزلان" (مز ٢٩ : ٩). يلزم شرح الكلمات الخاصة بإعداد الغزلان التي تتم بصوت الرب بنفس الطريقة السابقة.

يحصل الغزال (أو الظبي) على إعداد هكذا حتى لا يتأذى بلدغة الحيات<sup>٢</sup>، بل على العكس فإن لحم الأفعى يُطَهَّرُها، كما يقول الذين يلاحظون هذه الأمور. كل الحيوانات السامة تُمَثَّلُ الأشرار والقوات المضادة. إذ يقول الرب: "ها أنا أعطيك سلطاناً لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو" (لو ١٠ : ١٩). وأيضاً يعد المزمور النبي: "على الأسد والصل تطأ" (مز ٩١ : ١٣). فمن الضروري أن نسمع عن كلمة "ظبي" في الكتاب المقدس أنها تُمَثَّلُ قوة صالحة. "الجبال العالية للوعول (الغزلان)" (مز ١٠٤ : ١٨). و"يشتاق الإيل إلى جداول المياه" (مز ٤٢ : ١). حيث

<sup>١</sup> الأيل: ذكر الوعل وهو حيوان من ذوات الظلف، للذكور قرون متشعبة لا تجويف فيها أما الإناث فلا قرون لها. الوعل: تيس الجبل له قرنان قويان منحنيان كسيفين أحديين، وهو جنس من المغز الجبلية. يُقال إنه يَنْتَجِرُ من أعالي الجبال عند إحساسه بالشيخوخة.

الغزال: حيوان ذو قرون، سريع جداً، يعيش في المناطق ذات المناخ القاري في أفريقيا وآسيا.  
الظبي: الغزال للذكر والأنثى. الظبية هي أنثى الغزال.

<sup>٢</sup> Aristotle in History of Animals 9:5 611 b.

أن كل إنسانٍ بارٍ مسكنه في الأعالي. "يسعى نحو الغرض لأجل جعالة الدعوة السماوية" (راجع في ٣ : ١٤)، يرجع إلى جداول الميهه المنعشة، يبحث عن مصادر اللاهوت.

غير أن الظبي بنسمة فمه يضرد سُمّ الحيوانات المخفي، إنه يطرد (الحيوانات السامة) إلى أماكن مخفية بقوة نفخاته. هكذا الإنسان المقدس يُدعى نسرًا لأنه يطير في الأعالي، ويبتعد بعيدًا عن الأرض، ويُدعى الحَمَل بسبب وداعته والعطية المجانية المُعطاة له، ويُدعى الكبش بسبب سلطانه، ويُدعى الحمامة بسبب براءتها، هكذا يُدعى الظبي بسبب مقاومته للشر. لذلك يقول سليمان: "الظبية المحبوبة والوعلة الزهية تقترن بك" (أم ٥ : ١٨ LXX)، مُظهرًا لنا أن الوعول - كما سبق أن أشرنا - أنها تناسب في تعليم اللاهوت<sup>١</sup>.

❖ "صوت الرب يُعدّ الغزلان". لذلك عندما نرى إنسان الله كاملاً ومُعدًّا، نطلب أن ننتفع بالحوار معه. أينما وُجدَ غزال يُستبعد كل شرّ الحيات. الحيوانات السامة لا تحتمل عطر هذا الحيوان، وبالحق عندما يحترق قرنه لأجل التخير تتقهقر الحيوانات السامة إلى موضعٍ آخر. "ويكشف الغابات الكثيفة" (مز ٢٩ : ٩). أولاً صوت الرب يُعدّ الغزلان، وبعد ذلك يكشف الغابات الكثيفة، المناطق الطبيعية تكون كثيفة بالمواد الجافة غير المُثمرة وعادةً تهرب إليها الحيوانات السامة.

الغزال هو كامل خلال إعداد الرب له، والإنسان البار مثله، يكشف الغابات الكثيفة، لكي تخلص حياته من المُفسدين بالكشف عنهم. ولما كانت "قد وُضعت الفأس على أصل الشجر، فكل شجرة لا تصنع ثمرًا تُقطع وتُلقى في النار" (مت ٣ : ١٠).

لذلك فإن الغابات الكثيفة، أي النفوس التي كالغابات وبالتالي الحيوانات المتوحشة أي شهوات الخطايا المتنوعة المستترة تُكشف بتلك الكلمة التي هي "أمضى من كل سيفٍ ذي حدين" (عب ٤ : ١٢).

عندما يكون كثير من البشر مُثقلين بهموم الحياة، تكون نفوسهم مثل أرضٍ مملوءة أشواك، ولا تسمح لهم أن يتدربوا على الإثمار بالكلمة، فيكشف الرب الغابات الكثيفة، أي تشويهاً هموم الحياة وعدم لياقتها وأضرارها، حتى متى صار موضع الصلاح والشر ظاهرين، لا يتمسك الناس خلال الجهل بأحكام مُنحرفة في تدبير شئونهم.

كثيرون يظنون أن الصلاح من أجل اللذة التي تلتصق به وكأنه خير. إساءة فهم مثل هذه الأمور بين البشر ضخم لا يُنطق به. لذلك فإن الغابات المُثمرة وكل الأرز الذي يُمدح، ينتمي

<sup>١</sup> Homily 13 (On Psalm 28) A Psalm of David at the Finishing of the Tabernacle, 6.

إلى طبيعة الصالحين، أما الغابات الكثيفة التي يكشفها صوت الله ويعلنها حتى لا يندفع الذين يظنون أنهم يجدون فيها ثمرًا، فهي تنتمي لطبيعة الأشرار<sup>1</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## ١١ . قبولنا جلوس الرب فينا

من جانبنا نُقدِّم للرب قلوبنا لِنُنِيرَهَا، فَيُعَلِّمَ ملكوته فيها، وَيُقِيمَ عرشه كملك السلام في داخلنا. بحسب الرب قبولنا هذا تقدمة مقبولة يُسرُّ بها.

❖ "الرب بالطوفان جلس (سكن)" (مز ٢٩ : ١٠). الطوفان هو فيض الماء الذي يجعل ما تحته يختفي ويغسل ما كان قبلاً دنسًا. لذلك يدعو نعمة العماد طوفانًا، حتى إذ تُغْتَسَل النفس جيدًا من خطاياها، وتتخلَّص من الإنسان العتيق، تصير أهلاً لسُكْنَى روح الله بالروح. علاوة على هذا ما قيل في المزمور الواحد والثلاثين (مز ٣٢ في العبرية) يتفق مع هذا. إذ يقول بعد ذلك: "أعترف لك بخطيتي، ولا أكتُم إثمي"، وأيضًا: "يُصَلِّيْ لَكَ كل تقي في وقتِ يجديك فيه، عند غمارة المياه الكثيرة، إياه لا تصيب" (مز ٣٢ : ٥-٦). حقًا لا تقترب إليه الخطايا من يقبل المعمودية لمغفرة معاصيه، وذلك بالماء والروح. أمر آخر يرتبط بهذا في نبوة ميخا: "فإنه يُسرُّ بالرأفة، يعود يرحمنا. يدوس آثامنا، وتُطْرَح في أعماق البحر جميع خطاياهم" (مي ٧ : ١٩). "ويجلس الرب ملكًا إلى الأبد" (مز ٢٩ : ١٠). يجلس الرب في النفس التي تُشْرِق بغسلها كمن يجعل منها عرشًا له. "الرب يعطي عزًّا (قوة) لشعبه. الرب يبارك شعبه بالسلام" (مز ٢٩ : ١١).

من شعبه الخاطي ينزع الإنسان القوي (المتسامخ) والمرأة القوية (إش ٣ : ١)، أما الذي يعمل بأمانة فيُعْطِيهِ قوة. لذلك "كل من له يُعْطَى" (مت ٢٥ : ٢٩). الذي يثبت في السلوك في الأعمال الصالحة يصير أهلاً لبركة الله.

السلام الذي هو استقرار الذهن، يبدو أنه أكمل البركات، فيتميز إنسان السلام بهدوء شخصيته، ولكن الذي يُهاجم بشهواته لا يتمتع بالشركة في سلام الله الذي يهبه الرب لتلاميذه، والذي يفوق كل فهم، ويحفظ النفوس المؤهلة لذلك (في ٤ : ٧). لهذا يُصَلِّي الرسول أيضًا لأجل الكنائس: "لتكثر لكم النعمة والسلام" (١ بط ١ : ٢). ليوهب لنا (السلام) بعد أن نجاهد بنبل، ونُخْضِع شهوات الجسد التي هي عداوة الله، عندما تصير نفوسنا في سكونٍ وهدوءٍ فنُدْعَى أبناء

<sup>1</sup> Homily 13 (On Psalm 28) A Psalm of David at the Finishing of the Tabernacle, 7.



السلام، ونشترك في بركة الله في السلام، في المسيح يسوع ربنا، الذي له المجد والسلطان، الآن وإلى أبد الأبد. آمين<sup>1</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## ١٢. قبول وحيد القرن فينا

التقدمة التي يُسرُّ الله بها هي أن نقبله في داخلنا كوحيد القرن، أي يؤيدنا بقوته الإلهية، لأن وحيد القرن يشير إلى القوة.

❖ "مثل ابن محبوب لوحد القرن" (مز ٢٩ : ٦). الابن الوحيد الجنس، الذي قدّم حياته للعالم، عندما قدّم نفسه ذبيحة وتقدمة لله (الآب) عن خطايانا، دُعِيَ حمل الله ونعجة. قيل: "هوذا حمل الله" (يو ١ : ٢٩)، وأيضًا: "أقتيد كنعجة للذبح" (أع ٨ : ٣٢؛ إش ٥٣ : ٧). لكن عند الضرورة إذ ينتقم ويحطّم سلطان (الكبرياء في) جنس البشر، يظهر بقوة عنيفة، وعندئذ يُدعى الابن وحيد القرن.

فإننا كما نتعلّم في أيوب وحيد القرن هو مخلوق لا يُقاوم في قدرته، ولا يخضع لإنسان. يقول: "لا تقدر أن تربطه بسير (جلدي)، ولا يبيت عند معلفك" (راجع أي ٣٩ : ٩ - ١٠). أيضًا قيل الكثير كنوعٍ من النبوة عن هذا الحيوان، إذ يُمثّل الإنسان الحر، ولا يخضع للبشر.

يُلاحظ في الكتاب المقدس أن وحيد القرن يُقارَن بطريقتين تارة للمدح وأخرى للوم. يقول: "أنقذ من السيف نفسي... ومن قرون وحيد القرن ضعفي" (راجع مز ٢٢ : ٢٠-٢١). قال هذه الكلمات مشتكيًا من أناس مولعين بالحرب، الذين في وقت الشدة، يقومون في تمرّدٍ ضده.

مرة أخرى يقول: "يُرفَع مثل وحيد القرن قرني" (راجع مز ٩٢ : ١٠). يبدو أنه من أجل سرعة الحيوان في صدّه للهجمات، صار غالبًا ما يُمثّل الأمور الخسيسة، وبسبب ارتفاع قرنيه وحرّيته يُمثّل الأمور الصالحة.

ككلٍ إذ يمكن أن يستخدم القرن في الكتاب المقدس في مواضع كثيرة عوض كلمة "مجد"، كما في القول: "وينصب قرنًا لشعبه" (مز ١٤٨ : ١٤)، وأيضًا: "قرنه ينتصب بالمجد" (مز ١١٢ : ٩). أو لأن "القرن" يُستخدم مرات كثيرة بدل "القوة"، كالقول: به أحتمي تُرسي وقرن

<sup>1</sup>Homily 13 (On Psalm 28) A Psalm of David at the Finishing of the Tabernacle, 8.



خلاصي" (مز ١٨ : ٢)، فإن المسيح قوة الله (١ كو ١ : ٢٤) يُدعى وحيد القرن بكونه القرن الوحيد، يحمل ذات القوة من الآب<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

أين نُقدّم تقدمتنا؟

يُسِرُّ الله أن ندخل بيته ونُقدّم لأبينا تقدمة الطاعة والحب وقبول وصيته عاملة فينا كما رأينا، وذلك إن تحوّلت قلوبنا إلى مسكنٍ لله، فلا نكون بأجسادنا في بيته، وقلوبنا مُبتعدة عنه. إذ يُقيم الله منا هيكلًا له، يليق بنا أن نحرص على قُدسيته بعمل القُدوس فينا.

❖ "وفي هيكله الكل قائل: مجد" (مز ٢٩ : ٩). ليت هؤلاء الذين يُسلّمون أنفسهم للمداولات الطويلة أن يسمعوا كلمات المزمور باهتمام.

ماذا يقول المزمور؟ من كان في هيكل الله، لا ينطق بشرًّا أو غباوة ولا بكلمات لأمرٍ مُخزية، إنما "في هيكله الكل قائل: مجد".

الملائكة القديسون واقفون، والرب حاضر، يرى وجدان الداخلين...

صلاة كل واحدٍ مُعلنة أمام الله. من كان يطلب السماويات بوجدانه، ومن يطلبها خلال التعليم ومن ينطق بكلماته بغير مبالاة بطرفي شفثيه بينما قلبه مُبتعد عن الله (مت ١٥ : ٨؛ إش ٢٩ : ٣)، فهو يُصَلِّي يطلب صحة جسده وثروته المادية والمجد البشري. يُعلّمنا الكتاب ألا نطلب شيئًا من هذا، إنما "في هيكله الكل يقول: مجد". "السماوات تُحدّث بمجد الله" (مز ١٩ : ١).

تسبيح الله هو عمل خاص بالملائكة. هذا العمل الواحد يشير إلى مجد الخالق، خاص بكل جيش من الخليقة السماوية.

كل مخلوق، سواء كان صامتًا، أو ينطق بصوتٍ، سواء كان سماويًا أو أرضيًا، يُمجد الخالق.

أما البشر البائسون الذين يتركون بيوتهم ويجرون إلى الهيكل كمن يغتنون بشيء ما، ولا يُزودون آذانهم بكلام الله، لا يقتنون معرفة طبيعتهم، إنهم لا يحزنون مع أنهم قد ارتكبوا الخطية فعلاً، لا يحزنون حين يتذكّرون خطاياهم، ولا يخافون من الدينونة، بل يبتسمون ويُسلّمون على بعضهم البعض، ويجعلون من بيت الصلاة مكانًا للأحاديث الطويلة. يبدو أنهم لا يسمعون المزمور بجديّة، الذي يُوبّخهم قائلاً: "في هيكل الله الكل قائل: مجد".

<sup>1</sup>Homily 13 (On Psalm 28) A Psalm of David at the Finishing of the Tabernacle, 5.

إنك ليس فقط لا تتطق بمجده، وإنما صرت عائقًا للغير، مُحوّلًا انتباهه إليك، تطغي على تعليم الروح بضوضائك.

تتطلع إليه (إلى المزمور) حتى لا تترك نفسك تُدان مع المُجَدِّفين على اسم الله، بل تتقبّل مكافأة على تمجيد الله.

من أجلك المزمور، والنبوة، وأوصايا الإنجيلية، وتعليم الرسل. لِيُسَبِّح لسانك، وليُفسّر ذهنك معنى ما قيل، حتى تُسَبِّح بالروح وأُسَبِّح بالذهن أيضًا.

الله ليس محتاجًا إلى مجد نهائيًا، إنما يود أن تكون أهلاً لتربح المجد. لأن ما يزرعه الإنسان إياه يحصد (غل ٦ : ٧).

لتزرع تمجيدًا، فتحصد أكاليز وسديحًا في ملكوت السماوات.

هذه العبارة: "في هيكله الكل نازل: مجد"، لم توضع بما لا يناسب الموضوع، لأن البعض يتكلمون في هيكل الله بلا توقّف حتى يتوجّع لسانهم، هؤلاء يدخلون الهيكل بلا فائدة. ليت هذا يكون بلا نفع فقط، ولا يكون مُضِرًّا!

القديس باسيليوس الكبير



<sup>1</sup>Homily 13 (On Psalm 28) A Psalm of David at the Finishing of the Tabernacle, 7.

## الباب الخامس

### الحياة في الدير

- ١ . الحياة الرهبانية والطعام.
- ٢ . الحياة الرهبانية والملبس.
- ٣ . الحياة الرهبانية والعمل.
- ٤ . أسئلة بخصوص العمل.
- ٥ . العدالة الاجتماعية عند القديس باسيليوس الكبير.

## الحياة الرهبانية والطعام

### الروحانية والسلوك العملي

ترفع كتابات القديس باسيليوس قلب القارئ كما إلى السماء، فيلتهب شوقاً للتمتع بالشركة مع الله، كما عالجت الكثير من العقائد الإيمانية، واهتمت بتوجيه فكر الإنسان نحو الوصية الإلهية والانشغال بالروحيات. وكأب لنظام الشركة ورئيس أساقفة، كان يستمع لكل كاهنٍ أو راهبٍ أو طفلٍ من الشعب ويُجيب على أسئلته. ولحرصه أن يسلك الكل بتدقيقٍ مع حكمةٍ وفي روحانيةٍ، جمع المئات من الأسئلة، وأجاب عليها. بهذا لا نعجب إن قَدَّم الإجابة على الأسئلة الخاصة بتفاصيل الحياة في الدير أو خلال الشركة، خاصة بالنسبة للطعام والملبس والعمل والخدمة الاجتماعية، وجاءت بعض الأسئلة أحياناً شبه متكررة.

ما يشغلني في ما ورد في هذا الباب هو التعرف على ما وراء إجاباته وكتاباته في هذا الشأن، لنسلك بذات الروح سواء في حياتنا الخاصة أو الأسرية أو الكنسية أو الديرية. إن كانت ظروفنا مختلفة، غير أننا نشتهي أن نسلك بالروح لا بالحرف الجامد.

### لنهتم بالطعام الروحي والشراب الروحي أو الملابس الروحي

يدعو السيد المسيح جميع المؤمنين ألا يرتبكوا بسبب الطعام والشراب أو الملابس، فنقبل ما هو ضروري للجسد من أجل حياتنا الزمنية، مشتتهين الطعام الروحي الذي يُقدِّمه لنا السيد المسيح. إنه يُقدِّم لنا جسده ودمه الذبذولين عنا طعامًا وشرابًا للروح، للتمتع بالحياة الأبدية. "من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية... لأن جسدي مأكَل حق، ودمي مشرب حق" (يو ٦ : ٥٤ - ٥٥).

ويُقدِّم لنا بولس الرسول السيد المسيح نفسه مُلبسًا لأرواحنا، قائلاً: "لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح" (غل ٣ : ٢٧). "ولبستم الجديد الذي يتجدد للمعرفة، حسب صورة خالقه" (كو ٣ : ١٠).

هذا بالنسبة لكل مؤمن، فكم بالأكثر يليق بالراهب الذي ينسحب من العالم ليُكرِّس حياته للعبادة والتأمل في الإلهيات، أن يلتهب قلبه، طالبًا خلاص العالم وخدمة المتألمين والمحتاجين، يلزمه ألا يرتبك بشيء، ولا ينغمس فتنه في الطعام والملبس؟! لهذا لا نعجب إن أشار القديس في قوانينه إلى ذلك مرارًا.



كثيرًا ما أشار إلى مبادئ أساسية بخصوص احتياجات الجسد في هذا العالم، وهي:

١. أن يضع في قلبه أن ما يمارسه حتى إشباع احتياجاته الجسدية لمجد الله.
٢. استخدام ما هو ضروري بغير مبالغة، وفي غير رفاهية، سواء من جهة النوع أو الكمية.
٣. أن تكون تكلفته قليلة ما أمكن.

٤. أن يكون سهل الحصول عليه ما أمكن<sup>١</sup>، مُحذَّرًا من الانغماس في الملذَّات والمباهاة. جاءت قوانينه ليست صارمة وقاسية، مثل بعض قادة الحياة الرهبانية السابقين له في مصر وفلسطين، وفي نفس الوقت لا تتَّسِم بالتهاون. ففي رسالة له كتب: "بالمقارنة مع الكاملين، نحن لسنا إلا أطفالاً"<sup>٢</sup>.

❖ سؤال: كيف يأكل الإنسان ويشرب لمجد الله؟ (كو ١٠ : ٣١)

الإجابة: من خلال انشغال ذهنه دائمًا بالله صانع الخيرات لنا، وكذلك نزعة النفس التي تُترجم في سلوك الجسد، فلا يأكل الإنسان بشراهة، بل يتيقن دائمًا بأن الله يتطلَّع إليه، وأن يُركِّز جلَّ اهتمامه أثناء تناول الطعام على أنه خادم الله، يأكل ليتقوى، ومن ثم يستطيع أن يُتمَّ بمسئوليَّاته حسب وصية المسيح، وليس كعبدٍ لبطنه (رو ١٦ : ١٨)<sup>٣</sup>.

❖ يليق بالراهب المسكنة: عقلٌ منخفض، نظرٌ مُطَرَّقٌ إلى الأرض، وجهٌ مقطَّب، زيٌّ مُهمل، ثوبٌ قذر، حتى يكون حالنا هو حال النواحين الباكين. ثوبٌ بقدر الجسد، لأن الغرض منه أن يستر الجسد من الحرِّ والبرد فقط، ولا نطلب أن يكون حسنًا ناعمًا لينًا، لأن هذا تطلبه النساء. كما يجب أن يكون الثوب سميكًا حتى لا يحتاج إلى وشاحٍ لتدفئة الجسد، ويكون الحذاء رخيصًا ليؤدِّي الغرض منه فحسب. وفي الطعام: خبزة واحدة تسدُّ الجوع، والماء ليروي الظمأ، والمشى لا يكون بطيئًا بانحلال ولا بسرعةٍ وعجرفة<sup>٤</sup>.

❖ سؤال: إن جَرَّدَ إنسان نفسه من كل شيء، ووعد أن لا يقتني شيئًا، ماذا ينبغي أن تكون نظرته بالنسبة لضروريات الحياة مثل الملبس والطعام؟

الإجابة: يحتاج أن يُدرك أنه كما هو مكتوب أن الله هو الذي يعطي طعامًا لكل جسدٍ (مز ١٣٦ : ٢٥). علاوة على هذا يحتاج أن يفكر مليًا كعاملٍ عند الله مستحق طعامه (مت ١٠ : ١٠؛ ١ كو ٩ : ٣)، وإن كان هذا ليس على مسئوليته، إنما يقوم الشخص المسئول

<sup>1</sup> *Regulae brevius tractatae*, 70.

<sup>2</sup> *Letter 207:2*.

<sup>3</sup> *Regulae brevius tractatae*, 196.

رهبان بيرية شيهيت: فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، ج ٢

بتدبير هذا في الوقت المناسب والفياس اللائق كما هو مكتوب: "فكان يوزع على كل واحد كما يكون له احتياج" (أع ٤ : ٣٥) <sup>١</sup>.

❖ يُطالبنا الرب ألا نرتبك بما نأكل أو نشرب ونلبس (مت ٦ : ٣١)، إلى أي مدى يمكننا مراعاة هذه الوصية؟ وكيف يمكن أن نحققها؟

الإجابة: يمكن حفظ هذه الوصية، ككل وصية حتى الموت. لأن الرب نفسه أطاع حتى الموت (في ٢ : ٨).

يمكن أن نُحَقِّقَ هذه الوصية من خلال الاتكال على الله. ولأن الرب عندما منع الإنسان من القلق على متطلبات العالم، في الحال قَدِّمَ رجاءً بوعده، قائلاً: "لأن أباكم يَعْلَمُ ما تحتاجون إليه قبل أن تسألوه" (مت ٦ : ٨، ٣١).

الأمر ذاته مع الرسول، فيقول: "لكن كان لنا في أنفسنا حُكْم الموت، لكي لا نكون مُتَكَلِّين على أنفسنا بل على الله الذي يُفِيم الأموات" (٢كو ١ : ٩). فالرسول كان يموت كل يوم من أجل ثبات النفس وتثبيتها (١كو ١٥ : ٣١). ومع ذلك فبواسطة مَسَرَّة الله الصالحة، ظلَّ محفوظاً في أمان. ولهذا استطاع الرسول أن يقول بكل ثقة: "كمائتين وها نحن نحيا" (٢كو ٦ : ٩).

هذه الوصية (عدم ارتباك الإنسان بالأمر المادية) تحتاج إلى رغبة متعطشة نحو وصايا الرب، وبالتالي أي شخص يرتبط بمثل هذه الإرادة لا يجد متعة أو وقتاً يشغله في بحثه عن متطلبات الجسد <sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## كل شيء ظاهر للظاهرين

سبق أن رأينا القديس في حديثه عن العفة وضبط النفس يخشى من تسأل أي فكر خاطئ إلى الرهبان والنسّاك، فيظنّون أن المادة شريرة بطبيعتها. الآن إذ يتحدث عن الطعام، يؤكد أنه ليس في الطعام ما هو نجس، بل كل شيء ظاهر للظاهرين (تي ١ : ١٥).

يليق بالمؤمن في نسكه وامتناعه عن أطعمة مُعَيَّنَة، أو وضع حدود لكمية الطعام، أن يأكل ويشكر الله، وأن تتقدّس حياته كلها، بما فيها أكله وشربه، وذلك بكلمة الله والصلاة.

❖ يلزم أيضاً أن نبرز كأمرٍ جوهري أن العفة تتطلّب مُصارعين أشداء من أجل الصلاح، حتى يُخضعوا الجسد. "وكل من يُجاهِد، يضبط نفسه في كل شيء" (١كو ٩ : ٢٥).

<sup>1</sup> *Regulae brevius tractatae*, 93,

<sup>2</sup> *Regulae brevius tractatae*, 206.

على كل الأحوال، من أجل تجنب تصنيف (العفيفين) مع أعداء الله الذين تُؤخذ ضمائرهم، فيمتنعون عن الطعام الذي خلقه الله للمؤمنين أن يتناولوه بشكرٍ (١ تي ٤ : ٢-٣)، يلزمنا أن نتذوق كل طبقٍ عندما توجد فرصة يُقدّم فيها الطعام، حتى نشير للمتطّلعين إلينا أن كل شيءٍ طاهر للطاهرين (تي ١ : ١٥)، وأن "كل خليفة الله جيدة، ولا يُرفض شيء إذا أُخذ مع الشكر، لأنه يُقدّس بكلمة الله والصلاة" (١ تي ٤ : ٤-٥)¹.

القديس باسيليوس الكبير

## نأكل لكي نحيا لا من أجل اللذة

غاية الطعام أن يجعلنا عاملين مع الله بطريقة أفضل². يتطلّع المؤمن - خاصة الراهب - إلى الطعام كعطيةٍ من يد الرب، لا ليتلذذ به، وإنما لكي يقوت جسده فيحيا. أما من يُفسد وقته في الاهتمام الزائد بالطعام، ويُفسد معدته بالتخمّة والنهم، ويُفسد عقله باللذة الجسدية للطعام، فإنه يُقيم من الطعام أو من معدته إلهاً له.

يأكل المؤمن باعتدالٍ، فلا يرتبك فكره بالزمنيات، بل يسمو دوماً، مُنطلقاً كما إلى السماء. يقول القديس مار إسحق السرياني إن المبالغة في النُسك له ضرره مثل التخمّة تماماً. هكذا أيضاً القديس باسيليوس يقول: "إن الاعتدال هو الطريق الروحي السليم". هذا الاعتدال يختلف من شخصٍ إلى آخر، حسب ظروفه وصحته والتزاماته وعمله الكنسي.

❖ يجب حفظ غاية العفة في العقل أيضاً، حتى أننا نُشبع احتياجنا بالأطعمة البسيطة والضرورية لمساندة الحياة، مُتجنّبين شر الامتلاء بالأطعمة، ونابذين تماماً الأطعمة التي غايتها الوحيدة هي اللذة. بهذا التصرف نقتلع التعلّق بالأطعمة التي غايتها اللذة، وأيضاً نُعالج أولئك الذين يوخزهم ضميرهم كما بصلابة حارة، ونحمي أنفسنا قدر المستطاع من التشكُّك في أي اتجاه. يقول الرسول: "لماذا يُحكّم في حرّيتي من ضمير آخر؟! (١ كو ١٠ : ٢٩)

تدلُّ العفة على الإنسان الذي يموت مع المسيح، ويميت أعضائه التي على الأرض (كو ٣ : ٥).

هذه الفضيلة كما نعرف تنزع العوائق لأجل إثمار الأعمال الصالحة في المسيح، حيث أنه حسب كلمة الرب، اهتمامات هذا العالم، وملذّات الحياة والشهوات الأخرى، تخنق الكلمة، وتجعلها غير مُثمرة (مت ١٣ : ٢٢).

¹ Reg. Fus. 16.

² Regulae brevius tractatae, 196.



حتى الشياطين تهرب من هذه الفضيلة، كما يُعلِّمنا الرب نفسه، قائلاً: "أمّا هذا الجنس، فلا يخرج إلا بالصلاة والصوم" (مت ١٧ : ٢٠).<sup>١</sup>

❖ من جهة الطعام، بالنسبة للإنسان السليم صحياً يكفيه الخبز ويزويه الماء. يمكن إضافة أطباق من الخضراوات لمساندة الجسم للقيام بمهامه.

يلزم ألا يأكل أحد بنهم زائد، بل في كل شيءٍ لنراعي ملذاتنا بما يكفل الاعتدال والهدوء وضبط النفس، وبما يجعل النفس لا تنسى تفكيرها في الله. وإنما حتى في طبيعة طعامنا وما يُسبِّبه من بنیان للجسم أن يكون أساساً وسيلة لتقديم المجد لله.<sup>٢</sup>

❖ لا يتحقّق الزهد بالامتناع عن الطعام ويُسبّب قسوة على الجسد. الأمر الذي أدانه الرسول (كو ٢ : ٢٣)، وإنما هو الامتناع الكامل عن شهواتنا الخاصة.<sup>٣</sup>

القديس باسيليوس الكبير

## الهروب من النهم

أفاض القديس باسيليوس في حديثه عن خطورة النهم، حاسباً الأكل بنهم يُسبّب إزعاجاً للإخوة، ومعصية لوصية الرسول: "فإذا كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئاً، فافعلوا كل شيءٍ لمجد الله" (١ كو ١٠ : ٣١).<sup>٤</sup>

يحسب القديس باسيليوس النهم أنه الخطية الأولى التي ارتكبها الإنسان، فأفسدت حياته وطبيعته الصالحة. قدّم لنا أمثلة من العهدين القديم والجديد عن بركات ضبط المعدة، وعدم النهم، وعن مخاطر السقوط فيه. حسبته مصدرًا لكثير من الشرور، حيث يبث روح التسيّب والتدليل في كل جوانب الحياة.

❖ من هم الذين سقطوا في الصحراء أثناء ترحال شعب الله إلى أرض الموعد؟ (عب ٣ : ١٧) أليس هؤلاء الذين طلبوا أكل اللحم؟ (عد ١١ : ٣٣) هؤلاء البشر لم يكتفوا بالمنّ ولا بالماء الذي خرج من الصخرة، وكانوا بالأمس قد انتصروا على المصريين وعبروا البحر الأحمر. لكن بسبب أنهم اشتهوا اللحم المطبوخ في الأواني (خر ١٦ : ٣)، تفهقروا إلى الخلف، ولم يرَ أحد منهم أرض الموعد.

هل لا تخاف من تكرار هذا النموذج؟

هل لا ترتعب من حقيقة أن الانسياق وراء الأكل، ربما يحرمك من الخيرات المنتظرة؟

<sup>1</sup> Reg. Fus. 18.

<sup>2</sup> Epistle 2: 6.

<sup>3</sup> Reg. Brev. 128.

<sup>4</sup> Regulae brevius tractatae, 72.



أستطيع أن أقول لك إنه ولا الحكيم دانيال النبي كان سيرى رؤى إن لم يكن قد تطهَّر أولاً بالصوم.

لا أخفي عليك أن الأكل الدسم تتبعث منه أذخنة تعتم أنوار العقل التي تأتي من الروح القدس.

يوجد غذاء ملائكي كما يقول النبي: "أكل الإنسان خبز الملائكة" (مز ٧٨: ٢٥). غذاء الملائكة مختلف عن بقية الأطعمة، فهو ليس لحمًا ولا خمراً ولا طعاماً يهتم به عبيد البطن<sup>١</sup>.

❖ انظر فإن ذاك الخصم ألا يغويك لارتكاب خطية أبوينا الأولين، ويخطفك بكل سرعة من فردوس النعيم!؟

ذاك الذي أغوى آدم من الحياة في الفردوس، وجعله يسرق الطعام (تك ٣: ١-٦)، وظنَّ أنه يسلب حتى يسوع من حذره (مت ٤: ٣)، ألا يكون أكثر جسارة في إعداد مشروب لك يكون سبباً في الشرِّ، مُدرِّكاً أنه سمَّ قاتل!؟

اعتادت رذيلة النهم أن تلعب دورها، لا بطلب كميات كبيرة من الطعام، وإنما باشتهاء تذوق القليل. فإن كان اشتها القليل من الطعام ينجح في أن يُخضعك لرذيلة النهم، فإنه يُدمرك بدون أي ضجيج.

كما أن طبيعة المياه التي تجعل من المنطقة التي حوّل الشقوق مُخضرة، هكذا متى صدرت رذيلة النهم من قلبك، فإنها تسقي كل حواسك، وتقيم غابة من الشرور داخلك، وتجعل نفسك وكراً للحيوانات المُفترسة.

رأيت كثيرين ممن صاروا عبيداً للرذيلة استردوا صحتهم، لكنني لم أرَ هذا قد حدث مع شخصٍ واحدٍ يمارس النهم سراً.

فإنهم يهجرون حياة العفة (ضبط النفس)، ويهلكون بواسطة العالم، أو يحاولون أن يبقوا خارج العفيفين، ويصارعون وهم مُتحالفون مع الشيطان بممارستهم حياة الترف. إنهم كذابون، صاخبون، مُستسلمون للنهم، وضعيون، كثيرو الشكوى، فضوليون، مُحبُّون للظلمة ومُعادون لكل أسلوب الحياة الفاضلة عن عمدٍ، فمن أجل التغطية على رذيلة النهم، يسقطون في جمهرة من الشرور.

يبدون من الظاهر أنهم في تعداد المُخلصين، أما من جهة سلوكهم، فهم في عداد الهالكين.

سَلِّمَت رذيلة النهم هذه آدم للموت، بلذة الشهوة تَحَقِّق الشر الذي دخل إلى العالم.

خلالها أحتقر نوح (تك ٩ : ٢٥)، وحرّم عيسو من البكورية وتزوج من أسرة كنعانية (تك ٢٥ : ٣٣ ، ٣٦ : ٢).

صار لوط بزواجه ابنتيه (وهو في سُكرٍ) زوجًا وهو أب، وجدًا وهو أب، وهكذا صار سخرية مزدوجة لقوانين الطبيعة (تك ١٩ : ٣٥).

جعل النهم أيضًا من شعب إسرائيل عبدة للأوثان، وانتشرت أجسامهم في البرية (عد ١٤ : ٢٩ الخ).

سبّب النهم لنبي أرسله الله لكي يوبخ الملك الشرير أن يصير فريسة لوحش، والذي لم يستطع الملك يربعام بكل قدرته المتركبة أن ينتقم منه، صار أسيرًا لشهوة الأكل الغادرة، وسقط ضحية لموت بائس (١ مل ١٣ : ٢٤).

اقتنى دانيال... السيادة على شهوة الطعام (دا ١٠ : ٣)، فصار سيّدًا على مملكة الكلدانيين، إذ طرح أصنامهم، وحطم التتين، وروّض الأسود، وكرز بالتجسد (الإلهي)، وفسّر الأسرار الخفية (دا ٥ : ٩ ، ١٤).

الثلاثة فتية القديسون الذين أظهروا أنفسهم أسمى من ملذّات شهوة الطعام، استخفوا بغضب الملك، وببسالة كانوا شجمانا أمام رُعبِ الأتون الناري، الذي أمر الملك نبوخذنصر بإشعاله (دا ٣ : ١٢ الخ). لقد برهنوا أن التمثال الذهبي، الذي كان موضع عبادة كإله، لا حول له، وحسبوه كغنيمة، هذا الذي نصبه الشيطان...

باختصار، إن اقتنيت السيادة على شهوة الطعام تسكن في الفردوس، وإن لم تفعل ذلك موتًا تموت...

كن حذرًا من خطية الأكل سراً، ولو كنت تتذوّقه بطرف لسانك، فإنه إن نجح في هزيمتك في أمرٍ بسيطٍ، بهذا يكون قد غلبك في المعركة، وربطك بقيوده<sup>١</sup>.

❖ ليبعد الراهب عن الشراهة في الأكل، وليفكر دومًا في الله حتى أثناء ممارسته أعمالاً كالأكل والنوم...

ليُمارس كل أعماله وهو شاكر الله، حامد نعمه الغريزة، مُندهش ومتعجب من الذي يسوس العالم والأشياء بحكمة، ويستتبط الأشكال المتنوّعة، ويُدبّر التركيب العجيب للجسد...  
ليكن أيضًا النوم خفيفًا، ومنقطعًا، لا يصل بالراهب إلى الترهّل والكسل، لئلا يتعرّض إلى الموت المفاجئ<sup>٢</sup>.

<sup>١</sup> Renunciation of the World and Spiritual Perfection.

<sup>٢</sup> الأب الياس كويتز المخلصي: القديس باسيليوس الكبير، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، ١٩٨٩، ص ١٩٨

❖ سؤال: يوجد من يطلب لذة التذوق للطعام وليس الكمية، وآخرون يُفضّلون الكمية من أجل التخمة عن لذة التذوق. كيف يمكننا إقناع كل حالة منهما؟

الإجابة: كلا الاثنيين مرضى، واحد مريض بحُبّ اللذة والآخر بالنهم.

لن يقدر مُحِبُّ اللذة والنهم أن يتجنّبوا الدينونة. لهذا فإن المعاملة اللطيفة لازمة لكلا الحالتين لشفائهما من الشهوة. فإن لم يشفوا من المرض، فإن دينونتهم مع عدم توبتهم واضحة (مت ١٨ : ١٥ - ١٧)¹.

❖ سؤال: إن تصرّف أحد في وقت الطعام في الجماعة بغير وقارٍ، يأكل أو يشرب بنهم، فهل يلزم مواجهته؟

الإجابة: مثل هذا لا يحفظ وصية الرسول القائل: "فإن كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئاً، فافعلوا كل شيءٍ لمجد الله" (١ كو ١٠ : ٣١). مرة أخرى يقول: "ليكن كل شيءٍ بلياقة بحسب ترتيب" (١ كو ١٤ : ٤٠). إنه بالحق يحتاج إلى إصلاح، مالم يكن تحت ضغط ضرورة بسبب تعبٍ أو استعجالٍ. حتى في هذه الحالة يلزمه أن يحذر من عدم اللياقة².

القديس باسيليوس الكبير

## آداب المائدة

في الأوضاع الطبيعية توجد ساعة مُحدّدة، يجتمع فيها الكل معاً لتناول الطعام ليسند الجسم. اهتم القديس بأن يلتزم الراهب بالاعتدال في طعامه، أيضاً اهتم بنظامٍ وترتيبٍ خاصٍ بالمائدة، كما اهتم بآداب المائدة، فوضع المبادئ التالية:

١. يُطالب الكل أن يتناولوا الطعام بالشكر لله³.
٢. أثناء الطعام تُتلى قراءة من الكتاب المقدس [يجب الإنصات إليها بلذة أعظم مما للذة التي لنا ونحن نأكل ونشرب، فتبدو أذهاننا غير مُشغّلة باللذة الجسدية، بل بالحري تفرح بكلمات الرب، وذلك مثل ذلك الذي وجدها "أحلى من العسل والشهد"⁴].
٣. الجلوس ما استطاع في آخر موضع على المائدة بروح التواضع.
٤. الالتزام بالهدوء من جهة حركاته وصوته.
٥. لا يسمح لنفسه أن تمتلئ معدته وتشبع.

¹ *Regulae brevius tractatae*, 71.

² *Regulae brevius tractatae*, 72.

³ *Regulae fusius tractatae*, 19.

⁴ *Regulae brevius tractatae*, 180.

٦. لا يدخل في مناقشات بطلية، حتى عند اختيار الموضع الأخير، فإن رأى إنسانًا يطلب المكان، يتركه له. وإذا شعر بوجود منازعات حول المكان الأخير، يلتزم بالطاعة للمسئول عن تهيئة المائدة. فالطاعة له أفضل من اختيار الموضع الأخير خلال محاورات لا نفع منها.

❖ اترك المقاعد الأولى في المائدة، والكراسي الأولى في الاجتماعات، بل جاهد أن تجلس في آخر موضع، حتى يُقال لك: "يا صديق، ارتفع إلى فوق" (لو ١٤ : ١٠).

على المائدة لا تجعل يدك اليسرى تقوم بدور اليمنى بطريقة غير لائقة، بل بالحري لتجعلها تستريح، وإن التزمت بالعمل، فلتكن مُعينة لليد اليمنى.

عندما تُدعى للصلاة (على المائدة)، ليكن صوتك مستجيبًا للطلب، وتلتزم بالنظام حتى تنتهي الصلوات، حاسبًا أن الفشل في ذلك خسارة عظيمة.

عندما تُتعش جسدك بالطعام، يمكنك بالكاد أن تحث على ترك المائدة قبل أن تُشبع تمامًا احتياجك، إلا عند الضرورة<sup>١</sup>.

❖ كيف يكون سلوك الشخص بخصوص الجلوس والالتكاء في الغذاء والعشاء؟

الإجابة: لما كانت وصية الرب، الذي يُدربنا في كل الظروف على التواضع، إنه يلزمنا أن نأخذ المكان الأقل عند الالتكاء لتناول الوجبات؛ فمن يجاهد أن يفعل كل شيء حسب الوصية، يلزمه ألا يتجاهل هذه الوصية (لو ١٤ : ١٠).

إن كان يلزم للعلمانيين أن يتكفوا معنا، فيليق بنا أن نكون مثالاً لهم في هذا الأمر، فلا نرتفع (نتشامخ) على الآخرين، أو نطلب المتكأ الأول.

ولكن إن كان كل المجتمعين معًا يسلكون بذات الهدف. فكل واحد في كل مناسبة يؤكد تواضعه، ويلتزم أن يأخذ الموضع الأخير حسب وصية الرب.

أما أن ندخل في مناقشات للمنافسة والصراع في هذا الأمر (إذ يطلب الكل أن يحتل المكان الأخير) فهذا غير لائق، إذ يفسد النظام، ويُسبب ضجيجًا.

علاوة على هذا، إن كنا لا نريد أن نتنازل كل للآخر، ويحدث نزاع على هذا، نكون كمن يُصارع ليحتل المتكأ الأول. في هذا الجو أيضًا لنسلك بتعقل، ونُراعي ما ينفعنا، لهذا يلزمنا أن نترك موضوع تنظيم الأماكن لمن يتعهد هذا العمل، كما أعلن الرب عندما قال إن تنظيم هذه الأمور تُترك لرب البيت (لو ١٤ : ٢). بهذا يسند الواحد الآخر في المحبة (أف ٤ : ٣)، ونفعل كل الأشياء في غاية الاحترام وبمنظام (١ كو ١٤ : ٤٠). أيضًا لا نُعطي الإيحاء بعنادنا

<sup>1</sup> Renunciation of the World and Spiritual Perfection.



والاعتراض بقوة، فنحاول الظهور بأننا متواضعون، فنضغط على الضيوف، أو نقتني شعبية لأنفسنا، بل بالحري نمارس التواضع خلال الطاعة. الانشغال بالمجادلات هو بالحقيقة علامة أكيدة على الكبرياء أكثر من قبول المتكأ الأول عندما يُطلب منا ذلك<sup>1</sup>.

❖ سؤال: بأي وازع أو اهتمام يلزمنا أن نصغي إلى ما يُقرأ علينا أثناء وجبة الطعام؟

الإجابة: بسرور عظيم جدًا أكثر مما للأكل والشرب، حيث يُظهر الذهن عدم تشتيت خلال ملذات الجسد، وذلك خلال البهجة الأعظم التي تتبع عن كلمات الرب، يتمتعون بنزعة مثل القائل: "أحلى من العسل وقطر الشهاد" (مز ١٩ : ١٠)<sup>2</sup>.

❖ سؤال: إن كان أحد يفكر في الطعام، وعندئذ يلوم نفسه ويدينها، فهل يُدان بأنه يهتم بمثل هذه الأشياء (مت ٦ : ٢٥)؟

الإجابة: إن كان الفكر قد ثار قبل الوقت المناسب الذي فيه نبحت طبيعيًا عن الطعام، واضح أن هذا تشتيت للذهن يدفع إلى الالتصاق بالزمنيات، ويؤدي إلى الفتور والإهمال في أن نرضي الله.

مع هذا فإن رحمة الله حاضرة، فإنه إذ يدين نفسه ويلومها على هذا، فبتوبته هذه يتحرر من المعصية، إن كان يحفظ نفسه من الإهمال من جهة أفكاره في المستقبل، مُتَذَكِّرِينَ قول الرب: "ها أنت قد برئت، فلا تخطئ أيضًا، لئلا يكون لك أشر" (يو ٥ : ١٤).

أما إن حدث هذا عن ضغط الطبيعة، وتحت سطوة الجوع، فأثير هذا الأمر في الذاكرة، غير أن التعقل يهزم هذا خلال الغيرة والتكريس لما هو أفضل؛ فإن هذا الفكر لا يكون اهتمامًا بالأكل يستحق اللوم، بل بقهر هذا الفكر يستحق المديح<sup>3</sup>.

❖ سؤال: إن كان إنسان مُعاقب بعدم نوال بركة (إفلوجيا)، فيقول: "إن لم أنل البركة لا آكل"، فهل نسمع له؟

الإجابة: سواء كان الخطأ الذي بسببه عوقب كافيًا أن يُستبعد من الوجبات فليستحق أن يسقط تحت العقوبة المُقرَّرة. لكن إن كان قد دين بغير استحقاق، وحُرِمَ من البركة (إفلوجيا) وسُمِحَ له بالطعام، ولم يحتمل ذلك، فليُدين كعاصٍ ويستمر تحت العقوبة.

ليته يرجع إلى نفسه ويتحقق أن بتصرفه هذا لا يشفي نفسه بل يضيف إلى نفسه خطية فوق خطية<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> Reg. Fus., Question 21.

<sup>2</sup> Regulae brevius tractatae, 180.

<sup>3</sup> Regulae brevius tractatae, 17.

<sup>4</sup> Regulae brevius tractatae, 122.

❖ سؤال: إذا حدث أن وجد إنسان نفسه بين هراطقة أو وثنيين (يونانيين)، هل يأكل معهم ويرحب بهم؟

الإجابة: لم يمنع الرب بأية وسيلة الترحيب العادي لمثل هذا النوع، إذ يقول: "إن سلّمتم على إخوتكم فقط، فأني فضل تصنعون؟ أليس الأمم أيضًا يفعلون هكذا؟" (راجع مت ٥: ٤٧). أما بالنسبة للأكل معهم، فلدينا وصية من الرسول تُظهر في آية ظروف يلزمنا أن نتنبه. "كتبت إليكم في الرسالة أن لا تُخالطوا الزناة. وليس مطلقًا زناة هذا العالم، أو الطمّاعين، أو الخاطفين، أو عبدة الأوثان، وإلا فيلزمكم أن تخرجوا من العالم! وأما الآن فكتبت إليكم: إن كان أحد مدعوًا أخًا زانيًا أو طمّاعًا أو عابد وثنٍ أو شتمًا أو سكيّرًا أو خاطفًا، أن لا تخالطوا ولا تواكلوا مثل هذا" (١ كو ٥: ٩ - ١١).

❖ سؤال: كيف يمكن لأحدٍ ألا ينهزم بلذّة الطعام؟

الإجابة: بأن يحفظ على الدوام معيارًا مناسبًا كمرشدٍ ومعلّمٍ له فيما يجب أن يستخدمه، سواء بالنسبة للطعام أو لأي شيء آخر يُسر به<sup>٢</sup>.

❖ سؤال: هل من لا يريد أن يشترك في نفس الطعام عندما يأكل الإخوة، بل يطلب طعامًا آخر يفعل حسنًا؟

الإجابة: التدليل في الطعام مضاد تمامًا لوصية الرب القائل: "فلا تطلبوا أنتم (ماذا) تأكلون (وماذا) تشربون ولا تقلقوا" (لو ١٢: ٢٩)، وأضاف: "فإن هذه كلها تطلبها أمم العالم". أما المسئول (عن توزيع الطعام) فيلزم بكل عناية أن يُتمّ المكتوب: "يوزّع على كل أحدٍ كما يكون له احتياج" (أع ٤: ٣٥)<sup>٣</sup>.

❖ سؤال: لكن ربما يقول أحد: "هذا الطعام يؤذيني!"، ويحزن إن لم يُقدّم له طعام آخر؟

الإجابة: واضح أنه غير مؤسس على ذلك الرجاء الذي كان للعازر (لو ١٦: ٢٠-٢١)، ولا يُدرك محبة من يؤتمن على هذه الرعاية (توزيع الطعام) لكل أحدٍ وله. لكن يجب ألا يسمح أحد لنفسه بأية وسيلة أن يُقرّر ما هو ضار لنفسه وما هو مفيد. إنما يترك هذا لمن قد عُيّن لتقدير احتياجات كل واحدٍ، الذي قبل كل شيء يهتم بما هو لرفع النفس حسب إرادة الله<sup>٤</sup>.

<sup>1</sup> *Regulae brevius tractatae*, 124.

<sup>2</sup> *Regulae brevius tractatae*, 126.

<sup>3</sup> *Regulae brevius tractatae*, 131.

<sup>4</sup> *Regulae brevius tractatae*, 132.

❖ سؤال: ماذا عن من يتذمّر على الطعام، ما هو الحُكم بالنسبة له؟

الإجابة: يوجد حُكم على الذين تَمَرَمَرُوا في البرية (عد ١١ : ١)، إذ يقول الرسول: "ولا تتذمّروا، كما تذمّر أيضاً أناس منهم، فأهلكهم المَهْلِك" (١ كو ١٠ : ١٠)<sup>١</sup>.

❖ سؤال: هل من الضروري أن يجتمع الكل معاً في ساعة وجبة الطعام، وكيف نتصرّف إن جلس أحد من خلف أو جاء أحد بعد الوجبة؟

الإجابة: يحدث هذا إن كان لظروف ضرورية خاصة بالمكان أو العمل أن شخصاً أُعيق بسبب تدبير عام... إن كان المُشرف على التدبير الصالح العام يؤكد أن هذا يحدث بالضرورة، فيعفي شخصاً من الحضور.

وإن كان الشخص قادراً على الحضور في الموعد، لكن لم يُخبر بوقت كافٍ، يلزم أن يُعرف سبب تجاهله<sup>٢</sup>.

❖ سؤال: إن كان أحد لا يُظهر ضبط النفس من جهة أطعمة مُضِرّة، بل يشترك فيها بتسيّب، فيسقط في مرضٍ، هل نتعهد برعايته؟

الإجابة: نقص ضبط النفس أمرٍ شريرٍ بالحق. ومن الضروري دراسة الشفاء من هذا الهوى. لأن الله مُحبّ البشر يريد أن يُظهر مدى خطورة شر نقص ضبط النفس، غالباً ما يسمح للنفس أن تسقط في هوى الإفراط بخصوص ما يضرّ الجسم، لكي توجد فرصة أن تعود فتُدرك التلف الذي يحلُّ بها خلال الضرر الجسماني، فتترك الإفراط، وبالتالي تُقَاد إلى ضبط النفس في كل شيء<sup>٣</sup>.

تعهد رعاية الجسم في حالة أولئك الذين يعانون من نتائج الإفراط، ربما يكون معقولاً ويتناسب مع اللطف، بل ويلزم أن يتمّ بطريقة مدروسة وليس بدون اختبار، بطريقة بها إذ نهتم بشفاء الجسم لا نتجاهل شفاء النفس.

لذلك إن لاحظ أحد أن مثل هذا الإنسان يُؤدّب كما ينبغي بشفاء جسمه ويهتم بآلام النفس، عندئذ يستمر شفاء الجسم.

لكن إذ يتقبّل الرعاية بجسمه ويظهر تجاهله لرعاية النفس، فالأفضل لمثل هذا الشخص أن يُترك إلى زمنٍ ما حتى يرجع إلى نفسه (لو ١٥ : ١٧)، ويعرف خطورة العقوبة الأبديّة، ويفكّر مرة أخرى في صحة نفسه. "ولكن إذ حُكِم علينا نُؤدّب من الرب لكي لا نُدان مع العالم" (١ كو ١١ : ٣٢)<sup>٣</sup>.

<sup>١</sup> *Regulae brevius tractatae*, 133.

<sup>٢</sup> *Regulae brevius tractatae*, 136.

<sup>٣</sup> *Regulae brevius tractatae*, 140.

❖ سؤال: ما هو "خبزنا اليومي أعطنا ليوم" (مت ٦ : ١١؛ لو ١١ : ٣) الذي نتعلم أن نقوله في الصلاة؟

الإجابة: يحدث هذا عندما يكبر العامل مُفكراً في الرب الذي قال: "لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون" (مت ٦ : ٢٥)، والرسول الذي يوصي: "يتعب عاملاً (الصالح) بيديه، ليكون له أن يُعطي من له احتياج" (أف ٤ : ٢٨). هكذا لا يعمل من أجل احتياجاته الخاصة، وإنما من أجل تنفيذ وصية الرب، حيث أن العامل مستحق طعامه (لو ١٠ : ٧؛ مت ١٠ : ١٠). لذلك لا يطلب لنفسه الخبز اليومي، هذا الذي تطلبه الحياة اليومية لأجل كياننا، بل ينتظر الله كي يعطيه (مت ٦ : ١١؛ لو ١١ : ٢). إذ يُظهر لله ضرورة احتياجاته، فإنه يأكل ما يُعطى له بواسطة ذاك الذي بعد اختباره عهد إله أن يشبع احتياجاته كل يوم: "يوزع على كل واحد كما يكون له احتياج" (أع ٤ : ٣٥).

القديس باسيليوس الكبير



<sup>1</sup> *Regulae brevius tractatae*, 252.



## الحياة الرهبانية والملبس

### الملبس وروح التواضع

يميل القديس باسيليوس إلى وضع أسس للملبس تتناسب مع الفكر النسكي المسيحي الروحي. قيل عن القديس باسيليوس إنه كان يملك ثوبًا خارجيًا وآخر داخليًا فقط، وكان يرتدي في الليل مسحًا من الشعر أثناء النوم، ولم يكن يرتديه بالنهار، لئلا يبدو متظاهرًا بالنسك.

❖ في مناقشتنا السابقة ظهر ضرورة الالتزام بالتواضع والبساطة مع الاقتصاد والتدبير في كل الأمور، حتى أننا في ظروف نادرة نرتبك بسبب احتياجات جسدية. يلزمنا أن نحفظ هذا أيضًا أمام أذهاننا في تعاملنا مع الملبس.

يليق بنا أن نكون آخر الكل.

واضح أن آخر مكان هو أيضًا المفضل في هذه الوسيلة.

الطماعون نحو الشهرة يطلبون مجد أنفسهم حتى في الملابس التي يرتدونها، مُجاهدين أن يجذبوا الأنظار، ويثيروا الحسد بسبب فخامة ملابسهم.

من الواضح أن من يختار أن يجتاز كل حياته في آخر الكل من أجل التواضع، يلزمه أن يُفضّل لنفسه حتى في هذا الأمر (الملبس) أن يكون الأخير والأقل من الكل.

لقد أتهم الكورنثيون أنهم يحتقرون الغير، وذلك لأنهم كانوا يُنفقون على الأعياد العامة (بيذخ)، ويحتقرون من ليس لهم أن ينفقوا هكذا (١ كو ١١: ٢٢)، هكذا كانوا ينظرون إلى الذين يرتدون ملابس عادية وزياً بسيطاً، فقد كان الذين يرتدون ملابس فخمة فوق المعتادة يستخفون بالفقراء<sup>١</sup>.

❖ ما هو الملبس المتواضع الذي تسلمناه من الرسول؟ (١ تي ٢: ٩)

الإجابة: الملبس الذي يُحقّق متطلباته على أحسن وجه، ويكون لائقاً به، مُراعياً الموسم والمنطقة التي يعيش فيها والشخص نفسه والظروف المحيطة به.

لهذا السبب عينه يلزم وجود ملابس للصيف تختلف عنها في الشتاء، وما يرتديه من يعمل يختلف عما يرتديه من لا يعمل، والخادم الذي يخدم عما يرتديه الجندي وعن المواطن المدني، والرجل عن المرأة<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>١</sup> Reg. Fus. 22.

<sup>٢</sup> Regulae brevius tractatae, 210.

## معايير ملابس المؤمن

على ضوء المبادئ السابقة، يليق بالراهب في اختياره للملبس مراعاة الآتي:

١. يتلاءم الملبس مع روح التواضع وعدم الظهور، فيكون الملبس عاديًا دون بهرجة.
٢. غاية الملبس هو تغطية الجسم والتمتع بالدفء. يوجد في كل دير شخص مسئول لتدبير موضع الملبس لأعضاء الجماعة<sup>١</sup>. يُقدّم ملابس أنقل من أجل الدفء متى كان البرد قارسًا.
٣. ألا يكون الملبس ناعمًا ولا شفافًا، بل سميكًا، وألوانه غير زاهية ولا مُلفتة للنظر. تُرتدى الملابس التي من الوبر من أجل الندامة (التوبة)<sup>٢</sup>.
٤. ألا يكثر الراهب من الثياب.
٥. أن يكون سهل الحصول عليه.
٦. أن تكون تكلفته أقل ما يمكن.

يرى القديس باسيليوس أن ملابس لإنسان تكشف عن شخصيته، فكما أن الجندي له ملابسه التي تُميّزه، والسيناتور (العضو في مجلس الشيوخ) له ملابسه الذي يُميّزه، ويوجد ملبس خاص لمن يحتل مركزًا ساميًا في المجتمع، هكذا يليق بالمسيحي أن يكون له ما يُميّزه. أما ما يُميّز المسيحي بملبسه فكما يقول القديس: [يوجد في كل مناسبة زي خاص يُفضّله، وهو أن يكون بسيطًا (عاديًا)، يسهل الحصول عليه، ونافعًا<sup>٣</sup>].

❖ على ضوء كلمات الرسول: "غير مهتمين بالأمر العالية، بل مُنقادين إلى المُتضعين" (رو ١٢: ١٦)، ليت كل واحد يضع في اعتباره ماذا بالأكثر يناسب المسيحي.

هل أولئك الذين يعيشون في القصور الملكية ويرتدون ثيابًا ناعمة، أم ذاك الذي كان رسولاً ومُعَدًّا الطريق لمجيء الرب، الذي هو أعظم مواليد النساء (مت ١١: ٨، ١١)، يوحنا بن زكريا، الذي كان ثوبه من وبر الإبل (مت ٣: ٤). أضف إلى هذا فإن قديسي العهد القديم أيضًا كانوا يرتدون جلود الغنم وجلود الماعز<sup>٤</sup>.

❖ ليكن الثوب صالحًا للتغطية شتاءً وصيفًا. أما من جهة اللون فلا يكون زاهيًا، ومادته لا تكون ناعمة ورقيقة... ليكن الثوب سميكًا بما فيه الكفاية، فلا يحتاج إلى آخر للتدفئة. لتكن النعال رخيصة تساعد في الخدمة.

في اختصار ليلاحظ الشخص في ملبسه أن تكون الملابس الضرورية<sup>٥</sup>.

<sup>1</sup> *Regulae brevius tractatae*, 87.

<sup>2</sup> *Regulae brevius tractatae*, 90.

<sup>3</sup> *Reg. Fus.* 22.

<sup>4</sup> *Reg. Fus.* 22.

<sup>5</sup> *Epistle 2: 6.*

❖ الآن يضع الرسول المعيار القياسي للاستخدام المناسب للملبس في عبارة واحدة، بقوله: "إن كان لنا قوت وكسوة، فلنكتفِ بهما" (١ تي ٦: ٨). وكان ما هو ضروري لنا مُجَرَّد غطاء (للجسم). على أي الأحوال، ليتنا لا نسقط بعد في التفاخر الممنوع، دون أن نتكلم عن شيء أردنا من ذلك الذي يرافق المباهاة، أي الغرور أو الافتخار به، فإن هذه الرذائل تزحف بالتتابع في حياتنا خلال متابعة الفنون الباطلة التافهة.

أعلن الله نفسه لنا في البداية عن استخدام الملابس التي قَدَّمها للمحتاجين، إذ يقول الكتاب المقدس: "صنع الله لهما أقمصة من جلد" (راجع تك ٣: ٢١). مثل هذا كان كافيًا أن يُعْطَى عريهما. على أي الأحوال، دخل غرض آخر، أي حفظ الدفء بواسطة الملابس، فصار من الضروري هذان الاستخدامان في الذهن: التغطية من أجل الاحتشام، والحماية من أذية الجو. مع ذلك، فلأن بعض الملابس أكثر نفعًا من غيرها، يلزمنا أن نُفَضِّلَ ما يكون له نفع أكثر، لذلك فإن عنصر الفقر لا يُنتهك بأية وسيلة.

لهذا يلزم ألا نحفظ ثيابًا لرتديها وسط الجماعة، وأخرى في المنزل، ولا أن توجد ثياب رتديها في النهار، وأخرى بالليل، إنما نسعى أن يكون لنا ثوب واحد يمكن أن يستخدم في كل المناسبات، يناسب أن يرتديه في النهار، وللضرورة يُعْطِينَا بالليل. هذه الوسيلة من التصرف تُوحِّدنا في المظهر.

بهذا فإن المسيحي يمكن أن يُعرَفَ بطريقة ملبسه كختم خاص به، يمكن أن يُحَقِّقَ كل الأهداف بقدر الإمكان<sup>١</sup>.

❖ بالنسبة لكمية الثياب لا نحتاج أن نتكلم شيئًا، حيث أن هذا الأمر عولج قبلاً بخصوص الحديث عن الفقر (الاختياري). فمن له ثوبان أمر أن يشرك معه من ليس له (لو ٣: ١١). واضح أنه لا يُسَمَّحُ أن يقتني الشخص عدة ثياب لاستخدامها شخصيًا<sup>٢</sup>.

❖ سؤال: هل مسموح أن يكون (للاهب) ثوب للنوم (غير الثوب العادي) من وبر الإبل أو من أي نسيج آخر (الخيش)؟

الإجابة: استخدام ثوب من وبر الإبل له وقته المناسب، فإن مثل هذا الثوب لا يُستخدَم من أجل احتياج الجسم، إنما من أجل الاحتمال وتواضع النفس.

<sup>١</sup> Reg. Fus. 22.

<sup>٢</sup> Reg. Fus. 22.

لما كانت الكلمة الإلهية تمنع وجود ثوبين (مت ١٠ : ١٠؛ مر ٦ : ٩)، ليأخذ كل واحد في اعتباره إن كان هذا الأمر يمكن مسارسته بعيداً عن ما قيل (الثوب من وبر الإبل)<sup>١</sup>.

**القديس باسيليوس الكبير**

## الذي الرهباني

لما كان للإخوة هدف واحد، أي الحياة التقوية، لذا يُفضّل وجود زي مُوحّد<sup>٢</sup>.

يقول القديس باسيليوس إن رهبان أوستاثيوس (في آسيا الصغرى) كانوا مُميّزين "بالعبادة الخشنة، والمنطقة والحذاء غير المدبوغ"<sup>٣</sup>.

ليست القلنسوة هي التي تجعل من الشخص راهباً، غير أنها تُذكّر الراهب أن يحفظ هدفه على

الدوام<sup>٤</sup>.

قيل عن الإمبراطور يوليانوس أنه ببذاءة منظره، أراد أن يُظهر إعجابه بالفلسفة القدامى<sup>٥</sup>.

## المنطقة (الطوق)

يعتبر القديس باسيليوس المنطقة لباساً هاماً للراهب، فقد اعتاد أناس الله في العهدين القديم

والجديد أن يتمنطقوا بها. حتى رب المجد يسوع كان متمنطقاً بمنطقة. وهي تشير إلى عدم تراخي

المؤمن، بل هو مستعد دائماً للخدمة والعمل.

❖ منذ زمن طويل يُظهر القديسون أهمية المنطقة (الحزام أو الطوق).

كان يوحنا يربط حقويه بمنطقة من جلد (مت ٣ : ٤)، كما فعل إيليا من قبله، فقد كُتِبَ

(كما لو كان هذا النوع خاصاً بالرجل) "إنه رجل أشعر، مُتنطقٌ بمنطقةٍ من جلد على حقويه" (٢)

مل ١ : ٨).

أيضاً بطرس كان بالتأكيد مرتدياً منطقة كما يظهر من كلمات الملاك الذي قال له:

"تمنطق، والبس نعليك" (أع ١٢ : ٨).

يظهر من نبوة أغابيوس أن الطوباوي بولس أيضاً كان يستخدم منطقة: "الرجل الذي له

هذه المنطقة، هكذا سيربطه (اليهود) في أورشليم" (أع ٢١ : ١١).

أيوب أيضاً أمره الرب أن يُمنطق نفسه. كما لو كان هذا نوعاً من العلامة عن الرجولة

والاستعداد للعمل. قال لأيوب: "أشدّد الآن حقوك كرجل" (أي ٣٨ : ٣).

<sup>1</sup> *Regulae brevius tractatae*, 90

<sup>2</sup> *Regulae fusius tractatae*, 22:1-2.

<sup>3</sup> Letter 223.

<sup>4</sup> E.F. Morison: *St. Basil and Rule*, Oxford University Press, 1912, p. 119.

<sup>5</sup> Pullan: *Church of the Fathers*, p. 266; Morison, p. 118.



هذه المناطق كان من المعتاد استخدامها بين تلاميذ الرب، هذا واضح من حقيقة منعهم أن يحملوا مالا في مناطقهم (مت ١٠ : ٩).

أيضا كان من الضروري على وجه الخصوص لمن يستعد أن يقوم بعملٍ ما أن يمتنع نفسه حسنا، فلا يتعرق في حركاته. إنه يحتاج إلى منطقة، بها يجمع ثوبه حول جسمه، ويعمل بأكثر راحة، وبأكثر عدم إعاقة في حركاته عندما يلفونه حوله.

أخذ المسيح أيضا منشفة، ومنطق نفسه، عندما استعد لخدمة تلاميذه (يو ١٣ : ٤) <sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

### الاهتمام بالوصية الإلهية يرفعه فوق كل الاحتياجات

يرى القديس باسيليوس أن ما يشغل قلب المؤمن، خاصة الراهب هو الوصية الإلهية التي تملأ أعماقه، وتهبه عذوبة، فلا يشعر بأي احتياج، غير أنه يبرز هنا أمرين بخصوص إمكانية تغيير الملابس:

١. إن كانت ملابسه قصيرة جدا أو طويلة جدا، فمن اللائق أن يطلب تغييرها، لأن القديس باسيليوس يميل ألا يرتدي المؤمن شيئا شادا أو يلفت الأنظار. لذا يحق للراهب أن يطلب تغيير مثل هذا الملابس غير اللائق، ولكن بكل وداعة تليق به وكل لطف.
٢. إن طلب تغيير الملابس لأنها من مادة رخيصة، أو ليست جديدة، فهذا يكشف عن روح النذم. الراهب في تواضعه يحسب أن أي ملابس يُعطى له، لا يستحقه!

### ❖ سؤال: بأية نزعة يليق بالشخص أن يتقبل الملابس والأحذية؟

الإجابة: إن كانت قصيرة جدا أو طويلة جدا عن قياس حجمه، يلزمه أن يعرف الاحتياج، لكن بكل وداعة لائقة ولطف. أما إذا كان منزعا لأنها فقيرة (المادة) ورخيصة من جهة النوع، أو أنها ليست جديدة، فليضع في فكره وصية الرب القائل، ليس كل أحد مستحق أجرته بل العامل (لو ١٠ : ٧؛ مت ١٠ : ١٠).

ليمتحن نفسه إن كان قد أكمل أي شيء باستحقاق عمل الله وأتم كل الوصايا أيًا كانت، وعندئذ لا يطلب شيئا آخر، بل بالحري يشفق إلى ما قد أُعطي إليه، حاسبا أنه نال أكثر مما يستحق <sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>1</sup> Reg. Fus. 22.

<sup>2</sup> Regulae brevius tractatae, 168.

## إساءة استخدام الملابس

يرى القديس باسيليوس أن من يُتهم مرة أو مرتين وثلاثة بأنه يُسيء من استخدام الملابس أو الأحذية، أي يستخدمها لا لتأدية مهمتها، وإنما بطريقة تكشف عن انشغاله بالملبس ونوعه وجماله .. الخ، فهو مريض بالطمع والمجد الباطل، ويلزمه أن يُراجع نفسه في نظرتَه للملبس.

❖ سؤال: كيف نتعامل مع من يُسيء استخدام ملابسه وحذائه، وعندما يُتهم بذلك يُشكك في نزاهة من يتهمه ويحاول أن يجد عليه خطأ؟ فإن أصرَّ على هذا الأسلوب مرة ثانية فثالثة، ماذا يجب أن نفعل معه؟

الإجابة: يحكم الرسول على مثل هذه الإساءة للاستعمال بقوله: "الذين يستعملون هذا العالم كأنهم لا يستعملونه" (١كو ٧: ٣١). فإن قياس الاستخدام (السليم) هو حتمية ضرورة الاحتياج. فمن يستخدم الشيء متعدياً حدود الاحتياج إليه يُعتبر مريضاً بالطمع ومحبة اللذة، أو المجد الباطل. فمن يُصِرُّ على الخطية يجلب على نفسه دينونة غير التائب (مت ١٨: ١٥-١٧)<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## هل من حق الراهب أن يُعطي أحداً من الملابس؟

كثيراً ما تحدّث القديس باسيليوس عن العطاء والخدمة، حتى بالنسبة للراهب. غير أن الراهب مُلتزم بنظام الدير وقوانينه، فإن كان قد أُعطي له ملبس، لا يجوز أن يعطيه لآخر دون الرجوع إلى المسئول المُشرف على توزيع الملابس.

❖ سؤال: ماذا عن إنسانٍ، لا يملك شيئاً، سأل آخر أن يُعطيه ما يلبسه؟ ماذا يفعل، خاصة إن كان السائل عرياناً؟

الإجابة: سواء كان السائل عرياناً أو شريراً، سواء يسأل عن احتياج بنوعٍ من الطمع، كما قلنا مرة وعلى الدوام أن العطاء والأخذ تحت نظام الشركة لا يخص كل أحد، وإنما هذا يخص المُشرف المؤتمن بعد اختباره. على أي الأحوال، يلزمه أن يُتمَّ عمله المسئول عنه بكل حكمةٍ وحرصٍ. يجب ملاحظة: "الدعوة التي دُعِيَ كل واحدٍ فليلبث فيها" (١كو ٧: ٢٠، ٢٤)<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>١</sup> *Regulae brevius tractatae*, 70.

<sup>٢</sup> *Regulae brevius tractatae*, 91

## الحياة الرهبانية والعمل

### مدينة مثالية!

أراد القديس باسيليوس الكبير أن يجعل من الدير أو جماعة المُكْرَسِينَ مدينة مثالية، تحتوي حسب وصف المؤرخين مدرسة مهنية ومستشفى ومعهدًا للدروس وبيتًا للشباب والأولاد ومأوى. كل هذه تسعى إلى خدمة الإنسان، وإلى ممارسة محبة القريب، كما تسعى إلى محبة الله بالصلاة والتأمل في الكتاب المقدس. امتزجت القيم الإنسانية والروحية بطريقة رائعة في قوانين القديس باسيليوس الكبير. فالدير عند القديس باسيليوس بيت يرفُّ عليه النظام، ويتمتع فيه الراهب بحرية ألباء الله، ويعمل بدون إجحاف بحقوق الجسد، والالتزام بحياة الشركة مع ربنا يسوع المسيح<sup>١</sup>.

### العمل وغايته

كان الرباط الأساسي في الرهبنة الباسيلية ليس مُجَرَّد النذر، بل الالتزام بقاعدة واحدة عامة، وقانون واحد ثم مائدة مشتركة وصلاة وترنيم وشغل معًا<sup>٢</sup>. يلتزم الرهبان أن يقوموا بكل الأعمال بأنفسهم، فهم الذين يحرثون الأرض، ويغرسون الأشجار، ويحصدون القمح، ويبنون الصوامع والأديرة.

من جهة العمل، حسب القديس باسيليوس ضروريًا، للأسباب التالية:

١. العمل وصية إلهية وهبة إلهية، إذ خلق الله الإنسان ليعمل (تك ٢: ١٥). بدون العمل يفقد الإنسان طعم الحياة. يؤكد القديس باسيليوس أنه لا عذر للمتكاسل الذي يعيش في البطالة، بينما هو قادر على العمل. يليق به أن يتشبه بتلك الأسماك التي تقطع البحار بطريقة عجيبة طلبًا للطعام<sup>٣</sup>.

٢. يساعدنا العمل على صنْع الخير، نتقاسم الموارد مع الذين يفتقرون إليها. يليق بالمؤمن أن يعمل لا ليأكل فحسب، بل ولأجل بنيانه الروحي، ولكي يُقَدِّم من عمل يديه للرب نفسه خلال الفقراء والمحتاجين.

٣. من لا يعمل لا يستحق طعامه (مت ١٠: ١٠؛ ٢ تس ٣: ١٠).

٤. يدفعنا العمل إلى النشاط.

<sup>١</sup> Cf. [WWW.Softea.com](http://WWW.Softea.com).

<sup>٢</sup> الأب إلياس كويتر المخلصي: القديس باسيليوس الكبير، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، ١٩٨٩، ص ١٩٧.

<sup>٣</sup> Hexamaeron 7:5.

❖ من كان قادرًا فليعمل ويُعطي المحتاجين، فمن كان غير راغبٍ في العمل يُدان، ويُحسب غير أهلٍ حتى أن يأكل (مت ١٠ : ١٠؛ أع ٢٠ : ٣٥)¹.

❖ يلزمنا أن نحفظ على الدوام أن من يعمل يليق به أن يُتمَّ عمله، ليس من أجل خدمة احتياجاته، إنما ليُحقَّق وصية الرب: "لأنني جُعتُ فأطعمتموني" (مت ٢٥ : ٣٥) وهكذا.

منع الرب تمامًا أن يهتم (يقف) الإنسان لحياته، قائلاً: "لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون، ولا لأجسادكم بما تلبسون" (مت ٦ : ٢٥)، مضيفاً بعد ذلك: لذلك يليق بكل واحدٍ في ممارسة عمله أن يضع هدف خدمة المحتاجين أمام نفسه، لا أن يطلب شبع نفسه. بهذا يهرب من الاتهام بحبه لذاته، ويقبل بركة المحبة الأخوية من الرب، القائل: "بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر، فبي فعلتم" (مت ٢٥ : ٤٠).

لا يظن أحد أن الرسول يخالف عن كلماتنا هذه بقوله: "أن يشتغلوا بهدوء، ويأكلوا خُبزَ أنفسهم" (٢ تس ٣ : ١١-١٢). هذه الوصية مُوجَّهة للعبيدين والمُتراخين، وتعني أنه من الأفضل لكل إنسان أن يخدم على الأقل نفسه، ولا يُمثَّل ثقلاً على الآخرين ويعيش عاطلاً. إذ يقول: "لأننا نسمع أن قوماً يسلكون بينكم بلا ترتيب، ولا يشتغلون شيئاً، بل هم فضوليون، فمثل هؤلاء نوصيهم ونعظهم برينا يسوع المسيح أن يشتغلوا بهدوءٍ، ويأكلوا خبز أنفسهم" (٢ تس ٣ : ١١، ١٢).

مرة أخرى، قوله: "كنا نشغل بتعبٍ وكدٍ ليلاً ونهاراً، لكي لا نُثقل على أحدٍ منكم" (٢ تس ٣ : ٨)، تحمل نفس المعنى. تحمَّل الرسول بإسم المحبة الأخوية ثقل العمل بجانب التزامه من جهة الذين فُرضوا عليه، وذلك بهدف استبعاد الفوضى. التزم هذا الذي يجاهد بشغفٍ من أجل الكمال، أن يعمل ليلاً ونهاراً، "ليكون له أن يعطي من له احتياج" (أف ٤ : ٢٨).

الإنسان الذي يعتمد على نفسه أو حتى على شخصٍ آخر مُلتزم أن يمدَّه باحتياجاته، ويظن أن بنشاطه ونشاط من يجتمع معه يكفي أن يُعيَّنه في معيشته، يسقط في خطر، إذ يضع رجاءه في إنسانٍ، فيسقط تحت اللعنة التي تقول: "ملعون الرجل الذي يتكَل على الإنسان، ويجعل البشر ذراعه، وعن الرب يحيد قلبه" (إر ١٧ : ٥).

الآن بالقول: "يتكَل على الإنسان" يمنع الكتاب المقدس الإنسان أن يضع رجاءه في آخر. ويقوله: "يجعل البشر ذراعه" يمنعه من الاتكال على نفسه. في كلا الحالتين ارتداد عن الرب (أي يحيد قلبه عن الرب). بعد ذلك يضم الاثنيين معاً بقوله: "ويكون مثل العرعر *tamaric* في

¹ *Morals Rule 48:7.*



البادية (الصحراء)، ولا يرى إذا جاء الخير" (إر ١٧ : ٦). يُعلن الكتاب المقدس أن أي إنسان يجعل اتكّاله على نفسه أو على أحدٍ غيره، يحيد بنفسه عن الرب<sup>١</sup>.

❖ يجب علينا عند الإمكان أن نعمل، لنتقاسم الموارد مع الذين يفتقرون إليها<sup>٢</sup>.

❖ إن النهي عن الاهتمام الزائد بحاجات جسدنا لا ينفي الاهتمام والعمل مُطلقًا.

فقد بقي علينا أن نعمل لأنفسنا، لا للطعام الفاني، بل للطعام الباقي للحياة الأبدية (يو ٦ : ٢٧)، لا لحاجاتنا الجسدية فقط، بل لتُسعِفَ القريب أيضًا (أف ٤ : ٢٨). وسيقول لنا الرب في يوم الدين: "جُعت فأطعمتموني، وعطشت فسقيتموني..." (مت ٢٥ : ٣٥).  
ويُعَدّ ما نفعله مع من كرّسوا أنفسهم له كأننا نعمل معهم، ويُعطى لنا عن ذلك الملكوت السماوي.

وبعكس ذلك سيُعاقب الذين لم يعملوا ولم يتعبوا ليساعدوا الضعفاء ويخدموا القريب (أع ٢٠ : ٤، ٣٥)، ويرسلهم إلى العذاب الأبدي (مت ٢٥ : ٤١ - ٤٦)<sup>٣</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## التخصُّص في العمل

مع وضوح الهدف الروحي عند القديس باسيليوس بخصوص العمل، غير أنه يود أن يكون الراهب ناجحًا في كل شيء، حتى في العمل المُوكَّل إليه في الدير. يطلب من الراهب ألا يتنقل من عمل إلى آخر، إنما أن يهتم أن تكون له خبرة ومعرفة نامية حتى في العمل، أيًا كان نوعه.  
نمو معرفة الراهب وقدرته على عملٍ مُعيَّن بنجاح تمسُّ حياته وشخصيته وروحانيته. فقد خلق الله الإنسان على صورته ومثاله، ليكون ناجحًا في كل ما تمتد إليه يديه. وكما يوصينا الرسول: "أيها الحبيب، في كل شيء أروم أن تكون ناجحًا وصحيحًا، كما أن نفسك ناجحة" (١ يو ١ : ٢).  
النجاح سمة المؤمن، سواء كان من الشعب أو راهبًا أو كاهنًا! وأيًّا كان عمره وإمكانياته.

❖ لا تنتقل من عملٍ إلى آخر، لأن طبيعتنا لا تقدر أن تقوم بأشغالٍ كثيرة معًا. لذا خير لنا أن نُباشِرَ عملاً واحدًا بدقة وإحكام من أن نقوم بأعمالٍ كثيرة بدون إتقان، لأن الانقسام بين أشغال كثيرة والتنقل في الأمور بحيث لا يقضي منها شيء دليل على خفة متأصلة في الطبع أو مدعاة لتولّد تلك الخفة<sup>٤</sup>.

<sup>1</sup> *Regulae fusius tractatae*, 42.

<sup>2</sup> *Moralia*, 48, c 1.

<sup>3</sup> *Regulae brevius tractatae* Question 207.

<sup>4</sup> *Regulae brevius tractatae* Question 41.

❖ يلزم توزيع العمل حسب توجيهه العضو الأكبر المعروف بقداسة الحياة، والذي بدوره يحسب أشغال أياديهم لأجل نول الضروريات، تنفيذًا للأمر بأكل الخبز بالعرق والتعب (تك ٣: ١٩)¹.

القديس باسيليوس الكبير

## الأمانة والجدية في العمل

مع اهتمام الراهب أن يحيا ناجدًا في كل شيء، حتى في العمل الموكل إليه في الدير، يؤكد القديس باسيليوس المبادئ التالية:

١. ينبغي على كل أحد أن يهتم بالعمل برغبة جادة، ويُنَمِّمه بدون ملامة، بل بغيره ونشاط وعناية وسهر، كما لو كان يعمل على مرأى من الله². مع غيرته وجدّيته في العمل، لا يفارقه الشعور بالحضرة الإلهية، فهو يعمل كما في مرأى الله، الذي يهبه الفهم والقدرة والنجاح. وكأن العمل جزء لا يتجزأ من العبادة. للأسف كثيرون يحسبون العمل ثقلًا ومضيعة للوقت، يحرم الإنسان من التفرغ للصلاة والعبادة.

❖ يُوجّه المسيحي كل عمل - صغيرًا كان أم عظيمًا - حسب مشيئة الله، مُنَمِّمًا إياه بكل حرص ودقة، ويحفظ أفكاره ثابتة في (الله) الواحد الذي وهبه العمل لكي يُنَمِّمه، بهذه الكيفية يتم القول: "تَقَدَّمْتُ فرأيت الرب أمامي في كل حين، لأنه عن يميني، كي لا أتزعزع"³.

❖ يلزم كل أحد أن ينتبه لعمله الخصوصي، ويهتم به برغبة، ويُنَمِّمه بدون ملامة بغيره ونشاط وعناية وسهر، لئلا يستحق اللعنة، إذ قيل ملعون من يعمل عمل الرب باسترخاء (إر ٤٨: ١٠). كما يلزمه أن يعمل على مرأى من الله، وذلك لكي يتهيأ له أن يقول بدالة كل حين: "كما أن عيون العبيد إلى أيدي مواليتهم، كذلك عيوننا إلى الرب إلهنا" (مز ١٢٢: ٢)⁴.

القديس باسيليوس الكبير

٢. يُحَدِّرُ القديس باسيليوس الراهب من الأعمال التي لا تتفق مع الحياة الرهبانية. لا بد للعمل أن يساعد في حفظ السلام في الدير، وأن يُعزِّز جو الهدوء، ولا بد أيضًا من الابتعاد عن كل عمل يشغل البال كثيرًا، ويستلزم جهدًا كبيرًا للحصول على المواد الأولية وعلى تصريف الإنتاج والمحصول. كما يُحَدِّرُ الراهب في العمل من اختلاط الجنسين⁵.

¹ *An Ascetical Discourse, (Frs. Of the Church, volume 9, p. 211).*

² *Regulae brevius tractatae Question 41.*

³ *The Long Rules Q. 5.*

⁴ القوانين المطوّلة - سؤال ٤١

⁵ الأب الياس كويتر المخلصي: القديس باسيليوس الكبير، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، ١٩٨٩، ص ٧٦

❖ عندما يحلُّ دورك في الخدمة، أضف إلى عملك الجسماني كلمة نصيحة وتعزية محبة للذين تخدمهم، فتكون خدمتك المُمَّلَّحة بملح (كو ٤ : ٦) مقبولة.

لا تسمح لآخر أن يمارس ما هو موكل إليك بحق، حتى لا تُسحب منك المكافأة وتُعطي لآخر، فيغتنى هو بثروتك، بينما تصير أنت في خزي.

مارس التزامات خدمتك بدقة وعناية كمن يخدم المسيح. إذ يقول النبي: "ملعون من يعمل عمل الرب برخاوة" (إر ٤٨ : ١٠).

خف، كما لو كانت عينًا الرب عليك، فإن الانحراف يصدر عن التهاون والاستخفاف، حتى وإن كان العمل الممارس يبدو لك وضيعةً.

عمل الخدمة هو عمل عظيم، يقود إلى ملكوت السماوات<sup>١</sup>.

❖ سؤال: كيف يمكن لليد اليمنى أن تعمل، دون أن تعرف اليد اليسرى ما تقوم به (مت ٦ : ٣)؟

الإجابة: متى كان العقل غير مُشَتَّت، وبه رغبة شديدة في مسرَّة الله، يعمل الإنسان جاهدًا من كل قلبه ألا يجنح بعيدًا عن الطريق المستقيم، مجاهدًا قانونيًا (٢ تي ٢ : ٥). وبناء عليه لا ينشغل بأفكاره في الأمور الخارجية أو في أي شيء آخر غامض، وإنما فقط في الله وحده وفي العمل الحاضر، كما لصانع ماهر يبحث جديًا فقط عن أداة مفيدة لانجاز العمل الذي يقوم به<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## إضرام الوزنة

كثيرًا ما نتساءل: ما هي الوزنة أو الوزنات التي وهبني الله إياها؟

١. الله في محبته للبشر وحنوه لا يحرم إنسانًا من وزنة أو وزنات يُتاجر فيها. يليق بنا أن نسأل الله أن يكشف لنا عن وزناته التي وهبنا إياها. وأن يقودنا للعمل بها لحساب ملكوته وبنيان كنيسة الله ونفع إخوتنا في البشرية.

٢. يليق بنا أن نودع بعض وزناتنا في المصرف أو المصارف. فقد لاحظ القديس باسيليوس حين كان بالإسكندرية أن البعض يودعون أموالهم لدى أناس أمناء ذوي خبرة يتاجرون بها، ويقتسمون العائد معهم. يُعتبر القديس بولس مثالًا عمليًا لذلك. أينما التقى بإنسان (أو عائلة) يفتح قلبه للإيمان يُسلِّمه وديعة الإيمان كما في مصرف، ليُسَلِّمه بدوره للآخرين، فقد تلمذ تيموثاوس وتيطس وفيبي وأكيلا وبريسكلا وغيرهم، صار هؤلاء شهودًا للحق وكارزين بإنجيل المسيح.

<sup>1</sup> On Renunciation of the World, (Frs. Of the Church, volume 9, p. 29).

<sup>2</sup> Regulae brevius tractatae, 197.



٣. حين نودع شيئاً لدى آخر، لا نطلب منه أن يكون صورة مُطابِقة لنا، إنما ليعمل كل واحدٍ حسب الموهبة المعطاة له.

❖ سؤال: ما هي الوزنة؟ وكيف يمكن أن ننميها (مت ١٥ : ١٥)؟

الإجابة: أحسب أن هذا المثل قد قيل بالإشارة إلى كل هبة من الله، ولذلك يُمكن لأي شخص أن يضاعف من موهبته التي يحسب أن الله وهبه إياها وهي مناسبة له، ويستخدمها بما فيه نفع ومكاسب للكثيرين. فإنه لا يوجد أي شخص لا يشترك في حنو الله<sup>١</sup>.

❖ سؤال: ما هو المصرف الذي يقول الرب عليه أن تضع أموالك فيه (مت ٢٥ : ٢٧)؟

الإجابة: لا يُقصد بالأمثال (التي نطق بها السيد المسيح) ما تُظهره المسارح الخارجية، لكنها تقود العقل نحو الحوار. هكذا تُعطى النقود إلى موظفي المصارف للمتاجرة بها. وكما تعلمت في الإسكندرية، الأشخاص الذين يقبلون الودائع ويفعلون ذلك، هكذا وجب على من يحصل على أية عطية أن يُشاركه فيها المحتاجون، أو يفعل كما قال الرسول عن الكلمة: "أودعه أناساً أمناء يكونون أكفاءً أن يعلموا آخرين أيضاً" (٢ تي ٢ : ٢). وهذه القاعدة بالطبيعة لا تسري فقط على الكلمة، ولكن تنطبق على كل شيءٍ آخر. فالبعض لهم القوة لإنجاز شيءٍ، والآخرين ينالون المهارة لإدارتها<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## العمل في الدير والنزعة المقدسة

ما يشغل قلبنا في ممارستنا لأي عملٍ، أن يصدر هذا العمل - أيًا كان نوعه - عن حُبٍ صادقٍ لله، مع شكرٍ مُستمرٍ لله الذي يهبنا هذه الإمكانية للعمل، فنرضي الله لا الناس. فإن قَدَّمنا خدمة لشخصٍ ما، وكان جاحداً لا نضطرب، لأننا إنما نُقدِّمها للسيد المسيح نفسه.

❖ سؤال: بأية نزعة يلزمنا أن نخدم الله؟ وبصفة عامة ما هي هذه النزعة؟

الإجابة: أحسب أنها نزعة صالحة أو بعث من العقل إن كان في داخلنا رغبة أن نكون موضع سرور الله بحماسٍ لا ينقطع وثباتٍ بدون تغيير.

مثل هذه النزعة التي لجلال أمجاد الله بأفكارٍ ورعة ونقيّة وشاكرة، وتذكُّر مستمرٍ للحسانات الممنوحة لنا من قبل الله. بهذا يرتفع في النفس ما قيل: "تُحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل فُكرك" (مر ١٢ : ٣٠). كما حدث مع ذاك الذي قال: "كما يشواق الإيل إلى جداول المياه، هكذا تشواق نفسي إليك" (مز ٤٢ : ١).

<sup>1</sup> *Regulae brevius tractatae*, 253.

<sup>2</sup> *Regulae brevius tractatae*, 254.



هكذا هي النزعة التي بها نخدم الرب، مُتَمِّين قول الرسول: "من سيفصلنا عن محبة المسيح؟ شدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عري أم خطر أم سيف؟ الخ. (رو ٨: ٣٥)<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## العمل في الدير ورفع القلب للأبدية

مع اهتمام الراهب أن يُجيد العمل ويُنقنه، وأن يعمل بجدية ونشاطٍ وغيره، وأن يضع في قلبه أن يعمل لحساب الرب كي يعطي الفقراء، يليق به ألا تتحدر بصيرته الداخلية عن التطلع إلى الأبدية. فيحرص في عمله على الشعور بالحضرة الإلهية، والالتزام بالعفة في كل جوانب حياته، وتركيز بصيرته على الأبدية، لينعم بالشركة مع القديسين في أحضان الله.

في مقال للقديس باسيليوس الكبير عن النظام النسكي، يُحدِّثنا عن اهتمام الراهب بممارسة لعمل اليدوي كجزء لا يتجزأ من تهيئة نفسه للحياة الأبدية.

يخشى القديس باسيليوس أن ينسى الراهب غايته وهو يعمل بكل نشاطٍ وغيره ونجاح. لذا يؤكد أنه ضرورة الاهتمام بحياته الداخلية وسلوكه الظاهر وهو يعمل، مُدركًا أنه لا يتوقَّف عن الاستعداد المستمر للعبور في رحلة هذه الحياة منطلقًا إلى الأبدية.

❖ تَجَنَّب المَلذَّات، واطلب العفة. نَرِّب جِسْدَكَ على العمل الشاق، ولتتعود نفسك على المتاعب. تطلَّع إلى انحلال النفس والجسد كتحررٍ من كل شرٍّ، وترقَّب التَّمَتُّع بالخيرات الأبدية التي يَتَمَتُّع كل القديسين بنصيبٍ منها<sup>٢</sup>.

❖ في المقام الأول والرئيسي يلزم على الراهب ألا يملك شيئًا من هذا العالم، بل تكون ممتلكاته هي عزل جسمه، وتواضع مشيه، ولطف نغمة صوته، واتزان طريقة حديثه. ويلزمه ألا يقلق من جهة طعامه وشرابه، ويأكل في صمتٍ.

في حضور رؤسائه، يلزمه أن يمسك لسانه، أمام من هم أحكم منه يلزمه أن ينصت إلى كلماتهم. يلزمه أن يحمل حبًا لزملائه، مُقَدِّمًا مشورة مُترَفِّقة لمن هم تحته، منعزلًا عن الأشرار والجسدانيين والفضوليين.

يلزمه أن يُفَكِّر كثيرًا ويتكلم قليلاً، غير مُنَقِّدٍ في الكلام، ولا يدخل في حوارٍ غير نافع، ولا يتحرَّك بسهولة نحو الضحك، وقورًا في مشيه، متطلعًا بعينه إلى أسفل، وبروحه إلى أعلى، غير مجاوبٍ عن الأكاذيب بأكاذيب، راغبًا في التعلُّم.

<sup>١</sup> *Regulae brevius tractatae*, 157.

<sup>٢</sup> *Letter 42 to Chilo, his disciple*, 4.

يليق به أن يعمل بيديه، مُنكراً دوماً في غايته النهائية، متهللاً في الرجاء، صبوراً في المحن، مصلياً بلا انقطاع، شاكراً على كل شيء، متواضعاً أمام كل أحد، مبغضاً للكبرياء، وقوراً، حريصاً على حفظ قلبه من الأفكار الشريرة. يلزمه أن يُكرّس كنزاً في السماء (لو ١٢ : ٣٣) بحفظه الوصايا، وفحص نفسه من جهة أفكاره اليومية وتصرفاته، غير مرتبك بأعمال العالم وأموره الزائدة (٢ تي ٢ : ٤)¹.

القديس باسيليوس الكبير

## بين حياة الصلاة والعمل

يُهمل البعض في أعمالهم بحجة انشغالهم بالصلاة والتسبيح. هنا يؤكد القديس باسيليوس الحقائق التالية:

١. إن كان المُكرّسون يودون التفرُّغ للصلاة والتسبيح، فإن العمل وصية إلهية لا تتعارض مع حياة الصلاة.

٢. يليق بالمؤمن أن يُدرك الوصية الكتابية: لكل شيء زمان (جا ٣ : ١). بروح الحكمة والتمييز، يلزمه أن يوازن بين أوقات مُعيّنة للصلاة وأخرى للعمل.

٣. يستطيع المؤمن أن يعمل بيديه، وفي نفس الوقت ينشغل قلبه وفكره بالصلوات والتشكرات والتسابيح لله، فالعمل لا يحرم المؤمن من الصلاة الدائمة.

٤. كل من الصلاة والعمل يدفعان بعضهما البعض، بالصلاة نطلب أن يكون العمل ناجحاً حسب مسرّة الله. وبالعمل نشكر الله الذي يهبنا العمل المناسب لمجد اسمه.

٥. لا تتعارض الصلاة الدائمة مع تخصيص أوقات مُعيّنة للصلوات الجماعية مثل صلاة باكر وصلاة الساعة الثالثة، فالمؤمن كما الجماعة في حاجة إلى النوعين من الصلاة.

٦. في السؤال المُقدّم له: هل يتيق بنا أن نهمل في العمل بحجة إقامة الصلوات والتسبحة؟ يضيف: وأية أوقات مناسبة للصلاة؟ هل أولاً يلزم أن نبدأ بالعمل؟، مؤكداً أنه يجب أن يبدأ الراهب يومه مُبكراً بالصلاة. (راجع الباب الرابع: الصلاة الدائمة وصلوات السواعي).

¹ A Discourse on Ascetical Discipline, (Frs. Of the Church, volume 9, p. 33).

❖ سؤال: إن كان أحد مشغولاً بالعمل في مخزن أو مطبخ أو عملٍ مشابهٍ، ولم يذهب لممارسة التسبحة والصلاة، هل تخسر نفسه شيئاً؟

الإجابة: ليت كل واحدٍ في عمله يحفظ قانونه كعضوٍ في الجسد. حقاً إنه يخسر إن أهمل في العمل الملتزم به، وإن خطط ما هو ضد الهدف العام للإخوة، يصير في خطرٍ زائد. لهذا ليضع في ذهنه ويتقوى ما هو مكتوب: "مُتَرَنِّمِينَ وَمُتَرَنِّمِينَ فِي قُلُوبِكُمْ لِلرَّبِّ" (أف ٥: ١٩).  
فإن كان غير قادر على الذهاب في الوقت المناسب ليكون حاضراً جسمانياً مع الآخرين في موضع الصلاة، فليُحَقِّق ما يتناسب مع التقوى أينما وُجِدَ. ليت لا يضطرب، فإنه يُحَقِّق المكتوب: ليلبث كل واحدٍ فيما دُعِيَ فيه (١ كو ٧: ٢٤).

يليق بالكل أن يهتموا في حالة أي شخصٍ قادر أن يُتَمِّم العمل المُعَيَّن له في الوقت المناسب ويذهب (للصلاة)، ليكون مثالاً للآخرين، أما أن يزعم أنه مشغول جداً في عمل خدمته، فهذا يُسَبِّبُ عثرةً للآخرين ويتكَبَّدُ حكم المُهْمِلِ<sup>١</sup>.

❖ سؤال: هل يليق بنا أن نهمل في العمل بحجة إقامة الصلوات والتسبحة؟

الإجابة: يقول ربنا يسوع المسيح ليس كل واحدٍ "مستحق طعامه"، على الإطلاق وكيفما اتَّفَقَ، بل الفاعل فقط (مت ١٠: ١٠)، ويأمرنا الرسول بولس أن نتعب ونعمل بأيدينا ما هو صالح، لكي يكون لنا ما نُشَارِكُ به المحتاج (أف ٤: ٢٨).  
يُتَّضِحُ من هذا أنه يجب علينا أن نعمل باجتهد، لأنه لا يسوغ لنا أن نتَّخِذَ التقوى حجةً للبطالة، أو تبرير كسلنا. بل علينا أن نجعله موضوعاً للجهد والأتعاب الجمَّة والصبر على التجارب لكي نستطيع نحن أيضاً أن نقول: "في تعبٍ وكَدٍ، في أسهارٍ مراراً كثيرة، في جوعٍ وعطشٍ" (٢ كو ١١: ٢٧). مثل هذا المنهج ينفع لا لإخضاع الجسد فقط، بل ولممارسة محبةً القريب أيضاً، لكي نسند الإخوة المحتاجين، وذلك حسب المثال الذي يُقَدِّمه لنا الرسول في سفر الأعمال، بقوله: "في كل شيءٍ أريتمكم أنه هكذا ينبغي أنكم تتعبون (بأيديكم)، وتُغَضِّدُونَ الضعفاء" (أع ٢٠: ٣٥). وأيضاً: "بالحري يتعب عاملاً الصالح بيديه، ليكون له أن يعطي من له احتياج" (أف ٤: ٢٨). وهكذا نستحق أن نسمع قوله: "تعالوا يا مباركي أبي، رثوا المُلْكَ المُعَدَّ لكم منذ إنشاء العالم، لأنني جعت فأطعمتموني، وعطشت فسقيتموني..." (مت ٢٥: ٣٤-٣٥). وليس لي حاجة أن أصف لكم جسامه شرَّ البطالة في حين أن الرسول أوصى صريحاً بأنه: "إن كان أحد لا يشتغل فلا يأكل" (٢ تس ٣: ١٠)، فكما أن القوت اليومي ضروري لكل إنسان، كذلك ضروري له الكد بحسب طاقته.

<sup>١</sup> *Regulae brevius tractatae, 147.*

لم يكتب سليمان عبثاً في مديح المرأة النشيطة: "إنها لم تأكل خبز الكسل" (أم ٣١ : ٢٧)، ويقول الرسول أيضاً عن نفسه: "ولا أكلنا خبزاً مجاناً من أحدٍ، بل كنا نشتغل بتعب وكد ليلاً ونهاراً، لكي لا نُثقل على أحدٍ منكم" (٢ تس ٣ : ٨)، مع أنه كان له السلطان كمُبشِّرٍ بالإنجيل أن يعيش من الإنجيل (١ كو ٩ : ٤ ، ١٤).

يربط الرب بين الكسل والشر. إذ قال: "أيها العبد الشرير والكسلان" (مت ٢٥ : ٢٦)، وأيضاً سليمان الحكيم لم يثنِ فقط على العامل بالكلمات التي سبق اقتباسها (أم ٣١ : ٢٧)، بل ويخ الكسلان، إذ ربطه في تضاد مع أصغر الحشرات، قائلًا: "أذهب إلى النملة أيها الكسلان" (أم ٦ : ٦).

لذا يجب أن نخشى من أن نُوبَّخ نحن كذلك في يوم الدينونة، لأن الذي وهبنا القدرة على العمل، يطلب منا أعمالاً تتناسب قدرتنا هذه. فإنه قال: "من أعطي كثيراً يُطلب منه كثير" (لو ١٢ : ٤٨).

علاوة على هذا إذ يستخدم البعض الصلاة والتسبحة كعذرٍ للإهمال في عملهم، يلزم أن يوضع في الذهن، أن للأعمال الأخرى الوقت المناسب لها حسب كلمات الجامعة: "لكل شيءٍ زمان" (جا ٣ : ١). بالنسبة للصلاة والتسبحة، بالحقيقة لهما كل ساعة. فبينما تكون أيادينا مشغولة بأعمالها، يُسبَّح اللسان لله، وذلك متى كان ذلك ممكناً، متى كان ذلك للبنيان. وإن كان غير مُمكنٍ باللسان فليكن بالقلب، وذلك بالمزامير والتسابيح والأغاني الروحية كما هو مكتوب (كو ٣ : ١٦).

هكذا يمكننا في وسط عملنا أن نُتَمَّ واجبنا في الصلاة، شاكرين الله الذي يمنحنا قوة أيدينا لإتمام أعمالنا، ومهارة لأذهاننا لطلب المعرفة، ولأنه يهبنا المواد، التي نستخدمها كآلات، والتي بها نشكل المادة بالفنون التي نشغل بها، مُصلِّين أن يُوجِّه عمل أيدينا نحو هدفها، حسب مسرَّة الله الصالحة.

هكذا نحن نطلب الروح الهادئ برباطة جأش، عندما نسأل الله النجاح في كل عملٍ، ونرد دين الامتثال لله الذي أعطانا القوة لممارسة العمل، وكما قيل نحفظ أمام أذهاننا غاية مسرَّته.

إن لم يكن الأمر هكذا، كيف إذن يمكننا أن نثبت في كلمات الرسول الذي يأمرنا: "صلوا بلا انقطاع" (١ تس ٥ : ١٧)، مع قوله "عاملين ليلاً ونهاراً" (٢ تس ٣ : ٨).<sup>١</sup>

القديس باسيليوس الكبير

<sup>١</sup> *Regulae fusius tractatae Question 37.*



## العمل خارج الدير

يُرَكِّز القديس باسيليوس على ضرورة العمل، لأجل بنيان الراهب نفسه روحياً، وبنيان الجماعة، والمشاركة في خدمة المحتاجين، وفي نفس الوقت اهتم بالعمل خارج الدير، مؤكداً أنه يلزم اختيار الشخص المناسب للقيام بذلك، متسائلاً: من الذي يُسَمَّح لهم أن يذهبوا في رحلات خارج الدير؟ وكيف يمكن استجوابهم عند عودتهم؟ وقد وضع القديس المبادئ الآتية:

١. يُسَمَّح للراهب بالعمل خارج الدير، أي الذهاب إلى قرية أو مدينة لقضاء بعض احتياجات الدير أو القيام بخدمة مُعَيَّنَةٍ، إن كان يُحَقِّق الهدف دون أن يصيبه ضرر روحي، وأن يكون نافعاً لمن يذهب معه في رحلته هذه.

٢. مهما دعت الضرورة لا يُسَمَّح لأحد منهم القيام بهذه المهمة، إن كانت تؤذيه روحياً أو كان عاجزاً صحياً عن ذلك. إن لم يوجد الشخص المناسب، فلا يُرْسَل أحد ولو أدَّى ذلك إلى خسائر مادية للدير.

٣. يُفَضَّل أن يُرْسَل الشخص المناسب لقضاء احتياجات أكثر من دير معاً، حتى لا يخرج كثيرون للعمل خارج الدير. هذا بجانب أن هذا التصرف يُحَقِّق الحب الأخوي والوحدة بين الأديرة وبعضها البعض.

٤. لا يُتْرَك هذا الأمر دون تقييم لكل رحلة عملٍ من كل جوانبها، سواء بالنسبة لتحقيق الهدف، أو موقف الراهب والتعرف على من التقي بهم، لئلا يُسَبَّب له هذا العمل كسرًا للوصية الإلهية.

٥. إن كان قد أجاد العمل، فيُعلن بطريقة لائقة عن الموافقة على تصرفاته، وإن وُجِدَت أخطاء يلزم تداركها.

٦. يجب الابتعاد تماماً من الدخول في صفقات تجارية، والانشغال بمكاسب مادية، حتى لا ينحرف الدير عن رسالته.

٧. تقييم العمل لا يعني عدم الثقة في القائمين به، فلا نعجب من أن التلاميذ والرسول كانوا يُقدِّمون حساباً عن رحلاتهم الكرازية، كما حدث مع بطرس وبولس وبرنابا.

❖ يُمنَح السماح بالذهاب خارج (الأديرة) لمن هو قادر على تحقيق الرحلة، دون أن يُسَبَّب ضرراً لنفسه، على أن يفيد من هم في صحبته.

إذا لم يوجد الشخص المناسب، فالأفضل احتمال كل المتاعب والمضايقات حتى إلى الموت، وذلك بسبب نقص الضروريات (للدير)، عن السماح بأضرار تصيب النفس من أجل راحة الجسد. يقول الرسول: "خير لي أن أموت، من أن يُعَطَّل أحد فخري" (١ كو ٩: ١٥). إن كان هذا حقيقي بالنسبة لأمر يوجد فيها حق الاختيار، فكم بالأكثر يلزم تطبيقها في أمر يخص الوصية؟!

مع ذلك لكي تتأكدوا أن ناموس المحبة يترك لنا نوعًا من المعونة هنا، فإن حدث أنه في جماعة ما لا يوجد أحد يمكن أن يرسل دون التعرُّض للخطر، فإن الأديرة المُجاورة يمكنها أن تمدَّ الدير بما ينقصه، ويجعلوا الرحلات عامة دون انفصال ديرٍ عن آخر، حتى أن من كان ضعيفًا في الروح أو يعاني من مرضٍ جسماني يبقى في أمان خلال الاتحاد الوثيق بين المرافقين الأقوياء.

هذه التدابير يجب إعدادها مقدمًا بواسطة الرئيس، حتى لا يحدث عجز في المعونة في لحظة الطوارئ.

بعد العودة يجب أن يتمَّ فحص الرحلة والأحداث التي تمَّت فيها، ومعرفة نوع الأشخاص الذين التقوا معهم بواسطة المسافر. عبر كل الرحلة، والمعونة التي قدَّموها له وتفكيره، والتعرُّف إن كان قد قضى كل نهارٍ وليلٍ في مخافة الله، أم انحرف وكسر أية وصية، سواء بواسطة الخضوع لظروف خارجية، أو بسبب الاستسلام لطبيعته الخاملة.

بناء على هذا الفحص يلزم أن يُعطى ختم الموافقة لما تم بطريقة سليمة (في الرحلة)، أما ما حدث من أخطاء، فيجب تصحيحه بتعاليم لائقة ماهرة. بهذا فإنه يجب ملاحظة المسافرين بالأكثر وخضوعهم للمحاسبة، ولا تظهر غير مُبالين بسلوكهم، حتى إن انفصلوا عنا.

علاوة على هذا، فإن سفر الأعمال يُظهر أن هذا كان يُمارَس عادة مع القديسين. إذ أخبرنا أن بطرس عند عودته إلى أورشليم، قدم حسابًا للمؤمنين عن رحلته بين الأمم (أع ١١: ٤ الخ.)، وأن بولس وبرنابا بعد وصولهما اجتمعت الكنيسة، وأعلنت أن الله عمل بهما. مرة أخرى بقي كل الجمهور صامتًا يصغي إلى برنابا وبولس بخصوص الأمور التي صنعها الله في رحلتها (أع ١٥: ١٢).

النقطة الرئيسية بالنسبة لنا والتي يجب حفظها في أذهاننا، هي أن الجري هنا وهناك والمعاملات التجارية والمكاسب التجارية يجب تجنبها تمامًا بواسطة المجتمعات الدينية<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>١</sup> *Regulae fusius tractatae*, 44.

## الأعمال المناسبة للمُكرَّسين

في النظام الباخومي كانت كل فئة مختصة بعملٍ مُعيَّن كالنسيج والنساختة والزراعة والنجارة الخ.. لها رئيس خاص بها، يخضع كل هؤلاء الرؤساء للرئيس العام للدير. وكان هذا الرئيس له من الخبرة أن يُوجِّه العاملين بحكمةٍ في تدبير العمل مع التوجيه الروحي اللائق بالعمل. غالبًا ما كان في النظام الباسيلي تنظيمًا مُشابهًا، خاصة لاهتمام الأديرة بتعليم الصغار، ووجود مستشفى تحت رعاية الرهبان ودورٍ للعجزة، واهتمام الدير بسدِّ احتياجات الشعب، خاصة عند حلول مجاعات أو كوارث.

يُقَدِّم لنا القديس مبادئ عامة، يلزم مراعاتها عند تدبير موضوع العمل بالنسبة للرهبان، أهمها:

١. اختيار أعمال يمكن ممارستها بهدوءٍ وسكونٍ بلا اضطراب.
٢. إقامة أعمال لا توجد صعوبة في الحصول على المواد المناسبة لها، حتى لا تُثربك العاملين، أو تُسبِّب قلقًا للمسؤولين.
٣. ألا تحتاج المنتجات إلى مجهودٍ في بيعها، ولا تُسبِّب ضررًا سواء لدير الرجال أو النساء.
٤. ألا تُنافس العالم في صنع أشياء مرفهة وكماليات، إنما يُقَدِّم الدير ما هو ضروري للجماعة، لإشباع احتياجاته في بساطة.
٥. في أعمال النسيج لا يقوم الدير بتصنيع منسوجات تُسبِّب عثرة.
٦. يُراعَى في العمل ألا تشغل الآخرين عن التسبيح والصلاة.
٧. ألا تُلزم الراهب إلى السفر كثيرًا والتنقُّل من مكانٍ إلى آخر.
٨. ألا تُسبِّب الأعمال متاعب مع من يجتمعون مع الرهبان.

❖ ليس من السهل أن نختار أعمالاً مُعيَّنة على وجه الخصوص، لأن أعمالاً مختلفة يُمارسها

أشخاص متباينون حسب طبيعة مواقعهم، والفرص التي تُقدِّمها كل منطقة.

على أي الأحوال يمكن وضع قانون عام، أن هذه الأعمال يجب اختيارها بحيث تسمح

لحياتنا بالهدوء والسكون بلا اضطراب، ولا يجدون صعوبة في الحصول على المواد المناسبة

لهم، ولا تتطلب جهدًا في بيع الأعمال التي ينتجونها، ولا تُسبِّب ضررًا ما غير لائق بالمجتمع

سواء للرجال أو النساء .

في كل الأمور يلزمنا أن نضع في أذهاننا أن هدفنا الخاص هو البساطة والاقتصاد في

الإنفاق، ويلزمنا أن نتجنَّب إشباع شهوات الإنسان الغبية والضارة وذلك بالعمل حسب الغايات

التي يطلبونها.

في فن النسيج يلزمنا أن نتخّر مهارتنا في أن ننتج أعمالاً للاستخدام العام اليومي، لا في عمل قطع يخترعها أناس بخلاق منحلة كمصيدة وفخ لاصطياد الفتیان. هكذا في ممارسة فن صنع الأحذية، يجب علينا بمهارتنا أن نخدم أولئك الذين يطلبون إشباع احتياجاتهم الحقيقية.

بالنسبة لفنون البناء والنجارة والحدادة والزراعة، هذه جميعها ضرورية لاستمرار الحياة، وتُقدّم الكثير مما هو نافع. لهذا فإن هذه الفنون يجب ألا نرفضها لأي سبب خاص بطبيعتها، لكن إن سببت لنا اضطراباً أو مزقت وحدتنا مع الإخوة نتركها، مُفضّلين الأعمال التي تقود حياتنا إلى الإنصات المُستمر للرب، ولا تسبب لمن يكرسون حياتهم أن يتخلّوا عن التسبيح والصلاة أو تسحبهم بعيداً عن أية ممارسات منضبطة.

إن ننتهّد تلك الأعمال التي لا تُسبّب أذية للحياة ونُفضّلها. فالزراعة على وجه الخصوص، تؤدي ممارستها إلى تحصيل الضروريات، ولا يلتزم الفلاحون للسفر الكثير، والجري هنا وهناك، إنما تتفق ممارستها مع ظروفنا فلا تُسبّب لنا ارتباكاً أو متاعب من جيران أو من يجتمعون معنا.

### القديس باسيليوس الكبير

#### الأسلوب الذي نتخذه في بيع منتجاتنا والذي نستخدمه في رحلاتنا

يليق أن يدرك المسئولون والرهبان أن رسالة الدير روحية، ولا يليق بأحد أن ينحرف عن هذا الهدف، فلا ينشغل العاملون ببيع منتجات الدير بالتجول بين الأسواق لمعرفة أفضل ربح يمكن نواله. بقدر الإمكان إن أمكن بيع المنتجات دون النزول من الدير، وإن كان مستحيلاً فيلزم اختيار مواقع بيع بين أناس أتقياء.

في السفر لبيع المنتجات يُفضّل ذهاب مجموعة من الرهبان معاً، حتى يمارسوا عبادتهم الجماعية معاً. هذا وتحرك الجماعة معاً لا يُعطي للآخرين أن يتصرّفوا بعنفٍ وبغير لياقةٍ مع الراهب الذي ترك الدير لتوزيع المنتجات.

إن أمكن تجنّب التعامل مع من يصعب التفاهم معهم أو من كانوا طمّاعين.

❖ لنحرص ألا نبيع منتجاتنا في أسواق بعيدة، ولا نذهب لتجول بها. يبدو أن استقرارنا في مكان واحد مناسب ونافع لنا، وذلك لأجل البنيان المشترك، وللحرص على حفظ نظامنا اليومي. لهذا فنحن نُفضّل السعر الأقل للمنتجات عن السفر من أجل الحصول على ربح قليل. إن كانت

<sup>1</sup> *Regulae fusius tractatae*, 38.



الخبرة تُظهر أن الوسيلة الأولى مستحيلة، يلزمنا اختيار مواقع ومدن أهلة بسكان أتقياء، حتى لا تكون رحلتنا بلا ثمر بالنسبة لنا.

علاوة على هذا، يلزم أن يسافر الإخوة في مجموعات لأعمال مُعيَّنة، فيحمل كل واحدٍ ثمره.

يلزمهم أن يبدأوا معًا، حتى ترتبط الرحلة بصلوات ومزامير وتُسبب بنيانًا مشتركًا. وعندما يبلغون محطة الوصول، يلزمهم أن يختاروا مسكنًا واحدًا، من أجل الحماية المشتركة، فلا تضيع منهم أية ساعة من ساعات الصلاة بالنهار أو الليل. وأيضًا لأن التعامل مع أشخاص يصعب التعامل معهم أو طمّاعين، يعبر بخطر أقل عندما يتم مع جماعة، عنه إن تمّ مع فرد واحد. فإنه حتى الأشخاص الذين يستسلمون للعنف لا يرغبون في وجود شهود على سلوكهم الخاطئ<sup>1</sup>.

القديس باسيليوس الكبير



<sup>1</sup> *Regulae fusius tractatae*, 39.

## أسئلة بخصوص العمل

### العمل واستضافة الزائرين

يُميّز القديس باسيليوس بين صنفين من الزائرين:

١. إن كان الزائر قادمًا إلى الدير للقاء مع راهبٍ أو أكثر من أجل الارتباط بصداقةٍ، فلا يجوز للراهب أن يتوقّف عن عمله في الدير من أجل استضافته للصديق. ولعل القديس باسيليوس وهو يتطلّع حتى إلى العمل المادي الذي يقوم به المؤمن على أنه نوع من العبادة، فلا يتركه لأجل عواطف الصداقة. وربما أراد من الراهب أن يؤكد لصديقه أن الزمن له تقديره، فلا يترك الراهب عمله ليدخل في أحاديث خاصة بصداقةٍ قديمة، هذه الأحاديث مضيعة للوقت وغير بناءة.
٢. إن كان الزائر قادمًا لأجل منعة روحية بروح الجدية والغيرة الحقيقية على خلاص نفسه، يمكن للراهب أن يترك عمله ليسند هذا الزائر بحكمةٍ واتزانٍ وحرصٍ على وقته. إنه في هذا يُشبه القديس أنبا أنطونيوس. فإذا جاء تلميذه يخبره بحضور ضيف، يسأل هل هو من أورشليم؟ أي مُهتَم بخلاص نفسه؟ فإن أجاب بالإيجاب يستقبله.

### ❖ سؤال: هل نستمر في عملنا عندما يكون لدينا بعض الزائرين؟

الإجابة: ليس شيء يُعمل حسب الوصية يتوقّف بسبب القادمين إلينا من أجل الصداقة، إلا إذا كان ذلك بسبب رعاية النفس، الأمر الذي بحسب وصية الرب له أولوية عن الاهتمام بالجسد (مت ٦ : ٢٥). وكما يقول الرسل في سفر الأعمال: "لا يُرضي أن نترك نحن كلمة الله ونخدم موائد" (أع ٦ : ٢)<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

### تغيير العمل

هل من حق الراهب أن يترك العمل المعهود إليه، ويبحث عن عملٍ آخر يحسب أنه يناسب صحته أو مواهبه أو خبراته؟

١. المبدأ الأول في الرهبنة هو الطاعة في الرب، حيث يمارس الراهب جده لإرادته الذاتية وخضوعه لإرادة الرب، كما خضوعه لنظام الدير والمسؤولين. وهو في هذا يتطلّع إلى السيد المسيح

<sup>١</sup> *Regulae brevius tractatae, 313.*

الذي أطاع حتى الموت، موت الصليب (في ٢ : ٨). فبفرح وسرورٍ يُتَمَّم ما عُهِدَ إليه، لينعم بشركة انطاعة في المسيح يسوع.

٢. اعتذاره عن العمل المعهود إليه يفتح الباب أن ينتقد الآخرون المسئولين، ويطلب كل منهم عملاً حسب هواه.

٣. كثيرًا ما يطلب الإنسان عملاً معينًا بحسب أنه يجيده وأنه يتناسب مع مواهبه، وقد يؤذيه روحياً، ربما لأنه يأخذ منه وقتًا أطول على حساب عبادته، أو بسببه يسقط في الكبرياء والتشامخ.

٤. إذ لا يقبل القديس باسيليوس الطاعة العمياء، فيُطالِبنا حتى في العبادة والتسبيح أن نُمارِسهما بالروح وبفهمٍ أي بالذهن. لذلك يطلب من الراهب الذي يود تغيير عمله أن يتحدث مع الرؤساء مباشرة دون إثارة الرهبان، ويعرض أمره بروح الطاعة والخضوع، ويترك القرار في أيديهم.

٥. إن كان سبب اعتذاره عن العمل شعوره بأنه عمل ثقيل ومُرهِق، يليق به أن يجاهد أكثر، لينال مكافأة أعظم من الله. يُحَسَّب قبوله للعمل المُرهِق برضا وسرورٍ أنه شركة حب مع المسيح المصلوب.

٦. إن كان الرسول بإرادته يعمل لينفق على نفسه ومن معه، ولا يطلب أن يأكل من كرازته بل الإنجيل، فيليق بالمؤمن ألا يبحث عن حقوقه، بل يتفانى في العطاء من أجل عدم العثرة.

٧. يليق بالمؤمن في عمله ألا يمدح نفسه كمن هو أفضل من إخوته في عمله، بل يقول مع إخوته: "إننا عبيد بطلون، لأننا إنما عملنا ما كان يجب علينا" (لو ١٧ : ١٠).

٨. لا يجوز له أن يحزن لأنه عهد إليه أن يمارس عملاً لا يُتَقَنه، إنما ليعمل قدر المستطاع بروح الطاعة والخضوع.

❖ سؤال: هل يُسَمَح لأحدٍ أن يعتذر عن العمل المعهود إليه ويبحث عن عمل آخر؟

الإجابة: لما وُضِعَ قياس الطاعة كما قلنا قبلاً أنه يبلغ حتى الموت (في ٢ : ٨)، فإن من يعتذر عما عُهِدَ إليه أن يفعله، ويبحث عن عملٍ آخر، فإنه أول كل شيءٍ يُفْسِد الطاعة، إذ يُظهِر أنه لا ينكر نفسه (مت ١٦ : ٢٤).

ثانياً، يصير سبباً لشرورٍ أخرى كثيرة لنفسه وللآخرين، إذ يفتح الباب لنقد الكثيرين، ويعتاد على هذا. لأنه بالحق لا يستطيع كل أحدٍ أن يمتحن ويختار ما هو أفضل، وغالبًا ما يختار لنفسه عملاً مضرًا لنفسه.

ثالثاً، يتبنَّى بث الشكوك وسط الإخوة، إذ يحجز مقدماً لنفسه العمل الذي يبحث عنه، أو حتى الذين يريد أن يعمل معهم. هكذا يبث عدم الطاعة بكل وسيلة ويُسَبِّب شرورًا كثيرة.

لكن حتى إن وضع في اعتبره أن لديه بعض الأسباب للاعتذار عن ذلك العمل، فليُظهر ذلك للرؤساء، ويترك لهم القرار<sup>١</sup>.

### ❖ سؤال: هل يُسمح لأي أحد أن يعتذر عن عملٍ يبدو أنه ثقيل؟

الإجابة: من كان أمينًا وصادقًا في محبته لله، ومتأكدًا من مكافأة الرب، لا يكتفي بالأعمال الحاضرة، إنما يبحث على الدوام ليضيف إليها ليبلغ إلى ممارسة عملٍ أكثر مما يُطلب منه. حتى وإن بدا أنه يعمل فوق طاقته، لن يتوقّف عن الاهتمام (بالعمل) بكونه قد بذل ما في قدرته، إنما على الدوام يهتم لئلا يوجد مُقَصِّرًا فيما كان يلزم أن يعمل، مُنصِتًا إلى الرب القائل: "متى فعلتم كل ما أمرتم به، فقولوا إننا عبيدٌ بطّالون، لأننا إنما عملنا ما كان يجب علينا" (لو ١٧: ١٠). وأيضًا نقتدي بالرسول الذي قد صلب العالم له، وهو للعالم (غل ٦: ١٤). لم يخجل من القول: "أنا لست أحسب نفسي أنني قد أدركت. ولكني أفعل شيئًا واحدًا: إذ أنا أنسى ما هو وراء وأمتدُّ إلى ما هو قدام، أسعى نحو الغرض لأجل جعالة دعوة الله العليا في المسيح يسوع" (في ٣: ١٣ - ١٤).

هذا الذي له الحق ككارزٍ بالإنجيل، أن يعيش من الإنجيل (اكو ٩: ١٤)، يقول: "كنا نشغل بتعبٍ وكدٍ ليلاً ونهارًا، لكي لا نُثقل على أحدٍ منكم، ليس أن لا سلطان لنا، بل لكي نعطيكم أنفسنا قدوة حتى تمتثلوا بنا" (٢ تس ٣: ٨ - ٩).

من إذن يكون هكذا جامدًا أو ينقصه الإيمان حتى يفكر في الأعمال الحاضرة أو يعتذر عن أي عملٍ بكونه مُرهقًا للغاية أو كثيرًا جدًا، عندما يطلب هذا الإنسان أن يبلغ قياسًا لم يكن قادرًا أن يُتممه<sup>٢</sup>؟

### ❖ سؤال: هل من يُرهق بواسطة عمله يطلب أيضًا عملاً إضافيًا فوق المعتاد؟

الإجابة: إن أخذ أحد على عاتقه عملاً شاقًا من أجل نواله المكافأة من الله، فإن مثل هذا يلزمه ألا يطلب مكافأة أو فترة راحة من التعب، إنما يحفظ نفسه لمكافأة الرب، مُدركًا أنه إذ يُحسب أهلاً للمكافأة عن عمله الشاق، هكذا يُحسب أهلاً للتعزية عن ألمه بواسطة الله مُحبّ البشر.

مع ذلك فإنه يلزم بالضرورة على المُعيّن أن يُتمّ القانون القائل أن يُوزّع على كل واحدٍ حسب احتياجه (أع ٤: ٣٥) أن يعرف الذين يتعهدون أعمالاً شاقة ويوليهم رعاية خاصة بهم<sup>٣</sup>.

<sup>١</sup> *Regulae brevius tractatae*, 119.

<sup>٢</sup> *Regulae brevius tractatae*, 121.

<sup>٣</sup> *Regulae brevius tractatae*, 135.



❖ سؤال: إن كان أحد يحزن، لأنه لم يُسَمَح له بعملٍ ما لا يستطيع أن يعملَه بلياقة وبطريقة سليمة، فهل نسمح له بذلك؟

الإجابة: بخصوص هذا فقد قلنا في مواضع كثيرة إن هذا الإنسان يعمل بإرادته الذاتية فإن سُمِحَ له بذلك فهو أمر ضدّ للعقل، إذ لا يخضع لقرار الكثيرين أو للرؤساء، فيتكبد خطر عدم الطاعة والمعارضة<sup>1</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

### الالتزام بتعليمات الرؤساء

إن عُهِدَ إلى راهبٍ عمل ما، وأعطيت له تعليمات، فإن أصرَّ أن يُتَمَمَّه حسبما يترأى له، يُسحب منه هذا العمل من أجل إصراره على إرادته الذاتية.

لقد سبق أن رأينا في سؤال سابق خاص بمن يريد تغيير عمله أن يرجع إلى الرؤساء ويترك لهم القرار. ولعل القديس باسيليوس يتحدث في الحالة التي بين أيدينا عن من يُصِرُّ بتشامخ حاسبًا أنه أحكم وأكثر معرفة من الآخرين. لهذا إن ظن الراهب أن لديه وسيلة أفضل للعمل، لا مانع من عرضها على المسؤولين بروح التواضع والطاعة.

❖ سؤال: إن عُهِدَ عملٌ ما لشخصٍ، فقام به خارج التعليمات المعطاة له، أو لا تتفق مع ما أمر به، فهل يحتفظ بالعمل؟

الإجابة: إن ينتحل الإنسان العمل لنفسه، هذا بالتمام لا يسر الله. إنه لا يليق ولا يفيد من يحفظون رباط السلام (أف ٤ : ٣).

لكن إن صمَّ أحد على مثل هذه الوقاحة، فمن الأفضل أن يُسحب العمل منه، لأنه لا يحفظ الوصية التي يُقدِّمها القائل: "ما دُعِيَ كل واحدٍ فيه أيها الإخوة فليلبث في ذلك" (١ كو ٧ : ٢٤). وبكلمات أكثر تشددًا: "لا يرتئي (أحد) فوق ما ينبغي أن يرتئي، بل يرتئي إلى التعقُّل، كما قَسَمَ الله لكل واحدٍ مقدارًا من الإيمان" (رو ١٢ : ٣)<sup>2</sup>.

❖ سؤال: هل يلتزم الحرفيون أن يقبلوا عملاً من أي شخصٍ بدون موافقة أو أمر الرئيس المُعيَّن والمسئول عن هذه الأمور؟

الإجابة: كلٌّ من الذي يُعطي (الأمر) ومن يتقبَّله يخضعان لحُكْم اللص أو اللص المشارك في الجريمة<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> *Regulae brevius tractatae*, 123.

<sup>2</sup> *Regulae brevius tractatae*, 125.

<sup>3</sup> *Regulae brevius tractatae*, 142.

❖ سؤال: كيف يلزم للعمال أن يهتموا بأدوات العمل والأواني التي في عهدهم، ويستخدموها في العمل؟

الإجابة: أولاً، يجب أن يستخدموها كأوانٍ مُكرّسة لله. ثانيًا، يعجزون بدونها أن يظهروا الغيرة اللازمة بدون إرهاق<sup>1</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## العامل وأدوات العمل

نلمس في كتابات القديس باسيليوس بخصوص العمل أن ما يشغله هو خلاص كل راهب، فالعمل ليس غايته إيجاد دخل للدير للإنفاق على الدير أو للعطاء للمحتاجين، إنما أولاً وقبل كل شيء خلاص النفوس وبنائها روحياً.

ومن جانب آخر أن يعمل المؤمن بروح القداسة، فيشعر أن ما تمتد إليه يده للعمل أمر مقدس، مهما بدا العمل عظيماً أو تافهاً.

أينما وُجد المؤمن حتى في لحظات العمل المادي، بل وفي أكله وشربه حتى في نومه، إنما يشعر بالحضرة الإلهية، لأنه هيكل الرب. لهذا فمن يهمل في العمل أو في أدوات العمل باستخفافٍ يُحسب كمن يُدنّس مقدسات الرب.

لا يجوز الإهمال في أدوات العمل، ولا أن يقرضها لأحد بدون استئذان المسئول. وإن طلب منه المسئول أي أدوات يُقدّمها له بمسرة.

ليت هذه المشاعر تملأ قلب وفكر كل مؤمنٍ في حياته سواء في العمل أو في الأسرة أو في خدمة كنسية أو خدمة المجتمع. إنه يشعر كمن هو في السماء!

❖ سؤال: ماذا لو فقد أحد العاملين إحدى (هذه الأدوات) خلال الإهمال أو إساءة الاستخدام باستخفاف؟

الإجابة: من يسيء استخدامها يُحکم عليه كمن يُدنّس المقدسات، ومن يفقدها خلال الإهمال كمن يُخطئ بتدنيس المقدسات أيضاً، أي يُوجّه إليه ذات الاتهام، حيث أن هذه الأدوات والأواني جميعها مُكرّسة للرب<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> *Regulae brevius tractatae*, 143.

<sup>2</sup> *Regulae brevius tractatae*, 144.

❖ سؤال: ماذا إن اختار أحد أن يُقرض أو يقترض (أدوات العمل)؟

الإجابة: ليُحكَم عليه كمن هو متغطرس أو متهور، لأن هذه الأشياء تخص من عهدت إليه والتزامه بالمسئولية، وأن هذا الشخص يمارس أمانة عُهدة لديه<sup>1</sup>.

❖ سؤال: ماذا إن كان تحت ضرورة الاحتياج، سأل الرئيس أحدًا أن يُعطيه إناءً، أو إحدى أدوات العمل، فاعترض الشخص؟

الإجابة: كيف يُمكن لمن سلّم نفسه وأعضاءه لخدمة احتياجات الآخرين في محبة المسيح يسمح لنفسه بالجدال بخصوص أدوات مع رئيسه الذي ينتمي إليه حتى الاهتمام بالأدوات؟<sup>2</sup>  
القديس باسيليوس الكبير

## العمل والصمت

إذ لا ينفصل العمل عن العبادة، يليق بالعاملين أن يلتزموا ما أمكن بالسكون، لأجل تلامسهم مع الحضرة الإلهية، وممارستهم للصلاة أو التسبيح بالقلب والفكر، وأيضًا لمراعاة كل واحدٍ للآخرين حتى لا يُفسد أفكار الآخرين أو يُزعجهم.

إن تطلب العمل أن يتحدث الشخص، فليتكلم بحكمةٍ واتزانٍ، ويراعي الآتي:

١. أن يكون الحديث قدر الاحتياج، فلا يكون مقتضبًا، لا يُحقّق هدفه، ولا مبالغًا فيه، فيزعج الآخرين.

٢. ألا يكون الحديث أشبه بالهمس، فيضايق المستمع.

٣. ألا يكون الحديث بصوتٍ عالٍ أكثر مما يلزم، فيحسب كأنه صراخ.

❖ سؤال: هل يُسمح لأحد يخدم أن يتكلم بصوتٍ عالٍ، أي يصرخ؟

الإجابة: حاجة المستمعين تتطلب حدودًا للصوت. فإن كان الصوت منخفضًا ومدغمًا عن ما تتطلبه المناسبة، يصير أشبه بهمسٍ منه حديث، يستحق الاستهجان. وإن كان أعلى مما تتطلبه المناسبة، وكان يستطيع المستمع لنا أن يسمعنا بصوت أكثر ليونة، هذا لا يُحسب صوتًا بل صراخًا (أف ٤: ٣١) ويُدان عليه، ما لم توجد صعوبة للاستماع تدفعنا للصراخ ليقظة الشخص من النوم (يو ١١: ١١، ٤٣). لهذا قيل إن الرب يسوع: "نادى (صرخ) وقال: "الذي يؤمن بي ليس يؤمن بي بل بالذي أرسلني" (يو ١٢: ٤٤). لذلك يتحدث عن الصراخ بسبب أولئك الذين كان سماعهم الداخلي مُتبدلًا ومُتصلفًا (مز ٩٥: ٧-٨)<sup>3</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>1</sup> *Regulae brevius tractatae*, 145.

<sup>2</sup> *Regulae brevius tractatae*, 146.

<sup>3</sup> *Regulae brevius tractatae*, 151.

## العمل والعثرة

ربما يتساءل أحد: ما هو موقف الراهب من ممارسته لعملٍ ليس فيه خطأ، إنما يتعثر بسببه أخوه؟

يُطالب المؤمن بصفةٍ عامة أن يحرص ألا يُعثر أحدًا، حتى إن كان العمل ليس فيه مخالفة للوصية الإلهية، وكان ضروريًا له. أما إذا كان العمل هو حسب إرادة الله ولبنيان النفوس، فلا يتوقَّف عن العمل بسبب العثرة، لأنها ليست في محلها.

يليق بالمؤمن ليس فقط ألا يُعثر أخاه، بل يكون إيجابيًا فيكون قدوة له.

❖ يجب استتصال كل ما هو مُعثر، مهما بدا أنه ضروري لا غنى عنه (مت ١٨ : ٧ - ٩) <sup>١</sup>.

❖ يجب تجنُّب كل فعلٍ أو كلمةٍ قد يدفع الغير لارتكاب خطية أو يحبطهم عن ممارسة الفضيلة، حتى وإن كان يسمح به الكتاب المقدس (١ كو ٨ : ٤ - ١٣) <sup>٢</sup>.

❖ كل ما هو ليس حسب إرادة الله، فهو عثرة (مت ١٦ : ٢١ - ٢٣) <sup>٣</sup>.

❖ يلزمنا أن نُمارس حتى ما هو ضروري، إن كان في هذا العمل تجنُّب لعثرة الغير (مت ١٧ : ٣٢ - ٣٦) <sup>٤</sup>.

❖ إن كنا في أمرٍ نُحقِّق إرادة الله، فلا نسمح ما يعوق حريتنا في العمل، حتى إن تعثر البعض (مت ١٥ : ١١ - ١٥) <sup>٥</sup>.

❖ يليق بنا أن نكون متساهلين مع الذين هم إلى حدٍ ما ضعفاء في الإيمان (حتى لا نُعثرهم)، ونقودهم بحرصٍ إلى الكمال. غير أنه بالطبع يلزم ألا يكون تساهلنا معهم يُسبب لنا عدم حفظنا لوصية الله (مت ١٢ : ٢٠ - ٢١؛ غل ٦ : ١ - ٢) <sup>٦</sup>.

❖ ليكن كل واحدٍ قدوة في الصلاح للأخرين قدر قدرته (مت ١١ : ٢٩؛ ١ تس ١ : ٦ - ٧) <sup>٧</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>1</sup> Morals Rule 41:1.

<sup>2</sup> Morals Rule 32:3.

<sup>3</sup> Morals Rule 32:2.

<sup>4</sup> Morals Rule 32:4.

<sup>5</sup> Morals Rule 32:5.

<sup>6</sup> Morals Rule 41:2.

<sup>7</sup> Morals Rule 34:1.



## العدالة الاجتماعية

عند

القديس باسيليوس الكبير

### العدالة الاجتماعية

لا نعجب إن كان القديس باسيليوس يُحسَب بالحق قائداً لحركة رهبانية قوية في كبادوكية، وقد اُتسم بالحزم مع نفسه مع الاهتمام أن يكون للراهب دوره في خلاص إخوته حتى بالنسبة للأولاد الصغار، وفي نفس الوقت كان رئيس كهنة يشغله خلاص الشعب والشهادة للحق الإنجيلي. هذا ما دفعه أن يتحدث عن العدالة الاجتماعية كثيراً بطريقة قد يراها البعض أنه مُبالغ فيها ومُطوّلة. وقد جاءت أحاديثه المُستمرّة عن العدالة الاجتماعية من جوانب مُتعدّدة ثمرة لحياة اختبرها ولظروف عاش فيها، منها الآتي:

١. تأثره بما عانى منه أجداده لأبيه وأمه وكثير من المسيحيين المُعاصرين لهم، فقد سمع عن غُفِّ الاضطهاد الذي حلَّ بهم، منهم من استشهد، ومنهم من هرب إلى الجبال بعد أن صودرت كل ممتلكاتهم. عاشوا في ظروف قاسية غير أن نعمة الله لم تتركهم ولا تخلَّت عنهم. سمع من جدته تفاصيل عن هذه الحياة، فصار مُتعاظفاً مع كل محتاج أيّاً كانت ديانتته. ولعل حُبّه هو وأسرته للمحتاجين كان أشبه بذبيحة شكر لله الذي لم ينسَ أجداده في ضيقتهم.

٢. سجّل لنا القديس مشاعره الرقيقة نحو الذين حلَّ بهم الفقر الشديد بسبب المجاعة التي حلّت بالبلاد في أيامه، وكيف تعاطف عملياً مع الفقراء والمُعَدَمين.

٣. باع هو وكل عائلته كل ما لديهم بقلبٍ مُتَّسِعٍ ومحبة، لشراء محاصيل يقومون بتوزيعها على المحتاجين. حسب نفسه أنه صار غنياً وسعيداً لسعادة المحتاجين الذين تهلت نفوسهم بسخاء القديس وأسرته. ولعله حمل ذات مشاعر القديس يوحنا الذهبي الفم القائل عن الصدقة: [هذه النعمة أعظم من إقامة الموتى. فإن إطعام المسيح وهو جائع أعظم بكثير من إقامة الموتى باسمه... فعند عمل آيات تكون أنت مديناً لله، وفي تقديم العطاء تجعل الله مديناً<sup>١</sup>]. وقوله: [الصدقة أعظم من ذبيحة... إنها تفتح السماوات! فقد قيل: "صلواتك وصدقاتك سعدت تذكّاراً أمام

<sup>1</sup> In 2 Cor. hom 16. PG 61: 556.

اللَّهُ" (أع ١٠ : ٤). إنها أكثر أهمية من البتولية، فقد طردت عذاري خارج حبال العرس (لعدم الصدقة) بينما أدخلت عذاري أخريات داخلًا.<sup>١</sup>

٤. تلامس عمليًا مع عربون السماء خلال عظاته للمحتاجين، فاشتهى أن يشاركه حتى الفقراء في هذه السعادة، فطلب من الذين لا يملكون سوى رغيًا واحدًا أن يشتركوا في العطاء.

٥. عطاؤه السخي بلا حدود، وعطاء عائلته الغنية كما بغير حدود أعطاه القدرة على توجيه أحاديثه للأغنياء بدالة، خاصة المُستغنين لظروف المجاعة، ليتحدّث بحزمٍ شديد بكل جرأة.

٦. تلامس القديس عمليًا مع الحُبِّ، وشعر كمن يتَمَتَّع بعربون السماء حينما رأى الجماهير من كل الفئات فتحت قلوبها قبل بيوتها ومخازنها لتعطي المُعدَمين بفرحٍ شديدٍ وسخاءٍ.

٧. إن قارئًا بين أحاديثه عن العطاء وأحاديث القديس يوحنا الذهبي الفم عنه، نرى الأخير يتحدّث عن الصدقة بكونها تُعطينا دالة لدى الله، وتجعلنا مُتَشَبِّهين به، وتفتح لنا أبواب السماء، وتُقيّم منا أشبه بملائكة. أما القديس باسيليوس فمع عدم تجاهله لهذا كله، ركّز بالأكثر على التخلُّص من رذيلة الطمع والظُّلم وحبس ما وهبه الله للأغنياء عن الفقراء، الذين من حقهم أن يشاركوا الأغنياء في مساواة لما يملكوه. كرّر هذا كثيرًا من أجل مرارة المجاعة القاسية التي عانى منها المجتمع في أيامه.

٨. دفعه فكره النسكي والرهباني إلى التركيز على تحقيق العدالة الاجتماعية والتقدُّم الاجتماعي. فمع إعجاب القديس بأنظمة الرهبنة في مصر، ووقفته في دهشة خاصة بالنسبة لنظام الوحدة والجماعات، غير أنه كان يميل بالأكثر إلى النظام الديرى مثل القديس باخوميوس. وكان يشعر بالتزام الراهب بقيامه بدور إيجابي في حياة المجتمع، هذا دفعه إلى إنشاء مدارس ومستشفى ودور إيواء والاهتمام بالفقراء. لم يعزل العمل الروحي مهما بلغ سموه عن تحقيق العدالة الاجتماعية والتقدُّم الاجتماعي، بل حسب هذا العمل الذي يظنه البعض اجتماعيًا بحثًا في حقيقته لقاءً حيًا مع مُحب البشر. لقد كان القديس يوحنا الذهبي الفم يرى السيد المسيح في الفقير، إذ يقول: [ليكن في كل أسرة موضع يختفي المسيح فيه في أشخاص الجائعين والعطشى الغرياء]. كما يقول: [إن كنا نخجل من هؤلاء الذين لا يخجل منهم المسيح، فنحن نخجل من المسيح نفسه بخجلنا من أصدقائه. لتملأ مائدتك من العُزج والمشوّهين، فإن المسيح يأتيك خلال الأغنياء].<sup>٢</sup>

<sup>1</sup> In Matt. hom 50:5.

<sup>2</sup> In 1 Thess. Hom. 11.

لا نعجب إن كان القديس باسيليوس الكبير في اهتمامه بالمدارس فتح أبوابها لأبناء الوثنيين، وكان يطالب الرهبان ألا يتعاملوا مع الطلبة جميعًا كرهبانٍ، بل كفتيان لهم مستواهم الروحي المناسب لهم.

٩. يهتم القديس باسيليوس الكبير كغيره من آباء الكنيسة الأولين بوحدة الحياة، فلا فصل بين التقدّم في الحياة الروحية عنه في الحياة الدراسية والعلمية، الحياة الاجتماعية. لهذا في حديثه بحزم مع الأغنياء الذين يستغلّون احتياج الفقراء، فيقدّمون لهم قروضًا بفوائدٍ مبالغٍ فيها، مما يزيد الفقراء فقرًا، ويدفعهم أحيانًا إلى بيع أحد أو بعض أبنائهم عبيدًا، فإنه في نفس الوقت يطلب من الفقراء أن يلتزموا بروح الحكمة ودراسة ظروفهم المالية وإمكانياتهم، فلا يتسرّعون في طلب قروض كعلاج مؤقت يدفع بهم إلى بؤسٍ ومرارةٍ في المستقبل.

أصدر معهد فلاديمير بنيويورك في سلسلة *Popular Patristic Series* الكتاب ٣٨ عن العدالة الاجتماعية يحوي أربعة مقالات للقديس باسيليوس الكبير، قام بالترجمة *C. Paul Schroeder*، وهي:

1. *To the Rich.*
2. *I Will tear Down My Barns.*
3. *In Time of Famine and Drought.*
4. *Against Those Who Lend at Interest.*

نشرت أيضًا مجموعة *The Fathers of the Church, volume 46* ترجمة للمزمور ١٤ (١٥: ٥) بخصوص الربا الفاحش، وهي نفس المقال الرابع المذكور:

*Homily 12 A Psalm of David against Usurers On Psalm (14).*

كما جمع بعض الدارسين في الشرق والغرب بعض كتاباته في هذا الشأن، قد تحمل نوعًا من التكرار مما جاء في المقالات السابقة.

- ❖ إن أخذ كل واحدٍ فقط ما يحتاج إليه، وأعطى البقية للمحتاجين، لما وُجدَ بعد غني أو فقير<sup>١</sup>.
- ❖ الطمّاعون ينفقون على الدوام على ما هو لتدليلهم وعلى الرشاوي، وذلك من الممتلكات التي عهدت إليهم من أجل الفقراء<sup>٢</sup>.
- ❖ الخبز الذي تُخزّنه هو من حق الجائعين؛ الثوب الذي تلقي به في المخزن خاص بالعرايا؛ والذهب الذي تخفيه في الأرض خاص بالفقراء<sup>٣</sup>.

<sup>1</sup> Mike Aquilina: *The Way of the Fathers, Indiana 2000, article 771.*

<sup>2</sup> Mike Aquilina: *The Way of the Fathers, Indiana 2000, article 788.*

<sup>3</sup> Mike Aquilina: *The Way of the Fathers, Indiana 2000, article 801.*

❖ إنك تخطئ في حق كل من يمكنك أن تساعد ولا تقوم بمساعدته<sup>1</sup>.

❖ الذي ليس لديه شيء يفقده، إلا هذه الثياب الحقيرة وكتب قليلة، لا يُعاني من خطر مصادرة ممتلكاته.

❖ إنني أقرأ الإنجيل، وأرى أن أعظم وسيلة لبلوغ الكمال هي بيع كل ما للإنسان، ليشترك فيها الفقراء، ويتوقّف عن كل اهتمامات هذه الحياة، ويرفض أن يسمح لنفسه أن تتعاطف مع الأرضيات.

القديس باسيليوس الكبير

### العدالة الأخوية والحب الأخوي

في حديثه "إلى الأغنياء *To the Rich*" يكشف القديس باسيليوس عن مفهوم العدالة الاجتماعية. إنها تقوم لا على مجرد عاطفة بشرية قابلة للتغيير، إنما تقوم بالأكثر على الحب. خلال الحب الذي هو ثمرة الروح القدس، أو عمل الله في الإنسان، أو تشبّه الإنسان بالله، يمارس المؤمن العدالة الاجتماعية ويعشقها.

١. بالحب الأخوي الصادق لا يُميّز المؤمن نفسه عن أخيه، بل يُحب قريبه كنفسه (لا ١٩: ٣٤؛ مت ٢٢: ٣٩؛ مر ١٢: ٣١).

بممارسة العدالة الاجتماعية بحسب ما يُقدّمه لقريبه، إنما يُقدّمه لنفسه. وكأن عطاءه لإخوته ليس إلا نقلاً ما في جيب له إلى جيب آخر، لا ينقص رصيده شيئاً.

٢. خلال الحب ما يقتنيه الإنسان قد يجلب له فرحاً وتعزية، أما ما يعطيه لأقربائه فيملأهم بالتعزيات التي بحسبها المُعطي كنزاً أعظم. ففيمّا هو يُعطي لا يشعر فقط أن رصيده لم يمسه نقص، بل يزداد ويكثر، لأن تعزيات إخوته هي تعزيات له.

٣. إذ يُقارن المؤمن بين نمو ثروته ونمو حبه لنفسه، يشنق بالأكثر إلى نمو الحب.

٤. محبة المقتنيات تُفقد الإنسان حتى حبه لنفسه، متى فقد جزءاً منها يصير في مرارة أكثر مما لو بُترّ عضو من جسمه.

٥. يليق بالمؤمن أن يحسب نفسه أخواً أو أباً أو أمّاً للغير، ففي عطاءه يشعر أنه إنما يُقدّم لمن يُحبهم ومستول عنهم في أبوتّه أو أخوتّه.

<sup>1</sup> Mike Aquilina: *The Way of the Fathers*, Indiana 2000, article 811.



٦. أخيرًا يستصعب البعض العطاء، مع أنه في المناسبات ولأجل ترفه ينفق الكثير برضا يسرور، بينما يحزن وهو يُعطي ليقنتي الحياة المُطوِّبة.

هذا وفي حديثه عن توبته بدأ بترك الأصدقاء الأشرار والاهتمام بالفقراء، إذ كتب:  
[بكيت بدموع كثيرة لأسفي على حياتي البائسة، وصَلَّيت لِئُعْطِينِي اللهُ إرشادًا يهني أن أبلغ إلى تعاليم الإيمان الحقيقي.]

أول كل شيء فعلته لأصلح مساري القديم المُنحرف حيث كانت صداقتي مع الأشرار هو إني أقرأ الإنجيل، وأرى أن أعظم وسيلة لبلوغ الكمال هي بيع كل ما للإنسان، ليشارك فيها الفقراء، ويتوقَّف عن كل اهتمامات هذه الحياة، ويرفض أن يسمح لنفسه أن تتعاطف مع الأرضيات. وبحثت عن الذين يشاركونني هذا العمل، ويسيرون معي في هذا الطريق، حتى وجدت من أبحر معي في محيط هذا العالم<sup>١</sup>.

❖ الذين يُجِبُّون قريبتهم مثل أنفسهم، لا يفتنون شيئًا أكثر منه، ومع هذا تشعر أنك تملك الكثير! كيف يتحقَّق هذا إلا بكونك تُفضِّل التمتع بتعزيات الكثيرين؟  
بقدر ما تقنتي ثروة أكثر، يزداد عجزك في الحب.

إن كنت بالحق تحب قريبك، كان يليق بك أن تتجرَّد منذ وقت طويل من هذه الثروة. لكن الآن مقتنياتك صارت جزءًا منك أكثر من أعضاء جسمك نفسه، وصار الحرمان منها أكثر مرارة من بتر عضو من أطرافك.

هل أعطيت ثيابًا للعرايا؟

هل تُعطي خبزك للجياع؟

هل فتحت بابك لكل غريب؟

هل صرت أبًا (أو أمًا) للأيتام؟

هل حسبت آلام العاجزين آلامك؟

أية أموال ستتركها هذه التي تحزن عليها بفقدانك لها؟

هل صممت منذ زمن طويل أن تعطي المحتاجين، فكيف لا تحتل الآن توزيع ما تبقى معك؟  
في المواسم لا يتأسَّف الناس على إنفاق ما بأيديهم لكي يفتنوا ما هو لازم للعيد. بالحري إنه الأرخص أن يفتنوا سلعةً ثمينة، فيسروُن بالأكثر بمثل هذه الصفقة. لكنك تحزن عندما تترك الذهب والفضة والممتلكات، أي الحجارة والتراب، لكي تقنتي الحياة المُطوِّبة<sup>٢</sup>.

<sup>1</sup> Letter 223 Against Eustathius of Sebasteia, 2.

<sup>2</sup> To the Rich, 1.

❖ لا تُصَاب بحالة من الإحباط عندما تُتفِق ذهبًا لتشتري حصانًا، بينما عندما تجد فرصة أن تستبدل ما هو فاسد بملكوت السموات تسكب دموعًا، وترفض ذاك الذي يسألك هذا، وتمتنع عن تقديم كل شيء، بينما تُقدِّم ملايين التبريرات لما تُتفقه<sup>١</sup>.

❖ إنك إذ لا تفتح بيتك، سَتُطْرَد من الملكوت. وإذ لا تُعطي خبزك، لن تنال الحياة الأبدية<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

### احتفظ بثروتك ولا تُبدِّدها!

من يُحبُّ ثروته يحتفظ بها ولا يُبدِّدها، فإن قَدَّمها بالحُبِّ للمحتاجين، ترجع إليه، وتبقى ثمرتها أبدًا، أما من يحفظها في هذا العالم الزائل، فستزول يومًا ما ويفقدُها أبدًا.

❖ عندما تُوزع الثروة بالطريقة التي يُوجِّهنا إليها ربنا بالطبيعة ترجع إليك، وعندما تُجمع (في المخزن) تتبدد طبيعيًا. إن حاولت الاحتفاظ بها لن تنالها، وإن قُمت بتوزيعها لا تفقدُها. "فرَّق، أعطى المساكين. برُّه قائم إلى الأبد" (مز ١١٢ : ٩)<sup>٣</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

### لماذا تدفن قلبك مع الذهب!؟

إلى منتصف القرن العشرين كان عادة بعض الأثرياء أن يضعوا ثروتهم الذهبية في زكبية ويدفنونها في الأرض، حتى يتجنبوا سرقتها. لذا يقف القديس في دهشةٍ فإن البشر يسعون نحو استخراج الذهب من المناجم، ويتعرَّض كثيرون للموت في المناجم التي تحت الأرض، وإذ يقتنيه الأثرياء يدفنون ذهبهم في الأرض، وهناك يدفنون قلوبهم مع ذهبهم المُتعلِّقين به.

❖ إذ لا يزال يُكتشف ذهب في المناجم، تجولون في العالم لكي تجدوه، وإذ يخرج الذهب إلى النور، تخفونه في الأرض مرة أخرى. وأضن أنه حين يحدث هذا، فإنك إذ تدفن ثروتك، تدفن معها قلبك، "لأنه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضًا" (مت ٦ : ٢١)<sup>٤</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

### زَيِّنْ نَفْسَكَ بِبِرِّ الْمَسِيحِ عِوَضَ تَزْيِينِ بَيْتِكَ بِذَهَبِ الْعَالَمِ!

يفتخر الأثرياء بالقطع الذهبية التي يُزَيِّنون بها قصورهم، ولا يُبالون بجمال نفوسهم التي يسكنها الله.

<sup>1</sup> To the Rich, 3.

<sup>2</sup> To the Rich, 4.

<sup>3</sup> To the Rich, 2.

<sup>4</sup> To the Rich, 3.

❖ عندما أدخل بيت أحد الأغنياء حديثًا الذين لهم غنى لا طعم له، أراه مُزِينًا بكل ألوان خيالية، فأدرك أن هذا الشخص لا يملك شيئًا ذا قيمة أفضل مما يستعرضه. مثل هذه الأشياء جامدة، ويفشل في تجميل نفسه<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## حُبُّ الاقتناء والفراغ الداخلي

الإنسان الجشع لن يشبع مطلقًا. كلما ازدادت ثروته، التهب قلبه بعطشٍ متزايد نحو الاقتناء. ❖ يشتهي الإنسان الطمّاع كل ما يسقط عليه العين. "العين لا تشبع من النظر" (جا ١ : ٨). والذين يُحِبُّون المال لن يشبعوا بما لديهم. الهاوية لا تقول كفى (أم ٣٠ : ١٦)، ولن يقول للطمّاع "كفى".

متى تستخدم الأشياء التي لديك؟ متى تستطيع أن تتمتع بها، إذ تُعاني دومًا من آلام حب الاقتناء...؟

يعرف البحر حدوده، ولا يتعدّى الليل الحدود الموضوعة له من القَدَم، أما الطمّاع فلا يُبالي بتجاوزه الزمن، ولا يحترم الحدود، ولا يُدعِن لنظم الأشياء اللائقة، إنما يقتدي بطبيعة النار العنيفة، تنتشر في كل شيءٍ وتُبَدِّد كل شيءٍ<sup>٢</sup>.

❖ لديك فدادين وفدادين من الأراضي الصالحة للزراعة: حقول وبساتين وجبال ووديان وأنهار ونبابيع. فماذا تطلب بعد هذا؟

أليس كل ما ينتظرك هو ستة أقدام من الأرض؟  
أليست قطعة صغيرة من الصخر والتربة تكفي أن تُغطّي جسدك المائت؟ فلماذا تشقى؟  
لماذا تتجاوز الحدود؟

لماذا تجمع محاصيل مُثمرة بيديك<sup>٣</sup>؟

القديس باسيليوس الكبير

## تلتقي بالديان وحولك خورس!

عندما يتحدث القديس عن خدام الله يحسبهم آلات موسيقية يعزف عليها روح الله القدوس ليبيت روح الفرح السماوي في البشرية، بقبولها إنجيل المسيح المُفرِح. غير أنه إذ يتحدث عن محبة الغنى، يرى إنها تُثير شرورًا كثيرة في حياة الإنسان. فمتى ظهر الديان يلتف حول الإنسان المُحب للمال لا خورس مُتهلّل بل خورس الشرور التي مارسها، تُحيط به ولا تُفارقُه.

<sup>1</sup> To the Rich, 4.

<sup>2</sup> To the Rich, 5.

<sup>3</sup> To the Rich, 6.

❖ أما تُقيِّم نفسك من هذا الخمول؟ ألا تسترد بعد وعيك؟

لماذا لا تُحضر أمام عينيك كرسي المسيح للحُكْم؟

بماذا تُدافع عن نفسك عندما يقف كل الذين حولك وقد عاملتهم بالظلم، فيجحدونك أمام

الديان العادل؟

بماذا تؤثر على الديان الذي لا يُخدع، إذ لا تجد مُدافعين عنك يرتشون؟ ولا تجد مُتملِّقين، ولا ممتلكات، ولا ثقل أمجاد تتبعك. ستكون بدون أصدقاء ولا مُساعدين ولا مُعينين، ولن تجد حتى كلمة دفاع عنك. ستكون في عارٍ، محني الرأس، ومُنكسر العينين، يترك الكل في خزي.

أينما وجَّهت نظرك ترى بوضوح أعمالك الشريرة الظاهرة. ترى دموع اليتامى وتنهَّدات الأرمال، ترى الفقراء في كل مكان، هؤلاء الذين كنت تطأ عليهم، والخدم الذين كنت متوحشًا معهم، وجيرانك الذين كنت تعاملهم بسخط.

تقوم كل أعمالك أمامك، يحيط بك خورس شرورك من كل جانب. كما يتبع الظل الجسم، هكذا تلتصق خطايا الإنسان وترافق النفس...

كيف أحرَّك مشاعرك؟ ماذا أقول؟

ألا ترغب في الملكوت؟ ألا ترهب جهنم؟

أين تجد شفاءً لنفسك؟ إن كانت هذه الصور الرهيبة لا تهزك. إن كانت هذه الصور الواضحة لا تضغط عليك، فبال تأكيد نحن نتعامل مع قلبٍ حجري<sup>1</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## بين الذهب والحجارة الكريمة!

يكشف القديس عما تُعانيه نفسه، إذ يرى في وسط شعبه كثيرين لا يجدون خبزًا يأكلونه، خاصة في فترة المجاعة القاسية التي حلَّت بالبلاد في عصره. بينما يرى بعض الأثرياء كل ما يشغلهم ما اقتتوه من ذهبٍ يحتفظون به. لاحظ بعض الأغنياء لا يُبالون بالذهب، إنما ينشغلون باقتناء الحجارة الكريمة. بين الحين والآخر يضعون الحجارة في أيديهم بألوانها الكثيرة التي تُشبه ألوان قوس قزح. يختارون أثنى أنواع الحجارة يتزيّنون بها، بينما يحتفظون بالحجارة الأخرى بكل ما فيها من بريق!

تتوَحَّم بعض النساء الحوامل أن يقتنين أنواعًا فاخرة من الحجارة الكريمة. هكذا لا يختلف الإنسان الجشع عنهن، فإنه يشغل فكره فيما يقتنيه ليحتفظ به أو يتزيّن به.

<sup>1</sup> To the Rich, 6.



❖ تأمل أيها القابل للموت بكل دقة في طبيعة الثروة الحقيقية. لماذا تتطلع إلى الذهب أنه مُغرٍ جداً؟ فالذهب ليس إلا نوعاً من المعادن مثله مثل الفضة واللؤلؤ.

هوذا الزبرجد الزيتوني والبريل (حجر كريم أخضر) والعقيق والياقوت والجمشت واليشب هذه كلها ليست إلا حجارة تشمل ثروة على شكل قوس قزح.

إنك تُخزّن البعض لنفسك، وتخفي مظاهرها البرّاقة بالظلمة، بينما تحمل معك ما هو أثنى منها وأنت مملوء غروراً بالتطلع إلى بريقها.

أخبرني ما هو النفع الذي تتاله بتألق المجوهرات. أليس بالحري كان يلزم أن تحمر خجلاً من أجل رغبتك العجيبة نحو أحجارٍ، فتكون أشبه بنساء يتوحّمن! فإن الأمهات الحوامل أحياناً يتوحّمن بحجارة، وأنت لك شهوة فتطمع مثلهن، طالباً حجارة ملوّنة: جزع عقيقي ويشب وجمشت<sup>1</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

### محبة الغنى الفاحش تُدمّر المجتمع

وهبنا الله الأمور المادية كعطية صالحة تسندنا في الحياة، غير أن الجري وراءها يُفسدها، عوض مساندتنا تصير علة لهلاكنا. لقد صارت مرضاً يصيب النفس ويُفسد سلامها الداخلي. الثروة في ذاتها ليست شراً، إنما محبة المال، خاصة مع تجاهلنا لإخوتنا هي شر. يقول الرسول بولس: "لأن محبة المال أصل لكل الشرور، الذي إذ ابتغاه قوم ضلّوا عن الإيمان وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة" (١ تي ٦ : ١٠). وأيضاً: "لتكن سيرتكم خالية من محبة المال؛ كونوا مكتفين بما عندكم لأنه قال: لا أهملك ولا أتركك" (عب ١٣ : ٥).

كثير من الجرائم التي تُرتكب في الصحراء أو البحر أو المدن بسبب شهوة الاقتناء.

❖ قد يسأل أحد: على أي أساس يلزمنا أن نبيع مالنا؟ هل لأنها أمور ضارة بطبيعتها؟ أو لأنها تُمثّل تجربة لنفوسنا؟ نجيب على ذلك أولاً: بأن لو كان كل ما في العالم شراً في ذاته لما حُسبت خليقة الله، لأن خليقة الله صالحة (١ تي ٤ : ٤). ثانياً: أن وصية ربنا تُعلّمنا أن ننزع الشر الذي فينا لا أن نُقدّمه للغير، قائلاً "أعطوا صدقة"<sup>2</sup>.

❖ بسبب الثروة تمتلئ الصحراء بالقتلة، والبحر بالقراصنة، والمدن بالمُبتزّين.

ما هو أب الكذب؟ ما هو مصدر التزوير؟ من هو والد الحنث باليمين؟ أليست (محبة)

الثروة؟ أليس الجري وراء الثروة؟

<sup>1</sup> To the Rich, 7.

<sup>2</sup> Catena Aurea.

ما الذي يجعلكم تمرضون يا شعب؟ ما الذي يُفسد ما لديكم ليصير مكيدة ضدكم؟  
توجد الأشياء المادية للمعاونة في الحياة، بالتأكيد لم تُعطَ لأجل الأنيّة. إنها وُجِدَت فدية  
للنفس، بالتأكيد لم تُعطَ لإهلاكنا<sup>1</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## العطاء والاهتمام باحتياجات الأطفال

يبدو أن بعض الأثرياء بَرّروا جفاءهم مع الفقراء بأنهم يحفظون أموالهم أو أرصدتهم لحساب  
تربية أولادهم، وهذا واجب مسيحي.

صالح أن يهتم المؤمن باحتياجات أطفاله، ويقوم بتكبير أمورهم. يُعتبر القديس باسيليوس نفسه  
مثالاً رائعاً في أبوّته لأبنائه الروحيين وبذله هو وكل أسرته من أجلهم، حيث تطلّعوا إلى المحتاجين  
كأخوة أو أبناء لهم. وقد جاءت رسائله تكشف بكل قوة عن مدى رعاية القديس وبذله من أجل شعبه.  
لكن شتان ما بين الاهتمام والرعاية والتدبير، وبين القلق على مستقبل الأبناء، وتجاهل الفقراء بحجة  
الاهتمام بالأبناء.

❖ ربما يقول البعض: "لكن الثروة ضرورية لأجل تربية الأطفال. هذا العذر مُخادع يُقَدِّمه  
الطمّاعون."

إن كنتم تقولون هذا كما من أجل اهتمامكم بالأطفال، فإنكم تضللون ميول قلوبكم.  
لا تسبون جريمة لمن هم أبرياء. فإن (الأطفال) لهم سيدهم الذي يهتم باحتياجاتهم. لقد نالوا  
وجودهم من الله، وهو يمدهم باحتياجاتهم للحياة.

هل الوصية التي وردت في الإنجيل: "إن أردت أن تكون كاملاً، فاذهب وبع أملاكك وأعطِ  
الفقراء" (مت ١٩: ٢١) لم تُكَتَب للمتزوجين؟ إذ تطلبون بركة الأطفال من الرب، وصرتُم أهلاً  
أن تصيروا والدين، للحال تضيفون: "هب لي أطفالاً لكي أعصي وصاياك. هب لي أطفالاً لكي  
لا أنال ملكوت السموات"<sup>2</sup>؟

القديس باسيليوس الكبير

## حوّل ثروتك إلى زينة لا تنفصل عنك!

يهتم كثير من الأثرياء بإعداد مدافن فخمة وأكفان ثمينة تليق بهم. يُعدونها لكنها لا ترافقهم في  
رحيلهم في هذا العالم.

<sup>1</sup> To the Rich, 7.

<sup>2</sup> To the Rich, 7.

يليق بنا أن نقتدي بالسيد المسيح خالق السماء والأرض، افتقر لكي يغنينا بفقره. هكذا ما بشغلنا هو أن يكون مسيحا هو ثروتنا، نلتحف ببرّه، فنظهر في اليوم الأخير حاملين انعكاس بهائه علينا.

يحثنا القديس يوحنا الذهبي الفم على الصدقة حتى في لحظات الموت، إذ يقول: [عندما يقترب إنسان من الموت ليت صديق ذلك الشخص الذي يموت يُعد له الأكفان، ويحث الراحل أن يترك شيئاً للمحتاجين. ليرسله بهذه الثياب إلى القبر، تاركاً المسيح وارثاً له<sup>1</sup>.]

❖ بقدر ما تكون بالأكثر محباً للغنى، فلتحرص ألا تترك شيئاً من ممتلكاتك يُفقد. لتجعل كل شيءٍ بالحق هو لك، حوّل كل شيءٍ إلى العالم الأبدى. لا تترك شيئاً من ثروتك للغرباء... أعدّ نفسك مقدّماً لدفنك. أعمال التقوى هي أفضل كفنٍ. لتجعل رحيلك مرتدياً ثياباً فخمة بأعمالك الصالحة؛ حوّل ثروتك إلى زينة حقيقية لا تتفصل عنك. احتفظ بكل شيءٍ معك عندما ترحل. اقتدِ في هذا بالمسيح المشير الصالح الذي يحبك.

لقد صار فقيراً من أجلنا ليجعلنا أغنياء بفقره (٢ كو ٨: ٩)، وقَدّم نفسه فدية عن الكل (١ تي ٢: ٦).

لنقتدي به، فإنه حكيم، وعارف بكل شيءٍ، وننتظره، إذ هو يحبنا، أو لنعطه مقابل عطائه، لأنه هو المُنعم علينا.

على أي الأحوال لنمارس ما أمرنا به، لنصير ورثة الحياة الأبدية في المسيح نفسه الذي يليق به المجد والسلطان إلى أبد الأبد، آمين<sup>2</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## أهدم مخازني

في عظته عن "أهدم مخازني" (لو ١٢: ١٦-٢١)، يوضح أن الله في محبته للبشرية أعطى هذا الغني فيضاً من المحصولات. كان يليق بالغني أن يفرح، إذ صارت له إمكانيات أعظم للعتاء للمحتاجين. لكنه فرح إلى حين، وسرعان ما اضطربت نفسه، وصار مهموماً كيف يهدم مخازنه ويبنى مخازن أكبر، لكي يستريح ويأكل ويشرب ويفرح، لكن طُلِبَت نفسه منه في نفس الليلة.

❖ بالرغم من أن مخازنه امتلأت حتى كادت تنفجر من فيض الخيرات، إلا أن قلبه البائس لازال لم يشبع. مع الزيادة المستمرة لما كان يملكه، فإن الزيادة الكثيرة للإنتاج السنوي جعلته يسقط في

<sup>1</sup> Homilies on Hebrews, hom. 27:9.

<sup>2</sup> To the Rich, 9.

مأزقٍ شديدٍ. رفض أن يصير مكتفيًا بما كان عنده بسبب طمعه، وفي نفس الوقت لم يستطع أن يقوم بتخزين المحصول الجديد بسبب وفرته العظيمة. لقد تساءل: "ماذا أفعل؟" من لا يُشْفِق على من تحاصره المتاعب؟ صار بلثفًا بسبب وفرة الخيرات وبائسًا بسبب البركات التي اقتناها، والتي يتوقَّع أن ينالها.

لم تُنتِج له الأرض ربحًا، بل بالحري تأوهات مع سخط. لم يحصد فيضًا من المحاصيل، بل اهتمامات وأحزان ومتاعب عنيفة. صار في ضيقٍ مثله مثل من يعاني من الفقر... ما يُسبِّب فرحًا للآخرين يُسبِّب ضياعًا للطماعين، لا يفرح قط بالخيرات التي له في المخزن، بل بالحري يُنخس قلبه بالثروة التي تتساب بين أصابعه.<sup>1</sup>

القديس باسيليوس الكبير

**ليتك تبني المخازن للجائعين مثل يوسف!**

في مثل الغني الغبي (لو ١٢: ١٦-٢١) الذي قدَّمه لنا السيد المسيح، تطلَّع الغني إلى حقوله، فأدرك أن الثمار والمحاصيل ستكون وفيرة جدًا أكثر من كل سنة. تهلَّلت نفسه بما توقَّعه في موسم الحصاد، فتساءل في نفسه خفية: "ماذا أفعل؟"

كان يليق به أن يتشبَّه بالشاب يوسف الذي توقَّع حصادًا وفيرًا في أرض مصر لمدة سبع سنوات. ما شغله هو ما سيُعانيه الناس في السبع السنوات الجرداء، التي تلي سنوات الرخاء. لم يطلب ما لنفسه بل ما للغير. أما هذا الغني فما شغله كيف يجمع ثروة ضخمة لنفسه، دون التفكير في زملائه في البشرية.

❖ "ماذا أفعل؟"

كان يمكنك أن تقول بسهولة: سأشبع نفوس الجائعين. أفتح أبواب مخازني، وأدعو جميع المحتاجين. سأقتدي بيوسف في إعلانه المملوء حبًا للبشر. سأصرخ بصوت مملوء سخاء: تعالوا إليَّ يا من ينقصكم الخبز، ليشارك الكل كما من ينابيع عامة قدَّماها الله بنعمته. لكنك لم تكن شخصًا كهذا. كيف أعرف هذا؟ لقد حرمت زملاءك في البشرية مما تتمتع به، إذ أخذت مشورة شريرة في نفسك. لم تضع في اعتبارك أن تُوزَّع على الغير، بل بالحري بعد أن نلت خيرات هذا مقدارها، سلبت الآخرين ما ينتفعون به.

<sup>1</sup> I will Tear Down My Barns, 1.



الذين يهتمون بما يخص النفس حاضرون، أما هذا الرجل فناقش مع نفسه موضوع الطعام! طُلِبَتْ نفسه منه في نفس الليلة، بينما كان في مخيلته أن يتمتع بخيراته لسنواتٍ قادمةٍ. سُمِحَ له أن يأخذ هذه القرارات، وأن يُعبّرَ عمّا في نيّته، حتى ينال الحُكْمَ الذي يستحقّه<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## تمثّل بالأرض السخية في العطاء

تكشف رسائل القديس باسيليوس، خاصة رسالته إلى صديق صباه القديس غريغوريوس النزينزي مشاعر القديس المُرهّف نحو جمال الطبيعة.

بفكره المُرهّف يتطلّع إلى التربة حين يلقي فيها الزارع البذور، فترد له البذور بفيض حيث تأتي بمئة وستين وثلاثين (مت ١٣ : ٨).

إنه يشتهي أن يقتدي المؤمن المقدّس لله بالتربة، فيكون محبًا للعطاء أكثر من الأخذ (أع ٢٠ : ٣٥). وكما تستقبل التربة البذور، لا لنفعها الخاص، بل لنفع الكثير من البشر فتُعطيهم بفيض، هكذا يليق بنا ألا نحتجز ما نقتنيه لنفعا لشخصي بروح الأنانية.

❖ تمثّل بالأرض يا أيها القابل للموت. لتحمل ثمرًا مثلها.

لا تُظهر نفسك أقل من التربة غير العاقلة! فإن الأرض لا تجلب ثمرًا لتتمتع هي به، بل لنفعك أنت.

فإن أي ثمر لأعمالك الصالحة إنما تنتجه لنفسك، إذ أن نعمة الأعمال الصالحة تؤثر على الذين يُتمّمونها. أنت تعطي الفقير، وبفعلك هذا لست فقط تعطي ما هو بالحق ملكك، إنما تسترد أكثر مما أعطيت. وذلك مثل القمح عندما يسقط على الأرض، فإنه يأتي بفيضٍ أكثر لمن نثره، هكذا الخبز الذي تُقدّمه للجائعين، يُقدّم لك نفعًا عظيمًا فيما بعد. لهذا اجعل نهاية حصادك بداية للبذر السماوي. وذلك كقول الكتاب: "ازرعوا لأنفسكم بالبذر" (هو ١٠ : ١٢)<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## لنشارك المحتاجين مشاعرهم!

في عظته عن الغني الذي عوض أن يقتدي بالتربة الجامدة، إذ لا تحتفظ بالبذور في أعماقها لحسابها الخاص، بل تعود فتقدم فيضًا من المحاصيل لصالح البشر، طلب ما هو لنفسه وحده، فقال: "أهدم مخازني" (لو ١٢ : ١٦-٢١)، ليقوم ببناء مخازن أضخم تستوعب المحاصيل المتزايدة، فصارت الأرض ديانًا له!

<sup>1</sup> I will Tear Down My Barns, 2.

<sup>2</sup> I will Tear Down My Barns, 3.

الآن يتطلع القديس إلى بعض الأغنياء في مواجهتهم للمجاعة، إذ استغلوا المحتاجين، وصاروا يقومون ببيع غلالهم بأسعار باهظة تفوق طاعة الكثيرين وإمكانياتهم. في مرارة يطلب من الغني أن يتطلع إلى ثمرة قراراته الجاحفة.

إن كان الله قد وهبه حرية الإرادة، فلا يليق به أن يُسيء استخدام هذه الحرية، فيغلق قلبه من جهة الجائعين، بل ويقوم برفع أسعار غلاله. حقًا إنه لا يُلزم الآخرين بالشراء، غير أن استغلاله للموقف يقتل نفسية المحتاجين. إذ يقف المحتاج في حيرة، إن لم يشتري الغلال سيموت هو وزوجته وأولاده. وإن أراد الشراء ليس أمامه طريق سوى أن يبيع أحد أبنائه عبدًا ليشتري بثمنه طعامًا. وإن ضغط الموت عليه وعلى أسرته، فمن من الأبناء يُعرضه للبيع؟ وماذا تكون مشاعره ومشاعر أبنائه وهم يأكلون طعامًا هو ثمن بيع الابن عبدًا؟!!

إنه يسأل هؤلاء الأثرياء أن يضعوا أنفسهم في مركز هؤلاء المساكين!

❖ بماذا يُفكر الوالد في مثل هذه الأوقات؟ "مَنْ (من الأبناء) أقوم ببيعه أولاً؟ أي من منهم أقدمه مقابل غلال التاجر؟ هل اختار الأكبر؟ لكنني لا أحتمل هذا، بكونه البكر. هل الأصغر؟ لكنني أشفق على صبوته، إذ لا يحتمل كارثة ما...

ماذا أفعل؟ أي الأطفال أضربه؟ أي نوع من الوحشية أبلغ إليها؟ كيف يمكنني أن أتجاهل رباط الطبيعة؟

إن تمسكت بالكل، فسأراهم جميعًا يهلكون بالجوع. وإن أرسلت أحدهم كيف أستطيع أن أتطلع إلى الآخرين بعيني فيما بعد؟ فإنهم سينظرون إليّ بشيء من الشك وعدم الثقة. كيف يمكنني أن أدير بيتي، حين أكون مسئولاً عن فقدان أحد أطفالي؟ كيف يمكنني أن أجلس على المائدة وعليها طعام كثير كثرة لقراري (ببيع أحد أطفالي)؟ بينما يأتي الوالدان وقد سالت دموعهما على وجهيهما لبيعهما أعز أبنائهما، ولم يتأثر بالأمهما، ولا أعطي أي اعتبار للطبيعة...

الدموع لا تُحرّكك، والتهديدات لا تلين قلبك، مع هذا تبقى مُعانداً دون أن تُغيّر رأيك<sup>1</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## تمثل بالآبار التي تمتلئ بنزحها

لم يتوقّف القديس عن تقديم أمثلة عملية ليُحنّن قلوب الأثرياء المُستغلّين للمجاعة. يطلب منهم أن يقتدوا بالآبار التي إن تُركت مياهها فيها دون استخدام، تحلّ بها الطحالب وتفسد، وإن نُزّحت منها المياه امتلأت بالمياه النقية.

<sup>1</sup> I will Tear Down My Barns, 4.

إنه يتوسَّل إليهم تارة أن يقتدوا باللَّه محب البشر، فيتمثَّلون بعطائه. وأخرى يطلب الاقتداء حتى بالحيوانات المتوحشة التي تسند بني جنسها، وثالثة يطلب الاقتداء بالتربة التي تُقدِّم ثمارًا لغيرها، ورابعة يسألهم التمثُّل بالآبار.

❖ تصير الآبار أكثر إنتاجًا إذا نرحت تمامًا، بينما تفسد إذا تُركت كما هي. هكذا إذا تُركت الثروة لا يستخدمها أحد تصير عاطلة. إما إذا أُستخدِمت فتصير مُثمرة ونافعة للجميع...

بالاحتفاظ بما لديه فعلاً، وفي نفس الوقت يسعى ليربح أكثر، يرتكب اليوم خطايا الغد. ليس من طالب يقترب الآن إليه ليسأله، ومع هذا يظهر قسوة مقدماً. لم يجمع بعد محصوله، ومع هذا يوجد بالفعل طماعاً.

الأرض تُرحَّب بالكل ليأخذوا من غناها، إنها تنمي المحاصيل عميقاً في الأخاديد (الشقوق)، تُنتج عناقيد عنب بكثرة على الكرمة، وتجعل أشجار الزيتون تتحني تحت ثقل كثرة الإنتاج، وتُقدِّم ثمارًا شهية متنوعة في أشجار الفاكهة. أما الغني فلا يُرحَّب بأحد، بل هو عقيم! وهو بعد لم يملك، يضمن على المحتاجين<sup>1</sup>.

❖ مع أنك تتكلم مع نفسك خفية، إذا بكلماتك تُفحص في السماء. ومن السماء تأتي الإجابة. أي شيء تقوله في نفسك؟ "يا نفسي لك خيرات لسنين كثيرة، استريح وكلي واشربي وافرحي يوماً فيوماً".

يا للغباوة؟ لو كانت لك نفس خنزير، أية أخبار سعيدة يمكن أن تُقدِّمها لها؟ هل بالحقيقة تشبه حيواناً بلا فهم لما هو لخير نفسك، فتقدم لها طعام الجسد وتخدمها بأمور تنزل في المرحاض؟

لو أن نفسك تقتني فضيلة تصير مملوءة بالأعمال الصالحة، وتسكن بالقرب من اللّٰه، فيكون بالحقيقة لها خيرات، وتفرح فرح الروح الطاهر. ولكن لأنك تهتم فقط بالأرضيات، وتجعل من بطنك إلهاً، فإنك جسدي بالكامل ومُستعبَد للشهوات، اسمع الاسم اللائق بك ليس من فم إنسان، بل من الرب نفسه:

"يا غبي! الليلة تُطلب نفسك منك. فلن يكون ما قد أعددت؟ أنه لأمر أشر من العقوبة الأبدية هذا الاحتقار المنسوب لغباوتك..."

لتهدم كل مخزن للطمع، ولتنزل السقوف، وتُحطَّم الحصون، ولتُعرَّ القمح الفاسد لضوء الشمس، ولتقد الغنى المربوط بالقيود من السجن، ولتُبَدَّد مدافن محبة المال المُحزنة<sup>2</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>1</sup> I will Tear Down My Barns, 5.

<sup>2</sup> I will Tear Down My Barns, 6.

## يا لغباوة القرار بالبناء المتكرر مع الهدم

الآن بعد أن قَدَّمَ للأغنياء الأمثلة السابق الإشارة إليها، يسألهم مراجعة قراراتهم. آية حكمة يدعونها هؤلاء الجاحدون لإخوتهم المساكين، إذ يأخذون قرارًا بهدم مخازنهم وبناء مخازن أكثر، ليعودوا ويكرّروا نفس الأمر مرة ومرات، كمن يُؤمّنون مستقبلهم ومستقبل أبنائهم. إلى متى؟ هل سيعيشون على الأرض إلى الأبد؟ لماذا لا يتطلّعون إلى يوم خروجهم من العالم، فيُرسلون مما بين أيديهم ليكون لهم رصيد حُبّ أبدي.

❖ إن كنت تملأ هذه المخازن الأضخم، فماذا تتوي بعد ذلك؟ هل ستهدمها وتعود فتبني ما هو أضخم منها؟ أي شيء أكثر سخرية من هذا الجهد المتواصل، تتعب لتبني، ثم تتعب لتهدم مرة أخرى؟

إن أردت مخازن، لديك بطون (معدة) الفقراء. ضع كنزك في السماء. ما تودعه هناك لا يلتهمه سوس، ولا يحل به فساد، ولا يسرقه لصوص.

قد تجيب: سأعطي الفقراء عندما أملأ مخازني الثانية. هل أنت متأكد أن سني حياتك كثيرة، أحذر لئلا يقبض عليك الموت حالاً على غير توقّع منك!

وعندك هذا ليس علامة على صلاحك، بل بالحري علامة على نيّتك الشريرة. فإنك تعد لا لكي تعطي في المستقبل، بل بالحري لكي تهرب من المسؤولية في الحاضر.

ما الذي يمنعك في هذه اللحظة من العطاء؟

أليس المحتاجون بين يديك؟ أليست مخازنك مملوءة بالفعل؟

أليست مكافأتك السماوية تنتظرك؟ أليست الوصية واضحة وجليّة؟

هوذا الجائعون يهلكون، والعراة يتجمّدون إلى الموت، والمدِينون عاجزون عن التنفّس،

فهل تؤجل إظهار الرحمة إلى الغد؟ استمع إلى سليمان: "لا تَقُل لصاحبك: اذهب وعُد فأعطيك

غداً" (أم ٣: ٢٨). فإنك لا تعلم إن كان غداً سيأتي<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

هل أنا ظالم، بحفظي ما هو لي؟!!

يجيب القديس باسيليوس على اعتراض بعض الأغنياء، بأنهم إنما يحتفظون بما لديهم وهو

ملكهم، سواء نالوه عن طريق الميراث أو العمل. إنهم لم يظلموا أحدًا، ولم يسلبوا الناس. يجيبهم

بالآتي:

<sup>1</sup> I will Tear Down My Barns, 6.



عند ولادتهم لم يجلبوا معهم شيئاً، وحين يخرجون من العالم لا يأخذون معهم شيئاً، فما في أيديهم هو وديعة مؤقتة. وهبهم الله هذه المقتنيات لكي يكافأوا على أمانتهم في الوكالة. غاية ما لديهم هو تركيتهم لأنهم آمناء، يُتَمَمون بأمانة إرادة الله وهي الحب والعطاء! كل ما في العالم هو من حق البشرية، ليس من حق إنسان أن يضع يده على الخيرات ويحرم أخاه منها.

❖ تقول: لكنني هل أنا ظالم، بحفظي ما هو لي؟!!

أخبرني: ما هو الذي لك؟ ماذا جلبته إلى هذه الحياة؟ من أين استلمته؟ إنك تُشبه من يحتل الكرسي الأول في المسرح، ويمنع كل الآخرين من أن يحضروا، فيتمتع شخص واحد بما هو مُقَدَّم لنفع الكل كجماعة. هذا ما يفعله الأغنياء. إنهم يستولون على الخيرات العامة قبل أن يجد الآخرون الفرصة، وعندئذ يُعلنون أنها ملك لهم... فلو أننا جميعاً أخذنا ما هو ضروري لإشباع احتياجاتنا، ونترك الباقي لمن هم في احتياج، لا يوجد غني وفقير، ولا يوجد من يكون محتاجاً.

ألم تأت من الرحم عرياناً، وتعود إلى الأرض عرياناً؟ فمن أين أتيت بمتعلقاتك؟ إن قلت إنك اقتنيتها مصادفة، فإنك تُتكر وجود الله، لأنك لا تعرف خالقك، ولست شاكرًا لمن أعطاك هذه الأشياء.

لكن إن عرفت أنها أعطيت لك بواسطة الله، فأخبرني ما هو الهدف من نوالك لها؟ هل الله ظالم عندما قام بتوزيعها بيننا بغير تساوي هذه التي هي ضرورية للحياة؟ فلماذا أنتم أغنياء وغيركم فقراء؟

أليس لكي تتالوا مكافأة الوكلاء الصالحين والأمناء، لكنكم عوض ذلك تضعون كل شيء في جيوبكم التي بلا حدود الخاصة بطمعكم. لنفرض أنكم لم تخطئوا إلى أي أحد، ألسنتم بالحق قد حرمتكم كثيرين؟

من هم الطامعون؟ أولئك الذين لا يكتفون بما يكفي لاحتياجاتهم. ومن هم اللصوص؟ الذين يأخذون لأنفسهم ما هو حق كل أحد. ما تأخذوه كأمانة بكونكم وكلاء، ألا تحسبونهم لأنفسكم؟ أليس من يُعزّي آخر من ملابسه يدعى لصاً؟

فإن الذين لا يعطون ملابس للعراة وهم لديهم الإمكانيات يفعلون نفس الشيء، أفلا يدعون بنفس الاسم (لصوصاً)؟ الخبز الذي تحتفظون به هو للجائعين، والملابس التي تحتفظون بها هي للعراة، والأحذية تُفسدون بتخزينها وعدم استعمالها بواسطة المعدمين، والفضة

التي تدفنها في الأرض هي للمحتاجين. بهذا فأنتم تجرمون بالظلم نحو الكثيرين الذين كان يمكن مساعدتهم ولم تفعلوا هذا<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## اللَّهُ لا يطلب حرماننا بالمجاعة بل رجوعنا مع أطفالنا إليه

يليق بالمؤمنين أن يُدركوا حكمة الله بالسماح بحلول مجاعة إلى حين، ألا وهي:

١. يسمح الله أحيانًا بالضيق لنراجع أنفسنا في علاقتنا بإخوتنا، فإذا نفتح أيدينا بالعطاء، يمد الله يده بالعطاء لنا. وإذا نغلق قلوبنا نحو إخوتنا، تغلق حتى الطبيعة أبوابها أمامنا.
٢. إن سمعنا لإخوتنا بالحب العملي، يسمع الله صلواتنا ويستجيب لها.
٣. يسمح الله بالضيقة لكي يحثنا على الصلاة، إذ يريد لنا أن ندخل معه في صداقة وحوار مفتوح. لكن للأسف لاحظ القديس في اجتماعات الصلاة من أجل رفع الضيقة عنهم الآتي:

أ. عدد الرجال المشتركين في الصلاة قليل، لأنهم مشغولون بتجارتهم وأعمالهم، لا يعطون الأولوية للقاء مع الله.

ب. حتى النساء كثير منهن انشغلن بمحبة المال.

ج. لزم وجود الأطفال في الاجتماعات الكنسية من صلوات وتسابيح وقراءات في الكتاب المقدس لكي يُحوّل الحزن إلى فرح.

لقد اشترك الأطفال في توبة أهل نينوى، هؤلاء الذين لا يعرفون شمالهم من يمينهم. وكان لدورهم فاعليته مع اشترك الكبار معهم في التوبة. قال الله ليونان: "أنت تُشفي على اليقطينة التي لم تتعب فيها ولا ربّيتها التي بُنت ليلة. كانت وبنت ليلة هلكت، أفلا أشفي أنا على نينوى المدينة العظيمة التي يوجد فيها أكثر من اثنتي عشرة ربوة من الناس الذين لا يعرفون يمينهم من شمالهم وبهائم كثيرة" (يونان ٤: ١٠-١١).

هكذا يكشف الله عن محبته للبشرية التي هي عمل يديه. نينوى كما يقول القديس جيروم: [المدينة العظيمة التي هي الكنيسة الحاوية الاثني عشر سبطاً الروحانيين الذين يعودون إلى الطفولة في براءتها وبساطتها].

❖ هذا هو السبب الذي لأجله لا يفتح الله يده، لأننا نُغلق قلوبنا نحو إخوتنا وأخواتنا. هذا هو السبب الذي لأجله الحقول قاحلة، لأن المحبة قد جفّت<sup>٢</sup>.

<sup>1</sup> I will Tear Down My Barns, 7.

<sup>2</sup> In the Time of Famine and Drought, 2.

❖ تتبدد أصوات المُصَلِّين باطلاً في الهواء، ما دمننا لا ننصت إلى الذين يسألوننا العون لهم. هل هذه تدعونها صلاة وطلبة؟

(في اجتماعات الصلاة) قليلون يجتمعون للصلاة معي. الرجال ليسوا إلا قلة، إذ هم مشغولون بالتجارة. بينما النساء يساعدونهم في خدمة محبة المال. والذين يأتون هم نائمون ويتتاعبون يتطلعون باستمرار من هنا وهناك، يحسبون الدقائق حتى ينتهي القائد من التسبيح، فينطلقون من الكنيسة، ويُمارسون الصلاة كواجب في زنزانية.

الأطفال الصغار الذين يستخدمون الألواح التي يكتبون عليها في المدارس، يضيفون أصواتهم إلى أصواتنا... يُحوّلون حزننا إلى عيد...

على أي الأحوال، يلزمكم أن تكونوا حاضرين ومعكم أطفالكم الصغار، فإنهم لا يحضرون إلى هنا بأنفسهم.

أنتم ترون أن أهل نينوى توسلوا إلى الله بالتوبة، وبكوا على خطاياهم، التي أعلنها لهم يونان بعد أن عبر من البحر والحوث حياً.

لم يُقدّم الأطفال التوبة، بينما سلك الكبار الطريق السهلة المترفة، بالحري دفع الصوم الوالدين الخطة للخضوع أولاً، وحلّ التأديب بالوالدين وامتدّ إلى الأطفال وبالضرورة حزنوا هم أيضاً. هكذا ساد روح الحزن على كل الأعمار، الذين يفهمون، والذين لا يفهمون؛ الأولون باختيارهم، والآخرين بالضرورة<sup>1</sup>.

**القديس باسيليوس الكبير**

**ما قيمة ثروتك بدون رعاية الله لك؟!!**

يظن محبو المال أن ثرواتهم المتزايدة تهبهم سعادة حقيقية. لهذا يُطالبنا القديس أن نرجع إلى أيام إيليا النبي حين حلّ الجفاف على الأرض. ما قيمة ثروة أخاب الملك وإيزابل الملكة وما لديهم من ذهب وفضة ومعادن ثمينة محبوبة لديهما جداً، بدون وجود مطر؟

هل كانا نستطيعان أن يخلقا سحابة تُسقط مطراً كي تُثمر الأرض؟

ما فعله إيليا الفقير والمُعَدَم لم يستطع الملك وكل رجاله أن يفعلوه؟!!

❖ إنك تطلب كل ما تحتاج إليه إلا شيئاً واحداً وهو القدرة أن تقوت نفسك. بكل ما لديك من ثروة، اخلق سحابة واحدة!

فم بتدبير وسيلة لإنتاج قطرات من المطر، أرغم الأرض أن تُثمر؛ لتحل الكارثة بالثروة المتشامخة. لتفترض أنك تسأل شخصاً يُصَلِّي عنك لكي تتمتع بالراحة من الأحداث الفاجعة،

<sup>1</sup> In the Time of Famine and Drought, 3.

مثل إيليا التشبّي الفقير والنحيل الذي بلا حذاء، وبدون بيت أو مأوى، بلا موارد مالية، يُغَطّيهِ ثوب واحد... ويتوسلاتك نجحت في الحصول على مساندة مثل هذا الشخص، أليس بالحق تستخف تمامًا بالمنتجات التي تُمثّل ثقلًا عليك؟

ألا تبصق على الذهب؟

أما تبعثر الفضة التي كنت يومًا ما تدعوها المحبوبة جدًا لديك وواهبه السلطة، فإنها تُشبه الروث بالنسبة للتربة، مُدرِكًا أن لها فاعليتها في وقت العوز<sup>1</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

### ماذا وراء تجربة المجاعة القاسية؟

يدعونا القديس باسيليوس الكبير أن ندرك حكمة الله من السماح بتجربة المجاعة التي تبدو مرّة للغاية. ما حدث ليس مصادفة، وإنما بسماح من الله لبنياننا ونموننا؛ كيف؟

أ. تدعونا المجاعة أو الضيقة إلى إدراك ما قاله أيوب البار في تجربته: "يد الرب تلمسني" (أي ١٠: ٢١ LXX). إنها تلمس قلبه، فيدرك ضعفاته من جانب، وقوة الله العاملة فيه من جانب آخر. يكتشف خطاياهم ويعترف بها، كما يكتشف غافر الخطايا ويعترف به.

ب. الضيقة هي امتحان حقيقي خلاله نكتشف أعماقنا، إن كنا شاكرين الله حتى في وسط التجربة أم جاحدين محبته ورعايته.

ج. بالضيقة نُعلن ثقتنا في الله صانع الخيرات، فهو يُشبع احتياجاتنا حسب فكره الإلهي، بطرق متنوعة. إنه يُحوّل كل الأشياء لتعمل لخيرنا (رو ٨: ٢٨). فإن سمح بفترة جفافٍ مثلاً، يليق بنا أن نُدرك أنها حتمًا لنفعا.

د. تفكيرنا في صلاح الله، الذي خلقنا من التراب، ووهبنا أن نكون على صورته ومثاله، وقدم لنا عطية العقل الفريدة عن بقية المخلوقات الأرضية يبيّن فينا الثقة في تدبيره كل الأمور لنفعا.

هـ. إن كنا نضطرب من أجل حلول الجفاف إلى حين، فلنذكر أعماله غير المنظورة، فبحكمته لم يسمح باقتراب الأرض من الشمس إلى فترة طويلة تحرق كل ما على الأرض، وبصلاحه لم يسمح بنزول نار من السماء لمُعاقبة الأشرار كما سمح قبلاً بالنسبة لسدوم وعمورة (تك ١٩: ٢٤-٢٨)، ولقائدي الخمسين الذين تشامخا على إيليا النبي (٢ مل ١: ١٠، ١٢، ١٤).

<sup>1</sup> In the Time of Famine and Drought, 4.



و . يسمح الله بالمجاعة القاسية لكي يرتبط البشر ببعضهم البعض . فيشعر كل واحدٍ بحاجته إلى أخيه . فالغني يجد في المجاعة فرصة ثمينة لممارسة الحب للمحتاجين بفرح من أجل الرب ، والفقير يشعر بمحبة الغني الذي لا يتجاهله في وقت الضيق ، ويُقدّم الشكر . وكلاهما ، الغني والفقير ، يشكران الله على رعايته وعلى الحب الذي يهبه للبشر نحو بعضهم البعض .

❖ لنفحص الآن حياتنا على مستوى الأفراد والجماعة . لنحسب المجاعة (التي حلت بالبلاد) أشبه بقائدٍ لنا فنتذكر خطايانا . لننطق بتعقلٍ صرخة أيوب الممتاز : "يد الرب تلمسني" (أي ١٠ : ٢١ LXX) . ليتنا بالحق نحسب الكارثة قد حدثت أساسًا بسبب خطايانا .

غير أنه من اللازم إضافة اعتبارات أخرى . يلزمنا أن نتذكر أن الأحداث البائسة تحدث أحيانًا في حياة الناس كاختبار للتوبة . هؤلاء الذين يُمتحنون بهذه الطريقة ، سواء كانوا أغنياء أو فقراء ، يُفحصون بالألم . مثل هذا يبرهن إن كان الشخص بالحق لطيفًا وذا قلبٍ حنونٍ ، وشاكرًا ، أو العكس إن كان جاحدًا ...

أعرف أناسًا ليس خلال السماع ، وإنما بالحري بالخبرة ، يشكرون من أجل عطايا صانع الخيرات مادامت حياتهم تسير بسهولة وفي ترفٍ ، وكما يُقال إنها تتقدم باعتدالٍ إن لم يكن بالكمال . لكن لتسر الأمور على خلاف ذلك تمامًا ، فيصير الأغنياء فقراء ، وتتحدّر صحة الجسد إلى الضعف ، ويهبط المجد والسمو إلى الخزي والعار ، يصيرون للحال جاحدين . إنهم يصبون تجديفاتهم ، ويهجرون الصلاة ، ويهاجمون الله بعنفٍ كمن يطالبون مدينًا بدين متأخرٍ ، عوض الوقوف كخدامٍ يتحدثون مع سيدٍ مستاء منهم ...

عندما ترون الله لا يُقدّم مؤونة كالمعتاد ، يلزمكم أن تفكروا هكذا :

أليس في سلطان الله أن يمنحنا طعامًا؟ كيف يمكن أن يحدث ما هو بخلاف هذا؟ إنه ربُّ السماء والأرض ، مُنظّم الأزمنة والمواسم ، الحكيم . الله هو الذي وضع حدودًا للمواسم ، كل موسمٍ يفتح الطريق لموسمٍ آخر ، وكأنها أشبه برقصات غاية في التنظيم ، حتى يُشبع احتياجاتنا المتنوعة بطرق متباينة بلا حدود .

بهذا نرى سقوط المطر يعود في موسمه المناسب ، وبعد ذلك تتقبّل الأرض الدفء والبرد بطريقة مناسبة عبر فصول السنة .

إننا محتاجون إلى فترة من الجفاف . بهذا ندرك أن الله صاحب سلطان . قدرته مشهود لها ومُسلّم بها ، فهل يصيب الله عجز ما؟ لن يحل بنا فهم كهذا .

إن كان الله غير صالح ، فما هي الضرورة التي ألزمته ليخلق البشر في المرتبة الأولى؟

من ألزم الخالق أن يأخذ بغير إرادته ترابًا ويُشكّل مثل هذا الجمال من التراب؟

من يقدر أن يغلبه ليعطي انبشر عقلاً، كما لو كان ذلك عن ضرورة؟

أما يلزمهم أن يتقبَّلوا تعليمًا للفنون، ويتعلَّموا أن يفلسفوا عالم السماء التي تسعوا فوق الحواس؟

إن فكرتم هكذا تكتشفون صلاح الله حاضرًا، ولن يفارقنا حتى الآن. وإلا فأخبروني، ماذا يوقف ما يصيبنا، ليس وقف الجفاف وحده، وإنما منع الحرق التام أيضًا؟  
ما الذي يمنع الشمس من تغيير وضعها العادي، فلا تقترب من الأجسام الأرضية وفي لحظة تحرق كل ما نراه؟

ما الذي يمنع النار من أن تنزل من السماء، كما حدث قديمًا في معاقبة الأشرار؟<sup>1</sup>

القديس باسيليوس الكبير

### دعوة للتعلُّل وسط الضيقة الشديدة

مع وصف القديس لمرارة المجاعة التي حلَّت في أيامه، حتى رأى بعض الدارسين أنه لم يسبق له أن يختبر مجاعة حلَّت ببلاده. فقد صوِّر المجاعة أنها أخطر من كثير من الضيقات الأخرى التي تنتهي بموت الكثيرين، دعا شعبه بكل فتاته إلى التعلُّل في مواجهتها.

شبه المتذمِّرين على الله بسبب المجاعة بأطفال يلقون بأدوات الدراسة في وجه المدرس متى انتهزم، أو يمزقون ثياب والديهم متى حرموهم من المائدة إلى حين لأجل تأديبهم، أو يقومون بخدش وجوه أمهاتهم بأظافرهم متى ثاروا عليهم، أو كأطفال يلقون حتى أصدقاءهم بالحجارة متى غضبوا منهم.

يدعونا القديس إلى روح الرجاء في الله مع التحدي للضيقة مهما كانت شدتها. فنكون كقادة السفن المُختبرين وقت العاصفة، أو كصارعين في حلبة المصارعة، أو كجنود في أرض المعركة. فالضيقات تفحص المؤمن كما تنقّي النار الذهب!

الاستسلام للحزن المفرط يفسد العقل، ويدفع إلى السقوط في خطايا كثيرة، ويؤدِّد جحودًا للقلب ضد الله.

❖ تعلُّلوا يا أيها الشعب. لا تسلكوا كأطفال أغبياء، يلقون بعنف ألواح الكتابة التي للمدرس عندما ينتهرهم، أو يمزقون ثياب آبائهم عندما يحرمونهم من المائدة ليعطوهم درسًا، أو يخدشون وجه أمهم بأظافرهم.

<sup>1</sup> In the Time of Famine and Drought, 5.

العواصف في البحر تختبر شخصية قائد السفينة، كما تفعل الحطبة مع المُصارعين، وميدان المعركة مع الجند، والكارثة بالنسبة للمتسمين بالشهامة، وأوقات التجربة بالنسبة للمسيحي. الأحزان تفحص النفس كالنار بالنسبة للذهب...

هل أنت فقير؟ لا تُحبَط. فإن الحزن الزائد يصير مصدرًا للخطية. **يفيض الحزن على العقل (يفسده)**، ويُسبب العجز ارتباكًا، ويؤلّد الاضطراب أفكار جحود.

ضع رجاءك في الرب. هل يمكن لله ألا يدرك ظروفك الصعبة؟ إن كان لدى الله القدرة أن يعولك، وهو يتأخّر في تقديم الطعام، إنما لكي يختبر ثباتك، ويمتحن تدبيرك، لكي ترى إن كان داخلك متسيبًا وفارغًا.

مادام مثل هؤلاء متى كان لديهم طعام في أفواههم ينطقون بالتسبيح والإعجاب والإطراء. لكن إن تأخر إعداد المائدة قليلاً يبدؤون في صبّ الشتائم مثل إلقاء الحجارة على الذين سبق أن مَجّدوهم كأتقياء بسبب شعبهم.

افتح العهدين القديم والجديد، فتكتشف فيهما كثيرين أطمعوا بطرقٍ متباينة.

كان إيليا على جبل الكرمل، على جبلٍ عالٍ مهجورٍ، متوحدٍ في مكانٍ معزولٍ. بالنسبة لهذا البار النفس هي كل شيء، رجاؤه في الله أنه يعول الحياة. لم تسحب المجاعة حياته، بل بالحري جاءت الطيور الجارحة الشرسة جدًّا، الغربان، التي اعتادت أن تخطف الطعام من الآخرين، تُقدّم له خبزًا، وتُهيئ طعامًا لهذا التقى. لقد غيَّرت عاداتها الطبيعية بأمر السيد (الله)، وصارت حارسة موثوق فيها بالنسبة للخبز واللحم. نتعلّم من التاريخ المقدس أن الغربان جاءت بهذه المئونة لهذا الرجل.

كان دانيال الشاب الإسرائيلي في جبٍ بابلي، أسير رُحّل من بلده، لكن نفسه وعقله كانا في حرية. ماذا حدث له؟

صامت الأسود بطريقة تضاد طبيعتها، ونُقِلَ حبقوق خلال الهواء إليه، وأحضر له طعامًا. حمله الملاك هو والطعام. فلكي لا يعاني هذا البار (دانيال) من ضغط الجوع، نُقِلَ حبقوق في لحظة من الزمن فوق اليابس والبحر من اليهودية إلى بابل (راجع قصة بيل والتنين<sup>1</sup>)<sup>2</sup>.

❖ علاوة على هذا، تأملوا ما حدث في حالة الشعب في البرية، الذين قادهم موسى. كيف دُبِّرت لهم الأمور التي احتاجوا إليها خلال الأربعين سنة في التيه!

<sup>1</sup> دانيال ١٤: ٢٢ . ٤٢ الترجمة السبعينية (راجع قصة العهد الجديد للنشء، قصة ١٧١).

<sup>2</sup> *In the Time of Famine and Drought*, 5.



لم يوجد أحد ليغرس، ولا ثور لكي يجر محراثًا، ولا من يدرس حقلًا، ولم توجد معصرة ولا مخزن، ومع هذا كان لهم طعام دون غرس أو زراعة.

تمتعوا بصخرة أفاضت ماءً حيث لم يكن لها ماء، أفاضت نهر عند الحاجة... تذكروا الكلمة الربوبية: "اشكروا في كل حين" (١ تس ٥: ١٨).<sup>١</sup>

القديس بامبروس: **القديس بامبروس الكبير**

## أعط من إعواذك

يقول السيد المسيح: "وبالحق أقول لكم إن أرامل كثيرة كن في إسرائيل في أيام إيليا حين أغلقت السماء مدة ثلاث سنين وستة أشهر، لما كان جوع عظيم في الأرض كلها، ولم يرسل إيليا إلى واحدة منها، إلا إلى امرأة أرملة، في صرقة صيدا" (لو ٤: ٢٥-٢٦). لم تشك الأرملة من قسوة الحياة، وما حلّ بالبلا من مجاعات، فقد سلّمت حياتها بروح الرضا بين يديّ الله.

يقول عنها القديس أمبروس: [جعل الجفاف براميل الأغنياء تفرغ، بينما صارت كوز زيت المرأة الصغير يفيض بوفرة... لأنه لم يوجد أحد أعطى أكثر منها، هذه التي أطعمت النبي بقوت أولادها. وإذا لم يُعط أحد أكثر لم يوجد من هو أعظم منها استحقاقًا].<sup>٢</sup>

يقول القديس جيروم: [أرملة صرقة التي كانت تتوقع موت أولادها في نفس الليلة جوعًا، عانت تُطعم النبي. الذي جاء لكي يأكل عاد ليقوتها (وأولادها) بطريقة معجزية، إذ ملأ الأواني الفارغة].<sup>٣</sup>

كما يقول الشهيد كبريانوس: [لم تنزع الأم من أولادها ما قدمت لإيليا، بل بالأحرى وهبت أولادها ما قدمت بلطف وتقوى].

❖ هل تقول إنك فقير؟ يوجد من هو أفقر منك.

ليس عندك غير ما يكفيك لمدة عشرة أيام، إن يوجد من ليس عنده ما يكفي يوماً واحداً. كن رحوماً وكرماً وقاسم المحتاج الفائض عنك.

لا تخف أن تُعطي القليل مما عندك، ولا تُفكر في مصلحتك الشخصية قبل التفكير في الخطر المشترك. حتى إن لم يبقَ عندك سوى رغيف واحد، وطرق أحد بابك، فاخرج هذا الرغيف مما من خزانتك، وارفعه إلى السماء، واتل هذه الصلاة:

"يا رب، أنت ترى أنه لم يبقَ عندي إلا رغيف واحد، والجوع يهددني، لكنني أفضل وصيتك على شخصي، ومن القليل الذي بقي عندي، أعطي أخي الجائع.

<sup>1</sup> In the Time of Famine and Drought, 6.

<sup>2</sup> St. Ambrose: Concerning Widows, 5:28.

<sup>3</sup> St. Jerome: Letters, 22:32.



عليك الآن، يارب، أن تُعطي عبدك الذي في خطر ما هو في حاجة إليه.  
إني أعرف صلاحك، وأنا مُتشجّع بسطوانك. إنك بالتأكيد لا تؤخر نعمتك، بل تُورّع  
عطاياك حينما تريد، وحين تتكلم وتعمل."

الخبز الذي تعطيه في وقت ضيقتك، يصير لك بذورًا للزرع، تحمل لك حصادًا وفيرًا،  
يصير وعدًا بالطعام ومبعوثًا للرحمة.

انطق بالكلمة التي قالتها أرملة بيت صرفة حين كانت في نفس الظروف. بالحق إنه وقت  
مناسب أن تتذكّر قصتها: "حيّ هو الرب، إنه ليس عندي في بيتي إلا ما يطعمني أنا وابني"  
(راجع ١ مل ١٧: ١٢).

أنت أيضًا إن أعطيت من إعواذك، سيكون لك قارورة زيت تفيض على الدوام من عطية  
الرحمة، وكوار الدقيق الذي لا ينضب. بالنسبة للمؤمنين فإن نعمة الله تقدم بغير أوان كهذه،  
تفيض ولا تتضب، فتزد ضعف ما تعطي.

أقرض أيها المعتاز الله الغني. آمن بذاك الذي يكافئ من يهتمون شخصيًا بالمتضايقين  
مما لهم. هو الضامن الموثوق فيه، لديه كنوز الأرض والبحار. فإنك إن طلبت ردّ الدين، وأنت  
تسلك في البحر يرد لك أصل الدين مع الفائدة وأنت في وسط المحيط. بالنسبة لله، فإنه لأمر  
مكرم أن يرد بسخاء<sup>١</sup>.

❖ بمّ تجيب الله، الديان العادل، أنت الذي تُزيّن جدران منزلك، ولا تكسو أخاك؟ تُزيّن خيولك، ولا  
تلتفت إلى بؤس أخيك؟

وأنت الذي تدع السوس يقرض قمحك، وتبخل به على الجائعين؟

وأنت مُكدّس الذهب، ولا تنهض لمعونة المعوزين؟

تقول: إلى من أسأت في حبس مالي؟

قل لي: ماذا يخصك؟ ممن تسلّمت هذه الأموال جميعها، حتى تحتفظ بها لمنفعتك؟

ألست كمن يتخذ مقعدًا في ملعب ثم يمنع غيره من الدخول إليه، كأن له وحده ما هو

للجميع. هذا هو حال من يملكون شيئًا، يحسبون أن لهم الحق في أن يستولوا على ما قبضوا  
عليه قبل غيرهم من الرزق العام.

لو كان كل واحدٍ يكتفي بالضروري، ويترك ما زاد عن حاجته للفقراء، لما كان هناك فقير

وغني. أما خرجت عريانا من بطن أمك؟

ألست تعود بعد عريانا إلى التراب؟

<sup>1</sup> In the Time of Famine and Drought, 6.

أما أموالك هذه فممن تملكها؟  
فإن قلت: من الصدفة كنت كافرًا لا مسيحيًا.  
وإن قلت: من الله ومن عنايته، ففسر لي سبب عطيته هذه. أتعدّه ظالمًا حين وزع  
ضرورات الحياة توزيعًا غير متساوٍ؟  
بأي حق تكون أنت موسرًا وجارك معسرًا؟  
أليس ذلك لكي تُجازى على حنوك، وعلى إدارتك مالك حسب مقاصد العناية، ولكي يُجازى  
جارك على ما قاسى من الفاقة والألم في محنته؟  
وأنت الذي تستأثر بأموالك بخلًا وطمعًا، أتظن أنك لا تضر أحدًا بينما تمنع الضروري  
عن عدد عظيم من إخوانك؟

من هو البخيل؟ من يعجز عن الرضا بالضروري.  
ومن هو اللص؟ من يسلب ما للآخرين.  
ألست بخيلًا، ولصًا، أنت الذي تُحوّل لنفك الخاص ما لم تتسلمه إلاّ لتحسن إدارته؟  
من سرق ثوبًا فهو لص، ومن لا يكسو عاريًا وهو قادر، أفلا أن يدعى لصًا؟  
إنّ ما تخزنه من الخبز إنما هو للجوع، وما تحرص عليه من ثوب، إنما هو للبائسين،  
وما عندك من حذاء متروك للبلبي، فهو لمن يسرون حفاة، وما تخفيه من مالك في صندوقك  
فهو لأخيك. إنك تظلم من الناس كل من كنت قادرًا أن تعطيهم<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## خدام الله مصدر الفرح

مع تفاعل القديس مع المجتمع أثناء المجاعة التي حلّت بالبلاد، بصورة غاية في المرارة، ومع  
مشاركته المتألمين الأهم عمليًا، فباع كل ممتلكاته واشترى طعامًا، قام بتوزيعه على الجميع دون  
تمييز بين مسيحي ويهودي ووثني، أوضح أن رسالة الكنيسة بث روح الفرح. لقد شبّه خدام الله  
بآلات موسيقية يعزف عليها روح الله القدوس سيمفونية مفرحة، تملأ النفس بالسلام الداخلي، وتهبها  
عربون السماء.

❖ أصغوا يا أيها الشعب! اسمعوني أيها المسيحيون! هذه الأمور يقولها الرب، مخاطبًا الشعب،  
ليس بصوته، بل بالحري يعلن الرسالة خلال أفواه عبيده كما خلال آلات موسيقية<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>١</sup> جان - ماري رونا: القديس باسيليوس الكبير، ترجمة الأب عفيقي اليسوعي، منشورات المعادي، ص ١٩-٢١

<sup>٢</sup> *In the Time of Famine and Drought*, 8.

## ليتنا نقّدي حتى بالحيوانات!

يسألنا القديس باسيليوس الكبير نحن الذين نلنا نعمة العقل أن نقّدي بالحيوانات غير العاقلة، التي بالغريزة الطبيعية تُمارس حياة الشركة. فقطعان الغنم ترعى معًا في السهول الخضراء، والخيول تأكل معًا في شركة. أما الإنسان فكثيرًا ما يبذل جهده ليحفظ لنفسه ما هو عام للجميع، ويستغل إخوته.

لا نعجب إن كان القديس باسيليوس يدعونا إلى التعلّم من الحيوانات غير العاقلة في أمورٍ كثيرة، فقد سبق أن سألنا سليمان الحكيم أن نتعلّم الاجتهاد من النملة، فقال: "اذهب إلى النملة أيها الكسلان. تأمل طرقها وكن حكميًا" (أم ٦: ٦).

يرى القديس يوحنا الذهبي الفم أن الإنسان الذي خُلِقَ على صورة الله ومثاله ينحط بالخطية لينزل حتى تصير الحيوانات والحشرات أفضل منه في أمورٍ كثيرة. فالحيوانات المفترسة كالنمور، إذ تجتمع معًا تسند بعضها البعض، ولا يهاجم أحدها الآخر، أما الإنسان، فإذا اجتمع بأخيه غالبًا ما تدبّ بينهما روح الغيرة والحسد، مما يدفع أحيانًا إلى ارتكاب جرائم القتل. كما يقول: [لاحظ كيف أن كائنًا أقل منك مملوء غيرة وساهر! لذا تقبّل من هذه الحشرات (الحيوان) أفضل نصيحة في العمل، وتعجّب من ربّك ليس لأنه خلق السماء والأرض فقط، ولكنه أيضًا خلق النملة. فمع كونها صغيرة تقدم برهانًا على عظمة حكمة الله. تطلع كيف تسلك النملة بتعقّل، وكيف غرس الله في هذا الجسد الصغير رغبة للعمل بلا انقطاع!]

❖ ليتنا نحن العقلاء لا نُظهر أنفسنا أكثر وحشية من الحيوانات غير العاقلة. فإنه حتى الحيوانات تستخدم الزروع في شركة معًا، هذه التي تنمو طبيعيًا من الأرض. فقطعان الغنم ترعى معًا على نفس جانب التل، جماعات الخيل تأكل معًا في السهل. وكل المخلوقات الحيّة تسمح لغيرها أن تُشبع احتياجاتها من الطعام. أمّا نحن فنقوم بتخزين ما هو عام لنحفظه لأنفسنا، ما هو يخص الكثيرين.<sup>٢</sup>

❖ ليتنا بكل حماس نقّدي بجماعة المسيحيين الأوائل حيث كان كل شيء بينهم مشتركًا (أع ٢: ٤١ الخ)، حياة واحدة، ونفس واحدة، واتفاق واحد، ومائدة واحدة.<sup>٣</sup>

القديس باسيليوس الكبير

<sup>1</sup> St. John Chrysostom: Concerning the Statues, 12:5.

<sup>2</sup> In the Time of Famine and Drought, 8.

<sup>3</sup> In the Time of Famine and Drought, 8.

## الرِّبَا واستغلال المجاعة

ما أحزن قلب القديس باسيليوس ما لاحظته في وقت المجاعة، فقد استغل بعض الأغنياء بلايا المُعَدِّمِينَ العاجزين على نوال ضروريات الحياة. عوض تقديم يد المعونة لهم، قَدَّمُوا لهم قروضًا برِّبَا فاحشٍ. وقد حرَّمت الشريعة الرِّبَا على القروض المُعطاة للفقراء من أجل تدبير ضروريات الحياة. رَفُضَ الرِّبَا الفاحش من المقترضين الفقراء يسكب على المؤمن سمة الحب والكمال.

❖ [فضته لا يُعطيها بالرِّبَا، ولا يأخذ الرشوة على البريء؛ الذي يصنع هذا لا يتزعزع إلى الدهر" (مز ١٥ : ٥).]

إذ يصف النبي الإنسان الكامل الذي في طريقه لبلوغ الحياة غير المتغيِّرة، يُعَدِّد بين أعماله النبيلة، أنه لم يقرض ماله بالرِّبَا. تلام هذه الخطية (أخذ ربا من المقترضين الفقراء) في مواضع كثيرة في الكتاب المقدس.

بالحقيقة يضع حزقيال بين أخطر الشرور أخذ ربا أو أي فوائد (حز ٢٢ : ١٢)، الأمر الذي تُحرِّمه الشريعة بصراحة. "لا تقرض أخاك وقريبك برِّبَا" (راجع تث ٢٣ : ١٩). مرة أخرى: "خداع فوق خداع، ورِّبَا فوق ربا" (إر ٦ : LXX).

بخصوص مدينة تزدهر بكثرة الشرور، ماذا يقول المزمور؟ "الرِّبَا والخداع لا يفارق شوارعها" (راجع مز ٥٥ : ١١).

الآن أخذ نفس العمل كسمة خاصة بالكمال في الإنسان، بقوله: "ماله لا يُعطيهِ بالرِّبَا". بالحقيقة أنه لأمر في غاية الوحشية أن الذي ليس لديه ما يكفي للضروريات يلتزم أن يأخذ قرضًا لكي يُعيِّنه في حياته، بينما الآخر لا يكتفي بإعادة أصل الدين إليه فيسيء إلى الفقير لنفعه بطلب وسيلة لإيجاد مصدر دخل أكبر لنفسه، ويجمع ثروة من بلايا الفقير. لهذا يأمرنا الرب بوصية صريحة، قائلاً: "من أراد أن يقترض منك فلا ترده" (مت ٥ : ٤٢).

أما مُحب المال فحين يرى أحداً ينبطح عند قدميه مُلتَمِسًا لأنه في مأزق يقول أي شيء وهو مُنْحَنٍ في غاية المهانة، لا يُظهر رحمة لمن يفعل هذا بطريقة بها مذلة. إنه لا يعطي أي اعتبار للطبيعة البشرية، فلا يبالي بالتوسُّل، إنما يقف في قسوة، في جحود، لا يخضع لأي توسُّل، لا تُحرِّكه الدموع، مُصَمِّمًا على الرفض. إنه يُقسم بكل طريقة، وينزل اللعنات على نفسه بأن ليس لديه رصيد نهائي، وأنه هو نفسه يبحث عن أحدٍ يعطيه قرضًا...

وعندما يشير طالب القرض إلى نسبة الفائدة والضمانات، عندئذ يتغاضى عما قاله وبيتسم... ويقول: "دعني أنظر إن كان يمكنني أن أجد مالاً قد حجزته في مكانٍ آخر. لدي"



وديعة قَدَّمها لي صديق للتجارة، ولكنه يطلب فائدة كبيرة عليها، من أجلك سأقوم بتخفيض الفائدة وأعطيك الوديعة قرضًا بفائدة أقل...".

أخبرني، هل بالحق تطلب الغنى والمكاسب المالية من شخصٍ مُعَدَم؟ لو أن هذا الإنسان لديه مصادر تجعلك أكثر غنى، فلماذا جاء يتوسَّل إليك قارعًا بابك؟ جاء يطلب حليفًا، فوجد عدوًّا. جاء يطلب دواءً، فتعثر في سم.

بالرغم من أن عليك التزام أن تعالج فقر مثل هذا الشخص، عوض هذا تزيد من احتياجه، طالبًا محصولًا من صحراء قاحلة.

إنك مثل طبيب كان يلزمه أن يذهب إلى المرضى، وعوض أن يرد لهم الصحة بالحري يسلب منهم ما تبقى فيهم من قوة.

هكذا تجعل من معاناة البائسين مجالاً لنفك...

في النهاية يُقهر المدين وينحني خاضعًا بسبب الفقر، بينما يرجع الدائن منتصرًا، مؤمِّنًا مركزه بعقود و ضمانات<sup>1</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

### التزام المقرض بالحكمة والدراسة الجادة

إن كان القديس باسيليوس قد أطال الحديث مع الأغنياء المستغلين لظروف المجاعة، والمتجاهلين لإمكانيات الفقراء ومشاعرهم، فمن الجانب الآخر يدعو طالبي القروض في هذه الظروف الالتزام بالحكمة مع الدراسة الجادة قبل الاقتراض.

إن كان يليق بالأغنياء أن يسلكوا بروح الحب والعطاء بسخاءٍ، خاصة في فترة المجاعة، فإن الفقراء والمحتاجين يلزمهم أن يسلكوا بحكمة حتى لا تتفاقم مشاكلهم. فإنه يفضل ألا يتسرَّع الفقير ويطلب قرضًا بفائدة مرتفعة، بل يضبط بطنه واحتياجاته ما استطاع، حتى تعبر فترة القحط. خير له أن يشرب مياهًا من ينابيعه، ولا يطلب ماءً من آبار الغرباء.

❖ متى نام المدين يرى في نومه الدائن مثل كابوسٍ يقف على رأسه، وإذا استيقظ تُحطَّم الفائدة المطلوبة منه كل فكره، وتصير مصدر قلقٍ دائم له.

يُقال عندما يلتقي الدائن والفقير معًا... واحد يندفع مثل كلب الصيد المتعطش للمطاردة، والثاني يرتجف مثل فريسة صارت في قبضته، منكمشة عند اللقاء. أفقده الفقر القدرة على التحدُّث.. واحد يفرح بزيادة الفائدة التي ينالها، والآخر يتنهَّد لزيادة بؤسه.

<sup>1</sup> Against Those Who Lend at Interest, 1; Homily 12 A Psalm of David against Usurers On Psalm (14).

"اشرب مياها من جُبِّكَ" (أم ٥ : ١٥)، بمعنى انظر إلى الوسائل الخاصة بك. لا تذهب إلى ينابيع أخرى، بل اسحب ماءً من ينابيعك، أي مما هو لتعزيات الحياة. هل لديك أوانٍ من الفحاس، وثياب حمولة بهيمة، وأوعية من كل نوع؟ يجيب المدين: "لكنني أخجل من أن أعرضها للبيع."

لماذا تخجل؟ أرجوك أخبرني، أنظر ماذا ستفعل حينما يحاول آخرون بعد قليل أن يأخذوا ممتلكاتك ويبيعونها بالمزاد العلني، ويساوموا في ثمنها أمام عينيك؟ لا تذهب إلى طرقٍ أخرى، فإن آبار الغرب ضيقة (أم ٢٣ : ٢٧ LXX). خير لك أن تُدبِّر احتياجاتك قليلاً قليلاً بما لديك، عن أن تطلب الكل دفعة واحدة بوسائل خارجية، فإنك ستفقد كل ما لديك. إن كان لديك شيء يمكن أن يُباع، لماذا لا تُخفِّف من مطالبك بواسطة هذه المصادر؟

وإن كان من جانب آخر ليس لديك لتُسدِّد به، فإنك بهذا تعالج الشر بما هو أشر. لا تدع الدائن يُحاصِرَكَ، لا تسمح لنفسك أن يتعقَّبَكَ (الدائن) ويصطادك كفريسة. الاستدانة هي بدء البطلان، ومصدر الجحود، وباعث للقسم الكاذب القاسي، إذ يقول الإنسان شيئاً وهو يقترض، ويقول شيئاً آخر حينما يحل موعد سداد الدين... إن كان الدائن صديقك، فلا تهدم الصداقة. إن كان الدائن عدواً، لا تسمح لنفسك أن تسقط تحت يدي عدوك.

إنك تسر إلى وقت قليل بما لا يخصُّكَ، لكنك بعد ذلك تفقد ميراث عائلتك. الآن أنت فقير، لكنك حرٌّ. بالاقتراض تصير عبداً للدائن، العبد يمارس خدمة لإرادة لنفع الغير...

إن أقسمت أنك ستدفع (الدين) لا يُصدِّقك، إنه سيتدخَّل في شئونك الخاصة، ويسألك عن صفقاتك. إن خرجت من بيتك يقبض عليك ويسحبك. إن إختفيت في الداخل، يقف خارجاً ويطرق بابك بعنف. يُخجِّلك أمام زوجتك، ويعاملك بخزي أمام أصدقائك. يقبض عليك من حنجرتك في الأماكن العامة، ويحوِّل حتى المناسبات المُفرحة إلى كارثة، ويجعل حياتك غير محتملة...

لنتحمَّل اليوم متاعب الاحتياج، ولا تؤجِّلها إلى الغد. إن كنت لا تستدين، فإن فقرك سيكون هو نفسه مثل الغد. أما إن اقترضت، فستجعل متاعبك أسوأ، فإنه سيتفاقم الفقر بسبب الفوائد. الآن لا يلومك أحد على فقرك، إذ حلَّت بك كارثة بغير إرادتك. لكن إن جعلت نفسك مُلتزماً بقروض مع فوائد، فكل إنسانٍ يخطئك، بسبب سوء تدبيرك<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> Against Those Who Lend at Interest, 2; Homily 12 A Psalm of David against Usurers On Psalm (14).

❖ ليتنا لا نأتي مثل سمك نحو الطعم. فإنه يبتلع الطعم مع الصنارة، هكذا نحن أيضاً نُجرح بالفوائد من أجل نوالنا مبلغ القرض. ليس هناك عيب في الفقر. فلماذا نجلب على أنفسنا عازاً بأن نستدين؟ ليس أحد يعالج الجراحات بجرحٍ آخر، أو يشفي مرضاً بمرضٍ آخر، ولا يصلح فقره بالتزامه بالفوائد (الربا).

هل أنت غني؟ لا تستدن. هل أنت فقير؟ لا تقترض.

إن كنت في وضع حسن، فلست في حاجة إلى قرض. إن كان ليس لديك مورد لرد القرض، فلا تسلم نفسك لندمٍ مُرٍّ، لئلا تحسب الأيام التي كانت قبل القرض هي أسعد أيام حياتك.

يوجد شيء واحد فيه نختلف نحن الفقراء عن الأغنياء، وهو التحرُّر من القلق. لنضحك عليهم ساخرين حين يكونون مستيقظين بالليل بينما نحن نيام. حينما يكونون في ارتباكٍ وقلقٍ دائم، ونحن مستريحون في هدوءٍ بالٍ. أما المدين فهو فقير ومملوء قلقاً، يسهر الليل، ويبقى مستيقظاً في النهار. إنه في قلقٍ طول الوقت... لا تتخيل نفسك وأنت تستلم القرض فقط، وإنما فكر أيضاً في رده<sup>1</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

### تحذيرات أخيرة من التسرع في الاقتراض

يحاول القديس باسيليوس أن يبرز خطورة الفوائد أو الربا الفاحش الذي يلتزم به المقترض الفقير والذي يتزايد على الدوام، ومع مرور الزمن تزداد مرارة نتائجه. فيما يلي أمثلة أو تشبيهات للربا:

١. إنه يُشبه الحيوانات المفترسة الكثيرة الإنتاج مثل الأرانب البرية. يذكر أرسطو<sup>2</sup> أن الأرانب البرية تتناسل وتحبل في كل فصول السنة، فهي تحبل كل شهر، ولا تلد كل صغارها دفعة واحدة، بل تلد في أيام متوالية. يقول القديس باسيليوس الكبير:

[لماذا تربط نفسك بحيوانٍ وحشيٍ كثير الإنتاج؟ قيل عن الأرانب البرية إنها تلد وفي نفس الوقت تُرَبِّي الصغار، وتصير حاملاً مضاعفاً في نفس الوقت! هكذا يحدث مع الدائن، فالمال يُقترض، وفي نفس الوقت يتزايد الدين على الدوام (خلال الربا الفاحش). إنك لا تتسلم الآن شيئاً في يدك ومع ذلك تلتزم بتسديد الفائدة)، بكونها فائدة الشهر الحاضر. تتزايد قيمة الدين، ويستمر في

<sup>1</sup> *Against Those Who Lend at Interest, 3; Homily 12 A Psalm of David against Usurers On Psalm (14).*

<sup>2</sup> *Aristotle: History of Animals, 6:33:579b.*



التزايد بلا نهاية. هذا النوع من الطمع يُدعى *tōkoc* أي ولادة، أظن من أجل خصوبة الشر...  
فالفائدة تجلب فائدة، والشر هو نسل والدين شريرين.]

٢. هذه الفائدة المتولدة من الفائدة تُسمى "عائلات الأفاعي". يُقال إن الأفاعي تُؤلد وهي تقضم رحم الأم<sup>١</sup>. يُشبه القديس باسيليوس القروض التي تتم بفائدة بالأفاعي، فعندما خروج صغارها من الرحم، تأكل جسم الأم في الداخل، فتموت الأم، هكذا فإن الفائدة المتزايدة تُدمر سكن المدين، إذ كثيرًا ما يضطر أن يبيع بيته لتسديد القرض وفوائده<sup>٢</sup>.

٣. يرى القديس باسيليوس الكبير أن للزرع وقت، ولتئاسل الحيوانات وقت، أما الفوائد فتتوالد كل يوم بلا توقّف. [تتبت البذور في وقت مُعيّن، وتلد الحيوانات حين يكمل الجنين، وأما الفائدة فتلد (تنتج) اليوم وفي نفس اليوم تبدأ في التئاسل<sup>٣</sup>.]

٤. المصارع: مرة أخرى يرى القديس أن المدين لا يقدر أن يتحاشى ضربات الدائن له، وذلك مثل الملاك لا يستطيع أن يتحاشى ضربات المصارع معه<sup>٤</sup>.

٥. يدعونا القديس أن نتشبه بالتملة التي لا تشخذ طعامًا، ولا تقترضه من أحد، بل لا تكف عن أن تعمل كي تأكل<sup>٥</sup>.

## العطاء والعفو الإلهي

يقول *Kelly* استخدم باسيليوس العبارة الخاصة بأمر الغني أن يعطي طعامًا للفقير لكي يزيل الخطية التي نقلها آدم عندما أكل الثمرة الممنوعة<sup>٦</sup>.

## الحاجة إلى محبتنا للقريب

رأينا في المقالات السابقة مدى اهتمام القديس باسيليوس أن يتمتع الأغنياء ببركة العطاء للمحتاجين، هذا الاهتمام يقوم على أساس التصاق المؤمن بالله خالقه ومُخلصه بالحب. وقد جاءت القوانين المُطوّلة (قانون ٢) تتحدّث عن مدرسة وصايا الله التي تعمل في قلب المؤمن ليُحبّ الله، وجاء القانون الثالث يدعونا لحب القريب بكونه تفاعلًا عمليًا مع حبنا لله نفسه.

<sup>1</sup> *Hexamaeron, Homily 9:15.*

<sup>2</sup> *Cf. Against Those Who Lend at Interest, 3; Homily 12 A Psalm of David against Usurers On Psalm 14 LXX (15).*

<sup>3</sup> *Cf. Against Those Who Lend at Interest, 3; Homily 12 On Psalm 14 LXX (15).*

<sup>4</sup> *Cf. Against Those Who Lend at Interest, 4; Homily 12 On Psalm 14 LXX (15).*

<sup>5</sup> *Cf. Against Those Who Lend at Interest, 4; Homily 12 On Psalm 14 LXX (15).*

<sup>6</sup> *Hom. 7, J.N.D. Kelly: Early Christian doctrines, 1978, p. 45.*



يليق بنا ترجمة هذه الوصية عمليًا خلال عطائنا القلبي قبل المادي. هذا الاهتمام يقوم على الأسس التالية:

١. علامة الاعتزاز بالوصية الجديدة التي قَدَّمها لنا المُخَلَّص بتجسده وصلبه، سرَّ الجِدَّة في الوصية هو شركتنا مع حُبِّه العملي الجانل حتى الموت، موت الصليب! (مت ٢٥: ٣٥)
٢. علامة التلمذة الحقيقية للسيد المسيح مُحب البشر. (مت ٢٥: ٣٥)
٣. يمدُّ السيد المسيح نفسه يده ليقبَّل من المؤمن هذا العطاء العملي، ويعتز به، قائلاً: "لأنني جُعت فأطعمتموني" (مت ٢٥: ٣٥).
٤. مكافأة هذا العمل ميراث أبدي في السماء.

❖ سبق أن قلنا إن ناموس (الله) يُنمِّي الطاقات التي بذورها (بواقعها) في داخلنا ويصونها. وإذا نُوجَّه نحو محبة القريب مثل أنفسنا لتأمل إن كنا قد تسلَّمنا من الرب الطاقة لتحقيق هذه الوصية أيضًا. من لا يعرف أن الإنسان كائن حي متحضَّر واجتماعي، ليس متوحِّشًا ولا مُحبًا للعزلة؟! بالحقيقة ليس شيء يتلائم مع طبيعتنا مثل الحياة في مجتمع، فيعتمد كل واحدٍ على الآخر، ويحب جنسه.

الآن قَدَّم لنا الرب نفسه بذار هذه السمات، ونتوقَّع سؤاله منا عن ثمارها في الوقت المناسب، إذ يقول: "وصية جديدة أنا أعطيتكم، أن تُحبُّوا بعضكم بعضًا" (يو ١٣: ٣٤). علاوة على هذا لكي يُشجِّع نفوسنا على حفظ هذه الوصية، لم يطلب آيات وعجائب كوسائل لتعريف تلاميذه... بل قال: "بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذي، إن كان لكم حُبٌّ بعضًا لبعض" (يو ١٣: ٣٥).

علاوة على ذلك، أقام علاقة وثيقة بين العظيمنتين أن الإحسان الذي يُقدِّم للقريب يُحوَّل إليه، إذ يقول: "لأنني جُعت فأطعمتموني" (مت ٢٥: ٣٥)، وهكذا، مضيِّفًا: "بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر، فبي فعلتموه بي" (مت ٢٥: ٤٠).

تبعًا لهذا، يمكن حفظ الوصية الثانية من الأولى، وبالثانية نعود إلى الأولى.

من يُحبُّ الرب يحب قربه بالتبعية. يقول الرب: "إن أحبني أحد يحفظ كلامي" (يو ١٤: ٢٣). مرة أخرى يقول: "هذه هي المحبة التي أحببتكم بها، أن تُحبُّوا بعضكم بعضًا كما أحببتكم" (يو ١٥: ١٢).

من جانب آخر، من يحب قربه يُتمُّ المحبة المطلوبة نحو الله، لأن الله يقبل هذا الإحسان كما لنفسه. لهذا أعلن موسى، ذلك الخادم الأمين لله، هذا الحب العظيم لله، حتى

طلب أن يُمَحَى اسمه من سفر اللّٰه المنقوش، إن لم يغفر خطايا شعبه (خر ٣٢:٣٢). أيضًا اشتهى بولس أن يتشبه بالمسيح، أن يُقايِض (بنفسه مقابل) خلاص الكل، فتجاسر وصَلَّى أن يكون محرومًا من المسيح من أجل إخوته أنسابه حسب الجسد (رو ٩: ٣). مع ذلك، في نفس الوقت عرف أنه يستحيل بالنسبة له أن يتغزّب عن اللّٰه برفضه إحسانه (للّٰه) من أجل محبته له، ومن أجل تلك الوصية العظيمة. علاوة على هذا عرف أنه سينال مكافأة أكثر بكثير مما أعطي...

ما قد قيل يُقَدِّم لنا برهانًا كافيًا أن القديسين نالوا هذا القياس لمحبة قريبهم<sup>١</sup>.

❖ قد تقول: أي إجحافٍ أرتكبُ إذا احتفظتُ بما هو ملكٌ لي؟

بِحَقِّكَ، قُلْ لي: ماذا لك؟

ومِمَّنْ أخذتُهُ، حتى تملكهُ طولَ حياتِكَ؟

مَتَلِّكَ في ما تدَّعي، مَتَلُّ امرئٍ استولى على مقعدٍ في قاعةِ المسرحِ العام، ويود أن يَمْنَع

الآخرينَ من الدخول، ليَتَمَتَّعَ بالمشهدِ وحده، كأنَّهُ ملكُهُ الخاص، وهو مُشاعٌ للجميع.

تلكَ حالُ الأغنياء! يعتبرونَ الخيراتِ العامَّةَ ملكاً خاصًا لهم، لأنهم استولوا عليها قبلَ

الآخرين.

القديس باسيليوس الكبير



<sup>١</sup>القوانين المطولة، ٣

## الباب السادس

### النظام الرهباني

١. العاملون في الدير.
٢. الرؤساء والآباء الروحيون.
٣. ترك الدير.

## العاملون في الدير

### العمل والعاملون في الدير

في الباب الرابع رأينا نظرة القديس باسيليوس الكبير نحو العمل، ورأينا كيف أنه يتطَّلَع إلى العمل كأمرٍ مقدسٍ لا يمكن فصله عن العبادة الروحية. وقد عالَج موضوع العمل من جوانب روحية عملية كثيرة، كما أجاب على الكثير من أسئلة الرهبان بخصوص العمل. رَكَّز أيضًا على انشغال المؤمن، سواء كان راهبًا أو من الشعب، بالصلوات الدائمة والتسبيح القلبي والشعور بالحضرة الإلهية أثناء ممارسة العمل.

اهتم أيضًا في معالجة موضوع العمل أن يقتني المؤمن بركة الطاعة للرؤساء، وكيف يجحد إرادته الذاتية دون تجاهل لتفكيره وخبرته، وإنما يسلك بروح التواضع مهما كانت مواهبه وقدراته. الآن نُقدِّم بعض إجاباته على الأسئلة الموجهة إليه بخصوص العاملين وأيضًا دور الرؤساء وآباء الاعتراف، سواء في علاقتهم بالعاملين، أو في علاقتهم فيما بينهم كرؤساء ومدبرين مسئولين عن بنیان الجماعة المقدسة في الرب.

### علاقة العاملين القدامى بالعاملين الجدد

ما يشغل القديس باسيليوس ليس أن يُقدِّم الرهبان العاملون القدامى خبرات العمل للقادمين الجُدد للعمل معهم، إنما يكونون لهم قدوة من جهة غيرتهم المقدسة ونظرتهم الإنجيلية للعمل. فيرون فيهم اهتمامهم بالنمو الروحي، ويكتشفون ما في داخلهم من نزعات مقدسة خلال العمل، ويقودونهم بالحب في طريق الحق والحب.

❖ كيف يلزم الذين تمرَّسوا في عمل الله لمدةٍ طويلة أن يساعدوا الذين دخلوا الخدمة مؤخرًا؟

الإجابة: إن كان هؤلاء مُفعمين بالحيوية والنشاط، عليهم أن يُهدَّبوا الوافدين الجدد، مُقدِّمين لهم أمثلة طيبة في كل فضيلة، مُظهريين غيرة بلا ضجر.

أما إن كانوا خُدَّامًا ضعفاء جسديًا، فيظهرون قوة الروح على وجوههم، وفي كل تحركاتهم، باقتناعهم الشديد أن الله يشاهد كل ما يفعلونه، وأنه حقًا قريب جدًا (أو قادم). وأيضًا من خلال إظهار كل نزعات الحب التي عُدَّها الرسول، قائلًا: "المحبة تتأني وترفق. المحبة لا تحسد. المحبة لا تتفاخر، ولا تنتفخ، ولا تفبح، ولا تطلب ما لنفسها، ولا تحتد، ولا تظن السوء، ولا تفرح بالإثم بل تفرح بالحق، وتحتمل كل شيء، وتصدق كل شيء، وترجو كل شيء، وتصبر على



كل شيء. المحبة لا تسقط أبدًا" (١ كو ١٣: ٤-٨). هذه الأمور، يمكن أن تتحقق حتى في الجسد الضعيف<sup>١</sup>.

### القديس باسيليوس الكبير

في الباب السابق ختمنا حديثنا عن "أسئلة بخصوص العمل" بسؤال خاص بالعمل والعثرة. ورأينا أنه يليق بالمؤمن لا أن يتحاشى عثرة إخوته فحسب، وإنما يُقدّم الجانب الإيجابي لهم كقدوة. هنا يُجيب القديس على سؤالٍ بخصوص عاملٍ أخطأ، أيًا كان نوع الخطأ. ويُقدّم إجابة صريحة وواضحة دون مجاملة، أن يضع المسئولين في اعتبارهم أمرًا واضحًا، ألا يوضع هذا الشخص في موضع يعوق إنجيل المسيح، أو يُعثر الضعفاء، أو يُشجّع أحدًا في طرق رديئة.

❖ سؤال: هل ذاك الذي أخطأ مرة، يُعهد إليه ببعض المسئوليات بعد تدريبٍ طويلٍ؛ وإن كان الأمر هكذا فما هو نوع المسئوليات التي تُعهد إليه؟

الإجابة: لنذكر كلمات الرسول: "كونوا بلا عثرة لليهود وللليونانيين ولكنيسة الله، كما أنا أيضًا أرضي الجميع في كل شيء، غير طالب ما يوافق نفسي، بل الكثيرين، لكي يخلصوا" (١ كو ١٠: ٣٢-٣٣). يلزمنا أن يكون لنا الحرص العظيم بأن لا نوجد عائقًا لإنجيل المسيح، وأن لا نكون عثرة للضعفاء أو لتشجيع البعض في طرقٍ رديئة. لذلك من الضروري في مثل هذه الحالات أن يؤخذ هذا في الاعتبار ونقرر ماذا يخدم لبنيان الإيمان والنمو في كل فضيلة<sup>٢</sup>.

### القديس باسيليوس الكبير

## مبادئ أمين المخزن

يضع القديس باسيليوس لأمين المخزن المبادئ التالية:

١. بالنسبة لأمين المخزن، الذي يُختار بعد اختباره، يلزمه أن يدرك أن ما يفعله في توزيع ما بالمخزن ليس حسب هواه، إنما حسب مرضاة الله نفسه، بكونه وكيلاً أمينًا على ما بين يديه.
٢. من جهة الذين تحت رعايته، يضع في قلبه ألا يُحابي أحدًا، بل يعطي كل إنسان حسب احتياجه. فلا يظلم أحدًا، ولا يغدق على أحدٍ في محاباة له!
٣. عندما يُقدّم لأحدٍ احتياجه، فليحسب أنه يقدمه لشخص المسيح نفسه، فلا يتعامل معه باستخفافٍ أو يتحرك برخاوة. إنه يخدم رب المجد نفسه!

<sup>1</sup> *Regulae brevius tractatae*, 200.

<sup>2</sup> *Regulae brevius tractatae*, 18.

❖ سؤال: ما هي حدود سلطان المؤمن على تدبير المخزن؟

الإجابة: بالنسبة لمن يُعهد إليه الإشراف بعد امتحانه، فليتذكر الرب القائل: "أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئاً" (يو ٥ : ٣٠)، أما بالنسبة للذين تحت رعايته، فليعرف أن كل واحد له احتياجه، إذ كُتِبَ: "كان يُوزَّع على كل أحدٍ كما يكون له احتياج" (أع ٤ : ٣٥). نفس المبدأ يجب ملاحظته بواسطة كل الذين يُعهد إليهم مثل هذه المسؤوليات<sup>١</sup>.

❖ سؤال: ما هو الحكم الذي يجب الالتزام به بخصوص وكيل أعمال يعمل في شيء ما بمحابة لأشخاص (تث ١٠ : ١٧؛ مت ٢٢ : ١٦؛ رو ٢ : ١١؛ أف ٦ : ٩)، أو بالجدال (٢ كو ١٢ : ٢٠؛ غل ٥ : ٢٠)؟

الإجابة: حيث أن الرسول تارة يأمرك "لا تعمل شيئاً بمحابة" (١ تي ٥ : ٢١)، وتارة يقول: "إن كان أحد يُظهر أنه يحب الخصام، فليس لنا نحن عادة مثل هذه ولا لكنائس الله" (١ كو ١١ : ١٦)، فليُحَسَب مثل هذا غريباً عن كنيسة الله (مت ١٨ : ١٧).

على أي الأحوال، يلزمنا أن نفكر ملياً ونضع في اعتبارنا بكل اجتهاد أن نمتحن ما يُناسب كل أحد، وبهذا نُسَلِّم العمل أو الوظيفة. خلاف ذلك الذين يُعَيِّنون العمل هم أنفسهم يُدانون لأنهم عَيَّنوا أناساً غير مناسبين، ووجد وكلاء أرياء سواء من جهة النفوس أو من جهة وصايا الرب، والذين حدّدوا العمل يظنون أنهم يجدون ستاراً للخطأ<sup>٢</sup>.

❖ سؤال: وماذا إن كان خلال الإهمال لم يعطِ أحاً ما يحتاج إليه؟

الإجابة: الحكم واضح من كلمات الرب نفسه، القائل: "اذهبوا يا ملاعين إلى النار الأبدية المُعدَّة لإبليس وملائكته، لأنني جعتُ فلم تطعموني، عطشتُ فلم تسقوني، كنتُ غريباً فلم تأوونني، عرياناً فلم تكسونني، مريضاً ومحبوساً فلم تزوروني" (مت ٢٥ : ٤١-٤٣). وأيضاً قيل: "ملعون من يعمل عمل الرب برحاء" (إر ٤٨ : ١٠)<sup>٣</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

### المبالغة في العمل

يحث القديس باسيليوس أن يعمل كل شخص في طاعة وبكل اجتهاد كمن يمارس عملاً مقدّساً. لكنه يطلب ألا يبالغ الإنسان في العمل فيتمم ما طُلب منه، ويضيف عملاً أكثر فوق طاقته، مما يجعله عاجزاً عن العمل في الأيام التالية.

<sup>1</sup> *Regulae brevius tractatae*, 148.

<sup>2</sup> *Regulae brevius tractatae*, 149.

<sup>3</sup> *Regulae brevius tractatae*, 150.

❖ سؤال: إن كان أحد قد تَمَّ خدمته في المطبخ في اليوم المُحدَّد، لكنه يعمل أكثر من طاقته، حتى صار مُعاقاً عن إتمام عمله العادي لعدة أيام بعد ذلك، فهل نُعيِّنه لمثل هذه الوظيفة؟  
الإجابة: لقد سبق فقلنا أن من يُعهد إليه بتنظيم عمل والذي يرأس العمل يلزمه تعيين الأعمال بعد المراعاة بدقّة ما هو مناسب وقدرة العامل، لئلاً يسمع ما هو مكتوب: "المخترق إثماً على فريضة" (مز ٩٤ : ٢٠). على أي الأحوال، إن من يطيع يليق به ألا يعترض إذ قياس الطاعة هو حفظها حتى الموت (في ٢ : ٨)¹.

القديس باسيليوس الكبير

### الخدمة في دور العجزة

السؤال التالي يوضح أن الرهبان كانوا يخدمون في بيت للعجزة سواء كان في الدير أو في المجتمع القريب من الدير. وكان يُنظر إلى خدمتهم كأنها للرب نفسه.  
فإن وُجدَ بينهم متمرّض ويتمادى في ذلك، فما هو الحل؟ إن تأكد المسئولون من تمارضه يطلبون منه الخروج، فإن تمادى يحذرونه وأخيراً يطردونه من الدار، لئلا يكون عثرة لغيره.

❖ سؤال: نحن الذين نخدم العجزة في دور العجزة نتعمّم أن نخدمهم بنفس النزعة نحو إخوة الرب. لكن إن وُجدَ من بينهم من هو ليس كذلك، كيف نتطع إليه؟

الإجابة: يقول الرب: "من يصنع مشيئة أبي الذي في السماوات هو أخي وأختي وأمي" (مت ١٢ : ٥٠). إن كان هو ليس كذلك، لكنه يقرُّ أنه خاطئ ويستحق تلك العبارة: "كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية" (يو ٨ : ٣٤)، يحتاج أولاً إلى توسل وتحذير من الرئيس. لكنه إن أصرَّ على طُرُقهِ يُعلن له الحكم بواسطة الرب نفسه بوضوح، إذ ينطبق عليه في حالته: "والعبد لا يبقى في البيت إلى الأبد" (يو ٨ : ٣٥). كما يسقط تحت حكم الرسول: اعزلوا الخبيث من بينكم" (١ كو ٥ : ١٣). هكذا فإن الذين يخدمون يتحررون من الشك، والذين يعيشون معاً يطمئنون².

القديس باسيليوس الكبير

### حول خدمة المخازن

يخشى القديس باسيليوس من الذين لديهم خبرة في شئون المخازن أو ما يشابهها أن يسيئوا التدبير، كأن يكونون بخلاء في التوزيع أو يُحابون البعض، وقد تساءل البعض إن كان يلزم تغييرهم من وقتٍ إلى آخر حتى يمكن اكتشاف من كان سيئاً في تدبيره. وجاءت إجابته هكذا:

¹ *Regulae brevius tractatae*, 152.

² *Regulae brevius tractatae*, 155.

١. إن عُرِفَ أنه يحسن تدبيره ليس من ضرورة لتغييره، لأن هذا قد يُسبَّب ارتباكًا في العمل.
٢. يلزم أن يوجد مُساعد لكل مسئولٍ عن مخزن أو عدة مخازن يتدرَّب على العمل، حتى متى وُجِدَت ضرورة أن يحلَّ محلَّ المسئول، لا يحدث أي ارتباك في العمل.

❖ سؤال: هل الذي يؤتمن على مسئولية المخزن أو أي مكان مثله، دائمًا يحتفظ بهذه المسئولية، أم يلزم أن يتغيَّر؟

الإجابة: إن حافظ المسئول على موهبته بتدبيرٍ صالح، وحفظ دقة القانون، فإنه ليس من الضروري إحداث تغيير، إذ يُسبَّب ذلك متاعب وصعوبات، إنما يلزم أن يكون له مساعد يتعلَّم تدريجيًّا واجبات العمل، حتى متى وُجِدَت حاجة لمن يحل محله لا ننزعج، إذ نجد أنفسنا في ضياعٍ ونشعر أننا مُقَيَّدون كما يحدث كثيرًا، ونُقيم شخصًا غير مناسب للعمل بسبب عدم خبرته فتضيع الدقة وحُسن النظام<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

### العاملون في الدير والعطاء

❖ سؤال: هل يُسَمَح لأحد أن يعطي ثوبه القديم أو حذاءه كيفما شاء، حيث تتطلب الرحمة ذلك، ليحفظ الوصية (لو ٣: ١١؛ مت ١٠: ١٠؛ مر ٦: ٩)؟

الإجابة: إعطاء أو أخذ أي شيء حسب الوصية من أجل الرحمة ليس لكل أحد، إنما لذاك الذي بعد امتحانه يؤتمن على التدبير. إنه هو المسئول أن يُعطي ويستلم كل شيء، سواء كان قديمًا أو جديدًا، حسب احتياج كل حالة<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>1</sup> *Regulae brevius tractatae*, 156.

<sup>2</sup> *Regulae brevius tractatae*, 87.



## الرؤساء والآباء الروحيون

يعتقد القديس باسيليوس أن نظام الدير مع ما يتَّسم به من دقة، يعتمد نجاحه على شخصية رئيس الدير أو أب الدير، وأيضًا على شخصيات آباء الدير الذين يتلمذ الرهبان على أيديهم. تحدث كثيرًا عنهم من جهة سماتهم وعلاقتهم ببعضهم البعض وبالرهبان ومسؤولياتهم. يليق بأب الدير أن يكون حاملًا لروح الأبوة، جادًا، مُفكرًا، وديعًا، نبيلًا ولطيفًا، ونموذجًا حيًا في تواضعه أمام الكل، أيقونة للسيد المسيح، لهذا يُوهل أن يطلب الطاعة حتى الموت<sup>1</sup>.

### الحاجة إلى رئيس للدير وإلى آباء مرشدين

قَدِّم لنا القديس باسيليوس المبادئ الأساسية التالية:

١. مع اهتمام القديس باسيليوس بالالتزام بدقة النظام والتدبير في الدير، مثله مثل القديس باخوميوس أب الشركة، فإنه يتطلَّع إلى رئيس الدير كأبٍ روحيٍّ، يليق به أن يكون مثالًا عمليًا للآباء المرشدين الروحيين في الدير، وللرهبان أنفسهم.

٢. مع ما اتسم به القديس باسيليوس من روح القيادة سواء في حياته الديرية أو العمل الكهنوتي كشماس ثم ككاهن وكربنيس أساقفة، فإنه كان يذرف الدموع، مصليًا لكي يهبه الله أبًا مُرشدًا روحيًا له. فما كان يخشاه حتى وهو رئيس أساقفة هو البرُّ الذاتي، والافتكال على مركزه كراهبٍ أو كاهنٍ! فقد آمن أن خلاص الإنسان لا في زيِّه الرهباني أو الكهنوتي، ولا في القلاية التي يعيش فيها، إنما في ملكوت الله، وأن يكون دائم النمو في أعماقه.

٣. يهتم القديس باسيليوس بالطاعة كسمةٍ يلتزم بها المسيحي، خاصة الراهب، فيطيع أخاه؛ وكان الطاعة هي فضيلة مشتركة في الجماعة كلها، الكل يتسابقون في الطاعة لإخوتهم. وفي نفس الوقت يلزم التناغم بين الطاعة والتزام الكل، الرؤساء والمرؤوسين، بوجود وحدة تنظيم وتدبير لبنيان الجماعة، فيوجد مصدر واحد للسلطة وهو الرئيس الأعلى. لذلك وجود آباء مرشدين في الدير لا يكفي، إنما يلزم وجود قائد عام روحي يجمع الكل بروح الحب، ويكون نموذجًا حيًا للجميع.

٤. يلزم عدم التسرع في اختيار الرئيس، إنما يلزم الاستقصاء عن طريقة حياته، وعدم التركيز على عمره وعدد السنوات التي قضاها في الدير. فالرئيس الناجح هو من تكون حياته نفسها هي القانون الذي يشترك الكل أن يلتزموا به.

<sup>1</sup> Cf. Robert Payne: *The Holy Fire*, St Vladimir's Seminary Press, N.Y., 1980, p.120/1.

٥. يقود الرئيس الرهبان لا كمن على كرسي الرئاسة، وإنما خلال حياته العملية، حيث يعمل معهم، ويأكل خبزه بكرامة.

٦. يليق بالرئيس أن يعرف كيف يُوجّه بالحب الطاقات الفردية للعمل، فلا يوجد بين الرهبان إنسان واحد خامل.

٧. إن كان الله يرفع الملوك إلى العروش وينزلهم عنها، فيليق أن يتحرك الدير كله للصلاة والاتكال على الله، لكي يعمل الله بنفسه خلال الرئيس.

٨. يطالب القديس باسيليوس كل من يلتحق بالحياة الديرية أن يبحث بجدية بروح الصلاة عن من يستحق أن يكون موضع طاعته.

❖ سكبْتُ سيلاً من الدموع على حياتي التعيسة، وصلّيت لأجدَ مُرشدًا يمكنه أن يبيث فيّ مبادئ التقوى الحقيقية... وأصبح جل اهتمامي أن أعمل على إصلاح أخلاقي، بعد أن أفسدها طول اختلاطي برفقاء الشرِّ، ثم قرأت الإنجيل، ورأيت أنه لا سبيل إلى بلوغ الكمال إلا بأن يبيع المرء ما له ويعطي للفقراء نصيبهم، وينخلّي عن مطامع الحياة جميعها، حتى لا يبقى للنفس ما يُعكّر صفوها من كل ما في الدنيا من أشياء<sup>١</sup>.

❖ ابحث بكل اهتمامٍ وفكرٍ في إنسانٍ يكون مُرشدًا آمنًا لك في سلوك حياتك، يعرف حسنًا كيف يقودك كما في رحلة إلى الله. فيكون غنيًا في الفضائل، يظهر محبته لله بأعماله، وحكمته في الأسفار المقدسة...

إن وجدت مثل هذا الإنسان، سلّم له حياتك، ولتستخف بكل رغبة ذاتية لديك وتطردها، لكي يُوجد إناءً للكرامة، يحفظ الفضائل التي وُضعت فيك ظاهرة على الدوام لحمد الله ومجده... فإن قدّمت نفسك لإنسانٍ له فضائل كثيرة، تصير وارثًا للصالح الذي فيه، وتصير مُطوّبًا أكثر من الآخرين في عيني الله والإنسان. إن كنت بنعمة الله تجد مُعلّمًا لأعمال صالحة، احتفظ به دومًا ولا تفعل شيئًا دون مشورته. فإن كل ما تفعله منعزلًا عنه يكون أشبه بسرقة وتدنيسٍ للمقدسات، يقود إلى الهلاك وعدم النفع، حتى وإن ظهر لك أنه صالح<sup>٢</sup>.

❖ يلزم أن يوجد قائد واحد مُعيّن، يأمر بالطريق العجيب للحياة، يُختار بكونه أفضل من البقية، خلال امتحان حياته وشخصيته وسلوكه الصالح.

<sup>1</sup> Letters, 223:2; Mike Aquilina: The Way of the Fathers, Indiana 2000, article 38.

<sup>2</sup> De Ren. 2-4.

يجب أخذ العمر في الاعتبار حيث يعكس عليه نوعاً من الكرامة. فإنه إلى حد ما بحسب طبيعة الإنسان أن الذي أكثر سنًا يستحق كرامة أعظم. تبعاً لهذا، يمارس هذا الرأس سلطة هكذا، ويلتزم الإخوة بالطاعة الاختيارية فقط، في خضوع وتواضع، لكي يمنع أي شخص في الجماعة من مقاومة إرادته عندما يصدر أمراً ما يساهم في تكريم الحياة الدينية وكمالها<sup>١</sup>.

❖ إذ يليق بالجماعة أن تطيع الرئيس وتخضع له بكل الطرق، لذا فإنه على جانب عظيم من الأهمية أن الذي يُختار كمرشد في هذه الحالة من الحياة أن تصلح حياته أن تكون نموذجاً في كل فضيلة لكل الذين يتطلعون إليه. وكما يقول الرسول أن يكون "صاحياً، عاقلاً، ذا سلوك صالح، مُعلماً" (١ تي ٣: ٢).

لهذا ففي رأيي يلزم الاستقصاء عن طريقة حياته، ولا يقف الأمر عند بلوغه عمراً مُعيّناً من جهة الزمن، فأحياناً توجد سمات صيبانية مع الشبية والتجاعيد. فالاستفسار عنه يلزم أن يكون فوق كل شيء لمعرفة إن كانت شخصيته وأخلاقياته نمت في شبية بلياقة، حتى أن كل ما يفعله ويقول يمكن أن يُمثل قانوناً وقاعدة مُلزمة للجماعة. علاوة على هذا، فإن الذين يقودون الحياة الرهبانية يجب أن تؤخذ حياتهم في الاعتبار كما يصفها الرسول، حتى أن الذين يشتغلون بأيادهم يأكلون خبزهم بكرامة (٢ تس ٣: ١٢)<sup>٢</sup>.

❖ تضيف بعض الحيوانات على حياتها معنى سياسياً مُعيّناً، إذا كنا نعتبر أن عمل السياسة هو توجيه الطاقات الفردية نحو غاية مشتركة... إن ما يُلاحظ في حياة النحل هو أنه يعمل تحت أمر رئيس أو مندوب عنه. فهو لا يذهب إلى الحقول قبل أن تتولى الملكة رأس الحملة<sup>٣</sup>.

❖ ليس بلوغ العرش حق وراثي، فقد تجعل المباحج والتملق هؤلاء الملوك الوارثين في أكثر الأحيان جهلاء وفقراء في الفضيلة<sup>٤</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>1</sup> An Ascetical Discourse, (Frs. Of the Church, volume 9, p. 210).

<sup>2</sup> An Ascetical Discourse, (Frs. Of the Church, volume 9, p. 210-211).

<sup>3</sup> Hexamaeron 7:4.

<sup>4</sup> Hexamaeron 7:4.



## سمات رئيس الدير وأب الاعتراف

كان الرؤساء يُختارون كأصحاب مواهب، وأن يكونوا مُلتهبين بالغيرة على الإيمان، ويتسمون بالتواضع الشديد، ورجال صلاة. وكان الرئيس الأعلى يُنتخب بواسطة الإخوة الكبار في الجماعة<sup>1</sup>.

❖ كل الذين يريدون أن يعيشوا في حياة مشتركة لابد أن يكون لهم مُرشد روحي واحد يُدبّر الجماعة، ويختار بشروط معينة.

لا بد أن يكون المُرشد مثلاً أعلى في حياته وطباعه وطريقة أحاديثه، ولا بد أن يكون سنه مناسباً، لأنه من الطبيعي للبشر أن يعطوا احتراماً أكثر للذين هم مُتقدمين في العمر. إذا أختير المُرشد بحسب هذه الشروط، لا بد أن تُعطى له سُلمة تامّة، ويأمر بالطاعة الفورية له من كل الذين هم في نظام الشركة، ما دامت تُؤدّي إلى حياة هادئة جيدة، وحياة تلمذة حقيقية، مثلما قال مُعلّمنا بولس الرسول: "إننا لا نقاوم السُلطات التي تُفرض علينا من الله" (رو ١٣: ١)، لأنه إذا فعل أحد ضد هذا، فلا بد أن يُعاقب من الله. لا بد أن يُعلّم الجميع أن هذه السُلطة قد أُعطيت له من الله، حتى نضمن أن التقدّم دون عائق طالما يُعطي نصائح مفيدة ونافعة.

من أجل كل هذا لا بد أن يكون القائد مثلاً صالحاً لكل الذين ينظرون إليه، وحاوياً في داخله لجميع الفضائل الروحية، ويكون مثل ما قال به مُعلّمنا بولس الرسول: "بلا لوم كوكيل الله، غير مُعجب بنفسه، ولا غضوب... مُتعلّلاً، باراً، ورعاً، ضابطاً لنفسه، ملازماً للكلمة الصادقة التي بحسب التعليم، لكي يكون قادراً أن يعظ بالتعليم الصحيح" (تي ١: ٧ - ٩)، وأعتقد أنه من المهم أن تُفحص كل حياته، ولا يُنظر فقط إلى عمره، لأنه ربما وجدنا تصرفات غير ناضجة لشخص ذي شعر أبيض ووجهه ملئ بالتجاعيد، وأيضاً لا بد أن تكون تصرفاته وأخلاقه ناضجة ومقبولة، حتى يكون لكل تصرفاته وأقواله قوة القانون، وله التقدّم في هذه الحياة المشتركة<sup>2</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>1</sup> Reg. Fus. 43

<sup>2</sup> ترجمة أبناء البابا كيرلس السادس، ١٩٩٦. Basil the Great: Gateway to Paradise.



أما سمات رئيس الدير فهي:

### ١. مُقَدَّس، ومحب لإخوته في الرب

يربط القديس باسيليوس بين حياة القداسة والمحبة الأخوية، خاصة في حياة الرئيس أو المرشد الروحي. فإن غاية المؤمن أن يحيا هو وإخوته كما في السماء مع القديس؛ فالحب بدون القداسة يتحوّل إلى عواطف بشرية غير ناضجة أو بلا هدف سماوي أبدي. والقداسة بدون الحب تفقد سماتها، وتحوّل الإنسان إلى الحزفية وتدفعه إلى العنف. فالله قدوس مُحِب! خلال الحياة المقدسة مع الحب، إن ترفّق أو كان حازمًا، يُقدّم إنجيل المسيح، مشتهدًا خلاص كل أحد، مُسلّمًا حياته مذبولة على صورة مُخلصه.

### ❖ سؤال: ما هو الفكر الذي يجب أن يكون لدى الرئيس تجاه الذين يقودهم أو يوجههم؟

الإجابة: يكون أمام الله كخادم للمسيح ووكيل أسرار الله (١ كو ٤: ١)، يخشى أن يقول أو يأمر بشيء خارج إرادة الله، أو خارج ما تشهد به الأسفار المقدسة بوضوح، ويوجد كشاهد زور لله (١ كو ١٥: ١٥) أو مجروحًا بتدنيس المقدسات، وذلك بتقديم أي شيء غريب عن تعليم الرب، أو إغفال ما يُرضي الله. أما من جهة الإخوة، فيلزمه أن يكون كمُرَبِّيَّة ترعى أطفالها (١ تس ٢: ٧)، يريد أن يشارك كل أحد لكي يُسرّ الله ويفيد الكل، بوجه عام، يُقدّم لا إنجيل الله فقط بل نفسه أيضًا (١ تس ٢: ٨)، حسب وصية ربنا وإلهنا (يو ٢٠: ٢٨)، يسوع المسيح القائل: "وصية جديدة أنا أعطيكم أن تحبوا بعضكم بعضًا كما أحببتكم أنا" (يو ١٣: ٣٤)... "ليس لأحد حب أعظم من هذا، أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه" (يو ١٥: ١٣).

### ❖ سؤال: عندما يقوم بالتوسل أو التوبيخ كيف يمكن للشخص ليس فقط يكون حريصًا أن يتكلم

بمعرفة، وإنما أن يحفظ أيضًا دافعه (الداخلي) سليمًا نحو الله ونحو الذين يتحدث معهم؟

الإجابة: إن تذكّر الإنسان كلمات الرسول: "هكذا فليحسبنا الإنسان كخادم المسيح ووكلاء سرائر الله" (١ كو ٤: ١)، لا يحسب معرفته كمليك خاص به تصدر عن سلطانه الشخصي، إنما يُحقّقها كخدمة الله خلال العناية بالنفوس التي تخلص بدم المسيح (أع ٢٨: ٢٠، أف ١: ٧، رؤ ٥: ٩)، بخوفٍ ورعدةٍ نحو الله، كما فعل ذلك القائل: "هكذا نتكلم، لا كأننا نرضي الناس بل الله الذي يختبر قلوبنا" (١ تس ٢: ٤)، وينزعةً داخليةً للحنو نحو السامعين، نُتمّم ما قيل: "كما

<sup>1</sup> Reg. Brev. 98; Reg. Fus. 25.

تُرِّي المرضعة أولادها، هكذا إذ كنا حانين إليكم كما نرضى أن نعطيكم، لا إنجيل الله، بل حياتنا" (١ تس ٢: ٧-٨)<sup>١</sup>

القديس باسيليوس الكبير

## ٢. متواضع

عمل القائد الأول هو التعليم لا بالعظات والأوامر، وإنما بأسلوب حياته. قدّم لنا السيد المسيح نفسه مثلاً للقائد الحقيقي، بقوله: "تعلّموا مني، لأني وديع ومتواضع القلب" (مت ١١: ٢٩). ما كان يخشاه القديس باسيليوس الكبير أن تتحرف دوافع الرئيس في اهتمامه بالإخوة. التواضع في حياة المؤمن لا يعني الرخاوة أو عدم التدبير بحزم عند الضرورة، إنما هو اختفاء واقتداء بالمسيح حكمة الله. فمع تواضعه يسلك بروح الحكمة والالتزام في المسيح يسوع.

❖ ليت ذاك الذي هو رئيس لا ينتفخ بسبب عمله، لئلا يسقط من طوباوية التواضع، وإنما يليق به أن يعرف التواضع الحقيقي كخدمة للكثيرين... ليت الأعظم يكون كالأصغر.

❖ يليق بالذين يحتلون المراكز الرئيسية أن يكونوا مستعدين أن يُقدّموا حتى الخدمة الجسدية على مثال الرب الذي غسل قدمي تلاميذه. لذا قيل: "(ليكن) المتقدّم كالخادم"<sup>٢</sup>.

❖ الويل لذلك الرئيس الذي يحاول استغلال السلطة والإسراف في غيّه وأنانيته، فالقصاص ينتظره من قبل الديان العادل، ويكون له بمقدار القسوة التي عامل بها قديسي الله<sup>٣</sup>.

❖ يليق بالرئيس ألاّ ينشغل بوظيفته بطريقة غير لائقة، لئلا يفشل في نوال البركات التي وُعدّ بها المتواضعون، ولئلا يسقط بكبريائه في دينونة إبليس. بالحري فليتأكد أن مسؤوليته عن الكثيرين هي خدمة الكثيرين<sup>٤</sup>.

❖ يليق بالرئيس ألاّ تدفعه رتبته إلى الشعور بالكبرياء لئلا يفقد البركة الموعود بها للتواضع (مت ٥: ٣)، أو لئلا يتشامخ، فيسقط في الحكم الذي سقط فيه الشيطان (١ تي ٣: ٦). من الجانب الآخر فليتأكد أن مسؤوليته تدعوه بالأكثر إلى خدمة أعظم.

فمن يخدم أشخاصًا كثيرين مجروحين، يزيل فساد الجراحات بتقديم العلاج المناسب للمضرورين، وبانشغالاته هذه لا يجد دافعًا للكبرياء في خدمته، بل بالأكثر يكون مشغولاً ومهتمًا بهم كخادم للجميع. ويكونه معرضًا لتقديم حساب عنهم، فيتمّ عمل الشفاء الروحي لضعفات

<sup>1</sup> *Regulae brevius tractatae*, 184.

<sup>2</sup> *In Reg. Fus. Dis. Int* 30, 31.

<sup>3</sup> *Epistle* 61.

<sup>4</sup> *Reg. Fus.* 30. cf. *Benedict, Regula*, 11

إخوته. بهذا يُتَمِّم الهدف الذي في ذهن الرب عندما قال: "إذا أراد أحد أن يكون أولاً، فيكون آخر الكل، وخادماً للكل" (مر ٩: ٣٥)<sup>١</sup>.

❖ سؤال: كيف يمكن لشخص تُعَهَد إليه مسئولية النفوس أن يحفظ القول: "إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد" (مت ١٨: ٣)، إذ يتعامل مع أشخاص كثيرين متنوعين؟

الإجابة: يقول سليمان أعظم الحكماء: "لكل شيء زمان" (جا ٣: ١). يليق بنا أن نعرف أن التواضع والسُّلطان والتوبيخ والاستغاثة والترفق والصراحة واللفظ والصرامة، وباختصار كل شيء له زمانه المناسب.

تبعاً لهذا، في وقتٍ ما تظهر علامات التواضع ونشبهه بالأطفال في تواضعهم، خاصة حين توجد فرصة لتقديم كرامةٍ لنا ويلزم الواحد الآخر على ذلك... وفي وقتٍ آخر نستخدم السُّلطان الذي أعطاه لنا الرب للبنيان وليس للتحطيم حين توجد حاجة للصراحة. وفي وقتٍ مناسب للاستغاثة نُظهِر حنواً، وفي وقتٍ مناسب نُظهِر الحزم. بهذا نَظهِر غيرَةً في كل مناسبة<sup>٢</sup>.

❖ إذ يضع القائد في ذهنه وصية الرسول: "كن قدوة للمؤمنين" (١ تي ٤: ١٢)، يلتزم أن تكون حياته نموذجاً مُشْرِقاً في حفظ كل وصية للرب، فلا يكون هناك أي عذر لدى الذين تحت إشرافه، ظانين أن وصايا الرب مستحيلة أو باستهتارٍ يضعونها على جنبٍ.

ليضع في اعتباره أولاً أن ما يحتل الأهمية الأولى يلزمه بمحبة المسيح أن يُتَمِّمه بتواضع. فإنه وإن صَمَت، يُقَدِّم نموذج أعماله تعليمًا فعّالاً أكثر من أية كلمات.

إن كان بالحقيقة غاية المسيحية هي الاقتداء بالمسيح حسب قياس تجسده، وذلك بقدر ما يتَّفَق مع موهبة كل فردٍ، فإن الذين أُوتِمُوا على قيادة الكثيرين، يلزمهم أن يسندوا الذين لا زالوا ضعفاء عنهم كي يقتدوا بالمسيح، كقول الطوباوي بولس: "كونوا مُتَمَثِّلِينَ بي، كما أنا أيضاً بالمسيح" (١ كو ١١: ١).

يلزم على الرؤساء أولاً أن يكونوا أيقونة دقيقة له (للمسيح) بممارسة التواضع، وذلك حسب المعيار الذي وضعه ربنا يسوع المسيح، إذ يقول: "تعلّموا مني، لأنني وديع ومتواضع القلب" (مت ١١: ٢٩). لهذا يليق أن يكون سلوك الرئيس هو اللُطف كأمرٍ مُعتادٍ، وأيضاً تواضع القلب، وهما يُشكِّلان شخصية الرئيس. إن كان الرب لم يخجل أن يخدم خدامه، وأراد أن يكون خادماً للتراب والطين اللذين خلق منهما الإنسان وشكَّله. إذ يقول: "أنا بينكم كالذي يخدم" (لو ٢٢: ٢٢).

<sup>١</sup> Reg. Fus. 30.

<sup>٢</sup> Regulae brevius tractatae, 113.



(٢٧)، كم بالأكثر يجب علينا أن نفعل مع الذين هم مساوون لنا، حتى نبدا أننا نبلغ إلى الاقتداء به؟! بالأكثر جدًا يلزم أن تكون هكذا السمة التي توهب للرئيس!

ثانيًا، يليق به أن يكون حنونًا وصبورًا مع الذين يسقطون في التقصير في التزاماتهم بسبب عدم الخبرة، فلا يُضعفهم بانتهاهم علي خطاياهم، بل يحتملهم بوداعة، مع تقديم أدوية فعالة لازمة للمعاندين رافضي الصلاح، مستخدمًا معهم كل جنو بهدوء.

كذلك يجب أن يكون كفؤًا في تقرير نوع المعاملة اللائقة مع المشاغبين، دون تعنيف بروح الاستخفاف، وإنما بالنصح والتعليم بتواضع كما هو مكتوب (١ تي ٢: ٢٥).

ثالثًا، يلزمه أن يكون رزينًا في تدبير الخيرات الزمنية، بعيد النظر بالنسبة للمستقبل، يعرف كيف يناضل مع القوي، وكيف يحتمل ضعفات الضعيف، وقادرًا أن يقول ويؤمن كل ما يقوله لأجل كمال إخوته.

يليق به ألا يُقدّم نفسه لوظيفة الرئيس، إنما يختاره رؤساء الأديرة الأخرى، وأن يكون له في الماضي ما يركي شخصيته. يقول الرسول: "وإنما هؤلاء أيضًا ليختبروا أولاً، ثم يخدموا (يتشمسوا) إن كانوا بلا لوم" (١ تي ٣: ١٠). فالإنسان الذي من هذا النوع، يلزمه أن يتسلم وظيفة الرئيس، واضعًا نظامًا صالحًا للإخوة، ويقوم بتوزيع الأعمال حسب ما يناسب كل عضو<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

### ٣. الاختفاء في المسيح القائد الحقيقي

إن كان من جانب الرهبان يليق بهم أن يختاروا قائدًا يحمل صورة السيد المسيح، فالقائد من جانبه يلزمه أن يستتر في المسيح، واثقًا أنه هو القائد الحقيقي والخفي، القادر أن يكون في صحبة كل إنسان يعبر به إلى حضن الأب، ويتمتع بشركة الأمجاد الأبدية.

يُعَلّل القديس باسيليوس وجود خلافات وانشقاقات وشروخ في الكنيسة أنه لا يوجد ملك واحد يقودها، وذلك كحال بني إسرائيل في أيام القضاة (قض ٢١: ٢٥). فلو اختفت القيادات الكنسية في المسيح يسوع لصار الكل تحت قيادة ملك الملوك الواحد، وساد برُ المسيح على الكنيسة.

يليق بكل قائد كنسي أن يطلب أحكام برُ المسيح (مز ١١٩: ١٠٧)، لا أن يُتَمّم أحكامه الشخصية، إنه خادم صلاح الله.

<sup>١</sup> Reg. Fus. 43.



❖ عندما صرفت وقتًا طويلاً للبحث باجتهاد عن علّة هذه الشرور، تذكّرت سفر القضاة الذي يُخبرنا أن كل واحدٍ عمل ما حسن في عينيه، مُعطيًا السبب: "في تلك الأيام لم يكن ملك في إسرائيل".

إذ تذكّرت هذا، قرّرت أن هذا هو بحق حالنا الحاضر، وإن كان مثل هذا الجزم يبدو غريبًا ومُرعِبًا. فإنه بالحق يبدو كأن نزاعًا عظيمًا وصراعًا حال في الكنيسة، وذلك بسبب رفض الملك والإله العظيم الحقيقي الواحد وحده. فقد هجر كل إنسانٍ تعليم ربنا يسوع المسيح، وأقام على مسئوليته الخاصة آراءه وتفسيره، مُفضّلًا بالحري أن يحكم في تضاد للمسيح، عن أن يحكمه المسيح نفسه...

فإن وُجِدَ نظام وتوافق، إنما لأنهم يتجاوبون ويطيعون ملكًا واحدًا. بالتبعية، فإن الخلاف والنزاع علامة عدم وجود حاكمٍ. لنفس السبب فإن النزاع الموجود بيننا، والصراعات مع أنفسنا ومع وصايا الرب، هي برهان قاطع أن ملكنا الحقيقي قد تركنا<sup>1</sup>.

❖ إذ يقول ربنا: "لأنني قد نزلت من السماء، ليس لأعمل مشيئتي، بل مشيئة الذي أرسلني" (يو ٦: ٣٨)، فإن كل حكم حسب إرادتنا الذاتية خطير. وقد عرف داود ذلك حسنًا، عندما قال: "خلفت فأقمت على حفظ أحكام برّك" (مز ١١٩: ١٠٧) وليس رغباتي أنا<sup>٢</sup>.

❖ نحن مقتنعون تمامًا أن الله هو مصدر كل بركة ومُكَمِّلها، وأنا ننال تلك البركات كما من خادم صلاح الله<sup>٣</sup>.

**القديس باسيليوس الكبير**

٤. كل مقتنياته ملك مشاع لأبنائه الروحانيين

في حُبٍّ كاملٍ وطاعةٍ وثقةٍ، يُقدّم الرهبان إرادتهم بين يديّ الرئيس في خضوعٍ لإرادته، ومن جانبه أيضًا يظهر لهم كل حُبٍّ، فيحسب كل ما لديه ليس ملكًا له بل لأبنائه.

هذا لا يستطيع الرئيس أن يُمارسه ما لم يكن بالحق يختفي في المسيح، ويطلب أحكام برّه. فإن من لا يعمل حسب هواه أو أفكاره الشخصية، يلذ له أن يشعر أن كل ما بين يديه ليس ملكه، بل عطايا الرب لصالح أبنائه.

<sup>1</sup> De Jud. 2.

<sup>2</sup> Reg. Brev. 137.

<sup>3</sup> Reg. Fus.31.

❖ لكي نتجنب الارتباك الناتج عن تدبير كل إنسانٍ أموره حسب هواه الشخصي، يليق بمن يُوضَع في مركز المسؤولية عن الغير، والذي يُعلن بحكم الكل عن سموه الفكري واستقراره وحزمه في الحياة، أن تكون كل مقتنياته ملكاً مشاعاً لكل الذين يتمثلون به<sup>1</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

#### ٥. ليكن أخاً محباً ونموذجاً لهم

يليق بالقائد أن يُقدّم حُباً، حتى تفتح قلوب من يرشدهم من الإخوة، فلا يخفون عنه شيئاً، يكشفون له كل أسرار قلوبهم. وبالتالي، يتقبلون منه تقديره لِمَا هو للبنيان، وتأديبه على الأخطاء، بهذا يتقدمون في طريق الكمال. ومن جانبٍ آخر، يصير لهم قدوة ونموذجاً.

❖ إن اعتزم أحد المرؤوسين (الرهبان) أن يبلغ إلى تقدّم لائق، وأن يثبت في منهج حياة حسب وصايا ربنا يسوع المسيح، يلزمه ألا يخفي شيئاً داخله من حركات نفسه، ولا ينطق بكلمة طائشة، إنما يعلن أسرار قلبه لإخوته الذين عملهم هو ممارسة الاهتمام بالضعفات بحنوٍ وعطفٍ.

بهذه الوسيلة، فإن ما هو جدير بالاحترام يُقبل، وما يستحق التوبيخ ينال إصلاحاً لائقاً. بممارسة مثل هذا التهذيب المتعاون (بين الرئيس والمرؤوسين) ننتقد بالتدريج حتى نبلغ الكمال<sup>2</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

#### ٦. ليكن طبيباً لإخوته يُعالج أمراضهم

إذ كان باسيليوس يُعاني من المرض منذ طفولته، فلا نعجب إن شبّه الرئيس بالطبيب الذي يُقدّم الدواء اللائق لمرض كل إنسانٍ.

يُخطئ الرئيس الذي يظن أنه قاضٍ، يحكم على رؤسياه في كل صغيرة وكبيرة، أو يظن أن واجبه التقصي عن الحقائق، فيحسب نفسه أشبه بوكيل نيابة أو رجل شرطة. إنه أب وطبيب، ما يشغله إنقاذ أولاده من كل ما يصيبهم من أمراضٍ! يُقدّم لهم تداريب روحية تقاوم أمراضهم.

رَكَز القديس على مرض الدمدمة أو التذمّر، فإن من يُمارس عملاً بتذمّر يُعزّل عن عمله مع إخوته حتى يشعر بخطئه، وعندئذ لا يسمح لِمَا قام به من أعمال بروح التذمّر أن يستخدمها الإخوة، ولأنها مُلوّثة بميكروب التذمّر! هذا ولئلا يظن المتذمّر أن الدير أو الإخوة في حاجة إلى عمله الذي لم يُقدّمه بحُبٍّ وفرحٍ.

<sup>1</sup> An Ascetical Discourse, (Frs. Of the Church, volume 9, p. 218).

<sup>2</sup> Reg. Fus. 26.

ما يشغل قلب القديس باسيليوس ليس العمل، مهما بلغت قيمته، إنما خلاص الراهب العامل، ونقاوة قلب إخوته، وسلوكهم بروح الفرح بلا تدمر.

بهذا الروح تصرف القديس باخوميوس، إذ قيل عنه:

[جاء عنه أنه غاب عن أحد الأديرة لافتقاد الأديرة الأخرى، وعند عودته قابله أحد الرهبان الحديثين، وقال له: "أيها الأب. من حين مضيت من عندنا، وإلى اليوم لم يطعمونا شيئاً من الحبوب طبيخاً، ولا شيء من الخضر سليقاً". ثم دخل الأب الكنيسة وصلى، ثم ذهب إلى المطبخ، وقابل مُقَدِّم المطبخ ومن معه، ثم سأله: "كم لك من الزمان لم تسلق للإخوة سليقاً؟" أجابه المُقَدِّم: منذ شهرين". قال الأب: "ولِمَ فعلت هذا ما دامت قوانين آبائنا القديسين تأمر بأكل المطبوخ (وعدم التمسك) في أيام السبت والآحاد؟" أجابه المُقَدِّم بأنه لم يُهمل، إنما الرهبان هم الذين لم يقبلوا أن يأكلوا المسلوق، فكان يسكبه. وبهذا كان الدير يخسر في كل وجبة حوالي أربعين كيلاً من الزيت دون أن يأكل أحدٌ منها شيئاً. فمن أجل هذا لم يعد بعد يُطبخ. وإذا لم يرد أن يبقى في كسلٍ وتراخٍ، صنع حصرًا عوض الطبخ. سأله الأب بطول أناة: "هل انتهيت من تقديم عذرك أم لك شيء آخر نقوله؟" أجابه المُقَدِّم بأنه لم يبقَ له أي سبب آخر يُقَدِّمه. فسأله الأب: "كم حصيرًا صنعت منذ تركت خدمتك؟" أجابه "خمسمائة حصيرًا". فطلب الأب منه أن يحضر الحصر، ثم أمر بإحراقها، ووجّه الحديث قائلاً:

"لأجل أنكم تجاوزتم القانون المُسَلَّم إليكم بخصوص خدمة إخوتكم، بوسوسة الشيطان لكم، وعملتكم بسبوح باطل مشيئتكم، وتبعتم هواكم، أحرقتُ أنا بغير شفقة عمل أيديكم، حتى تتعلموا مقدار تهاونكم في سنة افترضها آباؤكم القديسون، وسئوها لأجل خلاص النفوس وارثائها. أما تعرفون كم من الفضائل أعدمتم الإخوة بسوء تصرفكم، إذ ضللكم الشيطان بأن في ذلك خسارة (زيت). مع أن فيه فائدة كبرى للنفوس ومنفعة عظيمة.

أما تعلمون أن أجر المُمتنع عن هذه الأمور عنوة وإلزاماً أقل من أجر المُبتعد عنها اختياراً؟ أما تفهمون أنه إذا تَقَدَّمَ على المائدة طبيخ ومأكول، وضبط الإخوة أنفسهم عن أكله ومذاقه من أجل الله تطوعاً واختياراً، وليس إلزاماً، فإن جزاءهم يزداد عند الله ويتكاثر. وإذا لم يُحضر إليهم طبيخ ولا مأكول، فكيف يظهر قطع الهوى، ويُحسب لهم نُسكاً وضبطاً، وأن يكون موضع الجهاد والغلبة التي تكون بإزائها الأكاليل؟

وأنتم لأجل أربعين كيلاً من الزيت أعدمتم الإخوة أن يُثمرُوا مثل هذه الثمار الحسنة النُصرة. ألا تعلمون أن جميع هيولي هذا العالم ومواده فانية زائلة، وأما الفضيلة فباقية. أيليق عند ذوي العقول أن تقايض الدائم بالفاني؟! أما أنا فقد كنت أشاء أن يطبخ من الأكل ألواناً ويعد من الفاكرة

أنواعًا. حتى متى قطعوا هواهم، وامتنعوا نقشًا ونسكًا عن الأكل باختيارهم، يزدادون في الفضيلة زيادة واضحة، ويثمرون ثمارًا كثيرة.

ومع ذلك لو عرض لأحد المرضى أن يأكل، فجاء إلى المائدة ليتناول منها ليسترد قوته، فإذا لم يجد عليها الأكل، فإن أفكاره تتبلى.

ألا تعلمون أيضًا أن الجياد الصغار لا تستطيع السير مع الخيل الكبار، كذلك الشبان لا يمكنهم إحكام الفضيلة مثل الشيوخ، بل يتدرجون مهلاً مهلاً نحو إتقان الفضيلة العظيمة..."  
وعندئذ أمره بالإقالة عن عمله هذا، وأن يُقدّم توبة صادقة عن عدم طاعته للقوانين<sup>١</sup>.

**عندما أجاب القديس باسيليوس على السؤال: كيف تُصلح أخطاء الخطاة؟ قال:**

❖ يجب أن يُعامل فاعل الشر كما بواسطة طبيب، فلا يغضب على المريض، وإنما يحارب المرض. هكذا يُهاجم الرذيلة، ويشفي ضعف النفس بجرعات حازمه إن لزم الأمر.

كمثال، يُصلح الكبرياء بالمطالبة بفرض تداريب عن التواضع، والكلام الباطل بالصمت، والنوم المفرط بالسهر في الصلاة، والكسل الجسماني بالعمل الشاق، والشرهة بالصوم، والدمدمة بالاعتزال، حتى لا يرغب أحد من الإخوة أن يعمل معه، ولا يقرن عمل الآخرين مع عمله، إلى أن يُقدّم توبة صريحة، مُعلنًا عن نفسه أنه قد ترك هواه (مرضه). عندئذ ما قد صنعه بدمدمة يُقبل لكن لا يُستخدم لخدمة الإخوة، بل يُستخدم لآخرين<sup>٢</sup>.

❖ **سئل: كيف ينبغي أن ينتهر الإنسان؟ فقال:** كما ينتهر الأب ابنه، وكما يكون قصد الطبيب أن يشفي المريض.

وسئل أيضًا: كيف يجب أن يُقبل الانتهاز؟ فقال: كما يقبل الولد تأديب والده والمريض مداواة طبيبه<sup>٣</sup>.

❖ **سؤال:** إن كان أحد يُمارس أعمالاً كثيرة باستقامة، لكنه تعرّض في خطية واحدة، كيف نتعامل معه؟

الإجابة: كما تعامل الرب مع بطرس (يو ١٣ : ٨)<sup>٤</sup>.

**القديس باسيليوس الكبير**

<sup>١</sup> المؤلف: القديس باخوميوس أب الشركة وتلميذه تادرس، ٢٠١٢، بند "القائد المُزني".

<sup>٢</sup> *Regulae fusius tractatae*, 51.

<sup>٣</sup> رهبان بيرية شيهيت: فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، ج ٢

<sup>٤</sup> *Regulae brevius tractatae*, 83.



١٧. لا يداهن الخاطئ ليتملقه من أجل زيادة شعبيته

مع ما يطلبه القديس من الرئيس أن يكون لطيفاً وطويل الأناة لكي يكسب الخطاة، يخشى أن ينهاون معه ويتملقه، من أجل أن ينال شهرة ومجدًا زمنيًا على حساب خلاص الخاطئ ودعوته للتوبة. هكذا يلزمه أن يوازن بين اللطف والحق. فإن أهمل الرئيس في تذكير الخاطئ بأخطائه يعرض نفسه لدينونة قاسية.

❖ يلتزم ذاك الذي هو مكلف بالقيادة العامة أن يدرك أنه سيحاسب عن كل شخص تحت رعايته. ليضع في ذهنه أنه إن سقط أحد الإخوة في خطية، ولم يحذره بتعليم الله، أو إن سقط وتركه على حاله دون أن يرشده لإصلاح أمره، يُطلب دم هذا الشخص من يديه كما هو مكتوب (حز ٣: ٢٠)، خاصة إن تجاهل ما يرضي الله، وذلك ليس عن جهل وإنما لكي يتملقه، متهاونًا مع رذائل الشخص، ومتراحيًا في فرض تأديب لائق.

يقول الكتاب: "الذين يدعونك مُطوِّبًا يخدعونك، ويحطّمون خطواتك"، والذي يزعجكم سيحمل دينونة أي من كان (غل ٥: ١٠). فلكي لا يكون نصيبنا هكذا، لنراعي القانون الرسولي في مناقشاتنا مع الإخوة. يقول القديس بولس: "فإننا لم نكن قط في كلام تملقٍ كما تعلمون، ولا في علة طمع، الله شاهد! ولا طلبنا مجدًا من الناس، لا منكم ولا من غيركم" (١ تس ٢: ٥-٦). إذن، من يتحرّر من هذه الأخطاء، ربما يمكنه أن يمارس القيادة بدون خطأ، فتكون نافعة لنفسه ومفيدة للخاضعين له في نفس الوقت.

من يعمل بحُبٍّ صادقٍ، وليس من أجل كرامةٍ بشريةٍ، ودون تجنب معارضة الخطاة، ويسعى أن يكون مرضيًا لهم، وموافقًا لتصرفاتهم، يتحدث معهم بإخلاصٍ وصراحةٍ، ولا يختار تزييف الحق دون أي اعتبار.

تتطبق الكلمات التالية أيضًا عليه: "بل كنا مُترَفِّقين في وسطكم، كما تُرَبِّي المرضعة أولادها، هكذا إذ كنا حانين إليكم، كنا نرضى أن نعطيكم، لا إنجيل الله فقط، بل أنفسنا أيضًا" (١ تس ٢: ٧-٨). من كان ليس هكذا، يكون قائدًا أعمى، يدفع بنفسه إلى الهوة، ويسحب معه تابعيه (لو ٦: ٣٩).

تكشف هذه الكلمات عن خطورة شرّ من يُسبّب خطأ لأخيه، عوض أن يتحمّل مسئولية إرشاده إلى الحق.

إنها أيضًا علامة عدم حفظه وصية الحب، فإنه ليس من أبٍ يترك طفله يسقط في حفرة، أو يتخلّى عنه ليلاقي مصيره بعد سقوطه فيها.

ليس من حاجةٍ للقول بأن الأمر أكثر خطورة، إذ يسمح للنفس أن تهلك بعد سقوطها في هوة الشرور.

يلزم على القائد أن يسهر على نفوس الإخوة، ويهتم بجدية بخلاص كل أحدٍ كمن يعطي حسابًا عنه. لهذا يلزمه أن يُظهر غيرته عليه حتى الموت، ليس فقط من أجل الوصية العامة عن الحب التي يُوجَّهها الرب: "أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه" (يو ١٥: ١٣)، وإنما أيضًا بما يتَّفِق مع تطبيقها، بالقول: "ترضى أن نعطيكم، لا إنجيل اللّٰه فقط، بل أنفسنا أيضًا" (١ تس ٢: ٨).

#### ❖ سؤال: بأي نوع من النزعات يليق بمن ينتهر أن يمارس التوبيخ؟

الإجابة: من نحو اللّٰه يليق أن يكون مُتَعَقِّلاً مثلما أظهر الطوباوي داود عندما قال: "رأيت الغادرين ومقتً، لأنهم لم يحفظوا كلمتك" (مز ١١٩: ١٥٨).  
من جهة الذين ينتهرهم، لبتة يتبني موقف أبٍ أو طبيب يتعامل مع ابنه المريض بشفقةٍ وحنوٍ ومهارةٍ، خاصة عندما يُصاحبه حُزن أو يوجد نوع من الحزم في التعامل<sup>٢</sup>.

#### ❖ سؤال: إن كان أحد قد أنتقد من أجل سلوكه كمتمردٍ وهائجٍ، فقال إن اللّٰه خلق البعض صالحين والبعض أشرارًا، فهل هو على حقٍّ في هذا؟

الإجابة: هذا التفكير أدين منذ زمن بعيد بكونه هرطوقيًا، لأنه فكر تجديفٍ وأثيمٍ ويجعل النفس تميل إلى الخطية. فعليه إمّا أن ينصلح أو يُطرَد من بينكم، لئلا تُفسد خميرة صغيرة العجين كله (١ كو ٥: ٦)<sup>٣</sup>.

#### القديس باسيليوس الكبير

#### ٨. يسلك بروح الوحدة مع بقية رؤساء الأديرة

اهتم النظام الباخومي بربط الأديرة الباخومية معًا من أجل الحفاظ على روح الوحدة، فكان كل ثلاثة أو أربعة أديرة متجاورة يُكوّنون بما يُسمّى القبيلة، يشترك رؤساؤهم في انتخاب أحدهم رئيسًا عليهم. وهؤلاء بدورهم يخضعون مباشرةً للرئيس العام. وكانت الأديرة الباخومية تخضع لإدارة مركزية، تحت قيادة مركزية مُحَكِّمة تصدر عن الدير الرئيسي في Pbau. ويتم الأشراف بطريقتين:

١. الزيارة: إذ كان الرئيس العام يتنقل بين الأديرة، ليُعلِّم بدقائق أمورها، ويسد احتياجاتها.
٢. عقد اجتماعين عامين في كل سنة في دير Pbau أو الدير الذي به الرئاسة العليا. ويُعقد

<sup>1</sup> Reg. Fus. 25

<sup>2</sup> Regulae brevius tractatae, 99.

<sup>3</sup> Regulae brevius tractatae, 84.

الاجتماع الأول في فترة القيامة للاحتفال بعيد الصعود، والثاني يُعقد في ٢٢ مسرى لبحث أحوال الأديرة الداخلية، وتقديم تقارير خاصة بكل دير ثم يعلن الرئيس العام أسماء الرؤساء الفرعيين الجدد كما يعلن حركات التنقل بينهم. وأخيراً في جلسة ختامية يحضرها جميع الرهبان الباخوميين يُصلون صلاة جماعية في مشهد رهيب طالبين الصفح والغفران، ويُبارك الرئيس الجميع.

وفي النظام الباسيلي كانت تُقام اجتماعات سرية، يشترك فيها كل رؤساء الأديرة، تُشرع قوانين، وأحكامها نهائية. لقد عبّر باسيليوس عن شوقه أن تتعاون الجماعات الرهبانية معاً وأيضاً الرؤساء في وحدة الروح ورياط السلام<sup>١</sup>.

اتسم القديس باسيليوس بحزمه وجديته، خاصة مع القيادات الدينية والمدنية، مهما كان مركز القائد، كما كان حازماً مع نفسه. أبرز في وضوحه وبكل صراحة في رسائله قبوله أي نقد يُوجّه إليه هو شخصياً ليُصحح أي خطأ ارتكبه. ففي نظره ليس أحد فوق الحق الإنجيلي، وليس من إنسان في عصمة من الخطأ. ففي أكثر من موضع يشكو القديس باسيليوس مما بلغه بعض الأساقفة من انحطاط فيقول: [جلبوا عازاً على لقب "أسقف" هزيل<sup>٢</sup>].

لقد بلغ به الأمر أن يقول: [صارت الوظيفة السامية الآن معروفة أنها مكافأة تُقدّم للأشرار. والنتيجة أنه كلما ازداد الإنسان تجديفاً صار بالأكثر يحسبه الناس مناسباً أن يكون أسقفاً. صارت كرامة الكهنوت أمر خاص بالماضي<sup>٣</sup>].

بالنسبة لرؤساء الأديرة، إن ارتكب الأب خطأ، يُؤيخه الإخوة الكبار، كما يلزم أن يحاكمه نظراؤه رؤساء الأديرة الأخرى، الذين لهم السلطان أن يتهموا أي رئيس أخطأ في إتمام دوره.

٩. أن يكون حكيمًا كالأفعى وبسيطًا كالحية

إن كان الشيطان قد استخدم حكمة الحية لخداع أبونا الأولين، فإن نعمة الله قادرة أن تهبنا الحكمة لجذب النفوس للخلاص من الخطية.

❖ سؤال: من هو الحكيم كالأفعى والبسيط كالحية (مت ١٠ : ١٦)؟

الإجابة: الحكيم كالأفعى هو الذي يُدير تعليمه، ويتبناه بمهارة ويقظة وفهم قدر المستطاع، وبأفضل طريقة لنفع سامعيه.

<sup>1</sup> Reg. Fus. 35.

<sup>2</sup> E.F. Morison: St. Basil and Rule, Oxford University Press, 1912, p 48, Epistle 92.

<sup>3</sup> Epistle 239.

إنه بسيط كالحمامة، على أي حال، من لا يتبني أبدًا في قلبه فكرة الانتقام ضد شخص يتأمر عليه، إنما يُصنَّم على فعل الصلاح كما أوصى الرسول: "أما أنتم أيها الإخوة، فلا تفشلوا في عمل الخير" (٢ تس ٣: ١٣).

لقد أعطى الرب هذه التوجيهات عندما أرسل مع تلاميذه للكراسة، إذ كانوا محتاجين لكل من الحكمة للإقناع، واحتمال الشر الصادر من المتأمرين عليهم. ووفقًا لذلك، معروف عن الأفعى بحكمتها تستطيع الاقتراب من الشخص المطلوب بأكثر سهولة. إنها تتكلم بشكل معقول لتسحب الشخص من الله، وتسلبه إلى الخطية (تك ٣: ١-٦).

لذلك يجب علينا أن نأخذ في الحسبان اختيار الشخص والأسلوب والفرصة المناسبة وكل طريقة للإقناع بكلامنا بحكمة (مز ١١٢: ٥)، حتى نجذب الإنسان من الخطية ونقوده إلى الله، وفي نفس الوقت نحتمل التجارب إلى النهاية كما هو مكتوب (مت ١٠: ٢٢؛ ٢٤: ١٣)¹.

القديس باسيليوس الكبير

#### ١٠. ألا يعثر أحد بإهانتته للمقدسات

يليق بالرئيس إذ يدعو الكل إلى الحياة المقدسة، فيعمل لحساب كل إنسان ليرفع قلبه وفكره وكل طاقته إلى القدوس، ألا يستخف هو نفسه بالمقدسات الإلهية.

❖ سؤال: ما هي الطريقة التي بها يعطي المرء القدس للكلاب ويطرح الدرر قدام الخنازير (مت ٧: ٦)، أو كيف يتم فعل ما أضيف: "لئلا تدوسها بأرجلها، وتلتفت فتمزقكم"؟

الإجابة: يُقدّم الرسول إجابة واضحة عندما أضاف إلى ما قاله لليهود: "الذي تفتخر بالناموس، أبتعدّي الناموس تهين الله" (رو ٢: ٢٣)، ولذلك يمنع الرب هنا الإهانة التي تسببها لكلمات الرب المقدسة خلال معصيتنا.

بسبب مثل هذه المعصية يحدث أن الذين في خارج الإيمان وغير المؤمنين يحسبون تعاليم الرب حقيرة، وعلى هذا الأساس هذه التعاليم نفسها تقف بقوة ضدنا كما لو كانت تمزق العاصي بالتوبيخ واللوم².

القديس باسيليوس الكبير

¹ *Regulae brevius tractatae*, 245.

² *Regulae brevius tractatae*, 250.



ماذا يفعل متى رفض راهب أن يطيع رئيسه؟

يقوم أولاً رئيسه بتحذيره سراً بينه وبين الراهب، فإن استمر في عصيانه يُقومه علانية بحزم أمام الإخوة. وإن فشل في هذا، ولم يتحقق أي تقدم وإصلاح في سلوكه، يقوم الرئيس "بدموع كثيرة وأحزان، ولكن في حزم، بقطعه من الجسم بكونه عضواً فاسداً غير نافع". وُضِعَ هذا القانون الحازم لإزالة روح الكبرياء والتذمُّر<sup>١</sup>.

هذا ويلزم أن تتناسب العقوبة المفروضة على من يرتكب أي خطأ، مثل منع المُخطئ من المشاركة في التسبحة مع الإخوة، ومنعه من الاشتراك في الصلاة العامة، أو نبذه فلا يشترك في مائدة الطعام العامة<sup>٢</sup>.

• يلزم أن يحنو في البداية على من ينفر من الطاعة لوصية الرب، بكونه عضواً مريضاً في جسدكم. كذلك يلزم على الرئيس أن يسعى بنصائح خاصة (خفية) ليشفي ضعفه. لكنه إن قاوم في عصيان، مع عدم قابلية للإصلاح، يلزم توبيخه بحزم في حضور كل الجماعة، ويُقدَّم له العلاج بكل شكلٍ للنصح.

إن لم يتغيَّر بعد النصح الكثير، ولم يُصلح أمره بالعمل بدموعٍ وأحزانٍ بكونه كما يقول المثل مخرباً نفسه، يلزمنا كأطباء أن نقطعه من جسم الإخوة كعضوٍ فاسدٍ لا نفع منه.

حقاً يريد الأطباء أن ينزعوا بالبتر أو الحرق أي عضو في الجسم يجدونه مُصاباً بمرضٍ لا شفاء له، حتى لا ينتشر التلوث أكثر، ويُحطَّم المناطق القريبة، منطقة بعد الأخرى. هذا أيضاً ما يجب أن نفعله في حالة الذين يُظهرون عداوة، أو يخلقون العراويل أمام حفظ وصايا الرب. وبحسب وصية الرب: "إن كانت عينيك اليمنى تعثر، فاقلعها وألقها عنك" (مت ٥ : ٢٩).

التهاون مع مثل هؤلاء الأشخاص يكون مثل الحنو الخاطئ الذي أظهره عالي لابنيه، وأثم به، إذ ليس حسب مسرة الله (١ صم ٣ : ١٣).

اللطف المُخلَق نحو الشرير هو خيانة للحق، وغدر بالجماعة، وتعود على عدم المبالاة بالشر، فلا يتحقق القول: "بالحري لم تتوحوا، حتى يُرْفَع من وسطكم الذي فعل هذا الفعل" (١ كو ٥ : ٢).

<sup>1</sup> Robert Payne: *The Holy Fire*, St Vladimir's Seminary Press, N.Y., 1980, p. 121

<sup>2</sup> *An Ascetical Discourse*, (Frs. Of the Church, volume 9, p. 214).

إنما من جهة أخرى، يلزم أن يتبع ذلك القول: "خميرة صغيرة تُخَمَّر العجين كله" (١ كو ٥: ٦). يقول الرسول: "الذين يخطئون وَبَّخهم أمام الجميع" (١ تي ٥: ٢٠)، ويضيف للحال السبب، قائلاً: "لكي يكون عند الباقيين خوف".

إذن، بصفة عامة من يرفض العلاج الذي يُقَدِّمه الرئيس، يعمل بما يناقض نفسه. لأنه إن كان لا يقبل بلطف أن يقوده (آخر)، ويجعل من إرادته الذاتية حكماً له، فلماذا يستمر في أن يعيش تحت إرشاد رئيس؟ لماذا يأخذه كموجّه له في حياته؟ لكن إذ سمح لنفسه مرّة وللنهاية أن يُحسَب من جسد الجماعة، إن حسب نفسه إناءً لائقاً بالخدمة، عندما يُظهر أمراً فوق قوته، يترك القرار في هذا لذاك الذي وضع الأمر، ويُظهر نفسه مُطيعاً حتى الموت، مُتذكِّراً أن الرب "أطاع حتى الموت، موت الصليب" (في ٢: ٨).

التمرد والمعارضة هما مؤشران لشروخ كثيرة: ضعف الإيمان، ورجاء مرتاب، واعتزاز بالذات، وشخصية متغطّسة.

عصيانه بالحقيقة يدل على استخفافه بمن أعطاه الأمر. من جهة أخرى من يثق في وعود الله، ويضع رجاءه ثابتاً، لن ينسحب من الأوامر، مهما بدت صعبة في التنفيذ، عالمًا أن آلام هذا العالم الحاضر لا تُقاس بالمجد العتيد أن يُستعلن (رو ٨: ١٨).

بالإضافة إلى ذلك، من يقتنع أن من يتواضع يرتفع (مت ٢٣: ١٢)، ويضع في ذهنه خفة ضيقتنا الوقتية تُنشئ لنا أكثر فأكثر ثقل مجدٍ أبدياً (٢ كو ٤: ١٧)، يطيع بابتهاج أكثر مما يتوقّع من أعطاه الأمر<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

يُجيب القديس باسيليوس الكبير على سؤال خاص بالأسلوب الذي يليق بالرئيس أن يستخدمه عند التوبيخ، قائلاً:

١. لا يجوز له أن يُوبَّخ مُخطئاً وهو مُنفعل، لأن الانفعال لا يُصلح أخطاء الغير.
٢. إن كان الخطأ مُوجَّهاً ضده، لا يجوز له الانتقام لنفسه.
٣. إن كان الخطأ مُوجَّهاً ضد أحد الإخوة، فلا يُصلح الخطأ بالغضب، بل بالوداعة مع الحزم.
٤. لا تعني الوداعة التهاون مع الخطية، إنما يكشف عن حُبّه للخاطئ وكرمه للخطية.

<sup>١</sup> Reg. Fus. 28.

❖ يليق بالرئيس ألا ينتهر مُرتكبي الخطأ عندما يكون منفِعلاً. لأنه عندما ينصح أخًا بغضبٍ وسخطٍ، لا يُحرّره من أخطائه، إنما يجعله مُنشغلاً بالخطأ. لهذا السبب يقول الرسول: "مؤدّبًا بالوداعة المقاومين" (٢ تي ٢: ٢٥). ولا يجوز له أن يكون غضوبًا بعُنفٍ، إن أهين هو نفسه. وعندما يرى مثل هذه المعاملة تحلُّ على غيره، يلزمه أن يُظهر نفسه متسامحًا نحو الخاطيء، بالإضافة إلى ذلك يلزمه في الحالة الأخيرة أن يوضح استياءه من الخطأ المُرتكَب. بهذا التميّز في سلوكه بالنسبة لما يحل به هو نفسه وما يحل بالغير، يتجنّب أي ارتياب عن حُبّه لنفسه، مؤكّدًا أنه لا يكره الخاطيء، إنما ينفّر من الخطية.

من يظهر استياءه بطريقة على خلاف ما أشرت إليه بوضوح، يؤكّد أنه يستاء ليس من أجل الله، ولا من أجل الخطر الذي يحدق بالمُذنب، وإنما بسبب حُبّه للكرامة والسُلطة. يجب ممارسه الغيرة لأجل مجد الله، الذي يهينه من يكسر ناموسه، إنما يحق أن تظهر الرحمة بمحبة أخوية بالنسبة للأخ الذي يُعرّض خلاصه للخطر بارتكابه الخطية. فإن "النفس التي تخطئ هي تموت" (حز ٤: ١٨).

على أي الأحوال، يليق بنا أن نثور بالغضب على كل خطية بكونها خاطئة، وتنعكس غيرتنا على مشاعرنا في الحزم في التأديب الذي تفرضه<sup>١</sup>.

❖ سؤال: ما هي العقوبات التي تُستخدم في الجماعة لإصلاح الذين يخطئون؟

الإجابة: ليترك هذا الحكم للذين يرأسون، سواء من جهة المدة أو نوع التأديب المطلوب. يضعون في حسابهم عُمر الشخص، وحالة نفسه، وسمات الخطية<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## خطورة وجود قادة أشرار أو فاسدين

بقدر اهتمام القديس باسيليوس باختيار رؤساء أديرة قادرين بالمسيح يسوع على قيادة الدير في طريق الحق، واختيار آباء مُرشدين وآباء اعتراف يُوجّهون الرهبان نحو الطريق السماوي، وأيضًا اهتمامه بقيادة الكنيسة القديسين، يُحدّر من خطورة وجود قادة أشرار أو فاسدين، سواء في الكنيسة أو في الدير. إن أخطأ الرئيس نفسه يلزم أن ينصحه من هو أعلى منه بين الإخوة.

يُحدّرنا من تسليم حياتنا في يد قائدٍ مُحبٍّ للشهرة، يتهاون في خلاص من يطلب مشورته، لأن ما يشغله ليس بنيان الإنسان، إنما ارتباطه به ومديحة له.

<sup>1</sup> *Regulae fusius tractatae*, 50.

<sup>2</sup> *Regulae brevius tractatae*, 106.

❖ يُعَلِّمُ السادة الصالحون تعاليم صالحة، أما الذين يتعلَّمون بواسطة سادة أشرار، فيصيرون أشرارًا بالكامل.

لذلك، إذ يعجز الخصم (إيايس) عن أن يتغلب علينا، يدفعنا أن نبقى في وسط ضجيج العالم وخرابه، ويسعى أن يحتثنا على عدم تكريس حياتنا كحياةٍ منضبطةٍ، وألا نلتفت حول إنسانٍ يكشف لنا عن كل خطايانا أمام أعيننا ويصلحها. إنما على العكس يجعلنا نرتبط (بقائدٍ) ينحني ويبحث عن الشعبية، ويُجَمِّلُ رذائله تحت مظهر التهاون نحو مجتمعاته، وبهذا يزيد من رذائلنا آلاف المرات بطريقة مُزيفة. أما إن سلَّمتم أنفسكم في يدي إنسان غني في الفضيلة، تصيرون ورثة للسماة الصالحة التي له، وبهذا تُباركون من الله والناس بطريقة فائقة.

من جانب آخر، إن كنتم تطلبون سيّدًا ينزل أو بالحري ينحدر بنفسه إلى مستوى رذائلكم، فإنكم باطلاً تحتلمون الجهاد في التجرُّد، إذ تحيطون أنفسكم بحياة التلذُّذ بالأهواء، وذلك باختياركم لقائدٍ أعمى يقودكم إلى الحفرة. فإنه "إن كان أعمى يقود أعمى، يسقطان كلاهما في حفرة" (مت ١٥ : ١٤). "يكفي التمييز أن يكون كمُعَلِّمه" (مت ١٠ : ٢٥). هذا هو صوت الله، الذي لن يسقط (مت ٢٤ : ٣٥). يلزمكم أن تعيشوا حسب أحكام النضال، وإلا لن تُتَّوَجَّوا، وذلك كقول الرسول: "إن كان أحد يُجاهد، لا يُكَلَّلُ إن لم يجاهد قانونيًا" (٢ تي ٢ : ٥).

إذن، إن كنتم بنعمة الله تجدون مُعَلِّمًا لأعمال صالحة، (لأنكم إن كنتم بالحق تسألون، فستجدون مت ٧ : ٧)، لاحظوا أنفسكم ألا تفعلوا شيئًا ضد إرادته. فإن ما تفعلونه بدون رضاه يكون كما لو كان سرقة وتدنيس للمقدسات، لا لنفعكم بل لدماركم، مهما بدا لكم أنه صالح. لأنه إن كان صالحًا، فلماذا تمارسونه خفية وليس علنًا؟

لنتحد عقولكم التي بتأكيدات مُزيفة تصارع لتسلبكم بإساءة تقديم الصلاح، وتقنعكم بالشر. لا تقم بالتمتمة كخبيرٍ في التعاويذ التي يُنطق بها على من قامت الحيات بلدغهم، فبعدم خبرتك في فن وضع تعاويذ، تجلب عليك زواحف تلتف حولك، فتصير عديم القوة في مقاومتها، وتهلك بغير رحمة<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## هل نصمت على خطأ الرؤساء؟

يهتم القديس باسيليوس بخلص نفسه كما بخلص شعبه، والرهبان، ورجال الكهنوت، لهذا في رسائله يُرحَّبُ بمن ينتقده، وفي قوانينه يكشف عن شوقه لخلص المسئولين، فإن ارتكب أي قائد

<sup>1</sup> Renunciation of the World and Spiritual Perfection.



مهما كانت رتبته خطأ وصار ذلك معروفًا، يلزم العمل على إصلاحه بحكمة دون أن يتعثر أحد، لأجل بنيان نفسه وبنيان الآخرين. في نفس الوقت يُحذّر القديس من الانقياد نحو الإشاعات المريبة التي غايتها تشويه صورة رئيسٍ أو قائدٍ ما.

❖ إن وُجدَ شيء فيه يتطلب الإصلاح، فلننفع ذلك مع أخينا، ومن خلاله مع أنفسنا، بأن نرد إلى الطريق المستقيم ذاك الذي هو مُدبّر حياتنا، وبفضائله يصلح انحرافنا<sup>1</sup>.

❖ كما أن من واجب الرئيس أن يكون القائد في كل شيء، هكذا بدوره، إن كان هو نفسه يُشتبه في أنه مذنب بخطأ ما، يُنقل إلى البقية التزام أن يسترعى انتباهه إلى ذلك.

يلزم عدم إعاقة هذا النظام الحسن. على أي الأحوال الذين هم في سموٍ بسبب السن أو الفطنة، يلزم تكليفهم بعمل الإرشاد. لذلك إن وُجدَ شيء يستحق الإصلاح ينتفع به أخونا أو نحن أنفسنا خلالهم، ما دمنا نرد إلى الطريق المستقيم ذاك الذي (أخطأ). فهذا هو نظام حياتنا، ذاك الذي باستقامته يصير موبخًا لانحرافنا.

من ناحية أخرى، إن أصاب سمعة إنسان ارتباك بغير أساس، فيليق (بالإخوة) أن يزيلوا هذه الفكرة السيئة باستقباله بترحاب، عندما تصلهم معلومات كاملة تكشف عن الأمر الذي سبب هذا الشك من جهته<sup>2</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## عدم الافتراء على الرئيس

❖ سؤال: وماذا بخصوص من يفترى على رئيسٍ؟ ما هو موقفنا منه؟

الإجابة: الحكم ضد مثل هذا مُعلن خلال غضب الله الذي حلّ بمريم عندما افترت على موسى. لم يتركها الله في خطيتها دون عقوبة، حتى عندما شفع موسى فيها (عد ١٢: ١٣-١٤)<sup>3</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>1</sup> Reg. Fus. 27; cf. Reg. Brev. 103.

<sup>2</sup> Reg. Fus. 27.

<sup>3</sup> Regulae brevius tractatae, 27.

## قوانين أخرى بخصوص القادة في الدير

جاءت قوانين القديس باسيليوس تؤكد ضرورة وجود مساعد للرئيس، يقوم بكل ما للرئيس من أعمال في حال غياب الرئيس لسببٍ أو آخر، كما تتحدث عن وكيل للدير، فهل كان هذا الوكيل هو نفسه مساعد الرئيس؟! هذا ما لا تكشفه القوانين بدقة.

١. وكيل الدير: مع ما للرئيس من سلطان في تدبير كل أمور الدير، فقد أشارت القوانين إلى تعيين وكيل للدير. لا زال هذا النظام قائمًا في أديرة مصر، يُدعى الوكيل "روبيّة" (أو رب بيت) وهو مُلتزم بتدبير المئونة اللازمة للدير، وتوزيعها على الرهبان<sup>١</sup>. لا يقف عمل الوكيل عند تهيئة احتياجات الدير وتوزيعها، إنما يهتم أيضًا بنمو الجماعة ونشاطها<sup>٢</sup>. يليق به ألا يُمارس توجيهاته بطريقة تعسفية وسلطانٍ عنيفٍ، بل يعمل بروح الحب نحو إخوته، ينصت إلى الجميع، ويستمع إلى احتياجاتهم دون تشكك في أحدٍ منهم أو مُحاباة<sup>٣</sup>. لم تكن التزامات ومسئوليات الوكيل يُمارسها الرهبان، كل بدوره، مثل ما يحدث في بعض الأعمال الأخرى الأقل أهمية<sup>٤</sup>.

٢. مساعد لوكيل الدير: يجب إقامة مُساعد لوكيل الرئيس، يساعده في العمل عند الضرورة<sup>٥</sup>، ويهتم بشئون الإخوة، عندما يكون الوكيل في رحلةٍ أو في فترة راحة.

٣. مساعد لرئيس الدير: ربما يكون هو نفسه وكيل الدير. يخشى القديس باسيليوس أن تحلّ الفوضى في حاله غياب رئيس الدير، حيث يتدخل أكثر من شخصٍ في تدبير أمر ما من الأمور التي كان يلتزم بها الرئيس. فمع ما اُتسم به القديس من حُبهِ للديموقراطية، إذ من حق الرهبان اختيار رئيسهم، وأيضًا من حقهم محاسبته إن أخطأ، لكن بنظامٍ دقيقٍ مُحكمٍ، يرفض أن يبقى الدير ولو إلى حين بدون مسئولٍ أختير لتكون له الكلمة النهائية.

هذا الشخص المُختار مساعدًا للرئيس له الحقوق الخاصة بالرئيس، منها:

١. تقديم كلمات النصيح والتعزية لجمهور الرهبان.

٢. تقديم إجابة حكيمة على تساؤلات الزائرين.

إذا سأل شخص غريب أحد الحاضرين في وجود الرئيس أو وكيله، ليس من حقه أن

<sup>1</sup> *Regulae brevius tractatae* 147, 149.

<sup>2</sup> *E.F. Morison: St. Basil and Rule, Oxford University Press, 1912, p. 115.*

<sup>3</sup> *Regulae fusius tractatae*, 34:2.

<sup>4</sup> *Regulae brevius tractatae*, 156.

<sup>5</sup> *Regulae brevius tractatae*, 156.

يُجيب، بل يُوجِّه الشخص السائل إلى الرئيس أو وكيله. فكما لا يُسَمَح لأي إنسان أن يمسك بالمشرط ويعالج المريض، بل يُتْرَك المشرط للطبيب الجراح، هكذا لا يجوز لأحد الحاضرين أن يجيب على الغريب، بل يترك الإجابة للمسئول.

❖ كثيرًا ما يحدث أن يكون الرئيس غائبًا عن الجماعة بسبب ضعفٍ جسديٍّ أو ضرورة سفرٍ أو لظرفٍ آخر.

يجب إقامة شخص يُوافق عليه منه أو من آخرين لهم أهلية أن يحكموا، يختارونه لتدبير أمور الإخوة في غيابه. فيوجد شخص واحد يُوجِّه كلمات النصيح والتعزية للذين يبقون في الموقع.

هذا التصرف يكفل بأنه عندما يكون الرئيس غائبًا، لا يعتنق الإخوة نظامًا شعبيًا للإدارة يفسخ النظام التقليدي، بل يحفظون العادات المستقرة والمُتَّفَق عليها لمجد الله.

بهذا التدبير أيضًا يوجد شخص واحد يُقدِّم إجابات حكيمة للزائرين (على أسئلتهم)، بهذا يُنْقَف الذين يطلبون حوارًا بتقديم أحاديث عجيبة للموضوع المطروح، فلا يحدث ارتباك لأمور الجماعة. لأنه إن أسرع الكل في انتهاز الفرصة للحديث بطريقة عشوائية، يصير ذلك مصدرًا للتشتيت والفوضى.

لا يسمح الرسول (بولس) لأشخاصٍ كثيرين أن يتحدَّثوا في وقتٍ واحد حتى وإن كانت لهم موهبة التعليم، إذ يقول: "إن أعلن لآخر جالس فليسكت الأول" (١ كو ١٤ : ٣٠). مرة أخرى يُظهر حماقة عدم وجود نظام في هذا الأمر، بقوله: "إن اجتمعت الكنيسة كلها في مكانٍ واحد، وكان الجميع يتكلمون بالسنة، فدخل عاميئون أو غير مؤمنين، أفلا يقولون إنكم تهذون؟! (١ كو ١٤ : ٢٣).

أيضًا إذا ألقى غريب أسئلته خلال جهله مُوجِّهًا ذلك لشخصٍ آخر، فإنه بالرغم من أن الذي سُئِلَ خطأ، يكون قادرًا على تقديم إجابة لائقة، فمن أجل وجود تدبير صالح يلتزم بالصمت، ويوجِّه الغريب لذاك الذي عمله هو أن يجيب، هكذا كان يفعل الرُّسل عندما كان الرب حاضرًا. بهذه الطريقة يدور الحديث بنظامٍ حسنٍ، وبطريقةٍ لائقةٍ.

في حالة مُعالجة الأمراض الجسدية، لا يُسَمَح لأي أحدٍ أن يستخدم السكين (المشرط) لعلاج من هم مرضى، بل هذا من عمل من تَعَلَّمَ هذا الفن لمدة طويلة، وله خبرة في شفاء المرضى، فكم بالأكثر بكل تعقُّلٍ يليق بالإنسان العادي الذي يُطلَب منه العون للشفاء بواسطة الكلمة أن يوجِّه ذلك (للمسئول)؟

أقل خلل في هذا النوع من الخدمة يُسبب خطرًا عظيمًا للغاية. فإن كان لا يُسمح أن يُمارس الكل توزيع الخبز بين الإخوة في فوضى، إنما يقوم به من أختير لهذا العمل، كم بالأكثر يحتاج الأمر إلى شخص له كفاءة سامية، مختار بحرصٍ وحذرٍ، ليقوم بتوزيع القوت الروحي لمن يسأل ذلك؟

لهذا فإن تجاسر أحد للإجابة العفوية، لا يُحسب هذا عمل جهالة بسيط، وأيضًا تقديم السؤال بكل تأكيد حسب حكم الله دون توجيهه للشخص الذي عمله هو خدمة الكلمة والأمين في كل شيء والمدبر بحكمه، المختار لتقديم القوت الروحي في حينه (لو ١٢: ٤٢)، ويُقدّم كلماته بالحق كما هو مكتوب (مز ١١٢: ٥).

وإن حدث إن قلت شيء من المسئول عن الإجابة، ولاحظ آخر ذلك، فإنه لا يواجهه في الحال، إنما يتحدث معه بطريقة خاصة (على انفراد) مُقدّمًا له اقتراحه، لأن التصرف الأول يُسبب غطرسة لدى المرؤوسين ضد الرؤساء.

لهذا إن أراد أحد أن يساعد في الإجابة، كان ذلك ليس من عمله، ويتعرّض للتأديب بسبب سلوكه الجامح<sup>١</sup>.

### الطاعة للأب الروحي والرئيس

يليق بالراهب كمؤمن، أن يطيع أباه الروحي في الرب ويتق فيه وأن يتقبل التأديب أو العقوبات التي يفرضها الرئيس كعلاجٍ بغير تدمير. كما يلتزم الرئيس بالخدمة بالحب والتواضع، هكذا يجب على الراهب أن يطيع الرئيس حتى في قبول خدماته التي تبدو فيها مهانة للرئيس، يقبلها بغير استخفافٍ، وعندما يُنفذ أوامره لا ينفذها بعجرفة.

❖ عندما يختارون واحدًا هكذا وبقيمونه، فلتكن جميع مشيئات الذين يتبعونه تابعة لإرادته، كقول الرسول: "لِتَخْضَعِ كُلُّ نَفْسٍ لِّلسَّلَاطِينِ الْفَائِقَةِ... وَالْمُقَاوِمُونَ سَيَأْخِذُونَ لِأَنْفُسِهِمْ دِينُونَ" (رو ١٣: ١-٢).

يلزم الذين يتلمذون الخضوع الحقيقي الكامل لمن يرشدونهم، ليس بأن يبتعدوا من الشر كما يأمرهم فقط، بل والخير لا يعملونه بدون مشورته وتعليمه. لأن النُسك، إن كان جميعه نافعًا، إلا أنه إذا عمله واحد بإرادته وحده دون أن يطيع رئيسه الذي يعلمه، فإن

<sup>1</sup> *Regulae fusius tractatae*, 45.



خطيته تكون أعظم، لأن الذي يقاوم السلطان يقاوم حدود الله، وأجر الطاعة أعظم من إقامة النُسك<sup>١</sup>.

❖ ليكن لسان أبيك الروحي هو أمان كنز بيت الفضيلة ومفتاحه الحافظ له. ليكن هو الذي يفتح فمك لتأخذ منه الخبز، وهو الذي يغلقه.  
لا تسمح للحية أن تكون المشيرة لك، لأنها تود أن تسبيك خلال نصيحتها<sup>٢</sup>.

❖ إن سلك إنسان حسب هواه الشخصي حسبما يسره، ولا يُبالي بنصيحة رئيسه، فإن خطاه أخطر من الصلاح الذي يفعله، لأن من يقاوم السلطان يقاوم أمر الله (رو ١٣: ١٢). علاوة على هذا فإن المكافأة عن الطاعة أعظم من فضيلة العفة<sup>٣</sup>.

❖ في اختصار، أدرك أنه يوجد ثلاثة أوضاع تقودنا إلى الطاعة بطريقة حتمية.  
إما خلال الخوف من العقاب، فنبتعد عن ما هو شرّ، فنكون في وضع العبيد.  
أو لكي نسعى لنوال المكافأة، فنتمّ الوصايا من أجل منافعها، فنكون كمن يطلب الريح.  
أو نمارس الصلاح من أجل الصلاح ذاته، ومن أجل حبنا للذي وهبنا الناموس، متهللين بأننا تأهلنا لنخدم الله الصالح العظيم، فنكون في مركز البنين<sup>٤</sup>.

❖ (كيف يتقبّل الشخص التأديبات من الرئيس؟)  
إذا قدّم الرئيس علاجًا للضعفاء بدون إجحاف، ففي مقابل هذا يليق بمن يسقطون تحت التأديب ألا يتطلّعوا إليه بروح عدائية، ولا يحسبون ما يظهره الرئيس من اهتمام بروح الحنو لأجل خلاص نفوسهم أنه طغيان.

إنه لأمر مُخجل أن المرضى جسديًا يتقون في الأطباء حتى إن قاموا ببتير أو حرق (في الجسم)، وقدموا أدوية مرّة، حاسبين أنهم يفعلون معهم خيرًا، بينما لا نشاركهم مشاعرهم بالنسبة لأطباء النفوس عندما يكفلون لنا خلاصنا بتأديب شاق.

على أي الأحوال، يقول الرسول: "من هو الذي يفرحني، إلا الذي أحزنته؟" (٢ كو ٢: ٢) وأيضًا: "فإنه هوذا حزنكم هذا عينه بحسب مشيئة الله، كم أنشأ فيكم من الاجتهاد؟" (٢ كو ٧: ١١). إنه يقتضي على من يتطلّع إلى النهاية أن يحسب من يُسبّب لنا آلامًا حسب الله، هو صانع خير لنا<sup>٥</sup>.

<sup>٢</sup> راجع دير السريان: القديس باسيليوس، ٢٠٠٣

<sup>٢</sup> *Renunciation of the World and Spiritual Perfection.*

<sup>٣</sup> *An Ascetical Discourse, (Frs. Of the Church, volume 9, p. 219).*

<sup>٤</sup> *Reg. Fus. Introduction, 1.*

<sup>٥</sup> *Reg. Fus. 52*

❖ الذين لا يُبالون بالذين يرسلهم الرب يجلبون العار، ليس فقط على هؤلاء، بل على الله نفسه الذي أرسلهم، ويجلبون على أنفسهم دينونة أعظم مما سقط تحتها أهل سدوم وعمورة (مت ١٠: ١٤-١٥).<sup>١</sup>

❖ يلزم قبول التوبيخ واللوم كأدوية للعلاج من الرذيلة واسترداد الصحة، من حيث أنه من الواضح أن الذين يتظاهرون بالتسامح لأجل التدليل، ولا يلومون الخطاة يُسببون لهم خسارة عظيمة، ويحبكون لهم دمار الحياة الحقيقية (٢ كو ٧: ٧-٨-١٠).<sup>٢</sup>

❖ عدونا الشرير غير قادر أن يسود علينا لنبقى وسط دوامة العالم ودماره، فيسعى أن يحتنا على عدم تكريس أنفسنا لحياة التدريب، وأن نحوط بإنسان يضع خطايانا نصب أعيننا لنصلح أنفسنا...

إن وضعت نفسك بين يدي إنسانٍ غنيٍّ في الفضيلة، تصير مُطوّبًا على مستوى سامٍ لدى الله والناس.<sup>٣</sup>

❖ إن كنت تجد بنعمة الله مُعلّمًا صالحًا في أعماله - لأنك إن سألت تجد (مت ٧: ٧)، احرص ألا تفعل شيئًا ضد إرادته. فإن ما تفعله دون موافقته يكون كما لو كان لصوصية وتدنيًا للمقدسات، يقودك إلى دمارك لا إلى نفعك، مهما بدا لك الأمر صالحًا. فلو أن الأمر صالحًا، لماذا يُفعل سرًا وليس علنًا؟

❖ لا تتكل على شرف ميلادك بمعنى جسداني، ولا تطلب شهرة عالمية، فإن "الإنسان الطبيعي لا يدرك ما للروح" (راجع ١ كو ٢: ١٤).<sup>٤</sup>

❖ يليق بالمرؤوسين أن يقبلوا الخدمة الجسمانية من أولئك الذين يحتلون المركز الأول في الجماعة. فالتواضع الحقيقي يُلزم الرئيس القيام بواجب الخدمة، كما يُلزم المرؤوسين أن يقبلوا مثل هذه الخدمة بدون استخفاف.

يقودنا مثال الرب نفسه إلى هذه النتيجة، فإنه لم يستكف من غسل أقدام تلاميذه، وهم لم يجسروا أن يقاوموه. بالتأكيد، إذ رفض بطرس في البداية ذلك من أجل عظم تقديره له، نَعَلَم

<sup>1</sup> *Morals, Rule 72:4.*

<sup>2</sup> *Morals, Rule 72:6.*

<sup>3</sup> *On Renunciation of the World, (Frs. Of he Church, volume 9, p. 19-20).*

<sup>4</sup> *On Renunciation of the World, (Frs. Of he Church, volume 9, p. 20).*

<sup>5</sup> *On Renunciation of the World, (Frs. Of he Church, volume 9, p. 21).*

للحال عقوبة العصيان، وتوقف عن ذلك. لذلك ليس من سبب أن يتخوف المرؤوس لئلا ينحرف عن تواضعه المثالي متى قبل الخدمة من الرئيس.

بالحقيقة، تُقدّم الخدمة في مرات كثيرة لأجل تعليمه، ولكي يكون مثالا لازما أكثر منه إشباعا لاحتياج سريع. لذلك وجب عليه أن يظهر تواضعا حقيقيا بطاعته والتمثل (بالرئيس) عوض القيام بكبرياء باطل وعجرفة، بإبراز اعتراضات في صورة تواضع مُتكلف. يدل الاعتراض على التمرد والاعتداد بالرأي (الخفي). أكثر من هذا، فإنه يشير إلى كبرياء واستخفاف، وليس إلى تواضع وطاعة في كل شيء. لهذا يلزمنا الطاعة للقائل: "محتلمين بعضكم بعضا في المحبة" (أف ٤: ٢)<sup>١</sup>.

❖ عمل الإنسان الذي يتمرر أو يتسامخ، بالتأكيد لا يقترن مع من يعمل بتواضع قلب وانسحاق روح. بصفة عامة عمل الأول ليس له قيمة بالنسبة للأتقياء، "المستعلي عند الناس هو رجس قدام الله" (لو ١٦: ١٥).

توجد وصية أخرى للرسول تقول: "لا تتذمروا، كما تذمر أيضا أناس منهم، فأهلكهم المهلك" (١ كو ١٠: ١٠). وأيضا: "ليس عن حزن أو اضطرار" (٢ كو ٩: ٧). لذلك يُحسب عمل مثل هؤلاء الأشخاص، مثل ذبيحة معيبة، غير مقبولة، وتُحسب مع بقية الأعمال غير المقدسة. إن كان الذين قَدّموا نارا غريبة إلى المذبح، صاروا موضع سخط شديد (لا ١٠: ١-٢)، كيف لا يكون محفوقا بالمخاطر إن كان حفظ الوصية يصدر عن روح مكروهة لدى الله؟ "لأنه أية خلطة للبر والإثم؟ وأي نصيب للمؤمن مع غير المؤمن؟" (٢ كو ٦: ١٤-١٥). لذلك يُقال: "من يذبح ثورا فهو كناحر كلب، ومن يُصعد تقدمة دقيق كمن يُصعد دم خنزير" (راجع إش ٦٦: ٣). تبعا لهذا، فإن أعمال الكسلان والمنشق بالضرورة مرفوضة من الإخوة.

كذلك يلزم على الرؤساء أن يراقبوا بقرب هذا الجزء من الجماعة، حتى لا يكسروا أحكام الله القائل: "السالك طريقا كاملا هو يخدمني، لا يسكن وسط بيتي عامل غش (متكبر)" (مز ١٠١: ٦-٧). لذلك يجب ألا يقبل الرؤساء عمل إنسان يسمح للخطية أن تدخل في ملاحظته للأمر، ولا يفسد عمله بالانكماش عن الجهاد، أو بالتعالي الصادر عن إنجازه الممتاز الذي يدفعه على التصميم في خطاه، إذ لا يسمح لنفسه أن يعرف ضعفه.

<sup>١</sup> Reg. Fus. 31.

إن، إنه لأمر في غاية الأهمية أن يقتنع الرئيس أنه إذا فشل في تقديم المشورة اللازمة لأخيه، يجلب على نفسه سخطاً شديداً لا مفر منه، لأن دمه يُطلب منه كما هو مكتوب (خر ٣: ١٨).

يلزم الإنسان المرؤوس أن يستعد ألا يتذبذب أمام أي أمر، حتى إن كان صعباً للغاية، مقتنعاً أن مكافأته في السماء عظيمة. ليت الرجاء في المجد يُشجعه على طاعته، فيتم عمل الرب بكل فرح وصبر واحتمال<sup>١</sup>.

❖ من ينكر نفسه يستبعد شهواته الخاصة تماماً، ولا يفعل ما يريده، بل ما يُوجّه إليه ليعمله. بالحقيقة لا يسمح المنطق أن يختار بنفسه ما هو صالح ونافع، ما دام قد سُم نفسه بطريقة قاطعة لآخرين مُعيّنين باسم الرب ليقدّموا له ما هو مناسب له. من يختار لنفسه العمل الذي يتفق مع رغباته الخاصة، يجلب على نفسه اتهامات، أولاً أنه مُعتمد على ذاته، وثانياً أنه بفضل المساومة من أجل الشهرة الزمنية أم من أجل الرجاء في مكسب مادي، أو لسبب آخر أو لاختيار طريق أسهل من أجل الكسل وعدم المُبالاة. إن ارتكاب مثل هذه الأخطاء هو مؤشر إن الإنسان لم يتحرّر بعد من الأهواء الشريرة، وإنه لم يتأكد بعد من ممارسة إنكار الذات، إذ هو شغوف بدوافعه الذاتية ولم يتخلّ عن أمور هذا العالم، إذ لا يزال مسيئاً بطلب المكسب والشهرة. لم يُمت أعضاءه التي على الأرض، إذ لا يحتمل التعب في أعماله، بل يُضللّ صموده باهتمامه بحكمه الذاتي، ظاناً إنها أفضل من تقييم الآخرين له... من كان بلا مهارة يلزمه ألا يقوم بعمله بذاته، بل يقبل ما هو مُستحسن بواسطة رؤسائه، فيكون في أمان بطاعته في كل شيء. الآن يظهر أنه ليس من المناسب أن يعتمد الشخص على نفسه، وأيضاً لا يجوز له رفض الخضوع لقرار الآخرين...

أن يتبع الإنسان ما يفضله هو شخصياً، في نظر الرسول هو عمل إنسان لا رجاء له (١ تس ٤ : ١١ - ١٢)، أما أن يطيع في كل شيء فيكون أهلاً للاستحسان، إذ يقول الرسول نفسه عن أشخاص مُعيّنين: "أعطوا أنفسهم أولاً للرب ولنا بمشيئة الله" (٢ كو ٨ : ٥).

بالنسبة للباقيين، يليق بكل أحد أن يُكرّس نفسه لعمله، مُتفرّغاً له في حماسٍ ليمتحنه بلا لوم بغيرة تامة واهتمام ورعاية، كأن الله نفسه هو المُراقب له، حتى يستطيع القول بكل أمانة: "هوذا كما أن عيون العبيد نحو أيدي سادتهم، كما أن عيني الجارية نحو يد سيدتها، هكذا عيوننا نحو الرب إلهاً" (مز ١٢٣ : ٢).

<sup>١</sup> Reg. Fus. 29.



لكن يلزم ألا يقوم إنسان بعمل الآن من نوع مُعَيَّن ثم يقوم بعمل آخر. إننا نعجز بالطبيعة أن نتابع في وقت واحد أعمالاً متنوّعة بنجاح. فإن القيام بعمل واحد بعناية في جديّة أفضل من التعهّد بأعمال كثيرة دون أن تُكَمَّلها. إن تشتيت الفكر بأعمال كثيرة، والعبور من عمل إلى آخر، بجانب ذلك لا تتم بطريقة كاملة، مثل هذا الأسلوب يدل على طياشة الشخصية...

في حالة الضرورة، على كل الأحوال، من له القدرة يمكنه المساعدة في أعمال أخرى بجانب عمله. غير أن هذا أيضًا يستلزم ألا يتم بمزاجه الخاص، إنما فقط إن استدعاه أحد. فإنه يجب علينا أن نلجأ إلى هذه الوسيلة بناء على الطلب كحالة مستعجلة، وليس بمبادرة منا، وذلك كما يحدث مع أعضاء جسدنا، فإننا نستخدم يَدنا عندما تُصَاب رجلنا بالعرج<sup>1</sup>.

❖ سؤال: بأية نزعة يلزمنا أن نطيع ذاك الذي يحثنا على تنفيذ الوصية؟

الإجابة: بنفس النزعة التي لطفلٍ صغيرٍ يغلبه الجوع، فيطيع مرضعته التي تدعوه إلى الشركة من ثدييها؛ أو من ذات النزعة التي بها يبحث كائن بشري لكي يحيا مُطِيعًا لِمَنْ يُقدِّم له ضروريات الحياة. أو بالحري وأكثر من هذا كما أن الحياة الأبدية أثنى من الحياة الحاضرة (يو ١٢: ٥٠).

كما الأكل من الخبز هكذا الوصية، إذ يقول: الرب أيضًا: "طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني" (يو ٤: ٣٤)<sup>2</sup>.

❖ سؤال: هل يمكن للشخص أن يذهب إلى أي مكان دون أن يُخبر الرئيس بذلك؟

الإجابة: إذ يقول الرب: "من نفسي لم آت، بل الذي أرسلني هو حق" (يو ٧: ٢٨؛ ٥: ٣٨؛ ٦: ٣٨). كم يلزم كل واحدٍ منّا ألا يُعطي لنفسه إنثًا، لأن من يسمح لنفسه بذلك، واضح أنه مريض بالكبرياء، ويسقط تحت الحكم الذي يقوله الرب: "المُستعلي عند الناس هو رجس قدام الله" (لو ١٦: ١٥). فإعطاء الشخص لنفسه السماح بالتحرك دون معرفة الرئيس ملوم تمامًا<sup>3</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>1</sup> *Regulae fusius tractatae*, 41

<sup>2</sup> *Regulae brevius tractatae*, 166.

<sup>3</sup> *Regulae brevius tractatae*, 120.

## قبول التأديب والتوبيخ من أجل الشفاء

❖ سؤال: بأية نزعة يلزم للشخص أن يتقبل التأديب؟

الإجابة: بما يليق بابن مريضٍ يجاهد من أجل حياته، يُعالجه أبوه وطبيبه. وإن كانت وسيلة العلاج لابنه مُرة ومؤلمة، يلزمه أن يقتنع تمامًا بمحبة وخبرة من يضع التأديب، وأن يكون هو نفسه راغبًا في الشفاء<sup>١</sup>.

❖ سؤال: من يتجهّم في وجه من يُوبّخه، من أي نوع هو؟

الإجابة: إنه لا يتحقّق من خطورة الخطية، أولاً نحو الله؛ ولا يدرك المكسب الذي يناله من التوبة، وعليه أن يُصدّق القائل: "من أحبه يطلب له التأديب" (أم ١٣ : ٢٤). إنه يجعل من نفسه غريبًا عن المنفعة التي اختبرها القائل: "ليؤدّبني البار بالرحمة ويؤبّخني" (مز ١٤١ : ٣). بالحقيقة مثل هذا يبقى كجرحٍ للأخريين في الجماعة يُضعف المجاهدين<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## عدم إخفاء الخطايا عن الرئيس

مع ما اُتّم به النظام الرهباني الباسيلي من الاهتمام بالنظام في دقة بالغة، واشتراك الجميع في العمل، والالتزام بمساعدة المجتمع بصفة عامة على التقدّم الروحي والاجتماعي والمادي، فإنه لا يُنظر إلى رئيس الدير كحاكم مدينةٍ أو مدير شركةٍ، إنما أولاً وقبل كل شيءٍ هو أب يشتاق إلى خلاص إن أمكن كل البشرية.

بهذا فإن أخطأ راهب لا يتباطأ في الاعتراف أمام رئيس الدير عن خطاياها، فيكون كمن يطرد من أعماقه سمًا قاتلاً يُدمّر خلاصه وأبديته.

وأن أخطأ أخوه الراهب يُصارحه ويحثه على التوبة إلى الله والاعتراف أمام رئيس الدير. فإن رفض ذلك يكون قد فشل في تقديم العلاج اللازم له، لذلك يُبلغ رئيس الدير بالأمر ليس لينتقم منه أو يشهرّ به، إنما لأجل خلاصه وقداسة الجماعة.

فالتهاون مع الخطية ليس فيه محبة أخوية، بل تسرّ قد يدفع الخاطيء إلى هلاكه، وأيضًا تفقد الجماعة قدسيتها.

❖ حسب وصية الرب، يجب أن يعرف الرئيس كل خطية سواء من الخاطيء نفسه، أو بواسطة الذين يدركون خطاه، إن كانوا غير قادرين هم أنفسهم على معالجتها.

<sup>1</sup> *Regulae brevius tractatae*, 158.

<sup>2</sup> *Regulae brevius tractatae*, 159.

كتمان الرذيلة هو جرح متقيح في النفس. فمن يحبس سموماً مُميتة في جسمنا، لا نحسبه فاعل خير، بل بالحري ذاك الذي يسحبها من الجسم بجُرح مؤلم. يلزم قذف المادة السامة بقيتها أو بأية وسيلة أخرى، فيُشار إلى العلاج عندما يُعلن عن الفساد.

بنفس الطريقة واضح تمامًا أن الخطية المُتَكَمِّم عليها تساهم في موت المريض. يقول الكتاب: "شوكة الموت هو الخطية" (١ كو ١٥ : ٥٦)، وأيضًا: "التوبيخ الظاهر خير من الحُب المُستتر" (أم ٢٧ : ٥). لذلك يلزم ألا يتكتم أحد عن خطية لحساب آخر، لئلا يحتل قتل الأخ مكان الحُب الأخوي.

ولا يجوز لأحد أن يخفي خطاياها، إذ يقول الكتاب: "المتراخي في عمله هو أخو المُسرِف" (أم ١٨ : ٩)¹.

❖ سؤال: هل يلزم أن يبوح الشخص بأفكاره للغير (الرئيس أو أب الاعتراف) أم لاقتناعه التام بأن ما يفعله يسر الله، يبقئها في نفسه؟

الإجابة: إذا تفكر في كلمات (اعلان) الرب على لسان النبي: "ويل للحكماء في أعين أنفسهم، والفهماء عند ذواتهم" (إش ٥ : ٢١)، وأيضًا كلمات الرسول: "لأنني مشتاق أن أراكم، لكي أمنحكم هبة روحية لثباتكم، أي لنتعزّي بينكم بالإيمان الذي فينا جميعًا، إيمانكم وإيماني" (رو ١ : ١١-١٢)، نفهم من الوصية أنه من الضروري أن نتشارك مع هؤلاء الذين يُقاسموننا نفس الفكر وثابتين في الإيمان والفهم، لكي ما يصحّحوا لنا أخطاءنا، ويثبتوا ما هو سليم، فنهرب بالتالي من أن نكون حُكماء في أعين أنفسنا².

❖ سئل القديس باسيليوس: "كيف يجب على من عوقب بقانون توبة أن يكون شعوره؟" فأجاب: مثلما يجب أن يفكر ابنٌ مريضٌ وهو في شدة الموت عندما يكون أبوه خبيرًا في الطب، ويريد أن يداويه. وبالرغم من صعوبة العلاج وما فيه من تعبٍ كثيرٍ، ولكون قلبه يثق بمحبة أبيه له وخبرته في الطب، وبسبب رغبته في الشفاء، عليه أن يخضع لعلاجه، ويُمكنه من نفسه حتى يُشفى ويحيا. فالذي يُعاقب بقانون توبة عليه أن يكون شعوره هكذا نحو مُعلّمه³.

القديس باسيليوس الكبير

¹ *Regulae fusius tractatae*, 46.

² *Regulae brevius tractatae*, 227.

³ رهبان بيرية شيهيت: فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسّع)، ج ٢

## طاعة ليس على حساب الوصية الإلهية

إحدى أساسيات النظام الرهباني الباسيلي الطاعة، لذلك كثيرًا ما أشارت إليها كتابات القديس، بالأخص كتاباته النُسكية وقوانينه الرهبانية. غير أن الطاعة تُمارَس في الرب، فلا يخضع أحد لأمر الرئيس إن كان مُخالفًا لوصية إلهية.

١. إن أدرك أحد أن العلاج الذي يُقدِّمه الرئيس مُناقِضًا للوصية يلزمه أن يعترض سرّيًّا، فإن لم يجد استجابة، يعترض علانية.

٢. إن اختلف راهب في رأيه مع الرئيس، وأدرك أن أمر الرئيس لا يمسّ وصية إلهية، يلتزم بالصمت.

٣. إن تشكَّك في الأمر، ولم يستطع أخذ قرار إذ لم يعرف إن كان أمر الرئيس مُخالفًا للوصية أو غير مُخالفٍ، يلجأ إلى آخرين، فإن رأوا أن ما يطلبه الرئيس مُخالفًا للأسفار المقدسة، يكون بهذا قد خَلَص نفسه وإخوته من العصيان لوصية الله.

٤. لا يجوز للراهب أن يُسبِّب مناقشات باطلة خطيرة من جهة قرارات الرئيس ما دام غير متأكد أنها ضد الوصية الإلهية، حتى لا يُسبِّب عثرة للبُسطاء في الإيمان.

٥. يُحذِّرنا القديس من الذين يرغبون في المقاومة والعناد وإثارة مُنازعات دائمة بلا سبب، مثل هؤلاء يُطرَدون من الجماعة.

❖ من لا يستحسن علاجات (روشيئة) الرئيس، يلزمه عرض الأمر، إما علانية أو سرّيًّا، إن كان اعتراضه سليمًا ومُتَّفِقًا مع الأسفار المقدسة. إن لم يكن كذلك، فليلتزم الصمت ويُنفَّذ ما هو مفروض عليه. وإن عانى بنفسه من الارتباك، يلجأ إلى آخرين يمثلون هذا الأمر. فإن كانت النصيحة ضد الأسفار المقدسة، يُخلِّص نفسه وإخوته من الضرر.

على أي الأحوال، إن ثبت له أن السبب سليم، فليتنجَّب المناقشات الطائشة الخطيرة، إذ يقول الرسول: "أما الذي يرتاب، فبأن أكل يُدَان، لأن ذلك ليس من الإيمان" (رو ١٤: ٢٣)، فلا يلقي بشباك المعصية للنفوس البسيطة.

يقول الرب: "من أعرث أحد هؤلاء الصغار (المؤمنين بي)، فخير له أن يُعلَّق في عنقه حجر الرحي، ويُغرق في لُجَّة البحر" (مت ١٨: ٦).

وإن قاوم البعض في عصيان، يُسبِّبون خطايا خفية وليست علنية، مُقدِّمين شكواهم ويسببون مُنازعات في الجماعة. ووضعية لسلطان الوصايا المقدَّمة، فيُطرَدون من الجماعة



كَمُعَلِّمِينَ عَصَاةَ وَمُتَمَرِّدِينَ، إِذْ يَقُولُ الْكِتَابُ: "اطْرُدِ الْمُسْتَهْزِئَ فَيُخْرِجُ (مَعَهُ) الْخَصَامَ"  
(أَم ٢٢ : ١٠). وَأَيْضًا: "اعْزِلُوا الْخَبِيثَ مِنْ بَيْنِكُمْ"، "خَمِيرَةٌ صَغِيرَةٌ تُخَمِّرُ الْعَجِينَ كُلَّهُ"  
(١ كُو ٥ : ١٣، ٦).<sup>١</sup>

❖ بِخُصُوصِ السَّامِعِينَ، فَإِنَّ السَّامِعِينَ الَّذِينَ يَتَعَلَّمُونَ الْأَسْفَارَ الْمُقَدَّسَةَ يَجِبُ أَنْ يَفْحَصُوا مَا يَقُولُهُ  
الْمُعَلِّمُونَ، فَيَقْبَلُونَ مَا يَتَّفِقُ مَعَ الْأَسْفَارِ الْمُقَدَّسَةِ، وَيَرْفُضُونَ مَا يَتَعَارَضُ مَعَهَا، وَالَّذِينَ يُصِرُّونَ  
عَلَى تَعْلِيمِ مِثْلِ هَذِهِ التَّعَالِيمِ يَجِبُ تَجَنُّبُهُمْ تَمَامًا (غَل ١ : ٨).<sup>٢</sup>

❖ يَجِبُ قَبُولُ التَّعْلِيمِ الْخَاصِ بِوَصَايَا الرَّبِّ بِكُونِهَا الْقُوَّةُ لِلتَّمَتُّعِ بِالْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ وَمَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ،  
وَأَيْضًا أَنْ نَضَعَهَا مَوْضِعَ الْعَمَلِ حَسَبَ إِرَادَةِ اللَّهِ، حَتَّى وَإِنْ بَدَتْ مُرْهَقَةً (يُو ٥ : ٢٤).<sup>٣</sup>

القديس باسيليوس الكبير

### عدم فحص أعمال الرئيس بحُبِّ الفضول

يُمَيِّزُ الْقَدِيسُ بَيْنَ مَوْقِفِ شَخْصَيْنِ: أَحَدُهُمَا أَدْرَكَ أَنَّ الرَّئِيسَ قَدَّمَ عِلَاجًا لِشَخْصٍ أَوْ لْجَمَاعَةٍ  
بِمَا يُخَالِفُ الْوَصِيَّةَ الْإِلَهِيَّةَ، أَوْ يَشْكُ أَنْ الْعِلَاجَ أَوْ الْأَمْرَ الَّذِي أَصْدَرَهُ الرَّئِيسُ لَا يَتَنَاقَمُ مَعَ كَلِمَةِ  
اللَّهِ، وَبَيْنَ إِنْسَانٍ يَدْفَعُهُ حُبُّ الْفُضُولِ إِلَى اسْتِقْصَاءِ تَصَرُّفَاتِ الرَّئِيسِ، وَيَشْغَلُ وَقْتَهُ وَفِكْرَهُ فِي النِّقْدِ  
الْهَدَامِ!

الأول قلبه مملوء غيرة على خلاص نفسه وخلاص إخوته، والثاني فكره فارغ يُفْسِدُ وَقْتَهُ فِي  
أَحَادِيثٍ وَتَسْأُولَاتٍ تَكْشِفُ لَيْسَ إِلَّا عَنِ حُبِّ الْفُضُولِ. هَذَا وَيُمَيِّزُ الْقَدِيسُ بَيْنَ مَنْ يَدْفَعُهُ حُبُّ  
الْفُضُولِ إِلَى تَسْأُولَاتٍ غَايَتُهَا الْهَجُومُ عَلَى الرَّئِيسِ، وَبَيْنَ أَشْخَاصٍ حُكَمَاءَ مُقَرَّبِينَ لِلرَّئِيسِ، مَشْغُولِينَ  
بِنُومِ الْجَمَاعَةِ رُوحِيًّا وَتَقْدِيسِهَا.

يطالب القديس الرئيس ألا يستغل مركزه، فيأخذ قراراته بروح الكبرياء والعجرفة، ولا يتبادل  
الرأي مع من حوله بروح الكبرياء والعجرفة، بل يتبادل الرأي مع من حوله بروح التواضع والوداعة.  
أما من جهة الراهب، فيليق به أن يحرص على خلاص نفسه، لا ينشغل بتصرفات  
الآخرين، خاصة الرئيس، بدافع حُبِّ الاستطلاع، إنما يركّز فكره وطاقاته على التزاماته هو في  
جديّة.

<sup>1</sup> *Regulae fusius tractatae*, 47.

<sup>2</sup> *Morals*, Rule 72:1.

<sup>3</sup> *Morals*, Rule 72:5.

إذ يُطالب القديس باسيليوس الكبير عدم انشغال الرهبان بالبحث عن تصرفات الرئيس في شيء من حُب الاستطلاع، يُطالب الأخير بالالتزام بأخذ المشورة والتداول مع الرؤساء بخصوص شئون الرهبان.

وهو في هذا يرجع إلى ابن سيراخ الذي يدعو كل مؤمن ألا يتكَل على فكره الخاص، بل يلتزم بأخذ المشورة. فمن كلماته:

"هيكل الخشب الموصول في بناء لا يتفكك في الزلزلة، كذلك العقل الثابت على مشورة مُتَعَقِّلة، لا يخاف إذا حان الوقت" (سي ٢٢: ١٦).

"أيها الرب أبو حياتي وسيديها، لا تتركني لمشورة شفتي، ولا تدعني أسقط بسببهما" (سي ٢٣: ١).

"صاحب المشورة لا يهمل التفكير، أما الغريب والمتكبر فلا يشعران بالخوف" (سي ٣٢: ١٨). "الخالق وحده) رَبَّ عِظَائِمِ حِكْمَتِهِ، وَهُوَ الْكَائِنُ مِنْذِ الْأَزْلِ وَالِى الْأَبَدِ، وَلَمْ يُضَفْ إِلَيْهِ شَيْءٌ، وَلَمْ يُحَدَفْ مِنْهُ شَيْءٌ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى مَشُورَةِ أَحَدٍ" (سي ٤٢: ٢١).

❖ لكي لا يسقط أحد بسهولة في رذيلة المنازعات بمباحكات، تُسبب انحلاله وانحلال الآخرين، يلزم اتباع القانون التالي في الجماعة بوجه عام:

أولاً، لا يشغل أحد نفسه بكيفية إدارة الرئيس خلال تساؤلات فضولية عما يفعل، باستثناء هؤلاء الذين بسبب درجتهم وفطنتهم يرتبطون بالرئيس عن قرب.

من جانب الرئيس، يلتزم هو أيضاً أن يأخذ مشورة هؤلاء، ويتداول معهم في شئون الجماعة، في طاعة للقائل: "افعلوا كل شيء بمشورة".

بالتأكيد، إن كنا نأتمن نفوسنا لقيادة الرئيس، بكونه مسئولاً أمام الله، فمن حماقة تماماً ألا نثق فيه في الأمور التافهة، وبهذا نمثل بالشكوك غير اللائقة من نحو أخينا، ونفتح الطريق للشك لدى الآخرين أيضاً. فلكي ننتهي من هذا، يلتزم كل أحد أن يقف عند حدود العمل الموكَّل إليه، ويكرس نفسه بالكامل لاهتماماته، ولا ينشغل بأعمال الآخرين نهائياً، وذلك على مثال تلاميذ الرب القديسين، فمع أن أعمال المرأة السامرية كانت تُثير شكوكاً، يخبرنا الكتاب المقدس: "لم يقل أحد: ماذا تطلب؟ أو لماذا تتكلم؟! (يو ٤: ٢٧)".<sup>١</sup>

القديس باسيليوس الكبير

<sup>١</sup> *Regulae fusius tractatae*, 48.

## تعامل الرؤساء معًا

ما يشغل قلب القديس باسيليوس من جهة النظام الرهباني أن يكون نموذجًا حيًا للحياة الكنسية الإنجيلية، دستورها الوصية الإلهية، خاصه الحب والتواضع، لذلك إذ يتحدث عن علاقة رؤساء الأديرة ببعضهم البعض يوضح الآتي:

١. يليق بالرؤساء في علاقتهم ببعض البعض أن يكونوا مثالاً للرهبان فيما بينهم سواء كانوا من نفس الدير أو من أديرة مختلفة، يخضع كل واحد للآخر.

٢. يليق بالرئيس أن يكون مُحبًا للتعلُّم، فيطلب قيادة من هو أفضل منه في المواهب، دون خجل. حُب الإنسان للتعلُّم من إخوته لا يُقلل من كرامته كرئيس.

٣. يشتهي القديس إن أمكن أن توجد جماعة واحدة رهبانية أو للتكريس لأكثر من إبيارشية، لذا يحسب في وجود جماعات كثيرة في إبيارشية واحدة انحراف عن حياة الكنيسة في العصر الرسولي، حيث كان كل شيء بينهم مشتركًا.

٤. في وجود أكثر من جماعة رهبانية، يليق بكل رئيس لجماعة أن يضع نصب عينيه ما هو لبنيان الجماعات الأخرى، ولا يحمل دور الأنانية، مُتجاهلاً هذه الجماعات.

٥. يحرص كل رئيس على عدم الانفصال عن بقية الرؤساء، بل يحسب كأن كل الجماعات يقودها الإشراف المشترك من الرؤساء.

❖ الآن، أية علامة للتواضع أعظم من أن يخضع رؤساء الجماعات الواحد للآخر؟ إن كانوا متساوين من جهة المواهب الروحية، فإن ممارستهم المشتركة للفضيلة تكون أكثر جمالاً. وذلك كما أعطانا الرب نفسه مثالاً بإرساله تلاميذه اثنين اثنين (مر ٦ : ٧). هكذا أيضًا بالنسبة لهؤلاء يريد كل واحد أن يخضع بفرح وبكل القلب للآخر، مُتذكِّراً كلمات الرب: "من يضع نفسه يرتفع" (لو ١٨ : ١٤).

لكن إن فاق أحدهم الآخر في المواهب الروحية، فإنه من الأفضل لمن هو أضعف أن يقوده الأقوى.

مرة أخرى، فإن التزامات المنشآت المنفصلة (أي الأديرة المستقلة ولا تتداول مع بعضها البعض) تُشكّل بالتأكيد عصيانًا واضحًا لوصية الرسول: "لا تنظروا كل واحد إلى ما هو لنفسه، بل كل واحد إلى ما هو لآخرين أيضًا" (أف ٢ : ٤). بالحقيقة أظن أنه من المستحيل حفظ هذه الوصية حيث يوجد انفصال، ما دام كل قسم يهتم على وجه الخصوص برعاية أعضائه، دون الاهتمام بالآخرين، هذا الحال كما قلت يُعارض الوصية الرسولية.

وحيث أن القديسين المذكورين في سفر الأعمال غالبًا ما يشهدون لحفظ هذه الوصية، بالقول: "وكان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة" (أع ٤ : ٣٢). مرة أخرى قيل: "وجميع الذين آمنوا كانوا معًا، وكان عندهم كل شيء مشتركًا" (أع ٢ : ٤٤). واضح جدًا أنه لم يكن لأحد مسكن مُنعزل عن الآخرين، ولم يُمارس أحد منهم حياة مُستقلة، بل كان الكل يقودهم إشراف واحد بعينه، بالرغم من أن عددهم كان خمسة آلاف...

إن أية أسس سليمة يمكن أن تسمح لمن يعيشوا في إيبارشية واحدة الذين عددهم أقل بكثير، أن ينفصلوا عن بعضهم البعض؟ إن أمكن ليس فقط الذين من إيبارشية واحدة يعيشون معًا وأن يبقوا مُتَّحدين هكذا، بل أن كثير من جماعات الإخوة الذين تأسسوا في أماكن مُنفصلة تحكمهم وحدة الروح، ويكون لهم رباط السلام (أف ٤ : ٣)، تحت إشراف مشترك من الرؤساء، الذين يستطيعون بثباتٍ وحكمةٍ أن يهتموا بما يفيد الجميع<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## التزام الرؤساء أن يتبادلوا الرأي فيما بينهم

يلتزم الرؤساء أن يتبادلوا الرأي فيما بينهم بخصوص المشاكل الخاصة بمسئولياتهم.

❖ إنها لحظة حسنة أن يلتقي رؤساء الجماعات معًا في مناسبات بمواعيد مُحدَّدة وأماكن مُعيَّنة. في هذه الاجتماعات، يعرض كل واحدٍ على الآخر الأوضاع المُخالفة للنظام، والحالات التي يصعب التعامل معها، وتفاصيل الإجراءات حتى إذا كان أحدًا منهم جانحًا في أمرٍ ما، يعلن بطريقة موثوق بها بحُكم الجماعة، ويصدِّق على ما يجب عمله بشهادتهم الجماعية<sup>٢</sup>.

❖ سؤال: هل يأخذ الرئيس قراره وحده أم يتَّخذ القرار بالتصويت بين الإخوة؟ وبالمثل بين الأخوات؟

الإجابة: إن كان كل واحدٍ يبتدئ أن يُعلن أفكاره أمام الآخرين، كم بالأكثر يجب أن يُفعل ذلك خلال فطنة أولئك الذين يليق بهم هذا؟... من يقوم بالرئاسة يلزمه في كل طرقة أن يذكر ما يقوله الكتاب المقدس: "افعل كل شيء بمشورة" (راجع سي ٣٢)<sup>٣</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>1</sup> *Regulae fusius tractatae*, 35.

<sup>2</sup> *Regulae fusius tractatae*, 54.

<sup>3</sup> *Regulae brevius tractatae*, 104.



## مشاكل خاصة بالرؤساء

لما كان للرئيس دوره الرئيسي في نجاح نظام الشركة أو فشله، يستعرض القديس باسيليوس ما قد يتعرّض له هذا النظام من جهة رؤساء الأديرة، منها الآتي:

### ١. وجود أكثر من شخصية لها سمات قيادية في ديرٍ واحدٍ أو إيبارشية واحدة

يرى القديس باسيليوس أن هذا الوضع يصعب وجوده عملياً، إذ ليس من السهل أن يوجد القائد الروحي الإداري الناجح كما يتصوّره القديس، فكيف يوجد أكثر من واحدٍ في جماعة ديرية واحدة. لكنه يفترض حدوثه يوماً ما، فماذا يكون التصرف؟ يرى القديس الآتي:

أ. دور الرئيس الحقيقي هو تعزية الإخوة، وتمتّعهم بالسلام الداخلي والفرح الحقيقي، وليس الانهماك في الإداريات، فإذا كان هذا الهدف واضحاً لا توجد مشكلة، بل يتعاون الاثنان أو الثلاثة معاً.

ب. يشعر الرئيس الحقيقي بالحاجة إلى من يعاونه، خاصة في حالة انشغاله، أو غيابه، ولا يُخالجه الشعور بالمنافسة.

ج. ظهور شخصية قيادية تطلب بالحق برّ الله، يدفع جماعة ديرية أخرى أن تطلبه كرئيسٍ وتفرح به.

❖ إن كان النظام السليم يتطلّب وجود رئيس للإخوة بعيد النظر، وخبير في الكلام، حكيم ولطيف، يطلب برّ الله بقلب كاملٍ، ماذا لو وُجدَ عدد من الأشخاص لهم مثل هذه المقدرة في ذات الإيبارشية؟

إن حدث هذا، ووجد اثنان أو ثلاثة، مثل هذا الأمر الذي ليس من السهل وجوده، ولم أعرف أنه حدث قط، فمن الأفضل أن يشتركوا في المسؤولية الواحد مع الآخر، ويُخفّفوا العبء، بحيث في حالة غياب واحدٍ أو آخر، أو انشغاله، وفي ظروف مُعيّنة قد يكون الرئيس غائباً عن الجماعة يقوم الآخر بتعزية الإخوة في غيابه، أو في حالة الضرورة يذهب إلى جماعة أخرى تحتاج إلى من يقودها<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

### ٢. وجود أكثر من جماعة ديرية في إيبارشية واحدة

بعد أن عالج القديس احتمال وجود أكثر من قائدٍ لهم خبرتهم وشخصيتهم القيادية القوية، يُعالج وجود جماعات ديرية في إيبارشية واحدة قد تنافس بعضها البعض.

<sup>١</sup> *Regulae fusius tractatae*, 35.

بسبب وجود جماعات ديرية في إيبارشية واحدة تنافس بعضها البعض، عندما يود شخص أن ينضم إلى إحدى الجماعات الديرية، عرض الاتصال بهم بروح التواضع، يأخذ موقف الديان، يبحث عن رئيس الدير وسماته، وسلوك الرهسان، ليختار الأفضل في نظره. هذا العمل قد يُفقد البصيرة البسيطة.

❖ لكي نبلغ الهدف نضع أمامنا خبرة طرق العالم، فهي تفيدنا جدًا. كما يوجد في العالم من لهم خبرة في التجارة العادية وهم غيورون في منافستهم، فإن نفس الأمر يحدث هنا بطريقة غير ملحوظة بروح المنافسة في أسلوب حياة مثل حياتنا.

يوجد نفس الحال في شئوننا. إذ نبدأ بالمنافسة في عمل الصلاح والغيرة في (تفوق) إبراز الشخص على الآخر، سواء في الكرم مع الزائرين، أو تضاعف عدد أعضاء الجماعة، أو القيام بأية أنشطة من هذا النوع، هؤلاء يسقطون تدريجيًا في مشاجرات. لهذا يُعاني الإخوة الذين يأتون إلى هذه الأديرة من تعبٍ شديدٍ وألمٍ. عوض التمتع بالخلوة الهادئة.

فإن الذين يأتون إليها يرتكبون في اختيارهم الجماعة التي ينضمون إليها، لأنهم يعانون من مشاعر صعبة عند تفضيلهم جماعة عن أخرى، ويستحيل أن يُرضوا المتنافسين معًا، خاصة إن كانوا مُتسرِّعين في أخذ القرار.

لهذا فإن هؤلاء المتنافسين يُسبِّبون متاعب للراغبين في الالتحاق بالحياة في هذه الجماعات. إذ يلزمهم اختيار قادة مُعَيَّنين، وفي اختيار أحدهم يكون هناك رفض للآخرين... يعانون من الأضرار خلال الكبرياء في التفكير، لأنهم عوض أن يطيعوا ما يتعلمونه، يجلسون في وضع القضاة والناقدين للجماعة<sup>1</sup>.

### ٣. الحاجة إلى جماعة ديرية واحدة في إيبارشية واحدة

بعد أن تعرَّض لمشاكل وجود أشخاص موهوبين بروح القيادة في جماعة واحدة، عالج وجود جماعات كثيرة رهبانية في إيبارشية واحدة، فيجد طالب الرهبة نفسه يقف موقف الدارس الناقد بين الجماعات الديرية عوض الانتماء بروح التواضع إلى جماعة رهبانية، أمّا ما هو أخطر من هذا، فهو قيام منافسة شديدة بين جماعات ديرية في إيبارشية واحدة، يُفقد روح التواضع ووحدة الفكر.

يطالب القديس بوجود جماعة ديرية واحدة في الإيبارشية واحدة، حتى لا ينشغل قادة ورهبان كثيرون في تدابير إدارية بسبب كثرة الأديرة، خاصة الخروج من الأديرة لقضاء احتياجاتها. أيضًا وجود أديرة كثيرة في إيبارشية واحدة قد يحمل صورة عدم الوحدة.

<sup>1</sup> *Regulae fusius tractatae*, 35.

❖ في ظل منشآت رهبانية مستقلة، توجد حاجة إلى أشخاص كثيرين يمدُّون الإخوة بضروريات من خارج (الدير)، بينما لو اتحدت هذه المنشآت، فثتاج بالأكثر إلى نصف العدد.

يا لصعوبة وجود إنسان لا يُسبب إهانة لاسم المسيح عندما ينطلق خارج الدير وينشغل بأمرٍ خارج مهنته، هذا أمر معروف لديكم ولا تحتاجون أن أتكلّم معكم عنه.

بجانِب هذا كيف يمكن للذين يبقون مُنفصلين، والذين لا يعيشون في وحدة، ويثيرون شكوكًا ضد أنفسهم، أن يهذبوا الذين يعيشون في حياة شركة، ويلزمهم أن يعيشوا في سلام، إن كان هذا يلزم أن يكون ضروريًا، أو يحثوهم على حفظ الوصايا الأخرى؟

علاوة على هذا نسمع كلمات الرسول لأهل فيلبي: "تَمّموا فرحي حتى تفكروا فكرًا واحدًا، لا شيئًا بتحزبٍ أو بعجبٍ، بل بتواضع، حاسبين بعضكم البعض أفضل من أنفسهم. لا تنظروا كل واحدٍ إلى ما هو لنفسه، بل كل واحدٍ إلى ما هو لآخرين أيضًا" (في ٢: ٢-٤)¹.

القديس باسيليوس الكبير

### سمات مُدبّر احتياجات الإخوة (الروبيّة)

❖ إنه لأمر في غاية الأهمية أن الذين يقومون بتوزيع الاحتياجات داخل الجماعة في كل قسم (من الدير) أن يتَمثلوا بسلوك المذكورين في سفر الأعمال: "كان يُوزع على كل أحدٍ كما يكون له احتياج" (أع ٤: ٣٥). هؤلاء يلزمهم أن يبذلوا كل الجهد أن يكونوا لطفاء وقادرين على الاحتمال من أجل الكل، ولا يتركوا مجالاً للشك في وجود مُحاباة، بل يسلكون في طاعة لوصية الرسول: "لا تعمل شيئًا بمُحاباة" (١ تي ٥: ٢١).

ومن جانب آخر، لا يعملون بروح حُب الخصام، الأمر الذي يدينه الرسول نفسه، بأنه لا يليق بالمسيحيين، قائلًا: "إن كان أحد يُظهر أنه يحب الخصام، فليس لنا نحن عادة مثل هذه، ولا لكنائس الله" (١ كو ١١: ١٦). فإن ثمرة مثل هذا الحُب للخصام أنهم يحرمون من هم محتاجون إلى أمور كثيرة، ويعطون بفيضٍ الذين يحابونهم.

الآن فإن السلوك الأول (حرمان المحتاجين) يشير إلى عداوة نحو الإخوة، والأخير (العطاء لمن يحابونهم) فهو نزعة خاصة بغیضة، إذ تُسبب تمزيقًا للمحبة بين الإخوة، ويحلُّ محلها الشكوك والحسد والنزاع ونفور من العمل.

الذين يقومون بعمل توزيع الاحتياجات الضرورية للجماعة، يلزم أن يتحرّروا تمامًا من نزعة المُحاباة والبغضة... يلزم أن تكون لديهم معرفة بهذه الميول التي في داخلهم، هم والذين يقومون بتقديم خدمات أخرى للجماعة. وفي غيرة يكتشفون أنهم لا يخدمون البشر، بل الرب

¹ *Regulae fusius tractatae*, 35.

نفسه. هذا الذي بصلاحه العظيم بحسب ما يُقدّم للمُكرّسين له من كرامةٍ وتقديرٍ إنما يُقدّم له. وأنه سيرد لهم ذلك بميرات ملكوت السماوات، إذ يقول: "تعالوا يا مُباركي أبي، رثوا الملكوت المُعدّ لكم منذ تأسيس العالم... بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر، فبي فعلتم" (مت ٢٥: ٣٤، ٤٠).

من جانب آخر، يلزمنا أن نضع في ذهننا خطورة الإهمال، مُتذكّرين القائل: "ملعون من يعمل عمل الرب برخاوة" (إر ٤٨: ١٠). هؤلاء ليس فقط يُطردون من الملكوت، وإنما أيضًا ينتظرون حكم الرب الخطير والرهيّب الذي ينطق به بالنسبة لمثل هؤلاء الأشخاص: "اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المُعدّة لإبليس وملائكته" (مت ٢٥: ٤١). لكن إن كان الذين يقدّمون رعاية وخدمة يجدون نفعًا عظيمًا في غيرتهم، ويسقطون تحت حكمٍ عنيفٍ عن إهمالهم، ماذا يلزمهم أن يعملوا عندما يرون الذين يخدمونهم يجاهدون لكي يتأهلوا أن يدعوا إخوة الرب. هذا ما يُعلّمنا به الرب بقوله: "لأن من يصنع مشيئة أبي الذي في السماوات هو أخي وأختي وأمي" (مت ١٢: ٥٠).

ذاك الإنسان بالحق هو في خطر، الذي لا يضع أمامه خلال كل حياته مشيئة الله كهدفٍ له، ففي صحته يظهر عمل المحبة بغيرته لإتمام أعمال الرب، وفي مرضه يُمارس الاحتمال والصبر ببهجة.

الخطر الأول والعظيم أنه بعدم ممارسته لمشيئة الله، يفصل نفسه من الرب، ويقطع نفسه من الشركة مع إخوته. والخطر الثاني أنه يُغامر، فلا يتأهل للمشاركة في البركات المُعدّة للمستحقين لها. هنا أيضًا يلزمنا أن نتذكّر كلمات الرسول: "تطلب أن لا تقبلوا نعمة الله باطلاً" (٢ كو ٦: ١).

والذين دُعوا أن يكونوا إخوة الرب، يلزمهم ألا يقبلوا بروح الاستهتار نعمة الله العظيمة هكذا، وألا يسقطوا من كرامةٍ عظيمةٍ هكذا، خلال الإهمال في ممارسة مشيئة الله، بل بالحري يطيعون الرسول نفسه القائل: "أطلب إليكم أنا الأسير في الرب أن تسلكوا كما يحق للدعوة التي دُعيتم إليها" (أف ٤: ١).<sup>١</sup>

القديس باسيليوس الكبير

<sup>١</sup> *Regulae fusius tractatae*, 34.



## ترك الدير

### لماذا يترك البعض الإخوة (الجماعة الرهبانية أو جماعة المُكْرَسِينَ)؟

يرى القديس باسيليوس أن الذي يتعهد بالانضمام إلى نظام الشركة أو من يرغب في ترك الجماعة لا يحدث جزافاً وبغير مبالاة، لأن كل قرارٍ منهما هو مصيري، يمس كل حياة الشخص ومستقبله.

يرى القديس باسيليوس الكبير أن القرار الخاص بالحياة الرهبانية أو التكريس للرب، هو قرار مصيري، ليس فقط يخص مستقبله هنا على الأرض، وإنما يخص نفسه وأبديته. سواء في رغبته نحو الانضمام لحياة أو أخرى، لأن الخطأ في اختيار ما يُناسب مواهبه وميوله وقدراته قد يُحطّم نفسه ويُسبّب له نوعاً من الكآبة، لذلك في قوانينه المُطوّلة والمختصرة عالج الآتي:

١. اختيار الإنسان للانضمام لحياة الرهبنة.
٢. معرفته للنظام الذي يختاره: هل التوحد أم نظام الشركة أم حياته في المجتمع.
٣. قراره في ترك جماعة أخوية واختيار جماعة شركة أخرى.
٤. قراره في ترك الرهبنة نهائياً.

سبق أن قدّمنا إجاباته في بعض هذه النقاط، وهنا نُقدّم إجابته عن النقطة الأخيرة. إن قرار ترك الشخص جماعة المُكْرَسِينَ أو الرهبان يرجع إلى أحد سببين: الأول مُعاناته من أخطاء الإخوة الذين يعيش بينهم مما يُسبّب له أذية، والثاني هو عدم ثباته لضعف طبيعته وتردده.

❖ بخصوص أولئك الذين ينسحبون من الجماعة.

لا يمكن أن يكون أمراً يحدث بغير مبالاة، سواء بالنسبة للذين يوماً ما يندرون أمام بعضهم البعض أن يعيشوا حياة الشركة ويستمرروا هكذا أو ينسحبوا منها.

كسر الشخص لتعهداته له أحد سببين: إما لضررٍ صدر عن الإخوة الذين يعيشون معاً، أو عدم ثبات الشخص الذي يُغيّر فكره.

١. بالنسبة للذي ينسحب من الإخوة بسبب ضررٍ تكبده، يلزمه ألا يترك هذا الدافع في نفسه، بل يُقدّم دعوى بخصوص ما أصابه، وذلك حسب ما أمرنا به الرب: "إن أخطأ إليك

أخوك، فاذهب وعاتبه بينك وبينه وحدثكما" (مت ١٨ : ١٥) وهكذا. فإن تمَّ الإصلاح الذي يرغبه يريح إخوته، ولا يهين شركتهم.

لكن، إن رأى أنهم يُصِرُّون على الشرِّ، ولا يريدون الإصلاح، يُقدِّم تقريرًا لمن لهم السُّلطة ليحكموا في مثل هذه القضايا، وبعد تقديم الشهادة، فإن لم يتم الإصلاح، ينسحب. بعمله هذا لا يكون قد انسحب عن الإخوة، بل انسحب عن الغرباء، لأن الرب يحسب من يُصِرُّ على الشرِّ كالوثني والعشار (مت ١٨ : ١٧).

٢. أما من كان سبب انسحابه عن مجتمع الإخوة هو تقلُّب طبيعته، فعليه معالجة ضعفه، وإن لم يفعل ذلك فلا تقبله أية أخوية أخرى.

رفض قبوله في أية أخوية يقوم على أساس أنه بتركه الجماعة يُهين اسم ربنا يسوع المسيح وهو أساس وحدتهم.

ومن جانب آخر فإن هذا التصرف يُسبِّب اضطرابًا في ضمائر كل واحدٍ نحو قريبه، ويثير نوعًا من الشكوك المتبادلة بين هذه الجماعات. وكلا الأمرين يُناقض وصية الرب: "إن قَدِّمتَ قربانك إلى المذبح، وهناك تذكرت أن لأخيك شيئًا عليك، فاترك هناك قربانك قُدَّام المذبح، واذهب أولاً اصطَلح مع أخيك، وحينئذٍ تعال وقَدِّم قربانك" (مت ٥ : ٢٣-٢٤)¹.

القديس باسيليوس الكبير

## الرحلات والخدمة خارج الدير

❖ لا تبحث عن سير أهل العالم التي لا تنفع. لا تُحب الأسفار والتجول في القرى والبيوت، بل إهرب منها، لأنها فحاح للنفوس. وإذا أراد أحدٌ أن يُدخلك بيته لنتقته فيك، فليتعلم هذا الإنسان أن يتبع إيمان قائد المائة الذي قال للسيد: "لست مستحقًا أن تدخل تحت سقفي" (مت ٨ : ٨)، فإن إيمانه أفضل من كل شيءٍ ².

القديس باسيليوس الكبير

¹ *Regulae fusius tractatae*, 36. (Anna M. Silvas: *The Asketikon of St. Basil The Great*, Oxford University Press, 2007, p 242-3); *The Fathers of the Church*, the Catholic University of America, Washington D.C., Volume 9.

² رهبان بيرية شيهيت: فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، ج ٢

## حول الحياة الرهبانية

١. العلاقة بالأقرباء.

٢. الرهينة والعطاء.

٣. الرهينة والاهتمام بالمرضى.

٤. الرهينة وإضافة الغريباء.

## العلاقة بالأقرباء

### الانسحاب من الأقرباء

رَكَزَ القديس باسيليوس على وحدة الحب نحو الله ونحو القريب. كما طالب أن يكون للراهب دوره الإيجابي العملي في حياة البشرية. غير أنه يلزمه الانسحاب من الارتباط بالأقرباء جسديًا، كما من الصداقات الخاصة الضارة. إنه يشتهي أن يتَّسع قلب الراهب بالحب نحو كل البشرية، دون محاباة لقريبٍ أو صديقٍ.

١. يمارس الراهب في حياته الموت عن العالم، وإذ ينسحب من العالم، يلزمه أن ينسحب حتى من أقربائه حسب الجسد، حتى لا يرجع قلبه إلى العالم ويرتبط به. ليُعلن عن اشتياقه أن يحيا دومًا مع المسيح المصلوب القائم من الأموات.

٢. انسحابه من أقربائه بالجسد، لا يعني تجاهل خلاصهم، إنما يُصَلِّي من أجلهم أن يصنعوا البرَّ والفضيلة والعبادة النقية.

٣. الالتصاق بهم قد يفتح الباب لإبليس أن يطيب قلب الراهب أن يفرح معهم بما اكتسبوه، وقد يكون نالوه بطرقٍ رديئةٍ، وكان يجب عليه أن يحزن لأجلهم. كما قد يحزن معهم على ما قد خسروه، وقد تكون تلك الخسارة لأجل بنيانهم. وأيضًا قد يصير الراهب عدوًّا لأعدائهم، وصديقًا لأصدقائهم، عوض الاهتمام بخلاصهم.

٤. الالتصاق بهم قد يفتح قلبه لهموم هذا العالم وارتباكاته التي تركها عند خروجه منه. ينبغي على الرئيس ألا يسمح للذين قبلوا في جماعة الإخوة أن يُشَتَّتوا أفكارهم خارجًا.

٥. الالتصاق بهم قد يدفع الراهب أن يعطي أقرباءه بالجسد من موارد الدير ما يسُدُّون به احتياجاتهم.

٦. لم يسمح السيد المسيح لأحد التلاميذ أن يُودَّع أهل بيته، قائلاً: "ليس أحد يضع يده على المحراث، وينظر إلى الوراء يصبح لملكوت الله" (لو ٩: ٦٢). والذي سأله أن يدفن أباه، قال له: "اتبعني، ودع الموتى يدفنون موتائهم" (مت ٨: ٢٢).

٧. إن كان آباء الراهب وإخوته حسب الجسد يعيشون في السيرة الإلهية (أي الرهبنة)، فليعتن بهم كل الإخوة كأباء وأصدقاء للجميع، لأنه كما قال الرب: "لأن من يصنع مشيئة أبي الذي في السماوات، هو أخي وأختي وأمي" (مت ١٢: ٥٠).



٨. يجب ألا يُسمح لقريب أو غريب بالتحدث مع الإخوة ما لم نكن مقتنعين من جهتهم أن حديثهم يدور حول كمال النفوس وتثقيفها.

❖ يجب على الراهب أن يفترق بكل قلبه من أقربائه وأصدقائه المنسوبين إليه في العالم، كافتراق الموتى من الأحياء. لأن الإنسان الذي قد تعرّى من العالم ورفضه وصلّب عنه، جاء إلى وسط جهاد الفضيلة، هو بالحقيقة قد مات عن العالم، ولم يبق له منه أب ولا أخ ولا قريب ولا نسيب.

فإن أراد أبواه أن يقبلوا من السيرة العالمية إلى فضيلة ابنهم، حينئذ يعودون له أقرباء بالحقيقة. إنما لا يبقى لهم عليه رتبة الأبوة، ولكن رتبة الإخوة. لأن أباه الحقيقي وأباهم الأول هو الله أبو الكل، والثاني الذي بعد الله هو الأب الرئيس على هذه الفضيلة الروحانية.

ولأنه قد خلع الإنسان الجسداني، وتغرّب عن مشاركة أهل العالم، فلا يبقى بينه وبينهم وبين الباقين فيه اتصال. والذي يرتبط بمصاحبتهم، ويؤثر كل حين أن يتحدث معهم؛ يُدخل إلى نفسه الأنواع والأشكال التي هم مُتقلّبون فيها. فيمتلئ قلبه من اهتمام العالم دفعة أخرى، ويسقط من الإقامة الحسنة التي هو فيها، ويترك الفكر الروحاني والاهتمام بما يرضي الله، ويعود إلى قيئه ويسكبه على نفسه. وليعلم هذا أنه قد اصطاده إبليس وجرحه بسهامه.

فلنصلّ من أجل أقربائنا بالجسد أن يصنعوا البرّ والفضيلة والعبادة النقية، فهذه الأشياء هي التي ينبغي أن نطلبها لهم، وهي الأصلح لهم أن يفتنوها من جهتنا. فأما أن نهتم بهم فلم يطلق لنا هذا الأمر بالجملة.

لأن المحتال إذا رآنا قد تعرّينا من اهتمام هذا العالم، وسعينا جيداً إلى السماء، يحتال علينا بحيله الكثيرة الأنواع، ويزرع في قلوبنا الاهتمام بأقربائنا الجسدانيين. فنسأل حينئذ عن أحوالهم: هل هم محتاجون أو مستغنون؟ وكم هو مقدار ربحهم أو مقدار خسارتهم؟ وحينئذ يطيب إبليس قلوبنا بأن نفرح معهم بما اكتسبوه، وقد يكون من وجوه رديئة يجب أن نحزن لأجلها. وأن نحزن معهم على ما قد خسروه، وقد يكون في ذلك صلاحهم. ونصير أعداء لأعدائهم؛ مع أننا قد أمرنا ألا نعادي أحداً من الناس؛ وأصدقاء لأصدقائهم وإن كانوا لا يستحقّون، لكونهم أعداء الله، أن يُصادقوا المصادقة الروحانية.

وبالجملة، فإنه يُدخل إلى قلوبنا الأفكار الخبيثة دفعة أخرى؛ وهي هموم هذا العالم التي تركناها عند خروجنا منه، ودخل إلى قلوبنا الأفكار الروحانية بدلاً من تلك. فيصيرنا أصناماً عليها شكل الرهبنة، وليست فيها أنفس تعمل فضائل الرهبنة. حتى أن الواحد قد تتقوى فيه شهوة أقربائه بالجسد حتى يتجرّأ ويأخذ مما للإخوة ويعطي أقرباءه بالجسد ما يسدوا به فاقتهم؛ أعني

الأشياء المخزونة للرجال القديسين الذين أسلموا نفوسهم لله، فهي محرمة لله؛ وكل من يأخذ منها لهم (لأقربائه بالجسد) يكون سارقًا للهيكل وللمقدسات التي لله.

فلنهرب من أصل هذه الشرور كلها، وهو الاهتمام بأقربائنا الجسدانيين، فإن المسيح قد صرف عنا هذه. لأن السيد لم يسمح لأحد تلاميذه أن يُودَّع أهل بيته. والذي أراد أن يمضي ويرتَّب أهل بيته، قال له "ليس أحد يضع يده على المحراث، وينظر إلى الوراء يصلح لملكوت الله" (لو ٩: ٦٢). والذي سأله أن يدفن أباه، قال له: "اتبعني، ودع الموتى يدفنون موتاهم" (مت ٨: ٢٢). هذان سؤالاه أمرًا لائقًا، لكنه لم يترك تلاميذه أن يفترقوا منه البتة، لئلا تميل قلوبهم إلى الأرضيات، وتتخط أفكارهم من السمائيات.

فإن قيل إن النبي قال: "لا تنس أهل بيت نسلك"، وبولس قال: "وإن كان أحد لا يعتني بخاصته، ولا سيما أهل بيته، فقد أنكر الإيمان وهو شر من غير المؤمن" (١ تي ٥: ٨)؛ قلنا: إنما قيل هذا الكلام لأهل هذا العالم الذين يمكنهم أن يكملوا نقص حاجة أقربائهم الفقراء. وبالجملة، فقولهم كان للأحياء في هذا العالم، لا للذين قد ماتوا منهم، فلا نلزم الرهبان بهذه الوصية، لأنهم قد ماتوا من هذا العالم، وتحرروا مما يلزمهم لأهله، ولم يبقَ لهم فيه شيء يخص واحدًا منهم، فيعطيه لقريبه بالجسد ولا لنفسه التي أسلمها لله. وكل الذي لهم قد صار محرماً (مقدسًا) لله، وليس لأحدهم سلطان على شيء منه يعمل به شيئًا للعالم، لا لأقربائه بالجسد، ولا لذاته، ما خلا الإخوة الرهبان الذين قد صاروا نوعًا واحدًا...

ينبغي ألا يسمح الرئيس للذين قُبِلوا في جماعة الإخوة أن يتشبتَّ فكرهم خارجًا. يجب ألا يترك الإخوة يحيون حياة بعيدة عن الإشراف على زعم زيارة أقربائهم. كما ينبغي ألا يسمح لهم بأن يقلقوا من جهة الاهتمام بنوعي أقربائهم حسب الجسد، لأن الكتاب المقدس يمنع منعًا باتًا أن تُقال عبارة: "لي، ولك" في وسط الإخوة. لأنه يقول: "وكان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة، ولم يكن أحد يقول إن شيئًا من أمواله له" (أع ٤: ٣٢).

وهكذا فليكن آباء كل واحد وإخوته حسب الجسد، إن كانوا يعيشون في السيرة الإلهية (أي الحياة الروحية الرهبانية)، فليعتن بهم كل الإخوة كآباء وأصدقاء للجميع، لأنه كما قال الرب: "لأن من يصنع مشيئة أبي الذي في السماوات هو أخي وأختي وأمي" (مت ١٢: ٥٠)...

أما إن كان أقرباؤنا منهمكين في حياة هذا العالم، فإننا نحن الذين قرَّرنا أن نحيا حياة إلهية منتظرين الرب بدون تشبت في الفكر، لا يكون لنا (حينئذ) شيء نفعله معهم. لأنه بالإضافة إلى

حقيقة كوننا لا نستطيع أن ننفهم في شيء، فإننا بذلك نملاً حياتنا بالشغب والاضطرابات ونجلب على أنفسنا أسباباً للخطية. ويتبع هذا بالأكثر أنه يجب علينا ألا نستقبل أولئك الذين يحتقرون وصايا الله، ولا يُبالون بالعمل الإلهي عندما يأتون لزيارة أصدقائهم القدامى، لأنهم لا يحبون الرب الذي قال: "الذي لا يحبني، لا يحفظ كلامي" (يو ١٤ : ٢٤). وقيل: "أية خلطة للبر والإثم؟... وأي نصيب للمؤمن مع غير المؤمن؟" (٢ كو ٦ : ١٤-١٥)

من الواجب التشديد جداً أن يكافح بكل وسيلة ليُزال من أمام الذين يمارسون الفضيلة كل أسباب الخطية، وأشدّها هو تذكّار حياتهم السابقة، لئلا يكون من نصيبهم قول الكتاب "فرجعوا بقلوبهم إلى مصر" (عد ١٤ : ٤)، وهذا يحدث عادة عندما تكون هناك محادثات مستمرة مع أقربائهم حسب الجسد.

ونقول على وجه الإجمال إنه يجب علينا ألا نسمح لقريبٍ أو غريبٍ بالتحدّث مع الإخوة، ما لم نكن مقتنعين من جهتهم أن حديثهم يدور حول كمال النفوس وتنقيتها<sup>١</sup>.

❖ ينبغي على الإنسان أن يتبع الله بالحقيقة، ليحلّه من رباط هذا العالم، ولا يدع قلبه مرتبطاً بشيءٍ منه. هذا نستطيع أن ندركه إذا ما ابتعدنا بالكمال من عاداتنا الأولى ونسيناها. وهذا لا يتم لنا إذا لم نفصل من أقربائنا بالجسد، ونكون كمن انتقل إلى عالمٍ آخر بقلوبنا. كما قال الرسول: "إن مدينتنا نحن في السماوات" (في ٣ : ٢٠). ويقول ربنا: "كل واحدٍ منكم، إن لم يترك جميع ما له لا يقدر أن يكون لي تلميذاً" (لو ١٤ : ٣٣)<sup>٢</sup>.

❖ سؤال: حيث كتب: "فدية نفس رجلٍ غناه" (أم ١٣ : ٨)، ماذا نفعل إن كنا لا نوزعها لأجل فدية نفوسنا؟

الإجابة: إن كنا بالحق نريد ذلك وكان هذا غير ممكنٍ، فلنتذكّر إجابة الرب لبطرس الذي اضطرب من أجل هذا الأمر، قائلاً: "ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك، فماذا يكون لنا؟" (مت ١٩ : ٢٧). أجابه الرب: "كل من ترك بيوتاً أو إخوة أو أخوات أو أباً أو أمّاً أو امرأة أو أولاداً أو حقولاً من أجل اسمي، يأخذ مئة ضعف ويرث الحياة الأبدية" (مت ١٩ : ٢٩؛ لو ١٨ : ٢٩)<sup>٣</sup>.

راجع دير السريان: القديس باسيليوس، ٢٠٠٣، ص ٣١٠ - ٣١٦

راجع دير السريان: القديس باسيليوس، ٢٠٠٣، ص ١٠٦

<sup>3</sup> *Regulae brevius tractatae*, 89.



❖ سؤال: كيف ينبغي أن يكون سلوكنا اللائق نحو أقاربنا<sup>١</sup> حسب الجسد؟

الإجابة: يجب على الرئيس ألا يسمح لهؤلاء الذين تم قبولهم نهائيًا في الشركة (الرهبانية) أن يرتبكوا بأي شكل من الأشكال عن طريق السماح لهم بمغادرة الشركة مع إختوتهم ويعيشوا في مسكنٍ خاصٍ بحجة زيارة أقاربهم أو يُثقلوا بمسئولية رعاية أقاربهم حسب الجسد.

يحظر الكتاب المقدس بالكلية من التلَفُظ بكلمات "لي" و"لك" بين الإخوة، قائلاً: "وكان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة، ولم يكن أحد يقول إن شيئاً من أمواله له، بل كان عندهم كل شيء مشتركاً" (أع ٤ : ٣٢).

فإذا كان لأخ في الشركة آباء وإخوة (حسب الجسد) يعيشون حسب التقوى، يجب أن يعاملوا من كل الإخوة كأباء أو أقارب للكل، فالرب يقول: "لأن من يصنع مشيئة أبي الذي في السماوات هو أخي وأختي وأمي" (مت ١٢ : ٥٠).

ففي رأينا إن مهمة رعاية هؤلاء الأشخاص (الأقارب) تؤول إلى رئيس المجمع، فإذا كان أقاربنا وقعوا في شرك الاهتمامات المعتادة للحياة الدنيوية، علينا نحن الذين نعتزم على كل ما هو لائق وكل ما يعطينا قوة للحضور عند الرب بلا عائق (١ كو ٧ : ٣٥)، ألا يكون لدينا باعث بيننا وبينهم. بالإضافة إلى كوننا لسنا نساعدهم، بل نملاً حياتنا بالارتباك والقلق ونُوجد فرصة للخطية.

علاوة على ذلك، فإنه ليس من اللائق أن نستقبل هؤلاء (الدنيويين) بين أقاربنا السابقين (قبل الرهبة) الذين يأتون للزيارة، لاسيما إن كانوا يحملون الوصايا باستخفافٍ مع الازدراء بأعمال التقوى، لأنهم لا يُجِبُّون الرب الذي قال: "الذي لا يحبني لا يحفظ كلامي." (يو ١٤ : ٢٤)، "لأنه أية خلطة للبر والإثم؟ وأية شركة للنور مع الظلمة؟" (٢ كو ٦ : ١٤).

إلى جانب هذا، يجب بذل أقصى الجهد لإزالة فرص الخطية تمامًا من أولئك الذين ما زالوا في مدرسة تدريب الفضائل، أول هذه الأسباب هو تذكر حياتهم السابقة في العالم، حتى لا يمكن أن يعودوا إلى مصر بقلوبهم (عدد ١٤ : ٤).

هذا ما يحدث كثيرًا خلال المحادثات المطولة مع أقاربهم بالجسد، وبصفة عامة ينبغي ألا يُسمح لهؤلاء الأقارب أو أي علماني آخر لإجراء محادثات مع الإخوة إلا إذا كنا على يقين من أن حديثهما سيجلب التهذيب والكمال للروح.

<sup>١</sup> الكلمة اليونانية *oikeious* تعني كلاً من العائلة والاصدقاء المقربين الذين غير مرتبطين بقرابة الدم.



ومع ذلك، فإنه إذا كان من الضروري إجراء حوار مع أولئك الذين تم قبولهم (في الرهينة)، ينبغي أن يتم ذلك من قبل أولئك الذين لديهم موهبة التكلم، وذلك لأن لديهم القدرة على التحدث مع الفهم والاستماع بالطريقة التي تثبت إيمانهم.

فالرسول (بولس) يُعَلِّمُ بشكلٍ واضحٍ أن تلك القدرة في الحديث لا يملكها الجميع، ولكنها موهبة ممنوحة للبعض، قائلاً: "فإنه لواحدٍ يُعطَى بالروح كلام حكمة، ولآخر كلام علم بحسب الروح الواحد" (١ كو ١٢ : ٨)، وفي موضع آخر يقول: "ملازمًا للكلمة الصادقة التي بحسب التعليم، لكي يكون قادرًا أن يعظ بالتعليم الصحيح ويؤبِّخ المناقضين" (تي ١ : ٩)<sup>١</sup>.

❖ كيف نتطَّع إلى هؤلاء الذين كانوا سابقًا رفقاءنا وأقاربنا عندما يقومون بزيارتنا؟

كما أرانا الرب وعَلَّمنا عندما قالت له الجموع: "أمك وإخوتك واقفون خارجًا، يريدون أن يروك" (لو ٨ : ٢٠؛ مت ١٢ : ٤٧). فرَدَّ عليهم مُؤبِّخًا، قائلاً: "من هي أمي ومن هم إخوتي؟ ... ها أمي وإخوتي. لأن من يصنع مشيئة أبي الذي في السماوات، هو أخي وأختي وأمي" (مت ١٢ : ٤٨، ٥٠)<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

ما هو موقف الراهب من أقربائه حسب الجسد؟

❖ إن كانت المحبة ثابتة هكذا (بمساواة بين جميع الناس)، فلا تظهر محبة القريب بالجسد ولو كان القريب أبًا أو ابنًا أو أخًا. والذي يغلبه الطبع في هذا الأمر، يجلب على نفسه لومًا، لأنه لم يكن حريصًا في أمور الطبيعة بالكمال، بل هي بعد متملكة عليه بالأفكار الجسدانية<sup>٣</sup>.

❖ سؤال: إن رغب أقرباء (أو أصدقاء) أشخاص ممن انضموا إلى الجماعة أن يُقدِّموا لهم شيئًا، فهل نقبله؟

الإجابة: تقوم المسؤولية والقرار في هذا الشأن من الرئيس.

على أي الأحوال، في نظري أنه إن رُفِضَ هذا، فإنه يُسبَّبُ إزعاجًا أقل للكثيرين، بينما رفضه يكون لبنيان الإيمان. فإن قُبِلَ، أولاً قد يُسبَّبُ نقدًا لحياة الشركة. ثانيًا قد يُعطي عذرًا لأقرباء الذين قدَّموا هذه العطية أن يتشامخوا بالإضافة إلى ذلك نسمع ما يقوله الرسول بخصوص الذين يأكلون ويشربون من زادهم في الاجتماع العام: "تُخجلون الذين ليس لهم" (١ كو ١١ : ٢٢). يوجد الكثير من مثل هذا القول.

<sup>١</sup> ترجمة المهندس مينا ميخائيل. *Regulae fusius tractatae*, 32.

<sup>٢</sup> *Regulae brevius tractatae*, 188.

<sup>٣</sup> راجع دير السريان: القديس باسيليوس، ٢٠٠٣، ص ٨٩

يبيحث هذا العمل أعتذاراً للخطية، لهذا من الصالح عدم قبول مثل هذه العطايا، مع ذلك يُترك للرئيس أن يُقيّم الأمر من الذين تُقبل عطاياهم، وكيف تُوزع<sup>١</sup>.

❖ سؤال: هل يلزم أن يُقبل (الراهب) أي شيء من أقاربه في الجسد؟!

يجب أن يُقدّم الأقباء إلى كل القادمين إلى المسيح كل ما يلزمهم بلا مُقابل، وذلك حتى لا يحكم عليهم بتدنيس المقدسات. إلا أن توزيع هذه الأعمال (أي تقديم الدعم الأخوي) على مرأى ومسمع من أولئك الذين يرونها، عادة ما يكون سبباً للتعاظم والافتخار، الأمر الذي قد يؤدي إلى مرارة للإخوة الآخرين الذين انضموا إلى نفس الطريق وهم فقراء.

هذا ما حدث وقد أشار الرسول بولس إلى هذا، قائلاً لأهل كورنثوس: "تُخجلون الذين ليس لهم" (١ كو ١١: ٢٢).

بناءً عليه، لو كان الأخ الذي عُهدت إليه مسئولية الكنائس في هذا الموضع أميناً وقادراً على الإدارة الحكيمة، فليقم بتلك المسئولية، مقتدياً بالإخوة المذكورين في سفر الأعمال، من توزيع أثمان المبيعات التي كانت تُقدّم من أصحاب الحقول أو البيوت وتوضع عند أرجل الرسل (أع ٤: ٣٥). لكن هذه المسئولية ليست واجبة على كل واحدٍ أن يقوم بها، وإنما فقط على المُعينين لهذا العمل بعد اختبارهم، المناسب أن تلك المسئولية يمكن أن يقوم بها من اعتمدوا للخدمة أمام الجميع، وبالتالي يستطيع المسئول أن يقوم، بحسب تقديره، بإدارة تلك الأمور<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

ماذا لو طلبوا منا استضافتنا في بيوتهم؟

❖ سؤال: ماذا لو أراد هؤلاء (الأقباء) استضافتنا في بيوتهم؟ هل ينبغي أن نُسايرهم؟

إن كانت الزيارة حقاً لبنيان الإيمان، ليُرسل شخص مُتمكّن (يفهم أمور العقيدة) بعدما يحصل على إذن من الرئيس. أما لو كانت الزيارة لمُجرد الإشباع الإنساني، فلنسمع كيف أجاب الرب الشخص الذي أراد أن يتبعه بعدما يودع الذين في بيته، قائلاً: "ليس أحد يضع يده على المحراث وينظر إلى الوراء، يصلح لملكوت السماوات" (لو ٩: ٦١-٦٢). إذا كانت هذه هي تكلفة التبعية (للمسيح) لشخصٍ أراد أن يودّع أسرته مرّة واحدة لا تتكرّر، فماذا نقول في هذه الحالة (حيث نقوم بزيارة الأقباء)؟!<sup>٣</sup>

القديس باسيليوس الكبير

<sup>1</sup> *Regulae brevius tractatae*, 304.

<sup>2</sup> *Regulae brevius tractatae*, 187.

<sup>3</sup> *Regulae brevius tractatae*, 189.

❖ هل ينبغي أن نتحنَّن على إخوتنا في الجسد ممن نرغب جدًّا في خلاصهم؟

الإنسان الذي وُلِدَ من الروح طبقًا لصوت الرب (يو ٣ : ٨)، ونال سلطانًا أن يصير ابنًا لله (يو ١ : ١٢)، يخجل من قرابة الجسد، ويحسب أقاربه هم الذين من "أهل الإيمان" (غل ٦ : ١٠)، كما يشهد الرب عندما قال: "أمي وإخوتي هم الذين يسمعون كلمة الله ويعملون بها" (لو ٨ : ٢١). إذن ليتحنَّن على كل المُبتعدِين عن الرب وأقاربه حسب الجسد أيضًا، مثل الباقين تمامًا.

الآن إن كان أحد معتزًا بتعلُّقه الشديد بأقاربه في الجسد، كما قاسمه الرسول بولس نفس الشعور، عندما قال: "فإني كنت أود لو أكون أنا نفسي محرومًا من المسيح لأجل إخوتي أنسبائي حسب الجسد" (رو ٩ : ٣)، فليتعلم من الرسول الذي فخره في إسرائيل ومعاملات الله مع شعبه، وليس فقط من أنسبائه حسب الجسد أو لمُجرَّد أنه ينتمي لشعب إسرائيل، بل أيضًا لأن الرب خصهم بذلك ومنافعٍ عظيمةٍ هكذا. فيقول الرسول: "الذين هم إسرائيليون، ولهم التبني والمجد والعهود والإشتراع والعبادة والمواعيد، ولهم الآباء، ومنهم المسيح حسب الجسد" (رو ٩ : ٤ - ٥). لقد وضع الرسول اهتمامًا كبيرًا لقيمة خلاصهم، ولم ينظر إلى القرابة لشعب إسرائيل وإنما إلى تجسد الرب لصالحهم، الذي قال عنه: "لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة" (مت ١٥ : ٢٤).<sup>١</sup>

القديس باسيليوس الكبير



<sup>1</sup> *Regulae brevius tractatae*, 190.

## الرهينة والعطاء

### الرهينة والعطاء

الرهينة دعوة للفقير الاختياري، كي يصير السيد المسيح نفسه هو كنز الراهب ومقتنياته. غير أن هذا الفقر لا يعني كسله عن العمل، أو تجاهله لأخيه الفقير. فالراهب يلتزم بالعمل من أجل بنيانه الروحي، ولتقديم محبة لأخيه المحتاج.

كثيراً ما يشتكي القديس من رفاهية الأغنياء وعدم مبالاتهم بالفقراء، في نفس الوقت يطلب من الدير أن يعالج هذا التقصير من جانب حتى بعض أراخنة الشعب.

كان القديس كأسقفٍ عجبياً في اهتمامه بالفقراء، حتى دعاه القديس غريغوريوس "يوسف الثاني".<sup>١</sup> لم يقف الأمر عند العطاء لمادي للفقراء، إنما صار الدير ملجأ لكل مُتَعَبٍ ومُتَأَلِّمٍ. فكان البعض يلجأون إلى القديس باسيليوس للتدخل بسبب المبالغة في الضرائب المفروضة عليه، وكان العبيد يلجأون إليه للتدخل لدى سادتهم.

❖ سؤال: حيث يقول الرب، "بل أعطوا ما عندكم صدقة، فهذا كل شيء يكون نقياً لكم"

(لو ١١ : ٤١)، هل يجد الشخص تنقية لكل الخطايا، أيًا كانت خلال الصدقة؟

الإجابة: يتم شرح هذا السؤال بالفقرة السابقة لها. إذ قيل: "تُتَّقُونَ خارج الكأس والقَصْعَةَ، وأما باطنكم فمملوء اختطافاً وخبثاً" (لو ١١ : ٣٩)، وعندئذ قيل: "بل أعطوا ما عندكم صدقة، فهذا كل شيء يكون نقياً لكم". إذن فهي تخص كل تلك الطرق الخاص بالخطية المرتبطة بالاختطاف والطمع. في الواقع يُرَضَّح زكا هذا، عندما قال: "ها أنا يا رب أعطي نصف أموالى للمساكين، وإن كنت قد وشيت بأحدٍ أَرُدُّ أربعة أضعاف" (لو ١٩ : ٨). وفقاً لذلك، عندما يكون من الممكن التوقف عن خطايا من هذا النوع وتقديم تعويض مضاعف، يتم تنقيتهم بهذه الطريقة.

بالقول "بهذه الطريقة" لا أعني أن هذا كافي للحصول على التنقية، بالأحرى هناك حاجة لرحمة الله مقدماً، وإلى دم المسيح الذي به يكون الفداء من كل الخطايا الأخرى أيضاً، عندئذ في كل حالة تتحقق الثمار التي تليق بالتوبة.<sup>٢</sup>

القديس باسيليوس الكبير

<sup>1</sup> Oration 43:36.

<sup>2</sup> Regulae brevius tractatae, 271.



## فحص حالات الفقراء

كان يُعَيَّن في الدير الأخ الذي يقوم بالتوزيع على المحتاجين، يقوم بدراسة وفحص حالة كل محتاج بدقة. وإذا يأخذ قرارًا لا يعارضه أحد، وإلا تعرّض للعقوبة<sup>١</sup>.

يقول القديس باسيليوس: أن أموال الدير وإمكانياته هي أمانة، فلا تُوزَّع بدون حكمة. سجّل أحد الأصدقاء في رسالة أن هذا الأسقف التقى للغاية نطق بالآتي:

[توجد حاجة إلى خبرة للتمييز بين الحالات التي فيها الاحتياج حقيقي وبين الذين يتسولون لمجرد الطمع. لأن من يعطي لمن هو متألّم، إنما يعطي للرب، ومنه ينال مكافأته. أما من يعطي كل متشردٍ، إنما يلقي بالعطية لكلبٍ. إنه يُسبَّب إزعاجًا بسبب لجاجته، لكنه لا يستحق الشفقة لادعائه الفقر<sup>٢</sup>.]

## مسئولية أمين المخزن والعطاء

❖ سؤال: هل يلزم أن نعطي مما في المخزن العام (للرهبان) المحتاجين في الخارج؟

الإجابة: لا تُوجد ضرورة أن يؤخذ ما هو معيّن للمُكرَّسين لله، ويُوزَّع بغير تمييزٍ.

ولكن إن كان ممكنًا أن يفعل حسبما قيل للمرأة التي مُدِّحت من أجل إيمانها (مت ١٤:

٢٧)... يُتْرَك القرار للوكيل بهذا العمل بالتفاوض مع المُتقدِّمين. حتى خلال الفيض الذي لنا

نعطي، كما هو مكتوب أن الشمس تُشرق على الأشرار والصالحين (مت ٥: ٤٥)<sup>٣</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>1</sup> Reg. Brev., 100.

<sup>2</sup> Letter 150

<sup>3</sup> Regulae brevius tractatae, 302.

## الرهبنة والاهتمام بالمرضى

### الطب والأدوية

بجانب اهتمام القديس باسيليوس بالفقراء، اهتم بالمرضى بوجه خاص. ولعل معاناته من المرض منذ طفولته المبكرة إلى يوم رحيله، دفعه لمشاركة المرضى الأهم. في شبابه اهتم بدراسة علم الطب، لكي يستطيع الاهتمام بالمرضى على أساس علمي بجانب الإيمان بالسيد المسيح أنه طبيب النفوس والأرواح، وقد سجّل لنا حديثاً مطوّلاً عن الطب والأدوية.

١. ربط في قوانينه المطوّلة (قانون ٥٥)، وقوانينه المختصرة (قانون ١٤٠) بين استخدام الأدوية وممارسة الحياة التقوية الإيمانية. إذ يليق بنا مع استخدام الأدوية أن نشكر الله الذي خلق النباتات التي تُستخرج منها الأدوية، كما لا نعتمد على الأدوية وحدها. خلق الله الأعشاب التي تُستخرج منها الأدوية، وهو واهب الشفاء. ويُطالبنا أن نستخدم علم الصيدلة (الأدوية).

٢. كان السيد المسيح يهب الشفاء أحياناً بدون استخدام أية وسائط، يأمر المرض فيزول، وتارة يستخدم وسائط، مثل استخدام الدلين ليهب الأعمى البصر.

٣. سمح الله للرسول بولس أن يمرض لئلا يظن في نفسه أنه أعظم من إنسان، فيسقط في الكبرياء.

٤. اهتمام الكنيسة بالمرضى (إقامة مستشفيات) كان يسبق نشاط القديس باسيليوس في هذا المجال. فعندما أراد يوليانوس الجاحد أن يحيي الوثنية بعد دمارها، اقتدى بالجليليين المعاندين، في نظره، ببناء العديد من المستشفيات<sup>١</sup>.

نعرف عن أوستاثيوس *Eustathius* أنه كان قد أنشأ مستشفى تحت رعاية *Aerius* المتوحد المشهور<sup>٢</sup>.

يروى لنا التاريخ عن إنشاء القديس باسيليوس مستشفى لشعبه في قيصرية، يصفها القديس غريغوريوس "المدينة الجديدة"<sup>٣</sup>. ويتحدث المؤرخ سوزومين<sup>٤</sup> عن مؤسسة القديس باسيليوس لخدمة المحتاجين والمرضى والعجزة ... الخ، ودعاها باسيلياس *Basileias*.

<sup>1</sup> Cf. Sozomen: *Ecc. Hist.* 5:17; *Julian Letter* 49.

<sup>2</sup> *Epiphanius: Adv. Haer.* 75.

<sup>3</sup> *Oration* 43:63.

<sup>4</sup> Cf. Sozomen: *Ecc. Hist.* 7:34.

يذكر القديس غريغوريوس في مقاله عن القديس باسيليوس أن القديس كان يفتقد المستشفى باستمرار، وأن من بين نزلاتها بعض المرضى المُصابين بالبرص. كان بعض الرهبان يخدمون في المستشفى، ويبدو أنه وُجِدَت عدة مستشفيات أخرى في إيبارشيتة، يُشرف عليها خوري إسكوبوس<sup>١</sup>.  
جاء في القوانين المختصرة أن بعض الرهبان تساءلوا إن صدر إليهم أمر أن يتعاملوا مع المرضى كمن هم إخوة الرب، فماذا يفعلون إن كان أحدهم (الرهبان) لا يفعل ذلك. جاءت إجابة القديس باختصار: [يجب أن ينصحه الرئيس، فإن قاوم بسلوكه الشرير، يُستبعد من المستشفى<sup>٢</sup>].  
مع اهتمام الرهبان بخدمة الفقراء والمرضى، يلزم القيام بخدمتهم روحياً. فإن الراهب الذي تحرّر من ارتباكات العالم يتأهّل للعمل الرسولي بين من يخدمهم. كان العمل الاجتماعي - إن صح التعبير - يحمل فكرًا إنجيليًا كرازيًا خلال الحب والحنو.  
كانت بصمات الإنجيل واضحة في كل خدمات الأديرة سواء في تعليم الأطفال، أو استضافة الغرباء، أو رعاية الفقراء أو خدمة المرضى.

#### ❖ سؤال: بأيّة نزعة يلزمنا أن نخدم الإخوة المرضى؟

الإجابة: نُقدّم خدمتنا للرب نفسه القائل: "بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر، فبي فعلتم" (مت ٢٥ : ٤٠). غير أن هذا يساعدنا أن نحفظ النزعة في خدمتنا للذين نرعاهم والمستحقين للخدمات التي يجب أن تُرد لهم. لذلك فإن الذين يرأسون يلزمهم أن يهتموا بالذين يخدمونهم ألا يستعبدوا أنفسهم للمعدة والملذات كمُحبّين للجسد.  
من هم مُحبُّو الله ومُحبُّو يسوع المسيح، يتكلمون خلال الصبر في خدمتهم لإخوتهم، ويفتخرون بالرب، وينتهرون إبليس كما فعل أيوب البار<sup>٣</sup>.

#### ❖ سؤال: هل نقوم بالافتقاد (للمرضى والمحتاجين)، إن طلب منا ذلك؟

الإجابة: القيام بالافتقاد يُسر الله، على أن من يفتقد يلزمه أن يصغي بحكمة ويكون وقورًا في إجاباته، مُتمّمًا القول: "ليكن كلامكم كل حين بنعمة، مُصلحًا بملح، لتعلموا كيف يجب أن تُجاوبوا كل واحدٍ" (كو ٤ : ٦). أما أن تقوم بزيارات من أجل علاقات أسرية أو صداقة، فهذا غريب عن عملنا<sup>٤</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>١</sup> Oration 43.

<sup>٢</sup> Regulae brevius tractatae, 155.

<sup>٣</sup> Regulae brevius tractatae, 160.

<sup>٤</sup> Regulae brevius tractatae, 311.

## الرهينة وإضافة الغرباء

### الحب وإضافة الغرباء

في كل أنظمة الرهينة ما يشغل الراهب هو أن يجد المناخ المناسب للتمتع بالتأمل في الله، وانطلاق قلبه نحو السماويات، بعيداً عن الارتباك بأمور الحياة. مع ذلك نجد القديس باسيليوس يتحدث بشيء من الاستفاضة عن إضافة الغرباء، والإحسان نحو الفقراء والاهتمام بالمحتاجين، وذلك للاعتبارات التالية:

١. ممارسة إضافة الغرباء وصية يُقرّها الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد.
٢. إن كان الراهب يضع في اعتباره نموه الروحي وحياته الداخلية، غير أنه من الطبيعي أنه يأتي زوار إلى الأديرة، وحتى إلى الرهبان بصفتهم الشخصية من وقت إلى آخر، ويتوقعون حسن الضيافة.
٣. يدعونا الكتاب المقدس إلى استضافة الغرباء دون مبالغة، ودون ارتباك في حياتنا. فالسيد المسيح استضاف الجموع بخمس خبزات من الشعير وليس من القمح، وسمكتين. وعندما طلبت مرثا من السيد المسيح أن يطلب من أختها مريم أن تساعد في عمل الضيافة، أوضح لها ضرورة عدم الارتباك بالمبالغة في هذا العمل، وأن مريم اختارت النصيب الصالح الذي لن يُنزع منها.
٤. وضع القديس أساسيات لاستضافة الغرباء باعتدال في غير تجاهل للضيوف، كما في غير مبالغة في الاستضافة، لأنه كان يود أن يُقدّم صورة حيّة وشهادة مسيحية لسُمة الأديرة. فلا يريد أن يتعثر أحد من الزائرين، ويظن أن الرهبان يعيشون في رفاهة<sup>١</sup>.
٥. عمل الضيافة من شأن الجماعة، وليس الرهبان كأفراد، لذلك كان رئيس الدير أو من يُقيمه لهذا العمل يهتم بالضيافة، وغالبًا ما يلتقي بالزائرين شخصيًا<sup>٢</sup>.
٦. وصول زائر إلى الدير يجب ألا يُسبب ارتباكًا لنظام الدير ونظام العبادة فيه، إلا في حالة الضرورة القصوى<sup>٣</sup>.

<sup>١</sup> *Regulae fusius tractatae (Long Rules)*, 20:1-2.

<sup>٢</sup> Cf. E.F. Morison: *St. Basil and his Rule*, p. 131.

<sup>٣</sup> *Regulae brevius tractatae*, 313.



٧. جميع الزائرين سواء كانوا رهبانًا أو من الشعب يُدعون للشركة في صلوات الجماعة. تحمل استضافة الزائرين فهمًا كرازيًا وشهادة للحياة مع المسيح، وكأن الدير يدعو الزائر: "تعال وانظر". ما يهدف إليه الدير في استضافته الزائرين، أن يصيروا "أصدقاء الله"<sup>١</sup>.

## خدمة مائدة الضيوف

مع تركيز القديس على الجانب الروحي، وعدم الاستعداد للحرف القاتل، يهتم بالنظام والتدبير الحكيم. لهذا وضع بعض المبادئ لتنظيم مائدة الضيوف، منها الآتي:

١. مع وجود وصية خاصة بالكرم والعطاء واستضافة الغرباء، فإن أطاع الإنسان الوصية بغية محبة المجد الباطل، وإرضاء الناس، يفقد مكافأة الطاعة للوصية.

٢. لا نخجل من أن نُقدّم مما لدينا، ولو كان قليل القليل، فإننا لا نخجل من الفقر من أجل الله، فلا نُقدّم ما هو ليس في طاقتنا وإمكانياتنا.

٣. عدم البهرجة، فلا نستخدم أنية فضيئة في تقديم الطعام للضيوف.

٤. لا يكسر الراهب قانونه ومبادئه، فيهتم بتقديم أنواع كثيرة من الطعام للضيوف. فإننا بهذا نصير مثلاً للضيوف في عدم النهم والانشغال باللذة. هذا ومن جانب آخر، فإن تقديم الكثير من أنواع الطعام يحمل معنى أننا نحكم على الضيوف أنهم نهمون.

❖ يليق بالمسيحي أن يقوم بواجب الضيافة لإخوته في بساطة وتواضع (يو ٦: ٨ - ١١)<sup>٢</sup>.

❖ (بخصوص) القانون المُتَّبَع في خدمة الطعام للضيوف.

تحت كل الظروف ممنوع تمامًا، بالنسبة للمسيحيين، محبة المجد الباطل والرغبة في إرضاء الناس والعمل لأجل الظهور، فإنه حتى بالنسبة للإنسان الذي يحفظ الوصية، لكنه يمارسها من أجل الظهور والرغبة في مجد الناس، يفقد المكافأة عنها.

يليق تَجَنُّب كل الطرق الخاصة بالمجد الباطل، خاصة بالنسبة للذين يقبلون كل نوع من الخزي من أجل وصية الرب.

إننا نرى أهل العالم يخلون من مذلة الفقر، ويتألمون حين يستضيفون البعض (ويشعرون بالعجز) عن تقديم كل نوع من الطعام الفاخر بفيض. وإنني أخشى أننا نحن أيضًا نُصاب بذات الرذيلة دون أن ندري، فنجد أنفسنا مذنبين بالفقر الذي يُطوّبه المسيح (مت ٥: ٣). وذلك حين

<sup>1</sup> *Regulae brevius tractatae*, 312.

<sup>2</sup> *Morals*, Rule 38:1.

نود أن نزود أنفسنا بأمورٍ زمنيةٍ مبهرجةٍ مثل الأواني الفضية والستائر المحفوفة بالأرجوان والسرائر الناعمة والملابس الشفافة، فننصرف بغير لياقة بإعداد قوائم طعام غير عادية. نجري نحو البحث عن أي شيء كمالٍ لا لزوم له، ونعد ما يُقدّم ملذات بائسة من أجل مجدٍ باطلٍ مُهلك. هذا الأمر ليس معيباً فحسب، وإنما لا يتفق أيضاً مع هدفنا الذي نُصرِّح به. إنه يُسبب ضرراً خطورته ليست بهيئة، عندما يرانا الذين يقضون حياتهم في لذة حسية وقيسون السعادة بالمتعة بالأكل الشهي، إننا نحن أيضاً ننهمك فيما نُستعبد له.

إن كانت المتعة الحسية هي بالحقيقة شر، ويلزمنا أن نتجنبها، يليق بنا ألا نغمس فيها تحت أي ظرفٍ. فإن ما نشجبه لن يكون نافعا في أي وقتٍ ما. هؤلاء الذين يعيشون في ترفٍ، فيدهنون بأفضل الأطياب، ويشربون خمرا مقطرا، يسقطون تحت استنكار الكتاب المقدس (عا ٦ : ١-٧). فإن الأرملة ميتة وهي حية، لأنها مُتعمّة (١ تي ٥ : ٦). والرجل الغني يُحرّم من الفردوس، لأنه عاش في تتعم على الأرض (لو ١٦ : ٢٥)¹.

القديس باسيليوس الكبير

## البذخ في استضافة الضيوف

❖ ماذا إذن نفعل بهذه التجهيزات النفيسة؟ هل جاء إليك ضيف؟

إن كان أخوا، ويتبع طريق حياة بذات الهدف الذي لنا، فليعرف الطعام الذي نقتات به والمناسب له أيضاً. فما كان يستخدمه في بيته يجده لدينا. لنفترض أنه كان مرهقا بسبب رحلته، فإننا نُقدّم له طعاما أكثر لكي يقوته ويعطيه راحة من تعبته.

هل الذي جاء علماني (ليس براهب ولا كاهن)؟ ليتعلم بالخبرة العملية أمورا سمع عنا شفاها ولم يكن مقتنعا بها. لنُقدّم له نموذجا اقتصاديا في شأن الطعام. لنجعل في ذاكرته مثالا للطعام المسيحي يرسخ في ذهنه ولحياة الفقر والتي لا نخجل منها وذلك من أجل المسيح.

إن كان لا يتعلم هذا الدرس، بل يحمل اتجاهاً فيه سخرية، فإنه لا يضايقنا مرة أخرى. علاوة على هذا عندما نرى الأغنياء يضعون بين البركات العظيمة التمتع باللذات الحسية، نحزن عليهم بمرارة، لأنهم لا يدركون هذا، أنهم إذ يُفسدون حياتهم كلها في الأباطيل، ويجعلون من اللذة إلها لهم، ينالون نصيبهم من البركة في هذه الحياة، وبمعيشتهم المترفة هنا يُعدّون

¹ Reg. Fus., Question 20.

أنفسهم للنار العتيدة. وإن سَنَحَت الفرصة، يلزمنا ألا نتردد في أن نقول هذا مواجهة. ولكن إن حدث أننا نحن أنفسنا نكون مُنكَبين على نفس الرذيلة وبشغفٍ نطلبها، فإننا بقدر استطاعتنا نتخلَّص منها. لأنني أخشى أننا نُحَطِّم ما قد بنينا به بما يُسر تذوقنا وما نفتخر به، ونحكم على أنفسنا بذات الأعمال التي بها ندين الآخرين...

لا تختلف حياة المسيحي عن غايته - مجد الله - بل تبقى على الدوام كما هي. إذ يقول بولس وهو يتحدث في المسيح: "فإذا كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئاً، فافعلوا كل شيءٍ لمجد الله" (١ كو ١٠: ٣١).

حياة أهل العالم على العكس متباينة ومعقدة، تتشكل بطرقٍ مختلفة لكي ترضي النزوات عشوائياً.

إن كنت أيضاً تغيّر طعامك اليومي، سواء بكمية قليلة أو بفيض من الطعام، وذلك لكي تُبهج تذوق أخيك، فإنك تفترض ضمناً أنه يُسر باللذة الحسية، وتكس له التوبيخات على نهمه بما تُعدّه له. بهذا تتهمه بأنه يجد لذته في هذه الأمور. ففي الحقيقة، ألسنا دائماً نُخَمِّن من هو الضيف الذي تتوقَّعه، ومن أي نوعٍ هو، وبناء على ذلك يكون الإعداد للطعام؟

لم يمدح الرب مرثا لارتباكها بخدمة كهذه، بل قال: "أنت تهتمين وتضطربين لأجل أمورٍ كثيرة، ولكن الحاجة إلى واحدٍ" (لو ١٠: ٣١ - ٤٢). بمعنى أن الإعداد يحتاج إلى واحدٍ، أي إلى أشياء قليلة، وأن الهدف هو إشباع الحاجة.

إنكم تعرفون تماماً أي نوعٍ من الطعام قدّمه الرب نفسه أمام الخمسة آلاف.

يعقوب أيضاً صلّى إلى الله، قائلاً: "أعطاني خبزاً لآكل، وثياباً لألبس" (تك ٢٨: ٢٠).

إنه لم يقل: "إن أعطيتني مشتريات، ومعدات فاخرة".

وماذا يقول سليمان أحكم الناس؟ "لا تعطني فقراً ولا غنى. أطمعني خبز فريضتي، لئلا أشبع وأكفر، وأقول: من يراني؟، أو لئلا أفترق وأسرق، وأتخذ اسم إلهي باطلاً" (أم ٣٠: ٨ - ٩). هكذا يحسب الغنى تُخمة، والفقر عوزاً تاماً من ضروريات الحياة، وأما الكفاية فهي حالة متحررة من العوز، وبدون فيضٍ زائد.

تختلف الكفاية حسب الحالة الجسمانية، والاحتياج الحالي، فقد يتطلب شخص ما بسبب عمله طعاماً أكثر من جهة النوع كما من جهة الكمية، وآخر يحتاج إلى طعامٍ أخف ويسهل هضمه، ويتناسب مع ضعف صحته. لكن بالنسبة لكل يلزم أن يكون رخيصاً ويسهل الحصول عليه. في كل حالة يلزم الحرص على أن تكون المائدة صحية، ولا تتعدّى حدود الاحتياجات العادية. هذا ما يلزم مراعاته في الضيافة. فنراعي احتياجات ضيوفنا. يقول الرسول: "الذين

يستعملون هذا العالم كأنهم لا يستعملونه" ( ١ كو ٧ : ٣١)، فإن الإنفاق غير الضروري هو إساءة استخدام.

هل ليس لدينا مال؟ ليكن هكذا! هل مخازننا غير مملوءة؟ ليكن! إننا نعيش من يومٍ إلى يوم. حياتنا تعتمد على عمل أيدينا. فلماذا تُفسد الطعام الذي يُقدّمه الله من أجل الفقراء، لكي يتلذذ به الشهوانيون، إذ بهذا يكون خطأنا مُضاعفًا، بالضغط على الأولين في آلام الفقر، وبزيادة النتائج المضرة للآخرين<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير



<sup>1</sup> Reg. Fus., Question 20.



## الأديرة والعالم الخارجي

- ١ . الحياة الرهبانية والحياة الزوجية.
- ٢ . دعوة الصغار والحياة الرهبانية.
- ٣ . التعليم عند القديس باسيليوس الكبير
- ٤ . عدم قبول الهاربين من القانون.
- ٥ . حول حياة التكريس (الرهبنة أو البتولية).

## الحياة الرهبانية والحياة الزوجية

### بين الحياة الرهبانية والحياة الزوجية

قَدَّمَ لنا القديس باسيليوس حديثاً مُوجَّهًا لمن يريد أن يُكرِّس حياته للبتولية، وليس للشخص العادي. فقد تحدَّث عن الزواج أنه مُبارك ومُقدَّس، إلَّا أنه يُعطِّل الذين يريدون التفرُّغ للخدمة كما قال بولس الرسول. وقد أبرز بركات البتولية، موضِّحًا الآتي:

١. يرى القديس باسيليوس أن جذاب الجنس للجنس الآخر من أقوى الغرائز الطبيعية في حياة الإنسان، وهذه الغريزة لها بركانها، خلالها تتأسس الأسرة في سن النضوج، ويمكن أن يتم الإنجاب. مع ما لهذه الغريزة من بركانها، غير أنها يُمكن أن تُمثَّل ثقلاً من جهة الالتزام بالمسئولية، فيشعر كل طرف بالالتزام بالخضوع لإرادة الطرف الآخر وللأبناء. فلا يستطيع أن يتجاهل إرادتهم واحتياجاتهم، مما قد يُعطِّل تكريس إرادته ووقته بالكامل للعبادة أو الخدمة. هذا ما عبَّر عنه الرسول بولس بقوله: "قأريد أن تكونوا بلا هم؛ غير المتزوّج يهتم في ما للرب كيف يرضي الرب. وأمّا المتزوّج فيهتم في ما للعالم كيف يرضي امرأته. إن بين الزوجة والعذراء فرقاً، غير المتزوجة تهتم في ما للرب لتكون مُقدَّسة جسداً وروحاً، وأمّا المتزوجة فتهتم في ما للعالم كيف ترضي رجلها" (١ كو ٧: ٣٢ - ٣٤).

٢. تهب البتولية النفس الجادة الفرصة أن تتشبه بالله وتلتصق به، وتُجاهد بقوة، وتتمتع بالثيوريا (التأمل في الإلهيات). إنها تهب الإنسان القدرة على الجهاد ضد حركات الجسد وشهواته بقوة، والتحرُّر من محبة العالم والزمريات.

٣. في حديث القديس باسيليوس عن الوصايا الإلهية، أكَّد أن وصايا السيد المسيح قَدَّمها للجميع (مر ١٣: ٣٧)؛ إنما يُعفى المتزوج من البتولية حسب الجسد فقط. يرى أيضاً أن المتزوج يحتاج إلى جهادٍ مضاعفٍ في تنفيذ الوصايا، لأنه يعيش في عالمٍ مملوءٍ بالمتاعب، ويتعرَّض أكثر من الراهب والبتول لمحاربات الشهوات الشريرة والمظاهر الخادعة، كما يواجه الكثير من الهموم الخاصة به أو بأسرته أو بالمجتمع الذي يعيش فيه. هذا، ومن جانب آخر فإنه في وسط المجتمع غالباً ما يقارن الإنسان نفسه بالخطاة المحيطين به، فيظن أنه أفضل من المحيطين به ويسقط في البرِّ الذاتي، وقد لا يجد الفرصة للذلوة للتعرف على أعماقه.

❖ أظن يا حبيبي أن أكثر اهتمام الناس في الشهوات العالمية وملذات هذا الدنياه يكون في الشهوات

لأنك لا تجد شهوة في العالم ثابتة في طبيعة الإنسان مثل شهوة المرأة للرجل، والرجل للمرأة والأولاد

جعل الله هذا في طبيعة الحيوان للتناسل، لأن التناسل ضروري في سيرة العالم وموافق لما خلقنا

وإذ هذه الشهوات هي الغالبة على شهوات هذا العالم، فالاهتمام لها يكون أكثر وأقوى من

الاهتمام لغيرها، ولهذا قال الرسول إن الذي له زوجة يهتم بما للعالم (١ كو ٧: ٣٢-٣٣). أما

الذي هو وحده، فاهتمامه أقل، لأنه يهتم بما يخص جسده وحده، وربما احتقر هذا الاهتمام

الآخر لأجل وحدته. وأما الذي يهتم بزوجته وأولاده، فإنه لا يقدر أن يسلك دفعة أخرى حسب

إرادته ورأيه، إذ يلزمه الاهتمام بجميع ما تريده المرأة والأولاد، وهذا مُتَّسِع.

فالذي يؤثر أن يُعْتَق من رباط هذا العالم، فليهرب من الزواج، مثل من يهرب من الأسر

والقيود الثقيلة. وعندما يهرب يدفع نفسه لله، ويصير كمُكْرَس لله، حتى لا يمكنه فيما بعد أن

يرجع في ما قرره ويعود إلى العالم؛ بل يُصْعِد ذاته بكل نوع في جهاده ضد الخطية. وعندما

يصير هكذا محباً لله، مؤثراً بقدر قوته أن يتمسك بالطهارة الروحانية والهدوء والدعة، ويشتهي

أن يذوق السرور الذي ينتج من هذه الأمور، ويجتهد أن يفصل أفكاره ويبعدها عن كل ما

يُتْعَب النفس، ويفتش في الأعمال المملوءة مجداً التي لله بعينين روحانيتين نقيتين من

الضلال، حينئذ يأكل بغير شبع من ذلك المجد.

وعندما يجاهد الإنسان لكي تكون نفسه في هذه الرتبة، يكون مُتَشَبِّهاً بالله، ومُلتصِقاً به

حسب الإمكان بالنسبة لطبيعة الإنسان، ويصير محبوباً من الله، حتى أنه يدفع ذاته في جهاد

قوي كمن قد فَرَّق بين خواطره وأفكار الجسد وعتق ذاته من الآلام وخطاة العالم، حتى ينظر

الله بعين نفسه النقية، ويصير كمن يتكلم معه في الثيوريا.

يجب على الإنسان أن يجاهد حتى يستوجب أن يصعد إلى علو الفضيلة، ولا يُسْرَق دفعة

أخرى، وينحدر إلى الحركات الجسدية والأوجاع العالمية، ولا يقبل الدخان الذي يصعد من آلام

الجسد، لئلا يسقط من النظر الروحاني الذي هو الامتزاج بأمور الله وأعماله المملوءة مجداً<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>١</sup> راجع دير السريان: القديس باسيليوس، ٢٠٠٣، ص ٤٦ - ٤٨

## الدعوة للكمال موجّهة للجميع

في حديث القديس باسيليوس الكبير عن الوصية الإنجيلية يبرز أنها مُوجّهة للجميع. إنه كراعٍ محبٍ لخالص الجميع. يُوجّه حديثه بذرة للمتزوجين وأخرى للبتولين، تارة للسالكين في حياة الشركة وأخرى للمتوحدين. فيُظهر أن خالص الإنسان لا يتوقّف على وضعه والظروف المحيطة به، إنما على أعماقه وعلاقته بالله، مُبرِّزًا تارة الانتفاع من الوضع الذي يعيش فيه وتارة يُحذِّره من المخاطر التي يتعرّض لها.

❖ الله المُحب للبشرية، والذي يهتد دومًا بخلاصنا، قسّم حياة الإنسان إلي حالتين، أي الزواج والبتولية...

كل البشر، سواء كانوا رهبانًا أو متزوجين، يلزمهم الاهتمام بالطاعة للإنجيل... فإن المسيح عندما أعلن عن وصايا أبيه تحدّث إلي الذين هم في العالم، وقد حدث أن سُئِلَ بصفة خاصة، فأكد علانية: "ما أقوله لكم، أقوله للجميع" (مر ١٣ : ٣٧)¹.

❖ ألا يبدو لكم أن الإنجيل يُطبَّق على الأشخاص المتزوجين أيضًا؟ بالتأكيد، واضح أن الطاعة للإنجيل مطلوبة منا جميعًا، من المتزوجين والبتولين.

الإنسان الذي يدخل في الحياة الزوجية يُعفى من البتولية (الجسدية)... أما الوصايا، فيلتزم بها الكل بالتساوي، ويتعرّضون لخطر المعصية (لمن لا يُنفذها). عندما كرر المسيح بوصايا أبيه، كان يتحدث مع أشخاص يعيشون في العالم. "ما أقوله لكم، أقوله للجميع" (مر ١٣ : ٣٧). لهذا لا تتراخوا في تقديم مجهوداتكم يا من اخترتم أن تكونوا في صحبة زوجة، كأن لديكم الحرية أن تحتضنوا الأمور العالمية (الزمنية).

بالحق أنتم تحتاجون إلى مجهودات أعظم وسهر لكي تتالوا خلاصكم، إذ اخترتم السكّنى في وسط المتاعب وفي مَعْقَلِ لقوات المتمردة نفسها، وكل حواسكم مدفوعة نحو الرغبة في إغراءات الخطية التي أمام أعينكم نهارًا وليلاً.

لتتأكدوا إذن أنكم لا تهربون من الدخول في معركة مع المُرتد (إبليس)، ولن تتالوا الغلبة عليه بغير جهاد لحفظ التعاليم الإنجيلية. كيف يمكنكم أن تقيموا في معركة لا تُطاق، وتربحوا في مناضلة العدو (إبليس)؟ فإنه يجول في الأرض كلها التي تحت السماء، ويطوف مثل كلبٍ مسعورٍ يطلب من يفتنسه (١ بط ٥ : ٨)، كما نتعلّم من قصة أيوب.

¹ De Renun. 2.



إن رفضتم المعركة مع خصمكم، اخرجوا إلى عالم آخر لا وجود له. لهذا لا مجال لتحاشي الصراع معه، ولا من راحة دون التعرّض لمخاطر التعاليم الإنجيلية. فإن كان هذا الأمر مستحيلًا، اسرعوا إلى تعلّم الصراع معه، تعلموا فنّ الصراع من الكتب المقدسة، حتى لا تنهزموا بسبب جهلكم، فستلّموا للنار الأبدية.

هذه النصائح يلزم أن تُقدّم عرضًا للذين يعيشون في الزواج والذين لا يهتمون بحفظ وصايا المسيح لخطورة ذلك.

أما أنت يا من تتوق أن تصير محبًا للنظام السماوي، وتكون شريكًا عاملاً في الحياة الملائكية، وجنديًا شريكًا لتلاميذ المسيح القديسين، تشجّع في احتمال المتاعب، وبرجولة الجأ إلى صحبة الرهبان. حتى في بداية جحذك للعالم لتظهر في رجولة، حتى لا يسحبك التعلّق بالقرابات الدموية. لتتقوّى باستبدال ما هو مائت بطموحات خالدة. علاوة على ذلك، عندما تجحد الخيرات التي تملكها، كن حازمًا في قرارك مقتنعًا أنك مُجرّد ناقل لخيراتك إلى السماء مقدمًا، فإنك وإن كنت تخفيها في أحضان أناس وضعاء (محتاجين)، فستجدها فيما بعد مع الله متزايدة جدًا.

أضف إلى ذلك، ليتك لا تنهار عند تجرّدك من أصدقائك وأقاربك، إذ قد اتحدت مع المسيح المصلوب لأجلك. أي برهان للحب أعظم من هذا؟ (يو ١٥ : ١٣)<sup>١</sup>

القديس باسيليوس الكبير

## هل يُقبل المتزوجون في الرهبنة؟

إذا تقدّم شخص للانضمام إلى حياة الرهبنة وكان متزوجًا، فهل يُقبل طلبه؟

١. إن كان ذلك باتفاق ورضا الطرفين، يُقبل طلب الشخص.
٢. إذا لم يكن الطرف الثاني مُوافقًا، لا يُقبل طلبه، لأنه ليس لأحد منهما التسلّط على جسده، بل للطرف الآخر.
٣. إذا رفض الطرف الثاني الانضمام للحياة الرهبانية، وفي غير مبالاة برضا الله ولا بالزواج، فيمكن قبول الطرف الأول.
٤. في الحالة الأولى، يُقبل الشخص أمام شهود كثيرين، حتى لا يُتّهم الدير بأنه قبله دون رضا القرين.

❖ إذا تقدّم أحد المقترنين بالزواج طالبًا الانتظام في سلكن الرهباني، فعلينا أن نسأله هل فعل ذلك باتفاقٍ مُشترك حسب وصية الرسول، القائل: "ليس له تسلّط على جسده" (١ كو ٧ : ١٤). فإذا

<sup>١</sup> *Renunciation of the World and Spiritual Perfection.*

ثبت أنه صنع ما يجب عليه ينبغي أن نقبله أمام شهود كثيرين، لأنه لا شيء يُفضّل أكثر من الطاعة لله. أما إذا أبى القرين الآخر ولم يهتم، مثل اهتمام ذلك بمرضاة الله، فلنتذكر قول الرسول: "إنما دعانا الله إلى السلام" (١ كو ٧: ١٥)، ولتتيم وصية الرب القائل: "إن كان أحد يأتي إليّ ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وبنيه... فلا يستطيع أن يكون لي تلميذاً" (لو ١٤: ٢٦)، لأنه لا يسوغ أن يُفضّل شيء على الطاعة لله<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## الزواج والبتولية

نظرة القديس باسيليوس مسيحية صميمة، تعتبر الزواج من أقدس ما في حياة الإنسان، يحمل في طياته معاني التكريس والعطاء. وإلى نفس الوقت يرى في البتولية إمكانية التكريس لله أفضل، فيذكر في رسالته إلى ديودورس أنه بالنسبة لي، فإن من يطلب منّي نصيحة ما عن الزواج، أفيدته بأن وجه هذا العالم في تغير والزمان قسير، حتى أن "الذين لهم نساء يكونون كأنّ لا نساء لهم". وإذا ذكرني أحدهم بقول الكتاب "انموا واكثروا"، أسخر منه، لأنه لا يعرف أن يُميّز الظروف التي أُوجبت مثل هذه الأقوال<sup>٢</sup>.

❖ الإنسان الذي في غضبه يستخدم فأسا على زوجته (حتى وإن لم يقتلها) يُحسب قاتلاً<sup>٣</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

على أي الأحوال ما يشغل قلب القديس باسيليوس هو ألا يرتبك المؤمن بالقلق خلال اهتمامات زمنية وجسدية، فيمكن له سواء كان متزوجاً أو بتولاً أن يضبط فكره في هدوء، كما إن تراخي في الأمر يمكن أن يرتبك بالقلق. هذا ما أوضحه في إحدى رسائله لصديقه غريغوريوس.

❖ يليق بنا أن نجاهد من أجل البلوغ إلى فكر هادي. فكما أن العين قد تتجول إلى فوق وإلى تحت ومن كل الجوانب بقلقٍ دون أن تثبت نظرها على شيء ما قدامها، ويمكنها أن تُحقّق تثبيته عليه، هكذا يمكن للذهن أن يتشتت في آلاف الاهتمامات الزمنية، ويمكنه أن يدرك الحق بكل وضوح.

فمن لا يحمل نير القيود الزوجية، قد يُرهق بشهوات مسعورة وغرائز عنيدة، وعواطف لا رجاء فيها. وأيضاً، من يجد قرينة له، قد يُحاط بضجيج من اهتماماته.

<sup>1</sup> *Regulae fusius tractatae Question 12.*

<sup>2</sup> *Epistle 160.*

<sup>3</sup> *Epistle 188:3.*

فإن كان ليس له أطفال يشتهي أن يكون له أطفال.

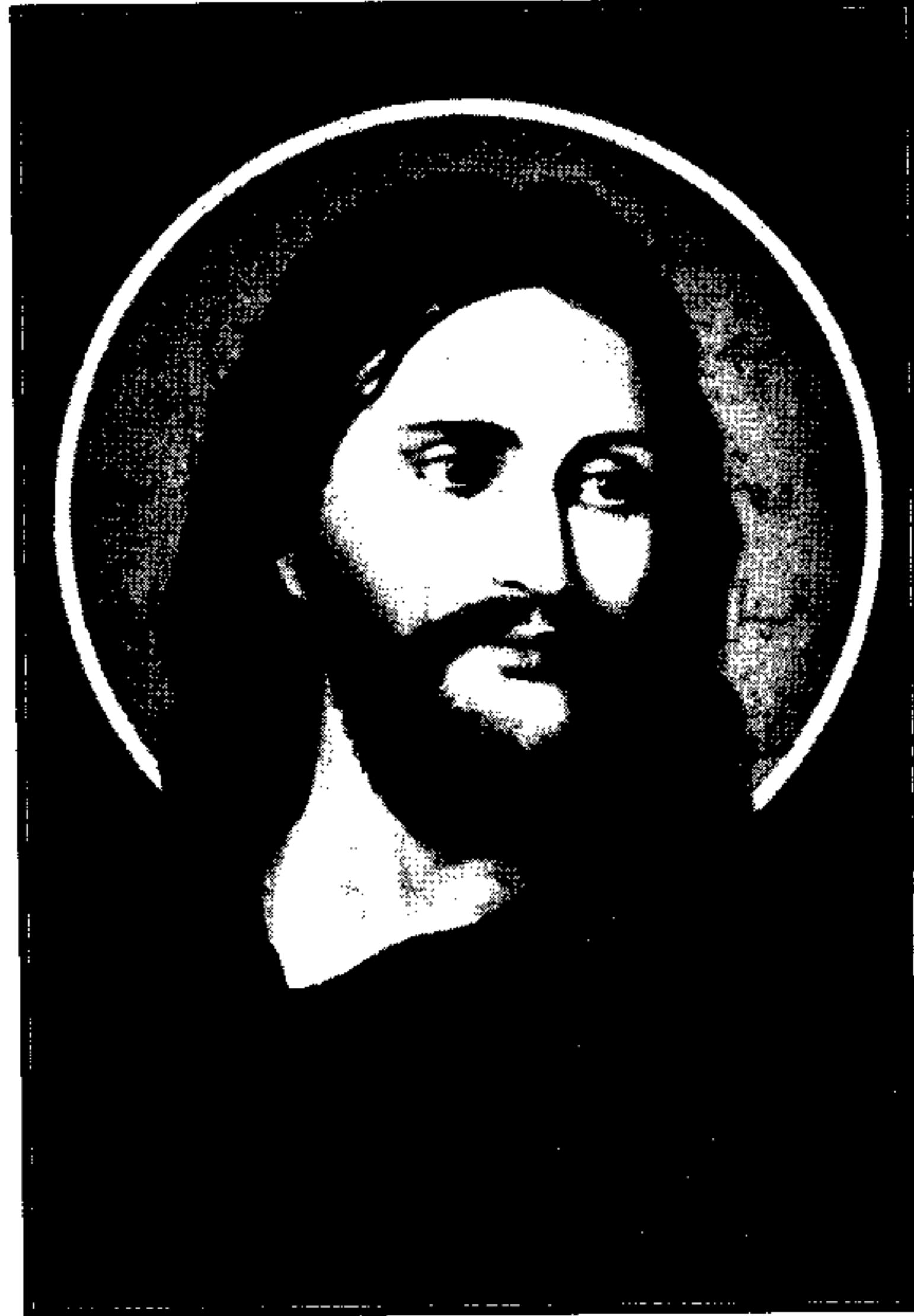
وماذا إن كان له أطفال؟ يقلق على تعليمهم، ويحرص على زوجته، ويهتم ببيته، ويشرف على خدمته، وقد تحل كوارث بأعماله، وخلافات مع جيرانه، ويدخل في مشاكل قضائية، ومخاطر في تجارته وزراعته.

يأتيه كل يوم ببعض الضباب القاتم على نفسه، الذي يُعكّر صفاءها، وتمُر الليالي وهو يفكر في هموم النهار، وتغشى الأوهام عقله على التوالي.

الآن يوجد طريق واحد للهروب من كل هذا، وهو ترك العالم كله! ليس بالانفصال الجسماني عنه، إنما يبتزّ تعاطف النفس مع الجسد... فيتقبّل القلب انطباعات التعليم الإلهي... بهذا تكون العزلة ذات فائدة عظيمة لتحقيق هذا الهدف، حيث تسكن أهواؤنا، وتفسح المجال للمبادئ أن تقطع هذه من النفس...

تتعش التداريب الروحية النفس بالأفكار الإلهية. أي حال يمكن أن يكون أكثر تطويلاً من أن نقتدي ونحن على الأرض بطغمات الملائكة؟! فنبدأ النهار بالصلاة، ونكرم الخالق بالتسابيح والأغاني؟!<sup>1</sup>

القديس باسيليوس الكبير



<sup>1</sup> Letter 2 to Gregory, 2.

## دعوة الصغار والحياة الرهبانية

### الرهبنة والمدارس

صارت الأديرة بيوت صلاة، وأيضاً مدارس لنهل العلوم البشريّة، مُعين صفا منهله وعذب جدوله. الجو الذي يسود تلك المنارات الرهبانيّة كان جو نظام وخلوة يساعد على الدرس والبحث<sup>١</sup>. أمر بأن تفرز للطلاب أمكنة خاصة ينامون فيها ويدرسون، بعيدين عن سائر الرهبان. وأمر بأن لا يشتركوا إلا في بعض الصلوات للتفرغ للدرس والمطالعة. فرض أيضاً أن يأكلوا أطعمة خاصة، تتفق مع أعمارهم وأمزجتهم. إنه لا يغفل عن شيء، يُنظّم حتى القصاص، فيأمر أن يكون لطيفاً عاملاً للإصلاح، وليس سبباً للثورة والحقد. يقول إن تربية هذه الفئة "يجب أن تكون لطيفة، خفيفة الوطأة، تساعد على البلوغ إلى الهدف بطمأنينة وسلام"<sup>٢</sup>.

### السن المناسب للتكريس

❖ سؤال: أي سن مناسب يُسمح فيه للشخص أن يُكرّس حياته؟ وفي أي وقت مناسب يُحسب فيه أمان للبتولية<sup>٣</sup>؟

الإجابة: إذ يقول الرب: "دعوا الأولاد يأتون إليّ" (مر ١٠ : ١٤). ويمدح الرسول ذلك الذي يعرف الكتب المقدسة من الطفولة (٢ تي ٣ : ١٥)، ويوجّه الأطفال بأن تكون تربيتهم "بتأديب الرب وإنذاره" (أف ٦ : ٤)، نحسب أن كل وقت للحياة، حتى وإن كان مُبكرًا جدًا مناسب لقبولهم للانضمام، فيتقبّلون الإرشاد ومخافة الرب. إعلانهم للبتولية يصير ثابتًا فقط عند بلوغهم زمن النضوج بالفعل أو بلوغ السن الذي يُعتبر عادة مناسب وناضج للزواج. حقًا هؤلاء الأطفال الذين هم محرومون من والديهم يلزمنا أن نقبلهم بروح المبادرة، بحيث نصير آباء للأيتام في محاكاة لأيوب (أي ٢٩ : ١٢).

<sup>١</sup> *Regulae brevius tractatae 15.*

<sup>٢</sup> الأب إلياس كويرتر المخلصي: القديس باسيليوس الكبير. منشورات المكتبة البولسية، بيروت، ١٩٨٩، ص ٦٧ - ٧٨  
*Regulae brevius tractatae 11, 15, 53.*

<sup>٣</sup> يري البعض أن القديس باسيليوس هو أول من أسس صيغة رسمية كنسية للأديرة. راجع رسالة رقم ١٩٩، ١٨، ١٩، حيث أدخل فكرة النذر العام الذي لا يجوز كسره بالنسبة للرجال ولنساء (للرهبنة والبتولية).

*Cf. Anna M. Silvas : The Asketikon of St. Basil The Great . L R 15 (note 237).*



أما هؤلاء الذين تحت رعاية والديهم، وقد أحضروهم لنا بأشخاصهم، نَقَبَلهم أمام شهود كثيرين، حتى لا نُعْطِي فرصة للوم للراغبين في ذلك، بل يلزم أن يَسَدَّ كل لسان جاحف ينطق بالتجديف ضدنا (مز ٦٣: ١١؛ رو ٣: ١٩؛ ٢ كو ١١: ٢).

علاوة على هذا فإن الاجتهاد العظيم جدًّا يجب أن يُوجَّه نحوهم، لكي يتأسسوا على ممارسة كل فضيلة، بالكلام والفهم والعمل. فإن ما يمارسه الشخص في صباه وفي نعومة أظفاره، يحتفظ به بأكثر ثبات وفي صلابة فيما بعد. لهذا فإن الاهتمام بالأطفال الصغار يجب أن يُعْهَد به إلى أشخاص يتَّسِمون بممارسة الصبر، إذ هم قادرون على تقدير القياس المناسب لتهديبهم وتأديبهم حسب أخطاء الشخص وعمره. وقادرون فوق كل شيء أن يحفظوهم من الأحاديث الهزلية ومن الغضب ومن الدوافع الشرهة ومن كل تحركات غير لائقة فوضوية.

لكن إن أكتشف شخص بينهم لا يستجيب تدريجيًّا باجتهاد بعد أن تَقَدَّمَ في السن، بل بالعكس يستمر بلا ثمر حتي بعد اختبارات التعليم، ويسلك بطياشة الفكر وبطريقة عفوية وفي عجرفة، مثل هذا يُطْرَد، خاصة إن كان يُسَبَّب متاعب بين زملائه غير الناضجين في السن<sup>١</sup>.

❖ سؤال: هل يلزم وجود مدرسة في الجماعة (الرهبانية) من أجل أبناء العلمانيين (الشعب)؟

الإجابة: يقول الرسول: "أيها الآباء، لا تغيظوا أولادكم، بل ربُّوهم بتأديب الرب وإنذاره" (أف ٦: ٤). لذلك إن كان الذين يقدمونهم يفعلون هذا بهذا الهدف، والذين يقبلونهم مقتنعون تمامًا أنهم قادرون أن يُربُّوهم بتأديب الرب وإنذاره. إذن فلتحفظ وصية الرب: "دعوا الأولاد يأتون إليّ ولا تمنعوهم، لأن لمثل هؤلاء ملكوت السماوات" (لو ١٨: ١٦).

أما بدون هذا الهدف وهذا الرجاء، فلست أحسب أن هذا يُسِرُّ الله، ولا هو لائق ومناسب لنا<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

### موقف الدير من الصغار الذين يندرون البتولية

يحرص القديس باسيليوس على التأمُّي في قبول صغار السن في حياة البتولية، فلا يقبل الدير أحدًا حتى إن وافق الوالدين على تسليم ابنتها أو ابنتها للجماعة الديرية، إلا في حضور شهود، فإن هذا الطفل يمُرُّ بالمراحل التالية:

١. حين يكون غض السن لا يُطَلَّب منه أن يأخذ قرارًا بخصوص بتوليته، حتى إن أصرَّ

الطفل على ذلك.

<sup>1</sup> *Regulae fusius tractatae Question 15.*

<sup>2</sup> *Regulae brevius tractatae, 292.*

٢. متى بلغ عقله البلوغ، وصار قادرًا على النذر وأخذ القرار، يلزم أن يتم نذره علانية أمام رجال كنسيين يكونوا شهودًا لذلك. وإن أعلن الشخص عجزه عن تكريس حياته لا يُقبل في الجماعة، وذلك بحضور شهودٍ كنسيين.

٣. إن أعلن الشخص نذره، لا يُقبل فورًا حتى لا يُتَّهم الدير أنه اغتصبه للحياة البتولية، إنما يُترك مدة للتشاور مع نفسه ومع مرشديه. ومع هذا فإن ثبت في رغبته في التكريس، لا يُحرم من اللقاء مع مرشديه في النهار، غير أنه يلتزم أن يبقى مع زملائه يشاركون وجبات الطعام، وأيضًا في المساء، حتى تُعطى له فرصة أطول ليعرف مدى ثباته في فكرة البتولية.

❖ من يصنع نذرًا كهذا، فإنه بعد مشاورات طويلة وبعناية فائقة، يُسمح له بها في جلسات خاصة لعدة أيام، حتى لا نسمح أن نظهر كمن اغتصبه. بعد هذا يمكن قبوله ليكون عضوًا في الجماعة، يشاركها السكنى والحياة اليومية المُتقدِّمة في الكمال.

علاوة على هذا، أضيف نقطة نسيناها، وهي ليست بعيدة عن مجال حديثنا هنا... متى ظهر أطفال أنهم يشتبهون هذه الأمور، لا نعارض بقاءهم خلال النهار مع مُعلميهم الذين يرشدوهم في هذا الفن. وحينما يحلّ الليل يلزم الإصرار على إعادتهم إلى زملائهم، ويلتزمون أن يشاركون وجبات الطعام<sup>١</sup>.

### القديس باسيليوس الكبير

يطالبنا القديس باسيليوس الكبير أن نتمثّل بأيوب البار الذي صار أبًا للأيتام ومعينًا لهم (أي ٢٩: ١٢).

### خبرات عملية في تكريس الصغار

يُقدِّم لنا القديس باسيليوس خبراته العملية بخصوص تكريس الصغار.

#### ١. قبولهم في حضور شهودٍ كثيرين

يخشى القديس من اتهام المؤسسات الرهبانية أنها تستغل الفرص لتكريس أطفالٍ غير ناضجين، لذا وضع شرطًا لقبولهم في حياة التكريس أن يُقدِّمهم آباؤهم في حضور شهودٍ كثيرين، حتى لا يتهمهم أحد بأنهم يستقطبونهم.

#### ٢. عدم التسرع في تسجيلهم كأعضاء في المجتمع الرهباني أو جماعة المُكرَّسين

يخشى لئلا يفشل أحدهم، فيُسبَّب لِمَا لحياة التكريس.

<sup>١</sup> *Regulae fusius tractatae Question 15.*

❖ يلزم قبولهم حسب هذا النظام، لكن لا يُسجلون على الفور، فلا يحسبون مع جسم الجماعة، حتى إذا ما فشلوا، لا يصيرون موضع لوم لحياة التكريس<sup>1</sup>. القديس باسيليوس الكبير

### ٣. الفصل بين البنات والأولاد

غالبًا ما كان الأولاد يلتحقون بأديرة الرهبان، والبنات بأديرة الراهبات، وربما كان الكل يلتحقون بمدرسة واحدة، بينما ينفصلون فقط في السكن وتناول وجبات الطعام، حتى لا تتكوّن دالة زائدة بين البنات والأولاد، تؤدّي إلى بعض الأخطاء بينهم.

❖ يجب ترتيبهم بكل وريح كأطفالٍ ينتمون إلى الجماعة كلها. غير أنه يجب الفصل بين البنات والأولاد في المسكن، كما في تناول وجبات الطعام، حتى يتجنّب الخلطة الزائدة، والثقة الزائدة (دون حذرٍ) لدى الشيوخ من نحوهم.

هذا الفصل بينهم يمنع تطور استعدادهم لارتكاب أخطاء، وذلك عندما يرون أن المتقدّمين في الكمال، يسقطون تحت عقوبات (تأديبات) عند تقصيرهم في الواجبات.

القديس باسيليوس الكبير

### ٤. حفظ الأطفال من الاعتداد بأنفسهم

مع حرص القديس باسيليوس على حفظ النظام بكل تدقيقٍ، إلا أن ما يشغله بالأكثر خلاص الإنسان سواء كان شيخًا أو بالغ الرجولة أو طفلاً.

إذ يلاحظ الطفل أن الشيخ إن أهمل في واجباته يسقط تحت التأديب، يدرك أنه ليس أحد فوق القانون، فيسلك بدقّة، ويتحاشى الإهمال والتراخي والتهاون. هذا، ومن جانب آخر، إذ يرى شيخًا ما يسقط بين حين وآخر في ضعفٍ معين، يدرك الطفل أنه يلزم أن يطلب نعمة الله تحفظه على الدوام، حتى عندما يبلغ سن الشيخوخة. يشعر الطفل أن الإنسان مادام في الجسد يتعرّض للضعف، وهذا يحفظه من الاعتداد بذاته والغرور.

❖ عندما يشاهدون شيوخهم يُقصرّون من وقتٍ إلى آخر فيما هم أنفسهم (كأطفالٍ) يمارسونه بطريقةٍ سليمةٍ، بحفظهم هذا من السقوط في الغرور اللاإرادي.

القديس باسيليوس الكبير

### ٥. حفظ الأطفال من التصرفات الطفولية

ينشغل القديس باسيليوس بأن ينشأ الطفل وهو صغير مشتاقًا إلى الحياة الناضجة. فإن كان الكتاب المقدس يُطوّب الأطفال لبساطتهم، غير أنه يود أن ينشأوا متطلعين إلى حياة عاقلة ناضجة.

<sup>1</sup> Reg. Fus., Question 15.

❖ يدرك (الأطفال) أنه بالحقيقة لا يوجد فرق بين طفلٍ من جهة سنوات عمره، وبين من هو طفل من جهة عقله. لهذا لا نعجب من وجود بعض أخطاء غالبًا ما تُكتشف في الفريقين.

القديس باسيليوس الكبير

## ٦. عزل مساكن الرهبان عن مساكن الاطفال

كما يهتم القديس باسيليوس بتقديم كل رعايةٍ لصغار السن وكل تقديرٍ لهم، غير أنه لا يتجاهل نفسية الشيوخ الذين يرعون الصغار. فالصغار بسبب صغر سنهم، قد يسلكون بطريقةٍ فيها ضجيجٌ لا يقبله الشيوخ بسبب كبر سنهم، لهذا يطلب عزل مساكن الأطفال عن الشيوخ، ليس استخفافًا بالصغار، وإنما لمراعاة احتياجات ونفسية الفريقين.

يطلب القديس عزل الفريقين من جهة المسكن، لأن الصغار يحتاجون إلى تداريب خاصة بتعليمهم، ويراهما بعض الشيوخ نوعًا من الضوضاء وفقدان هدوء الموضع. بينما أثناء الصلاة في النهار، يتعلم الأطفال الكثير خلال تطّلعهم إلى جهاد الشيوخ في ممارستهم للصلوات، ويجد الشيوخ في الأطفال عونًا لهم أثناء الصلاة.

❖ قد يسلك الصغار بأسلوبٍ غير ناضج وغير لائق بالنسبة للشيوخ الذين لا يقبلون هذا الأسلوب ويحسبونه غير محتشم بالنسبة لسنهم.

لتحقيق هذا ولكفالة وجود سلوكٍ لائقٍ لكلٍ من الفريقين، يلزم أن تكون مساكن الأطفال منفصلة عن مساكن المُتقدِّمين في الكمال. بجانب مزايا أخرى خلال التداريب اللازمة للصغار في تعلّمهم دروسهم.

أما بالنسبة للصلوات التي تتلى في النهار، فيلزم ممارستها بطريقة عامة للصغار والكبار. فينشط الصغار برويتهم المثل الأكثر كمالاً، ومن الجانب الآخر فإن الصغار يُقدّمون مساعدة ليست بقليلة لشييوخهم في صلواتهم.

القديس باسيليوس الكبير

## ٧. الاهتمام بتدبير النوم والاستيقاظ ووجبات الطعام للأطفال

❖ يجب مراعاة ما يناسب الأطفال بخصوص النوم والاستيقاظ وساعات وجبات الطعام وكمياته ونوعه.

القديس باسيليوس الكبير



## ٨ . تهذيب الأطفال وتأديبهم

❖ بجانب هذا يُعهد أمر هؤلاء الصغار إلى شخصٍ مُتقدِّمٍ في السن، صاحب خبرة فوق العادية، يتَّسم بالصبر . يقوم بتصحيح أخطاء الصغار بحنوٍ أبويٍّ، مع تقديم تعليم حكيم، وعلاجات لإصلاح كل خطأ، حتى إذا ما حُدِّد التأديب على الخطأ ما بدقةٍ تكون نفوسهم مملوءة سلامًا داخليًا.

كمثالٍ، هل غضب أحد على زميلٍ له يلتزم أن يعتني بهذا الزميل، ويقوم بخدمته بحسب خطورة مخالفته؟...

هل أكل في غير الوقت المُعيَّن؟ فليصم أغلب اليوم.

هل اتَّهم بأنه أكل بنهمٍ أو بطريقةٍ غير لائقة؟ فليُحرَم من وجبة الطعام في وقت الطعام، ويلزم أن يراقب الآخرين الذين يعرفون كيف يأكلون بلياقةٍ، فمن ناحية يُعاقب بالحرمان من الطعام، وفي نفس الوقت يتعلَّم التأدب في الأكل.

هل نطق بكلمةٍ بطالة؟ أو أهان جاره؟ أو نطق بكذبٍ، وقال شيئًا ممنوع الحديث عنه؟ ليتعلَّم ضبط نفسه بالصوم والصمت.

القديس باسيليوس الكبير

## ٩ . تعليم الصغار

❖ يلزم أن تكون دراساتهم متناغمة مع هدفهم. لذلك يجب أن يتعلَّموا مفردات الكلمات مقتبسة من الأسفار المقدسة. وعض الأساطير تُقدِّم لهم أحداث تاريخية لأعمال عجيبة.

يلزم أن يتعلموا الكثير من الأمثال، ويأخذوا مكافآت على ما يحفظونه عن ظهر قلب من أسماء ووقائعٍ، بهذا يحققون هدفهم بفرحٍ وبذهنٍ هاديٍّ بدون ألم وبدون اعتراض.

علاوة على هذا، يمكن للقيادة اللائقة أن تتَّمي اليقظة وعادة التركيز في مثل هؤلاء الطلبة، وذلك إن كان مدرسوهم يسألونهم على الدوام ليعرفوا أين هي أفكارهم، وفيِّم هم يفكرون.

الطفل الذي في سنِّ غضٍّ، بسيطٍ وصريحٍ وليس له مهارة في الخداع، مستعد أن يكشف عن أسرار نفسه، فلكي لا تقتنصه الأفكار الممنوعة غير اللائقة، ويخشى عار التأنيب، يسترجع دومًا ذهنه ليرفض الحماقات.

بينما يكون الذهن لا يزال سهل التشكيل، طيِّع مثل الشمع، يأخذ شكل ما يُختم عليه، يلزم أن يُدرَّب من البداية على السلوك الصالح نفسه، عندئذ عندما يعمل العقل ويصير له حق الخيار، فإنه يختار العناصر الرئيسية الأولى التي تعلمها من البداية، ومن الأشكال التقليدية للورع. فالعقل يقترح ما هو نافع، ويَقْبَل العادات السليمة.

في هذا الوقت أيضًا يُسمح بأخذ قرار بنذر البتولية بأمان، إذ يمكن في ذلك الوقت الاعتماد عليه. له حق الخيار، وذلك قرار خلال نضوج عقله.

بعد هذه المرحلة يمكن من الأعمال الصالحة ووضع عقوبات على الأخطاء، إذ لها فاعليتها حين تصدر بحكم عادل.

علاوة على هذا يُستدعى بعض الرجال الكنسيين ليكونوا شهودًا على القرار الذي يأخذونه في حضورهم... من جانب آخر، من لا يريد الخضوع لحياة البتولية على أساس شعوره بالعجز عن تكريس كل انتباهه إلى الإلهيات، يُنزع (اسمه) في حضور نفس الشهود.

**القديس باسيليوس الكبير**



## التعليم

عند

### القديس باسيليوس الكبير

جاء اهتمام القديس باسيليوس كرئيس أساقفة وكقائد لحركة رهبانية قوية في الكبادوك بتعليم الصغار، من أولاد أو بنات ثمرة طبيعية لفكره المُتفتح من جهة التعليم بوجه عام.

لقد عاش القديس في الكبادوك في عصر كان يشغل العظماء والنبلاء تربية أولادهم وتنقيفهم بالثقافة اليونانية، فليس من ابنٍ مهما كانت عظمة أبيه أو شهرة أسرته أن يحتلّ مركزًا هامًا في الدولة أو في مدينته ما لم يكن ذا ثقافة هيلينية وفكر. فلا نعجب من اهتمام القديس بقيام الدير بدورٍ ثقافي حتى بالنسبة لمن كان لديه ميول نحو الرهبنة.

الآن ما هي نظرة رئيس الأساقفة للثقافة اليونانية؟

### التعليم والثقافة الهيلينية

السؤال بخصوص علاقة الإيمان بالتعليم الزمني أو دراسة الفلسفات والأبحاث والنظريات العلمية سؤال قديم. فلا نعجب من سليمان الذي وهبه الله الحكمة يُطالبنا بالتعلّم منذ الطفولة: "ربّ تود في طريقه، فمتى شاخ أيضًا لا يحيد عنه" (أم ٢٢: ٦). وفي حديث الشماس استفانوس مع اليهود، قال: "تهذّب موسى بكل حكمة المصريين، وكان مقتدرًا في الأقوال والأعمال" (أع ٧: ٢٢). ويدعونا الرسول بولس: "امتحنوا كل شيء، تمسّكوا بالحسن" (١ تس ٥: ٢١).

الآن ما هي نظرة القديس باسيليوس الكبير للفلسفة والعلوم التي في عصره؟ هل يليق بالمؤمنين أن يُرسلوا أبناءهم للتعلّم في المدارس الخاصة بالنحو والأدب الوثني والفلسفة والعلم؟

### قال: "كيف ينتفع (الشباب) من الثقافة الهيلينية؟"

كتب القديس باسيليوس في عام ٣٦٤م مقالاً موجهًا للشباب يدعوهم للالتحاق بهذه المدارس ودراسة العلوم والفلسفة، وكيف ينتفعون من الثقافة الهيلينية. وقد قام الدكتور باديلفورد *Dr. F.M. Padelford* بترجمته إلى الإنجليزية.

جاء هذا المقال تسنده حياة القديس نفسه وتقواه وثقافته وعمله الكرازي والرعوي سواء وهو شاب أثناء دراسته في أثينا أو في عمله ككاهن أو كرئيس أساقفة في قيصرية، وأيضًا يسنده منهجه

الرهباني واهتمامه بإقامة مدارس يرعاها الرهبان، مُقَدِّمًا لهم الأسلوب الذي يلتزم به الرهبان في تعاملهم مع الفتیان والشباب المُلتحقين بهذه المدارس.

كتب القديس هذا المقال كرد فعل لموقف الإمبراطور يوليانوس الجاحد، الذي لاحظ نجاح باسيليوس وصديقه غريغوريوس، وكان يدرس معهما في ذات المدرسة (أو الجامعة). أدرك يوليانوس فيما بعد أن الدراسات التي تَمَتَّعَ بها هذان الصديقان لم تعوقهما عن الخدمة، بل نبوغهما مع تقواهما ساعدهما على الشهادة للحق الإلهي بين الوثنيين والمنحرفين أخلاقياً. لهذا فإن من أهم القرارات التي اتخذها يوليانوس حين جحد الإيمان، منع المسيحيين من الالتحاق بهذه المدارس، مُتَرَجِّبًا أن يحد من فرص التعليم لهم، حتى يُتَّهَمُوا بالجهل وعدم المعرفة.

جاء رد الفعل لدى المسيحيين من موقف الإمبراطور متباين، فالبعض في مبالغة رأوا ضرورة إعادة كتابة الكتاب المقدس بلغة يونانية كلاسيكية بطريقة تجذب أصحاب الثقافات الهيلينية والفلسفات المعاصرة في ذلك الحين. وآخرون رأوا أن ما فعله يوليانوس كان في صالح المسيحيين، فإنه لا حاجة لهم إلى الثقافة اليونانية، وأن لا علاقة بين أثينا مركز هذه الثقافة الهيلينية وأورشليم مركز الإيمان المسيحي. لذلك عندما أُعيد افتتاح بعض المدارس في وجه المسيحيين تساءل البعض عن موقف قادة الكنيسة منها. أما رد الفعل لدى القديس باسيليوس فهو تشجيع الشباب المؤمن أن يدرسوا ويتعلموا، ولكن بروح التمييز والحكمة.

يبدو أنه كتب هذا المقال كنصيحة يُقَدِّمها إلى أبناء شقيقه، الذين كانوا مُلتحقين بمدارس فلسفية وثنية، إلا أن له أهمية كبرى، إذ يكشف عن رأي القديس في الأدب اليوناني الكلاسيكي. أشار موقع *Orthodox America*<sup>1</sup> إلى هذا المقال الذي قام بترجمته الدكتور *F. M. Padelford*، وقد علَّق الكاتب على هذا المقال بأنه يكشف عن اتساع فكر الكثير من آباء الكنيسة الأولى عن بعض القادة الكنسيين المعاصرين.

### الباسيليون الأوائل ومقال "كيف ينتفع (الشباب) من الثقافة الهيلينية؟"

لهذا المقال تقديره التاريخي لدى الباسيليين *Basilians*. وقد قامت الكلية في *Annonay* بدراسة النص اليوناني لهذا المقال عام ١٨٢٢م. ويظهر قيام هذا المقال بدور هام في قيادة الباسيليين الأوائل من اختيارهم "باسيليوس" واضع هذا المقال قائداً ونموذجاً *Patron* لهم<sup>٢</sup>.

<sup>1</sup> *Essays on the Study and Use of Poetry by Plutarch and Basil the Great, Dr. F. M. Padelford, trans., Yale Studies in English, Vol. XV; New York, Holt and Co. 1902. (cf. Orthodox America In Internet, Learning With Discernment – The Education Theory of St. Basil the Great.)*

<sup>2</sup> *James Hanrahan: The Life of Saint Basil the Great, 1979, The Basilian Press, Toronto.*



## العوامل التي أثرت على القديس باسيليوس

١. تربي القديس وهو صبي صغير على يدي والده المُعَلِّم القدير باسيليوس، الذي كان يقوم بتدريس وتهذيب الشباب في قيصرية الذين بلغوا حوالي الخامسة عشرة من عمرهم حتى الثامنة عشرة. وإذ اكتشف في ابنه نبوغه وذكاءه وشوقه للتعلم، اهتم به وكرّس الكثير من وقته لتعليمه، وكان مُعجَبًا به حتى مات الأب، فسافر الابن إلى أثينا يُكَمِّل دراسته.

٢. في أثينا كان باسيليوس شابًا متميزًا مع صديقه غريغوريوس النزينزي، فلم يشعر أن دراسة الفلسفات والعلم عائق لهما عن حياتهما الروحية أو شهادتهما لإنجيل المسيح أمام زملائهما الذين عرفوا بالإلحاد والانحراف والفساد. إنما قاما بدورٍ إيجابي، وجذبا كثيرين للحق الإلهي، وأعجب بهما ليس فقط زملاؤهما بل وأيضًا المدرسون.

٣. لا ننسى مدى الصداقة القوية التي ربطت القديس باسيليوس بالقديس أثاناسيوس بابا الإسكندرية. وكما نعرف أن مدرسة الإسكندرية هي أول معهد مسيحي علمي، كان منهجها يضم هذه الدراسات جنبًا إلى جنب مع دراسة الكتاب المقدس والدراسات الكنسية. وعندما سُئِل العلامة أوريجينوس عن سبب استخدامه لفلسفات العالم، قال إن مُعَلِّمه بنتينوس جذب كثيرًا من الفلاسفة للإيمان بالحديث معهم بلغتهم الفلسفية.

في شمال غرب أفريقيا رفض ترتليان بطريقة قاطعة أية دراسة فلسفية، إذ يقول:  
[أية شركة بين أثينا وأورشليم، أو بين الأكاديمية والكنيسة، أو بين الهرطقة والمسيحيين؟!]  
تعاليمنا تأتي من رواق سليمان الذي عَلَّمنا أنه يجب علينا أن نطلب الله ببساطة قلب كاملة.  
إنه لأمر رديء أن يقيم البعض مسيحية رواقية أو أفلاطونية أو جدلية. أما نحن فلم يعد لدينا حب استطلاع بعد أن عرفنا يسوع المسيح، ولا نطلب أن نبحث عن شيء بعد الإنجيل. مادما قد آمننا، فما حاجتنا أن نؤمن بشيءٍ آخر.

إن أول بنود إيماننا هو ألا نؤمن بشيء غير هذا الإيمان<sup>1</sup>.

بينما في الإسكندرية كان القديس كليمنضس السكندري الذي يُحسَب تلميذًا لبنتينوس ومُعلِّمًا لأوريجينوس أول كاتب مسيحي في العالم المسيحي سجّل لنا كتابةً ضرورة التوافق بين الفلسفة (وكان العلم في ذلك الحين جزءًا من الفلسفة) والإيمان.

نستطيع أن ندرك مدى ولع الأقباط بالفلسفة في ذلك الحين، وأثرها أيضًا على الأساتذة الوثنيين مما جاء في خطاب لهادريان حفظ بواسطة *Vopiscus*: "الذين يعبدون سيراببيوس هم

<sup>1</sup> Tertullian: De Prescriptione 7: 9. 13.

مسيحيون، والذين يُقَبَّون أساقفة المسيح هم نذيرو سيرابايوس<sup>1</sup>. حدث هذا الخلط في أذهان البعض لأن بعض عظماء المسيحيين كانوا يترددون على المدرسة الوثنيّة لدراسة الفلسفة، كما أن بعض علماء الفلسفة قبلوا الإيمان ودخلوا المدينة الكنسيّة.

تتلخّص نظرة القديس كليمنضس السكندري إلى الفلسفة في النقاط التالية:

أ. الفلسفة ليست عملاً من أعمال الظلمة، بل في كل مذهبٍ من مذاهبها يشرق عليها شعاع نور<sup>2</sup> من اللوغوس... ففي بداية كتابه المتفرقات *Stromata* انتقد القائلين بأن الفلسفة شر، ووجد أنه سيُوضّح - خلال هذا العمل - أنها من جانب هي "عمل التدبير الإلهي"<sup>3</sup>.

ب. أكّد القديس بأمثلة عديدة أن اليونانيين قد استعاروا الكثير من العهد القديم<sup>4</sup>. قال إن أفلاطون انتحل آراء موسى والأنبياء. ولو أنه لم يقدمها بطريقة صادقة. كما شبّه الفلسفة اليونانية بالشرعية الموسوية، ومع ذلك فكثيراً ما أكّد أن الإيمان هو أساس كل معرفة<sup>5</sup>، أعظم منها وهو الحكم عليها<sup>6</sup>، كما دافع عن الإيمان ضد الفلاسفة<sup>7</sup>.

ج. أوضح القديس<sup>8</sup> أن الغنوسي أو المسيحي الأمثل يستخدم كل أنواع المعرفة ولا يخاف الفلسفة، بل يستفيد منها. حقاً إن الجماهير تخاف الفلسفة كما يخاف الأطفال من القناعات لئلا تضلهم الطريق. لكن المسيحي يقدر بالإيمان أن يعرف الحق ويميزه؛ يفصل الحق غير المتغير عن الآراء الباطلة، فيكون كالصرّاف الذي يقدر بخبرته أن يفصل العملة الحقيقية عن الزائفة. هكذا لا يندفع الغنوسي بالكلمات الزائفة. وكما يصرخ داود قائلاً: "البار لا يتزعزع إلى الأبد" (مز 112: 6)، لا بالكلمات الزائفة ولا باللذات الخاطئة. إنه لن يتزعزع عن ميراثه "لا يخشى من خبر سوء" (مز 112: 7)، فلا ترعبه افتراءات لا أساس لها، ولا يهتز من آراء باطلة تنتشر حوله.

يوضح كليمنضس أن الغنوسي يستخدم الفلسفة بطريقة صالحة لمعرفة الحق الذي يظهر فيها جزئياً، أما الهراطقة فيستخدمونها بطريقة شريرة للتضليل. هذا وفي رأيه أن الفلسفة أيضاً قادرة على فضح أخطاء السوفسطائيين وإظهار انحرافهم.

<sup>1</sup> F.W. Farrar, P. 26.

<sup>2</sup> Strom. 1: 13.

<sup>3</sup> Ibid 1: 4.

<sup>4</sup> Strom 2: 5.

<sup>5</sup> Ibid 2: 4.

<sup>6</sup> Ibid 2: 4: 5.

<sup>7</sup> Ibid 2: 2: 8.

<sup>8</sup> Ibid 6: 10.

٤. عاش الآباء الكبادوك العظام الثلاثة (باسيليوس وغريغوريوس النيصي وغريغوريوس لدينزي) في جو ثقافي عالٍ، سواء خلال صداقتهم القوية أو في الجو الأسري.

٥. لا ننسى دور الخطيب المشهور ليبانيوس *Lebanus* الذي جذب باسيليوس إلى محبة الأدب اليوناني، دون أن يهتز إيمانه.

٦. أخيرًا نذكر ما قاله صديقه غريغوريوس عن حياتهما في أثينا: [لقد عرفنا طريقين: الأول وهو الذي نعتز به بالأكثر، وهو الذي يقودنا إلى الكنيسة ومُعَلِّمِها، والثاني وهو أقل في المعزّة، وهو الذي يقودنا إلى المدرسة وعميدها.]

حقًا لقد شعر باسيليوس أحيانًا أنه قد أضاع الكثير من وقته في دراسة العلوم الزمنية، حاسبًا أن الإيمان المسيحي لا يُقَارَن بشيءٍ من علوم العالم. لذلك قال مؤخرًا: [أضعت غالبًا كل صباي في محاولة باطلة، أطلب تعلّم الحكمة التي هي في عينيّ الله غباوة.] في نفس الوقت لا ننسى استخدامه لهذه العلوم في جذب الوثنيين الفلاسفة كما استخدمها للرد على الهرطقة مثل الأريوسيين، لأنهم استخدموا أسلوب الفلسفة في نشر هرطقاتهم، وكان لا بد للرد عليهم بلغتهم.

## الأفكار الرئيسية في المقال

كشف القديس باسيليوس عن موقف المسيحي من الأدب اليوناني الكلاسيكي. فمع عدم إمكانية مقارنته بالكتاب المقدس، إلا أنه يوضّح بأن بعضه نافع، ويمكن استخدامه في أغراض تعليمية.

لم يُعَادِ القديس باسيليوس الكبير الفلسفة والعلم، قرأ أعمال الشعراء والروائيين والفلاسفة اليونانيين. كل ما هو بين يديه كان بمثابة أشكال وصورّ وقوالب جميلة جدًا. ليس لديه تفضيلات على الإطلاق. بكل بساطة استخدم لغة عصره وطريقة تعبيره، لدرجة أن المرء يقتنع بأن باسيليوس لا يستطيع لحظة واحدة أن يعبر تعبيرًا خارج الإطار الفكري لعصره. هذه الحقيقة تُمثّل إنجازًا له، ولست من النواقص كما قد يظن البعض<sup>١</sup>.

فيما يلي الخطوط العريضة والأفكار الرئيسية لهذا المقال:

١. أشار القديس في مقدمة المقال على الشباب إنه حسب خبرته الشخصية العملية بالنسبة للأدب الوثني، أن دراساته أعطته خبرة في الشئون الإنسانية، وأنها قدمت له إمكانية التعرف على الطريق السليم للمبتدئين في رحلة حياتهم.

١. جورج عوض إبراهيم: القديس باسيليوس الكبير، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية بالقاهرة.

❖ إني مهتم يا أبنائي أن أقدم لكم مشورة صالحة. توجد أسباب كثيرة تدفعني للقيام بهذا العمل، فإنني واثق أنكم ستجدون نفعًا إن فبلتموها.

يمكنكم أن تروا ذلك، فقد بنيت إلى سنٍ مُعَيَّن، ولي تجارب كثيرة، خاصة وأنني أكثر من زملائي اشتريت في تلك المدرسة، حيث يُدرّس فيها كل شيء، وإن كان يُوجّه نقد لاذع للمدرسة.

هذا كله أعطاني خبرة في الشئون البشرية، ووهبني قدرة أن أشير إلى الطريق السليم للمبتدئين في رحلة حياتهم<sup>١</sup>.

### القديس باسيليوس الكبير

٢. يرى القديس باسيليوس أهمية الثقافة اليونانية، فالعلوم الزمنية هي حلي للعقل، وذلك كأوراق الشجر التي تُزيّن الشجرة الحاملة للثمار. فهي لا تضر الثمرة، بل تُعطيها.

هنا يُحدّد القديس باسيليوس بحسم علاقة الحق بالعلوم الإنسانية من فلسفة وتربية وشعر وفنون أدبية وغيرها، فالحق هو أشبه بثمرة للنفس، أما بقية العلوم هذه فهي الأوراق التي تحمي الثمرة وتُعطيها منظرًا جميلًا. فالمكانة الأولى هي للحق الإلهي، أما بقية العلوم والفنون الأدبية فلها مكانة ثانية، ودورها هو خدمة الحق نفسه. والمرء الذي يضع هذه العلوم في المكانة الأولى يضل الطريق كما يؤكد القديس باسيليوس، إذ اختبر هذا الأمر بنفسه. ويؤكد أن هذه العلوم لها جمال أخاذ يخدم الحق الإلهي، وليست العلوم فقط بل الخليفة بأكملها لأنها هي بمثابة خليفة الله، هي رائعة وجميلة (انظر ستة أيام الخليفة ١: ١١، ٢: ١)<sup>٢</sup>.

٣. في دراسة المعارف الوثنية يلزم التمييز بين ما هو نافع وما هو مُضِر، فيقبل الإنسان ما هو نافع، ويسد أذنيه عن الإنصات لما هو مُضِرّ، ويحسبها كمن ينصت إلى أغنية فاسدة ساحرة وجذّابة. يليق به أن يتشبه بالنحل الذي يفتقد الزهور، لكن ليس بدون تمييز، ولا يحمل منها إلا ما يحتاج إليه، ويحقق بها هدفه، وهو استخراج عسل النحل. يبحث النحل عن العسل ويهرب من السم. بنفس الطريقة إن كنا كحكماء، فإننا نجمع ما هو مناسب لاحتياجاتنا، وما يليق بالحق، ونعبر على البقية.

مع عدم إمكانية مقارنتها بالكتاب المقدّس، إلا أنه يوضّح بأن بعضها نافع، ويمكن استخدامها لأغراض تعليمية.

<sup>١</sup> كيف ينتفعون من الثقافة الهيلينية؟ ١

<sup>٢</sup> د. جورج عوض إبراهيم: القديس باسيليوس الكبير، المركز الأرثوذكسي للدراسات الأبائية بالقاهرة.



❖ لناخذ أولاً أعمال الشعراء، مواضيعهم تعالج أمورًا مختلفة، لا يستطيع أحد أن يفتح ذهنه نحوها بدون تمييز. أحيانًا يسردون كلمات وأعمال أناس صالحين. عندئذ يليق بالإنسان أن يحبهم ويتمثل بهم ويبذل كل جهده أن يتشبه بهم. ولكن أحيانًا تتحرف تخيلاتهم إلى أشخاصٍ أشرارٍ، فيليق بالإنسان أن يتجنب هذه الأمثال. فإن الاعتياد على سماع كلمات رديئة هو نوع من العبور إلى تصرفات شريرة.

يليق بنا أن نفتدي بالنحل عندما نشترك في هذه الأعمال، فإنها لا تذهب إلى كل الزهور بدون تمييز. وعندما تطير إلى زهورٍ مُعَيَّنة لا تحاول أن تحملها كلها. إنما تأخذ منها ما هو مفيد لعملها وتترك الباقي دون أن تتطلع إليه. بنفس الطريقة إن كنا حكماء، نجمع ما يناسب احتياجنا، وما يُعزِّز الحق، ونعبر عن الباقي<sup>١</sup>.

### القديس باسيليوس الكبير

٤. يرى أن دراسة الكتاب القدامى يمكن أن تكون ذات قيمة إذا ما اختير أفضل أعمال الشعراء والمؤرخين وأصحاب البلاغة، واستبعاد ما هو ضار على نفوس الطلبة. كان القديس باسيليوس مهتمًا بأخلاقيات القراء، ولم يكن يقلق على إيمانهم.

٥. الدروس الخاصة بالفضيلة لها أثرها الفعّال على حياة الشباب. أغلب الفلاسفة البارزين يُمجّدون الفضيلة، لكن يلزم أن يتطلع الإنسان إلى حياتهم التي قد تكون غير متناغمة مع كلماتهم. يمكن لشباب قيصريّة المسيحيين أن يجدوا أمثلة للحياة الفاضلة في هومر *Homer* وهسيوس *Hesios* وثوغيوس *Theoguis* و *Solon* و *Euripides*، وأفلاطون، إذ جاءت كتاباتهم تمدح الفضيلة.

❖ بالفضيلة نجمع لأنفسنا كنزًا للحياة الأخرى. في أغلب الأحيان الشعراء وأيضًا المؤلفون الواقعيون وكثير من الفلاسفة يمدحون الفضيلة. مثل هذا النوع من الدراسة يلزمنا أن نطبقها على أنفسنا. ميلاد نوع من المعرفة المعتادة الخاصة بالفضيلة داخل نفوس الشباب مكسب ليس بقليل. إنه لأمر ثمين أن يتعلّم الإنسان في هذا السن أن الطبيعة تميل إلى عدم التغيير. لهذه الدروس فاعليتها العميقة على تلك النفوس القابلة للتغير.

سمعت مرة عن شخصٍ بارعٍ في تفسير فكر الشعراء يقول إن شعر هومر *Homer* ببساطة هو سموّ في الفضيلة. قيل إن كل شيء فيه يتّجه نحو هذا الهدف إلا ما هو عارض<sup>٢</sup>.

<sup>١</sup> كيف ينتفعون من الثقافة الهيلينية؟ ٤

<sup>٢</sup> كيف ينتفعون من الثقافة الهيلينية؟ ٥

❖ هذا حقيقي بالنسبة لكل المؤلفين المشهورين بالحكمة، سواء بصورة بسيطة أو عظيمة، كل واحدٍ قدر طاقته يضع أعماله لكي يمدح الفضيلة<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

٦. كما أن أعمال هؤلاء النبلاء تُمدح إن تناغمت مع كلماتهم، هكذا يليق دراسة أعمالهم إن كانت تتفق مع تعاليم الكتاب المقدس.

❖ عندما نقارن بين النوعين من التعلُّم، نرى أنه من المفيد لنا أن نعرف الاثنين، متى كانا متشابهين. أما إذا لم يكونا هكذا، فعلى الأقل بالمقارنة نكتشف الخلاف بينهما، وهذا يُعيننا على الالتصاق بما هو أفضل... خذ شجرة فاكهة، فإنها حسب نوعها على وجه الخصوص في موسمها تكون مملوءة بالفاكهة، لكنها أيضًا تجتذب أنظارنا بأوراقها التي تتلألأ على فروعها. هكذا بنفس الطريقة، ثمرة النفس الرئيسية هي الحق، لكن تجد نعمة معينة أيضًا عندما تُغطّي نفسها بالحكمة الزمنية، بكونها الأوراق التي تجتمع معًا لتُظلل على الثمرة، وتعطي منظرًا ليس في غير أوانه<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

٧. يليق بالشباب إذ يتعرّفون على ما هو نافع وما هو ضار، أن يحفظوا في أذهانهم غاية المسيحي في حياته وهي الحياة الأبدية، فيستخدمون كل طاقاتهم ومواهبهم لاقتناء الإكليل السماوي.

تدعونا بعض هذه الدراسات إلى إدراك أن الحياة البشرية لا قيمة لها، وإنما عملنا هو الاستعداد للحياة الأخرى. وأن نبذل كل طاقتنا للعمل لحساب حياتنا العتيدة.

إن تحقق هذا خلال الثقافة الزمنية، يتم النضوج والنمو بدراسة الكتاب المقدس، إذ به يخزن الإنسان معرفة الحياة العتيدة. في نفس الوقت إذ لا يقدر الشباب أن يعرفوا قيمة الأفكار العميقة التي للأسفار المقدسة، يمكنهم دراسة العلوم غير الدينية *secular* حيث تظهر الحقيقة كما في مرآة.

❖ نبدأ يا أبنائي بتقييم هذه الحياة البشرية أنها باطلة. وكل ما هو نافع لنا في هذه الحياة وحدها، لا نحسبه صالحًا بالمرّة ولا يستحق الذكر... إنما يمتد رجاؤنا أكثر من هذه الحياة جدًّا. كل ما نفعله إنما لكي نُعدنا للحياة الأخرى. نقول كل ما يكون نافعًا لتلك الحياة يجب أن يُحبّ ونبحث

<sup>١</sup> كيف ينتفعون من الثقافة الهيلينية؟ ٦

<sup>٢</sup> كيف ينتفعون من الثقافة الهيلينية؟ ٣

عنه بكل قوتنا...

تقودنا الأسفار المقدسة خلال الأسرار التي تُعلِّمنا إيَّها إلى تلك الحياة. حقًا إن الزمن كفيف أن يدخل بنا إلى معانيها بعمقٍ. وإذ ننتظر هذا، نتدرَّب بعين النفس خلال الظلال والمرآة. كما أنه خلال الكتب الأخرى لا يختلف الأمر نهائيًا. بهذا نقدي بالذين يتدرَّبون على الجندية. هؤلاء يمارسون الإيماءات والرقص، وإذ يأتي وقت الحرب، يجمعون ثمر تداريبهم... هكذا نتعامل نحن أيضًا مع الشعراء والمؤرخين والخطباء، بالحقيقة نتعامل مع كل البشر، فنجد في كل أحد شيئًا يفيدنا في رعاية النفس<sup>١</sup>.

### القديس باسيليوس الكبير

٨. يتحقق هذا الهدف بضبط الجسم، واحتقار الغنى والشهوة، وإخضاع هذا كله للفضيلة. أعطى القديس باسيليوس أمثلة من الآداب نستخلص منها أن بعض الوثنيين أيضًا يرغبون الخير، ويسعون إليه.

٩. قدّم لنا القديس أمثلة من الكتاب المقدس لمن أحسنوا استخدام الثقافة الزمنية، مثل موسى الذي تدرَّب على حكمة المصريين، ودانيال الذي درس علوم الكلدانيين ومعارفهم.

١٠. ربما يتساءل البعض: أما يكفي الكتاب المقدس دون دراسة الثقافات المعاصرة؟ يجب القديس باسيليوس أن الكتاب المقدس فيه كل الكفاية للتمتع بالخلاص. لكنه يدعونا إلى الدراسة والتعلُّم والتقدُّم في كل جانب، فيكون كالنهر الذي تصب فيه مياه نقية، فيزداد ويزداد بلا توقُّف.

هذا ويمكن للمؤمنين أن يستفيدوا من الآداب الكلاسيكية الوثنية لتدريب النفس إلى أن يصبحوا مُتمكِّنين من فهم معنى الكتاب المقدس العميق.

❖ الآن، يمكننا أن نتعلَّم هذا كله، دون شك، بطريق غاية في الكمال في أسفارنا المقدسة. لكن يمكننا إلى حين على الأقل أن ننسحب إلى نوع من الخط الرئيسي للفضيلة بواسطة التعليم الدنيوي. هؤلاء الذين يحرصون أن يجمعوا ما هو نافع أينما وجدوه، فيكونون مثل أنهار عظيمة، يجدون زيادة فزيادة، فيبلغ الفهم من كل جانب بطريقة طبيعية<sup>٢</sup>.

### القديس باسيليوس الكبير

<sup>١</sup> كيف ينتفعون من الثقافة الهيلينية؟ ٢

<sup>٢</sup> كيف ينتفعون من الثقافة الهيلينية؟ ١٠



## الإيمان المسيحي والثقافات المعاصرة

إن كان العلامة ترنتليان في القرن الثاني، الذي يعتبره بعض الدارسين أول لاهوتي غربي، نادى بأنه أي اتفاق بين المؤمن والفيلسوف، وأية خلطة بين الإيمان والفلسفة، ففي الشرق خاصة مدرسة الإسكندرية لم يحمل الإيمان روح العداء للفلسفة. يقول العلامة أوريجينوس إن استخدام الفلسفة في المسيحية يرجع إلى عهد القديس بنتينوس (تتويح عام ١٨٠م) مُعَلِّم القديس كليمنضس. وكان أثيناغورس أول فليسوف ذا مثابرة قوية أهَّلته أن يصبح رئيسًا لمدرسة الإسكندرية اللاهوتية دون أن يخلع عنه ثوب الفلاسفة، وقد عُرف بأنه أول مسيحي اندمج إيمانه بنزعة قوية إلى الفلسفة. لم ترد مدرسة الإسكندرية فصل المؤمنين وبالأخص قادة الكنيسة عن الثقافات المعاصرة، خاصة وأن هذه الحضارات ساعدتهم على التقدُّم في بعض أوجه الحياة. فاهتمامها بالعلوم والفلسفة واضح من خلال دراستها الموسوعية. وكانت دراسة الفلسفة وعلم الخطابة من أبرز الطرق لتتيمم التعليم في ذلك الوقت.

يقول *Philip Schaff* إن الإسكندريين والمُتَقَفِّين استخدموا الفلسفة اليونانية بحرية، فبالنسبة لأوريجينوس كانت الفلسفة هي الجواهر التي اصطحبها اليهود معهم من مصر فاستخدموها في تزيين مقدساتهم، لكنهم استخدموها أيضًا في صنع العجل الذهبي. والفلسفة ليست عدوًا للحقيقة بل بالحري تلازمها وتساندها وتقلل من الهجمات ضدها.

ويُشجِّع القديس ديونسيوس المؤمنين في إحدى رسائله على قراءة الكتب الفلسفية حتى غير القويم منها، وعَلَّلَ بذلك أن الله كشف له عن نفسه من خلال الكتب العديدة وناداه قائلاً: "ادرس أي شيء يقع بين يديك، لأنك مدعو لفحص وإثبات الأشياء، وهذه العطية منذ البدء هي السبب الرئيسي لإيمانك". فقبل القديس الرؤيا، ولم يترك القراءة قط، وقد مكَّنته هذه المعرفة من مهاجمة العدو في عُرِّ داره.

نادى القديس كليمنضس السكندري في القرن الثاني أن الله الذي أَعَدَّ اليهود بالناموس لقبول الإيمان المسيحي، أَعَدَّ الأمم بالفلسفات كطريق للإيمان. لقد قيل عنه إنه أول كاتب مسيحي قام بتزويج الإيمان مع الفلسفة. وجاء تلميذه العلامة أوريجينوس يستخدم أحيانًا الفلسفة في الحوار مع الهراطقة الذين استخدموا الفلسفة سلاحًا لهم. لقد استخدم قادة مدرسة الإسكندرية الفلسفة في الرد الإيجابي على أعداء الإيمان المسيحي الذين ادَّعوا بأن المسيحية مَنَعَت الناس من الدراسات الفلسفية.



## القديس باسيليوس والثقافات المعاصرة له

نشأ القديس باسيليوس مع إخوته وأخواته في أسرة تتسم بالغنَى الثقافي والتقوى، وقد درّبتهم جدّتهم لأُمّه، القديسة ماكرينا الكبرى على دراسة الكتاب المقدس، وأيضًا أمهم القديسة إميليا. وكان ثمره هذه التربية أن ثلاثة منهم صاروا أساقفة، وتعهّدت الأخت القديسة ماكرينا ديرًا للنساء أو بيتًا للعداري.

كان الأب خطيبًا، وقد سُرَّ بابنه باسيليوس الذي تَمَتَّع بنفس الوزنة، وقد تعهّده الخطيب المشهور ليبيانيوس *Libanius*، الذي أوحى إليه بمحبة الأدب الهيليني. في نفس الوقت كان القديس باسيليوس يَعتَبِرُ الطريق المسيحي أسمى من كل فلسفة. كتب إلى صديق له يقول: "لقد أضعت كل صباي تقريبًا في محاولة فاشلة أسعى في تعليم الحكمة التي هي في عينيّ الله غباوة".

استخدم القديس الفلسفات والعلوم الكلاسيكية ضد الأريوسية.

حزن كثير من الوثنيين واليهود على موته وشاركوا جموع المسيحيين في جنازته في أول يناير سنة ٣٧٩م.

شجّع القديس الدراسات الكلاسيكية لنفعها في الدفاع عن المسيحية، كما رأى أنها تسند الدارس للكتاب المقدس للتمتع بالطعام القوي.

## الحاجة إلى حكمة الإنجيل التقوية

❖ أضعتُ فترة طويلة في حماقات، وأمضيت كل شبابي تقريبًا في أعمال باطلة، والسعي وراء تعاليم حكمة العالم التي يحسبها الله جهالة. فجأة صحت كما من نوم عميق، ورأيت نور إنجيل الحق العجيب، وأدركت بطلان حكمة رؤساء هذا العالم الذين يبطلون (١ كو ٦: ٢).  
ذرفت سيلاً من الدموع على حياتي التعيسة، وصليت لأجدَ مُرشدًا يمكنه أن يبيث فيّ مبادئ التقوى الحقيقية... وأصبح جل اهتمامي أن أعمل على إصلاح أخلاقي بعد أن أفسدها طول اختلاطي برفقاء الشرّ، ثم قرأت الإنجيل، ورأيت أنه لا سبيل إلى بلوغ الكمال إلا بأن يبيع المرء ماله ويعطي للفقراء نصيبهم، ويتخلّى عن مطامع الحياة جميعها، حتى لا يبقى للنفس ما يُعكّر صفوها من كل ما في الدنيا من أشياء<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>١</sup> Letters, 223:2; Mike Aquilina: *The Way of the Fathers*, Indiana 2000, article 38.

## باسيليوس رجل الفكر

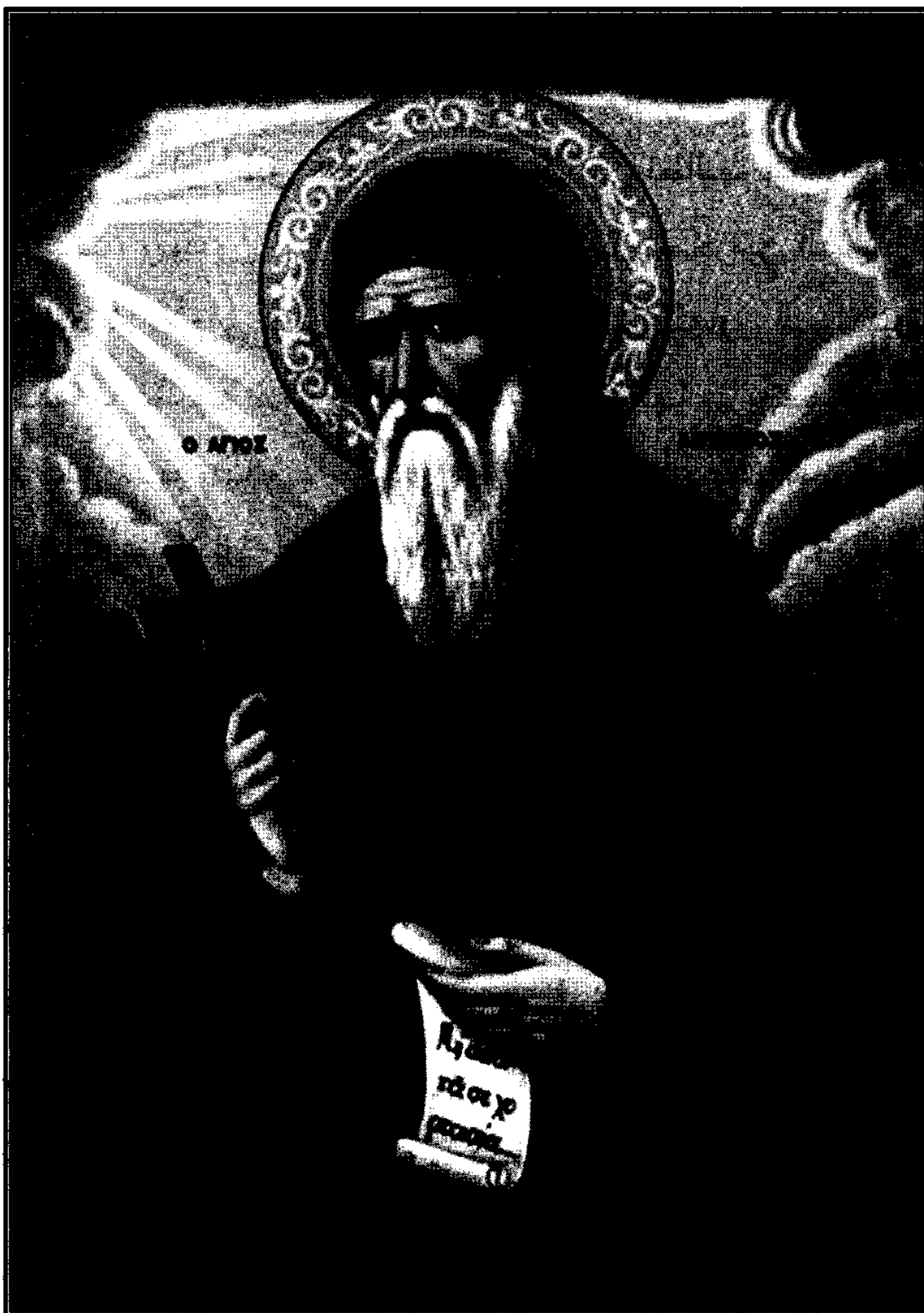
تحت هذا العنوان كتب الدكتور كوستي بندلي:

يُمدح باسيليوس لأنه قضى شبابه في حُبِّ الفلسفة. والتناقض ظاهري، ذلك أن الفلسفة سلاح نو حدين، يمكنها أن تُرقينا إلى الله كما يمكنها أن تكون حجة لرفضه. يمكن للإنسان أن يستخدم قوى الفكر التي بنَّها الله فيه ليسعى إلى مصدرها فيُمجِّده، أو أن يُحوِّلها ضدَّ مُعطيها ليكفر به. هذا من أسرار احترام الله الفائت لحرية مخلوقاته. فما يُحدِّر منه الرسول هو الفلسفة بالمعنى الثاني وما يُمدح عليه باسيليوس هو الفلسفة بالمعنى الأول.

فقد درس باسيليوس الفلسفة الشائعة في عصره، وهي الأفلاطونية الحديثة، وتضلَّع فيها. ولكنه كان يفحص كل شيء بفكر المسيح الذي وُضِعَ فيه بالإيمان، حسب قول الرسول "امتحنوا كل شيء وتمسَّكوا بما هو حسن". كانت فلسفة عصره من مصدر غير مسيحي إلا أن باسيليوس فهم أن الإنسان، بالنظر لصورة الله الباقية فيه رغم سقوطه، إذا سعى بإخلاص إلى الحقيقة، لا بد له أن يحصل ولو على أجزاء منها، وإن كان سعيه غريباً في الظاهر عن خط المسيح. فهم أن كل ما هو حق وعدل وخير وجمال في الكون وفي الفكر البشري، ولو بدا خارجاً عن المسيح، هو في الحقيقة وفي الأعماق منه وفيه وله. لذا لم يتهرَّب من الحوار مع فلسفة عصره، بل جابهها بإيمانه المسيحي واحتفظ منها بالعناصر الخيرة، فأحياها وكملها وأعطاهها كل مداها بربطها بالوحي الإلهي. هكذا عمَّد باسيليوس فلسفة عصره وسكب في تعابيرها مضمون إيمانه، فتمكَّن هكذا من نقل هذا الإيمان إلى مُعاصريه باللغة التي كانوا يألّفونها مُغلِّفاً الحقيقة الأبدية بقلب العصر حسب كلمة الرب "كل كاتب مُتعلِّم في ملكوت السماوات يُشبه رجلاً رب بيت يُخرج من كنزه جُذُداً وعتقاء" (مت ١٣ : ٥٢).

هذا ما يحتاج إليه عصرنا كحاجة ملحة. لقد كان الناس في عهد باسيليوس منشغلين بالفلسفة، وفي أيامنا أيضاً، نرى التيارات الفكرية كالوجودية والماركسية والمذاهب المنبثقة عن التحليل النفسي تتعدَّى نطاق الأخصائيين لتطال عامة الناس وتُسيِّر إلى حدِّ ما حياة الأفراد والجماعات. لذا وجب على المؤمنين، وخاصة المنشغلين بأمور الفكر بينهم، أن يدخلوا في حوار جريء مع هذه التيارات واثقين بأن الحقيقة واحدة وبأن كل حق وخير في هذه النظرية وتلك

! بد أن يلتقي بالحقيقة الأزلية الشاملة المتجسدة في ذاك الذي قال: "أنا هو الحق". فهكذا يُخصَّب إيمانهم، ويُقوِّم نتاج الفكر البشري. ومن جهة أخرى يغتني مفهومهم المسيحي للكون وللإنسان بكل اكتشافات ذلك الفكر الذي هو في الأساس هبة من الله وانطلاقة إليه. وهكذا يشهد المسيحيون، كما شهد باسيليوس، لجِدَّة رسالة المسيح. تلك الرسالة التي هي كالينبوع المتدفق، دائماً هي هي ودائماً جديدة<sup>١</sup>.



<sup>١</sup> راجع كوستي بندلي: القديس باسيليوس ونهضتنا، مجلة "النور"، العدد ٣، ١٩٦٥



## عدم قبول الهاريين من القانون<sup>١</sup>

لا يُسَمَحُ بقبول الأفراد الذين تطالبهم الحكومة بالديون، ونفهم ذلك من خلال السؤال الذي وَجَّهه إليه تلاميذه عن طلب أحد جباة الأموال للترهب في دير هل يُقَبَلُ أو لا؟ وفي إجابته عليهم أصرَّ على إلزام هذا الجابي بدفع ما عليه من ديون، إذا كانت الأموال التي جمعها من الناس معه، وإذا أعطاهم لأهله فيلزم أهله بدفعها تنفيذًا لقول الوصية: "أعطوا إذا ما لقيصر لقيصر وما لله لله" (لو ٢٠: ٢٥)، أما الدير فقير مُلْزَمٌ بدفعها، ولا يُقَبَلُ هذا الجابي في الدير إلا بعد أن يُسَدِّدَ ما عليه، وإن لم يُسَدِّدْ لا يُقَبَلُ<sup>٢</sup>.

وفي ضوء ذلك يمكننا أن نُطَبِّقَ هذا الحكم على كل من تطالبهم الحكومة بشيء، ويوجد بينهم وبينها مشكلات ونزاعات، ويُهدِّدون أمن الدولة وسلامتها، مثل المُجرِمين الذين يرتكبون جرائم القتل والسرقة وغيرها من الجرائم الأخرى التي تستحق العقاب، والذين يلجأون إلى الأديرة هربًا من العقاب، وهو بذلك يُقدِّم خدمات عظيمة للدولة، إذ يحافظ على أموالها وثروتاتها ومقدراتها من الضياع، ويساهم في الحفاظ على أمنها وسلامتها واستقرارها، ويُحقِّق مبدأ سيادة القانون على جميع سكانها، كما أنه يُقدِّم الخدمات نفسها لأديرته، وهو ما يؤدي إلى خير وازدهار الدولة والنظام الديرى معًا.

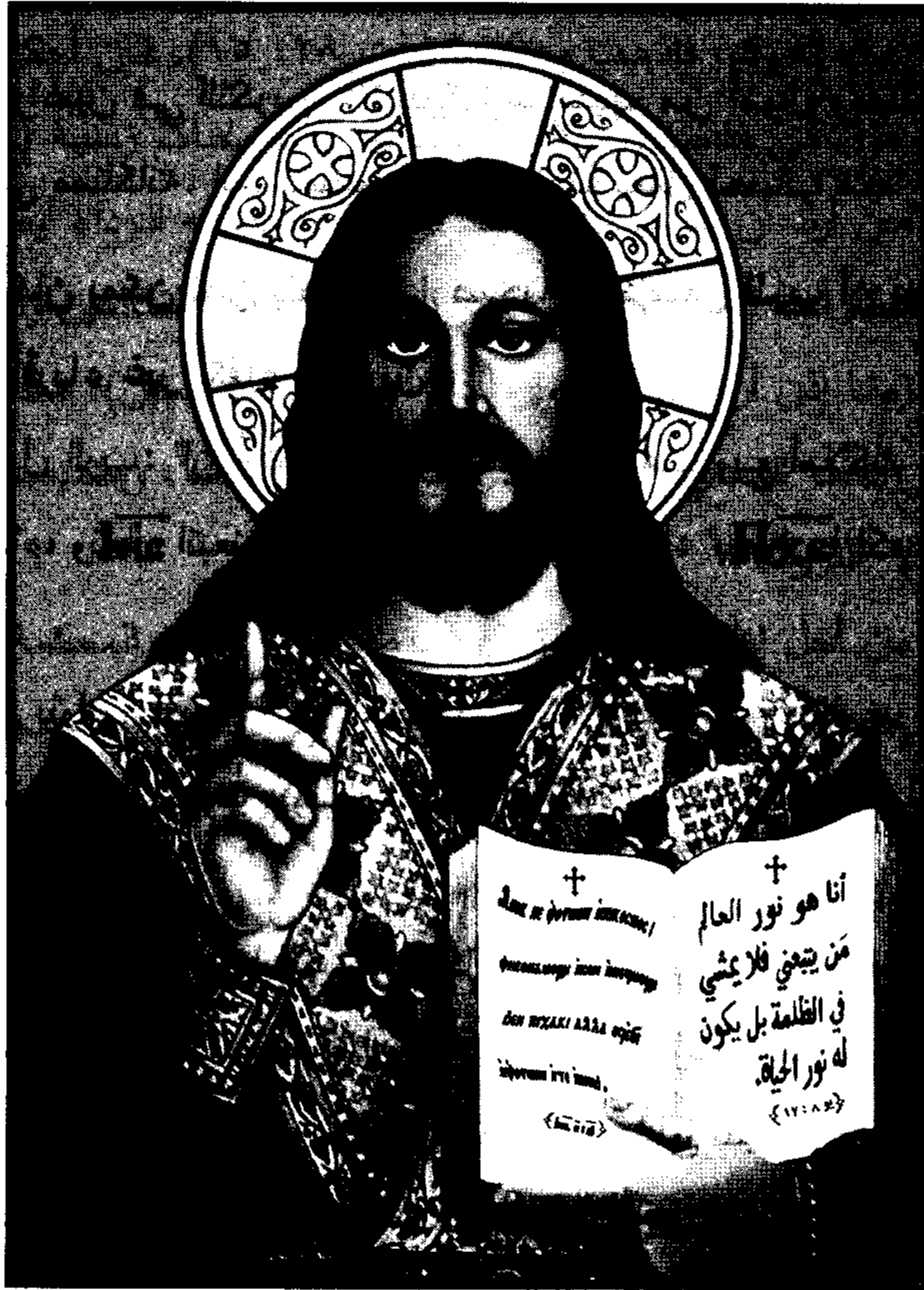
وعلى الجانب الآخر أوصى القديس باسيليوس من يريد أن يتربَّه في أديرته وله ديون عند الناس أيًا كان نوعها أموالاً أو ممتلكات أو ميراثاً فعليه أن يجتهد في تحصيلها، وإن لم يستطع تحصيلها منهم بسبب ظلمهم وشرهم، فعليه ألا يدخل في منازعات ومخاضات معهم بسببها؛ لأن المؤمن الحقيقي ينبغي عليه ألا يدخل في مثل هذه المنازعات مع أحد، ولا يُرفع ضدهم قضايا أمام المحاكم، بل عليه أولاً أن يذهب إليهم ويُعرِّفهم أنه عزم على سلوك حياة النسك، وأن جميع ما يملكه قد صار مُكرِّسًا لله، وعليهم أن يردُّوا ما اغتصبوه من أملاك له، وإن رفضوا إجابة مطلبه يُذَكِّرهم بأنهم مدانون بخطيئة سرقة المقدسات، وإن استجابوا له فقد رحيم مثل إخوة له عملاً بقول الآية: "إن أخطأ إليك أخوك فاذهب وعاتبه بينك وبينه وحدكما. إن سمع منك فقد رحت أخاك" (مت ١٨: ١٥). ويكون قد ربح ماله أيضًا. وإذا اختلف هؤلاء معه وادَّعوا ملكيتهم لما اغتصبوه منه، وطلبوا منه أن يصحبوه إلى قاضٍ ليحكم في هذا الأمر فعليه أن يذهب معهم دون أن يعترض، بشرط أن يكون القاضي عادلاً فيما يحكم به، ودون أن يكون هدفه من الذهاب معهم محبة المال أو الغضب

<sup>١</sup> شكري يوسف شكري كيرلس: القديس بازل الكبير. ديانته ونظامه الرهباني، ٢٠٠٩، الفصل الخامس.

<sup>٢</sup> Shorter Rules, 94.



او الانتقام منهم، بل يذهب لأجل تحقيق الأمر، وعليه أن يهتم بخلصهم بالقدر الذي يهتم به لخلص نفسه، ويطلب لهم من الله الرحمة والتوبة والمغفرة<sup>1</sup>، ويدل هذا على أن القديس باسيليوس كان حريصًا على استقبال الذين يرغبون في الانضمام لأديرتهم ومعهم ممتلكاتهم، وذلك لأن الممتلكات كلها تؤول إلى الدير ويتولاها رئيسه، ويقوم بتدبيرها لأجل خدمة الدير كله، وبذلك يكون القديس باسيليوس قد ضمن لأديرتهم موردًا ماليًا كبيرًا يُكرّس لخدمتها، ويسهم في استمرارها وخيرها ونسوها، ويدل هذا أيضًا على عمق خبرته في النواحي الاقتصادية.



<sup>1</sup> Reg. Fus. 9.

## حول حياة التكريس (الرهينة أو البتولية)

### إيداع المُكْرَسِينَ أموالهم لدى أقربائهم

مع ما اتسم به القديس باسيليوس من الزهد، حتى أنفق كل ما ورثه عن عائلته الغنية جدًا على الفقراء والمحتاجين، غير أنه يدرك أن كل ما في يديّ المؤمن وديعة يلزمه أن يتصرّف فيها بحكمة وأمانة.

لذلك طالب الراغبين في التكريس ألا يتركوا ما لديهم من أموال وممتلكات في أيدي أناسا مستغلّين، يطمعون في ممتلكاته. إنما يُسَلَّمُها في أيادٍ أمينة تعمل لحساب مجد الله.

❖ سؤال (عما) إن كان يمكن لمن ينضم إلى صحبة المُكْرَسِينَ للرب أن يودعوا ممتلكاتهم في غير مبالاة لدى أقرباء غير أكفاء وجائرين.

الإجابة: يقول الرب: "إن أردت أن تكون كاملاً، فاذهب وبع أملاكك وأعطِ الفقراء. فيكون لك كنز في السماء، وتعال اتبعني" (مت ١٩ : ٢١). وأيضًا: "بيعوا ما لكم، وأعطوا صدقة" (لو ١٢ : ٣٣).

أظن أن من يترك لأقربائه لأجل احتياجهم، فإنه لا يتبنّى اهتمامًا غير لائق نحو ممتلكاته. إنما تُحَدَّرُ من الخطورة أن يترك (طالب التكريس) إدارة ممتلكاته لأقربائه أو لأشخاص يختارهم جزافًا.

يلزمه أن يحاول حفظ حسابات دقيقة لكل شيء بكونها من الآن فصاعدًا صارت مُكْرَسَةً للرب، ويُوَزَّعُها بكل ورع، إما شخصيًا، إن كان ذلك ممكنًا ولديه الخبرة اللازمة لذلك، أو خلال وكالة أشخاص مختارين بعد بحث وسؤال، وأثبتوا قدرتهم على تدبير هذا العمل بإخلاصٍ وتعقّلٍ. فإنه إذا أُوْتِمِنَ على ثروة ملكٍ وأهمل فيها ولم يجاهد لتتميتها ما استطاع، لا يُعْفَى من الذنب، حتى وإن لم يكن قد كرر اختلاسات من الكنز المُكْرَس. كم تكون الإدانة التي نتوقّعها على الذين يسلكون في طياشةٍ وتبذيرٍ في إدارة خيرات مُكْرَسَةٍ بالفعل لله؟ ألا يسقطون تحت الحكم الذي يسقط على المُهْمَلِينَ، كما هو مكتوب: "ملعون من يعمل عمل الرب برخاءٍ" (إر ٤٨ : ١٠)؟

يليق بنا في كل موضع أن نكون على حذر، لئلا تحت مظهر حفظ وصية واجدة نكسر الأخرى. يليق بنا أن نصارع ونجاهد ضد الشر الجائر، لأن "عبد الرب لا يجب أن يخاصم" (٢ تي ٢: ٢٤). من يُعامل بطريقة جائرة من أقربائه حسب الجسد، يلزمه أن يتذكر كلمات الرب: "ليس أحدًا ترك بيتًا أو إخوة أو أخوات أو أبًا أو أمًا أو امرأة أو أولادًا أو حقولًا"، ليس يترك هكذا مجردًا، إنما "لأجل الإنجيل، إلا ويأخذ مئة ضعف الآن في هذا الزمان، وفي الدهر الآتي الحياة الأبدية" (مر ١٠: ٢٩-٣٠).

بالتأكيد، من واجبنا أن نشهد ضد ظلم خطاياهم الخاصة بتدنيس المقدسات، حسب وصية الرب: "إن أخطأ إليك أخوك، فاذهب وعاتبه" (مت ١٨: ١٥). فإن أحكام التقوى، على أي الأحوال، تمنع الدخول في مقاضاة هؤلاء الأشخاص أمام محاكم زمنية (علمانية) كما تُظهر الكلمات التالية: "من أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك، فاترك له الرداء أيضًا" (مت ٥: ٤٠). وأيضًا: "أيتجاسر منكم أحد له دعوى على آخر أن يُحاكم عند الظالمين وليس عند القديسين؟" (١ كو ٦: ١). يلزمنا إذن أن نقيم الدعوى أمام الآخرين (القديسين)، معطين اهتمامًا عظيمًا بخلاص أخينا عن نفعنا المادي، إذ يقول الرب: "إن سمع منك"، ويضيف: "فقد رحمت أخاك" (مت ١٨: ١٥)، لا "الثروة".

أحيانًا أيضًا من أجل إظهار الحق، نقبل (عرض الأمر على المحكمة) عندما يقيم الظالم نفسه اعتراضًا لدى تحكيم عام، ولا يُبادر بعرض الأمر على أنفسنا، إنما يلجأ إلى استدعائنا إلى المحكمة، فلا ننتهز الفرصة، فننغمس في مشاعر السخط والمنازعات، إنما نعلن الحق. بهذا الأسلوب ننقذ خصمنا أيضًا، حتى بغير إرادته، من نتائج شريرة، ونحن أنفسنا لا نكسر وصية الله، بكوننا خدامه، ولا نشاكس أو نطمع، بل نهدف بكل استقامة إلى إعلان الحق، ولا نتخطى حدود الغيرة المطلوبة<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## طالبو التكريس

يشعر القديس باسيليوس بأحضان الله المفتوحة لتستقبل كل إنسان يشتهي أن يُكرّس قلبه وحياته لمجد الله. أبواب التكريس مفتوحة للجميع بشرط أن يكون جادًا في حمل الصليب مع ربّ المجد المصلوب، وغير مُتذبذب في قراءاته.

<sup>١</sup> Reg. Fus. 9.



قبول الشخص للانضمام إلى حياة التكريس يحتاج إلى تدقيق شديد، وذلك لصالحه كما لصالح الجماعة. لأن فشل أي إنسان يعرضه للتحطيم نفسيًا، كما قد يسيء البعض تفسير علة فشله!

❖ هل كل طالب (التكريس) يُقبلون، أم يُقبل أشخاص مُعيّنون؟

وهل هؤلاء ينضمون في الحال، أم بعد فترة اختبار؟

وما هي طبيعة فترة الاختبار هذه؟

الإجابة: ما دام إلها ومُخلّصنا يسوع المسيح الصانع الخيرات يُعلن ويقول: "تعالوا إليّ يا جميع المُتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم" (مت ١١ : ٢٨)، فمن الخطورة أن نرفض أولئك الذين يقترّبون إلى الرب عن طريقنا، راغبين أن يحملوا النير اللطيف، ويقبلوا المشورات التي ترفعهم إلى السماء.

لكن لتأكدوا أنه لا يُسمح للأقدام غير المغسولة أن تقترب من التعاليم المقدسة. فقد سأل ربنا يسوع المسيح الشاب الذي جاء إليه عن حياته الماضية، وإذ عرف أنه مارس الحياة الفاضلة، عندئذ أمره أن يتّم ما ينقصه لأجل كماله، عندئذ فقط قدّم له الفرصة أن يتبعه. هكذا واضح أن واجبنا أن نسأل عن الحياة الماضية لطالبي التكريس، ونقبل الذين بالفعل لهم حياة صالحة في الماضي، ونمنح المُتقدّمين جدًّا تداريب في الكمال. من الجانب الآخر، فإن الذين رجعوا عن حياة شريرة أو جاءوا من حالة مختلفة عن الحياة المدققة في معرفة الله، فيلزم فحصهم بدقة للتأكد أنهم ليسوا غير مستقرين، وأنهم بسهولة يتذبذبون في قراراتهم.

إن تقلبهم السريع يجعلهم موضع شبهة، فبالإضافة إلى عدم استفادتهم، يُسبّبون أضرارًا للبقية بنشر شكواهم وكذبهم وافتراءاتهم الشريرة على أعمالنا.

على أي الأحوال، بقدر ما توضع كل الأمور في مكانها السليم بحفظ الاجتهاد وبمخافة الرب التي تسيطر على كل أنواع متاعب النفس، لا يُرفض هؤلاء الأشخاص في الحال. إنما يُوجّهون لممارسة تداريب مناسبة، فإن جاءت النتائج عبر الزمن في فترة التداريب الشاقة، ونجد نوعًا من الاستقرار، يمكن ضمهم بشيء من الأمان. أما إذا كان حالهم غير هذا فيرفضون، حتى وهم في الخارج لا يُسبّبون أضرارًا للجماعة.

لكن يجب عمل امتحان مُتكتّم لاكتشاف حقيقة الإنسان الذي سقط في خطية أنه اعترف بندامة عميقة عن خطايا الخفية، وصار ديانًا لنفسه (أم ١٨ : ١٧)، حتى يجعل رفقاءه في شره في خزي، ويتبرأ منهم، مقتديًا بالقائل: "ابعدوا عني يا فاعلي الشر" (مز ٧ : ٩). هذا بجانب أنه يجعل من حياته المستقبلية في أمان من سقوط آخر في خطايا مشابهة.



بالنسبة للباقيين توجد طريقة عامة للمحاولة مع كل الطالبين للانضمام لرؤية إن كانوا مُعدّين للعبور بهم بدون خزي زائف في تواضع، فيقبلون حتى الأعمال الوضيعة جدًا، إن كانت ممارستها مفيدة وصالحة.

نقول، بعد أن يبرهن كل طالب للانضمام أنه أدلة نافعة للرب، وأنه مستعد لممارسة كل عملٍ صالحٍ بعد فحصٍ دقيقٍ للغاية بواسطة المؤهلين لدراسة هذه الأمور، فليُسجَل اسمه من بين الذين كَرَسوا أنفسهم للرب.

علاوة على هذا، فإنه بالنسبة للذي تَمَتَّعَ بأية مراكز سامية في المجتمع، ويطمح في الاقتداء بتواضع ربنا يسوع المسيح، يُعطي أعمال في مظهرها متواضعة جدًا بالنسبة للذين في العالم، لكي يُرى إن كان بالفعل يبرهن أنه عامل من أجل الله بكل قلبه وبدون خجل!<sup>1</sup>

القديس باسيليوس الكبير

## التكريس والعبيد

- لم يستتف القديس باسيليوس من قبول عبدي إلى حياة التكريس، إنما وضع قواعد عامة لذلك:
١. إذا تقدم برضاه ورضى سيده، ينضم إلى الجماعة كأحد الإخوة، دون تمييز بين عبدي وحر.
  ٢. إذا رفض السيد تمامًا قبوله، يُطلب من العبد أن يُقبل الرجوع إلى سيده، ليشهد بأمانته للسيد المسيح، ويكون علة خلاص سيده. ويُطلب من السيد أن يُعامله كأخ له.
  ٤. إذا طلب السيد من العبد أن يمارس عملاً لا يُرضي الرب، يلزم على الكنيسة أن تسنده أمام سيده.

❖ كل العبيد المقيدون الذين يهربون إلى المجتمعات الدينية كملجأ لهم، يُنصحون بالرجوع إلى سادتهم في أوضاع أفضل، وذلك على مثال القديس بولس الذي ردَّ أنسيمُس إلى فليمون خلال الإنجيل (في ١٢).

فالأول (العبد) يقتنع أن نير العبودية يُحتمل بطريقة ترضي الرب، هذا يجعله مؤهلاً لملكوت السماوات. والأخير (السيد) يُحثُّ ليس فقط أن يكف عن أن يبطل التهديدات ضد العبد، مُتذكراً كلمات السيد الحقيقي: "إن غفرتُم للناس زلاتهم، يغفر لكم أيضًا أبوكم السماوي" (مت ٦: ١٤)، وإنما لكي ما يكون في وضع أكثر لطفًا نحوه. كُتِبَ "لأنه ربما لأجل هذا افترق عنك إلى ساعة، لكي يكون لك إلى الأبد. لا كعبدٍ في ما بعد، بل أفضل من عبدي، أخًا محبوبًا" (في ١٥-١٦).

<sup>1</sup> Reg. Fus. 10.

إن كان السيد شريراً يُصدِر أوامر تُلزم العبد بأن يعصى سيده الحقيقي، ربنا يسوع المسيح، من واجبنا أن نُعارضه، حتى لا يُجَدِّف على اسم الله، بتنفيذ العبد أعمالاً ضد مسرة الله. هذا الاعتراض يُعمل بحقٍ عندما يكون العبد المعني قابلاً أن يحتمل المتاعب التي تحلُّ عليه بسبب طاعته لله أكثر من الناس كما هو مكتوب (أع ٥: ٢٩)، أو عندما يكون الذين يُقدِّمون له ملجأ، يقبلون أن يرضوا الله، ويحتملون المتاعب من أجل (العبد الهارب) <sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## المُكرِّسون والنكت بالوعد

إذا انضم إنسان إلى جماعة المُكرِّسين، ثم عاد فنكت بوعده، الأمر الذي يُعثر الكثيرين، فإنه إذ وعد بالتكريس وانضم إلى الجماعة، يُحسب مَلَكاً لله لا لذاته، فنكته للوعد يكون كمن سرق ما ليس له. لهذا يلزم عدم الترحيب به في أية جماعة رهبانية أو جماعة مُكرِّسين. هذا ما يدفع القديس إلى المناداة بعدم التسرع في قبول شخصٍ ما، إلا بعد التأكد في صدق نيَّته، وعدم ترده في أخذ القرار.

❖ (عن الذين يُكرِّسون أنفسهم لله ويحاولون أن ينكثوا بوعدهم.)

بالتأكيد، كل واحدٍ انضم إلى الجماعة، وبعد ذلك انسحب من وعده، يُنظر إليه كخاطي ضد الله، الذي تعهَّد في حضوره بقبوله الميثاق. ولكن يقول الكتاب: "إن أخطأ إنسان إلى الرب، فمن يصلي من أجله؟" (١ صم ٢: ٢٥) لأنه إن كان قد كرس نفسه لله، وبعد ذلك اتَّجَه إلى أسلوب آخر من الحياة، فهو مُذنب بخطية انتهاك المقدسات، إذ ارتكب جريمة سرقة نفسه وسرقة مقدمة مُقدَّمة لله. فالإخوة يُبرِّون لأنفسهم أنهم لن يفتحوا الباب لمثل هؤلاء الأشخاص، حتى إن طلبوا مأوى لهم من بعض الظروف عندما عبروا.

يُوجَّهنا القانون الرسولي بكل وضوح إلى تجنُّب كل شخصٍ فوضوي وثلا انضباط، ولا يخالطوه لكي يخجل (٢ تس ٣: ١٤) <sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>1</sup> Reg. Fus. 11.

<sup>2</sup> Reg. Fus. 14.

## أديرة الراهبات

### أديرة الراهبات في بدء انطلاقها

لم تُمَيِّز حركة الرهبنة منذ البداية بين رهبنة الرجال ورهبنة النساء، غير أن رهبنة التوحيد غالبًا ما ضُمَّت الرجال، إذ كان يُخشى أن تتعرَّض النساء للخطر بالسُّكنى في مغارات أو كهوف منفردات. وقد تزيَّت بعض النساء بزِي الرجال ليُمارسن التوحيد.

يرى البعض أن رهبنة البنات وبيوت العذارى بدأت في الأربعة قرون الأولى، وكانت أكثر نجاحًا من حالة الرجال<sup>١</sup>. يظهر ذلك من الأحداث التالية:

١. وُجِدَت فتيات كثيرات كُنَّ يعشن في وسط عائلتهن يلتزمن فقط بحياة البتولية. هؤلاء يحملن في داخلهن شوقًا نحو الاجتماع معًا، كثيرًا ما تحَقِّق هذا الاشتياق، فكوَّن بيوتًا للعذارى، يعشن حياة منزلية عادية، دون وجود نظام مُعَيَّن لتسيير حياتهن يلتزمن به، تحت قيادة أم رئيسة.

٢. حينما قرَّر القديس أنطونيوس وهو شاب أن يبيع نصيبه في الميراث للتكريس للعبادة قبل أن يُعرَف لقب "راهب"، عند خروجه استودع أخته في إحدى بيوت العذارى بالإسكندرية كطلبها، وغالبًا ما صارت بعد ذلك مُشرفة على البيت<sup>٢</sup>.

٣. سمح القديس باخوميوس لأخته أن تؤسِّس ديرًا للراهبات على الشاطئ المقابل من نهر النيل جهة مدينة طبانسين بجوار الأقصر.

٤. قدَّم لنا القديس غريغوريوس أسقف نيصص صورة بهية ورائعة عن أخته ومُعَلِّمته مكرينا كرئيسة لدير البنات في أنيسي، وأيضًا عن الراهبات اللواتي تحت إشرافها. وقد ضُمَّت هذه الجماعة والدتها الأرملة التقية إميليا *Emmelia*، والخادمت اللواتي كن يخدمن الأسرة، وكثيرًا من النساء من أفضل العائلات بكبادوكية وبنطس. مكرينا هي التي حَثَّت أخاها باسيليوس على إقامة دير على الضفة المقابلة من نهر الأيرس *Iris*.

٥. هاجم الإمبراطور يوليانوس هذه البيوت أثناء اضطهاده للكنيسة.

إذ أراد جيبون *Gibbon* أن يسحر بالرهبة، قال إن تأثيرها "كان له فاعليته بأكثر قوة على العقول الضعيفة للأطفال والإناث. وفي نفس الفقرة، أشار إلى أن الحركة قد جنَّدت "ملايين من الجنسين، من كل الأعمار وكل الطبقات"، بهذا جاء نقده للرهبة بلا قيمة<sup>٣</sup>.

<sup>1</sup> W. K. Lowther Clarke: *St. Basil the Great, a study in monasticism*, Cambridge, 1913, p. 30.

<sup>2</sup> *St. Athanasius: Vita Ant.* 3.

<sup>3</sup> *Gibbon: Decline and Fall*, ch. xxxvii; Cf. E.F. Morison, p. 96.

## أديرة الراهبات عند القديس باسيليوس<sup>١</sup>

لا ننسى تقدير القديس باسيليوس لأخته القديسة ماكرينا التي كان لها الفضل عليه في تحويل نظره عن المراكز الزمنية السامية للاتحاق بالرهبة، كما كان لها أثرها على أخيها القديس غريغوريوس أسقف نيصص، فكان يدعوها "مُعَلِّمَتِي *my teacher*"، وأيضًا على والدتها إذ كانتا ملتحقتين بجماعة عذارى معًا. هذا كله دفعه إلى تقديره لرهبة النساء.

إن كانت الرهبة قد ضُمَّت الجنسين، إلا أن كل جنس كان له أثيرته المستقلة، ولم يكن القديس باسيليوس يَسْمَحُ لدخول النساء أديرة الرجال. ولم يكن يَسْمَحُ لراهب أن ينفرد براهبة وحدهما، فلا بد أن يوجد على الأقل اثنان من الرهبان، واثنان من الراهبات، ولا يزيد العدد عن ثلاثة من كل منهما<sup>٢</sup>. اعتمد في ذلك على ما ورد في (جا ٤ : ٩ ؛ ٥ : ١٠).

جاءت قوانين القديس باسيليوس موجهة للرجال كما للنساء بالتساوي. وُجِدَتْ في القوانين المختصرة قوانين خاصة بالنساء، غير أنه لم توجد وصايا لهن تتناقض ما ورد بخصوص الرجال. ذكر القديس باسيليوس أن عدد بيوت العذارى كان يتزايد<sup>٣</sup>.

كانت أديرة البنات تلجأ إلى أديرة الرجال للانتفاع بخدماتهم، كما حدث في دير القديس باخوميوس. كان يُعْهَدُ إلى بعض الرهبان القيام ببعض الأعمال في أديرة الراهبات، ويَشْتَرَطُ فيهم أن يكونوا مُتَقَدِّمِينَ في السن، أصحاب خبرة، لهم شخصية جادة، يحرصون أن يُقَدِّمُوا كل كلمة بحكمة<sup>٤</sup>. ❖ لأن المجامع يمكن أن تكون للرجال وللعداري أيضًا، فما قلناه ليكن للقسمين كليهما. ويجب أن العذارى يعرفن أن سيرتهن موسومة بالحشمة والوحدة ومحبة الأخوات والثبات. ويجب ألا يلتقن بالرجال. وسيرتهن مستوحبة الإقامة باجتهاد كثير<sup>٥</sup>.

❖ تخضع أديرة الراهبات لذات أحكام أديرة الرجال، مع حذر شديد، خاصة بالنسبة لاحتكاك الراهبات بالجمهور، وأن يحتظن من وجود تحزبات<sup>٦</sup>.

❖ يليق بها أن تضع في ذهنها أنها تقدم حسابًا لله عن كل كسرٍ غير لائقٍ بالحياة الجماعية. لا تطلب الأخت أن تتال من رئيستها ما هو حلو ومقبول لها، بل ما هو نافع ومفيد<sup>٧</sup>.

❖ ليتها لا تجادل في الأوامر الصادرة إليها (حتى لا يصير هذا عادة، ويؤدي إلى التمرد)،

<sup>١</sup> Cf. E.F. Morison: *ST. Basil and his Rule, Chapter XI.*

<sup>٢</sup> *Regulae brevius tractatae.*, 220.

<sup>٣</sup> *Letter 219:9.*

<sup>٤</sup> *Reg. Fus. 33; Reg. Brev. 154.*

<sup>٥</sup> راجع دير السريان: القديس باسيليوس، ٢٠٠٣

<sup>٦</sup> Cf. *An Ascetical Discourse, (Frs. Of the Church, volume 9, p. 221).*

<sup>٧</sup> *An Ascetical Discourse, (Frs. Of the Church, volume 9, p. 222).*



لكننا نتقبل الأمر كما من الرب بغير تساؤل، مُتذَكِّرين أن كل الكتاب المقدس هو إلهي، مُوحى به ونافع لنا. هكذا أيضاً يلزم العضوات في الأخويات أن يقبلن أوامر الرئيسة بدون تمييز بينهن<sup>1</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## الأم الرئيسة وعلاقة الأخوات بها

❖ أما التي أوتمنت على أن تهتم بتربيتهن، فلا تطلب ما هو حلو عندهن، ولا تجتهد في أن ترضيهن في كل ما يرونه. بل ليكن الهدوء والخوف والحياء طلبتها دائماً. كل واحدة منهن لا تطلب مرضاة قلبها من الرئيسة، بل يجب أن تطلب خلاص نفسها وما ينفعها.

ولا تجاوب الرئيسة (تراجعها في الكلام) لئلا يكون هذا سبب للمقاومة، لكن كما قبلنا الوصايا من ربنا بغير فحص، عارفين أن جميع الكتب التي هي أنفاس الله نافعة، كذلك فلتكن الأخوات، يقبلن أوامر الرئيسة عليهن بغير فحص، كاملات في كل ما يتعلمنه بغير حزن بل برغبة قلب.

لتكن لهنَّ أجره الطاعة الكاملة. ولا تُطَاع فقط في ما يوجب السيرة الفاضلة حسب ما يظهر لهن، بل وإذا جعلت الرئيسة لواحدة منهن أن تصوم أو أمرتها بأمر آخر مما يوجب للجسد راحة لتتقوى من ضعفها، فلتطع أمرها بطيبة قلب وأن ما يُقال لها من جهة الرئيسة هو ناموس. وإذا دعت ضرورة أن يقلن كلاماً من أجل منفعة، فليقلنه على لسان أمهن ومعها أخرى أو اثنتان من الأخوات المتعديات أزمنة الصبا، اللاتي لا ضيق عليهن من لقاء الرجال والحديث معهم في أمر سيرتهن الحسنة.

وإذا كان لواحدة فكر في ذاتها وترى ما ينفعها، فلتقل ذلك للأم ولتطع ما تقوله لها<sup>2</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## الطريقة اللائقة للحوار مع المُكْرَسَات

يطلب القديس باسيليوس الكبير أن يساعد الإخوة في احتياجات الراهبات أو المُكْرَسَات، بعد مشاورات شديدة الحرص<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> *An Ascetical Discourse, (Frs. Of the Church, volume 9, p. 222-223).*

<sup>2</sup> راجع دير السريان: القديس باسيليوس، ٢٠٠٣، ص ٩٠-٩١.

<sup>3</sup> *Reg. Fus. 33.*

## بين تأديب الحدّثات والعجائز!

❖ سؤال: إذ قيل: "والعجائز كأمهات" (١ تي ٥ : ٢)، إن حدث أن امرأة عجوز سقطت في خطية مثل الحدّثات، هل تخضع لذات التأديب؟

الإجابة: عندما علّمنا الرسول أن نكرم العجائز كأمهات هذا لا يخص ممارستهن ما يستحق التوبيخ. لكن إن حدث أن المرأة العجوز أخطأت مثل الصبية، يلزمنا أن نلاحظ أولاً الأخطاء الطبيعية حسب كل عمر، أعرضها وبعد ذلك أقرر القياس السليم للتأديب لكل عمر. فالكسل كمثال غالبًا ما يكون طبيعيًا في العمر الكبير، وليس بالنسبة للحدّثات. وبالعكس الأفكار الهائمة والهيّاج والتهور وما أشبه ذلك هي أمور طبيعية في الأحداث وليس في الشيخوخة. هذه تترعرع بحرارة الشباب.

هكذا خطية الكسل كمثال تستحق ملامة أكثر بالنسبة للفتاة الشابة، لأن عمرها لا يعطيها عذرًا. وهكذا خطية الأفكار الهائمة والتهور والهيّاج يجعل العجوز تستحق إدانة أشد، لأن سنّها نفسه يساعدها أن تكون وديعة، وهادئة.

بالإضافة إلى ذلك يلزمنا أن نفحص أسلوب الخطية في كل شخص، وبهذا يمكننا أن نختار التعامل المناسب والتأديب اللائق<sup>١</sup>.

❖ سؤال: هل يجوز للرئيس أن يناقش أمورًا خاصة بينيان الإيمان مع أخت (عذراء) دون وجود رئيسة العذارى؟

الإجابة: في هذه الحالة، كيف يمكنه أن يحفظ وصية الرسول القائل: "ليكن كل شيء بلياقة وبحسب تدبير" (١ كو ١٤ : ٤٠)<sup>٢</sup>.

❖ سؤال: هل يليق بالرئيس أن يناقش الرئيسة عن الأخوات (العذارى) بطريقة متكررة، خاصة إن كان بعض الإخوة يتعثرون من ذلك؟

الإجابة: بالرغم من قول الرسول: "لماذا يُحكّم في حرّيتي من ضمير آخر" (١ كو ١٠ : ٢٩)، حسنًا أن نذكر ذاك القائل: "لم نستعمل هذا السلطان، بل نتحمّل كل شيء، لئلاّ نجعل عائقًا لإنجيل المسيح (١ كو ٩ : ١٢)، وقدرة المُستطاع نحفظ مثل هذه الاجتماعات ومداوماتها نادرة وسريعة للغاية<sup>٣</sup>.

❖ سؤال: عندما تعترف أخت (عذراء) لدى كاهن، هل يكون ذلك في حضور الأم *presbytera*؟  
الإجابة: يبدو لي أن الاعتراف عند كاهن قادر أن يصف علاجًا بمعرفة لأسلوب التجربة

<sup>١</sup> *Regulae brevius tractatae*, 82.

<sup>٢</sup> *Regulae brevius tractatae*, 108.

<sup>٣</sup> *Regulae brevius tractatae*, 109.

والإصلاح يكون أكثر احتشامًا وتقوى إن كانت الأم *presbytera* (يُقصد بها رئيسة الدير المسنولة عن حياة الراهبات الروحية) حاضرة<sup>١</sup>.

❖ سؤال: إذ أصدر الكاهن أمرًا بتنفيذ عملٍ ما وسط الأخوات بدون معرفة الأم *Presbytera*، فهل من حقها أن تغضب؟

الإجابة: بأكثر تأكيد من حقها ذلك<sup>٢</sup>.

❖ سؤال: هذه التي يُعهد إليها الصوف، كيف يلزمها أن تنهج في ممارستها للمسنولية، وكيف تراقب العاملات؟

الإجابة: بالحقيقة يُعهد إليها الصوف من قبل الله، وتقوم بتعيين وتوزيع العمل لكل أختٍ بدون جدالٍ ولا محاباةٍ (تث ١٠: ١٧؛ مت ٢٢: ١٦؛ رو ٢: ١١؛ أف ٦: ٩) بطريقة مناسبة ولائقة<sup>٣</sup>.

❖ سؤال: إن حدث أن وُجدَ عدد قليل من الإخوة يخدمون عددًا أكبر من الأخوات، وتلزمهم الضرورة أن ينفصلوا الواحد عن الآخر، حتى أنهم ينتشرون لدى أعمالهم، فهل هذا ليس فيه خطر؟

الإجابة: إن كان هدفهم هو الشهادة لوصية الرب وتنفيذها حسب الله، عندئذٍ ينجح كل عاملٍ في أن يُسرَّ الله بممارسته عمله. أمّا اتحادهم مع بعضهم البعض فيحقق في الحقيقة أنهم يصيرون جميعًا بنفسٍ واحدةٍ وذهنٍ واحدٍ، مُتمِّمين كلمات الرسول: "فإني وإن كنت غائبًا في الجسد، لكني معكم في الروح" (كو ٢: ٥)<sup>٤</sup>.

❖ سؤال عن الطريقة اللائقة للحديث مع المُكرَّسات (الراهبات).

من يتنازل عن الزواج فإنه وبكل حسم يجحد نهائيًا ذلك الاهتمام الذي يقول عنه الرسول (بولس): "وأما المتزوج فيهتم في ما للعالم كيف يُرضي امرأته" (١ كو ٧: ٣٣)، لأنه يُحرَّر نفسه تمامًا من كل اهتمام لإرضاء امرأة، لأنه يخشى حكم الرب الذي يقول: "لأن الله يُبدد عظام من يرضي البشر" (راجع مز ٥٣: ٥ LXX).

لماذا لا يوافق على تشجيع التعارف حتى مع رجل إن كان بغرض إرضائه؟ وإنما تكون المحادثة فقط عندما يكون ذلك ضروريًا، وذلك لإظهار أن الغيرة حتى على القريب وهي أمر ملزم لكل شخصٍ يجب إظهارها وفقًا لوصية الرب (لو ١٠: ٣٥).

<sup>1</sup> *Regulae brevius tractatae*, 110.

<sup>2</sup> *Regulae brevius tractatae*, 111.

<sup>3</sup> *Regulae brevius tractatae*, 153.

<sup>4</sup> *Regulae brevius tractatae*, 154.



مثل هذا الاجتماع ينبغي ألا يُسمح به للجميع دون تمييز الذين يرغبون في ذلك، فليس كل زمان ومكان مناسب لذلك، ولكن وفقًا لوصية الرسول (بولس): "كوتوا بملا عشرة لليهود واليونانيين والكنيسة الله" (١ كو ١٠: ٢٢)، "وليكن كل شيء بلباقة وبحسب ترتيب" (١ كو ١٤: ٤١). وللتوضيح، من الضروري أن يتم اختيار الشخص والوقت والاحتياج وقصده بشكلٍ لائق. وبالنظر في كل هذه التفاصيل، يمكن تجنب كل ظلال للشك، ويكون الإبقاء على الوقار والاحتشام لهؤلاء المسموح لهم بزيارة بعضهم لأخذ المشورة بخصوص الأشياء إن كانت تتعلق باحتياجات الجسد أو برعاية الروح، بما يُرضي الرب.

فينبغي أن يكون هناك شخصان على الأقل من كل جانب يُشاركان في الحوار، لأن شخصًا واحدًا يمكن أن يتعرض للشك بسهولة، فالكتاب يُعلن صراحة: "على قم شاهدين أو على قم ثلاثة شهود يقوم الأمر" (تث ١٩: ١٥). كذلك يجب ألا يكون هناك أكثر من ثلاثة حتى لا يعيق الغيرة على العمل المستوحى من وصية ربنا يسوع المسيح.

وإذا كان من الضروري لبعض الإخوة الحديث عن بعض الأمور الخاصة أو الاستماع إليها، فلا يجوز أن يتحدث الإخوة بعضهم مع بعض، بل يختاروا ممثلين عنهم من الإخوة المُتقدمين في السن لمناقشة هذه الأمور مع الأخوات المُتقدمات في الرهينة، وبواسطة بعضهم يمكن الحديث عن هذه الأمور.

إنه أمر جيد عندما تتحدث الأخوات مع الإخوة أو العكس، يجب أن يكون ذلك في وجود أعضاء آخرين من نفس الجنس عندما يتقابلون مع بعضهم. وعلى الإخوة المعنيين تدبير الاحتياجات الجسدية للأخوات، يجب اختيارهم بعد دراسة متأنية. وبهذا يكونون قد أرضوا هؤلاء الذين سلّموا أمورهم إليهم، ويقومون بتسوية كل الأمور التي تحت الاعتبار. بالإضافة إلى الوقار والتقوى التي يجب إظهارها في كل هذه الأمور، يجب أن يكونوا حكماء في أسئلتهم وإجاباتهم، وأن يكونوا جديرين بالثقة مع التعقل في معالجة الأمور التي يناقشونها وبهذا تتحقق كلمات المزمور: "يُدبر أمورهم بالحق" (مز ١١٢: ٥).

يجب أن يكونوا من المُتقدمين في السن، وقورين ومُتزنين، من جهة شخصياتهم وتصرفاتهم، حتى لا يُصاب ضميرهم بشكوك الشر، "لأنه لماذا يُحكّم في حريتي من ضمير آخر" (١ كو ١٠: ٢٩)<sup>١</sup>.

<sup>١</sup> ترجمة المهندس مينا ميخائيل. *Regulae fusius tractatae*, 33.



❖ سؤال: هل يمكن لأي شخص (راهب) أن يُسمح له بمقابلة الأخوات إن أراد؟ وإلا، فمن الذي يقابلهن؟ ومتى؟ وكيف؟

لقد سبق أن تحدثنا في هذا الموضوع بما فيه الكفاية في القوانين المطولة (رقم ٣٣)، وقلنا إن الشخص (الراهب) لا يجوز له أن يتصل برفيقه (الراهب) كما يحلو له ببساطة، أو مصادفة، ولكن فقط الشخص الذي يسمح له (الرئيس المُختار بعد اختباره)، ويكون قادرًا أن يفيد من يلتقي به ويستفيد هو منه؛ فكيف يكون إذن الحال بالنسبة لمن يريد أن يلتقي بامرأة؟!<sup>1</sup>

وإذ يُفكر الإنسان في الرب القائل: "إن كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حسابًا يوم الدين" (مت ١٢: ٣٦)، يخشى كثيرًا مثل هذا الحكم في كل موقف يمرّ به في حياته، ويطيع الرسول القائل: "فإن كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئًا، فافعلوا كل شيءٍ لمجد الله" (١ كو ١٠: ٣١)، وفي موضعٍ آخر يقول: "فليكن كل شيءٍ للبنّيان" (١ كو ١٤: ٢٦)، ولن يسمح إذن بأية كلمة بطالة تُقال بدون هدف.

أمّا فيما يتعلّق بمن وكيف ومتى، فلنجعل المناسبة والمكان والشخص المعيار لتحديد ذلك، بحيث لا يُترك أي مجال لوجود شكٍّ من أي شيءٍ ينتج عن أي منهم. يمكن تجنّب العثرة في كل الظروف، وإذا اجتمعوا يكون الهدف البنّيان.

أما كلمة التقوى، فلا تسمح لأي إنسانٍ وحده أن يُقابل آخر وحده، فقد قيل إن اثنين أفضل من واحدٍ (جا ٤: ٩)...<sup>1</sup>

القديس باسيليوس الكبير

### الاشتراك في التسبحة

يبدو أن بعض الراهبات أو المُكرّسات أردن ألا يشتركن في التسبحة الجماعية، فسُئل إن كان يلزم أن يشتركن أم يُتركن بحريتهن في ذلك.

❖ سؤال: هل يجب عليها أن تُسبّح بالمزامير من لا تريد ذلك؟

الإجابة: إذا لم تأتِ بغيره لتُسبّح بالمزامير، وإذا لم تعلن بوضوح نيّة ذاك الذي قال: "ما أحلى قولك لحنكي، أحلى من العسل لقمي" (مز ١١٩: ١٠٣) وإذا لم تعتقد أن الكسل خسارة كبيرة، عندئذ دعها تصلح نفسها أو تطردها لئلا تُفسد الخميرة القليلة العجين كله (١ كو ٥: ٦).<sup>2</sup>

القديس باسيليوس الكبير

<sup>1</sup> *Regulae brevius tractatae*, 220.

<sup>2</sup> *Regulae brevius tractatae*, 281.

## الباب العاشر

### الفضيلة في حياة المؤمن

١. المؤمن والفضائل عند القديس باسيليوس الكبير.
٢. بعض الفضائل.
٣. بعض الرذائل.
٤. أسئلة حول الفضائل والرذائل.
٥. مصدر الشر والجهاد ضده.

## المؤمن والفضائل

عند

القديس باسيليوس الكبير

### المؤمن راهبًا كان أو كاهنًا أو من الشعب

تُقَدِّم لنا سيرة القديس باسيليوس الكبير وكتاباتة مبدأ إيمانًا هامًا. فمع ما اتَّسم به هذا القديس من نموٍّ مستمرٍ لا ينقطع، حتى سلم الرديعة بين يديّ خالقه ومُخَلَّصه، كان يعيش بمنهجٍ واحدٍ. فباسيليوس كإنسان الله مُنطلق في مسجبة رب المجد يسوع، بقيادة روح الله القدوس، مُتطلِّع إلى حضن الأب، لم يتغيَّر وهو صبي صغير تحت رعاية أبيه، عنه وهو شاب في جامعة أثينا الفلسفية، عنه وهو راهب، وأيضًا وهو كاهن يبتلي نفسه من أجل الرعية، وهو رئيس أساقفة قيصرية الجديدة. إنه باسيليوس الذي يعشق كلمة الله، ويعتز بالوصية الإلهية، ويطلب مشورة الله في كل صغيرة وكبيرة، ويتَّسع قلبه بالحُبِّ متذقًا إلى خلاص البشرية. حقًا تكشَّفت وزناته، واشتعل قلبه الناري يومًا فيومًا، يمارس حياة التأمل دون اعتزال الخدمة أينما وجد، وإن تنوَّعت مسؤولياته والتزاماته.

قد توجد بعض قوانين أو تداريب خاصة بالراهب أو الكاهن أو البتول أو المتزوج أو الشاب أو الطفل، غير أن جوهر الحياة الفاضلة واحد لكل مؤمن!

ما سجَّله في كتاباته يكشف عن الحياة الفاضلة التي في جوهرها وهي "الحياة في المسيح يسوع" أو السلوك بالروح، تمسُّ حياة الراهب كما الكاهن وأيضًا الشعب. قال القديس باسيليوس: "نظام حياة المسيحي هو التشبُّه بالمسيح!"<sup>١</sup> هذا ما دفعني أن أخصِّص بابًا في الحديث عن حياة النسك والرهبة عن الفضائل والرذائل، بكونه حديثًا في جوهره يمسُّ كل مؤمنٍ بصورة أو أخرى؛ قد يختلف من جهة التصرف الخارجي حسب التزامات الشخص ومسئوليته، لكن المنهج واحد للجميع.

<sup>١</sup> رهبان بيرية شيهيت: فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، ج ٢

## طريقا الفضيلة والرذيلة

إذ اهتم القديس باسيليوس بالحياة الفاضلة في حياة كل مؤمن، راهبًا أو كاهنًا أو من الشعب، أبرز أن هذه الحياة المقدسة لن تتحقق إلا بعمل النعمة الإلهية. إنها حياة في المسيح يسوع، نامية على الدوام خلال عمل الروح القدس الدائم، لعلنا نبلغ إلى أيقونة المسيح البهية. وفي نفس الوقت لا يتجاهل حرية الإنسان، فقد وهب الخالق الإنسان عقلاً يُميّز بين الفضيلة والرذيلة، وله حق الخيار أن يسلك في المسيح يسوع أو يرفض الشركة معه.

هذا ومن جانب آخر مع تأكيد أنه في آدم الأول ملكت الخطية على الإنسان ودخل الموت إلى البشرية، حتى جاء آدم الثاني، ربنا يسوع ليملك بَرّ المسيح فينا، ونتمتع بعربون السماويات. مع هذا فإن الطفل الصغير الذي لم ينضج عقله، ولا عواطفه وأحاسيسه، يستطيع أن يختبر الحياة في المسيح يسوع، حتى وإن لم يستطع التعبير عنها. فيما يلي منهج القديس باسيليوس عن طريقي الفضيلة والرذيلة كما ورد في كتاباته، خاصة في عظمه العاشرة على المزمور الأول.

## الخطوط الرئيسية للحياة الفاضلة

١. يشترك المؤمنون من الشعب والرهبان والكهنة في غاية الحياة الفاضلة، ألا وهي التمتع بأن بصير أيقونة حياة للسيد المسيح بعمل الروح القدس للدخول والاستقرار في حضن الأب.
٢. لا يطيق المؤمن الخطية بكونها مُفسدة للصورة التي تليق به كإبن لله، دون التمييز بين خطية خطيرة وأخرى صغيرة، كلاهما ثمرتهما الموت والفساد.
٣. ما يشغل قلب القديس باسيليوس أن يدخل المؤمن في شركة مع الله، يشعر بحضوره الإلهي الدائم في حياته، ولا يمارس شيئًا بل ولا يسمح لفكره بتصوّر شيء دون استشارة الرب المرافق له في رحلته في هذا العالم.
٤. العدو الخطير في حياة المؤمن هو العبودية للحرف القاتل، مما يدفع الإنسان إلى الاهتمام بمراضاة الإنسان لا الله، والسقوط في الرياء.
٥. يطلب القديس باسيليوس كدارسٍ يعشق المعرفة والتعرّف على الحق الإلهي، وكقائدٍ حكيم، ألا يسلك المؤمن في حياة التشويش. إنما أن يسلك في كل شيء بترتيب ونظام. فالروحانية لا تعني السلوك بلا ترتيبٍ سواء في الحياة اليومية أو العبادة الشخصية أو الجماعية.
٦. في مفهومه للفضيلة ما يشغله الإنسان الداخلي. فالعفة عنده ليست ممارسات مُعيّنة، إنما اقتناء الرب نفسه الذي يملأ القلب ويُشبع النفس، فلا يشتهي شيئًا، ولا يشعر بفراغٍ أو عجزٍ.



٧. المؤمن السالك بالروح يشبه النحل، يجمع الرحيق النافع من كل زهرة، تاركًا فيها ما لا ينتفع به.

❖ قال القديس باسيليوس الكبير: إن سفنًا هي نفوس الصديقين، الذين بقلوع الفضائل يرتفعون فوق بحر هذا العالم.

الأب أنسيمس الأورشليمي

## الفضائل والرذائل في حياة الإنسان

وهب الله الإنسان حرية الإرادة مع العقل ليختار طريق الحياة أو الموت. إذ قيل: "أنظر قد جعلت اليوم قدامك الحياة والخير، والموت والشر" (تث ٣٠: ١٥)، مؤكدًا "أشهد عليكم اليوم السماء والأرض، قد جعلت قدامك الحياة والموت، البركة واللعنة، فاختر الحياة لكي تحيا أنت ونسلك" (تث ٣٠: ١٩). من يؤمن برينا يسوع ينال التَّبَيُّ للآب في مياه المعمودية، ويحمل برّ المسيح، فيصير ابن البرّ. ومن يعطي ظهره لمخاضه، يستعبد نفسه لإبليس، فيصير ابنًا لإبليس (يو ٨: ٤٤)، يقوده الشر كمن هو مسلوب الإرادة!

يظن البعض أن الفضيلة أو الرذيلة سلوك خارجي من حق الإنسان اختيار ما يشاء، غير أنه بكامل إرادته، إذ يختار البنوة لله بالإيمان الحيّ العامل بالمحبة أو البنوة لإبليس، يحمل البنوة لأحدهما، ومن فضلة قلبه يتحرك اللسان، بل ويتحرك كل سلوكه (لو ٦: ٤٥)!

ليست تقوى الأبرار وفضائلهم عالتها أن طبيعتهم أفضل من طبيعة الأشرار، إنما سرّها عمل الله فيهم، أو الاختفاء في المسيح. وكان أمامنا طريقين، إما أن نستتر في المسيح، فنحمل برّه، أو نسقط من النعمة الإلهية، فنسحق تحت قدمي إبليس، وتستعبدنا الشهوات والخطايا. هكذا يوضح القديس باسيليوس أن الكتاب المقدس أحيانًا يدعو الإنسان بلقب خاص بحياته المقدسة أو بحياته الشريرة كأن يدعو ابن الحكمة أو ابن السلام أو ابن اليمين أو يدعو ابن الهلاك أو ابن إبليس.

❖ هذه هي عادة الكتاب المقدس، ليس فقط أن يعطي من هم أكثر شرًا اسمًا مشتقًا من خطاياهم، أكثر من تسميتهم باسم مشتقٍ من آبائهم، وإنما يدعو أيضًا الأبناء الصالحين بالفضيلة التي يتسمون بها. لهذا دعا الرسول الشيطان "ابن الهلاك". "حتى يُعلن إنسان الخطية ابن الهلاك" (راجع ٢ تس ٢: ٣). وفي الإنجيل دعا الرب يهوذا ابن الهلاك، إذ قيل: "لم يهلك منهم أحد إلا ابن الهلاك" (يو ١٧: ١٢). لقد دعا الذين لهم معرفة الله أبناء الحكمة، إذ قيل: "الحكمة تبررت من بنيتها" (مت ١١: ١٩). كما قال: "إن كان هناك ابن السلام..." (لو ١٠: ٦).

إذن لا تستغرب إن كان لم يُشر إلى الأب حسب الجسد، ودُعي (كوش) رئيس المرافقين لداود "ابن يميني" (عنوان مز ٧)، مُتقبلاً هذا اللقب من أعماله<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## الحياة الفاضلة وتذوق عنوية صلاح ربنا يسوع

مع اهتمام القديس باسيليوس باستقامة الإيمان، والحديث عن العقيدة المسيحية، كان رجل العمل والسلوك الروحي. فإن كان الإيمان يدفعنا للسلوك الجاد في المسيح يسوع لحساب ملكوت الله، من جانب آخر الجدية في السلوك الروحي تُعطي للنفس نقاوة لتُدرك الأسرار الإلهية. يطالبنا القديس أن نطلب من ربنا يسوع أن نتذوق عنوية صلاحه، ويهبنا بنعمته أن نختبر لحياة الفاضلة في سلوكنا كما في كلماتنا وأفكارنا.

❖ ليس سهلاً أن تصف العسل لشخص لم يذقه من قبل، هكذا أيضاً حلاوة صلاح الرب يسوع لا يمكن أن نعرفها من مجرد تعلم العقيدة، بل لا بد أن نسير قدمًا ونختبرها بأنفسنا.

❖ بالنسبة لي، إن كان "لي الحياة هي المسيح" (في ١ : ٢١)، بالحقيقة تكون كلماتي عنه، وكل أفعالي وأفكاري في إطار وصاياه، وتكون نفسي على صورته<sup>٢</sup>.

❖ التداريب التقوية تُعش النفس بأفكار إلهية<sup>٣</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## الفضيلة وشركة الروح القدس

شركة الروح القدس عطية إلهية مجانية يُقدّمها لنا ربُّ المجد يسوع خلال مسرّته أن يُصلب عن البشرية، كي ينتزع منها عداوتها ويهبها المصالحة مع الله، والحب نحو البشر. خلال العداوة ما كان يقدر الإنسان أن يقبل شركة الروح، الآن يجد تعزياته وسعادته بها.

❖ كيف يُعتبر الإنسان مستحقاً شركة الروح القدس" (عب ٦ : ٤)؟

الإجابة: علّمنا ربنا يسوع المسيح، قائلاً: "إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلب من الأب فيعطيك معزياً آخر ليملك معكم إلى الأبد، روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله، لأنه لا يراه ولا يعرفه، وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكن معكم ويكون فيكم" (يو ١٤ : ١٥-١٧). بناء عليه، ما دمنا لا نحفظ كافة وصايا الرب، ولسنا من الذين يشهد لهم

<sup>1</sup> Homily 11:1 on Psalm 7.

<sup>2</sup> Letter 159 to Eupaterius and his daughter.

<sup>3</sup> Mike Aquilina: *The Way of the Fathers*, Indiana 2000, article 267.

الكتاب قائلاً: "لأنكم لستم من العوام (يو ١٥ : ١٩)، فلا نتوقع أن نكون أهلاً أن نكون شركاء في الروح القدس".<sup>١</sup>

القديس باسيليوس الكبير

## النفس الفاضلة ملكة سماوية

إذ يتمتع المؤمن بشركته مع ربِّ المجد يسوع، فيُدعى ابن الحكمة أو ابن السلام أو ابن اليمين، يتطلع القديس باسيليوس إلى المؤمن المُتمتع بعمل الله فيه، فيرى نفسه المقدسة في الرب، السالكة بالروح، أو الفاضلة، ملكة مُتوّجة ببرِّ المسيح تجلس كعروس سماوية، صاحبة سلطان. هذا ما عبّر عنه القديس في تعليقه على قول المُرتّل: "جلست الملكة بملابس مطرزة متعددة الألوان" (مز ٤٥). يرى في فضائل المؤمن التي هي ثمرة نعمة الله في حياته، أشبه بالثوب الملكي، ثوب البرِّ الذي يتلأأ بالبهاء في يوم الرب العظيم.

❖ "جلست الملكة عن يمينك بملابس مطرزة بذهبٍ متعددة الألوان" (مز ٤٥). الحديث هنا يخص الكنيسة، كما يشير إليها سفر نشيد الأناشيد، فهي "الواحدة (للمسيح)، الكاملة، الحمامة" (نش ٦ : ٩). وهي تجلس عن يمين المسيح في مكانة الذين ظهرُوا بأعمالهم الصالحة. وانفصلوا عن الأشرار، كما يفصل الراعي الجدا، عن الخراف (مت ٢٥ : ٣٢). جلست الملكة إذن، أي النفس المُتَّحدة بالعريس الكلمة، عندما لم تُستعبد لخطية، فاشتركت في ملكوت المسيح. هذه النفوس تجلس عن يمين المُخلَّص بملابس مطرزة بالذهب، أي بالتعاليم المُطعَّمة بكل المفاهيم الروحية. بهذا تتزيّن النفس، بالعظمة التي تليق بقداستها، ولأن التعاليم ليست واحدة بل متعددة وكثيرة، لتشمل الناحية النفسية والجسدية والروحية، لذا قال إن ملابس العروس مطرزة بذهبٍ متعددة الألوان.<sup>٢</sup>

القديس باسيليوس الكبير

## مجد القديسين ومجد الأرضيين

إذ يختار الإنسان أحد طريقتين: إما الحياة المقدسة أو الفاضلة في المسيح، أو السقوط تحت قدمي إبليس في حياة الرذيلة، يتمتع إما بالمجد السماوي أو ينحط بمجده في التراب.

❖ "وليحط إلى التراب مجدي" (مز ٧ : ٥). مجد القديسين الذين سيرتهم (جنسيتهم) في السماء (في ٣ : ٢٠)، ويخزّنون لأنفسهم الخيرات في الكنوز الأبدية في السماء. أما مجد الأرضيين الذين يعيشون حسب الجسد، فيقال عنهم إنهم ينحطون في التراب.

<sup>١</sup> *Regulae brevius tractatae*, 204.

<sup>٢</sup> تفسير المزمور ٤٥ (٤٤).

من يتمجد بالغنى الأرضي، ومن يتعقب كرامة البشر الزمنية، ويتكلم على المكاسب المادية، يقتني لنفسه مجداً لا يرتفع إلى السماء، بل يبقى في التراب<sup>1</sup>.

❖ [رسالة إلى أمفيلوخوس عند رسامته أسقفاً]

مبارك هو الله الذي من جيل إلى جيل يختار الذين يسرونه، يميز الآنية المختارة، ويستخدمهم لخدمة القديسين. لذلك إذ أردت أن تهرب، كما أنت تعترف بذلك، ليس مني، وإنما تهرب من الدعوة التي قدمت عن طريقي. لقد اصطادك بشبكة النعمة الأكيدة، وجاء بك إلى وسط بيسيديا *Pisdia* لتصطاد النفوس للرب، وتسحب فريسة إبليس من الأعماق إلى النور. لتقل مع الطوباوي داود: "أين أذهب من روحك؟ ومن وجهك أين أهرب؟"<sup>2</sup>

القديس باسيليوس الكبير



<sup>1</sup> Homily 11:3 on Psalm 7.

<sup>2</sup> Epistle 141:1, to Amphilochius.



## بعض الفضائل

### روح التمييز واهب الجمال والقوة

كثيرًا ما يُركّز آباء الكنيسة الأولى على عطية "التمييز"، لا ليتعرّف المؤمن على ما هو خير وما هو شر فحسب، إنما ليتعرّف على الحق الذي هو السيد المسيح.

يرى القديس باسيليوس أنه يليق بنا أن نسأل الرب لكي يهبنا روح التمييز، لا لنكون موضع إعجاب الناس ومدحهم، ولا لننال النصره فحسب، إنما نلتصق بالسيد المسيح، ونحمل برّه وجماله، ونصير أيقونة حيّة له. نحمل الجمال الذي هو انعكاس الجمال الإلهي على أعماقنا، والقوة التي بها نمارس ما يبدو لنا مستحيلًا، بل التي تعطي للنفس عذوبة في إتمام الوصية الإلهية.

بالتمييز الذي تُقدّمه لنا النعمة الإلهية، نتشبه بالمسيح الذي قيل عنه: "أنت أبرع جمالاً من بني البشر... تَقَدُّ سيفك على فخذك أيها الجبّار بجلالك وبهائك" (مز ٤٥).

جاء عن أحد آباء البرية: [سئل شيخ: كيف يمكنني أن أجد الله؟ أجاب: "في الصوم والسهر والأتعاب والتكريس وفوق الكل في التمييز. أخبركم أن كثيرين آذوا أجسادهم بغير تمييز وتركونا ولم ينتفعوا شيئًا. أفواهنا تحمل رائحة رديئة بسبب الصوم، وتحفظ الكتب المقدسة عن ظهر قلب، وبتلو مزامير داود، لكن ليس لنا ما يطلبه الله: الحب والتواضع!]

❖ نستطيع بالتمييز أن نختار وأن نرفض، وبالعقل ندرك ما يجب أن نعطيه، وما لا يجب أن نعطيه.

وبالشجاعة ندرك ما يجب أن نخشاه، وما لا يجب أن نخشاه.

أما فضيلتا الجمال والقوة، فليس لهما سبب، بل تأتي قيمتهما من فضائل أخرى. فالحكماء يُدركون ما هو الجمال من خلال التوافق والتناسق الموجود في داخل نفوسهم، ويُدركون القوة من خلال التنفيذ العملي للفضيلة النظرية.

لنمتحن الأمور بأنفسنا، فلا نهتم بمدح الآخرين، ولا نعمل من أجل النصره، إنما ما يشغلنا هو أن نبلغ إلى الحق، نعرّف على الحقائق، ونسعى لكي نجد ما هو صالح. يليق بالمؤمن أن يسعى لكي يكتشف ما هو حق وما هو عادل وما هو للبنيان وسط الآراء والمفاهيم المتضاربة، ممتحنًا كل شيء في جدية وإخلاص دون تحيُّز لآرائه أو آراء مُحبيّه.

لكننا نحتاج إلى نعمة الله لكي يولد الجمال داخل النفس، وتظهر فاعلية القوة، للقيام بالعمل المناسب<sup>١</sup>.

❖ ينبغي على الإنسان أن يجعل الفهم مُشِيرًا له، ورئيسًا على كافة ما يعمل. حتى لا يعود الخير الذي يعمله بغير فهم إلى شرٍ. فقد يعمل في غير وقته، أو بخلاف مقداره. أما إذا كانت المشورة الصالحة والفهم يفرزان الوقت والمقدار كما ينبغي، فإن الأعمال تصير صالحة نافعة من جهة المستشار والمستشار<sup>٢</sup>.

❖ سؤال: ما هو الكنز الصالح؟ وما هو الكنز الشرير؟ (مت ١٢ : ٣٥؛ لو ٦ : ٤٥)

الإجابة: الكنز الصالح هو التعقل في كل فضيلة في المسيح لتمجيد الرب؛ بينما الكنز الشرير هو الحنكة في (ممارسة) كل ما حُرِمَ من الرب. من التي أخرجوا، وفقًا لصوت الرب، كل على نوعه الخاص، سواء كان صالحًا أو شريرًا في الأعمال والكلمات (لو ٦ : ٤٣؛ مت ٧ : ١٧-٢٠)<sup>٣</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

### السلوك بروح الفهم والحكمة

ميّز الله محبوبه الإنسان بالعقل، لا ليتجاهله فيسلك بروح الغباوة بدون تفكير، إذ قيل لنا ألا نكون أغبياء (أف ٥ : ١٧). وفي نفس الوقت، إذ نتمتع بالشركة مع الله المتواضع يلزمنا ألا نكون حكماء عند أنفسنا (رو ١٢ : ١٦). نؤمن بالرب خالقنا ومُخَلِّصنا، فنسلك بروح الحكمة وندرك خطة الله من نحونا وإرادته المقدسة، فلا نتشامخ. يصير مصدر الحكمة والغنى الحقيقي والسعادة الأبدية.

❖ سؤال: إذ قال الرسول في موضع ما ألا نكون أغبياء (أف ٥ : ١٧)، وفي موضع آخر:

"لا تكونوا حكماء عند أنفسكم" (رو ١٢ : ١٦)، كيف يمكن لشخصٍ ألا يكون غبيًا وفي نفس الوقت لا يكون حكيماً عند نفسه؟

الإجابة: كل وصية لها ظروفها الخاصة، وبالنسبة "لا تكونوا أغبياء" يضيف: "بل فاهمين ما هي مشيئة الرب"، وبالنسبة: "لا تكونوا حكماء عند أنفسكم"، يُضَاف إليها: "اتق الرب، وابتعد عن الشر" (أم ٣ : ٧).

<sup>١</sup> تفسير المزمور ٣٠ (٢٩).

<sup>٢</sup> راجع دير السريان: القديس باسيليوس، ٢٠٠٣، ص ٧٨

<sup>٣</sup> *Regulae brevius tractatae*, 239.

بناء على ذلك، أي شخص لا يفهم إرادة الله يكون غيبياً، وأي شخص يستخدم منطقته الخاص ولا يسلك بالإيمان بكلمات الله يكون حكيماً في تصوّره الخاص. لذلك أي شخص لا يريد أن يكون غيبياً أو حكيماً في نظر نفسه يحتاج إلى فهم إرادة الرب التي تتحقّق بالإيمان به وفي مخافة الرب. فيقتدي بالرسول القائل: "هادمين ظنوناً وكلّ علو يرتفع ضد معرفة الله، ومستأسرين كل فكر إلى طاعة المسيح" (٢ كو ١٠: ٥)<sup>١</sup>.

❖ سؤال: ما هو الفهم (أو الحكمة) الذي يجب أن نطلبه من الله (يع ١: ٥)، وكيف نكون مستحقين له؟

نتعلّم هذا الفهم من الله نفسه خلال النبي القائل: "لا يفتخرن الحكيم بحكمته، ولا يفتخر الجبار بجبروته، ولا يفتخر الغني بغناه. بل بهذا ليفتخرن المُفْتَخِر: بأنه يفهم ويعرف الرب" (راجع إر ٩: ٢٣-٢٤). وأيضاً خلال الرسول القائل: "بل فاهمين ما هي مشيئة الرب" (أف ٥: ١٧). ونصير مستحقين له (الفهم) إن عملنا بما هو مكتوب: "كفوا واعلموا إني أنا الرب" (مز ٤٦: ١٠)، وأيضاً إن آمنّا أن كل كلمة من الله هي حق، لأنه "إن لم تؤمنوا فلا تفهموا" (راجع إش ٧: ٩ LXX)<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

### التذكّر الدائم لله

كثيراً ما نشتكى بأننا سرعان ما ننهمك في أعمالنا اليومية والتزاماتنا، وننسى ذكر الله. يُقدّم لنا القديس باسيليوس تدريباً عملياً، وهو أن نتذكّر معاملات الله واحساناته، فيلهج القلب بالشكر له.

❖ سؤال: ما هو السبب الذي يجعل الانسان يفقد التذكّر الدائم لله؟

الإجابة: يحدث هذا عندما ينسى الإنسان هبات الله ويشعر بالبلادة نحو من يصنع معه الخير<sup>٣</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

### الانشغال الدائم بمجد الله

يظن كثيرون أن الانشغال الدائم بمجد الله يقف عند تقديم تسابيح وترانيم لله، غير أن الرسول يرى أن المؤمن الحقيقي يُقدّم المجد لله حتى في أكله وشربه.

<sup>1</sup> *Regulae brevius tractatae*, 260.

<sup>2</sup> *Regulae brevius tractatae*, 218.

<sup>3</sup> *Regulae brevius tractatae*, 294.

يُعلن مجد الله خلال حبنا له والتصاقنا العملي بوصيته، فنحمل نوره في أعماقنا كما في كلماتنا وسلوكنا، حتى في أكلنا وشربنا وابتسامتنا ونعكس هذا النور على من هم حولنا، فيروه متجليًا فينا.

❖ سؤال: كيف يفعل الإنسان كل شيء لمجد الله؟ ( ١ كو ١٠: ٣١ )

عندما يمارس الإنسان كل شيء حسب وصية الله ولأجل الله، بطريقة لا يبتغي منها قط مديح البشر، وعندما يفكر على الدوام في الرب القائل: "فليُضئ نوركم هكذا قدام الناس، لكي يروا أعمالكم الحسنة، ويُمجّدوا أباكم الذي في السماوات" (مت ٥: ١٦)<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

### نقاوة القلب

كثيرًا ما يتساءل آباء الكنيسة عن "نقاوة القلب" التي بها نعين الله، فيرى البعض أنها استقامة لهدف، حيث يُركّز المؤمن بصيرته الداخلية على الله، فلا ينحرف عنه يمينًا أو يسارًا. وجاءت جابه القديس باسيليوس متناغمة مع هذا المفهوم، فيرى نقي القلب يُركّز بصيرته الداخلية على الوصية الإلهية، لن يتجاهلها في الأمور الكبيرة أو الصغيرة.

❖ سؤال: من هو النقي القلب (مت ٥: ٨؛ مز ٧٣: ١)؟

الإجابة: هو الشخص الذي لا يحتاج إلى توبيخه على تتحيه عن وصية الله، أو تجاهلها، أو أنه يتعامل معها بتجاهل<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

### المسكنة بالروح

الله الذي خلق العالم بكل إمكانياته وجماله من أجل الإنسان، كيف يدعونا للحياة المطوّبة داخل المسكنة، قائلاً: "طوبى للمساكين بالروح، لأن لهم ملكوت السماوات" (مت ٥: ٣)؟ ما هي المسكنة بالروح التي تُحسب فضيلة ومصدر سعادة وتطويب؟

يرى القديس باسيليوس أن المؤمن، خاصة الراهب يليق به أن يكون فقيرًا ومسكينًا. الفقير في نظره هو من يختار الفقر عوض الغنى الذي له، كأن يُوزّع أمواله على الفقراء. والمسكين هو من عاش في عوزٍ لا بروح التذمّر، بل بروح الفرح ليكون موضع سرور الله.

<sup>1</sup> *Regulae brevius tractatae*, 195.

<sup>2</sup> *Regulae brevius tractatae*, 280.



يُقَدِّم لنا القديس ثلاثة أمثلة للفقر والمسكنة:

١. داود النبي والملك والمرتل حسب نفسه فقيرًا ومسكينًا، مع أنه كان ملكًا ولديه ممتلكات، إنما يتكلم على لسان السيد المسيح الذي افتقر لكي يَغْنِينَا. لقد تكررت كلمة مسكين في سفر المزامير وأيضًا كلمة فقير أكثر من ثلاثين مرة.

يقول المرتل: "فإني فقير ومسكين أنا، وقلبي مجروح في داخلي" (مز ١٠٩: ٢٢)

٢. أيوب كان غنيًا، لكنه حُسِبَ فقيرًا ومسكينًا، لأنه لم يتطَّلِعْ إلى ممتلكاته كثروةٍ ثمينة، فلم يكن قلبه في ممتلكاته ككنزٍ؛ أو لأنه كان يدير ممتلكاته كوكيل لله.

٣. مسيحننا الغني القدير صار فقيرًا ومسكينًا، فوُلِدَ في أسرة فقيرة، وصار ابنًا للنجار الفقير من أجلنا.

**يوضح لنا القديس باسيليوس سرَّ المسكنة:**

١. إنها ليست مُجَرَّد تنازل وتضحية بغنى العالم، إنما هي ثمرة طبيعية للتمتع بغنى الوصية الإلهية، بكونها أعظم من كل غنى لعالم. من يتعرَّف على الوصية، يُدرك أنها كنز فائق بجانبه يستتفه الإنسان كنوز العالم وكل مبادجه المُزَيِّفة.

٢. من يتتلمذ للسيد المسيح يقتنيه، يقتني ذاك الغني الذي بفقره من أجلنا جعلنا نغتني به، فلا نشتهي شيئًا سوى الشركة معه. يصير هو غنانا وسعادتنا وسرَّ تهليلنا الأبدي.

قال الأب كاسيان: "كان أحد الشرفاء قد ترك كل شيء، ووَزَّع ممتلكاته على الفقراء، وأبقى لنفسه القليل لاحتياجاته، لأنه لم يرغب في قبول المسكنة الناتجة عن ترك كل شيء، ولا أراد أن يخضع لنظام الدير. فأرسل القديس باسيليوس إليه قائلاً: "لقد فقدت رتبك الشريفة دون أن تصير راهبًا"<sup>١</sup>

❖ "هذا المسكين صرخ، والرب استمعه" (مز ٣٤: ٧). ليس الفقر مصدرًا دائمًا للفخر، بل الفقر الاختياري من أجل الإنجيل. هذا هو الكمال! كثيرون افتقروا للغنى، ولكنهم يشتهونه في أعماقهم. لم يخلصوا، لأنهم فقراء، ونيتهم الداخلية تدينهم.

ليس سعيدًا من يفتقر لكل شيء، بل الذي يعتبر أن الوصية هي أفضل من كنوز العالم. هذا يُطَوِّبه الرب "طوبى للمساكين بالروح" (مت ٥: ٣)، لا للذين يفتقرون للغنى، بل للذين اختاروا الفقر من داخل نفوسهم. والسعادة لا تأتي إلا لمن اختار ذلك. فكل فضيلة، خاصةً فضيلة الفقر هي فعل اختياري.

<sup>١</sup> رهبان بيرية شيهيت: فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، ج ٢

لذا يقول: "هذا المسكين صرخ". وبأداة الإشارة يجذب المرتل انتباهك للمسكين بالروح، الذي يجوع ويعطش ويتعزى. هذا المسكين الذي يشير إليه بإصبعه، ليس إلا تلميذ المسيح. يجدر بنا أن نشير إلى كلمة المسيح، الغني بطبيعته، "لأن كل ما للآب فهو لي" (يو ١٦: ١٥) ولكنه افتقر من أجلنا، وهو غني، لكي نغتنى نحن أيضاً بفقره (٢ كو ٨: ٩). فالرب هو قدوتنا في كل تصرفاتنا، يقودنا إلى السعادة. لقد أعطى نفسه مثلاً لتلاميذه. وإذا رجعنا للتطويبات الواحدة تلو الأخرى، نراه قد نَقَّذها عملياً قبل أن يقولها نظرياً. يقول: "طوبى للودعاء" (مت ٥: ٤)، وكيف نتعلم الوداعة؟ يجيب الرب: "تَعَلَّمُوا مِنِّي، لأنِّي وديع ومتواضع القلب" (مت ١١: ٢٩). يقول: "طوبى لصانعي السلام" (مت ٥: ٩)، فمن يُعَلِّمنا صناعة السلام؟ إنه هو بذاته صانع السلام، لأنه هو سلامنا الذي جعل الاثنين واحداً، ليخلق الاثنين في نفسه إنساناً واحداً جديداً (أف ٢: ١٤). "عاملاً الصلح بدم صليبه بواسطته، سواء كان على الأرض أو في السماوات" (كو ١: ٢٠).<sup>١</sup>

❖ سؤال: يضع الكتاب المقدس الفقر والاحتياج من بين الأشياء التي تستحق المديح، مثل "طوبى للمساكين (الفقراء)" (مت ٥: ٣). "يسمع الرب رغبة المحتاجين" (راجع مز ١٠: ١٧ LXX). وأيضاً: "الفقير والمحتاج يُسَبِّحان اسمك" (راجع مز ٧٤: ٢١). ماذا إذن الفرق بين الفقر والاحتياج، وكيف ينطق داود بالحق عندما يقول: "أما أنا فمسكين ومحتاج" (مز ٤٠: ١٨ LXX)؟

الإجابة: إذ أضع في ذهني كلمات الرسالة: "أنه من أجلكم افتقر وهو غني" (٢ كو ٨: ٩)، أحسب أن الفقير هو من يأتي من الغنى إلى العوز، أما المسكين فهو في عوزٍ من البداية ويدبر هذه الضيقة بطريقة تسر الرب.

أما داود فيعترف أنه فقير ومسكين، ربما لأنه ينطق بهذا في شخص الرب الذي دُعي فقيراً حسب القول: "أنه من أجلكم افتقر وهو غني" (٢ كو ٨: ٩)، ومسكين، لأن لقبه حسب الجسد هو ابن، ليس لإنسانٍ غني، إنما لنجارٍ.

أو ربما لأنه كان مثل أيوب، فقد عرف ألا يتطلع إلى ممتلكاته ككنزٍ، أو إلى ثروته كأنها ملكٌ له، بل كان يدير كل الأشياء حسب إرادة الله<sup>٢</sup>.

<sup>١</sup> تفسير المزمور ٣٤ (٣٣).

<sup>٢</sup> *Regulae brevius tractatae*, 262.

❖ من هم المساكين بالروح (مت ٥ : ٣)؟

الإجابة: قال الرب في موضع: "الكلام الذي أكلّمكم به هو روح وحياة" (يو ٦ : ٦٣)، وفي موضع آخر: "الروح القدس، الذي سيرسله الآب باسمي، فهو يُعلّمكم كل شيء، ويذكّركم بكل ما قلته لكم" (يو ١٤ : ٢٦)، "لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به، ويُخبركم بأمور آتية" (يو ١٦ : ١٣).

المساكين بالروح هم من أصبحوا مساكين، ليس لأي سببٍ سوى أنهم عملوا بوصية الرب القائل: "أذهب وبع أملاكك وأعطِ الفقراء" (مت ١٩ : ٢١).

ومع ذلك، لو يقبل الإنسان الفقر في كل الظروف، ويوجّهه حسب إرادة الرب ويتحمّله مثل لعازر (لو ١٦ : ١٩-٢٥)، مثل هذا الشخص لن يكون غريبًا عن التطويب، ما دام الرب قد علّمنا: "لا تهتموا قائلين: ماذا نأكل؟ أو ماذا نشرب؟ أو ماذا نلبس؟" (مت ٦ : ٣١)¹.

القديس باسيليوس الكبير

## المجد الداخلي

يشعر المؤمن بأن رحلة حياته على الأرض مُمتعة ومُجيدة، فمع دخوله في الطريق الضيق، وحمله الصليب، غير أن سرّ سعادته ومجده أنه في رفقة ملك الملوك. تشعر النفس بالاعتزاز بمن يرافقها، بكونها ابنة الملك، مجدّها لا في ثياب ملوكية يرتديها الجسم إلى حين، إنما في ثوب البر الذي تُقدّمه نعمة الله لها، منسوج بثمار الروح. إنها تلبس المسيح سرّ بهائها (رو ١٣ : ١٤).

❖ إني أحسب عبور الحياة خفية من بين أسمى الصالحات².

❖ "كل مجد ابنة الملك من داخل" (مز ٤٥ : ١٤) ... الإنسان الذي يربط بين محبة الآب الذي يرى في الخفاء (مت ٦ : ٦) ويصلي ويعمل دون أن يكون هدفه مجد الناس بل مجد الله (مت ٦ : ١٠)، يكون مثل ابنة الملك، كل مجده من الداخل.

لتبحث عن الملابس اللائقة بمن هو على صورة الخالق، كقول الرسول: "إذ خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله، ولبستم الجديد الذي يتجدّد للمعرفة حسب صورة خالقه" (كو ٣ : ٩-١٠) "فالبسوا كمختاري الله القديسين المحبوبين أحشاء رأفات، ولطفًا، وتواضعًا، ووداعة، وطول أناة" (كو ٣ : ١٢)، مثل هذا الإنسان يتزيّن من الداخل في إنسانه الداخلي.

¹ *Regulae brevius tractatae*, 205.

² *Mike Aquilina: The Way of the Fathers, Indiana 2000, article 586.*

أيضًا يحنثنا الرسول أن نلبس الرب يسوع (رو ١٣ : ١٤)، لا في إنساننا الخارجي، بل بحيث يسيطر فكر الله كلية على فكرنا.

غير إنني أعتقد أن الملابس الروحية المنسوجة، يتم نسجها بالكلمة البنّاءة، خاصة إذا كانت مصحوبة بالعمل الإيجابي. أيضًا كما يتم نسج الملابس على نول، تتشابك فيه الخيوط، هكذا بالنسبة للكلمة المصحوبة بالعمل الإيجابي، فهي تُشبه اللباس المقدس للنفس التي امتلأت بأقوال الفضيلة والعمل بها<sup>١</sup>.

### القديس باسيليوس الكبير

## اختبار إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة

١. يرى القديس باسيليوس أن الأمور التي تحدث في حياتنا حسب إرادة الله (أو بسماع منه) يمكن تقسيمها إلى صنفين:

أ. أمور ندعوها صالحة، يُقدّمها لنا الله خلال طول أناته وصبره علينا وحنوه من نحونا.

ب. أمور ندعوها شريرة، يسمح بها الله لنا لبنياننا وصلاحنا، وذلك خلال غضبه على خطايانا، فيؤدبنا لا ليحطّمنا، بل ليهدّب حياتنا فيه. فما ندعوه شرًا هنا هو لصلاحنا، يلزمنا أن نقبله كخير لنا.

٢. يليق بنا كأبناء لله الصالح أن نقندي به، فنكون صالحين كما هو صالح، إذ هذه هي إرادته أن نكون كاملين.

٣. بعض الأمور صالحة في ذاتها، ويريدها الله لخيرنا، لكننا إذا أسأنا استخدامها، سواء كان الوقت غير لائق أو الكمية غير مناسبة، يصير ما هو صالح شريرًا، ولا يسر الله بها. وقد أعطى القديس باسيليوس أمثلة لذلك منها:

أ. قدّم داثان وأبيرام وجماعتهما بخورًا، وهذا في ذاته أمر صالح، لكن هؤلاء ليس من حقهم أن يفعلوا ذلك، لأنهم ليسوا كهنة، فما فعلوه لم يكن موضع سرور الله.

ب. من يُقدّم صدقة بغية المجد الباطل، لا يسر الله مع محبة الله للعطاء في ذاته. لا نعجب إن دعانا الرسول أن نفعل كل شيء بلياقة وبحسب الترتيب (١ كو ١٤ : ٤٠).

<sup>١</sup> تفسير المزمور ٤٥ (٤٤).



❖ سؤال: ماذا يعني قول الرسول، "تختبروا ما هي إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة" (رو ١٢: ٢)؟

الإجابة: هناك الكثير من الأشياء التي يريد الله: بعضها يريد في صبرٍ وحنوٍ، التي بالتأكيد صالحة، وهي تُدعى كذلك. ولكن بعضها يريد في سخطٍ بسبب خطايانا، التي يطلق عليها الشر. إنه يقول: " (أنا) صانع السلام وخالق اللعنات" (إش ٤٥: ٧ LXX). لكن ليست تلك اللعنات التي تُعاقب بها، وإنما تلك التي خلالها يُمكن أن نتأدب. الآن أيًا كانت التأديبات والمِحَن، فهي تقودنا إلى التحول للخير.

ما يريد الله في صبره وحنوه، يلزمنا أن نتمثل به. كمثال، يقول: "كونوا رحماء، كما أن أباكم رحيم" (راجع لو ٦: ٣٦). ويقول الرسول: "كونوا مُتمثلين بالله كأولاد أحبباء. واسلكوا في المحبة كما أحببنا المسيح" (أف ٥: ١-٢).

من جهة أخرى، الأشياء الكثيرة التي يجلبها علينا من السخط بسبب خطايانا، والتي نتكلم عنها كثيرًا، وذلك كما قلت بسبب المِحَن التي تُسببها، هذا لا يُبَرِّر لنا بأية وسيلة أن نفعلها. خلال إرادة الله كثيرًا ما يدمر البشر بالمجاعات، أو الوباء، أو الحرب، أو أشياء مشابهة. إنه من غير اللائق أن نعارض هذه الإرادة. فإنها لتحقيق أغراض مُعَيَّنة في نظر الله، إذ كثيرًا ما يستخدم أمورًا شريرة كما هو مكتوب: "أرسل عليهم حمو غضبه سخطًا ورجزًا وضيقًا جيش ملائكة أشرار" (مز ٧٨: ٤٩).

يجب علينا أن نبحث أولاً عن إرادة الله الصالحة. بعد ذلك، عندما نتأكد من هذا الخير، يجب علينا أن ندرك أن هذا صالح يرضي الله.

يوجد شيء يُعتبر ببساطة أنه في ذاته وإرادة الله ويصبح صالحًا، لكن إذا تم بطريقة لا تناسب الشخص أو الحدث، فلا يسر الله بها.

كمثال، كانت إرادة الله أن يُحرق البخور من أجله وهو شيء صالح، ولكنه لم يسر أبدًا أن يتم ذلك بواسطة داثان وأبيرام وجماعتهما (عد ١٦: ١-٤٠).

مرة أخرى، إنها إرادة الله وشيء صالح أن تُعطى صدقات، ولكن إذا فُعل هذا لكي ينال الإنسان مديحًا من البشر فهذا شيء لا يسر الله نهائيًا.

مرة أخرى، كانت إرادة الله وكأمرٍ صالح أنه يجب على التلاميذ أن يعلنوا من أسطح المنازل ما سمعوه في الأذان (مت ١٠: ٢٧). ومع ذلك من يعلن عن شيء في غير أوانه لن يرضي الله بأية وسيلة. إذ يقول: "لا تُعلموا أحدًا بما رأيتم، حتى يقوم ابن الإنسان من الأموات" (مت ١٧: ٩).

عمومًا، كل شيء بإرادة الله هو صالح ومُسر، إن تحقَّق فيه قول الرسول: "افعلوا كل شيء لمجد الله" (١ كو ١٠ : ٣١)، و"ليكن كل شيء بلياقة وبحسب ترتيب" (١ كو ١٤ : ٤٠). مع ذلك، مرة أخرى، إذا أراد الله شيئًا، وكان صالحًا ومسرًا جدًّا، يجب ألا يتم ذلك بدون اهتمام، إنما بالنضال والتفكير الكثير يتم بطريقة كاملة ولا ينقصه شيء، ويتحقَّق حسب القياس اللائق، مع مراعاة قدرة من يُتمِّمه... إذ يقول: تُحب الرب إلهك من كل نفسك وكل قوتك وكل قدرتك وكل عقلك، وتحب قريبك كنفسك (راجع مر ١٢ : ٣٠)، وذلك كما علَّم الرب في الإنجيل بحسب يوحنا (يو ١٣ : ٣٤). وأكثر من ذلك، يجب علينا أن نفعل كل أمر كما هو مكتوب: "طوبى لذلك العبد الذي إذا جاء سيده يجده يفعل هكذا" (مت ٢٤ : ٤٦).<sup>١</sup>

❖ سؤال: ما هو نوع الروح الذي يتَّجه نحو إرادة الله؟

الإجابة: الروح الذي قد قبل دعوة الرب الذي قال: "إن أراد أحد أن يأتي ورائي، فليُنكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني" (مت ١٦ : ٢٤)، لأنه إذا لم يضع أحد إنكاره لنفسه في موضعه ويحمل الصليب منذ البداية، سيجد الكثير من الأشياء تتشأ في نفسه تعوقه عن التبعية (للمسيح).<sup>٢</sup>

القديس باسيليوس الكبير

## صنُّع السلام

لم تُفارق التجارب والمتاعب القديس باسيليوس حياته منذ طفولته، فقد كان المرض مُلازمًا له، وثقل التزامات الرعاية وهو راهب في الدير وكاهن ورئيس أساقفة، مع هذا لم تضطرب نفسه، بل كان يحسب سلام الله الذي يفوق كل العقل هو السمة التي تُميِّزه كمؤمن مسيحي.

❖ ليس شيء يُميِّز المسيحي أكثر من صنُّع السلام.

❖ سؤال: من هو صانع السلام الذي طوَّبه الرب؟ (مت ٥ : ٩)

صانع السلام هو من يُعتَبَر شريكًا في العمل مع الله، كما يقول الرسول: "إذ نسعى كسفراء عن المسيح، كأن الله يعظ بنا. نطلب عن المسيح: تصالحوا مع الله" (٢ كو ٥ : ٢٠)، وأيضًا: "فإذ قد تبررنا بالإيمان، لنا سلام مع الله برنا يسوع المسيح" (رو ٥ : ١).

ومع ذلك يوجد نوع آخر من السلام الذي تَبَرَّأ منه السيد المسيح، عندما قال: "سلامي أترك لكم، سلامي أعطيك. ليس كما يعطي العالم أعطيكم أنا" (يو ١٤ : ٢٧).<sup>٣</sup>

القديس باسيليوس الكبير

<sup>١</sup> *Regulae brevius tractatae*, 276.

<sup>٢</sup> *Regulae brevius tractatae*, 237.

<sup>٣</sup> *Regulae brevius tractatae*, 215.

## الوداعة والتواضع

في تعليق للقديس باسيليوس الكبير<sup>١</sup> على تصرّف الفرّيسي الذي دان العشار (لو ١٨ : ١١)، أوضح الفارق بين الفكر المتعالي المملوء عجرفة وكبرياء والفكر السامي النبيل الذي يرتفع فوق الأهواء، لا يُحطّمه اليأس، ولا تشغله الزمنيات. بمعنى آخر، التواضع لا يعني انحطاط الفكر، بل سموه وارتفاعه خلال اتّحاده بالسيّد المسيح المتواضع، فنحمل مع الرسول بولس فكر المسيح (١ كو ٢ : ١٦).

يُحذّرنا القديس باسيليوس من إساءة فهم كلمات السيّد المسيح، إذ يطلب منّا ألاّ نشتهي المراكز الأولى، بل نطلب المتكأ الأخير. يلزمنا أن نطلبه بهدوءٍ وفي تواضعٍ ونظامٍ، لا خلال حُب الظهور كمتواضعين.

فإن سألنا صاحب الدعوة أن نأخذ المتكأ الأول، نقبل ذلك بهدوءٍ أيضاً، ولا نفسد نظامه. بمعنى آخر، إن كلمات السيّد تمسّ أعماق القلب لكي لا يشتهي الإنسان المجد الباطل، سواء جلسنا هنا أو هناك. الله يطلب القلب لا المظهر الخارجي. لذلك ختم السيّد المثل بقوله: "لأن كل من يرفع نفسه يتّضع، ومن يضع نفسه يرتفع" (لو ١٤ : ١١).

لقد حذّر القديس باسيليوس الراهب من الكبرياء، لئلا يتكل على نذره البتولية أو انضمامه إلى الرهبنة، قائلاً بأنه ليس كل من يسكن في قلاية يخلص. كما حذّر الكهنة لئلا ترتفع أفكارهم بسبب رتبة الكهنوت، بل يليق بالكاهن كلما اقترب من الدرجات العليا أن تتسحق نفسه، لأنه يحني عنقه ليحمل خطايا الآخرين الذين يلتزم برعايتهم. كما حث الكل على التواضع، للأسباب التالية:

١. من يشعر بعجزه على إتمام أي تدريب روحي، بالتواضع يسنده الرب في كل جهاده الروحي.

٢. من كان صاحب سلطان ومرشداً يليق به في توجيه الآخرين أن يتحصّن بالتواضع مع الحُبّ ليكون موضع سرور الله.

٣. يرى القديس في اجتماع التواضع أو الوداعة مع عذوبة السلوك تتحقّق المحبة الصادقة.

٤. في التواضع الحقيقي يحفظ كنوز كل الفضائل من الدمار.

قال القديس باسيليوس الكبير: "ماذا أنتفع إذا أتممت الفضائل كلها ثم قلت لأخي: 'يا أحمق'، فأكون قد استوجبته نار جهنم؟ هوذا الرسول يعقوب يقول: 'من حفظ كل الناموس، وإنما عثر في واحدة، فقد صار مجرماً في الكل' (يع ٢ : ١٠). ما أبعدك من أن تدرك شيئاً من رضى الله إلاّ

<sup>1</sup> In Easi 2:12.



بالتواضع، فلا تُكْرَس أفكارك للبحث عن عيوب الناس وخطاياهم، بل تتفرَّغ لتفتيش عيوبك وخطاياك<sup>١</sup>.

يرى القديس باسيليوس الكبير في كلمات المرتل داود: "أنا دودة لا إنسان" (مز ٢٢: ٦) دعوة للتواضع، إذ يقول:

[هل احتقرك (إنسان) واستخفَّ بك؟! أذكر أنك قد خُلِقْتَ من التراب (تك ٣: ١٩)...  
إن دعاك وضيعًا، حقيرًا، كلا شيء، قُل في نفسك إنك تراب ورماد. فإنك لست أعظم من أبينا إبراهيم الذي اعتاد أن يستخدم هذا الأسلوب مع نفسه (تك ١٨: ٢٧).  
إن قال لك عدوك إنك حقير وشحاذ وتافه، قل في نفسك مع داود: "أنا دودة"، وُجِدت في الحمأة<sup>٢</sup>.]

❖ ما هو التواضع؟ وكيف نمارسه في حياتنا؟ (في ٢: ٣)

الإجابة: التواضع هو أن يعتبر الإنسان كل البشر أفضل منه، وذلك حسب تعريف الرسول له (في ٢: ٣).

يستطيع الإنسان أن يمارس التواضع أولاً بتذكُّر وصية الرب، القائل: "تعلَّموا مني، لأنني وديع ومتواضع القلب" (مت ٢٩: ١١)، وهو ما أظهره وعلم به في كل موضع وبطرق كثيرة. بعد ذلك تصديقه، إذ وعد قائلاً: "من يضع نفسه يرتفع" (مت ٢٣: ١٢؛ لو ١٤: ١١). أخيرًا، أن يتواضع الإنسان بثباتٍ ودأبٍ في كل عملٍ يقوم به، ويقوم بكافة ممارسات التواضع، وأن يُدْرَب نفسه عليها.

هكذا مع الممارسة الدؤوبة يمكننا - مع بعض الصعوبات التي تواجهنا - أن ننزع عن أنفسنا كل ذكريات الغطرسة، ونقتني فضيلة التواضع، بنفس الطريقة في تعلم الإنسان حرفة أو صناعة ما، يتبع الطريقة ذاتها لاقتناء كل فضيلةٍ أخرى تتفق مع وصايا ربنا يسوع المسيح<sup>٣</sup>.

❖ صلَّى (الفريسي) إلى نفسه، وليس إلى الله، لأن خطيئة الكبرياء رُدَّتْه إلى ذاته<sup>٤</sup>.

❖ التواضع هو الاقتداء بالمسيح، أما تشامخ الفكر والجسارة والوقاحة فهو اقتداء بالشیطان.

<sup>١</sup> رهبان بيرية شيهيت: فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، ج ٢

<sup>٢</sup> *Against Anger.*

<sup>٣</sup> *Regulae brevius tractatae, 198.*

<sup>٤</sup> *In Easi 2.*



كُن مُتَمَثِّلاً بِالْمَسِيحِ لَا بِضِدِّ الْمَسِيحِ، بِاللَّهِ وَلَيْسَ بِخَصْمِ اللَّهِ، بِالسَّيِّدِ وَلَيْسَ بِالْعَبْدِ الشَّارِدِ، بِالرَّحِيمِ وَلَيْسَ بِالَّذِي بَلَآ رَحْمَةً، بِمُجِيبِ الْبَشَرِ وَلَيْسَ بِعَدُوِّ الْبَشَرِ، بِالنَّزِيلِ فِي حِجَالِ الْعَرْسِ وَلَيْسَ بِسَاكِنِي الظُّلْمَةِ.

لَا تَكُنْ مُشْتَاقًا إِلَى السَّيْطَرَةِ عَلَى الْجَمَاعَةِ، فَلَا تَضَعْ عَلَى عُنُقِكَ أَحْمَالَ خَطِيئَةِ الْآخِرِينَ<sup>١</sup>.

❖ قَدْرَ مَا تُظْهِرُ وَدَاعَةً وَتَوَاضِعًا، تَنَالِ صَبْرًا يُعِينُكَ عَلَى تَدَارِيْبِكَ<sup>٢</sup>.

❖ يَلْزِمُهُ أَلَّا يُمَجِّدَ نَفْسَهُ، وَلَا يَنْطِقَ بِمَا يَمْدَحُ ذَاتَهُ، وَلَا يَجِدُ لَذَةً فِي الْإِسْتِمَاعِ لِمَدِيحِ آخَرٍ لَهُ، بَلْ يَخْدُمُ كُلَّ شَيْءٍ خَفِيَّةً، غَيْرَ عَامِلٍ مِنْ أَجْلِ الْمَظْهَرِ أَمَامِ النَّاسِ، بَلْ يَطْلُبُ مَدْحَ اللَّهِ وَحْدَهُ. وَيَتَأَمَّلُ فِي مَجِيئِهِ الْمَجِيدِ الْمَهُوبِ، كَمَا يَتَأَمَّلُ فِي خُرُوجِهِ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ، وَفِي الْبَرَكَاتِ الْمُعَدَّةِ لِلْأَبْرَارِ، وَالنَّارِ الْمُعَدَّةِ لِإِبْلِيسَ وَمَلَائِكَتِهِ (مت ٢٥ : ٤١)<sup>٣</sup>.

❖ لَا تَدْعُ الْأَفْكَارَ الْمُتَعَجَّرَةَ تَغْوِيكَ مَعَ الزَّمَنِ عَلَى التَّهَاوُنِ فِي أَعْمَالِكَ، لِئَلَّا تَفْتَقِرَ إِلَى الْفَضِيلَةِ، حَتَّى فِي لَحْظَةِ رَحِيلِكَ، فَتَبْقَى خَارِجَ أَبْوَابِ الْمَلَكُوتِ.

لَا تَدْعُ رَتْبَةَ الْكَهَنُوتِ تَبْهَجِكَ، بَلْ بِالْحَرِيِّ تَجْعَلُكَ تَتَوَاضِعُ، لِأَنَّ التَّقَدُّمَ فِي الرُّوحِ هُوَ تَقَدُّمٌ فِي التَّوَاضِعِ، وَالْإِرْتِدَادَ وَالْخِزْيَ يُؤَلِّدَانِ مِنَ التَّعَالِيِّ.

كَلِمَا اقْتَرَبْتَ مِنَ الدَّرَجَاتِ الْعُلْيَا لِلرُّتَبِ الْمَقْدَسَةِ، يَلْزِمُكَ بِالْأَكْثَرِ أَنْ تَتَسَحَّقَ، مُتَذَكِّرًا بِخَوْفِ أَبْنَاءِ هَارُونَ كَمَثَالٍ (لا ١٠).

❖ أَنْزَلَ (أَيُّوبَ) مِنَ الْكُرْسِيِّ الْمَلُوكِيِّ لِيَجْلِسَ فِي مَزْبَلَةٍ، وَمَعَ مَقَاوِمَتِهِ بِالْوَيْلَاتِ الَّتِي أَشْرَتْ إِلَيْهَا، حَالًا بَقِيَ سَلِيمًا. تَمَرَّقَ جِسْمَهُ، لَكِنَّهُ احْتَفَظَ فِي أَعْمَاقِ نَفْسِهِ بِكَنْزِ التَّقْوَى غَيْرِ مُنْتَهَكٍ<sup>٤</sup>.

❖ إِنْ كُنْتُمْ بِحَقِّ تَتَهَمُونَنِي، صَلُّوا لِكِي أَهْرَبَ مِنَ الْخَطِيئَةِ الَّتِي تَفْطَنُونَ إِلَيْهَا فِي سُلُوكِي<sup>٥</sup>.

❖ كَيْفَ نَنَالُ التَّوَاضِعَ الْمَوْقِرَ، مُتَخَلِّينَ عَنِ تَشَامُخِ الْكِبْرِيَاءِ الْقَاتِلِ؟ بِمُمَارَسَةِ عَمَلِ التَّوَاضِعِ فِي كُلِّ مَا نَمَارَسُهُ<sup>٦</sup>.

❖ مَنْ يَرِغِبُ فِي أَنْ يَتَأَهَّلَ لِمَجْدٍ أَعْظَمَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ، يَلْزِمُهُ أَنْ يَحِبَّ مَا هُوَ وَضِيعٌ، وَيَصِيرَ أَقْلَ مِنَ الْكُلِّ (مت ١٨ : ٤)<sup>٧</sup>.

<sup>1</sup> *Renunciation of the World and Spiritual Perfection.*

<sup>2</sup> *Epistle 2: 5.*

<sup>3</sup> *A Discourse on Ascetical Discipline, (Frs. Of the Church, volume 9, p. 35-36).*

<sup>4</sup> *On Detachment.*

<sup>5</sup> *Mike Aquilina: The Way of the Fathers, Indiana 2000, article 411.*

<sup>6</sup> *Mike Aquilina: The Way of the Fathers, Indiana 2000, article 577.*

<sup>7</sup> *Morals Rule 45:2.*

❖ ينبغي ألا يستمتع أحد بأفكارٍ عاليةٍ عن نفسه بسبب أعماله الصالحة، ويتطلع إلى الآخرين باستخفافٍ (لو ١٨ : ٩-١٤)<sup>١</sup>.

❖ ينبغي على الناسك أن يكون مملوءًا من الوداعة، مثل الروح القدس الوديع البسيط. وإذا دعت الحاجة أن تنتهر مَنْ يتوانى عن وصايا الله، خاصة إن كان تحت سلطاننا أو كنا موكلين به، ينبغي أن نتحفظ بالمقدار الواجب، ونقرن الانتهاز بالفكر الذي يرضي الله. فإن القتلة يستعملون السكاكين في قطع أعضاء الناس، والأطباء هم أيضًا يستعملونها في ذلك. لكن القتلة يمسونها بغضبٍ وقلّة رحمةٍ ليعملوا بها أعمالاً مردولة، وأما الأطباء فيمسونها بخوفٍ وشفقةٍ، ويستعملونها بفكرٍ صالحٍ، ليعملوا بها أعمالاً نافعة. كذلك الذين يعرفون الانتهاز بفكرٍ حسنٍ، ومقدارٍ حقيقيٍّ يرضي الله، ينفعون الذين ينتهرونهم، ويخلصونهم من توائهم، وإنما الساقطون تحت ألم الغضب لا يفعلون من هذا شيئاً يرضي الله.

ينبغي على الذين يريدون أن يقيموا الوداعة أن ينتهروا بمقدارٍ، في الوقت الذي ينبغي إذا دعت الحاجة إليه. فإن موسى الذي يُشهد عنه أنه كان وديعًا أكثر من جميع الناس الساكنين على الأرض، لما دعت الحاجة انتهر وانزعج حتى أمر بقتل إخوته بني إسرائيل بغير شفقة (خر ٣٢ : ١٩-٢٩)، وذلك في الوقت الذي صنعوا فيه العجل وسجدوا له...

أما أن يكون الإنسان وقت الانتهاز غير متحرك بالجملة، فإن هذا ليس وداعة، بل رخاوة في الطبيعة.

الوداعة هي أم احتمال الشرور.

لتكن الوداعة التامة مختلطة بحلاوة. وباجتماع الوداعة مع الحلاوة تكمل فضيلة المحبة المختارة<sup>٢</sup>.

❖ من هم الودعاء؟ (مت ٥ : ٥)

الوديع هو الشخص الذي لا يُغيّر من قراراته التي اتخذها، مقتنعًا بأنها تسر الله<sup>٣</sup>.

❖ في كل ما نمارسه من الفضائل، لنقدّم أنفسنا الشكر، معترفة بأن الغلبة هي لله، وبأنه هو الذي قوّاهم حتى قوّمت الفضائل. فإن التواضع هو الكنز الذي يحفظ جميع الفضائل<sup>٤</sup>.

<sup>١</sup> *Morals, Rule 57:1.*

<sup>٢</sup> راجع دير السريان: القديس باسيلوس، ٢٠٠٣، ص ٧٦-٧٧

<sup>٣</sup> *Regulae brevius tractatae, 191.*

<sup>٤</sup> راجع دير السريان: القديس باسيلوس، ٢٠٠٣، ص ٧٩

❖ إن أردت أن تكون معروفًا عند الله، فاحرص أن لا تكون معروفًا عند الناس.

❖ سؤال: كيف يمكن للمرء أن يصبح أحمق في نظر العالم الحاضر؟

الإجابة: عندما يخاف المرء من حكم الله الذي يقول: "ويل للحكماء في أعين أنفسهم والفهاء عند ذواتهم" (إش ٥: ٢١)، ويتمثل بالقائل: "صرت كبهيم عندك" (مز ٧٣: ٢٢).  
يلقي عنه بعيدًا كل غطرسة وفهم، ولا ينسب مقدمًا صلاحًا إلى تفكيره، أو يعتد به حتى يستتير بوصية الرب نفسها، فيرضي الله سواء بالعمل أو الكلمة أو الفكر، كما قال الرسول: "ولكن لنا ثقة مثل هذه بالمسيح لدى الله. ليس أننا كفاة من أنفسنا أن نفتكر شيئًا كأنه من أنفسنا، بل كفايتنا من الله"، "المعلم الإنسان معرفة"، كما هو مكتوب (مز ٩٤: ١٠).<sup>١</sup>

القديس باسيليوس الكبير

### بساطة القلب

إذ يتطلع المرتل إلى الرب كديان للشعوب، وأن الذين لهم معرفة أكثر ويعصون الوصية الإلهية يستحقون تأديبات أشد، لهذا توسل إلى الله أن ينظر إليه كطفل بسيط ليس لديه معرفة. وقال: "اقض لي يا رب كحقي، ومثل كمالتي (براعتي) الذي في". في تواضع يحسب براءته ليس عن جهاده ومثابرتة، إنما هي براءة الطفل الصغير الذي بلا معرفة.

❖ يبدو أن في هذه الكلمات نوع من الافتخار وأنها تُشبه إلى حد كبير صلاة الفريسي المعتد بنفسه. لكن من يفحصها بتروًا، يظهر له النبي أبعد ما يكون من هذا.

يقول: "اقض لي يا رب كحقي *my justice*". توجد أقوال كثيرة عن الحق (أو الاستقامة *justice*)، هذا مع صعوبة البلوغ إلى حد الاستقامة.  
توجد استقامة الملائكة التي نتجاوز استقامة البشر.

وإن وُجد أصحاب سلطة فوق الملائكة، توجد استقامة أكثر تفوقًا تتناسب مع عظمتهم. كما توجد أيضًا استقامة (كمال) الله نفسه، التي فوق كل فهم، لا يُعبر عنها، ولا تُقارن بأية طبيعة مخلوقة.

أما بالنسبة لموقف المتحدث، هنا، فإنه يظهر أبعد ما يكون عن التشامخ الفريسي. إنه يتحدث عن براءته كما لو كانت، خلال البساطة وجهله للأمور النافعة، فيطلب أن تكون له المعرفة الواردة في الأمثال: "البسيط (الغبّي) يُصدّق كل كلمة" (أم ١٤: ١٥ *LXX*). لذلك، إذ نحن بشر نسقط خلال الجهل تدريجيًا في خطايا كثيرة. لهذا يتوسل إلى الله، ويسأله أن يعفو عنه من أجل براءته.

<sup>1</sup> *Regulae brevius tractatae*, 274.

واضح أن هذه الكلمات تكشف عن تواضع المتكلم أكثر من أن تكون عجرفة. يقول: "اقض لي كحقي، أقض لي كبراءتي التي في". لتقارن بين حقي (براءتي) وضعف البشر واقض لي. لتدرك بساطة شخصيتي. لا تحكم عليّ كمن هو حصيف أو مشغول بأمور العالم، إنما كخاطي<sup>١</sup>.

❖ سؤال: كيف يرجع الإنسان ويصير مثل الأولاد؟ (مت ١٨ : ٣)

الإجابة: هذه العبارة من الإنجيل تُعلِّمنا لماذا يلزمنا أن نترفع عن العجرفة والتكبر، بل ندرك أننا بطبيعتنا (الجديدة) نتساوى في الكرامة، ويلزمنا أن نحب أن نُكْرَم بالتساوي أولئك الذين يبدون أقل منا في بعض النواحي. فالأطفال يتعاملون هكذا مع بعضهم البعض، على الأقل بالنسبة لمن لم يعتادوا بعد على تسفيه من يعيشون معهم<sup>٢</sup>.

❖ سؤال: كيف يمكن أن نُرحَّب بملكوت الله كأطفالٍ صغارٍ؟ (مت ١٨ : ٣)

الإجابة: لو اعتبرنا أنفسنا كأولادٍ صغارٍ تجاه تعليم الرب يسوع، غير معرضين ومجادلين مع معلميه، بل نقبل بإيمانٍ وخضوعٍ ما يعلم به الرب، وأيضًا في طاعةٍ بخوفٍ وامتنالٍ<sup>٣</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## الهروب من المجد الباطل

إذ يفشل عدو الخير في تثبيط هممنا لممارسة الفضيلة، لا ييأس عندما نتعهدنا، إذ يضرب النفس بسهم محبة المديح والمجد الباطل، الذي يصوبه في قلب المؤمن، فتتحوَّل أعماله الصالحة إلى شرك يسقط فيه، ويفقد المؤمن إكليله الأبدى. بهذا ينحدر المؤمن كما من السماء مع عدو الخير المتكبر!

❖ يجب علينا يا أحبائي أن نهرب بالأكثر من المجد الباطل، هذا الذي لا يحطمنا قبل أن نتعب في الفضيلة ونتألم في النسك، لكن من بعد تعبنا يريد أن يسرق منا إكليلنا. هذا الذي يعسر أن يُمسك.

هذا الذي يمكر بخلاصنا، ويجاهد بحيله أن يرفع الفضيلة إلى السماء ثم يُحْدِرُها بعد ذلك. هذا الذي يجتذب تواضع القلب الذي هو أساس الفضيلة، ويُفقد صاحبه جميع أتعابه، ويُطَيِّب قلبه بأن يطلب أجره تعبته من الناس، أعني إكرامهم وشكرهم له، تلك الأمور التي لا ربح فيها.

<sup>1</sup> Homily 11:6 on Psalm 7.

<sup>2</sup> Regulae brevius tractatae, 216.

<sup>3</sup> Regulae brevius tractatae, 217.



فينبغي ألا يكون هذا البتة. بل يجب أن ننظر إلى الله وحده، ونعمل الفضائل من أجله، ونتركها تجتمع لنا عنده، لننال منه وحده الأجر كاستحقاقنا.

وإن كنا قد اخترنا أن نصنع الخير من أجل مجد الناس، ورضينا بأخذ الأجر منهم وهو إكرامهم الباطل، فالأولى والأفضل جدًا أن نصنع ذلك من أجل الله، ونبتغي ثوابه الدائم. فقد قال له المجد في الإنجيل عن الذين يصنعون الخير من أجل الناس: "الحق أقول لكم إنهم قد استوفوا أجرهم" (مت ٦: ٢).

فلنهرب من هذا الصياد المحارب لأنفسنا بحلاوة، الذي يضع العسل على فم مكره، ويمد كأسه المهلك إلى قلوب الناس، ليجده المتأدبون حلواً، فيسقيهم من أوجاعه بغير شبع. ولا تقف خسارة المجد الباطل عند حد تضييع أجرة تعب الفضيلة، لكنه يحرق صاحبه، ويميل به من الفضيلة إلى الرذيلة. وعندما يتركه يطلب المجد من أناس أرياء أو جهلة يمدحون المرء ويكرمونه من أجل أمورٍ رديئة.

فلنهرب من هذا. وإن مدحنا قوم لسعينا في الطريق الفاضلة، فلا نلتفت إلى تكريمهم كأنه أمر عظيم، بل ننظر إلى معطي الكرامات الحقيقية. نعم ينبغي أن نفرح لهؤلاء إذ قد عرفوا الصواب ومدحوا الفضيلة.

وإن كان قوم يردلوننا ويذموننا لأجل الفضيلة فلا نبالي، ولا نكتتب وننحل. لكن ينبغي أن نحزن عليهم، إذ لم يشتركوا في الرأي المستقيم، لأن قلبهم مظلم، ولذلك يشتموننا<sup>١</sup>.

❖ يليق بالمسيحي ألا يلتصق بالمجد الذي يصدر عن البشر، ولا يطلب لنفسه مجداً خاصاً، بل أن يُصَحَّح من يُقدِّمون له مثل هذه الكرامة، أو الذين يفكرون فيه عالياً (مت ١٩: ١٦-١٧)<sup>٢</sup>.

### ❖ سؤال: كيف يمكن للنفس أن تقتنع بأن المجد الباطل يذلها؟

الإجابة: عندما تطيع الرب القائل: "فليُضَيَّ نوركم هكذا قُدَّام الناس، لكي يروا أعمالكم الحسنة، ويمجدوا أباكم الذي في السماوات" (مت ٥: ١٦)، ووصية الرسول: "فإذا كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئاً، فافعلوا ذلك شيءٍ لمجد الله" (١ كو ١٠: ٣١) هكذا، الإنسان التقى لا يطلب مجداً في الحاضر أو المستقبل، بل يحسب المحبة لله فوق كل شيء.

لهذا لديه الثقة أن يقول مع الذين عبروا أمامنا: "ولا أمور حاضرة ولا مستقبلية، ولا علو ولا عمق، ولا خليقة أخرى، تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا" (رو ٨: ٣٨-٣٩). لأن ربنا يسوع المسيح نفسه قال: "أنا لست أطلب مجدي" (يو ٨: ٥٠). "من

<sup>١</sup> راجع دير السريان: القديس باسيليوس، ٢٠٠٣، ص ٧٢، ٧٣.

<sup>٢</sup> *Morals, Rule 59:1.*

ينكلم من نفسه يطلب مجد نفسه، وأما من يطلب مجد الذي أرسله، فهو صادق" (يو ٧: ١٨)¹.

القديس باسيليوس الكبير

## الشكر الدائم

يليق بالمؤمن ألا يكف عن الشكر لله من أجل عطاياه الروحية، وعمله معه. إن كنا نُقدِّم توبة عن خطايانا، فلا ننسى أن نبدأ بالشكر على اهتمامه بخلاصنا.

❖ سؤال: من أي نوع يجب أن تكون النفس التي تُحسب أهلاً أن تُضم إلى عمل الله؟

الإجابة: مثل النفس القائلة: "من أنا يا سيدي الرب؟! وما هو بيتي حتى أحببتي؟! (راجع

صم ٧: ١٨). هذا يحقق كل جانب مما كُتب: "شاكرين الأب الذي أهَّلنا لشركة ميراث القديسين في النور، الذي أنقذنا من سلطان الظلمة، ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته" (كو ١: ١٢-١٣)².

❖ جيد ألا تخطئ، وإن أخطأت فجيد ألا تؤخر التوبة، وأن تبت فجيد ألا تعود إلى الخطية، وإذا لم تعد إليها، فجيد أن تعرف أن ذلك بمعونة الله، وإذا عرفت ذلك، فجيد أن تشكره على نعمته.

❖ سؤال: إذا نلنا مساعدة من شخص ما، كيف يمكننا تقديم الشكر لله بكل إخلاص ونقاوة قلب، وأن نُتم ذلك بحق تجاه الله، وتجاه من قدم الخدمة بغير تقصير وبدون مبالغة؟ إن كنا مقتنعين تماماً أن الرب هو مصدر كل عملٍ صالحٍ ومكمله (عب ١٢: ٢)، سنعتزف بأن الخادم هو خادم (كاهن) الله السخي في العطاء³.

القديس باسيليوس الكبير

## الطاعة

بالنسبة للقديس باسيليوس غاية شجرة المعرفة في الفردوس هي "أن تختبر طاعتنا⁴". يُقدِّم لنا بستان الرهبان قصة تكشف عن مدى حب القديس باسيليوس الكبير للطاعة:

❖ قال شيخ: "عندما جاء القديس باسيليوس يوماً ما إلى الدير قال للأب بعد العظة المعتادة: "هل عندك هنا أخ مطيع؟" فأجاب: "كلهم خدامك أيها السيد، وهم يجاهدون لأجل خلاصهم". لكنه أعاد سؤاله: "هل عندك أخ مُطيع بالحقيقة؟" فجاء الأب بأحد الإخوة، فاستخدمه القديس ليقدم أثناء الطعام.

¹ *Regulae brevius tractatae*, 299.

² *Regulae brevius tractatae*, 167.

³ *Regulae brevius tractatae*, 219.

⁴ *Hom. 9:9*.

وبعد الطعام جاء الأخ له بالماء لكي يشطف يديه، ثم قال له القديس: "تعال هنا لكي أقدم لك الماء أنت أيضًا". فسمح الأخ للأسقف أن يسكب الماء على يديه.

حينئذٍ قال له القديس: "عندما أدخل الهيكل، فتعال لكي أرسمك شماسًا". وبعد أن فعل ذلك رسمه كاهنًا، وأخذه معه إلى الأسقفية بسبب طاعته<sup>١</sup>.

❖ كيف يكون الإنسان مشتاقًا أن يخاطر حتى الموت من أجل وصية الرب؟ (أع ١٥ : ٢٦؛ ٢ كو ١١ : ٢٦).

الإجابة: في المقام الأول، أن يتذكر أن الرب نفسه كان مطيعًا للأب حتى الموت (في ٢ : ٨)، واقتناعه الكامل بقوة وصية الرب، والتي هي "حياة أبدية"، كما هو مكتوب (يو ١٢ : ٥٠). وأيضًا الإيمان بالرب القائل: "فإن من أراد أن يخلص نفسه يهلك نفسه من أجلي ومن أجل الإنجيل، فهو يخلصها" (مر ٨ : ٣٥)<sup>٢</sup>.

❖ درّب جسدك على طاعة نفسك، ودرّب نفسك على طاعة الله.

القديس باسيليوس الكبير

❖ سؤال: هل يطيع الشخص (الراهب) ما يقوله أي شخص في الجماعة؟

الإجابة على هذا السؤال مشحونة بالمصاعب.

في الوضع الأول، من الواضح أن هذا يُسبب ارتباكًا حينما نتكلم عن حديث كل واحد في أمرٍ ما. يقول الرسول: "أما الأنبياء فليتكلم اثنان أو ثلاثة، وليحكم الآخرون" (١ كو ١٤ : ٢٩). وعندما وضع الرسول قائمة بالمواهب، عيّن رتبة لكل واحدٍ من المتكلمين، قائلاً: "كما قسم الله لكل واحدٍ مقدارًا من الإيمان" (رو ١٢ : ٣). ويتقديم مثال بأعضاء الجسم أظهر بوضوح أن كل متكلم يتحدث بالدور، ووضع تمييزًا حازمًا عندما قال: "المعلم في التعليم، أما الواعظ ففي الوعظ" (رو ١٢ : ٧ - ٨).

واضح من هذا، إنه لا يُعهد كل شيءٍ لكل أحدٍ، إنما "الدعوة التي دُعي فيها كل أحدٍ، فليلبث فيها" (١ كو ٧ : ٢٠)، وأن يهتم اهتمامًا عظيمًا أن يُتمّ باستقامة ما يُعهد إليه أن يفعله بالرب. لذلك فإن الرئيس على الجميع، والذي يقوم بالتنظيمات (توزيع العمل) لكل أحدٍ، يلزمه أن يتعهد هذه المسئولية بعد اختبارٍ كثيرٍ، ويلزمه أن يراقب كل أحدٍ بلياقةٍ واهتمامٍ، فيعطي الأوامر، ويقوم بالتنظيمات للصالح العام بطريقة تسر الله، متطلعًا بنفسه على إمكانيات وقدرات كل أحدٍ. أما هؤلاء الذين يطيعون - مع حفظ تدبير حسن وطاعة بالقدر اللائق - فيجب أن يضعوا

<sup>١</sup> رهبان بيرية شيهيت: فردوس الآباء (بستان الرهين الموسع)، ج ٢

<sup>٢</sup> *Regulae brevius tractatae*, 199.



في فكرهم كلمات الرب: "خرافي تسمع صوتي، وأنا أعرفها فتتبعني، وأنا أعطيها حياة أبدية" (يو ١٠: ٢٧ - ٢٨). وكلماته السابقة، "وأما الغريب فلا تتبعه، بل تهرب منه، لأنها لا تعرف صوت الغرباء" (يو ١٠: ٥).

أيضًا توجد كلمات الرسول: "إن كان أحد يُعَلِّم تعليمًا آخر، ولا يوافق كلمات ربنا يسوع المسيح الصحيحة، والتعليم الذي هو حسب التقوى، فقد تصلّف، وهو لا يفهم شيئًا" (١ تي ٦: ٣ - ٤). بعد أن أخبر عن النتائج (١ تي ٦: ٤ - ٥)، أضاف: "اهرب من هذا" (١ تي ٦: ١١). مرة أخرى يقول في موضع آخر: "لا تحثقروا النبوات، امثحنوا كل شيء، تمسكوا بالحسن. امتنعوا عن كل شبه شر" (١ تس ٥: ٢٠ - ٢١).

لذلك ما يُقال في توافق مع وصية الرب، أو مُوجّه إلى وصية الرب، يلزمنا طاعته، حتى إن بدا يهدد بالموت.

ولكننا يجب ألا نعطي اهتمامًا قط لأي شيءٍ ضد الوصية أو يكون عائقًا لها، حتى لو أمر بها ملاك من السماء أو أحد الرسل، سواء كان واعدًا بالحياة أو مهددًا. إذ يقول الرسول: "ولكن إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم، فليكن أناثيما".<sup>١</sup>

**القديس باسيليوس الكبير**

## الاحتمال

فضيلة الاحتمال، في نظر القديس باسيليوس هي ثمرة حلوة وشهية، يتمتع بها المؤمن خلال شركة المسيح المصلوب. احتمل الرب الصليب بسرور، ليقدّم لنا خلاله الحياة الأبدية، ويُرزّن نفوسنا بفضيلة الاحتمال.

في حديثه مع الوالي كشف له أنه لن يعاني من خطر المصادرة، لأن كل ما يملكه هو ثوبه وكتب قليلة، فإن أي قرار بالمصادرة لن يكون له دور في حياة من تخلى عن كل شيء!<sup>١</sup>

❖ صلب المُخلّص نفسه لأجلنا، لكي بموته يهبنا الحياة، ويُدربنا ويجتذبنا جميعًا للاحتتمال<sup>٢</sup>.

❖ الذي ليس لديه شيء يفقده، سوى هذه الثياب الرخيصة وكتب قليلة، لا يخشى خطر المصادرة<sup>٣</sup>.

**القديس باسيليوس الكبير**

<sup>١</sup> *Regulae brevius tractatae*, 303.

<sup>٢</sup> *Letter 22 to Chilo, his disciple*, 5.

<sup>٣</sup> *Mike Aquilina: The Way of the Fathers, Indiana 2000, article 765.*



## الإخلاص

❖ سؤال: عندما يقول الرسول: لئلي تكونوا مخلصين" (في ١ : ١٠)، وأيضًا: "لكن كما من إخلص" (٢ كو ٢ : ١٧)، ماذا يعني بالإخلص؟

الإجابة: أحسب الإخلص أن يصبح الإنسان غير مخلوط (مشوش) إطلاقًا، نقي من كل ما هو مضاد، ومركز وموجّه فقط نحو التقوى، وليس هذا فقط ولكن أيضًا يهتم بكل دقة إلى ما يلزم في كل مناسبة، وفي كل عمل حتى يخدم هذا الهدف التقوي. هكذا يقوم الشخص بدوره دون أن ينشغل حتى بالشكل الظاهر للأعمال الصالحة.

يتضح القول الأول بالكلمات التالية للقول: "لكن كما من إخلص" إذ يضيف: "بل كما من الله نتكلم أمام الله في المسيح" (٢ كو ٢ : ١٧). ويتضح القول الثاني بالقول: "أن لا يرتئي فوق ما ينبغي أن يرتئي، بل يرتئي إلى التعقل كما قسم الله لكل واحد مقدارًا من الإيمان" (رو ١٢ : ٣)، وبما جاء بعد ذلك<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## السهر الروحي

يقدم لنا القديس باسيليوس إجابة على عدة أسئلة بخصوص حياة السهر، وكيف يتغلب الراهب على النوم في غير وقته.

يرى القديس في السهر، ليس تدريبيًا على الاحتمال والجهد، إنما بالأكثر هو تتمتع بالحضرة الإلهية، واختبار عذوبة الحياة السماوية، وفرصة للتعرف على الإرادة الإلهية. لهذا يحذرنا من النوم المفرط في غير وقته، لهذا يليق بالمؤمن السالك في حياة الشركة أن يُقدّر دور الذين يوقظون الإخوة لممارسة حياة السهر.

كما يشدد على المترخين والمهملين في حياة السهر، لئلا يصيروا خميرة تفسد العجين

المقدس!

❖ سئل: من أين يأتي علينا النوم المفرط وفي غير وقته؟ وكيف يمكن التخلص منه؟

فأجاب: يأتي النوم في غير وقته عندما تتراخي النفس في التفكير في الله، وتتغلب عليه بالتصاقها بذكر الله، وعندما نسترد الأفكار المخلصة واللائقة بجلال الله، ونبسط رغبتنا في

<sup>١</sup> Regulae brevius tractatae, 264.

ممارسة إرادته كوصاياه، وبالخوف من دينونته، وبالتهاب الشهوة لتكميل إرادته. فينبغي ألا ننقطع من هذه الأمور، لنقول مع داود: "ولا أعطي لعيني نعاسًا، ولا أجفاني نعاسًا، ولا راحة لصدغي، إلى أن أجد موضعًا للرب، ومسكنًا لإله يعقوب" (مز ١٣٢: ٤ - ٥).<sup>١</sup>

#### ❖ سؤال: كيف يلزمنا أن نتطلع إلى من يوقظ الإخوة للصلاة؟

الإجابة: إن تحقق أحد من الخسارة التي تحلُّ به من النوم، عندما لا تكون النفس مدركة لنفسها، وإن كان يدرك عظمة الفائدة التي لحفظ السهر، خاصة المجد الفائق عندما يقف أمام الله في الصلاة. فإنه يجب تقدير دور من يدعوه لهذا، ويحسب من يوقظ النائم كمن يمنح عطايا عظيمة تفوق كل رغبة، سواء إن كان يوقظه لأجل الصلاة، أو من أجل ممارسة آية وصية أخرى.<sup>٢</sup>

#### ❖ سؤال: إن كان أحد يتدمر أو يغضب عندما يُوقظ من النوم، ماذا يستحق؟

الإجابة: يُعزَل ويُحرَم من الطعام إلى حين، حتى يختبر الندامة، ويتحقق من عظمة المنافع وكثرتها هذه التي بغباوة سلبها من نفسه، فيتوب ويبتهج بالنعمة التي صارت له، ويقول: "أذكر إلهي وأفرح" (راجع مز ٧٧).

أما إذا استمر في خموله وعدم إدراكه للنعمة، فليُقطع من الجسد كعضوٍ فاسدٍ. إذ مكتوب: "خير لك أن يهلك أحد أعضائك، ولا يُلقَى جسدك كله في جهنم" (مت ٥: ٢٩-٣٠).<sup>٣</sup>

القديس باسيليوس الكبير

#### العفة

للقديس باسيليوس أحاديث فريدة عن العفة، يتطلع إليها سواء من الجانب الإيجابي أو من الجانب السلبي. كثيرًا ما يشير إليها بمفهومها الواسع أو الضيق المُحدَّد بالعلاقات الجسدية، لذلك خصصت بندًا خاصًا بها.

#### السكون

بالرغم من أن القديس باسيليوس من دعاة الحياة المشتركة، إلا إنه لا يكف عن التشديد على النتمُّع بالتدابير الخاصة بالصمت وعلى الالتزام بالخلوة والهدوء. فهذا هو الشرط الذي بدونه لا تستقيم الحياة الرهبانية، إذ كيف يمكن للراهب أن يصلِّي مرارًا في النهار، وأن يدرس ويطالع

<sup>١</sup> راجع دير السريان: القديس باسيليوس، ٢٠٠٣، ص ٢٢٨. *Regulae brevius tractatae*, 32.

<sup>٢</sup> *Regulae brevius tractatae*, 43.

<sup>٣</sup> *Regulae brevius tractatae*, 44.

الكتاب المقدس، وأن يعكف على اكتشاف نفسه، إذا كانت الضوضاء تملأ حياته، وتملاً أرجاء الدير<sup>١</sup>.

هذا الشرط أيضاً بدونه لا يستعذب المؤمن العادي الحياة الجديدة والمتجددة على الدوام بعمل روح الله القدوس.

يظن كثيرون أن الراهب هو من يبتعد عن العالم وينعزل. هذا ضروري، ولكن القديس باسيليوس يشدد على أن الانسحاب الحقيقي من العالم، وهو [أن نقطع الحبال التي تربطنا به وبهمومه ومشاكله].

الهدوء الذي نحصل عليه في الدير [هو بدء تطهير الذات، وعدم الاكتراث بأمور الدنيا بدء الاهتمام بأمور الله].

والوحدة [هي دواء للأهواء والشهوات، لأنها تهدئها وتقرّبنا لله، خاصة عندما تكون مقرونة بالصلوات والتسابيح. وهذه يجب أن ترافقنا دائماً، لأنها تثبت النفس في الفرح، وتخرجها من الأحزان<sup>٢</sup>].

❖ الهدوء هو الخطوة الأولى في تقديسنا، فيتطهر اللسان من ثرثرة العالم، ولا تُثار العين بالألوان الجميلة ولا بالأشكال الوسيمة، ولا تُسرع الأذن لنغمة الذهن التي للأغاني الشهوانية، بالأذنية التي تصدر على وجه الخصوص من أحاديث أصحاب التمثيليات الهزلية والمهزجين.

❖ إن كنت صبيّاً في الجسد أو الفكر، فلتطر من الالتصاق الخاص بزملائك الذين في سنك، وأهرب منهم كما من النار<sup>٣</sup>.

❖ لا بد أن يكونوا محافظين على السكوت التام في وجود من هم أكبر منهم، ويسمعوا لمن هم أحكم منهم ويظهروا محبتهم لهم بتوقير واحترام، ويعطوا النصائح للذين هم أقل منهم بروح المحبة والوداعة.

لا بد أن يتحاشوا الناس الذين يُسبّبون لهم المتاعب، وعلى النقيض من ذلك، يجلسون ويفكرون بتعمقٍ ولا يتكلمون إلا قليلاً.

<sup>١</sup> الأب الياس كويتر المخلصي: القديس باسيليوس الكبير، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، ١٩٨٩، ص ٧٢

*Epistle 2; Hom. Regulae fusius tractatae 5, 13, 38; Regulae brevius tractatae 25, 38, 208; Hom. on Ps. 33, 28.*

<sup>٢</sup> *Epistle 2: 7, 8, 10.*

<sup>٣</sup> *On Renunciation of the World, (Frs. Of he Church, volume 9, p. 23).*

أثناء محادثتهم لا بد أن يتحاشوا الغطرسة والثرثرة التافهة، والهزء والضحك، بل على الدوام يشعرون بإحساس الحياء، وأعينهم تكون دائماً ناظرة إلى الأرض، أما أرواحهم فتكون مُحَلَّقة إلى أعلى، رافضين الجدل مع الذين يتشكَّون في طريقنا هذا<sup>١</sup>.

❖ يُقَدِّم لنا البعد عن العالم فرصة ممتازة لنهدئ نفوسنا، ونأخذ وقتاً كافياً لنطرد انفعالاتنا الرديئة من نفوسنا، لأنه كما يُروِّض الحيوان المفترس بالعصا، كذلك أيضاً يمكن بالبُعد عن العالم، أن نهدئ غضبنا، وخوفنا، وضغوطنا العصبية التي تُسَمِّ أجسادنا وتُحَطِّم نفوسنا، وبذلك نستطيع أن نعيش في جو من السلام، فيه نتحرَّر من الاضطرابات المستمرة، ونضمن لنفوسنا أن تخضع بسهولة للطريق السليم.

لا بد أن نبحث عن مكان مُنفرد، نجعله بعيداً تماماً عن الاتصال بالآخرين، ولعلنا بذلك نستطيع أن نتقدِّم في خبراتنا الروحية، في طريق بلا عثرات، وتتغذى نفوسنا بفكر الله<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

### الاعتدال واستقامة القلب

كثير من آباء الكنيسة، حتى قادة الفكر الرهباني والنسكي يُركِّزون على الاعتدال في كل شيء، حتى في العبادة، بكونه طريق الفضيلة واستقامة القلب والفكر. وقد دعانا بولس الرسول إلى الاعتدال، بقوله: "فإني أقول بالنعمة المعطاة لي لكل من هو بينكم، أن لا يرتئي فوق ما ينبغي أن يرتئي، بل يرتئي إلى التعقُّل، كما قسم الله لكل واحدٍ مقداراً من الإيمان" (رو ١٢ : ٣).

يُحدِّثنا كل من القديسين غريغوريوس النزينزي وباسيليوس الكبير من المبالغة حتى في الأمور الصالحة واللاهوتيات، إذ يليق بالإنسان أن يراعي قدراته ومواهبه واستعداداته وخبرته دون المبالغة.

❖ لست أعني أننا لا يجب أن نفكر في الله في جميع الأوقات، ولا داعي أن يهاجمني خصومي بهذه الحجة، حيث أنهم دائماً مستعدون للهجوم، فإننا يجب أن نتذكَّر الله أكثر مما نتنفس، بل يمكنني القول أنه يجب ألا نفعل شيئاً آخر غير ذلك، وأنا من أنصار المبدأ الذي يأمرنا بأن "تلهج نهاراً وليلاً" (مز ١ : ٢)، لنُخبر عن الرب "مساءً وصباحاً وظهراً" (مز ٥٥ : ١٧)، "لنُبَارِك الرب في كل حين" (مز ٣٤ : ١)، أو كما قال موسى: "حين تمشي في الطريق، وحين تقوم، وحين تنام" (تث ٦ : ٧)، أو عندما نعمل أي شيء آخر، وبهذا التذكُّر لله نصبح أنقياء.

<sup>١</sup> ترجمة، أبناء البابا كيرلس السادس، ١٩٩٦. *Basil the Great: Gateway to Paradise*.

<sup>٢</sup> ترجمة، أبناء البابا كيرلس السادس، ١٩٩٦. *Basil the Great: Gateway to Paradise*.



هكذا، فإنني لست ضد التذكّر المُستمر لله، بل ضد المناقشة المستمرة للاهوتيات، وأنا لا أعارض اللاهوت - كأنه شيء ضد التقوى - ولكنني أعارض مناقشته في وقت غير مناسب. ولست ضد تعليم اللاهوت، إلا عندما يتجاوز الحد، فإن الامتلاء والتخمة - حتى من العسل مع كل لذته - يُسبب القياء (أم ٢٥ : ١٦). ولكل شيءٍ وقته كما أرى ويرى سليمان الحكيم، وما هو حسن ليس حسناً إذا كان الوقت غير مناسب.

فالزهور وقتها ليس في الشتاء بالمرّة، وملابس الرجال لا تصلح للنساء، ولا ملابس النساء للرجال.

ولا يليق الضحك المفرط أثناء الجداد، ولا البكاء في حفل شراب.

إذا كانت كل هذه لا تصلح لأنها في وقت غير مناسب، فهل نُهمل اختيار الوقت المناسب في مناقشة اللاهوت فقط، مع أن مراعاة الوقت المناسب لهذه المناقشة في غاية الأهمية؟<sup>١</sup>

القديس غريغوريوس النزينزي

❖ "مُخْلِصٌ مستقيمي القلب" (مز ٧ : ١٠). مستقيم القلب هو الذي لا يميل عقله إلى الإفراط، ولا إلى النقص، بل يُوجّه كل مساعيه نحو وسائل الفضيلة (الاعتدال).

ذاك الذي ينحرف عن البسالة إلى أمدٍ أقل ينحرف نحو الجبن، ولكن ذاك الذي يتصنّع الأمور العظيمة ينحرف إلى التهور. لذلك فإن الكتاب المقدس يدعو المعوجين الذين يضلّون بالمبالغة أو النقص.

كما أن الخط يصير معوجاً عندما ينحرف اتجاهه المستقيم تارة بشكل محدّب وأخرى بشكل مقعر، هكذا يصير القلب معوجاً عندما يكون أحياناً مرتفعاً بتشامخ، ومرة أخرى مكتئباً خلال الأحزان والإذلال. لذلك يقول الجامعة: "الأعوج لا يمكن أن يحتفظ بالاستقامة" (راجع جا ١ : ١٥)<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## الصمت بحكمة والكلام البناء

لم يمنع باسيليوس الكلام في نظامه النسكي، ولكنه نظّمه هكذا:

١. يجب أن يكون الكلام نافعا، ولا تُلقَى أسئلة مثيرة ولا تكون الإجابة جدلية.

٢. لا تُقاطع المتكلم الذي ينطق بكلام نافع.

<sup>١</sup> العظة اللاهوتية الأولى: عظة رقم ٢٧ عظة تمهيدية ضد أتباع يونيموس، ٤

<sup>٢</sup> Homily 11:7 on Psalm 7.

٣. يجب ألا يكون الكلام حبًا في إثبات رأى شخصي، بل يكون الكلام بدافع المحبة والتواضع.

٤. لا يخجل الإنسان من التعلّم، ولا يتعالى عندما يعطي معرفة لغيره. ولا يخشى الإنسان أن يُظهر جهله.

٥. لا ينسب معرفة شخص لنفسه، كأنها صادرة منه هو، وليس الذي أعطها أولاً.

٦. يليق به أن يفكر قبل أن يتكلّم.

٧. أن يكون مُحَبِّبًا إلى الجميع، هادئًا فيما يقترحه، سخيًا في نصائحه. متواضعًا ليصلح إخوته<sup>١</sup>.

يُطالب القديس باسيليوس المبتدئ أن يجاهد في التدرّب على الصمت خلال عمل نعمة الله فيه. ومع صمت اللسان يليق به أن يتمتّع بضبط النفس، ليحيا بروح الجدّية، وليس في انحلالٍ أو تسبُّب.

كما أن الصمت المُرتب بضبط النفس مُقدّس وبنّاء، هكذا الكلام الذي يبني النفوس، ويجب على تساؤلات الآخرين بروح التقوى والحكمة والقداسة.

يليق بالمبتدئ الصامت الآتي:

١. في صمته لا يتجاهل بنيان نفسه وعفتها.

٢. أن يتعلّم من المتقدمين روحياً كيف يجب على الأسئلة بحكمة لبنيان النفوس.

٣. يتعلّم فن الحديث والحوار، فيحمل صوته رنين الحب والتواضع، ولا يطيل الحديث فينحرف عن الهدف، ويختار الوقت المناسب والكلمة المناسبة.

٤. ألا يكون صمته في الظاهر، بينما يكون فكره مشغولاً بتصرفات أو كلمات في الماضي، تُفسد هدوء نفسه ونقاوتها.

٥. لا يلتزم المؤمن بالصمت عند التسبيح بالمزامير، بل تكون له شركة مع الجماعة في عبادة روحية لائقة وبنّاءة!

❖ الصمت بالحقيقة تدريب صالح للمبتدئين، لأنه في طلبهم ضبط اللسان، يُعطون في نفس الوقت برهانًا كافيًا لضبط النفس، وأيضًا بينما يحتفظون بالصمت، يكونون في جدية ويقظة نحو التعلّم من الذين يعرفون كيف يستخدمون الكلام. وبأية وسيلة يلزم للإنسان أن يسأل سؤالاً، أو يُقدّم إجابة في حالات مُعيّنة.

<sup>١</sup> . . . نصحي عبد الشهيد: مقال عن "النظام الأسكي للقديس باسيليوس الكبير".

بالحقيقة يليق أن يوجد رنين خاص بالصوت، واعتدال في التطويل، واختيار الزمن المناسب، واختيار مناسب لاستخدام الكلمات التي لها سمات خاصة بالنسبة للذين يقودون الحياة المُكْرَسَة، هذه السمات لا يمكن تعليمها لأحدٍ ما لم يكتسبها بالتدريب العملي المستمر.

بسبب الهدوء المفيد، يُنتج الصمت نسيانًا للماضي، وإعطاء فرصة لتعلّم ما هو صالح. تبعًا لذلك يجب حفظ الصمت، إلا بالطبع في حالة التسبيح بالمزامير، وعند الحاجة في الاهتمام الخاص بالعناية بنفس إنسانٍ، أو في حالة طارئة لعمل يجب القيام به حالاً، أو للإجابة على سؤالٍ مماثلٍ<sup>١</sup>.

❖ لا يتكلم باطلاً، ولا يسأل أسئلة تافهة، ولا يُحاجج وهو يتعلّم من الذين هم أكبر منه سنًا وأكثر خبرة.

يُفكّر قبل أن يتكلم، ووديع مع الجميع، ولطيف في الحديث، ومُحِب في نصائحه، وغير قاسٍ في توبيخه، ومتواضع يتحكّم حتى في صوته، فلا يكون عاليًا فيزعج، ولا منخفضًا فلا يُسمع.

إن الراهب مُنخَفِض النظر، شعره غير مُرتَّب، ولباسه خشن، يلبس حذاءً قاسيًا إنَّما قويًا، ويتمنطق بمنطقةٍ من جلد. وأما طعامه فهو الخبز والخضار، وشرابه الماء الزلال ونومه خفيف<sup>٢</sup>.

❖ ليكن حذرًا من التحدّث بخشونة وفظاظة، ولتكن الأسئلة بسيطة، والأجوبة خالية من الأنانيّة وحُبّ الذات.

لا يقاطع المتحدث معه عندما يشرح أمرًا ما، أو يسرد بيانًا عن شيءٍ حدث معه، ولو قام ذلك بافتخارٍ وتباهٍ.

ليتكلم الراهب بهدوءٍ، وليسمع بحشمةٍ واعتدالٍ، مصغيًا إلى تعاليم الآخرين...

ليكن الصوت في الحديث منخفضًا...

على المتحدث أن يكون لطيفًا في جميع اتصالاته الاجتماعية، عاملاً على ترطيب الأجواء بدمائة أخلاقه وتأدبه، مبتعدًا عن الخشونة والقسوة حتى عندما يوبّخ الآخرين<sup>٣</sup>.

❖ يليق به أن يقضي وقته في كلماتٍ وأعمالٍ صالحةٍ.

<sup>١</sup> Reg. Fus. 13.

<sup>٢</sup> راجع الأب الياس كويتير المخلصي: القديس باسيليوس الكبير، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، ١٩٨٩، ص ٢٢

<sup>٣</sup> الأب الياس كويتير المخلصي: القديس باسيليوس الكبير، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، ١٩٨٩، ص ١٩٨

لن يُقسَمَ قط، ولن يقرض مالا بفائدة، ولا يبيع غللاً وخمراً وزيتاً من أجل الربح<sup>١</sup>.

❖ جيد أن تُمَيِّز الوقت الذي نتكلم فيه.

وما نقوله، نقوله من أجل المنفعة.

والمنفعة هي في أن نتكلم عن الفضيلة في الوقت اللازم، أو إذا دعت الحاجة ووجب الكلام لنرد واحداً من ضلالة، أو نتكلم من أجل ربح وبنيان السامعين. وما سوى ذلك ينبغي أن نرفضه، إذ ليس فيه ربح، وهو خارج عن الحاجة.

ينبغي للناسك ألا يتأمل أو يميل قلبه إلى كلام الهزء.

الذين تُهَرِّق نفوسهم بالمزاح والضحك، يحدون عن كلام الحق المستقيم، وينحلُّون من الفكر الثابت العالي، ويسقطون في الكلام القبيح، ثم في حفرة الشر. لأن النفس لا يمكن أن تكون متيقظة في ما لله ومرهقة في كلام الهزء.

أما إذا دعت الحاجة دفعة إلى أن نقول كلام عزاء بلطف، لكي نزيل قليلاً من عبوسة الذي نخاطبه وحزنه، ويخف ألم قلبه، فليكن كلامنا حينئذ مملوءاً نعمة روحانية، مُتَّبَلاً بالملح، لكي يُظهِر الكلام الذي نقوله رائحة بخور تدبيرنا الداخلي المملوء حكمة، ويبهج قلب الذي نخاطبه من جهتين: من جهة راحة قلبه بما يجده من تخفيفٍ لحزنه، ومن جهة نعمة معاني الكلام الذي نقوله له<sup>٢</sup>.

❖ ليكن مردولاً عندنا كل كلام ليس فيه منفعة، والاهتمام الذي في غير وقته، هذا الذي يكون في حديث بعضنا مع بعضٍ.

أما ما يجب أن نتحدَّث فيه، فهو الكلام الذي ينفعنا ويبني نفوسنا. وهذا فليكن بترتيب، وفي الوقت المناسب، ومن قوم مؤتمنين على الكلام. ومن كان ناقصاً فليصبر حتى يتعلَّم ممن هو أكبر منه.

لنرذل الغمز والهمس في الأذان. لأن كل الغمزات هي نوع من النميمة، وتحريك العينين نميمة مخفية. وهذه الأنواع هي مبدأ البغضة والشك، وينبغي ألا يكون في المجمع شك. فإذا دعت الضرورة إلى كلام، فليكن مقدار الصوت كالحاجة، ولا يصيح الواحد للبعيد عنه بزيادة عما تدعو الحاجة إليه<sup>٣</sup>.

<sup>١</sup> A Discourse on Ascetical Discipline, (Frs. Of the Church, volume 9, p. 34).

<sup>٢</sup> راجع دير السريان: القديس باسيليوس، ٢٠٠٣، ص ٧٤-٧٥

<sup>٣</sup> راجع دير السريان: القديس باسيليوس، ٢٠٠٣،



❖ سؤال: ما هو الملح الذي يُطالبنا الرب أن نقتنيه عندما قال: "ليكن لكم في أنفسكم ملح، وسالموا بعضكم بعضًا" (مر ٤ : ٥٠)؟ وهناك أيضًا قول الرسول: "ليكن كلامكم كل حين بنعمة، مصلحًا بملح" (كو ٤ : ١).

الإجابة: هنا أيضًا المعنى واضح من سياق كل فقرة. فكلمات الرب تُعلِّمنا ألا نعطي فرصة للفرقة والخلاف فيما بيننا، بل نحرض دائمًا أن نحفظ وحدانية الروح برباط السلام (أف ٣ : ٤). أما بالنسبة لكلمات الرسول، الذي يتذكَّر كلمات القائل: هل يمكن للخبز أن يؤكل بدون ملح؟ هل يوجد أي طعم في الكلام الباطل؟ (راجع أي ٦ : ٦ LXX) فتعلِّمنا أنه يستخدم كلماته بطريقة صالحة لبنيان الإيمان، كي يعطي نعمة للسامعين، منتهزًا كل فرصة (أف ٤ : ٢٩)، ويتدبَّر لائق حتى يتم إقناع السامعين بأكثر سهولة<sup>١</sup>.

❖ سؤال: هل من الصالح عمومًا أن يمارس الإنسان فضيلة الصمت؟

الإجابة: تعتمد فضيلة الصمت وقلة الكلام على الوقت المناسب والشخص، كما تُعلِّمنا نصوص الكتاب المقدس الإلهية.

فبالنسبة للزمن المناسب قيل: "يصمت العاقل في ذلك الزمان، لأنه زمان رديء" (عا ٥ : ٢٣). وفي موضع آخر قيل: "صمت وتذلت عن الخير" (راجع مز ٣٩ : ٢).

وبالنسبة للشخص المناسب، كتب الرسول: "إن أعلن لآخر جالس فليسكت الأول" (١ كو ١٤ : ٣٠)، وفي موضع آخر: "لتصمت نساؤكم في الكنائس" (١ كو ١٤ : ٣٤).

ولكن توجد أوقات يكون فيها الصمت التام ضروريًا من أجل كل الذين ليست لهم القدرة على ضبط ألسنتهم، كما يقول الكتاب: "لا تخرج كلمة ردية من أفواهكم، بل كل ما كان صالحًا للبنيان" (أف ٤ : ٢٩)، حتى بذلك يُشقى الإنسان من مرض الاندفاع في الكلام، ويصير قادرًا على التعلُّم في وقت فراغه متى يتكلم وبماذا يتكلم وكيف يتكلم، كما يقول الكتاب: "ليكن كلامكم كل حين بنعمة، مصلحًا بملح، لتعلموا كيف يجب أن تجاوبوا كل واحد" (كو ٤ : ٦) "كي يعطي نعمة للسامعين" (أف ٤ : ٢٩)<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>1</sup> *Regulae brevius tractatae*, 266.

<sup>2</sup> *Regulae brevius tractatae*, 208.

## عدم الاحتداد في الكلام

❖ سؤال: إن أجاب إنسان أحدًا باحتداد في صوته وكلمات وقحة، وعند مراجعته يقول إنه لم يكن في قلبه يود أن يؤذيه، فهل نُصدِّقه؟

الإجابة: أمراض النفس ليست مُعلنة لكل أحد، حتى بالنسبة للذين يعانون منها، وذلك أكثر من أمراض الجسد. فكما أنه بالنسبة للأطباء الذين لهم مهارتهم في حركات الجسد توجد علامات مُعيَّنة غامضة وخفية خاصة بالأمراض الخفية التي لا يدركها الذين يعانون منها، هكذا بالنسبة للنفس. فإنه حتى وإن كان الخاطي مُدركًا خطيته يلزمه أن يؤمن بالرب الذي يؤكد له ولأمثاله، قائلاً: "الإنسان الشرير من كنز قلبه الشرير يُخرج الشر" (لو ٦: ٤٥). وبهذا لا يقدر الشخص الشرير أن يخرج حديثًا صالحًا من القلب الشرير، ولا الشخص الصالح أن يخرج كلمة شريرة من القلب الصالح. فإنه وإن كان الإنسان الشرير غالبًا ما يضع في الصدارة كلمات وأعمالٍ صالحة، غير أنه يستحيل على الصالح أن يضع في الصدارة شرًا. فإننا نعتي بأمورٍ حسنة، ليس قدام الرب فقط، بل وقدام الناس أيضًا (٢ كو ٨: ٢١).<sup>١</sup>

القديس باسيليوس الكبير

## عدم النطق بشتيمة

يظن البعض أن الشتيمة هي أن ينطق بكلمات غير لائقة ضد أحد، غير أن القديس باسيليوس يرى أن كل كلمة حتى وإن كانت في ذاتها غير شريرة، لكنها تُشوِّه صورة الآخرين مباشرة أو ضمناً فهي شتيمة.

يُحدِّرنا القديس باسيليوس أن نهين إنسانًا ولو بتعبيرٍ عامٍ ويقصد المزاح.

❖ سؤال: ما هو الشتم؟

الإجابة: كل كلمة يُنطق بها بقصد تشويه صورة شخص، حتى إن كانت الكلمة ذاتها لا تبدو أنها شتيمة. هذا واضح من قول الإنجيل عن اليهود: "شتموه، وقالوا: "أنت تلميذ ذاك!" (يو ٩: ٢٨).<sup>٢</sup>

❖ سؤال: ما هي كلمة "رقا" (مت ٥: ٢٢)؟

الإجابة: هي كلمة عامية لتلك الأمة عن إساءة خفيفة شائعة تُقال من الأشخاص المعروفين له بدون كلفة.<sup>٣</sup>

القديس باسيليوس الكبير

<sup>1</sup> *Regulae brevius tractatae*, 28.

<sup>2</sup> *Regulae brevius tractatae*, 24.

<sup>3</sup> *Regulae brevius tractatae*, 51.

## قدسية أحلام الليل وأحلام اليقظة

يعتبر القديس باسيليوس أحلام الليل وخيالاته مؤشراً يقيس إلى حد كبير مدى قدسية الإنسان في النهار، أو مدى فساد حركات نفسه الخفية. ما ينشغل به الإنسان في أعماقه بالنهار غالباً ما يُعلن خلال أحلام الليل، حيث يسترخي رقيب النفس، فيعلن ما في داخلها.

### ❖ سؤال: لماذا تحل بنا خيالات الليل المعيبة وغير اللائقة؟

الإجابة: إنها تأتي على وجه الخصوص من حركات النفس المتضاربة خلال النهار، ومن التصرفات المتنافرة الحقيرة. أمّا إن كرّست النفس ذاتها لأحكام الله، وتطهّرت بانشغالها بأحكام الله ودراسة كلمة الله، وبحثها الدائم وممارستها لما هو صالح ومُسيرٌ لله، فإن أحلامها تكون من ذات النوع<sup>1</sup>.

### القديس باسيليوس الكبير

## مُحب للقراءات والدراسات الروحية والعلمية

ما كان يشغل قلب القديس باسيليوس في عزلته هو دراسة الكتاب المقدّس وكتابات العلماء المسيحيين. لذلك نظّم الحياة الرهبانية، موزّعة على الصلاة والدرس والشغل اليدوي.

❖ دراسة الكتب الإلهية هي الطريق الرئيسي لتحقيق واجبنا، إذ نجد فيها تعاليم عن السلوك وحياة الطوباويين، مسلّمة إلينا كتابة كصورٍ حيّةٍ للحياة الورعة<sup>2</sup>.

❖ يلزم (المؤمن) أن يحفظ السلام مع أهل بيته في الإيمان، ويتجنّب المُبتدع، ويقرأ الأسفار القانونية، ولا يتعامل مع الأبوكريفا (الكتابات المزورة)<sup>3</sup>.

### القديس باسيليوس الكبير

وفي حديث للشباب لم يمنع النّديس باسيليوس القراءة للشعراء والمؤرّخين والخطباء مادامت هذه القراءات نافعة. يكمل حديثه لهد قائلاً: [علينا أن نبتدئ بقراءة الفكر الدنيوي لنرتفع بعده إلى المقدّسات وأسرار الإيمان... فإذا كان هناك توافق بين هذه الثقافة وعقائدنا، تكون معرفتها من الإفادة بمكانٍ كبيرٍ، وإلا فالمقارنة في الحالة العكسيّة من شأنها أن تثبت معتقداتنا الصحيحة<sup>4</sup>.]

كما يقول إنه على الرهبان أن يتراوا لا ما يحلو لهم، وإنّما ما هو مفيد لحياتهم الروحية، وما يأمرهم به الرئيس، في أوقات مناسبة<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> *Regulae brevius tractatae*, 22.

<sup>2</sup> *Ep. 2: 3*.

<sup>3</sup> *A Discourse on Ascetical Discipline, (Frs. Of the Church, volume 9, p. 34)*.

<sup>4</sup> *Durkheim E.: Education et sociologie, P.U.F. Paris 1966, Introd. P. 1-2*.

<sup>5</sup> *Regulae brevius tractatae, Question 96, 180, 307*.

## التمتع بروية الله

في حديثه عن السعادة الحقيقية التي قَدَّمها الله للإنسان في جنة عدن، أوضح أن سعادة الإنسان ليس في شجر الجنة، بل في اللقاء مع الله والتمتع برويته.

❖ ما هي هذه السعادة التي نقصدها؟

أهي الأطعمة التي تدخل الفم، وتصل إلى المعدة وتخرج وتنتهي؟  
أهذه العطية وهبت لجنس البشر باحسانات الله، لكي تكون هناك معدة ممثلة وجسم ممتلئ صحة، وشهوات وقتية؟

أهذا هو ما لا نستطيع أن نعبر عنه بالكلمات؟

هل السعادة الحقيقية هي أن نتكبر بقسوة، ونطلب أن نُسمَّن أجسادنا، ونغرق نفوسنا في ارتكاب الخطايا والشهوات؟

لا بد أن نعرف أن هذه كلها، بعيدة تمامًا عن السعادة، وبعيدة عن المعنى الذي من أجله خلقنا الله.

إذن ما هو نوع هذه السعادة التي تتفق مع الفضيلة والقداسة، ومع قصد الخالق العظيم؟  
في الفردوس تجد هناك الجموع الكثيرة من الملائكة الأطهار القديسين، وهناك الأساس المتين لكل الفضائل الروحية، هناك التسبيح الدائم وثماره النقاوة والطهارة، وهناك نهر ماء الحياة، نهر الله، الذي من عرشه تتبع المياه التي تبهج مدينة الله، التي صُنِعَتْ وشُيِّدَتْ بالله "نهرًا صافيًا من ماء الحياة، لامعًا كبلور، خارجًا من عرش الله والخروف" (رؤ ٢٢: ١).

هذا النهر هو الذي ينبع من عدن (السعادة الحقيقية)، ويروي الفردوس "وكان نهر يخرج من عدن ليسقي الجنة" (تك ٢: ١٠)، هذا هو نهر التمتع الدائم برويا الله، والشعب الكامل بالتأمل في مجد المسيح وجماله، وفي سلامنا الدائم من أجل تواجدنا في حضرته.

هذه كلها أرشدت القديسين، ولا بد لكل المؤمنين أن يقوموا بتدابير روحية صارمة، حتى يصلوا إلى حياة الكمال، هذه التي أرادها الله لكل سكان الفردوس.

عندما تفكر في هذا، ستشكر الله صانعها الذي خلق كل هذا لأجل سرورك، وبذل كل جهد حتى يجعلك مستحقًا لها. وعندما تتجه إليه، حينئذ يستتير عقلك، وتفهم أساس خلقتنا، ومصير آخرتنا، له المجد إلى الأبد، آمين<sup>١</sup>.

<sup>١</sup> ترجمة، أبناء البابا كيرلس السادس، ١٩٩٦. *Basil the Great: Gateway to Paradise*.



❖ سؤال: ما هي العلامات التي بها يعرف الشخص أنه مُشَتَّت الفكر؟

الإجابة: عندما يشعر الإنسان أنه غير مبالٍ أن يُسِرَّ الله، إذ يقول النبي: "تقدّمت فرأيت الرب أمامي في كل حين، لأنه عن يميني فلا أتزعزع" (مز ١٦: ١).<sup>١</sup>

❖ سؤال: كيف يتحرّر إنسان من تشتيت الفكر؟

الإجابة: أن يضع في ذهنه داود المختار، ذاك القائل في موضع: "تقدّمت فرأيت الرب أمامي في كل حين، لأنه عن يميني فلا أتزعزع" (مز ١٦: ٨). وفي موضع آخر: "عينايا دائماً إلى الرب، لأنه يُخرج رجليّ من الشبكة" (مز ٢٥: ١٥). وفي موضع آخر: "هوذا كما أن عيون العبيد نحو أيدي سادتهم، كما أن عينيّ الجارية نحو سيديتها، هكذا عيوننا نحو إلها" (مز ١٢٣: ٢-٣).

لنستخدم المثال الأقل ليدفعنا أن نُتَمِّم الأمور الأعظم بأكثر غيرة. لياخذ الإنسان في اعتباره أنه أيّا كانت رتبته في نظر الآخرين الحاضرين، حتى إن كان مساوياً لهم في الكرامة، يحرص ألا يكون موضع انتقادهم، سواء في وقوفه أو مشيه أو تحرك أي عضو فيه أو كلامه. الآن إن كنّا نحرص على مظهرنا الخارجي البشري عندما نكون بين البشر، كم بالأكثر يلزمنا أن نحرص إن كنا مقتنعين بأن الله هو الذي يلاحظنا، هذا الذي يفحص القلوب والكلى، كقول الكتاب المقدس (مز ٧: ١٠)، وأن الابن الوحيد الجنس يُحقّق وعده: "لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي، فهناك أكون في وسطهم" (مت ١٨: ١٠). من يتحقّق من هذا يناضل بقوة بكل طريقة أن يُتَمِّم التقوى التي تسر الله.

بهذا نضمن التحرّر من التشتيت بكل فطنة ودقة. وأيضاً إن صارح أحد لِيُتَمِّم القول: "أبارك الرب في كل حين، دائماً تسبيحه في فمي" (مز ٣٤: ١). "في ناموسه يلهج نهاراً وليلاً" (مز ١: ٢). مثل هذا بالتأمل الدائم والجاد في إرادة الله وأمجاده، لا يجد الفكر مجالاً للتشتيت.<sup>٢</sup>

القديس باسيليوس الكبير

## الغيرة المتقدّمة نحو التعلّم والتعليم

مع ما اُتِّسم به النظام الباسيلي للحياة الرهبانية من تقديم خدمات للمجتمع، احتلّ التعليم مركزاً رئيسياً في هذا النظام. فبالنسبة للأطفال، تبنّت الأديرة إنشاء مدارس للبنين ومدارس للبنات، وكان يقوم الرهبان بالتعليم فيها. وهذا وكانت الأديرة يُمكن اعتبارها مجتمعاً تعليمياً.

<sup>1</sup> *Regulae brevius tractatae*, 295.

<sup>2</sup> *Regulae brevius tractatae*, 306

لذا يحث القديس باسيليوس الرهبان على التعلّم المستمر، وعلى الذين عهد إليهم القيام بالتعليم أن تكون قلوبهم ملتهبة بالغيرة والمثابرة على تعليم الرهبان.

❖ الله، مُحِبٌ لجنس البشر هو "المُعَلِّمُ الإنسان معرفة" (مز ٩٤ : ٩)، يوصي خلال الرسول من أوتمنوا على موهبة التعليم أن يثابروا عليها (١ تي ٤ : ١٦؛ رو ١٢ : ٧). كما ينصح أيضًا خلال موسى من هم في حاجة أن يُبنوا على التعاليم الإلهية، قائلاً: "اسأل أباك فيخبرك، وشيوخك فيقولوا لك" (تث ٣٢ : ٧). لهذا فإننا نحن الذين عهدت إلينا خدمة الكلمة (أع ٦ : ٤)، يلزمنا أن نكون مُستعدّين في كل وقتٍ وغيورين على تعليم النفوس وتدريبها...

فمن جانبكم يلزمكم ألا تسمحوا لشيءٍ ما أن يعبر بكم بدون ثمر، وبدون أن تنتفع نفوسكم. بجانب ما تتعلّموه خلال السماع الجماعي، تطلبون سرّيًا ما هو لعونكم، وتُعدون للدراسة لما هو لنفعكم، وتبحثون عن ما هو لفائدتك العظمى.

إذ جاء بنا الله إلى هنا، ونحن في سكونٍ عظيمٍ، بعيدًا عن الضجيج الخارجي (أي ضجيج العالم)، لئنا لا ننحرف إلى عملٍ آخر، وتستسلم أجسادنا للنوم ولراحة الجسم، إنما نقضي ما يتبقّى من الليل في الاهتمام وفحص ما هو ضروري، فنُتمّم قول داود الطوباوي: "يلهج في ناموس الرب نهارًا وليلاً" (مز ١ : ٣).<sup>١</sup>

القديس باسيليوس الكبير

## التمتع بحياة تسبيح متهلّة

سبق لنا الحديث عن التسبيح في الباب الرابع: "النظام الرهباني والعبادة".

## الاقتداء بالروحيين

يليق بالراهب في طاعته للرئيس وآباء الاعتراف أن يطيعهم ويقتدي بهم كنماذج حيّة عملية أمامه. بجانب هذا يليق به أن يقتدي بالنحلة التي تقتني من الزهور رحيقها، فينتفع من كل الروحيين.

❖ كن غيورًا أن تقتدي بالذين لهم عادات مُهدّبة، ولا تنتظر أن تتعلّم كل شيءٍ. جاهد أن تبلغ الفضائل العظمى، لكن لا تهمل الفضائل الصغرى.<sup>٢</sup>

<sup>1</sup> *Regulae brevius tractatae, Prologue.*

<sup>2</sup> *On Renunciation of the World, (Frs. Of he Church, volume 9, p. 22)*

❖ لا يليق به أن يشغل نفسه بالمتواولين في حياتهم، بل يتمثل بحياة الآباء القديسين، يفرح بالناجحين في ممارسة الفضيلة ولا يحسد هم<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## الهروب من الصغائر

يُتَّسَم المؤمن الأمين والمُخْلِص في خلاص نفسه على فضيلة خفية، وهي هروبه من الصغائر، حتى لا يسقط في سلسلة من الخطايا.  
يُقَدِّم لنا القديس أمثلة لذلك:

١. قد يستهتر الإنسان في محاربة تأكيد صدق كلماته، فيقول: "اللَّهُ شاهد". هذا التعبير قد نستهيئ به، لكنه يكشف عن استهانة بشخص الله. لقد استخدم الرسول بولس هذا التعبير في أمر يخص الإيمان أو خلاص النفوس فقط.
٢. يهتم المؤمن أن يحتمل أخاه ولا يدينه. قد يبدو هذا أمر بسيط، أما في عيني القديس باسيليوس، فيعني النصر على الشيطان، وهو أمر له تقديره.
٣. يظن إنسان أنه مُتَمَسِّك بالحق، وهو مُعْتَد برأيه الشخصي، ولا يدري أن هذا التصرف يحمل علامة الكبرياء.
٤. الهروب من العيوب والأخطاء التي نحسبها صغيرة، يحمينا من السقوط في ذنوب ندعوها أحيانًا بالكبائر.

❖ إن كان ليس بجيد أن نستشهد بإنسان شريف على أمرٍ حقير؛ فكم بالحري بالله؟  
علامة الخوف من الله الهروب من العيوب الصغيرة احتراستًا من الوقوع في الذنوب الكبيرة.

- وعلامة من غلب الشيطان هي أن يحتمل شر أخيه ولا يدينه.
- وعلامة الخلوة مع الله الابتعاد من القلق وبغضة سيرة العالم.
- وعلامة الكبرياء اقتناع الإنسان برأيه الخاص<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>١</sup> A Discourse on Ascetical Discipline, (Frs. Of the Church, volume 9, p. 33-34).

<sup>٢</sup> رهبان بيرية شهيت: فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، ج ٢

## بعض الرذائل

### الكبرياء

كثيراً ما يبرز القديس باسيليوس اهتمامه بسلامة شخصية المؤمن من كل جوانب حياته، فقد خلق الله الإنسان على صورته ومثاله، ووهبه حرية الإرادة، كما قَدَّم له العقل والقدرة على التمييز والسلوك بالحكمة. غير أنه إذ لا يُحسِن الإنسان استخدام عطايا الله له، يدفعه ذلك أن يتقوقع حول ذاته، فيُحب نفسه في أنانية بقلبٍ مغلقٍ، ويعتدُّ برأيه، ويفقد شركته مع الله نفسه، وشركته مع إخوته، لهذا لم نسمع عن الله أنه يقاوم فئة مُعيَّنة حتى الزناة، إنما قيل: "يقاوم الله المستكبرين" (يع ٤ : ٦). خطورة الكبرياء ليس فقط في أنانية المُتَكَبِّر وتجاهله لله والناس، وإنما أيضاً في الانشغال بالمظهرية. يطلب المتكبر المجد الخارجي عوض المجد الداخلي، بجانب اعتداده برأيه، حتى إن أراد تنفيذ الوصية الإلهية.

ما يشغل قلب المؤمن الحقيقي هو الشركة، أي الشركة مع الله والناس!

أما علاج الكبرياء في نظر القديس باسيليوس فهو:

١. أن يؤمن الإنسان بخطورة الكبرياء وبركات التواضع: "يقاوم الله المستكبرين، وأما المتواضعون فيعطيهم نعمة" (يع ٤ : ٦؛ ١ بط ٥ : ٥).
٢. انسحاب الإنسان من الظروف التي تدفعه إلى الاعتداد بنفسه، فلا يسمح لنفسه حتى أن يسمع كلمة مديح.
٣. الهروب من حُبِّ الاستعراض.
٤. أن يقتدي بالسيد المسيح الذي لم يُرضِ نفسه (رو ١٥ : ٣) بل أطاع الآب، وإن كان هو والآب واحد.
٥. أن يدخل في شركة مع من يظن أنهم أقل منه، ويقدر أعمالهم وإنجازاتهم.
٦. مراعاة أحكام الآباء التي للبنيان العام، ولعلّه يقصد الآباء الروحيين، وأيضاً الرجوع إلى آباء الكنيسة الأولى.

❖ يا للجنون؟ ألا يدري هذا الإنسان المُتَكَبِّر أن مجده يزول ويتبخَّر كالحلم، وأن العظمة والسلطان ليست إلا سراباً خداعاً؟<sup>١</sup>

<sup>١</sup> راجع الأب الياس كويتر المخلصي: القديس باسيليوس الكبير، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، ١٩٨٩، ص ٣٠٩. عظة ٢٠



❖ سؤال: كيف يُعرَف المتكبر؟ وكيف يُشْفَى؟ (لو ١: ٥١؛ رو ١: ٣٠؛ ١ تي ٦: ٤؛ ٢ تي ٣: ٢).  
 الإجابة: يُعرَف (الْمُتَكَبِّر) ببِدْئِهِ المستمر أن يكون بارزًا (مشهورًا). ويُشْفَى عندما يصدق حكم القائل: "يُقَاوِمُ اللّٰهَ المُسْتَكْبِرِينَ. وَأَمَّا المُتَوَاضِعُونَ فَيُعْطِيهِمْ نِعْمَةً" (يع ٤: ٦؛ ١ بط ٥: ٥).  
 مع هذا يجب أن يُفْهَم أنه مهما بلغ الخوف من الحكم على الكبرياء، فإن هذا الهوى لا يمكن أن يُشْفَى ما لم ينسحب الشخص من الظروف التي تدفعه أن ينتفخ.  
 نفس الأمر يستحيل على إنسانٍ غير مُتَعَلِّمٍ لِغَةِ مَا، أو لهجَةٍ مَا، أو حرفَةٍ مَا أن يتعلَّم ما لم ينسحب من كل شيء. ليس فقط ينسحب من العمل والكلام والسلوك، بل ومن السمع للذين يتكلمون أو التطلع إلى من يمارسون عملاً ما يريد هو أن ينسأه. هذا يجب ملاحظته في معالجة كل رذيلة<sup>١</sup>.

❖ سؤال: هل من الصواب البحث عن الكرامة؟

الإجابة: بالرغم من أننا نتعلَّم أن نُعْطِيَ الكرامة لمن له الكرامة (رو ١٣: ٧)، مُنْعِنًا من البحث عن الكرامة، إذ يقول الرب: "كيف تقدر أن تؤمنوا، وأنتم تُقْبَلُونَ مجداً بعضكم من بعض؟!، والمجد الذي من الإله الواحد لستم تطلبونه (يو ٥: ٤٤)؟"  
 لذلك فإن طلب المجد والكرامة من البشر يُكَلِّل بالحرمان من الإيمان والانسلاخ من التقوى نحو اللّٰه، خاصة أن الرسول يقول: "قلو كنت بعد أرضي الناس، لم أكن عبدًا للمسيح" (غل ١: ١٠).

إن كان الذين يقبلون المجد المُقَدَّم لهم من البشر يُدانون، فالذين يبحثون عما لم يُعْطَ لهم يجلبون على أنفسهم حكمًا لم يُخبر عنه<sup>٢</sup>.

❖ سؤال: ما هو التبعج (الانتفخ) (١ كو ١٣: ٤)؟

الإجابة: التعالي ليس بسبب ضرورة، إنما من أجل الاستعراض، أو أي شيء من المظهرية، ليجلب الإنسان لنفسه التعالي!<sup>٣</sup>

❖ سؤال: ما هي محبة الذات؟ وكيف يمكن لمحبة ذاته (٢ تي ٣: ٢) أن يجعل نفسه يتعرَّف (على رذيلته أو أهوائه الشريرة)؟

الإجابة: أقوال كثيرة قَدَّمت هذا المعنى بطريقة أكمل، مثل: "من يُحِبُّ نفسه يهلكها، ومن يبغض نفسه في هذا العالم يحفظها إلى حياة أبدية" (يو ١٢: ٢٥).

<sup>1</sup> *Regulae brevius tractatae*, 35.

<sup>2</sup> *Regulae brevius tractatae*, 36.

<sup>3</sup> *Regulae brevius tractatae*, 49.

مُحِبُّ ذاته هو من يحب نفسه... إن فعل شيئاً، إنما يفعله لأجل نفسه، حتى وإن كان ما يفعله يبدو أنه حسب وصية الله.

إن كان الإنسان من أجل أن تكون له الحياة السهلة يترك ما هو ضروري لخدمة الأخ من جهة النفس أو الجسد ولا يفعله. فإنه من الواضح أن هذا الشخص لديه رذيلة محبة الذات، التي نهايتها الدمار<sup>١</sup>.

❖ سؤال: ماذا إن كان إنسان غيورًا على الوصايا ومُندفعًا لِيَتَمَّهَا، لكنه يعمل ما يريد هو، وليس ما يؤمر به، ماذا تكون مجازاته؟

الإجابة: مجازاته مثل مجازاة من يُسرّ نفسه، إذ يقول الرسول: "قليرض كل واحد منا للخير لأجل البنين" (رو ١٥: ٢). ولكي يحث سامعيه بالأكثر ويلزمه بذلك، أضاف: "لأن المسيح أيضًا لم يُرض نفسه".

يليق بمن يرضي نفسه أن يعرف تعرضه للخطر. مثل هذا يتعرّض أيضًا لحالة تمرد<sup>٢</sup>.

❖ سؤال: يقول الرب: "كل من يرفع نفسه يتضع" (لو ١٤: ١١؛ ١٤: ١٨)، ويحذّر الرسول: "لا تكونوا حكماء عند أنفسكم" (رو ١٢: ١٦). وفي موضع آخر يقول: "متعظمين، مستكبرين، منتفخين" (٢ تي ٣: ٢). وأيضًا المحبة لا تنتفخ" (١ كو ١٣: ٤). فمن هو المتعطرس؟ ومن هو المتبجح؟ ومن هو المتعجرف؟ ومن هو المنتفخ؟

الإجابة: المتعطرس هو من يُمَجِّد نفسه، ويُضَحِّم من أعماله البارة مثل الفريسي، ولا يدخل في شركة مع الذين هم أقل منه. نفس الأمر بالنسبة للمنتفخ، ذلك الاتهام الموجه ضد أهل كورنثوس: "أفأنتم منتفخون" (١ كو ٥: ٢).

أما المتبجح والمغرور، فهو الذي لا يراعي أحكام الآباء بخصوص الصالح العام، أو يُتَمِّم الوصية لحفظ نفس القانون، ويكون له نفس الفكر (في ٢: ٣)، إنما يخترع لنفسه طريق البر والتقوى من عنده.

المتكبر هو من يتعالى على ما هو عليه، وبصارع كي يظهر فيما هو أعلى منه. وهو يُشبه تقريبًا المنتفخ، وكما يقول الرسول: "فقد تصلّف وهو لا يفهم شيئاً" (١ تي ٦: ٤)<sup>٣</sup>.

<sup>1</sup> *Regulae brevius tractatae*, 54.

<sup>2</sup> *Regulae brevius tractatae*, 118.

<sup>3</sup> *Regulae brevius tractatae*, 56.

❖ سؤال: حيث يقول الكتاب المقدس: لا تتباه أو تتكلم مع أحد بتعالٍ، ويوضح الرسول: "الذي أتكلم به لست أتكلم به بحسب الرب، بل كأنه في غباوة في جسارة الافتخار" (٢ كو ١١: ١٧) مرة أخرى يقول: "قد صرت غيبًا وأنا أفتخر" (٢ كو ١٢: ١١). بعد ذلك يقول: "من افتخر فليفتخر بالرب" (١ كو ١: ٣١؛ ٢ كو ١٠: ١٧). ما هو الافتخار بالرب، وأي نوع من الافتخار جدير باللوم؟

الإجابة: واضح أن الرسول كان يقف بجديّة ضد الآلام (الأهواء)، فإنه لم يقل هذا الكلام لكي يمدح نفسه، إنما لكي يكبح جماح وقاحة البعض وغطرستهم. يتحقّق الافتخار بالرب عندما يفعل شخص ما شيئًا باستقامة، فلا ينسبه لنفسه بل للرب، قائلاً: "أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني" (في ٤: ١٣).

النوع الممنوع من الافتخار موجود في شكلين إما هذا: "الشرير يفتخر بشهوات نفسه" (مز ١٠: ٣) و"لماذا تفتخر بالشر أيها الجبار" (مز ٥٢: ١)، أو بحسب الآتي: أن تفعل بعض الأشياء الصالحة حتى يراك الناس (مت ٦: ٥)، فإن مثل هؤلاء يشتهون المديح على ما يفعلونه، ويفتخرون بأعمالهم.

بالإضافة إلى أن هؤلاء الناس يمكن أن يُقال عنهم إنهم يندسون المقدسات، لأنهم ينسبون إلى أنفسهم نعمة الله، ويحاولون أن يختطفوا لأنفسهم مجد الله<sup>١</sup>.

### القديس باسيليوس الكبير

يرى القديس باسيليوس الكبير أن سقوط داود في الخطية جاء نتيجة كبريائه، إذ ظن أنه في طمأنينة. داود الذي اعتاد أن ينسب طمأنينته الكبرى ونعيمه إلى قوة الله ومحبتة في ضعفه سقط في المجد الباطل حين أحصى شعبه. رآه يوأب على وشك السقوط، فحذره بأمانة من ذلك (٢ صم ٢٤: ٣)، لكنه لم يُصغ له. عمل الإحصاء في ذاته لم يكن شرًا، كما هو واضح من الكتاب المقدس ذاته (خر ٣٠: ١٢)، لكن إجراءه بدافع الكبرياء والمجد الباطل كرهه جدًا لدى الله.

❖ مع أنني كنت جميلًا بالطبيعة، لكنني مُت بالخطية، بخداع الحية.

لقد أضفت إلى الجمال الذي أعطيتني إياه حينما خلقتني أولاً قوة كي أتمّ مشيئتك<sup>٢</sup>.

### القديس باسيليوس الكبير

<sup>1</sup> *Regulae brevius tractatae*, 247.

<sup>2</sup> *Fr. Lazarus: The Holy Psalter*, 1966, p. 31.

## الحب غير اللائق

اللَّه حب، وهبنا إمكانية الحب الخالص الذي به اتحادنا مع الله وشركتنا مع السمائيين والقديسين، واهتمامنا بخلص إخوتنا في البشرية.

الحب الذي يتوقع حول عواطف بشرية مُجَرَّدة، واهتمامات زمنية لأنفسنا أو لإخوتنا، دون مراعاة خلاص نفوسنا وخلص إخوتنا، فهو حب غير لائق بنا كأبناء لله.

❖ سؤال: ما هو الحب غير اللائق (١ كو ١٣ : ٤-٥)؟

الإجابة: إنه لا يختلف عما يقال "إنه لا يفنر إلى سمته الخاصة به". وسمة الحب هي التي لها تلك المقومات التي يعددها الرسول عن الحب في نفس الموضع<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## الشهوات الدنيئة

كثيرًا ما يُعاني الإنسان من الشهوات الدنيئة التي تُدنِّس النفس والجسد، فكيف يمكنه التخلص منها؟

١. اللهج في وصية الله، حيث تشتعل فيه شهوة التمتع بإرادة الله. وكأن مقاومة الشهوات الدنيئة لا تتحقق بمجرد التصميم على رفضها، إنما بالتحصُّن بشهوة التجاوب مع إرادة الله خلال عذوبة الوصية. إننا بالنعمة الإلهية نستبدل الشهوات الدنيئة بالشهوات المقدسة في الرب القدوس.
٢. عدم الانخراط مع الأشرار تاركين شريعة الرب، إنما يليق بالمؤمن أن يشعر أنه بالنعمة الإلهية قد تقبل في مياه المعمودية التبني لله، وصار متميزًا.
٣. الحزن على النفوس الساقطة، والصلاة من أجلهم، والعمل على خلاصهم.
٤. الالتصاق بالله القدوس بلا انقطاع، وطلب إرضاء الله لا الناس.

❖ خلق الجنس البشري على صورة الله وشبهه، ولكن بسبب الخطية تحطَّ جمال هذه الصورة، وتدنت الروح إلى أسفل بالشهوات الأرضية، وبالتالي فقدت البشرية تشبُّهها بالله، وفقدت توافقها مع الحياة الأبدية السعيدة، لأنه لا يمكن أن تشعر البشرية بالطمأنينة وهي بعيدة عن الله. لبيتنا نعود إلى حالتنا الأولى التي للنعمة، والتي طردنا منها بسبب خطايانا، ونعود مرة أخرى إلى صورة الله وشبهه، وبذلك نكون كالخالق في تحررنا من الشهوات. أولاً: لبيتك تستطيع أن تجعل حياتك في هدوء، ولا تميل قلبك مع الشهوات، فإنك بذلك تُحوِّلها إلى الطبيعة الإلهية بقدر الإمكان، وتعود روحك إلى صورة الله.

<sup>1</sup> *Regulae brevius tractatae*, 246.



وعندما تصل إلى هذا التشابه بالله، تصل أيضًا إلى صورة الحياة السمائية التي تدوم بغير نهاية في الأبدية السعيدة.

وإذا كنا بتحرُّرنا من الشهوات نستطيع أن نسترجع صورة الله التي تعطينا الحياة الأبدية السعيدة، دعونا إذا نتجاهل كل الأمور، ونُركِّز على التفكير في هذا الموضوع بالذات، وبهذا تتحرر أرواحنا، ولا يمكن أن تسود عليها الشهوات مرة أخرى، بل ويبقى عقلنا ثابتًا وغير مقهور أمام أي إغراء، حتى نستطيع أن نشارك في قدسية الله<sup>١</sup>.

#### ❖ سؤال: كيف يمكننا أن ننتزع هوى الشهوة الدنيئة؟

الإجابة: بالتهاب الشهوة نحو إرادة الله، وذلك كما أظهر القائل: "أحكام الرب حق وعادلة معًا... أفضل من الذهب والحجر الكثير الثمن، وأحلى من العسل والشهد" (مز ١٩: ٩-١٠).

فإن كانت شهوة الأمور الفضلى في قوتها وقدرتها تجعلنا نتمتع بما نشتهي، فإنها تُلزمنا على الدوام أن نستخف ونزدري بالأقل، وذلك كما علَّمنا كل القديسين، فكم بالأكثر نستخف بالأمور الفاسدة والمُخزِية<sup>٢</sup>.

#### ❖ سؤال: ما هو دنس الجسد ودينس الروح، وكيف نُطهِّر أنفسنا منهما، وما هي القداسة؟ وكيف نقتنيها (٢ كو ٨: ١)؟

الإجابة: يرتبط دنس الجسد بأولئك الذين يُمارسون أمورًا ممنوعة لا يُنطق بها، أما دنس الروح فهو عدم المبالاة نحو الذين يفكرون في هذه الأشياء أو يفعلونها. يُطهِّر الإنسان نفسه من هذه الأشياء بملاحظته ما يقوله الرسول: "لا تَواكلوا مثل هذا" (١ كو ٥: ١١)، وملاحظة وصايا أخرى مثلها، أو عندما يعاني الشخص في قلبه كقول داود: "الحمية (الحنن) أخذتني بسبب الأشرار تاركي شريعتك" (مز ١١٩: ٥٣). أو عندما نُظهر الحزن مثل الذي كان لدى أهل كورنثوس عندما اتهمهم بولس الرسول بالسلوك بعدم مبالاة نحو الذي أخطأ، مع أنه قال: "أظهرتم أنفسكم أنكم أبرياء في هذا الأمر" (٢ كو ٧: ١١).

التقديس هو الالتصاق الكامل بالله القدوس في كل الأوقات بلا انقطاع، في غيرة وتلهُّف نحو إرضائه. فإنه بالحق لا يُنَبَّل شيء دنسٌ بين المواهب المُكرَّسة لله، وإنه لإلحاد

<sup>1</sup> Basil the Great: Gateway to Paradise. ١٩٩٦، ترجمة، أبناء البابا كيرلس السادس،

<sup>2</sup> Regulae brevius tractatae, 30.

لا يُطاق أن ما كان مُكْرَسًا للرب مرة يتحوَّل للاستخدام العام البشري (لا ٢٧ : ٢٨) <sup>١</sup>.

❖ سؤال: نظرًا لما كُتب: عاملين مشيئات الجسد ومشيئات العقل (راجع أف ٢ : ٣)، هل يوجد أي اختلاف بين مشيئات الجسد ومشيئات العقل؟ وما هي؟

الإجابة: في موضع آخر يعطي الرسول قائمة بمشيئات الجسد، يذكر كل واحدة باسمها: أعمال الجسد ظاهرة التي هي زنى، عهارة، نجاسة، دعارة، عبادة الأوثان، استخدام المخدرات، عداوة، خصام، غيرة، سخط، تحزُّب، شقاق، بدعة، وأمثال هذه (راجع غل ٥ : ١٩-٢١). وفي موضع آخر بأكثر شمول: "اهتمام الجسد هو عداوة لله، إذ ليس هو خاضعًا لناموس الله، لأنه أيضًا لا يستطيع" (رو ٨ : ٧).

من جانب آخر مشيئات العقل هي عقلانية لم يُعلن عنها الكتاب المقدس، فقد قيل: "هادمين ظنونًا وكل علو يرتفع ضد معرفة الله، ومستأسرين كل فكرٍ إلى طاعة المسيح" (٢ كو ١٠ : ٥).

لذلك يلزم دومًا لأجل الوقاية ملاحظة ما قاله داود: "شهادتك هي مشورتني" (راجع مز ١١٩ : ٢٤) <sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

### حبل بالشهوة أثيم!

بعد سقوط داود في خطية الزنا مع بثشبع، طار النوم من عينيه، لا لليلة واحدة، إنما يقول: "أعوم كل ليلة بدموعي سريري"، كما كان تذكُّر الخطية يُحطِّمه: "خطيتي أمامي في كل حين" (مز ٥٠).

الآن إذ يرى ابنه المحبوب لديه يتمرّد عليه، يصرخ: "هوذا يمخض بالإثم، حمل تعبًا، وولد كذبًا" (مز ٧ : ١٤). خلال الشهوة الجسدية سقط داود في الزنا، فحبلت منه بثشبع، وتمخّضت وأنجبت طفلًا، وسمح الله بموت الطفل. الآن يرى في ابنه أبشالوم المُتمرّد والطالب قتل أبيه أنه قد تمخّض بالإثم، وحمل تعبًا وولد كذبًا وتمرّدًا بل وموتًا لنفسه.

يرى القديس باسيليوس أن المرأة تحبل ثم تتمخض، وأخيرًا تلد طفلًا في العالم. أما النفس فتتمخض أولاً في مرارة خلال اتحادها بالشر، وتكتشف وسط آلام المخاض إنها قد حملت إثمًا وهي لا تدري، لتلد كذبًا وبطلانًا عوض تمثُّعها بالحق الإلهي. وكأن القديس يقارن بين النفس المقدسة التي تثمر حقًا إنجيليًا، تقدم ثمر الروح الذي يُفرِّح قلب الله، ويُبهِج الكنيسة التي تضم السمائيين

<sup>1</sup> *Regulae brevius tractatae*, 53.

<sup>2</sup> *Regulae brevius tractatae*, 269.

والقديسين. أما الشرير، فيلتصق بابليس ويعيش في آلام مخاض غاية في المرارة، ويحبل بالآثام، ويلد فسادًا وبطلانًا!

❖ "هوذا يَمْخَضُ بِالْإِثْمِ، حَمَلٌ تَعْبًا، وولد كذبًا" (مز ٧: ١٤).

تبدو العبارة بها ارتباك في ترتيبها، إذ اللواتي يحبلن، يبدأن بالحبل وبعد ذلك يتمخضن، وأخيرًا يلدن. أما هنا فيبدأ بالمخاض ثم الحبل وأخيرًا الولادة. على أي الأحوال هذا الأمر حيوي للغاية بالنسبة للحبل بالقلب. حقًا إن الدواع غير العاقلة الفاسقة، والشهوات المخبولة المسعورة تُدعى مخاضًا، لأنها تولد في النفس بطريقة مفاجئة وبألم.

خلال مثل هذا الدافع، الذي ليس له سيطرة على ممارساته الشريرة، يلد إثمًا.

يبدو أن داود كان في خجلٍ من قوله هذا، لأنه أب لابنٍ غير شرعي. يقول عنه: "إنه ليس ابني، لكنه قد صار ابن الأب الذي قَتَمَ نفسه له في تبنيّ خلال الخطية. لذلك بحسب يوحنا: "من يفعل الخطية فهو من إبليس" (١ يو ٣: ٨).

انظروا فإن الشيطان كان يتمخض معه خلال الإثم، وحبل به، كمن سحبه في داخله، صارت أعماقه تحت ضغط أهوائه، وصارت حاملاً منه، وولدت منه إثمه، لأن تمرده ضد أبيه أُعلنَ أمام الجميع<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## الزنا

كان كثير من المؤمنين يأنفون من مُجرّد ذكر اسم هذه الخطية. هؤلاء الذين يلتصقون بالقدوس البار رب المجد يسوع، ليكون هو نفسه بَرًّا لهم وقداسةً، وكما يقول الرسول: "ومنه أنتم بالمسيح يسوع الذي صار لنا حكمةً من الله وبرًا وقداسةً وفداءً" (١ كو ١: ٣٠)، لا تتسلل هذه الخطية إليهم ما داموا في المسيح يسوع.

عندما فكر شخص في مدينة كورنثوس في الزواج بامرأة أبيه، تحدث الرسول الرقيق جدًا في معاملته مع الخطاة بكل حزم، قائلاً: "يَسْمَعُ مُطْلَقًا أن بينكم زنى، وزنى هكذا لا يُسمّى بين الأمم حتى أن تكون للإنسان امرأة أبيه. أفأنتم منتفخون؟ وبالبحري لم تتوحوا حتى يُرْفَع من وسطكم الذي فعل هذا الفعل. فإني أنا كأني غائب بالجسد ولكن حاضر بالروح، قد حكمت كأني حاضر في الذي فعل هذا هكذا. باسم ربنا يسوع المسيح إذ أنتم وروحي مجتمعون مع قوة ربنا يسوع المسيح. أن يُسَلِّمَ

<sup>١</sup> Homily 11:8 on Psalm 7.

متى هذا للشيطان لهلاك الجسد لكي تخلص الروح في يوم الرب يسوع. ليس افتخاركم حسناً. أستمعون أن خميرة صغيرة تخمر العجين كله؟" (٢ كو ٥: ١-٦).

هذا ما دفع الكنيسة الأولى أن تشدد في قوانينها بالنسبة لمن يمارس رجاسة مع إحدى المحرمات مثل الأخت، وإن كانت من جانب واحد (أي من أبيه أو أمه). فلا نعجب من تشدد القديس بولس الرسول في موقفه في مثل هذه الحالة. غير أنه يلاحظ الآتي:

١. مهما كانت العقوبة أو التأديب، إن وُجدَ من هو تحت التأديب في خطر الموت وكان نادماً، تقبله الكنيسة، ولا تحرمه من التمتع بالأسرار المقدسة.

٢. لا يستخف أو يستهزئ أحد من رجال الكهنوت أو الشعب بمن هو تحت التأديب مهما كانت خطاياها، بل إن أمكن يشارك المؤمن من هو تحت التأديب في أصوامه أو مطانياته أو دموعه أو تنهّدات قلبه، قائلاً مع الرسول: "من يضعف وأنا لا أضعف؟ من يعثر وأنا لا ألتهب؟" (٢ كو ١١: ٢٩)

❖ من يُدنّس أخته - ابنة من أبيه أو أمه - لا يُسمح له بالحضور في بيت الصلاة، حتى يكف عن هذا السلوك الأثيم غير الشرعي. بعد عودته مُعترفاً بهذه الخطية الخطيرة، يبقى باكياً لمدة ثلاث سنوات.

يقف عند باب بيوت الصلاة، سائلاً الداخلين هناك أن يُصلّوا عنه ليجد رحمة، يطلب من كل أحد بتوسلات فيها غيرة لدى الله.

بعد هذا ينضم لمدة ثلاث سنوات بين السامعين فقط. وعندما يسمع الأسفار المقدسة والتعاليم يخرج بعد ذلك حاسباً نفسه غير أهل للصلاة.

بعد ذلك إن كان يطلب بدموعٍ وينطح أمام الرب بقلبٍ نادمٍ وتواضعٍ عظيمٍ، يُسمح له بثلاث سنوات أخرى، وإذ يُظهر ثمار توبة حقيقية، يُصلي مع المؤمنين بدون تناول، وبعد عامين، أخيراً يُحسب أهلاً للتناول كأمرٍ صالح<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## محبة السُّلطة

تذل شهوة السلطة النفس، فإنه وإن نال سلطاناً ففي أعماقه يشعر أنه عبد لمن قدّم له هذا السلطان. وأيضاً يخشى أن يفقد هذا السلطان، فيهتم أن يرضي الناس لا الله.

<sup>1</sup> The Third Canonical letter to Amphilochius 217:75.



❖ الذين يحصلون على سلطان لأنفسهم خلال إحسان البشر، هم عبيد لأولئك الذين منحوهم الإحسان<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

### تملق الناس وإرضائهم (غل ١ : ١٠)

يوضح لنا القديس باسيليوس خطورة تملق الناس لأجل إرضائهم.

١. يسلك الإنسان بغير استقامة، فيبذل كل جهده أن يرضي من يمدحونه، ولو على حساب الوصية الإلهية، بينما لا يُبالي بإرشادات من يهتمون ببنيان نفسه.
٢. يسقط في الغرور، وطلب السجد الزمني الباطل.
٣. السقوط في هوى التباهي، فإن ارتدى ملابس ثمينة، يعتد بها. وإن استخدم ملابس رخيصة يتباهى في أعماق نفسه بأنه متواضع.

أما علاج هذه الرذيلة، فهو:

١. الشعور بالحضرة الإلهية، فيطلب الإنسان مسرة الله لا الناس.
٢. الانشغال بالبركات التي وعد بها الرب.

❖ (من يرضي الناس) يُظهر غيرة في حضور من يمدحونه، أما في حضور الذين ينصحونه، فيُظهر عدم اكتراث. إن كان يريد أن يرضي الرب على الدوام، فإنه أينما وُجد وعلى الدوام يفعل نفس الأمر، مُحَقِّقًا القول: "بسلاح البرّ لليمين ولليسار، بمجدٍ وهوانٍ، بصيتٍ رديءٍ وصيتٍ حسنٍ، كمُضَلِّين ونحن صادقون" (٢ كو ٦ : ٧-٨)<sup>٢</sup>.

❖ سؤال: إذ يقول الرسول: "لا نكن معجبين" (مفعمين بالغرور *vainglorious* غل ٥ : ٢٦)، وفي موضع آخر: "لا بخدمة العين كمن يرضي الناس" (أف ٦ : ٦)، فمن هو المغرور؟ ومن هو الذي يرضي الناس؟

الإجابة: أحسب أن المغرور هو الذي يفعل أو يقول أي شيء لمجرد المجد الزمني، أي أمام الذين يرون فيه شيئًا أو يسمعون منه كي يمدحوه أو يُعجبوا به. أما الذي يرضي الناس (أف ٦ : ٦؛ غل ١ : ١٠) فهو الذي يعمل أو يقول أي شيء حسب رغبة الغير لكي يرضيه، حتى وإن كان ما يفعله مشينًا وضارًا<sup>٣</sup>.

<sup>1</sup> Letter 92:2.

<sup>2</sup> *Regulae brevius tractatae*, 33.

<sup>3</sup> *Regulae brevius tractatae*, 52.

❖ سؤال: كيف نهرب من هوى تملُّق البشر (غل ١ : ١٠)، أو طلب مديح البشر؟

الإجابة: باقتناعنا بحضور الله وعدم تشتيت اهتمامنا (١ كو ٧ : ٣٥)، فإننا إذ نطلب مسرة الله، وأن تكون لنا رغبة ملتهبة نحو البركات التي وعد بها الرب. بالتأكيد لا يتشنت فكر أحد في حضور سيده، فيرضي العبد رفيقه بينما يهين سيده ويستخف بدينونته، بعدم تطلعه إلى السيد، إنما يهتم بإيماءات العبد رفيقه<sup>١</sup>.

❖ سؤال: إن رفض إنسان ملابس ثمينة جدًا، واختار ما هو رخيص سواء عباءة أو حذاء يناسبه، فهل أخطأ ومُصاب بمرض الأهواء؟

الإجابة: من يطلب ما يناسبه واضعًا في اعتباره مرضاة الناس (غل ١ : ١٠؛ أف ٦ : ٦)، واضح أنه مُصاب بإرضاء الناس، ومنصرف عن الله، حتى في استخدامه ملابس رخيصة يحقق هوى التباهي<sup>٢</sup>.

❖ سؤال: كيف يمكن للإنسان أن يقتني مثل هذا الإيمان الذي يُحرِّك الجبال، وأن يعطي كل ما له للفقراء، أو يُستلم جسده ليحترق (١ كو ٢ : ١٣-٣)؟

الإجابة: إن تذكّرنا الرب الذي قال بأن كل أعمالهم يعملوها لكي ينظرهم الناس. كما يجب الذين يقولون له: "يا رب، يا رب، أليس باسمك تتبأنا؟ وباسمك أخرجنا شياطين؟ وباسمك صنعنا قوات كثيرة؟" (مت ٧ : ٢٢)، فيقول لهؤلاء: "إني لم أعرفكم قط! اذهبوا عني يا فاعلي الإثم" (مت ٧ : ٢٣)، ليس لأنهم كذبوا، إنما لأنهم أساءوا استخدام نعمة الله لحساب رغبتهم التي هي غريبة عن محبة الله، لذلك إن تذكّرنا هذه الأمور، يمكننا أن نفهم هذه الأقوال بغير صعوبة.

إنه ليس بالأمر الغريب والمدهش أنهم تسلّموا الموهبة (عطية الله) بدون استحقاق، لأن الله في هذه الحياة طويل الأناة وصبور (رو ٢ : ٤)، يُشرق على الصالحين والأشرار سواسية (مت ٥ : ٤٥). وفي نفس الوقت غالبًا ما تكون لنفع من يستلم الموهبة، أن يخجل من حنو الله، ويُنصح بأن يهتم أن يكون موضع سرور الله. وأيضًا لمنفعة الآخرين، كقول الرسول: "أما قوم فعن حسدٍ وخصامٍ يكرزون بالمسيح، وأما قوم فعن مسرة" (في ١ : ١٥) وقد أضاف بعد ذلك بقليل: "غير أنه على كل وجهٍ سواء كان بعلّة أم بحقٍ يُنادى بالمسيح، وبهذا أنا أفرح" (في ١ :

(١٨)<sup>٣</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>١</sup> *Regulae brevius tractatae*, 54.

<sup>٢</sup> *Regulae brevius tractatae*, 50.

<sup>٣</sup> *Regulae brevius tractatae*, 179.

## الغضب

نظرًا لاهتمام القديس باسيليوس بالتخلُّص من الغضب ففضلت الحديث عنه في بابٍ مستقل (الباب الحادي عشر).

## محبة العالم

مع شعور المؤمن ببركات الرب، حيث تُثْرَع منه محبة العالم من أجل ملكوت الله، غير أنه يشكر الله الذي وهبه الحياة في هذا العالم، حاسبًا نفسه أنه غير مستحقٍ حتى للبركات الزمنية.

❖ أصارع أن أوجد في الحق، فأحسب نفسي غير أهلٍ لبركات هذا العالم. ومع هذا فأنا لست من أجل العالم، بل العالم هو من أجلي<sup>١</sup>.

❖ الحكيم لا يخاف الآلام، ولا يرجو دوام اللذات العالمية لأنها سريعة الزوال. إنه لا يخاف من هذه الآلام فيحتملها، ولا يرجو هذه المآذات فلا يطلبها<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## الطمع

المعيار الذي به يقيس الإنسان أعماقه إن كان قد تسأل إليها الطمع، هو إن كانت محبته لنفسه أكثر من محبته لقريبه.

❖ سؤال: بأي مقياس يدان الطمع (لو ١٢ : ١٥)؟

الإجابة: عندما يتعدى الإنسان الحدود التي وضعها الناموس. بحسب العهد القديم يظهر ذلك إذا فكر إنسان أن يأخذ أكثر من قريبه، فقد كُتِبَ: "حب قريبك كنفسك" (لا ١٩ : ١٨؛ مت ٢٢ : ٢٩). وبحسب الإنجيل، إذ اهتم أحد أن يأخذ من الضرورات أكثر مما يحتاج، بما يزيد عن احتياج اليوم الحاضر. بسبب ذلك سمع شخص: "يا غبي هذه الليلة تُطلب نفسك منك، فهذه التي أعدتها لمن تكون؟ هكذا الذي يكثر لنفسه وليس هو غنيًا لله" (لو ١٢ : ٢٠-٢١)<sup>٣</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## الطمع وخدمة الفقراء

مع اهتمام القديس بخدمة المجتمع في الرب، يخشى أن ينحرف الراهب، فيتسأل الطمع إلى قلبه خلال خدمة الفقراء. فإن شَجَّع إنسانًا على العطاء للمحتاجين، يُفضَّل أن يتعهد هذا الإنسان المحتاجين بنفسه، ولا يأتي بالمال للراهب ليقوم بتوزيعه.

<sup>1</sup> Letter 22 to Chilo, his disciple, 5.

<sup>2</sup> رهبان بيرية شيهيت: فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، ج ٢

<sup>3</sup> Regulae brevius tractatae, 48.

❖ لا تعرض نفسك للطمع تحت مظهر اهتمامك بالفقراء. إنما إن جاء إليك أحد بمالٍ للفقراء، وتعرف أحدًا محتاجًا، انصح صاحب المال أن يرسله بنفسه للإخوة المحتاجين، لئلا يتدنس ضميرك بقبول المال<sup>1</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## المناقشات الغبية

يرى القديس باسيليوس أن قلب الإنسان أشبه بلوح من الشمع، من يشترك في المناقشات الغبية يفسد هذا اللوح، ومن يرفضها يكون كمن صقل اللوح، فلا يلمسه الفساد.

❖ إعداد القلب هو نسيان إجحاف المناقشة الشريرة. إنه يشبه صقل لوح من الشمع قبل محاولة الكتابة عليها<sup>2</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## القلق والخوف

غالبًا ما نعزو القلق إلى التجارب والظروف الخارجية التي تحيط بنا، غير أن القديس باسيليوس يعزوه إلى ضعفٍ يمسُّ أعماقنا بسبب انعزالها عن الله، ورفضها التمتع بشعاع بهائه، وقبول مشيئته.

عندما هدد قيصر فالنس *Valens* القديس باسيليوس الكبير، قال له: "إن هذا البُعبع *Bugbears* يوضع أمام الأطفال". وكأنه حسب هذه التهديدات مهما بدت خطيرة وأيًا كان مركز الذي يهدده أشبه بخيالات وهمية يخيفون بها الأطفال غير الناضجين. وأما القديس أثناسيوس الرسولي فلم يقلق، مستهينًا بكل الضيقات والمتاعب، قائلاً: "إنها ضباب حالاً ينقشع".

❖ "حجبت وجهك عني، فصرتُ مرتاعًا" (مز ٣٠ : ٨). طالما استتارت نفسي بشعاع بهاء عينيك، عشت في طمأنينة، وكانت حالتي مستقرة.

ولكن عندما حجبت وجهك عني، صار العذاب والخوف من نصيبي.  
يُقال إن الله يحجب وجهه في وقت التجارب، ويتركنا للتجارب للتعرف على قوة صمودنا. فإن احتفظت قلوبنا بذلك السلام الذي يفوق كل عقلٍ (في ٢ : ٧)، تستطيع حينئذ تجنب ثورة نفوسنا واندفاع الشهوات. لكن عندما يبتعد الله، ونعترض على مشيئته، نفقد الجمال والنضارة والقوة التي لنفوسنا.

<sup>1</sup> Letter 42 to Chilo, his disciple, 3.

<sup>2</sup> Mike Aquilina: *The Way of the Fathers*, Indiana 2000, article 348.



يُعبّر القلق عن قبح النفس وضعفها، لانفصالها عن الله. فلنُصَلِّ إذن حتى يشرق علينا نور وجه الله، فنكون مثل القديسين في وداعتهم وسلامهم في كل الظروف، وعلى استعداد دائم لعمل الخير، كقول المزمور: "أسرعت ولم أقلق" (مز ١١٩: ٦)<sup>١</sup>.

❖ سؤال: إذ توجد وصية الرب أن لا نقلق على الغد (مت ٦: ٣٤)، كيف يمكن لنا أن نفهم هذه الوصية على النحو السليم؟ لأننا نرى أنفسنا نبذل اهتمامًا كبيرًا من أجل الحاجة، حتى نذهب بعيدًا بإقامة مخازن تدوم لمدة طويلة.

الإجابة: الشخص الذي قبل تعليم الرب القائل: "اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره" (مت ٦: ٣٤)، ويُحَثُّ تمامًا على الوعد الصادق "وهذه كلها تُزاد لكم"، لا يشغل نفسه باهتمامات هذه الحياة التي تخنق الكلمة وتردها بلا ثمر (مت ١٣: ٢٢).

عوضًا عن ذلك يسعى الإنسان جاهدًا في صراعٍ صالحٍ أن يصبح موضع سرور لله حسنًا، إذ يؤمن بالرب القائل: العامل مستحق طعامه (مت ١٠: ١٠) ولا يشغل نفسه عنه بأية وسيلة.

في كل شيء يمارس العمل، ولكن ليس بقلقٍ على حساب نفسه، إنما من أجل وصية المسيح، كما أوضح الرسول وعلاء، عندما قال: "في كل شيء أريتمكم أنه هكذا ينبغي أنكم تتعبون وتعضدون الضعفاء" (أع ٢٠: ٣٥).

أن يصبح الإنسان قلقًا يكشف عن أنه مُحبٍ لنفسه، أما أن يصبح قلقًا وأن يعمل من أجل الوصية، فيصبح مستحقًا المديح، يظهر نزعة حب نحو المسيح ونحو الإخوة<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## الكذب

يقول الأب دوروثيوس:

لِيجب على كل أحدٍ أن يُعطي اهتمامًا عظيمًا لئلا يسلبه "الكذب"، لأن الكذاب لا يتَّحد مع الله.

الكذاب غريب عن الله. ويقول الكتاب المقدس بأن الكذاب هو من الشيطان، إذ هو "كذاب وأبو الكذاب" (يو ٨: ٤٤).

هكذا دُعي الشيطان أبو الكذاب، أما الحق فهو الله، إذ يقول بنفسه: "أنا هو الطريق والحق والحياة" (يو ١٤: ٦).

<sup>١</sup> تفسير المزمور ٣٠ (٢٩).

<sup>٢</sup> *Regulae brevius tractatae*, 272.

أما ترون إذن كيف أننا نصير غرباء عن الله بالكذب وبمن نتحد (عن طريقه)؟! لذلك إن أردنا بحق أن نخلص، يلزمنا أن نحب الحق بكل قوتنا وكل غيرتنا، ونحرس أنفسنا من كل كذب، حتى لا يفصلنا عن الحق والحياة<sup>1</sup>.

يُعالج القديس باسيليوس موضوع الكذب، خلال الإجابة على عدة أسئلة وردت في القوانين المختصرة.

❖ سؤال: هل يُدان من يكذب عن عمدٍ فقط، أم أيضًا من ينطق بشيءٍ مُخالفٍ للحق، عن جهلٍ منه؟

الإجابة: حكم الرب أيضًا ضد الذين يخطئون عن جهلٍ واضح من قوله: "الذي لا يعلم ويفعل ما يستحق ضربات، يُضرب قليلاً" (لو ١٢ : ٤٨). وفي كل الأحوال التوبة تحمل الرجاء الأكيد في المغفرة (مت ٣ : ٨؛ لو ٣ : ٨)<sup>2</sup>

❖ سؤال: إن كان أحد فكّر فقط أن يفعل شيئًا، ولم يفعله، فهل هذا يُحكّم عليه أنه كاذب (١ تي ١ : ١٠)؟

الإجابة: إن كان ما فكّر أن يفعله ليس هو حسب الوصية، فإن الروح القدس يدينه ليس فقط ككاذبٍ، وإنما كعاصٍ، لأن الله يفحص القلوب والكلى (مز ٧ : ١٠)<sup>3</sup>

❖ سؤال: إن قرّر أحد مُقدّمًا أن يفعل شيئًا مكروهاً لدى الله، لكنه امتنع عن ذلك، فهل يلغى قراره الشرير، أم يكمل الخطية خشية الاتهام بأنه كاذب؟

الإجابة: أولاً: يليق بمثل هذا أن يتوب أولاً لأنه بهذا تجاسر وقرر بنفسه أن يفعل شيئًا أيًا كان هذا (دون طلب مشورة الله)، فإنه يجب ألا يعمل حتى ما هو صالح من نفسه على مسؤوليته.

ثانيًا: ما هو أكثر خطورة أنه لم يخف أن يأخذ قرارًا لا يسر الله.

أما عن كونه تراجع عمّا قرره مقدّمًا بما يناهض وصية الرب، ولم يُتّم القرار عمليًا، فهذا واضح في حالة الرسول بطرس الذي قرّر مُقدّمًا وأعلن: "لن تغسل رجليّ أبدًا" (يو ١٣ : ٨). وعند سماعه الحكم الذي نطق به الرب: "إن كنت لا أغسلك، فليس لك معي نصيب، قال... يا سيد ليس رجليّ فقط، بل أيضًا يديّ ورأسي" (يو ١٣ : ٩)<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> Philokalia, Book 1.

<sup>2</sup> Regulae brevius tractatae, 58.

<sup>3</sup> Regulae brevius tractatae, 59.

<sup>4</sup> Regulae brevius tractatae, 60.

❖ سؤال: هل يوجد استثناء خاص خلاله يمكن الكذب لأجل منفعة متوقَّعة؟

الإجابة: لا يمكن التغاضي عن هذا بشريعة الرب القائل تمامًا إن الكذب من الشيطان (يو ٨ : ٤٤)، دون تمييز بين كذبٍ وكذبٍ. كذلك توجد شهادة الرسول حيث كُتِبَ: "إن كان أحد يجاهد، لا يُكَلَّل إن لم يجاهد قانونيًا" (٢ تي ٢ : ٥)¹.

القديس باسيليوس الكبير

## الخداع والخبث

الخبث هو الرغبة الداخلية للخداع، يكشف عن انحطاط الشخصية، لأنها تضر شرًا تحت مظهر وديع مُخادِع. أما الخداع فهو نتج الخبث عمليًا، فيُقدم ما يبدو صالحًا لكي يصطاد الغير بخبثه.

❖ سؤال: ما هو الفرق بين الخداع والخبث (رو ١ : ٢٩)؟

الإجابة: في حسابي أن الخبث هو البداية، انحطاط الشخصية المخفي. الخداع من الجانب الآخر يخص الوسيلة لوضع المؤامرة، والتي بها يضع ما يبدو صالحًا ويستعرضه أمام الغير كشبكة ينصبها، فينجح في تحقيق خطته².

القديس باسيليوس الكبير

## الإدانة

يقول القديس يوحنا الدرجي: [الحُكْمُ على الآخرين يُعتبر سلبًا للحق الإلهي بوقاحة، أمّا الانتهاز (بغير حب) فيهدم نفس الإنسان³]. ويقول القديس كبريانوس: [إنه لكبرياء وتشامخ أن يتجاسر أحد فيظن أنه قادر أن يفعل ما لم يهبه الله حتى للرسول، فيحسب أنه يستطيع تمييز الزوان عن الحنطة... ومن يفكر أنه يختار الأواني الذهبية والفضية ويحتقر الأواني الخشبية والخزفية ويطردها، مع أن الأواني الخشبية لا تُحرق إلا يوم الرب بالنار الإلهية المُحرقة، والأواني الخزفية لا يسحقها إلا ذاك الذي أُعطي له قضيب من حديد⁴].

❖ لا تزعج نفسك بأمور العالم التي لا ينفك منها شيء صالح لحياتك، إذ كُتِبَ "لكي ما لا يتكلم فمي بأعمال البشر". فالإنسان المولع بالحديث عن الخطاة وأعمالهم سرعان ما تثور فيه

¹ *Regulae brevius tractatae*, 76.

² *Regulae brevius tractatae*, 77.

³ *Ladder* 10:14.

⁴ *Ep.* 51: 52.

شهوة الاستهتار. بالحري يلزمك أن تتشغل بحياة الصالحين، فإن هذا يعود عليك بشيء من النفع<sup>١</sup>.

❖ تعلّمت أن أصلي حتى لا يتكلم فمي بأعمال البشر<sup>٢</sup>.

### القديس باسيليوس الكبير

يُميّز القديس باسيليوس بين الحالات التي لا يجوز للمؤمن أن يدين فيها، والحالات التي يلتزم أن يحكم حكمًا عادلاً.

الحالات الأولى التي لا تمس غضب الله على الجماعة، أما الثانية فهي التي تمس غضبه على الجماعة بسبب خطأ الأخ. ويشتَرط فيمن يحكم عليه ألا يكون مُرتكبًا نفس خطأ أخيه.

❖ سؤال: ما هذا: "لا تدينوا لكي لا تُدانوا" (مت ٧: ١؛ لو ٦: ٣٧)؟

الإجابة: إذ يقول الرب في موضع ما: "لا تدينوا فلا تُدانوا" (مت ٧: ١؛ لو ٦: ٣٧)، وفي موضع آخر يقول: "احكموا حكمًا عادلاً" (يو ٧: ٢٤)، فإننا لا نمتنع عن القيام بعمل الحُكم تمامًا، إنما نتعلّم أن نعرف أنه يوجد أنواع من الحُكم، لكي نُعرّف في أية حالات يلزمنا أن نحكم، وفي أية حالات لا نحكم.

لقد سلّمنا الرسول بوضوح أية حالات نفعل ذلك وأية حالات لا نفعل فيها ذلك... يقول: "وأما أنت فلماذا تدين أخاك؟! مرة أخرى يقول: "فلا تُحاكم أيضًا بعضنا بعضًا" (رو ١٤: ١٠، ١٣).

أما عندما يكون الأمر خاص بغضب الرب، فيؤبّخ الذين لا يحكمون، بل وقام بنفسه بالحكم بالكلمات التالية: "فإني أنا كأي غائب بالجسد، ولكن حاضر بالروح قد حكمت كأني حاضر في الذي فعل هذا هكذا: باسم ربنا يسوع المسيح، إذ أنتم وروحي مجتمعون مع قوة ربنا يسوع المسيح، أن يُستلم مثل هذا للشيطان لهلاك الجسد، لكي تخلص الروح في يوم الرب يسوع" (١ كو ٥: ٣ - ٥).

هكذا إذا كان شيء تحت سلطاننا أو تحت تصرفنا كما يحدث غالبًا، وهو أمر غير أكيد، يلزمنا ألا ندين أخانا على هذا، وذلك كقول الرسول بخصوص أمور نحن نجهلها. "إذا لا تحكموا في شيء قبل الوقت، حتى يأتي الرب الذي سيُنير خفايا الظلام، ويُظهر آراء القلوب" (١ كو ٤: ٥).

<sup>1</sup> Epistle 41:2.

<sup>2</sup> Epistle 244:7.



لكن إنه أمر لا مفرّ منه وضروري أن تُدافع عن أحكام الله، لئلا إذ يبقى أحد صامتًا، يُدركه غضب الله بدوره. الاستثناء في ذلك إن كان الشخص يصنع نفس ما يتّهمه. فإنه ليس لديه مُبَرَّر أن يُؤيِّخ أخًا ولا أن يدينه، إذ يسمع الرب، قائلًا: "أخرج أولاً الخشبة من عينك، وحينئذ تُبصر جيدًا أن تُخرج القذى من عين أخيك" (مت ٧: ٥).<sup>١</sup>

القديس باسيليوس الكبير

## الكسل والتراخي

لعلّ أهم الخطايا التي تبدو هينة لكنها مُحطّمة هي التهاون أو الكسل، وكما يقول القديس كيرلس الكبير: [إذ يعرف بولس أن الكسل هو باب الهلاك يقول: "ويل لي إن كنت لا أبشّر" (١ كو ٩: ١٦).<sup>٢</sup>

لِنَصْحُ ولنسهز حتى لا يكون نصيبنا مع تلك التي رآها هرماس إذ نظر النفس الخاملة كعجوز خائرة مسترخية على كرسي، عاجزة عن الحركة، فلما سأل عن السبب قيل له [لأن روحكم الآن عجوز قد فقدت قوتها بسبب ضعفاتكم وشكوككم. لقد صارت كالشيوخ الذين فقدوا الأمل في تجديد قوتهم، ولم يعودوا بعد يتوقّعون سوى أنهم يُغطّون في نومهم الأخير، وهكذا ضعفتم بسبب الانشغالات العالمية، وأسلمتم نفوسكم للخمول ولم تلقوا همكم على الله (١ بط ٥: ٧).<sup>٣</sup>

يلزم تقديم علاج للكسل، ما دام ليس بسبب مرض جسدي أو عدم قدرة على الأكل أو لسبب جوهري. فإن رفض الشخص العلاج، يرتبط كسله بالشر، كقول الرب: "أيها العبد الشرير والكسلان" (مت ٢٥: ٢٦).

لا يقف الكسل عند التوقّف عن العمل، وإنما يمتد إلى من لا يضرم وزنته لحساب بنيان الجماعة، بل يخفي وزنته ليعمل في أدانية لحساب نفسه.

❖ سؤال: كيف نتعامل مع إنسان لا يأكل أقل من الآخرين، ولا يعاني جسده من مرض مُعيّن، وليس لديه ظروف خاصة، ومع هذا يشكو من عدم قدرته على العمل؟

الإجابة: كل من يعتذر عن كسله فهو اعتذار عن خطية، إذ يلزمنا أن نُظهر غيرة حتى الموت (في ٢: ٨)، وهكذا يلزم أن يكون احتمالنا (مت ١٠: ٢٢؛ لو ٢١: ١٩)، لكن واضح

<sup>1</sup> *Regulae brevius tractatae*, 164.

<sup>2</sup> *In Luc. Ser* 193.

<sup>3</sup> *The Pastor, Book 1, vision 4.*

من كلمات الرب: "أيها العبد الشرير والكسلان" (مت ٢٥: ٢٦) أن الكسل المرتبط بالشر يدين المتراخي<sup>١</sup>.

❖ سؤال: إن كان أحد عاجزاً عن أن يعمل أو أن يرغب في تعلم المزامير، ماذا نفعل معه؟

الإجابة: حيث أن الرب قال في مثل شجرة التين العقيمة: "اقطعها! لماذا تُبطل الأرض أيضاً؟" (لو ١٣: ٧). من الضروري استخدام كل علاج معه، ولكنه إذا استهجن الأمر، عندئذ نلاحظ حالته كمقاوم يعيش في الخطية. فإن من كان لا يصنع عملاً صالحاً، يُدان مع إبليس وملائكته (مت ٢٥: ٤١)<sup>٢</sup>.

❖ سؤال: هل يُدان أحد من أجل إخفائه وزنته (مت ٢٥: ٢٥)؟

الإجابة: من يخفي آية نعمة من الله، مستخدماً إياها لمُتعتة الخاصة، وليس لنفع الآخرين، مثل هذا يُدان بجريمة إخفاء وزنته<sup>٣</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

### العثرة وحجز الحق بالإثم

ما يُضاعف من خطورة الرذيلة أو الإثم الذي يرتكبه الإنسان هو أن يُعثر الآخرين، بأن يحجز الحق الإلهي بتصرفاته الأثيمة المُعثرة.

يقول القديس غريغوريوس أسقف نيصص: إذاك الذي يُعلن أن كل شيء صالح وليس شيء مرذولاً إن أخذ بشكر، فإنه في ظروف مُعيّنة يقول: بأنه بسبب ضمير الأخ الضعيف يأمرنا أن نمتنع عن بعض الأشياء، وإن كان يحسبها ضمن الأمور المقبولة. يقول: "إن كان طعام يُعثر أخي فلن آكل لحمًا إلى الأبد، لنلا أعثر أخي".<sup>٤</sup>

❖ اصنع كل شيء برقة ونظام من أجل البنیان. يجب أن تختار الشخص والوقت والحاجة والمكان بما يليق، وتُصمّم على ذلك. فإنك إذ تأخذ في اعتبارك كل هذه التفاصيل تتجنب كل ظلي لأثر شرير<sup>٥</sup>.

<sup>1</sup> *Regulae brevius tractatae*, 69.

<sup>2</sup> *Regulae brevius tractatae*, 61.

<sup>3</sup> *Regulae brevius tractatae*, 62.

<sup>4</sup> *Against Eunomius*, 1:37.

<sup>5</sup> *The Long Rules*, 33.

❖ لا تكن عثرة بأية وسيلة لمن تلتقي بهم. كن بشوشًا لمن تلتقي بهم. كن بشوشًا، محبًا للإخوة، لطيفًا ومتواضعًا. لا تسيء إلى هذف الكرم بأن تطلب طعامًا مبالغًا فيه<sup>١</sup>.

❖ سؤال: إذ يقول ربنا يسوع: "من أعتز أحد هؤلاء الصغار المؤمنين بي، فخير له أن يُعَلَّق في عنقه حجر الرحي ويغرق في لجة البحر" (مت ١٨ : ٦). ما هي العثرة، وكيف نلاحظ أنفسنا حتى لا تحل علينا هذه الدينونة السخيفة؟

الإجابة: الذي يُعْتِر هو من يعصي بكلمة أو فعل؛ أو يقود آخر إلى العصيان. وذلك كما فعلت الحية مع حواء، وحواء مع آدم. وعندما يعوق أحدًا عن عمل إرادة الله، كما فعل بطرس، إذ قال للرب: "حاشاك يا رب! لا يكون لك هذا!" (مت ١٦ : ٢٢). وقيل له: "اذهب عني يا شيطان! أنت معثرة لي، لأنك لا تهتد بما لله لكن بما للناس" (مت ١٦ : ٢٣).

وعندما يشجع فكر إنسان ضعيف أن يفعل أمرًا ممنوعًا، كما كتب الرسول: "لأنه إن رآك أحد يا من له علم، مُتَكَنًّا في هيكل وثن، أفلا يتقوى ضميره، إذ هو ضعيف، حتى يأكل ما دُبِح للأوثان" (١ كو ٨ : ١٠)؟! وقد أضاف إليه: "لذلك إن كان طعام يُعْتِر أخِي، فلن آكل لحمًا إلى الأبد، لئلا أعتز أخِي" (١ كو ٨ : ١٣)<sup>٢</sup>.

❖ سؤال: هل يمكن لإنسان أن يحجز الحق خلال الإثم (رو ١ : ١٨)؟

الإجابة: خلال إساءة استخدام الأمور الصالحة المعطاة من الله. هذا ما نبذه الرسول عندما قال: "لأننا لسنا كالكثيرين شاشين كلمة الله". مرة أخرى يقول: "لأننا لم نكن قط في كلام تملقٍ كما تعلمون، ولا في علة طمع. الله شاهد، ولا طلبنا مجدًا من الناس، لا منكم ولا من غيركم" (١ تس ٢ : ٥-٦)<sup>٣</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## مبتدعو الشرور

❖ سؤال: من هم مبتدعو الشرور (رو ١ : ٣٠)؟

الإجابة: الذين يستخدمون عقولهم لاكتشاف شرور جديدة بجانب الشرور الكثيرة التي اعتادوا بالفعل عليها وعرفوها تمامًا<sup>٤</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>1</sup> Letter, 42.

<sup>2</sup> Regulae brevius tractatae, 64.

<sup>3</sup> Regulae brevius tractatae, 65.

<sup>4</sup> Regulae brevius tractatae, 78.

## القَسَمَ والإصرار على تنفيذ قَسَمٍ بفعل شرٍ

يُطالبنا العهد الجديد بعدم القَسَم، فكم يكون أكثر شرًّا من يَقْسَم أن يفعل شرًّا ويَصَمِّم أن يُنفذ انفسم. مثال ذلك من يَقْسَم أن يؤذي من هم تحت سلطانه.

جاء في تعاليم القديس زوسيمًا:

[مرةً تواجدتُ في المدينة المقدسة حين جاءني أحد العلمانيين المسيحيين، وقال لي: "يوجد نزاع قليل بيني وبين أخي، ولا يريد أن يتصالح معي، فتكرّم وتحدث معه وعِظهُ".

فقبلتُ هذا الأمر بفرح واستدعيتُ أخاه، وتحدثتُ معه عن المحبة والسلام، فتظاهر بالقبول، ولكنه قال لي بعد ذلك: إنني لا أستطيع أن أتصالح معه، لأنني أقسمتُ بالصليب.

فقلتُ له مبتسمًا: "كأنك بقسمك هذا قلتَ للمسيح: بحق صليبك الغالي أيها المسيح، لن أحفظ

وصاياك، بل سأصنع مشيئة عدوك الشيطان، فعلينا ألا نتمسك بما عزمنا عليه من الشر، وليس هذا

فحسب، بل علينا أيضًا أن نتوب عن الأمور الرديئة التي عزمنا عليها ونحزن بسببها، كما قال

القديس باسيليوس حامل الإله<sup>١</sup>: "لو أن هيرودس ندم، ولم يتمسك بقسمه، لما ارتكب الخطية

العظيمة بقتله لسابق المسيح (المعمدان)". ثم ذكرتُ له بعد ذلك شرح القديس باسيليوس لما قيل عن

الرب إنه أراد أن يغسل قدمي بطرس وكيف عارضه!<sup>٢</sup>]

❖ مطلوب على وجه الخصوص أن تُعطي اهتمامًا لحالة الأشخاص الذين لهم سلطان ويُهدّدون

بقسَم أن يمارسوا الأذية على من هم تحت سلطانهم.

العلاج مزدوج: في المكان الأول يلزم أن يتعلّموا ألا يقسموا جُزأفًا. ثانيًا: ألا يصرّوا على

قرارهم الشرير.

أي إنسان يسقط في أسر الرغبة في تنفيذ قسم أن يضر غيره، يلزمه أن يظهر توبة على

تهوره في القسم، ولا يثبت شرّه تحت مظهر التقوى (بتنفيذ القسم).

لم يكن الأفضل لهيرودس أن ينفذ قسمه، عندما أراد أن يخلص نفسه من الحنث بالقسم،

فصار قاتلاً (ليوحنا) النبي (مت ١٤ : ١٠).

القسم ممنوع تمامًا (مت ٥ : ٣٤)، ويكون مقبولاً عندما يهدف إلى إدانة الشر.

لهذا يليق بالذي أقسم أن يُغيّر فكره، ولا يُصمّم على تثبيت شره. لتحسب سخافة الأمر أقل

(من تنفيذه).

<sup>٢</sup> الرسالة رقم ١٩٩ إلى أمفيلوقيوس.

<sup>٣</sup> رهبان بيرية شهيت: فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، ج ٢



افتراض أن إنسانًا أقسم أن يقرأ عيني أخيه، فهل من الأفضل أن يُتَمَّ عملًا ما أقسم به؟ أو يقسم بأن يرتكب جريمة؟ أو يكسر وصية؟ "حلفت فأبْرَه (فأنفذ)" لا أن أخطئ، بل أن أحفظ أحكام برك" (مز 119: 106).

من واجبنا ألا نمارس الخطية بل نُدمِّرها؛ وهذا ليس بأقل من أن نُنفذ الوصية بمشورات ثابتة<sup>1</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

### اختيار الباب الواسع والطريق الرحب

إحدى الرذائل الخطيرة التي يُحذِّرنا منها السيد المسيح هي اختيار الباب الواسع والطريق الرحب. يرى القديس في هذه الرذيلة الآتي:

١. أن كلمتي "واسع" و"رحب" في اللغة اليونانية كما تعلم في القسطنطينية وأثينا في شبابه تحملان نفس المعنى.

٢. استخدم السيد المسيح هاتين الكلمتين لتقريب مفهوم الضياع أو الشرود إلى أذهاننا، فنحسب أن من يطلب الباب المُتَّسع، إنما يكون كمن انحرف عن الطريق المستقيم الواضح ليجد نفسه كما في صحراء مُتَّسعة، وقد فقد اتجاهاته وصار يتخبَّط من كل ناحية. هذا ما يحدث مع من يطلب اللذات الشريرة وعدم الانضباط في حياته.

❖ سؤال: لماذا يقال إنه واسع الباب ورحب الطريق الذي يؤدي إلى الهلاك؟ (مت 13: 7)

الإجابة: الرب بحبِّه العظيم للإنسان، يستعمل مصطلحات وكلمات لأشياء مألوفة ليظهر تعاليم الحق. كما أن أي شخص ينحرف عن الطريق المستقيمة في البرية يأتي إلى مساحة واسعة، كذلك أيضًا يقول إن الشخص الذي يبتعد عن الطريق المؤدية إلى ملكوت السماوات يجد نفسه في أخطاء واسعة جدًا... ولكن أعتقد أن (كلمتي) "واسع" و"رحب" هما نفس الشيء. فكلمة "واسع" تُستخدم بمعنى "رحب" من قبل الأشخاص الذين تعلموا في الخارج (أي في القسطنطينية وأثينا). إذا الفضاء الذي هو مكان الشرود، وهو مُتَّسع ونهايته الهلاك<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> Letter 199 to Amphilochius Canonica Secunda, 29.

<sup>2</sup> Regulae brevius tractatae, 240.

❖ سؤال: في أي اتجاه يكون الباب ضيقًا والطريق كرتيًا، هذا الذي يوصل إلى الحياة؟ وكيف يمكن للشخص الدخول منه؟

الإجابة: مرة أخرى أقول إن الكلمتين لا تعنيان شيئًا وآخر، ولكن الكرب يُشير إلى نوع أكثر تشددًا من الضيق، كمثال عندما يكون الطريق كرتيًا يجعل المسافر يشعر بحالة من الضيق، ويشعر كأنه مطوق من الجهتين، وبذلك يكون الانحراف يمينًا أو يسارًا خطرًا، كالعبر على جسر، إذا انحرف أي شخص، التيار السريع للنهر في كلا الجانبين يهلكه. لهذا السبب يقول داود: "وضعوا لي عثرات في طريقي" (مز ١٤٠: ٥ LXX). ولهذا الأسباب يجب على الشخص الذي يعبر للحياة أن يعبر الطريق الضيق والكرب كي يحمى نفسه من كل الانحرافات، مُحققًا ما هو مكتوب: لا تجد يمينًا أو شمالًا (تث ١٧: ١١)¹.

القديس باسيليوس الكبير

### التجديف على الروح القدس

من الرذائل التي يسقط فيها الإنسان، وتفسد حياة الشركة، التجديف على الروح القدس. هنا يتحدث القديس باسيليوس عن نوع مُعَيَّن من محبة المجد الباطل. هذا النوع من التجديف له خطورته على حياة الشركة، حيث يستخف الإنسان بأخيه المملوء غيرة على خلاص نفسه. هذا النوع يختلف عن التجديف على الروح القدس الذي بلا غفران، الذي هو الإصرار على عدم التوبة حتى النفس الأخير، كما يقول القديس أغسطينوس.

❖ سؤال: خلال أي عمل يُجَدَّف الإنسان على الروح القدس (مر ٣: ٢٩؛ لو ١٢: ١٠)؟

الإجابة: من الواضح (أنه يتحدث عن) التجديف الذي مارسه الفريسيون في هذا الوقت، والذي جاءت ضده هذه العبارة التي نُطِقَ بها، فإنه حتى الآن يُجَدَّف الإنسان على الروح القدس عندما ينسب أعمال الروح القدس وثماره إلى علة مضادة.

العديد منا يستسلم لذلك، عندما ندعو الشخص الغيور محبًا للمجد الباطل، أو نعزو خطأ الغضب لمن يظهر غيرة صالحة، أو خلال شكوكنا الشريرة نعطي بشكل خاطئ أسماء باطلة لأشياء أخرى من هذا النوع².

القديس باسيليوس الكبير

¹ *Regulae brevius tractatae*, 241.

² *Regulae brevius tractatae*, 273.

## السلوك بغباوة وعدم الفهم

كثيرًا ما يتَّهم الإنسان الله بأنه أم يهبه مواهب وعطايا مثل الفهم والحكمة والقدرة على التدبير الصالح، وكأنه يلقي بما يعانیه من غباوة وعدم فهم على خالقه. لذلك كثيرًا ما يؤكد القديس باسيليوس محبة الله للبشر وسخاءه في العطاء، فمن جانبه يعطي ويؤيد أن يعطي، لكننا خلال تراخيها وتهاوننا أو جحودنا لله نحرم أنفسنا من هذه العطايا أو نطمس أعيننا عن إدراك ما بين أيدينا.

وكانه من جانبنا نحتاج:

١. أن نطلب من الله أن يكشف عن أعيننا لنُدرك ما وهبنا من وزنات وعطايا.
٢. أن نجتهد ونعمل خلال نعمته الإلهية بالقليل الذي بين أيدينا فيهبنا الكثير.
٣. أن نشكر الله على أنه يعطي الوزنة، ويكشف لنا عنها، ونعمل به بلا تراخ.

❖ سؤال: إذا كان الرب يعطي الحكمة ومن قبل وجهه المعرفة والفهم (أم ٢: ٦)، وإن كان بالروح يُعطي لإنسان كلمة حكمة، ولآخر كلمة معرفة (١ كو ١٢: ٨)، كيف يوبّخ الرب تلاميذه، قائلاً: "هل أنتم أيضًا حتى الآن غير فاهمين، ألا تفهمون؟ (مت ١٥: ١٦-١٧) ويلوم الرسول بعض الغلاطيين: ايها الأغبياء؟ (غل ٣: ١)

الإجابة: لو أدرك أحد صلاح الله الذي يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يُقبلون (١ تي ٢: ٤)، ويتعلم بالروح القدس العناية الرعوية، الذي يُوزع مواهب الله وأعماله، عندئذ يدرك أن بطاء فهمه لا يأتي من واهب العطايا والمواهب، وإنما بسبب الخمول وعدم الأمانة لم يستمتع نوالها. عندئذ يُدان بحق على غباوته وعدم معرفته، كمن، يغلّق عينيه عند شروق الشمس حتى يعيش في الظلام ولا ينظر إلى الأعلى ويستتير (مز ٣٤: ٦)<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

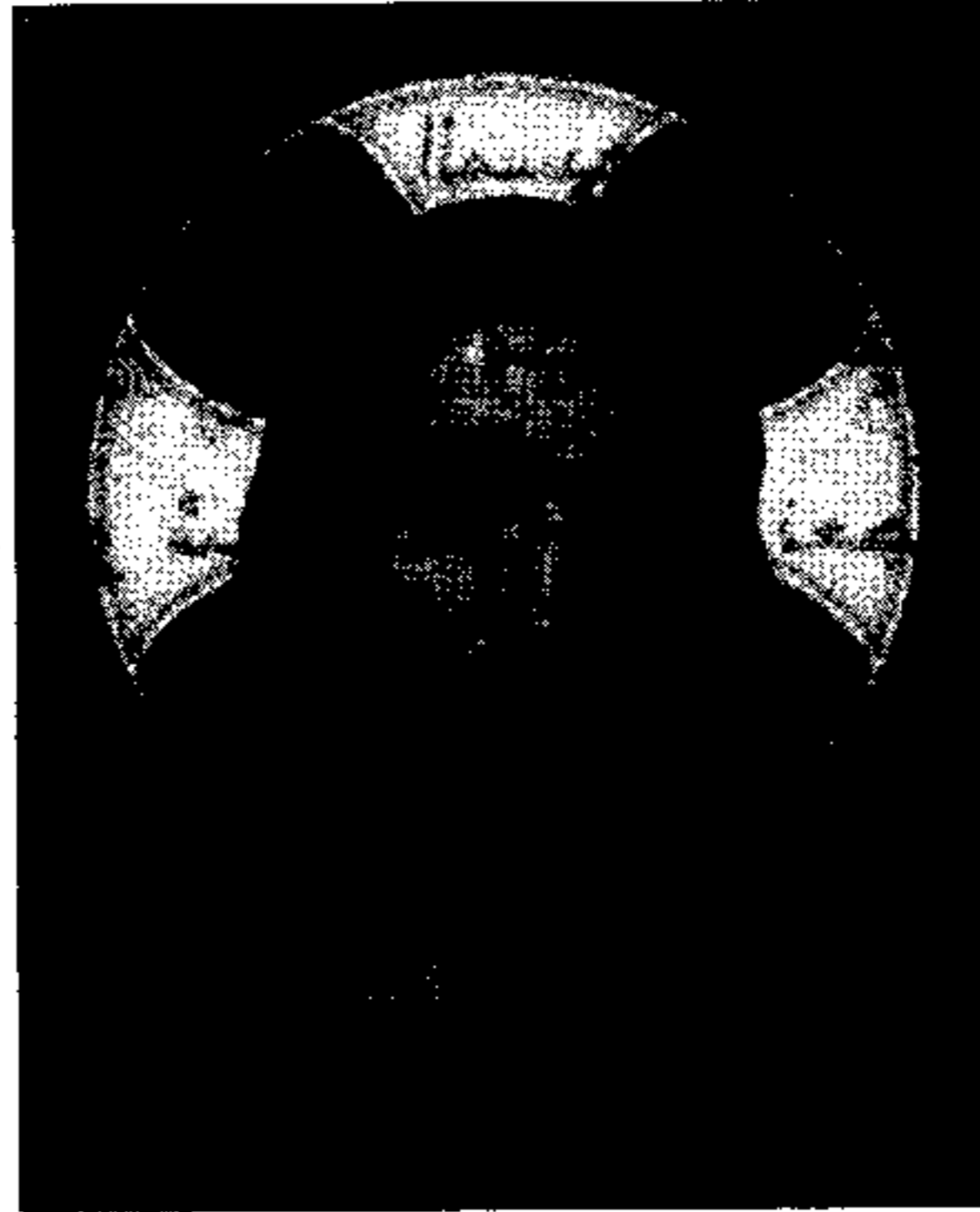
<sup>١</sup> *Regulae brevius tractatae*, 248.

## ردائل أخرى

أشار القديس باسيليوس الكبير في كتاباته إلى كثير من الردائل، من خلال الأسئلة التي رُجِّهت إليه إما شفاهًا أو كتابةً، نذكر منها الآتي:

- ❖ امرأة تُحَطِّم جنينًا عن عمدٍ، يلزم معاقبتها على (جريمة) القتل<sup>1</sup>.
- ❖ الذين يعطون أدوية تُسبِّب إجهادًا هم قتل، تمامًا مثل الذين يستخدمون سمًا يقتل الجنين<sup>2</sup>.
- ❖ شماس يرتكب زنا بعد التحاقه بالشَّموسية، يُحرَّم من الخدمة، ويصير في رتبة العلماني<sup>3</sup>.
- ❖ لا يحسب الآباء أن القتل في الحرب جريمة قتل، بل يُغفر لهم كما يبدو لي، إنهم مثل من يُدافعون عن الفضيلة والتقوى<sup>4</sup>.

القديس باسيليوس الكبير



<sup>1</sup> The First Canonical Letter 14 to Amphilochius, 188:2.

<sup>2</sup> The First Canonical Letter 14 to Amphilochius, 188:8.

<sup>3</sup> The First Canonical Letter 14 to Amphilochius, 188:3.

<sup>4</sup> The First Canonical Letter 14 to Amphilochius, 188:13.



## حول الخطية الواحدة أو الخطية الصغيرة

في مناسبات كثيرة يؤكد القديس باسيليوس أن الخطية أُجْزَتها الموت، بغض النظر ما هي هذه الخطية، أو تكرارها أو عدمه. فقد أخطأ كل من آدم وحواء مرّة، فجلب الفساد على الطبيعة البشرية.

تحت عنوان "دينونة الله" أوضح القديس الآتي:

١. أية خطية كبيرة أو صغيرة كافية لهلاك الإنسان.

٢. يُقدّم لنا الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد أمثلة ونصوص خاصة بهذا الأمر.

٣. لم يتساهل الله مع الأبرار والفضيحين حتى في الخطايا التي نحسبها طفيفة.

٤. يستحق الإنسان العقوبة ليس فقط على ارتكاب الخطية، وإنما أيضًا على عدم صنْع

الخير، أو على التساهل مع خطايا الآخرين وعدم توجيههم والصلاة من أجلهم.

فيما يلي مقتطفات من هذا المقال<sup>١</sup>.

### الحكم الإلهي ليس بكثرة الخطايا!

يؤكد القديس باسيليوس على مدى اهتمام الله بقداسة الإنسان ليكون بالحق مُمَثِّلًا لله على

الأرض، ووكيلًا عن السماء، وأيقونة حيّة للسيد المسيح القدوس.

إذ يحسب الله كل إنسانٍ كمن هو فريد، له مكانه الخاص في فكر الله، لذا يريد له أن يكون

طاهرًا ونقيًا ومقدسًا من كل خطية أو شبه خطية. فلا نعجب إن أخذ موقفًا حازمًا، خاصةً مع

المؤمنين به، حتى وإن كان الخطأ قد حدث مرة واحدة، أو يبدو لنا أنه أمر تافه.

قدّم لنا القديس باسيليوس أمثلة عن حزم الله النابع عن حُبِّه العظيم للإنسان، وذلك في كل

من العهدين القديم والجديد:

١. رجم جامع الحطب في يوم سبت (عد ١٥: ٣٢ - ٣٦).

٢. قيام عخان بن كرمي بسرقة المُحرّمات (يش ٧: ١٦ - ٢٦).

٣. نقد مريم لأخيها موسى النبي بسبب زواجه بالكوشية (عد ١٢: ١ - ١٤).

٤. سقوط موسى النبي تحت التأديب بحرمانه من دخول أرض الموعد، لقوله: "أمن هذه

الصخرة نخرج لكم ماء" (عد ٢٠: ١٠).

٥. المطالبة بتقديم ذبيحة خطية عن من يرتكب خطية واحدة سهوًا (لا ٤).

<sup>١</sup> راجع دير السريان: القديس باسيليوس، ٢٠٠٣، ص ٢٨٣-٢٩٤

٦. أيوب، كان يُقدِّم مُحْرَقَات على عدد أولاده يوميًا، قائلاً: "ربما أخطأ بنبي، وجدفوا على الله في قلوبهم" (أي ١ : ٥).

٧. محاسبة من لا يهتمون بالذين يخطئون، كي يحثوهم على التوبة، مثل عالي الكاهن الذي لم يكن حازمًا مع ابنه (١ صم ٢).

٨. من يخطئ ويعمل ما يستوجب الضرب، يُضرب، وإن كان الذي يعمل الخطية يعلم أنها خطية يُطالبُ بأكثر (لو ١٢ : ٤٧).

٩. النفس التي تتشامخ على الله، من الوطنيين أو الغرباء الذين يعيشون وسط الشعب، تُقطع تمامًا (عد ١٥ : ٣٠-٣١). إذ يلزم نزع الشر من شعب الله تمامًا (تث ١٧ : ١٢-١٣).

١٠. كما يريد الله أن يُنقِّي شعبه من الخطايا مهما بدت بسيطة وهينة، حتى ولو أرتكبت مرّة واحدة سهوًا، فإنه يود ألا يبرر المؤمن أو الشعب نفسه بأن ما يمارسه ثمرة عادة في المجتمع تسلمها دون ذنب من جانبه.

١١. احتجز حنانيا وسفيرا جزءًا من ثمن الحقل الذي باعاه، وكذبا على الروح القدس، فسقطا تحت التأديب، حيث ماتا (أع ٥).

١٢. بطرس الرسول الذي طوّبه السيد المسيح، عندما اعترض على السيد المسيح أن يغسل رجليه، أراد أن يغسله من عدم الطاعة، ففي حزم قال له: "إن كنت لا أغسلك، فليس لك معي نصيب" (يو ١٣ : ٨).

١٣. لا يقف الأمر عند ارتكاب الخطية، إنما ندان لأننا لا نفعل برًا. ففي يوم الرب لا يدينهم لأنهم قتلوا أو زنوا الخ، إنما لأنهم توانوا في فعل الخير (مت ٢٥ : ٤٢-٤٣).

نخلص من هذا كله، أن القدوس الذي لا يعرف الخطية ولا يطيقها، لا يقبل أحد مؤمنيه أن يرتكب أية خطية، ولو مرّة واحدة، أو ما نظنها خطية صغيرة، فإن "كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية" (يو ٨ : ٣٤).

إن أردنا التمييز بين خطية جسيمة وأخرى صغيرة يمكننا القول إن الخطية الجسيمة هي التي تُسيطر علينا ولا نُقدِّم توبة عنها، أما الصغيرة فهي التي تُسيطر عليها برجوعنا إلى الله بالتوبة، فنتحرر منها.

❖ رأيت أيضًا أنه يلزم في سياق الحديث أن أفحص عن مقدار الخطايا التي إذا صنعها الإنسان ليكون مطالبًا بدينونة المخالفة... لأنني وجدت وأنا أقرأ في أسفار العهدين القديم والجديد أن

مخالفة الله تُلقى الإنسان تحت الحكم، ليست الخطايا الكثيرة فقط، بل مُجرّد مخالفة شيء واحد فقط.

أما أسفار العهد القديم، فكُتِبَ لنا فيها عن:

١. رجلٍ كان قد جمع حظيًّا في يوم سبتٍ، ولم يُكْتَبَ عنه أنه أخطأ في شيءٍ غير هذا، لم يظلم إنسانًا ولا ارتكب شيئًا آخر. وكُتِبَ عنه إنه انتقم منه بغير غفران عن هذه الخطية الواحدة، وكانت أول مرّة صنع بها هذا. ورجمَ بأمر الله من جميع الشعب بسرعة (عد ١٥: ٣٦).

٢. آخر من الشعب كُتِبَ عنه أنه سرق شيئًا من المحارم قبل أن يدخل بها إلى الجماعة ويُسلّمها إلى المسئولين على هذه الأعمال. فكانت سرقة سببًا لهلاكه وهلاك زوجته وأولاده وخيمته وجميع ماله (يش ٧: ٢٤ - ٢٥).

٣. فإن تجرأ أحد أن يزيد المكتوب أو ينقص منه، فيقول إن هذين المذكورين ربما يكونان قد عملا خطايا أخرى فعوقبا لأجلها، وأن الأسفار إنما ذكرت هذا وحده لكونه عظيمًا، فليذكر قصة مريم أخت موسى. لم يُكْتَبَ عنها أنها عملت خطايا كثيرة، ولا أُظن أن أحدًا من المؤمنين يجهل فضائلها. ومع ذلك عندنا قلت كلمة واحدة عن موسى بإهانة وبغير أدب، لم تُترك خطيتها (بدون تأديب)، مع أن الذي قالته كان حقًا، وبالرغم من سؤال النبي موسى عنها (عد ١٢: ١ - ١٤).

٤. موسى أيضًا، هذا الذي استحق الكرامة من الله، فكان يسمع له، وقال له: "وجدت نعمة في عيني" (خر ٣٣: ١٢، ١٧). وبالرغم من هذا ناله على ماء الخصام التهديد من الله بأنه لا يدخل أرض الميعاد! ماذا عمل أكثر من أنه قال كلمة صغيرة للشعب المتذمر من أجل ما حلّ به من العطش، وهي "أمن هذه البصرة نخرج لكم ماءً" (عد ٢٠: ١٠)؟

لما قرأت أنه سُئِلَ من أجل هذه الكلمة الصغيرة ولم يُسامح عليها، ولا استحق لأجل كثرة استقامته أن يُعفى من حُكْمِها؛ تدبّر قضاة حُكْمِ الله، وصدق قول الرسول: "إن كان البار بالجهد يخلص، فالفاجر والخطيئ أين يظهران؟! (١ بط ٤: ١٨)"<sup>١</sup>

٥. لحقني الخوف أعظم الخوف عندما سمعت القضية الرهيبة التي حدّدها الله على من يُخالف وصية واحدة من وصاياه سهوًا. لأنه مكتوب أن النفس التي تُخطئ وتصنع واحدة من جميع المناهي التي نهى الرب عن عملها، ولم يعلم (المخطئ) بخطيته، يُقدّم الكاهن عنها قدام الرب كبشًا لا عيب فيه من الخراف بثمن من الفضة (لا ٤).

<sup>١</sup> راجع دير السريان: القديس باسيليوس، ٢٠٠٣. من ٢٨٤ - ٢٨٦

٦. كذلك كُتِبَ عن أيوب أنه كان يُقَدِّم الصعائد عن زلات أولاده التي لا يعرفها (أي ١ : ٥).

٧. فإن كان الذين يعملون خطية بغير معرفة لا يُسامحون، وآخرون يلزمهم أن يهتموا بتمحيص خطايا غيرهم؛ فما الذي نقوله عن الذين يخطئون بمعرفة، وعن الذين لا يهتمون بالذين يخطئون!؟

وقد كُتِبَ عن بني عالي الكاهن أنهم كانوا يخطئون مع بنات إسرائيل، ولتساهله في أمرهم كانت آخرته مُرَّة، ومع أنه كان يقول لهم: "لا يا أولادي، هذه الأخبار التي أسمعها عنكم ليست حسنة... إذا أخطأ إنسان إلى إنسانٍ يسأل الله فيه. وأما الذي يخطئ إلى الرب، فمن يُصَلِّي عنه!؟" (١ صم ٢ : ٢٣-٢٥). ولكن لكونه لم يُظهر غيرة تليق بعملهم كان ما كان.

وأما أسفار العهد الجديد، فُكُتِبَ لنا فيها:

٨. قال ربنا يسوع المسيح: إن العبد الذي عرف إرادة سيده ولم يعمل ولم يستعد، يُضْرَب كثيرًا، والذي لم يعلم وعمل ما يستوجب الضرب، يضرب يسيرًا (لو ١٢ : ٤٧-٤٨). وكتبت لنا العقوبة التي وضعها الرسل على الخاطئين.

ونظرت في حدود أسفار العهدين القديم والجديد، فوجدت هذه (أي العهد الجديد) أشد من تلك. فقد كُتِبَ أيضًا في هذه إن من يعرف كثيرًا يُطالب بكثير (لو ١٢ : ٤٧).

أظهر لنا الرسول بولس رُتبتَي الدعويين، وصعوبة العقوبات على كل الخطايا، وهذا بقوله: "إذ أسلحة محاربتنا ليست جسدية، بل قادرة بالله على هدم حصون، هادمين ظنونًا وكل علو يرتفع ضد معرفة الله. ومستأسرين كل فكر إلى طاعة المسيح" (٢ كو ١٠ : ٤-٥). وقال: "ومستعدين لأن ننتقم على كل عصيان" (٢ كو ١٠ : ٦).

إذا ليس كما تظن أننا في بعض الخطايا لا نستحق الانتقام. فإن الرسول قال: يهدم كل الأفكار وكل علو يقوم على علم الله، يعني كل خطية يصنعها الإنسان وهو يعلم أنه فيها رافض الله.

٩. يُظهر لنا سفر العدد هذا، فإنه من بعد ما حدَّد الله الخطايا التي تُعمل بغير معرفة (سهوًا)، ورسم القرايين عليها، رسم أيضًا حدودًا للخطايا التي تكون بإرادة وعلم، قائلاً: "النفس التي تخطئ بيدٍ رفيعة... (عد ١٥ : ٣٠-٣١)، مسميًا الجسارة على الخطية بإرادة وعلم "يد رفيعة". وهذا هو الذي أشار إليه الرسول بقوله "علو يقوم على علم الله"، واستطرد سفر العدد: "النفس التي تخطئ بيدٍ رفيعة: الوطنيين أو من الغرباء بما يغضب الله، تُقَطَّع تلك النفس



من بين شعبها، لأنها احتقرت كلام الرب، ونقضت وصيته. قطعًا تُقَطَّع تلك النفس، ذنبها عليها".

وقيل في الناموس الثاني (سفر التثنية) أيضًا: "والرجل الذي يعمل بطغيان، فلا يسمع للكاهن الواقف هناك ليقدم الرب إلهك أو للقاضي، يُقتل ذلك الرجل، فتتزع الشر من إسرائيل. فيسمع جميع الشعب ويخافون ولا يطغون بعد" (تث ١٧: ١٢-١٣). وتأمل قول الرسول: "يجتذب كل فكر إلى طاعة المسيح"، كل فكر، وليس هذا أو ذاك. "ويستعد أن ينتقم عن كل مخالفة"، وهنا أيضًا ليست هذه أو تلك، وإنما كل مخالفة.

١٠. لنعلم أن العادات الرديئة التي صارت في الناس هي أسباب شرور كثيرة. لأن بعض الناس لا يعدونها خطايا من أجل العادة. ويصفون بعضها في احتقار لها وقلة اهتمام بها، فيتصورون بعضها عزيمة العقوبة كالقتل والزنا وما أشبه ذلك، ويظنون أن باقيها لا تستحق عقابًا كالغضب واللعن والسُّكْر ومحبة النصيب الأكبر وما يُشبه هذه. أما بولس الرسول فقال إن الذين يصنعون هذه كلها يستحقون الموت (رو ١: ٣٢).

وقد كتب لنا أن الذي أخذ زوجة أبيه في كورنثوس أسلم للشيطان لهلاك جسده (١ كو ٥: ٥). وطعن على كل الجماعة لكونهم لم ينتقموا من المخطئ. لأن الرسول كتب لهم هكذا: "ماذا تريدون، أبعصا أتي إليكم؟!... أفأنتم منتفخون؟ وبالبحري لم تتوحوا حتى يُرْفَع من وسطكم الذي فعل هذا الفعل؟! (١ كو ٤: ٢١؛ ٥: ٢)

١١. وما الذي نقوله من أحل حنانيا المكتوب خبره في الإبركسيس (أع ٥)؟! أي شر آخر نجده قد فعل إلى جوار هذا الشر الواحد؟ فكيف إذن استحق مثل ذلك الغضب، إذ باع حقله وأحضر المال، ووضع تحت أقدام الرسل، مُحْتَجِرًا شيئًا من الثمن. من أجل هذا طرَح هو وزوجته إلى حُكْم الموت في نفس وقت ظهور الخطية، ولم يُحَسَب مستحقًا أن يستمع كلمات تُعَلِّمه التوبة عن خطيته، لأنه لم يجد وقتًا للندم ولم يُعْطَ فرصة للتوبة؟!

١٢. وما الذي يُقال من أجل بطرس، الذي كان الوكيل في هذا الحكم العظيم...؟ الذي أعطاه المسيح الطوبى، واثمنه على مفاتيح ملكوت السماوات، إذ لم يغنه هذا وأمثاله في قلة طاعته لما اعترض على الرب رقت غسل الأرجل، عندئذ قال له الرب: "إن كنت لا أغسلك، فليس لك معي نصيب" (يو ١٣: ٨).

ولما قرأت هذه الأشياء وأمثالها، علمت أنه يلزمنا أن نكون طائعين للرب في كل شيء إلى حد الموت. ولم أجد مغفرة بالجملة في شيء من الأمور للذين لا يتوبون والذين لا يطيعون. وقد كُتِبَ أن "السما والارض تزولان، ولكن كلامي لا يزول" (مت ٢٤: ٣٥)، ولم

يقول هذه الكلمات أو تلك، وإنما "كلامي". لأنه كُتِبَ أيضًا: "إن الرب صادق في جميع كلامه" (مز ١٤٥ : ١٤). ويشتمل كلامه على ما نهى عنه، وما أمر بعمله، وما وعد به. ونحن نعرف أن النعمة تحلُّ على الذي يعمل الشر، وعلى الذي لا يعمل الخير أيضًا. فلهذا ينبغي لنا أن نتذكَّر في أمر بطرس كونه لم يُهدِّد من الرب بذلك التهديد الصعب أعني قوله له: "فليس لك معي نصيب"، لكونه احتقر إحدى الوصايا أو تهاون بها، بل لكونه خاف أن يُكرِّم ويُخدِّم من سيده. ولم يقدر أن يخلص من الحكم إلا بإسراعه إلى الطاعة. وهذا فعله ربنا ليقطع من نفوسنا عوائد الخطية التي تصدر عن قلة الطاعة.

١٣. يجب أيضًا أن نتذكَّر قول ربنا المسيح في يوم الدينونة للذين عن شماله: "اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المُعدَّة لإبليس وملائكته" (مت ٢٥ : ٤١). ولا يقول لهم ذلك لأجل قتل أو زنا أو ما يجري مجراه، بل من أجل توانيهم في عمل الخير. لأنه ذكِّر إنه يقول لهم: "جُعت فلم تطعموني، عطشت فلم تسقوني، كنت غريبًا فلم تأوونني، عريانًا فلم تكسوني، مريضًا ومحبوسًا فلم تزوروني" (مت ٢٥ : ٤٢-٤٣).

هذه الأشياء وأمثالها درستها في الكتب الموحى بها بنعمة الله الصالح الذي يريد أن الجميع يخلصون، وإلى معرفة الحق يُقبِلون. ولاحظت السبب المريع في تخاصم الناس مع بعضهم البعض ومع وصايا الرب، وعرفت الدينونة المُرعِبة التي يجلبها هذا التعدي، فعلمت أن مخالفة أي تعليم إلهي ينتقم منها بطريقة متساوية. وأكثر من هذا تعلَّمت أن دينونة مُخيفة تقع على أولئك الذين لم يخطئوا، ولكنهم على الرغم من هذا يشتركون في الغضب، لأنهم لم يُظهروا غير شديدة ضد الخطاة، بل في أحوال كثيرة لم يكونوا على علم بالخطية.

فرايت من الواجب أن أنهض بالتذكرة أولئك المهتمين بحياة التقوى، بمختارات جمعتها من الكتب الموحى بها، عن الأشياء التي تُغضب الله، والأشياء التي تسره. ولم أقنع بتفتيشي وحدي، بل أخذت معي آخرين مهتمين بهذه الأمور، ووضعت هذا أمامكم على قدر قوتي وبحسب الرغبة العامة. لكي نستحق بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعاليم الروح أن نرجع عن عوائد الشر، ونترك تعاليم البشر، ونسير في إنجيل الله المبارك يسوع المسيح ربنا. ونعيش في هذا الزمان حسبما يرضيه، بأن نتجنَّب في شدة كل ما نهى عنه، ونلاحظ في حماس كل ما يأمرنا بعمله، لكي ما نخلص في الزمن المُقبِل الخالي من الغضب الآتي على أبناء المعصية، ونوجد مستحقين للحياة الأبدية والملكوت السماوي الذي وعد به الرب يسوع المسيح كل "حافظي عهده وذاكري وصاياه ليعملوها" (مز ١٠٣ : ١٨).

القديس باسيليوس الكبير

❖ سؤال: إذا ما قام أحد بكل شيء بطريقة سليمة، ولكنه أخفق في عمل شيء ما، فهل لا يخلص بسبب ذلك؟

الإجابة: توجد الكثير من العبارات في العهد القديم والعهد الجديد التي تشرح لنا هذه المسألة، أنا أعتبر أنه بالنسبة للمؤمن الحُكم ضد بطرس هو كاف للشرح. بعد تحقيق الرسول الكثير من الأعمال العظيمة باستقامةٍ وحصوله على بركات كهذه والمديح من الرب، عندما أظهر العصيان في أمرٍ واحدٍ فقط، وليس بسبب تكاسلٍ أو عصيانٍ، ولكن بسبب احترامه الرب وتكريمه، بسبب هذا الخطأ الوحيد سمع: "إن كنت لا أغسلك، فليس لك معي نصيب" (مت ١٥ : ١٨)¹.

القديس باسيليوس الكبير

❖ سؤال: كيف يتعامل الإنسان مع من يتجنَّب الخطايا الكبيرة، لكنه يرتكب الصغائر، كأمرٍ ليس بذئ قيمة؟

الإجابة: يلزمنا إن نعرف أنه يستحيل أن تجد هذا التمييز (بين نوعين من الخطايا) في العهد الجديد. يوجد حكم واحد ضد كل الخطايا، هذا هو حكم الرب القائل: "إن كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية" (يو ٨ : ٣٤). مرة أخرى: "الكلام الذي تكلمت به هو يدينه في اليوم الأخير" (يو ١٢ : ٤٨). أيضًا يصرخ يوحنا: "الذي لا يؤمن (يطيع) بالابن لن يرى حياة، بل يمكث عليه غضب الله" (يو ٣ : ٣٦). فإن العصيان يجلب التهديد هنا، ليس لأن هذا مختلف عن خطايا أخرى، إنما لأن هذا فيه رفض للاستماع.

على أي الأحوال، إن سمحَ لنا أن نتحدَّث عن خطية صغيرة وخطية كبيرة، يُمكن عرض ذلك بطريقة لا مناقضة فيها، وهي أن الخطية التي تسيطر على الشخص تُحسب جسيمة، وتُحسب صغيرة متى كان هو الذي يسود عليها. وذلك كما في حالة المُصارعين؛ من يغلب هو الأقوى، بينما الذي هو في وضع أسوأ، فهو الأضعف ممن انتصر عليه. لذلك عندما يخطئ أحد، فما يشغلنا ليس ما هي الخطية، بل يلزمنا حفظ وصية الله، القائل: "إن أخطأ إليك أخوك فاذهب وعاتبه بينك وبينه وحدكما، إن سمع منك فقد رحمت أخاك. وإن لم يسمع، فخذْ معك أيضًا واحدًا أو اثنين، لكي تقوم كل كلمة على فم شاهدين أو ثلاثة. وإن لم يسمع منهم، فقل للكنيسة، وإن لم يسمع من الكنيسة، فليكن عندك كالوثني والعشار" (مت ١٨ : ١٥-١٧). وفي كل هذه الأمور يجب مراعاة قول الرسول: "بالحري لم تتوحوا حتى يُرفع من وسطكم الذي فعل هذا الفعل" (١ كو ٥ : ٢).

¹ *Regulae brevius tractatae*, 233.



فإنه من الضروري أن يهدف الاحتمال والحنو إلى البلوغ نحو قرارٍ حاسم<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

٢٠٠٦

لتحفر مع إبراهيم بئرًا لا جبًا

لعل قلب داود النبي والملك كان يدمي وهو يكتب مراثيه على تمرّد ابنه أبشالوم، إذ رآه يحفر جبًا أو هوة أو حفرة ليسقط فيها ويهلك، عوض أن يحفر بئرًا تفيض بمياه حيّة تُحوّل قلبه الجاف من برية قاحلة إلى جنة مثمرة!

في مرارة يقول: "كِرًا جبًا، حَفَرَه فسقط في الهوة التي صنع" (مز ٧: ١٥).

يُميّز القديس باسيليوس الكبير بين الجب أو الحفرة *lakkos* والبئر *phear* في الكتاب المقدس، الأمر الذي لا تظهره الترجمة التي للكتاب المقدس بين أيدينا.

تمتلئ الجباب (جمع جب) ماءً من المياه الساقطة من السماء، وأحيانًا تكون جافة، وهي تُشير إلى القلب الذي يتقبّل فيه إبليس الساقط من السماء ليمك عليه، أو يُفسد العطايا والبركات السماوية، حيث يسيء استخدام ما وهبه الله من أعضاء جسمه الصالحة وحواسه وعواطفه وقدرته على التفكير، فتصير الأمور الصالحة شريرة بالنسبة له، لأنه أفسدها بإرادته الشريرة. يصير قلبه جبًا، يتلقّى ما يسقط من السماء ويفسده.

الآبار: يحفرها الصالحون مثل إبراهيم وأبناؤه، فيزيلون التراب وكل ما فيها من أمور مادية نجسة لتفيض البئر بمياه تتجدّد كلما سحبها الشخص ليشرب هو ومن معه، بل وتتفع بها حتى المخلوقات غير العاقلة كالحيوانات والزرع الخ. إنها تشير إلى القلب الصالح الذي يعمل فيه روح الله، فينزع عنه التراب ومحبة العالم وكل ما فيه، فتفيض فيه مياه النعمة الإلهية الحيّة.

يرى القديس باسيليوس أن الجباب تشير إلى الأمور الرديئة، مثل:

١. الجب الذي ألقى فيه يوسف (تك ٣٧: ٢٤).
٢. الجب أو السجن الذي كان ملقى فيه بعض المصريون، فقتل أبقارهم (خر ١٢: ٢٩).
٣. الجب الذي ينحدر فيه البائسون (مز ٨٨: ٤).
٤. جب الأسود الذي ألقى فيه دانيال (دا ٦).
٥. الجباب التي يحفرها غير الصالحين التي لا تضبط ماءً (إر ٢: ١٣).

<sup>1</sup> *Regulae brevius tractatae*, 293.



أما الآبار التي تفيض فيها مياه حيّة، فتشير إلى أمور صالحة مُفرحة، خاصة الأسرار الإلهية، مثل:

١. يدعو الله نفسه "ينبوع المياه الحيّة" (إر ٢: ١٣).

٢. حفر إبراهيم وأبناؤه آبارًا (تك ٢٦: ١٥-٢٢)، وكان الفلسطينيون يردمونها بالتراب.

٣. جاء موسى إلى البئر حيث سقى غنم بنات كاهن مديان (خر ٢: ١٥).

٤. يطالبنا سليمان أن نشرب ماءً جاريًا من بئرننا (أم ٥: ١٥).

٥. لقاء السيد المسيح مع المرأة السامرية عند البئر (يو ٤).

❖ "حفر جبًا وعمقه" [١٥]. لا نجد في الأسفار المقدسة اسم "جب (هوّة *lakkos*) بمعنى شيء صالح، ولا بئر ماء (*phrear*) بمعنى رديء.

فما ألقى فيه يوسف هو جب *lakkos* (تك ٣٧: ٢٤).

وجاء في قتل الأبقار "من بكر فرعون إلى بكر الأسير في السجن *lakkon*" (راجع خر ١٢: ٢٩).

وجاء في المزامير: "حُسبت مثل المنحدرين إلى الجب *lakken* (مز ٨٨: ٤).

وفي إرميا قيل: "تركوني أنا ينبوع المياه الحيّة، وحفروا لأنفسهم أحواض أرضية *lakkous*، أحواض أرضية مكسورة لا تضبط ماءً" (إر ٢: ١٣).

علاوة على هذا ألقى دانيال في جب *lakkos* الأسود (دا ٦)...

من جانب آخر، حفر إبراهيم بئرًا *phrear* (تك ٢٦: ١٥).

وهكذا فعل أبناء إسحق (تك ٢٦: ١٧-٣٢)، وموسى (خر ٢: ١٥) حيث استراح.

وأيضًا استلمنا تدبير ماءٍ من جبنا *angeion* ومياه جارية من بئرننا *phreaton*.

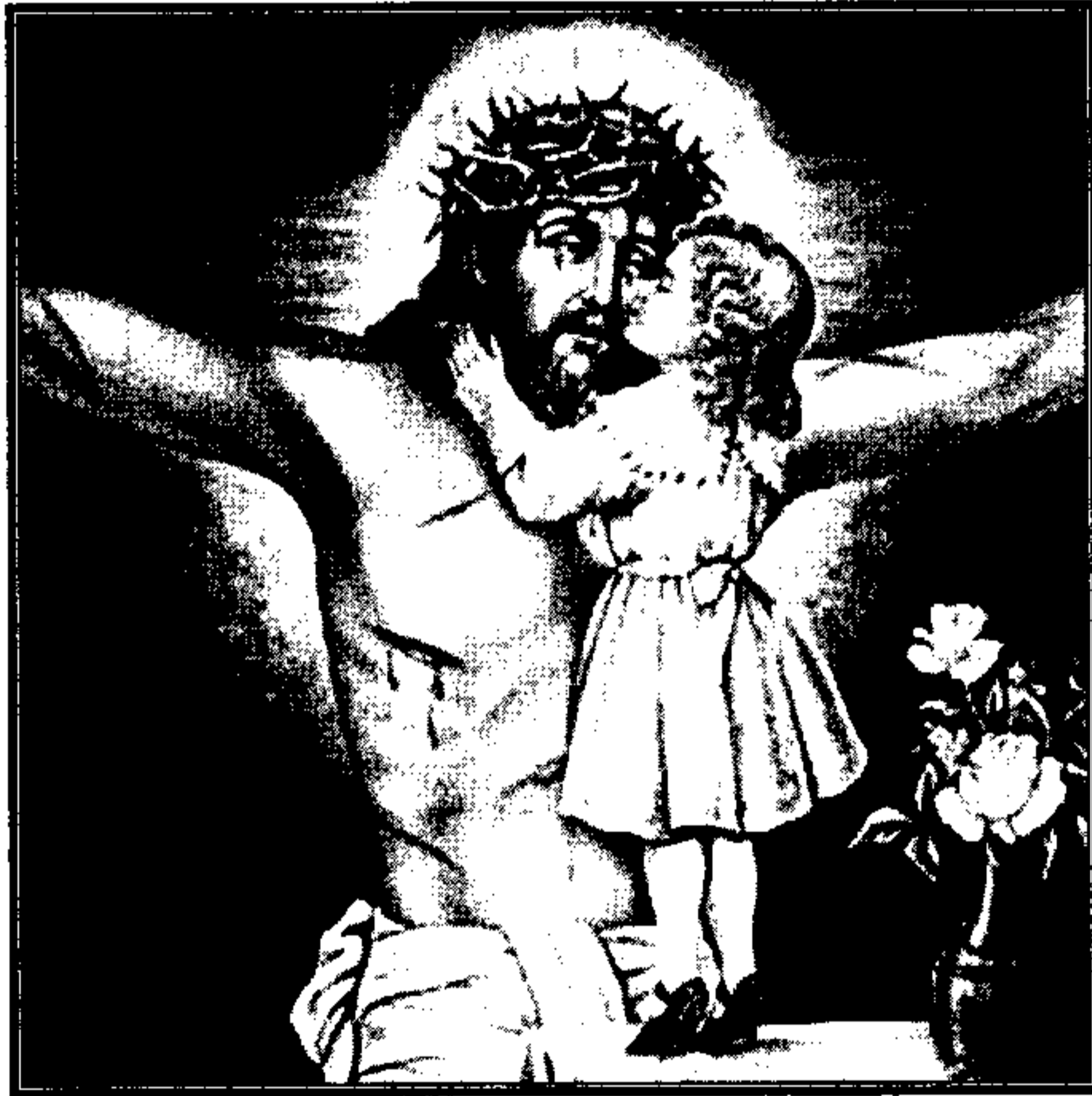
وبجانب البئر *pege* تحدّث المخلص مع المرأة السامرية بخصوص الأسرار الإلهية (يو ٤: ٦).

أما عن السبب في أن الجباب تشير إلى أشياء رديئة، والآبار إلى أمور صالحة، فإننا نظن هكذا. المياه في الجب نذالها ساقطة من السماء، أما في الآبار التي بها مياه جارية فقد كانت قبلاً مدفونة قبل أن يُحفر الموضع، ويُعلن عنها؛ أزيلت أكوام التراب التي كانت تُغطّيها، وأيضًا كل المواد من أي نوع التي كانت فوقها.

الآن كأنه قد وُجِدَت حفرة في نفوسنا بها أمور صالحة لكنها تغيّرت وانحطّت، نزلت، وذلك عندما يُصمّم الشخص ألا يكون فيه شيء صالح ونبيل، فتهرب الأفكار الصالحة والنبيلة التي نزلت إليها وتحوّل إلى أعمال شريرة مُقاومة للحق.

مرة أخرى توجد آبار عندما توجد مياه خفيفة جارية وقوية في الكلمة والتعاليم، عندما تُزال عنها الأمور الدنيئة التي تُغَطِّيها. لذلك من الضروري لكل أحد أن يُعدَّ بئرًا لنفسه، لكي ما يحقق الأمر السابق ذكره، القائل: "اشرب مياهًا من جُبِّك *cistern*، ومياهًا جارية من بئرِكَ" (أم ٥: ١٥). بهذا تُدعى أبناء الذين حَفَرُوا الآبار، إبراهيم واسحق ويعقوب. لكننا لا نحفر هوة (حفرة) لئلا نسقط فيها، كما قيل هنا في هذا الموضع. وبهذا نفشل في سماع الكلمات الواردة في إرميا لتوبيخ الخطاة، إذ يقول عنهم الله ما سبق أن أشرنا إليه: "تركوني أنا ينبوع المياه الحية، وحفروا لأنفسهم أحواض أرضية *lakkous*، أحواض أرضية مكسورة، لا تضبط ماءً" (راجع إر ٢: ١٣)<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير



<sup>1</sup> Homily 11:8 on Psalm 7.

## أسئلة حول الفضائل والردائل

### بين الحياة المقدسة والحياة البارة

يُميّز القديس باسيليوس بين القداسة والبرّ. فيرى في القداسة السمو والتمتع بالأمور الممتازة، أما البرّ فهو المكافأة التي يُقدّمها الله للمؤمنين الذين يتأهلون لذلك.

❖ سؤال: ما هو المقدس وما هو البار (تي ١ : ٨)؟

الإجابة: إنني أعتبر المقدس هو أي شيءٍ مناسب (لائق) ومميّز بالسمو بين الأمور الممتازة، وذلك حسب مبدأ السمو نفسه.

على أي الأحوال، البرّ هو المكافأة التي تُعطى لكل من يستحق عمله (في الرب). بالنسبة للمقدس يوجد فقط عنراف ومكافأة للأفضل، ولكن البار فيخص الاختبار والجزاء للصالح والشرير<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

### لكل فضيلة وزنها الخاص

يرى القديس باسيليوس أن لكل فضيلة وزنها الخاص، وذلك من خلال المثل الذي قدمه السيد المسيح عن الأرض الجيدة التي تثمر ثلاثين أو ستين أو مئة (مت ١٣ : ٢٣)، ومثل الوزنات (مت ٢٥ : ١٥).

❖ هل يوجد بين الفضائل حسب وصية الرب معيار واحد لكل، أم أن لفضيلة وزنها الخاص عن الأخرى؟!

الإجابة: بالرغم من أنه لا يوجد معيار واحد لكل الفضائل، ولكن توجد فضيلة تُفضّل عن فضيلة أخرى أو تُحسب أقل منها، وذلك كما توضح كلمات الرب القائل في موضع: "وأما المزروع على الأرض الجيدة فهو الذي يسمع الكلمة ويفهم. وهو الذي يأتي بثمر، فيصنع بعض مئة وآخر ستين وآخر ثلاثين" (مت ١٣ : ٢٣).

الأمر ذاته يتكرّر لنا في مثل الأمناء (الوزنات) (لو ١٩ : ١٣)، عندما قيل: "فأعطي واحدًا خمس وزنات، وآخر وزنيتين، وآخر وزنة" (مت ٢٥ : ١٥)<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>1</sup> *Regulae brevius tractatae*, 249.

<sup>2</sup> *Regulae brevius tractatae*, 203.

## هل الأفكار الصالحة والاهتمامات الصالحة تُضعف شخصية الإنسان وتفكيره؟

يظن البعض أن السالك في حياة الفضيلة يفقد قوة شخصيته، ويُبتهَم أنه بلا خبرة، وعاجز عن التفاعل مع المجتمع. كما يظن البعض أن السالك بمبادئ روحية يفشل في الحياة العملية. يؤكد القديس باسيليوس أن علةَ الفشل وضعف الشخصية ليس الحياة المقدسة في الرب، ولا التزام بالوصية الإلهية، إنما ضعف الإنسان الداخلي وعدم يقظة النفس.

❖ سؤال: لماذا يحدث أن الأفكار الصالحة والاهتمامات الصالحة التي تُسرُّ الله تُضعف العقل كما يُقال؟ وكيف يمكن التخلص من هذا الاعتقاد؟

الإجابة: إذ يقول داود: "تنام نفسي من النّقل" (مز ١١٩ : ٢٨)، واضح أن هذا يحلُّ بسبب غفوة النفس وبلادتها في الإدراك. فإن الاهتمامات التي تُسرُّ الله والأفكار الصالحة لا تُضعف النفس اليقظة والرزينة، بل تحسب أن الفشل صادر عنها هي. لأنه إن كانت عين الجسد لديها الكفاءة أن ترى فقط القليل من أعمال الله، ولا تشبع عندما ترى شيئاً مرة واحدة فقط، كم بالأكثر عين النفس التي حين تكون يقظة ورزينة يكون لديها الكفاية لرؤية عجائب الله وأحكامه. قيل: "لأن أحكامك عميقة" (مز ٣٦ : ٦). وفي موضع آخر: "معرفتك عجيبة جداً لي، إنها تأسست بثبات، وأنا غير كفؤ لها" (مز ١٣٩ : ٦).<sup>١</sup>

القديس باسيليوس الكبير

## بين التقي المخطئ والشرير المخطئ!

قد يسقط الإنسان التقي والإنسان الشرير في نفس الخطية، فيبدو كأنهما متشابهان. يرى القديس باسيليوس أنه بحسب المظهر الاثنان متشابهان، لكن أعماق كل منهم تختلف عن الآخر:

١. سقوط التقي وأسلوبه مختلف، فإنه غالباً ما يتعثر بغير إرادته. وإن سقط يحزن على ضعفه، ويهتم أن يرجع بالتوبة ليكون موضع سرور الله، فإنه أشبه بمريض يلجأ إلى الطبيب السماوي ليشفيه. أما الشرير فغالباً ما يسقط لأحد سببين:

أ. لا يؤمن بوجود الله الصالح: "قال الجاهل في قلبه ليس إله" (مز ١٤ : ١).

ب. يؤمن بفكره بالله كعقيدة إيمانية، لكنه لا يُبالي بخلص نفسه، ولا تشغله مسرة الله به.

٢. الإنسان التقي، وإن تعثر يقوم بنعمة الله طبيب النفوس، فيؤول سقوطه إلى بنيانه، ويدفعه السقوط إلى التواضع. أما الشرير، ففي عدم مبالاته يفقد جمال نفسه.

<sup>١</sup> *Regulae brevius tractatae*, 80.



بهذا فإن انتهار التقي يختلف تمامًا عن انتهار الشرير.

❖ سؤال: إن سقط إنسان تقي وآخر فاطر في نفس الخطية، هل ننتهر الاثنين بنفس الطريقة؟

الإجابة: إن تطلّعنا إلى نزعة الخاطي وأسلوبه في الخطية، يمكننا أن نعرف أسلوب الانتهار الذي يُوجّه إليه. فإنه وإن كانت خطية الإنسان الفاطر والإنسان التقي تبدوان متشابهتين، إلا أنه يوجد فارق عظيم بينهما.

فمن جانب، غالبًا ما يتعثّر التقي، ويسقط في محنةٍ بغير إرادته، وذلك بسبب ورعه وجهاده واهتمامه أن يسر الله.

أما الفاطر فمن الجانب الآخر، لا يبالي بنفسه ولا بالله، ولا يُميّز بين أن يخطئ أو يسلك باستقامة، وذلك كما يشير اسمه (خاطئ بمعنى أنه يخطئ التمييز). فهو مريض بشرورٍ جوهريّةٍ وخطيرةٍ، إما باستخفافه بالله أو عدم إيمانه بوجود الله.

فإنه يوجد سببان للخطية التي تثور في النفس، كما يشهد الكتاب المقدس، حيث يقول في موضع: "تامة (أنين داخلي خفيف) معصية الشرير في داخل قلبي أن ليس خوف الله أمام عينيه" (مز ٣٦: ١). وفي موضع آخر: "قال الجاهل في قلبه ليس إله؛ فسدوا ورجسوا بأفعالهم" (مز ١٤: ١). هكذا إما أنه يستخف بالله فيخطئ، أو ينكر وجود الله نفسه، وهكذا يفسد بأفعاله، وإن كان يظهر أن له معرفة. "يعترفون بأنهم يعرفون الله، ولكنهم بالأعمال ينكرونه" (تي ١: ١٦).

إذ هذا هو الحال، فإنني أحسب أن أسلوب الانتهار يلزم أن يختلف في الحالتين.

فالإنسان التقي يحتاج فقط إلى عون محليّ أيًا كان! يلزم أن يوبّخ بخصوص تصرفه العملي الذي سقط فيه.

ومن الجانب الآخر فإن الإنسان الذي بلا مبالاة يُفسد كل جمال نفسه، إنه مصاب بشرورٍ كثيرةٍ، سواء كإنسانٍ مستهينٍ (بالله) أو كغير مؤمنٍ به كما قلت. يلزم الحزن عليه وتحذيره وتوبيخه حتى يقتنع أن الله ديان بار، وإن الله بالحقيقة كائن ومهوب.

كما يلزم معرفة هذا، إنه حسب التدبير الإلهي زلات الإنسان التقي غالبًا ما تؤدي إلى نفعه. أحيانًا يسمح الله بسقوطه لأجل شفاءٍ تشامخٍ سابق، كمثال لذلك بطرس في كلماته وسقوطه (مت ٢٦: ٣٣-٣٥).<sup>١</sup>

القديس باسيليوس الكبير

<sup>١</sup> *Regulae brevius tractatae*, 81.

## مكافأة الفضيلة في هذا الدهر وفي الدهر الآتي

مكافأة الحياة الفاضلة هي أن جميع الذين يتمتعون بالميراث الأبدي والأمجاد السماوية يُسرُّون، لا بما ينعمون به فحسب، بل وبما ينعم به الآخرون، إذ لا يوجد في السماء حسد ولا غيرة ولا طمع، بل حُب للجميع.

❖ سؤال: ما هي المكافأة التي يتسلمونها بالتساوي مع الأخير (مت ٢٠ : ١٠-١٢)؟

الإجابة: ربما للهروب من اللوم بسبب الأمور الصالحة التي يمارسها المرء وهي نصيب مشترك بين جميع المطيعين. فالإكليل خاص بكل المجاهدين الجهاد الحسن قانونياً (٢ تي ٢ : ٥ ؛ ٤ : ٧)، الذين يكملون السعي ويحفظون الإيمان (٢ تي ٤ : ٧) في محبة المسيح يسوع ربنا. من الممكن أن تكون المكافأة المتفق عليها هي المئة ضعف التي قد وعد بها الرب من أن يتسلموها في الوقت الحاضر للذين تركوا كل شيء لهم، لذلك قيل يأخذون ما لهم (مت ٢٠ : ١٤) بالإشارة إلى ذلك.

أما الذين يصرُّون أنهم عملوا لوقت أطول فقد أصيبوا بهوى الحسد تجاه من يتلقون مكافآت متساوية. إنهم لا ينبغي أن يرثوا الحياة الأبدية، لكنهم يتلقون المئة ضعف هنا، وسوف يُدانون بسبب الحسد في الدهر الآتي ويقال لهم أن يذهبوا خارجاً (مت ٢٠ : ١٤).<sup>١</sup>

القديس باسيليوس الكبير

❖ سؤال: ما هو التبن الذي يُحرق بنارٍ لا تُطفأ (مت ٣ : ١٢)؟

الإجابة: التبن هم الذين كان يمكنهم أن يكونوا بالحقيقة مفيدين لملكوت السموات، كما أن التبن مفيد للقمح، لكنهم الذين لا يسلكون بنزعة الحب نحو الله ونحو أقربائهم، سواء بالنسبة للمواهب الروحية أو المنافع الجسدية، ولذلك يسمحون لأنفسهم بأن يبقوا غير كاملين.<sup>٢</sup>

القديس باسيليوس الكبير

## أبناء الغضب

إن كان السيد المسيح يدعو الأشرار أبناء إبليس (يو ٨ : ٤٤)، وإبليس ارتبط بالخطية والشر حتى يمكن القول إنه صار الخطية نفسها، لذا دُعي الأشرار أبناء الشر أو أبناء المعصية أو أبناء الغضب...

<sup>١</sup> *Regulae brevius tractatae*, 256.

<sup>٢</sup> *Regulae brevius tractatae*, 257.

❖ يقول القديس باسيليوس الكبير: إن الله قد احتدَّ غضبه علينا سابقًا، لأننا كنا جاعلين أنفسنا أولاد غضب، ولم يكن لنا رجاء في الخلاص لكوننا كنا عديمي المعرفة بالله. ثم تراءف علينا وأرسل ابنه الوحيد، وجعله لمغفرة خطايانا...

الأب أنسيموس الأورشليمي

❖ سؤال: بأي معنى يدعى البعض أبناء المعصية والبعض أبناء الغضب (أف ٢ : ٢-٣)؟

الإجابة: طريقة الرب تسمية أطفال وأبناء لمن يعمل بإرادةٍ صالحةٍ أو شريرةٍ. يقول: "لو كنتم أولاد إبراهيم، لكنتم تعملون أعمال إبراهيم" (يو ٨ : ٣٩). وأيضًا: "أنتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا" (يو ٨ : ٤٤). لذلك من يعمل أعمال المعصية يصير ابنًا للمعصية. ربما لأن الشيطان لا يدعى فقط (مرتكب الخطية) بل (بل يصير كأنه) الخطية نفسها، إذ هو الرئيس القائد للخطية كما أظن، لذلك يُطلق عليه المعصية نفسها لنفس السبب. ولكن يدعى الشخص ابن المعصية بقدر ما جعل نفسه مستحقًا للغضب. كما يطلق الرسول على من يستحق الرب ويفعل أعمال النور والنهار، أبناء النور والنهار، (١ تس ٥ : ٧)، هكذا إنه يليق أيضًا أن نفهم عبارة "أبناء الغضب" (أف ٢ : ٣).

بنفس الشكل، يجب على المرء أن يعرف أن ابن المعصية هو ابن الغضب أيضًا، كما أوضح الرب: "الذي لا يؤمن بالآيين، لن يرى حياة، بل يمكث عليه غضب الله" (يو ٣ : ٣٦).<sup>١</sup>

القديس باسيليوس الكبير

### حساب النفقة للحياة الفاضلة

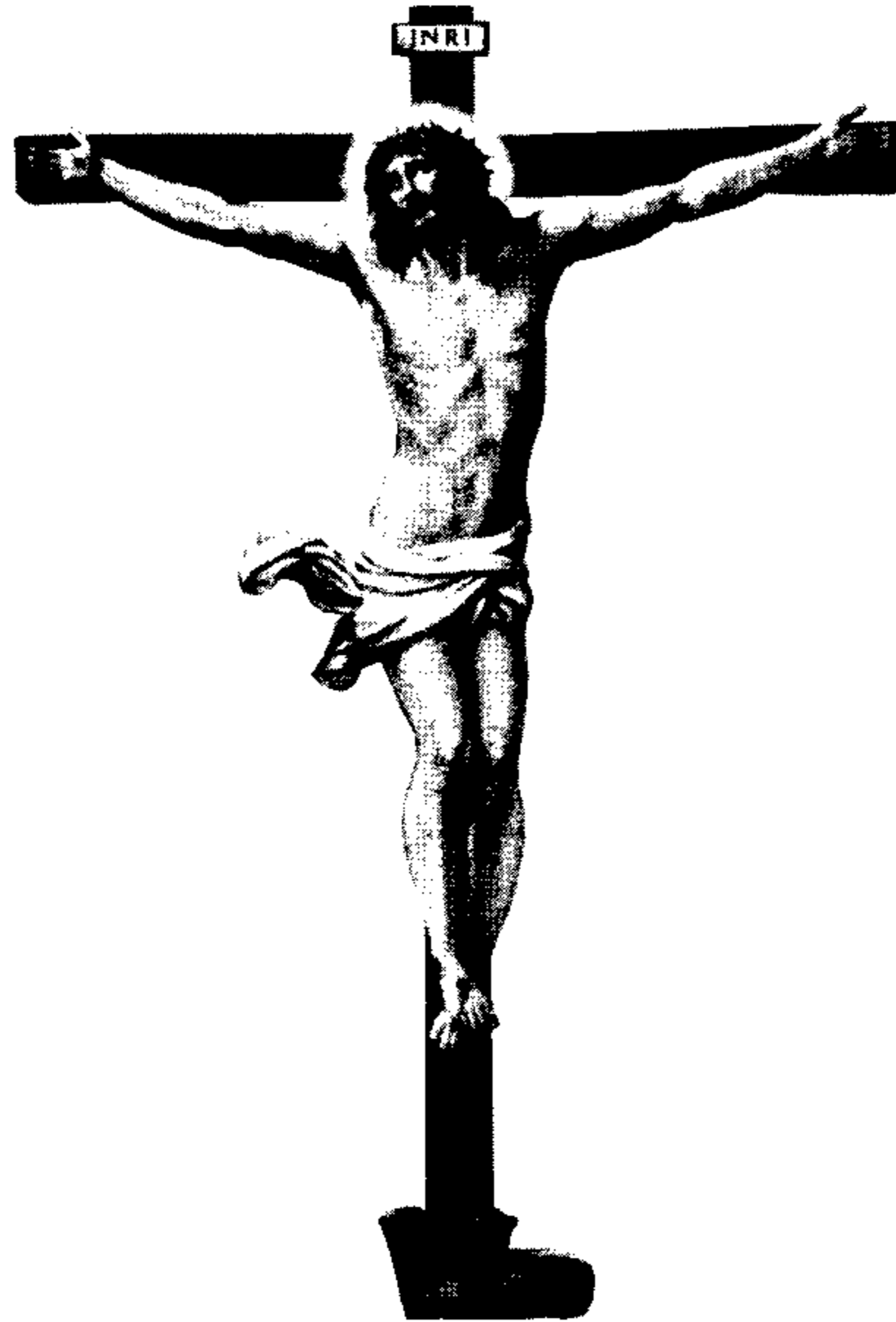
يُقَدِّم لنا السيد المسيح حساب النفقة لكي نأخذ قرارنا المصيري، إما أن نكون في الرب أو خارجه، ولا نُعَرِّج بين الطريقتين.

❖ سؤال: ماذا كان يريد الرب أن يتعلمنا بالأمثلة التي ختم بها الكلمات، "فكذلك كل واحدٍ منكم لا يترك جميع أمواله، لا يقدر أن يكون لي تلميذًا" (لو ١٤ : ٣٣). لأنه إن كان أحد يريد أن يبني برجًا أو يذهب لمقاتلة ملك آخر، يجب عليه أن يستعد للبناء أو الحرب وهو غير قادر على ذلك، أفلا يسمح بوضع الأساس أو رفع دعوى لشروط السلام؟ (لو ١٤ : ١٨-٣٢). هكذا مع الشخص الذي يرغب أن يكون تلميذًا للرب، يجب عليه أن يجحد الكل. ولكنه إذا وجد هذا صعبًا، أفلا يُسَمَّح له حتى بالبداية في التلمذة للرب نهائيًا؟

<sup>١</sup> *Regulae brevius tractatae*, 268.

الإجابة: غرض الرب من هذه الأمثلة ألا يعطي لكل أحد تأكيداً بأنه يصبح تلميذاً له أو لا، وإنما يظهر استحالة أن يرضي الإنسان الله وسط الأشياء لم تجرف النفس. في هذه الظروف يكون المرء حقيقة في خطر محقق بأن يصبح فريسة سهلة لحيل الشيطان وبالتالي يستحق السخرية والهزاء، لأنه بينما يبدو كمن يُحَقِّق عملاً إذا به يُفَضِّح لعجزه. هذا ما صُلِّي النبي كي لا يحدث له قائلًا: "لئلا يشمتوا (أعدائي) بي عندما زلت قدمي تعظموا عليّ" (مز ٣٨: ١٦).<sup>١</sup>

القديس باسيليوس الكبير



<sup>1</sup> *Regulae brevius tractatae*, 263.



## مصدر الشر والجهد ضده

### هل الله مصدر الشر؟!

انشغل كثير من الفلاسفة بالبحث عن مصدر الشر. وقد نادى الفرق الغنوصية بوجود إله خالق للشر، حيث تطلعوا إلى المادة أنها شر، أما الرأي الإنجيلي الكنسي الأبائي السائد فهو أن الشر هو غياب للخير. وذلك كما أن الظلمة هي غياب للنور، لا كيان لها في ذاتها، أي ليس للشر جوهر.

يقول الأب دوروثيوس: [ليس الشر وجود في ذاته، لأنه ليس من ضمن المخلوقات وليس له مادة. إنما النفس بانحرافها عن الفضيلة، تصير شهوانية وتلد الخطية، فتتألم حيث لا تجد لها راحة طبيعية في ذاتها. هكذا تنتج النفس الشر بذاتها وتعود تتألم منه].

ويقول القديس غريغوريوس اللاهوتي: [تتولد النار عن مادة، وهي تحرق المادة، هكذا

يُفسد الشر الإنسان الشرير].

يقول القديس أغسطينوس: [الشر عدم<sup>١</sup>]. ويقول القديس أوغريس: [ما هو شر بالمعنى

الدقيق ليس جوهرًا، لكنه غياب للخير، كما أن الظلام هو لا شيء سوى غياب للنور<sup>٢</sup>].

يقول الأب مكسيموس المعترف: [الخطية لا توجد في الطبيعة بمعزل عن الإرادة الحرة، إنها

ليست جوهرًا في حد ذاته<sup>٣</sup>].

❖ لا يمكننا أن نقول إن الشر يأتي من الله دون أن نخطئ ضد الإيمان، فلا الحياة تلد الموت، ولا

الليل يخلق النور، ولا المرض يمنح الصحة. لأن الله، الذي هو الخير والصلاح بالذات، لا

يمكنه أن يخلق ما هو ضده، أي الشر...

الجواب الصحيح هو أن الشر ليس حقيقة حيّة، بل هو ارتياح النفس لأمرٍ يخالف

الفضيلة، وهو نتيجة رفضنا للخير وتساؤلنا وتهاوننا. فلا نبحت عن الشر خارجًا عنّا، ففي

أعماقنا تكمن طبيعة أولى فاسدة، وعلى كل منا أن يُقرّ أنه هو أصل الشر الذي فيه.

<sup>١</sup> دكتور عدنان طرابلسي: الرؤية الأرثوذكسية للإنسان، منشورات النور، لبنان ص ١١٠

<sup>٢</sup> دكتور عدنان طرابلسي: الرؤية الأرثوذكسية للإنسان، منشورات النور، لبنان.

<sup>٣</sup> دكتور عدنان طرابلسي: الرؤية الأرثوذكسية للإنسان، منشورات النور، لبنان.

قدر ما تتسلط على نفسك يكون الشرّ خارجاً عنك. اعلم هذا، أن أصل الخبث الحقيقي هو استسلامك لضعفك بحريّتك. لو لم يكن الأمر كذلك، لما أمكن سنّ شرائع، ولا جاز إقامة محاكم، ومعاقبة مجرمين<sup>١</sup>.

❖ لا وجود للشرّ في حد ذاته، وإنما يأتي من النفس<sup>٢</sup>.

❖ ليس الله مسبباً لعذابات الجحيم [الموت الأبدي]، بل نحن أنفسنا، لأن أصل الخطيئة وجذرها كائن في حريّتنا وإرادتنا<sup>٣</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## ليس أحد بلا خطيئة

إن كان الشرّ في حقيقته لا جوهر له، إنما هو غياب للخير، وأنه وليد انحراف إرادتنا عن رسالتها، فقد يُبرّر إنسان سلوكه الشرير بفساد طبيعته. وكأن الله في محاباة خلق أناساً بإرادة صدّاحة وآخرين بإرادة شريرة، فلا ذنب للإنسان في تفكيره الشرير أو حتى كلماته الشريرة أو سلوكه لشرير. لذلك يؤكد القديس باسيليوس بفكرٍ كتابي أن كل بني آدم حلّ بهم الفساد، ليس مَنْ يتبرّر حتى عظماء الآباء كإبراهيم، ولا الملوك الأبرار كداود، ولا الأنبياء. الكل يحتاج إلى خلاص الله لمجاني الذي قام به الثالوث القدوس، وتحقّق خلال محبة الأب لنا، وبذل الابن الوحيد المتجسد ذاته عنا، وعمل الروح القدس الساكن فينا.

هذا ومن جانب آخر، يليق بالمؤمن وقد أدرك أن سرّ خلاصه هو نعمة الثالوث القدوس العامل في حياته، يليق به لا أن يبدأ فحسب، وإنما في ظلّ الثالوث القدوس يسلك حتى النهاية في محبة الله. فخلاص الإنسان لا يتوقّف على البداية، إنما يلزم الجهاد بالنعمة الإلهية بلا توقّف. هذا ما يؤكده القديس باسيليوس الكبير.

يخشى القديس من الطفرات العاطفية المُبالغ فيها والمؤقتة، إذ يلزم بنيان النفس روحياً بحكمة لروح وبترتيبٍ كقول الرسول بولس (١ كو ١٤ : ٤٠). وفي نفس الوقت بروح الجدية والإخلاص والأمانة، وليس في حياة مُدلّلة.

في اختصار يُقدّم لنا القديس حلاً عملياً للخلاص من الخطايا التي تُعاني منها:

١. نؤمن أن الله الصالح لم يخلق الشرّ، إنما إرادتنا المُنحرفة وراء هذا الشرّ الذي نرتكبه.

<sup>١</sup> راجع الأب الياس كويتر المخلصي: القديس باسيليوس الكبير، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، ١٩٨٩، ص ٣٠٨.

Hexamaeron 2:5

<sup>٢</sup> دكتور عدنان طرابلسي: الرؤية الأرثوذكسية للإنسان، منشورات النور، لبنان.

<sup>٣</sup> دكتور عدنان طرابلسي: الرؤية الأرثوذكسية للإنسان، منشورات النور، لبنان.

٢. لا نياس بسبب خطايانا، فإنه لا يوجد إنسان ما معصوم من الخطية.

٣. الثالوث القدوس الذي قَدَّم لنا الخلاص المجاني يشتهي خلاصنا وتقديسنا وتكليلنا أبدياً.

٤. إيماننا ليس طفرة عاطفية مؤقتة، إنما حياة وشركة مستمرة مع الله.

٥. نحتاج إلى بنيان يومي مستمر بتدبيرٍ صالح، خلال عمل النعمة الإلهية، حتى النفس الأخير.

٦. ليكن صليب المسيح أمامنا، لا يُفارق عيون قلوبنا.

٧. لا نُسرُّ لأننا أظعنا وصية واحدة، إنما نسأل الله أن يُقدِّسنا بالتمام ويهبنا الطاعة لكل وصاياه.

❖ "ليس أحد بلا وصمة، ولو كانت دباته يوماً واحداً" (أي ١٤ : ٤).

يثن داود قائلاً: "بالآثام حملت بي، وفي الخطايا ولدتني أمي" (مز ٥١ : ٥). أيضاً يُعلن الرسول: "إذ الجميع أخطأوا، أعوزهم مجد الله، متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي ببسوع المسيح، الذي قَدَّمه الله كفارة بالإيمان بدمه" (رو ٣ : ٢٣ - ٢٥). لذلك يُمنح غفران الخطايا للذين يؤمنون، إذ قال الرب نفسه: "هذا هو دمي للعهد الجديد، الذي يُسْفَك من أجل كثيرين، لمغفرة الخطايا" (مت ٢٦ : ٢٨).<sup>١</sup>

❖ لم يكن حتى الطوباوي داود بلا لوم، لأن أفكاره قد انحرفت، وأخطأ في حق امرأة أوريا (٢ صم ١١).

يوجد مثل آخر كافٍ يحفظ للإنسان في سيرة مقدسة ليعيش آمناً. هذا المثل هو يهوذا الذي سقط من الأفضل إلى الأسوأ. بعد أن كان تلميذاً للمسيح لمدة طويلة باع سيده من أجل مصلحته الشخصية، لكنه شق نفسه.

تَعَلَّم من هذا أيها الحبيب، إنه ليس من يبدأ حسناً بكاملٍ، إنما من ينتهي حسناً هو الذي ينال مدحاً من الله. لهذا لا تلمض جفونك فتنعس، حتى يمكنك أن تتجو مثل الإيل من الشبكة، والطيور من الفخ، فإنك تمر وسط الفخاخ. إنك تمشي على قمة حائط عالٍ. إنه في غاية الخطورة أن تسقط من فوقه.

لا تحاول أن تُبالغ في ضبط نفسك دفعة واحدة. إنما فوق الكل احترس من اتكالك على نفسك، لئلا تسقط من علوٍ مُرتفعٍ من ضبط النفس، بسبب عدم تدريبك.

<sup>1</sup> Concerning Baptism, Book 1, chapter 2.

من الأفضل أن تتقدم قليلاً قليلاً، وأن تسحق بالتدريج عاداتك الشريرة، فلا تجلب على نفسك وإبلاً من التجارب بإثارة كل أوجاعك دفعة واحدة. عندما تسيطر على وجع عندئذٍ شن الحرب على الآخر، بهذا تُحَقِّق نجاحاً أفضل في كل شيءٍ في وقتٍ لائق<sup>١</sup>.

❖ "تعبت أكثر من جميعهم" (١ كو ١٥ : ١٠): الذي يقضي زمانه في نعومة وكل ترفٍ بسبب ترف الحياة، والذي يرتدي الأرجوان والكتان الناعم، ويُقيم حفلات كل يومٍ ببذخٍ (لو ١٦ : ١٩)، والذي يهرب من التعب اللازم للفضيلة، فإنه لن يتعب في هذه الحياة، ولا يعيش في المستقبل، بل سيجد الحياة بعيدة عنه عندما يتعدَّب في نار الأتون<sup>٢</sup>.

❖ يجب أن نموت عن الخطيئة ونُصَلِّب مع المسيح، واضعين فيه كل حُبنا. هذا أمر صعب! ولكن ما السهل في نظام الخير؟

لا تُكتسب الانتصارات في كثرة النوم، ولا يُجنى إكليل الظفر في الملذات وصوت الأبواق... إن من يجاهد ينتصر، وبالأتعاب نحصل على المجد.

أقول لكم بدوري: "يجب علينا أن نجتاز مضائق كثيرة لندخل ملكوت السماوات" (أع ١٤ : ٢٢). ولكن بعد هذه المحن تنتظرنا الطوبى السماوية، بينما لا تقضي جهود الخطيئة إلا إلى التعاسة وعذاب جهنم<sup>٣</sup>.

❖ لا جُرم أننا نقول إننا راغبون في ملكوت السماوات، ولكننا لا نهتم بما يوصلنا إليه. إننا لا نريد أن نكابد أقل تعب لأجل حفظ وصايا الرب، ومع ذلك نتوهم بزيف أفكارنا أننا سننال كرامةً ومجدًا يوازيان مجد الذين قاوموا الخطيئة حتى الموت (عب ١٢ : ٤) وكرامتهم. من ذا الذي يبقى في بيته جالساً أو راقداً في أوان الزرع، فيملأ حضنه أغماراً في ساعة الحصاد؟ من ذا الذي يحق له أن يقطف عنب كرمة لم يغرستها ولم يتعب فيها؟ إن الثمار لا يجنيها إلا الذين تعبوا فيها، كما أن الكرامات والتيجان لا ينالها إلا الظافرون.

فمن تراه يكلل الذي لم يبرز لجهاد العدو؟ على أنه لا يكفي أن يبرز للجهاد، بل لا بد له أن يجاهد جهاداً شرعياً" كما أوصى الرسول (٢ تي ٢ : ٥). أي أنه ينبغي لنا أن لا نهمل شيئاً ولو يسيراً من الأشياء التي فرضت علينا، بل يجب أن نُتَمِّم كل شيءٍ حسبما أمرنا به.

<sup>1</sup> Letter, 42.

<sup>2</sup> Unto the End 19:5.

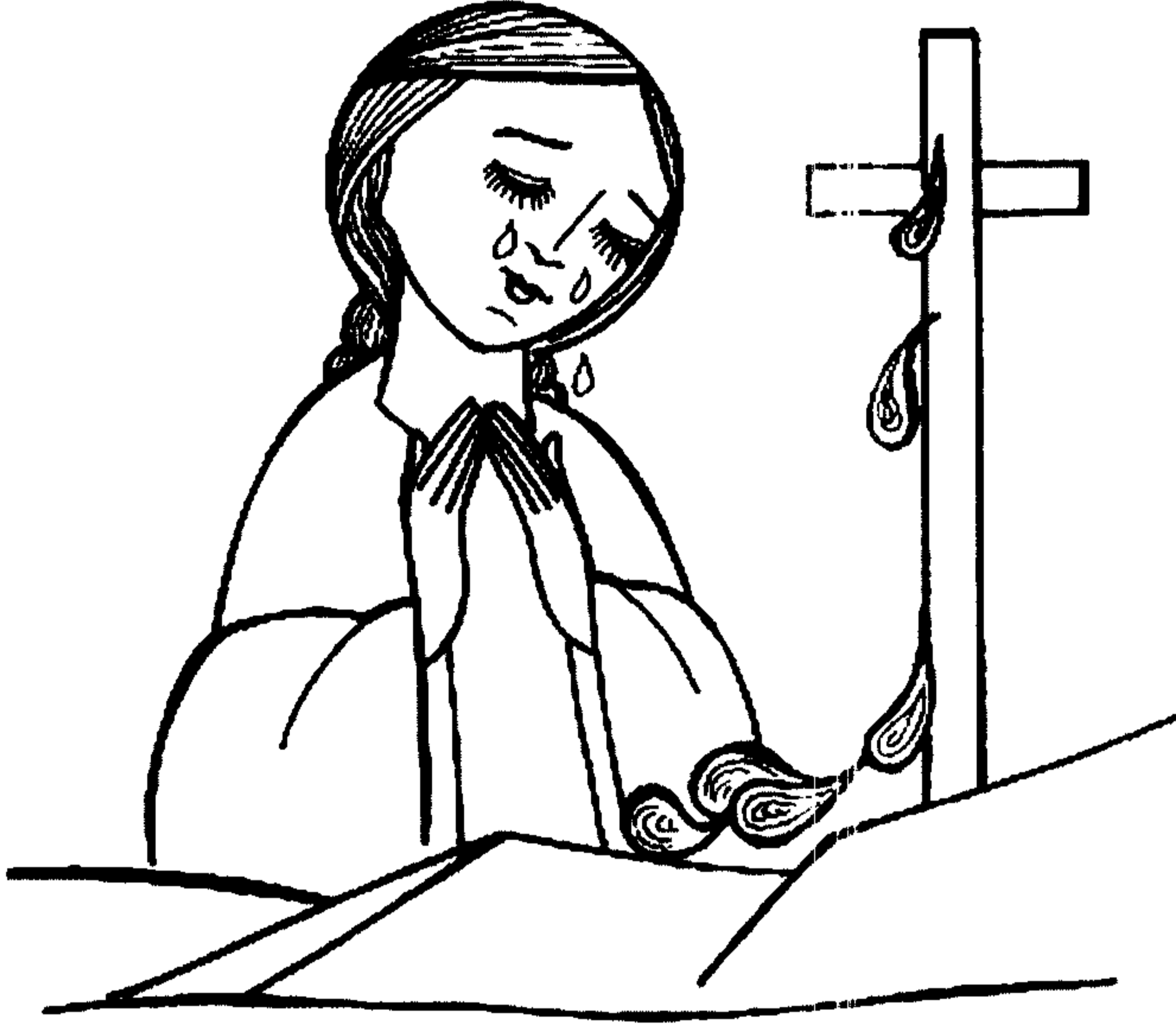
الأب الياس كويتر المخلصي: القديس باسيليوس الكبير، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، ١٩٨٩، ص ١٣٤



فإنه قيل: "طوبى لذلك العبد الذي إذ يأتي سيده يجده يعمل - لا على الإطلاق - بل هكذا" (لو ١٢: ٤٣).

وقيل أيضًا "إن أنت أحسنت التقديم ولم تحسن القسمة تُخطئ" (تك ٤: ٧ LXX). أما نحن فإذا ظننا أننا أتمنا وصية واحدة، لم أقل أتمنا بل ظننا أننا أتمنا: لأن كل الوصايا مرتبطة بعضها ببعض بحسب تعليم الكتب المقدسة الصحيح بحيث أن من يحل واحدة منها يحل ضرورة معها سائر الوصايا، ومع ذلك لا نخشى الانتقام لأجل الوصايا التي تجاوزناها، بل نرجو المكافأة لأجل الوصية الواحدة التي عملنا بها<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير



<sup>١</sup> راجع الأب إلياس كويتر المخلصي: القديس باسيليوس الكبير، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، ١٩٨٩، ص ٢٨٣-٢٨٤. ترجمة الأب يوسف شماس المخلصي.



## رذيلة الغضب

عند

### الأنديس باسيليوس الكبير

كثيرًا ما أشار القديس باسيليوس إلى الغضب في قوانينه كما في كتاباته الأخرى.

كنت أود أن أكتب عن نظرتيه للغضب في الباب الخاص بالفضائل والرذائل (باب ١٠)، لكن

إذ اهتم القديس بوضع مقالٍ خاصٍ بالغضب، فضّلت تخصيص هذا الباب لمعالجة موضوع الغضب ما أمكن.

قدّم القديس باسيليوس الكبير عظة عن النزعة إلى الغضب، قام بترجمتها الدكتور جرجس

كامل يوسف، كما أشار القديس إلى الغضب في كتاباته الأخرى.

اعتبر البعض هذه العظة من ضمن كتاباته النُسكية، لأن مقاومة الغضب أو مواجهة

الظروف القاسية ومضايقات الغير بروح الهدوء والوداعة وطول الأناة، تتحقّق بصَلْبِ الإرادة البشرية

كي يسلك المؤمن بإرادة المُخَلَّص الطويل الأناة. وهذا هو مفهوم النُسك، حيث يتخلّى الإنسان عمّا

يخصه ليتقبّل فيه عمل المسيح يسوع.

لعلّه خشي أن الراهب في ظل نظام الشركة يظن أنه بتركه العالم وارتباطه بإخوته الرهبان، قد

صار في مَأْمِنٍ من السقوط في الغضب في الخفاء خلال فكره، أو علانية في سلوكه، لذا وجّه

أنظارهم إلى خطورة تسلُّ الغضب إليه، فيحطّم كل حياته الروحية، ويسلب منه كل فكرٍ مُقَدَّسٍ في

الرب.

### الغضب والسخط والصياح

يستخدم الكتاب المقدس ألفاظًا كثيرة، تحمل معاني متنوّعة ومُتداخلة فيما بينها:

١. الغضب: يمتد إلى النزعة أو الانفعال أو الميل الذي في داخل الإنسان.

٢. السخط: لا يقف عند الدافع الداخلي، بل يبيث سُمّه كالحية.

٣. الصياح: هو امتداد للسخط في مرارة، بتصميمٍ مُرعبٍ للغاية، مع حقدٍ في القلب في تعمُد.

❖ سؤال: ما هو الفرق بين المرارة والسخط والغضب والصياح (أف ٤ : ٣١؛ مز ٥٨ : ٥)؟

الإجابة: الفارق بين السخط والغضب، أظن أنه في النزعة والدافع، حيث أن ألم أحدهما

الذي يُثير الغضب يمتد فقط إلى النزعة (أو الميل)، كما يُظهر بوضوح القائل: "اغضبوا

ولا تخطئوا" (مز ٤ : ٥؛ أف ٤ : ٢٦). أمّا الإنسان الساخط، فيمتد دافعه، إذ قيل عن الساخط

إنه كالحية (مز ٥٨ : ٥). فقد كان هيرودس ساخطاً على صور وصيدا (أع ١٢ : ٢٠).  
أما امتداد السخط فيبلغ إلى الصباح، حيث تُعلن المرارة بتصميم مُرعبٍ للغاية مع حقدٍ في  
القلب متعمدٍ (أف ٤ : ٣١)<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

### هل يمكن التحرر من الغضب؟

يظن البعض أنه ليس من إنسانٍ مُتحرِّرٍ من الغضب، أمّا القديس باسيليوس، فيرى أنه لا  
يستطيع جندي أن يغضب في حضرة الملك، فكم بالأكثر لا يقدر إنسان أن يغضب إن أدرك بالحق  
أنه على الدوام في حضرة الله الموجود في كل موضع؟!

❖ سؤال: يقول البعض إنه يستحيل للكائن البشري أن يتجنب الغضب (كيف؟)

الإجابة: هل يمكن لجندي أن يغضب في حضور ملكه؟ ومع هذا، فإن حتى هذا الرأي  
ليس له أساس معقول. لأنه إن كان الإنسان إذ يُبصر من هو مساوٍ له في الكرامة حسب  
الطبيعة، إذا به خلال سمو الرتبة يضبط هوى (الغضب)، فكم بالأكثر بالنسبة لتصرفه مع الله،  
إن كان الإنسان مُقتنعاً تماماً بأن الله حاضر حتى في قلوبنا، ويرى كل التحركات الداخلية؟ فإن  
الله فاحص القلوب والكلى (مز ٧ : ١٠) يرى حركات النفس أكثر ممّا يراه الإنسان البشري لما  
هو قدام عينيه<sup>٢</sup>.

❖ يظن عامة الناس أن الله هو في الهياكل فقط، فهم يُحسّنون سيرتهم فيها فقط. وذوو المعرفة  
يعلمون أن الله موجود في كل موضع، فهم يُحسّنون سيرتهم في كل موضع.  
كما أن الجسديين لا يقدرّون أن يغضبوا في حضرة الملك؛ كذلك الذين يتدبّرون بروحانيةٍ  
يمنعهم من الغضب الخوف من الله الملك المعقول الناظر إليهم دائماً<sup>٣</sup>.

### لا تضعوا مكاناً للغضب

❖ سؤال: ماذا يقصد لا تضعوا مكاناً للغضب (رو ١٢ : ١٩)؟

الإجابة: لا تقاوم الشخص الشرير، كما كتب، بل بالحري إن لطمك أحد على خدك، حوّل  
له الآخر أيضاً (مت ٥ : ٣٩)، ثمّ بقيّة الوصايا، عندما تُضطهد في مدينة، اهرب إلى أخرى  
(مت ١٠ : ٢٣)<sup>٤</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>١</sup> *Regulae brevius tractatae*, 55.

<sup>٢</sup> *Regulae brevius tractatae*, 127.

رهبان بيرية شيهيت: فردوس الآباء (بستان الرهبان الموسع)، ج ٢

<sup>٤</sup> *Regulae brevius tractatae*, 244.



## الاستشارات الروحية والممارسة العملية

يفتح القديس باسيليوس الكبير حديثه عن الغضب لا بالحديث عن خطورة الغضب أو بركات عدم الغضب، إنما بالدعوة لاختبار عدم الغضب عملياً. يُقدّم لنا القديس أمثلة عملية من العهد القديم كما من العهد الجديد للحديث عن الغضب حيث تدعونا حكمة الله أن نسلك كما يليق بنا كأبناء لله الطويل الأناة فلا نهلك.

يُشبّه القديس هذا الاتجاه بما يفعله الطبيب مع المرضى، فإنه يطلب أن يختبروا بأنفسهم ما يُقدّمه لهم من أدوية، فيلمسوا فاعلية الأدوية عملياً ويدركوا نتائجها.

بعد هذه المقدمة العملية يُخاطب القديس العقل والقلب ليكشف عن خطورة الغضب وبركات طول الأناة.

ليس من إنسان يستريح للغضب وانفعالاته، حتى وإن ظن أن طبعه يتّسم بسرعة الغضب، فإنه ما أن يهدأ حتى يلوم أعماقه الداخلية، وإن كان يحاول تبرير غضبه أمام الغير.

الخبرة العملية، خاصة في الظروف التي تبدو مُثيرة للغضب، هي الدرس العملي للخلاص من الغضب.

عدم الغضب وصية إلهية تضيء على المؤمن كرامة قبول نعمة الله التي تسكب عليه هدوءاً وسلاماً داخلياً.

❖ حتى إن اتفقت الاستشارات الطبية إلى حد تطابقها مع تعاليم فن الطب ذاته، لا تظهر فائدتها إلا من خلال الممارسة والخبرة. هكذا أيضاً حال الاستشارات الروحية، والتي لا يشهد لها إلا ثمرها، وحينئذ تُستعلن حكمتها ومنفعتاتها لصالح تقويم الحياة، وتكميل الذي يخضعون لها. لأننا قد سمعنا سفر الأمثال يُعلن صراحة "حتى الحكيم يهلكه الغضب" (أم ١٥ : ١ LXX)، وقد سمعنا أيضاً الوصية الرسولية: "ليرفع من بينكم كل غضبٍ وسخطٍ ومرارةٍ مع كل خبثٍ" (أف ٤ : ٣١)، وقول الرب إن الذي يغضب على أخيه باطلاً يتعرّض للعقاب (مت ٥ : ٢٢).

وحين نختبر هذا الشعور، لا كشيءٍ يصدر من داخلنا، ولكن كشيءٍ ينصبُّ علينا من خارج، كأعصار لا نتوقّعه، فإننا نكتشف تماماً سموّ الوصايا الإلهية.

وحين نفسح أو نُعطي مكاناً للغضب (أن يخرج)، مثل مخرج لنهر عاصف، وحين نُراقب في هدوءٍ أولئك الذين يغلبهم هذا الشعور، نكتشف من أفعالهم أن تلك الكلمات تحقّق الهدف المنشود: "لا كرامة لإنسانٍ غضوبٍ" (أم ١١ : ٢٥ LXX) <sup>١</sup>.

<sup>1</sup> Against Those Who Are Prone to Anger (Frs. Of the Church, volume 9, Homily 10).

❖ يلزم ألا يغضب (المؤمن) على قريبه بلا سبب، ولا يتبني السخط ضد أحد، ولا يرد الشر بالشر. يليق به أن يشتّم لا أن يشتّم، ويضرب عن أن يضرب، ويساء إليه عن أن يخطئ، وأن يسلب عن أن ينهب<sup>1</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## يا لخطورة الغضب!

ترجع خطورة الغضب عند القديس باسيليوس إلى أنه:

١. يفقد السيطرة على الإرادة، الحواس والجسد.

٢. أم ولود حيث يلد رذائل أخرى.

٣. يشوه جمال النفس.

٤. يظلم البصيرة الداخلية.

٥. يبطل العقل ويصيب بالجنون.

١. الغضب يفقد السيطرة على الإرادة، الحواس والجسد

الغضب متى ثار في الفكر أو القلب يفقد الإنسان سيطرته على لسانه فينطق أحاديث بلا ضابط، وتثور أعضاء جسمه بروح العنف، ويحمل في داخله حركات السخرية والعنف الجسماني، وهكذا يتولد من الغضب والسخط أعمال شريرة غير مُحصاة!

في اختصار يفقد الغضب الحرية ويُقيم من نفسه أمة (عبدة) بلا سلطان!

❖ الغضب يجعل الألسنة مُطلقة العنان، والأحاديث بلا ضابط. كذلك العنف الجسماني وتصرفات الاستهزاء والسب والاتهامات والضرب وغير ذلك من الأعمال الشريرة غير المُحصية تُولد من الغضب والسخط<sup>٢</sup>.

❖ بسبب الغضب لا تلجم الألسنة، ولا تُخرس الشفاه، ولا تُقيد الأيدي، بل يتولد من الغضب وأهوائه ومن السخط ومشاعره ما لا يُعد ولا يُحصى من هياج وثورات وتوبيخات ونميمة وضربات وأمور أخرى بلا حصر.

بالسخط أيضاً يُسنُّ حد السيف، فتتجرأ يد الإنسان على قتل إنسان<sup>٣</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>1</sup> A Discours on Ascetical Discipline, (Frs. Of the Church, volume 9, p. 34-35).

<sup>2</sup> Sermons 10 FC 86, P. 74.

<sup>3</sup> Against Those Who Are Prone to Anger. ترجمة د. جرجس كامل يوسف.

## ٢. الغضب أم ولود حيث يلد رذائل أخرى

يرى القديس باسيليوس أن الغضب كسائر الرذائل، حينما يفتح الإنسان الباب له لا يملك فقط في القلب، بل يصير أيضاً له حق السيطرة على الإنسان الداخلي والسلوك الخارجي، فيفتح الباب لغيره من الرذائل لتدخل بدون إرادته. هذا ما عبّر عنه بقوله: [كذلك الرذيلة نقتني بعضها بإرادتنا الحرة، بينما يُعطى لنا البعض الآخر كالقبح والضعف (بغير إرادتنا)].  
يُتَّسَم الإنسان بطبيعة التغير، فحين يُقْبَل عمل النعمة الإلهية لاقتناء فضيلة مُعَيَّنَة تفتح الطريق لتدخل معها فضائل أخرى، وحين يُقْبَل عمل عدو الخير فيه يفتح باب قلبه لرذيلة مُعَيَّنَة، تسحب معها رذائل أخرى.

❖ الإنسان الذي أدرك القوة التي أخذها، يُقَدِّم الشكر لله "يارب أعطيت لجمالي قوة" (مز ٣٠ : ٨).  
والفضائل التي نقتنيها بجهادنا، تتبعها فضائل تُعطى لنا، كالجمال والقوة.  
كذلك الرذائل، نقتني بعضها بإرادتنا الحرة، بينما يُعطى لنا البعض الآخر كالقبح والضعف<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## ٣. الغضب يُشوّه جمال النفس

الغضب يُشوّه جمال النفس العروس المُنتظرة عريستها السماوي، فلا تسمع كلماته: "كُلِّكِ جميلة يا حبيبتي، ليس فيك عيبة" (نش ٤ : ٧).

❖ بغیضة وقبيحة تلك النفس التي رهبت ذاتها لشهواتها. من يستطيع أن ينظر إلى إنسان في غضبه وشكله القبيح؟

ومن يستطيع أن ينظر إلى إنسانٍ حزينٍ واهنٍ أمام نفسه المُستعبدة؟...

لنحرص إذن على جمالنا، حتى يستقبلنا العريس الكلمة بالترحاب بهذه الكلمات: "كُلِّكِ جميلة يا حبيبتي، ليس فيك عيبة" (نش ٤ : ٧)<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## ٤. الغضب يُظلم البصيرة الداخلية!

أخطر ما في الغضب، كما في سائر الرذائل أنها تحرم الإنسان من البصيرة الداخلية، فيصير القلب في ظلمة لا نور. بالروح القدس يتأمل الحق الإلهي، فينشغل بالزمنيات عوض الأبديات.

<sup>١</sup> تفسير المزمور ٣٠ (٢٩).

<sup>٢</sup> تفسير المزمور ٣٠ (٢٩).

✦ انفصال النفس عن الضوضاء الخارجية يُضفي على مذبح القلب هدوءًا خفيًا، فيهب ذاته لتتأمل الحق. إذا استمعت لمن يقر بخطيئته تجده يقول: "تعكرت من الغضب عيناى" (مز ٦ : ٨ LXX). وليس الغضب فقط بل والرغبات الشريرة والمجد الباطل والغيرة التي تظلم عين القلب، وبصفة عامة جميع الشهوات تظلم النفس... فالعين المُتعبّة لا تستطيع أن ترى بوضوح. كذلك القلب الهائج لا يمكن أن يتأمل في الحق. ينبغي إذن الابتعاد عن التركيز في أعمال العالم، فنغلق القلب أمام كل فكرٍ غريب<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

### ٥. الغضب يُبطل العقل ويُصيب بالجنون

إن كان أعظم ما امتاز به الإنسان عن الخليقة الأرضية الأخرى هو العقل البشري، به يمكن أن يسمو ليصير أشبه بكائن سماويّ، فإن الغضب يُحدر الإنسان من كائن بشري إلى أشبه بحيوان منحش! بل يرى القديس يوحنا الذهبي الفم أن كثيرًا من الحيوانات المُفترسة لا تؤذي بني جنسها، أما الإنسان فبغضبه يصير أكثر شراسة منهم، إذ يؤذي أخاه من بني جنسه.

يُقدّم أحد آباء الكنيسة الأولى الشكر لله أنه لم يخلق الإنسان في ضخامة الفيل، وإلا لحطم أديمه بالضغط عليه، ولا وهبه أنياب أسد، وإلا افترس إخوته، ولا يبث سُمًا كالحيات والعقارب حتى لا يُسمّم إخوته ... الخ.

يفسد الغضب طبيعة الإنسان الجميلة، فيؤذي إخوته، متجاهلاً أنهم من بني جنسه، غير مُعطيًا اعتبارًا حتى للفرزة الطبيعية، فقد يؤذي أهل بيته، ولا يُبالي بالسن فقد لا يرحم الشيخوخة العاجزة أو الطفولة البريئة.

يشبه الغضب سيلًا جارفًا ينحدر من جبلٍ عالٍ فيكتسح أمامه ما يجده دون أية اعتبارات.

✦ ما أن يتتخى العقل (المنطق) جانبًا، حتى تسيطر الأهواء على النفس وتمتلكها لذاتها، فتحوّل الإنسان بالكامل إلى وحشٍ مفترسٍ. ولا تسمح له أن يكون كائنًا بشريًا إذ لا يعود العقل يُساعده بعد. لأنه مثل السم في الحيوانات السامة، هكذا السخط في الذين يهيجون بسببه. فهم يُصابون بالجنون كالكلاب، يُهلكون كالعقارب، وينهشون كالأفاعي.

صدق الكتاب المقدس، إذ يقرّ بهذا حين يدعو الذين يسيطر عليهم هذا الشعور بالحيوانات المفترسة الذي يجعلهم مُتشبّهين بها بسبب شرورهم. فيدعوهم "كلاب بكم" (إش ٥٦ : ١٠)، و"أفاعي وأولاد أفاعي" (مت ٢٣ : ٣٣) وما شابه ذلك. لأن الذين يتهيأون لإهلاك بعضهم

<sup>١</sup> تفسير المزمور ٣٤ (٣٣).



البعض، وإلحاق الأذى ببشرٍ مثلهم. من الطبيعي أن يُحسَبوا من بين الحيوانات المُفترسة والحيوانات السامة، التي بالطبيعية تتوفر فيها كراهية تجاه البشر لا يمكن انتزاعها<sup>1</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## الغضب والعلاقات

يرى القديس باسيليوس أن للغضب أثرًا سلبيًا على علاقة الإنسان بنفسه وبكل من: الآباء، الإخوة، الأبناء، الأصدقاء وكبار السن.

❖ وبالغضب يتجاهل الإخوة بعضهم البعض، وكذا يتناسى الآباء والأبناء ما بينهم من رابطة طبيعية. لأن الأشخاص الغضوبين يبدأون أولاً بتجاهل أنفسهم، ثم يتجاهلون بالحقيقة كل أصدقائهم.

مثلما تتدفع السيول من أعلى الجبل، فتجرف أمامها كل شيء في الأودية يعترض طريقها، هكذا نوبات الغضب التي يصعب السيطرة عليها تجعلها تكتسح أمامها كل من يعترض طريقها. الذين يمتلكهم السخط لا يحترمون كبار السن، ولا يهتمون بحياة الصلاح، ولا تعنيهم صلة القرابة الشديدة، ولا الإحسانات التي قدّمها لهم أناس من قبل، ولا أي شيء آخر مُكرّم.

السخط نوع من جنون قصير الأمد. وغالبًا ما يؤدي الغضبى أنفسهم في اندفاعهم نحو الانتقام، غير مُبالين بمصالحهم الشخصية. فما أن يتذكروا الذين أحزنوهم، يبدون كمن لدغهم ذباب الخيل في كل أنحاء جسمهم، فيثور سخطهم، ويقفز في داخلهم، ولا يهدأون حتى يفعلوا شيئًا يؤدي من أثارهم، وربما يتلقون هم أنفسهم الضرر، مثلما تتهشم أشياء بعنف، فيصيبها تلف بالغ أكثر من التلف الذي قد تحدثه حين تصطم بأشياء صلبة<sup>2</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## صعوبة وقف اندفاع ثورة الغضب

يقف القديس باسيليوس الكبير في دهشة وهو يتطلّع إلى الإنسان وهو في حالة هياج. إذ يفقد سماته الطبيعية كإنسان، وتتغيّر حتى ملامحه، ويصير أشبه بإنسانٍ آخر. تُرى هل تحوّل إلى وحشٍ، أو دخله شيطان غير كل كيانه؟!

<sup>1</sup> ترجمة د. جرجس كامل يوسف. *Against Those Who Are Prone to Anger*.

<sup>2</sup> ترجمة د. جرجس كامل يوسف. *Against Those Who Are Prone to Anger*.

❖ من يقدر أن يصف بدقة مثل هذا الشر؟! كيف أن سرّيعي الغضب، ما أن تتمالكهم ذريعة بالصدفة، حتى يصرخوا ويصيحوا ويهاجموا بخزي لا يقل عن خزي البهيمة أو الوحش الذي ينفث سُمًّا! مثل هذا الشخص لا يوقفه شيء حتى يقع أذى ضخم لا يمكن علاجه، وكأن فقاعة من غضب تنفجر وتغلي، تصب جامات ملتهبة بلا هوادة.

ليس حد سيف ولا نار، ولا أي شيء آخر مُروّع يمكنه أن يوقف ويحجز نفسًا مندفعة في جنون بالغضب.

لا يقدر أحد على إيقاف الممسوسين من الشياطين، هكذا لا يختلف الغضبى عنهم، لا في المظهر ولا في ميول نفوسهم. لأن الذين يتوقون إلى الانتقام يغلي الدم في قلوبهم، وكأنه يتأجج وينفث كما من نار مشتعلة هائجة. ينفجرون ويظهر غضبهم للعيان، فيبدو الإنسان الغاضب مختلفًا عن الإنسان المألوف للجميع والذي اعتاد عليه الكل، وكأنه وضع على وجهه قناع كالذي يرتديه من يقف على مسرح. والقريبون منه لا يرون في عينيه تلك التعبيرات المعتادة، لكن تبدو في نظرتهم علامات الجنون، وتتوقّد في عينيه النيران. ويسن أسنانه كخنزير برّي يخرج إلى القتال. يحتقن وجهه ويمتلئ بالدماء، ينتفخ جسمه ويثقل، وتتفجر أوعيته الدموية. تتسارع أنفاسه في وحشية، وكأن في داخله عاصفة تثور. صوته يعلو ويتهدج ويبلغ أقصى درجات الارتفاع، ولا يفهم أحد ماذا يقول، يتدفق بلا هوادة، يتسارع بلا ترتيب ولا منطق وبغير وضوح<sup>1</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## الغضب يثير كل كيان الغضوب

لا يقف الغضب عند المشاعر الداخلية، ولا اللسان، وإنما تتكرّس كل أعضاء الجسم لحساب عدو الخير. إن كان الهدوء يسند الإنسان على تكريس كل طاقاته وأعضاء جسمه لخدمة ملكوت الله، فإن الغضب يُوجّه كل طاقاته وأعضاء جسمنا لخدمة مملكة الظلمة.

إذ ينفعل الإنسان تتحرّك يداه ورجلاه وكل حركاته كمجنونٍ لأذية إخوته. لا يُبالي الإنسان بما يصيب إخوته من متاعبٍ وآلامٍ وأضرارٍ.

❖ حين يصبح الغضب خارجًا عن السيطرة، كلّهب يُغذّيه وقود غزير، يظل خاضعًا للاستفزازات، يصبح المشهد غير قابل للوصف ولا يحتمل أحد النظر إليه.

<sup>1</sup> ترجمة د. جرجس كامل يوسف. *Against Those Who Are Prone to Anger*.

فتمتد يده نحو أعز أقرابه ومعارفه ويستخدم كل أطراف جسمه في الهجوم، بينما تركل رجلاه أكثر الأعضاء حساسية وحيوية، ويصبح كل ما يقع في متناول يده سلاحًا فتاكًا من الجنون. وإنما ما وجد مثل هؤلاء الأشخاص شرًا مماثلًا من قتال ضدهم من جهة مضادة، فإن غضبًا آخر وجنونيًا مماثلًا يسخر، وتتهال الضربات من الجانبين. ويؤدي الواحد الآخر، فيشبهون أولئك الذين تحت سلطان شيطان. ويبترون أعضاء بعضهم البعض حتى الموت. هذه هي ثمار الغضب الذي يدفع هؤلاء على القتال.

يبدأ واحد بالعنف بلا سبب، فيرد عليه الآخر بالمثل، يعود فيرد عليه الأول بالأذى بدوره، ولا يرضى الآخر، فيرد بالمثل وهكذا. فيتمزق الجسد تحت وقع اللكمات، بينما يزيل الغضب كل إحساس بالألم. لأن ليس وقت لتهتم المشاعر بما تعاني منه، إذ تتحرك نفوسهم تمامًا نحو الانتقام ضد الذين أحزنوهم وآلموهم.

القديس باسيليوس الكبير

## تدريبات عملية لعلاج الغضب

يقدم لنا القديس باسيليوس تدريبات روحية عملية لمواجهة الغضب، وهي:

١. الصمت والهدوء.
٢. إيقاف الشر منذ البداية المبكرة.
٣. التواضع.
٤. الصلاة من أجل من يغضب علينا ويشتمنا.
٥. حسابان الغضب تجربة للتركيز.
٦. الاحتمال وترك الغضب يزد على من يسيء إلينا.
٧. عدم الظن بأننا أفضل ممن يسيء إلينا.
٨. حسابان الإهانة مدرسة للحكمة.
٩. حياة التسبيح.
١٠. حياة السكون.

ترجمة د. جرجس كامل يوسف. *Against Those Who Are Prone to Anger*<sup>1</sup>

## ١ . الصمت والهدوء

خطورة الغضب أنه يثير الطرف المضروب نحو رد الشر بالشر، ويتحوّل الموقف إلى معركة، بل طرف يتسابق مع الآخر في رد الشر بشرّ أكثر. لذلك فإن علاج الغضب هو الصمت حتى يراجع الإنسان نفسه، ويعطي للطرف الآخر نفس الفرصة، فيهدأ الطرفان. ليتنا متى أساء أحد إلينا، وواجهنا بالغضب، ألا نحسبه مُعلّمًا لنا، فنرد غضبه بالغضب، بل بالصمت والهدوء. ونحذر من تبرير الغضب بإلقاء اللوم على الذين يستفزوننا.

✦ اطرده ظلمة الغضوب الذي تراه بصمتك، وتعود تقتني الفرح في قلبك، والسلام في الإخوة والأخوات الذين يشبهونك في الفكر، والغيرة والاهتمام بحفظ كنائس الرب<sup>١</sup>.

✦ لا تُعالجوا الشر بالشر، ولا تحاولوا أن يغلب بعضكم البعض، في مثل هذه الأمور. لأنه في التناحر على الفوز بالغلبة بالشر، يكون الغالب دائمًا شقيًا بائسًا، إذ يرحل ومعه خطيته الأعظم. لهذا لا يصبح ذاك الذي يُجازي عن شرّ بشرّ كاملاً... أوقف الشر بالصمت! لكنك حين تستقبل في قلبك عاصفة غضب هذا الشخص، تقتدي بالريح، فتضرب ما لفحك بضربة مضادة. لا تستخدم عدوك كمُعَلِّمٍ، فيما تكرهه! لا تحاكيه في ذلك. لا تكن إن جاز التعبير، مرآة للمندفع بالغضب، مُظهرًا نفس الشكل في داخلك مثله.

لقد احمرّ لونه؛ أتريد أن يشبه لونك أنت لون الخمر؟ عيناها حمراوان كجمر النار<sup>٢</sup>.

✦ العفيف في الرغبة في الكرامة هو أيضًا متواضع. والعفيف في الغنى قانع، ويحقّق قياس الإنجيل في الفقر. الذي يتحكّم في السخط والغضب هو لطيف. بالحق ملاحظة العفة الحقيقية تضبط اللسان وتضع حدًا للعينين وتطهر الأذنين من سماع النميمة بحب استطلاع. أما من لا يحفظ هذا كله فإنه ليس بعفيف بل جامع<sup>٣</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## ٢ . إيقاف الشر منذ البداية المُبكرة

متى رفع إنسان صوته في الصحراء، يسمع صدى الصوت راجعًا إليه. ما يفعله الغضب هو أكثر من ذلك، إذ يرتد الغضب بغضبٍ أشد من الطرف الثاني.

يُقَدِّم لنا القديس باسيليوس من دورة الغضب؛ إذ كثيرًا ما تتحوّل مشاعر الغضب الداخلية إلى

<sup>1</sup> Letter 65 to Atorbius.

<sup>2</sup> Against Those Who Are Prone to Anger. ترجمة د. جرجس كامل يوسف.

<sup>3</sup> Reg. Fus. 16:3.



صراعٍ وشجارٍ، والشجار يُؤلِّدُ أخطاءً، والأخطاء تدفع إلى الضرب، والضرب يُسبِّبُ جراحاتٍ، والجراحات قد تدفع إلى الموت.

توقَّف الغضب في مراحله الأولى المُبَكِّرة أسهل بكثير من توقُّفه في مراحله المتأخرة.

كيف توقَّف الغضب في بدء مراحله؟

تَذَكَّر أن ما يهينك به شخص ما في الواقع ليس إهانة، لأن إبراهيم أب الآباء، قال عن نفسه إنه تراب ورماد، وداود حسب نفسه دودة لا إنسان.

لانتشبه بموسى الذي أساء إليه هرون ومريم، فعوض التفكير في الإهانة التي لحقت به، صلَّى لأجلهما.

❖ أخبرني، هل يبدو الهدوء على محيّاك؟ صوته متهدج، فهل صوتك أنت رقيق؟

فإن صدى الصوت في الصحراء لا يفعل مثلما يفعل من يرد على المسيء إليه. بالعكس فإن الصدى لا يرد إلا على الكلمة بكلمة مثلها، بينما الذي يُصارع الآخر يرد عليه بكلمات أخرى إضافية. لأنه ما هي طبيعة الكلام الذي يقوله المتشاحنون سويًا؟

يقول أحدهما للآخر إنه شخص تافه ابن تافه، فيرد عليه الآخر أنه عبد ابن عبد.

يقول أحدهما: إنه عامل مستكين، فيقول الآخر: يا متشرد!

يقول واحد: يا أحمق، فيرد الآخر يا مجنون.

وهكذا يتبادلون الإساءات فيما بينهما كالسهام المرتدة. هذه هي شتائم اللسان التي تتسارع، ثم لا يلبث أن يحل بينهما الانتقام من خلال الأفعال. لأن السخط يؤلِّد الصراع والشجار، والشجار يؤلِّد الخطأ، والخطأ يؤلِّد ضربات، والضربات تؤلِّد جراحات، والجراحات غالبًا ما تؤدي إلى الوفاة.

هكذا فلنوقف الشر منذ البداية مُبَكِّرًا جدًا! لنزيل الغضب من نفوسنا، بكل جهدٍ ممكن.

لأننا بهذا نستطيع أن نستأصل الكثير من الشرور مع الأهواء، فالشرّ نوع من الجذور، ونوع من المنابع.<sup>1</sup>

القديس باسيليوس الكبير

٣. التواضع

فلنتذكَّر دائمًا أننا تراب ورماد؛ فلسنا أعظم من أبينا إبراهيم الذي دعا نفسه بهذه الأشياء ولا أفضل من داود الذي قال إنه دودة.

<sup>1</sup> ترجمة د. جرجس كامل يوسف. *Against Those Who Are Prone to Anger*

❖ هل بصق عليك، واعتبرك نكرة؟ تَقَبَّلْ هذا الفكر عنه، أنك مأخوذ من تراب الأرض، وأنت إلى الأرض والتراب تعود (تك ٣ : ١٩). من يُطَبَّق هذا الفكر على نفسه أصلاً ومن قبله، يجد أن كل تحقير له هو أقل من الحقيقة. بهذا في الحقيقة لا تُعطي لعدوك أية فرصة للانتقام، فتُظهِر له أنك لا تعصف بك الإساءة. فتثمر لنفسك إكليلاً عظيماً للمثابرة، جاعلاً جنون الآخر نقطة البدء لحكمتك. لهذا إن كنت تتصت إلى غضبه، فستضيف بإرادتك مزيداً من الإهانات لذاتك.

هل يقول لك إنك تافه عديم النفع، ومن طبقة متدنية، ولا شيء على الإطلاق؟ فإنك أنت بذاتك تقول عن نفسك إنك تراب ورماد. أنت لست أعظم من أبينا إبراهيم، الذي دعا نفسه بهذه الأشياء (تك ١٨ : ٢٧).

هل يدعوك أحمق ومتسوِّلاً لا تستحق شيئاً؟ قل إنك أنت نفسك "دودة" (مز ٢٣ : ٦)، ومولود من حماة "كومة روث"، مثلما قال داود.<sup>١</sup>

**القديس باسيليوس الكبير**

٤ . الصلاة من أجل من يغضب علينا ويشتِمنا

فلنتعلَّم من موسى النبي الذي كان حليماً جداً أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض (عد ١٢ : ٣)، الذي عندما أساء إليه هرون ومريم لم يسمح للغضب أن يتسلَّل إلى قلبه بل صلَّى إلى الله لأجلهما.

❖ أضف أيضاً إلى تلك الأمثلة (أي إبراهيم وداود) صلاح موسى. فحين أساء إليه هرون ومريم، لم يتهمهما أمام الله، بل صلَّى لأجلهما (عد ١٢ : ١). ألا تريد أن تكون تلميذاً لمثل هؤلاء، الذين هم أصدقاء الله ومُطَوَّبُونَ، وليس بالحري مثل هؤلاء المملوعين بروح الشر؟<sup>٢</sup>

**القديس باسيليوس الكبير**

٥ . حسابان الغضب تجربة للتزكية

يُقَدِّم لنا القديس باسيليوس تدريباً خامساً لصدِّ الغضب في بدء مراحلته، وهو اعتبار ما حلَّ بك من إهانات هو بسماح من الله لأجل تزكيتك. هذا وَضَع في اعتبارك أن مقابلة هجومه بالهدوء وأحب هو درس عملي للخصم كي يرى فيك مُعلِّماً صالحاً.

❖ حين تثور فيك تجربة لإساءة وُجِّهت إليك، اعتبر أنك إنما تُمْتَحَن، إما من خلال الاحتمال وطول الأناة لتكون قريباً من الله، أو من خلال الغضب لتهرع إلى الخصم العدو. أعطِ لأفكارك

<sup>1</sup> ترجمة د. جرجس كامل يوسف. *Against Those Who Are Prone to Anger*.

<sup>2</sup> ترجمة د. جرجس كامل يوسف. *Against Those Who Are Prone to Anger*.

فرصة الاختيار، لتختار الوضع الأفضل. لأن بوداعتك تعطي هذا الشخص مثلاً فتستخدمه أو أن تُعاقبه عقاباً أشد بتجاهل إساءاته تماماً. لأنه أي شيء أفسى على عدوك من أن يرى من يُعاديهِ يترَفَع فوق الإهانات؟

لا تتقلب على هدفاك الشخصي، ولا تظهر أمام خصمك كمن يتأثر بإهاناته<sup>1</sup>.

**القديس باسيليوس الكبير**

**٦. الاحتمال وترك الغضب يرتد على من يُسيء إلينا**

يليق بنا حين يُسيء إنسان إلينا، ألا نتسرّع فنغضب عليه، إنما في هدوءٍ ندرس الموقف. نرى هذا الإنسان لم يُسيء إلينا بل إلى نفسه.

بغضبه يكشف عن ضيق أفقه، وباحتمالنا له نُعلن عن اتساع صدرنا!

بغضبه يثور ويهيج، وباحتمالنا نكشف عن وداعتنا وطول أناتنا.

بغضبه يكذب بكلماته المملوءة ثورة، وباحتمالنا نلتزم بالحق والصلاح!

في اختصار من يثور علينا، إنما يؤذي نفسه لا أنفسنا!

❖ فليصرخ (لينبح) في وجهك، دون أن يكون له أي تأثير عليك! فلينفجر أمامك غاضباً، وليرتد غضبه عليه! لأن من يضرب شخصاً لا يدرك بأن الانتقام يرتد ضده، إذ يرى عدوه لا يهتز ولا يرد عليه...

أيضاً وفوق ذلك، وفي هذه الظروف، ما هي الصفات التي يوصف بها كل منكما؟

هو مُسيء إليك، وأنت واسع الصدر!

هو يهيج غضباً، ومن الصعب أن يحتمل، وأنت طويل الأناة ووديع!

هو يكذب في أمور قالها، وأنت لا تكف أبداً عن عمل الصلاح!<sup>2</sup>

**القديس باسيليوس الكبير**

**٧. عدم الظن بأننا أفضل ممن يُسيء إلينا**

لا يليق أن يظن الإنسان في نفسه أنه أعظم ممن يُسيء إليه، أو أن الذي يُسيء إليه أدنى

منه. الكبرياء يُثير الغضب، والتواضع يقودنا إلى نعمة الوداعة والهدوء الداخلي.

❖ انزع عن نفسك هذين الموقفين: ألا تعتبر نفسك جديراً بعظائم الأمور. وألا تعتبر الآخرين أدنى

منك في الاستحقاق والتقدير. حينئذ لا يثور غضبك على أحد بسبب إهانات قد تلحق بك.

<sup>1</sup> ترجمة د. جرجس كامل يوسف. *Against Those Who Are Prone to Anger*.

<sup>2</sup> *Against Those Who Are Prone to Anger (Frs. Of the Church, volume 9, Homily 10)*.

ترجمة د. جرجس كامل يوسف.

من الأمور التي تزعج الشخص الذي انتفع بأعمال صالحة، وأصبح مدينًا لنعم كثيرة عظيمة أن يكون جاحدًا، وفوق ذلك أن يبدأ في توجيه الإهانات والتحقيقات للآخر. إنه لأمر أكثر إزعاجًا لمن يفعله هذا ضد شخص آخر أكثر من الذي يُعاني من هذا الشر. دَعُه يهينك، لكن لا ترد الإهانات له<sup>1</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

#### ٨. حسابان الإهانة مدرسة للحكمة

نحسب إهانات الآخرين لنا مدرسة للتدريب على الحكمة، أمّا المعلم في هذه المدرسة، فهو العقل المُقدَّس بعمل نعمة الله.

لا نسمح لأعماقنا أن تثور ضد المُعلِّم، أي ضد العقل المُقدَّس بالرب. إنه يُشبِّهنا بتلاميذ أبلغالٍ يحترمون مُعلِّمهم، وبنجودٍ يخضعون لقائدهم العسكري، وكالحديد الذي يتشكَّل بالطَّرْق عليه.

❖ دَع ما يُقال لك يصير مدرسة رياضية لتدريبك على الحكمة. وأنت إن لم تضرب لن تُجرح. ولكن إن كنت تعاني فعلاً من شيءٍ ما في نفسك، احتفظ بما يسبب لك الألم في داخلك. يقول المُرْتَل "تحير قلبي في داخلي" (مز ١٤٣: ٤). أي أنه لم يدع الغضب يخرج خارجًا، بل هدَّاه في داخله، كموجة تنكسر عند الشاطئ.

لتهدأوا لأجل قلبكم الهائج النَّائر. دعوا انفعالكم يحترم وجود العقل فيكم، مثلما يفعل طفل غير منظم عند حضور إنسانٍ محترم<sup>2</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

#### ٩. حياة التسبيح

يُقَدِّم لنا القديس تربيًا عمليًا هامًا لطردهم الغضب من أعماق نفوسنا ألا وهو الترنُّم بالمزامير بشرح وتهليل. إن كان الغضب يفسد البصيرة الداخلية، فالتسبيح يُنير النفس لتتعرَّف على الحق الإلهي وإنجيل المسيح المُفرح.

إن كان الغضب يُفقد الإنسان طبيعته البشرية الصالحة ليتحوَّل إلى حيوانٍ مفترسٍ، فإن التسبيح يرفع المؤمن إلى ممارسة العمل الملائكي ليختبر السلام السماوي والفرح الحقيقي الداخلي!

❖ المزامير هي غناء منظوم يُقَدِّم فيها الحق (الإنجيلي) لصغار السن وصغار النفوس.

<sup>1</sup> ترجمة د. جرجس كامل يوسف. *Against Those Who Are Prone to Anger*.

<sup>2</sup> ترجمة د. جرجس كامل يوسف. *Against Those Who Are Prone to Anger*.



إن كان الإنسان ينسى سريعًا كلمات الوعظ والنبوة، إلا أنه لا ينسى المزامير التي يُردِّدها كثيرًا، في البيت، وفي الخارج. نرتيل المزامير يطرد الغضب، الذي يجعل من الإنسان حيوانًا مفترسًا، ويسرق منه سلامه، ويمسكه بالثورة<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## ١٠. حياة السكون

مرة أخرى يُقدِّم لنا القديس تدريبًا عمليًا للخلاص من روح الغضب، ألا وهو اعتزال الضوضاء الخارجية، والجلوس في هدوء تحت قيادة روح الله القدوس. يُنير الروح النفس فتكتشف إمكاناتها في الرب بكونها هيكله القدوس فتمتلئ بهجة ورجاء مع التهليل بعطايا الرب. وفي نفس الوقت تدرك ضعفاتها وسقطاتها، فترجع إلى الرب قابل الخطة، ومُنقذ النفوس من الفساد.

هذا هو ما ندعوه بالتوبة والاعتراف، حيث ندرك عظام الله وضعفاتها. فلا نسقط في الكبرياء بسبب ما نلناه من عطايا، ولا نتحطم نفوسنا بسبب سقطاتنا.

هذا ما دفع القديس إلى الاهتمام بالحديث عن "اعرف نفسك" أو "احترز لنفسك"، وكأنه يدعونا إلى معرفة الساكن في نفوسنا مع اعترافنا بضعفاتها.

❖ لإدراك عظام الله، فليشترك (الإنسان) إذن مع خورس الودعاء في شركة، حتى يشتركوا جميعًا في هذا العمل.

انفصال النفس عن الضوضاء الخارجية، يضيء على مذبج القلب هدوءًا خفيًا، فيهب ذاته

لتأمل الحق.

إذا استمعت لمن يُقرّ بخطيئته تجده يقول: "تعكرت من الغضب عيناى" (مز ٦ : ٨ LXX)، ليس الغضب فقط بل والرغبات الشريرة والمجد الباطل والغيرة التي تظلم عين القلب. وبصفة عامة، جميع الشهوات تظلم النفس وتميزها عن غيرها. فالعين المُتعبة لا تستطيع أن ترى بوضوح، كذلك القلب الهائج لا يمكن أن يتأمل في الحق. ينبغي إذن الابتعاد عن التركيز في أعمال العالم، وغلق القلب أمام كل فكرٍ غريبٍ، كذلك العين والأذن وكل الحواس، فالحروب التي تتولد من كبرياء الجسد، تملأ نفوسنا الداخلية من الضوضاء المستديمة والانقسامات عديمة الشفاء<sup>٢</sup>.

<sup>١</sup> عظة على المزامير: الفصل الأول، الأب إلياس كويتز المخلصي.

<sup>٢</sup> عظة على المزمور ٣٤

✦ إن احتزرت لنفسك، تكبح غضبك مثلما تلجم مَهْرًا عنيْدًا مُتمرّدًا، تضربه بقبضة من العقل كما بسوطٍ. وتستطيع أيضًا ضبط لسانك فلا تلقي الأيادي على من يستفزونك<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## بالغضب نفقد ملكوت السماوات

كثيرًا ما نُبرّر غضبنا، بأن الطرف الآخر هو الذي بدأ بالإثارة، وأن غضبنا إنما هو ردّ فعل طبيعي لإساءة الغير لنا.

ما يشغلنا في رحلة حياتنا على الأرض هو نوال المكافأة الأبدية، أي التمتع بالحضن الإلهي، أو بالملكوت السماوي. إن كان الآخر أخطأ، فإن اقتداءنا به يفقدنا الملكوت، ونُحسب قد خسرنا المعركة.

حتى في المصارعة في العالم، ما يشغل المصارع ليس كيف بدأ بالغلبة والنصرة، وإنما ما هي نهاية الجولة. فإن كان الغير بدأ بالغضب، غير أننا أنهينا جولة المصارعة بالهزيمة خلال غضبنا عليه!

عوض أن ندين الغير أنه بدأ بالغضب، فلندين أنفسنا أننا أنهينا الجولة بالسقوط أمام الغضب!

✦ لماذا يلزمني أن أتحدث كثيرًا؟ فإن الشتيمة تحرم المرء من ملكوت السماوات، "لأن الشتامين لا يرثون ملكوت الله" (١ كو ٦ : ١٠). فإن صمتك يتحطّم حين تنتقم وتتناهض الإساءة (الشتيمة) بشتيمة مثلها، فماذا تقول دفاعًا عن نفسك؟

هل يكفي القول إنه قد استفزك؟

وهل هو مستحق للسماح (لمغفرة)؟ لأن الزاني الذي يضع اللوم على رفيقته، على أساس أنها هي التي أغوته لينزلق في الخطية، هو أيضًا مستحق الإدانة.

ليست هناك أكاليل بدون مقاومين، ولا هزائم بدون خصوم. اسمعوا داود، إنه يقول: "حين يقف الخاطيء ضدي" ليس "أنه يُستفز" أو "ينتقم"، بل "أسكت وأتواضع، وأصمت عن الصالحات" (راجع مز ٣٨ : ٢-٣ LXX).

لكنك تُستفز من الإساءة (الشتيمة)، لأنك تعتبرها شيئًا فظًا ضدك وسيئًا ومهينًا وشديد الوطأة، ومع ذلك فأنت تفعل نفس الشيء حين ترد الإهانة. بهذا يمتلكك نفس الشعور الذي تدينه.

<sup>١</sup> عظة على الكلمات "احتزرت لنفسك..." (تث ١٥ : ٩)، ترجمة د. جرجس كامل يوسف.

هل تشتاق أن تتطلع إلى شر الآخر؟ أم أنك تعتبر مسلك هذا المسكين كلا شيء؟  
هل الإهانات شريرة؟ اهرب من تقليدها. لأن حقيقة أن الآخر هو الذي بدأها، ليس عذراً  
لك.

أظن أنه من العدل حتى وإن كانت مضايقتك لك أشد، فإنه لا يكون مثلاً لضبط النفس.  
ولكنك، إذ ترى قبح منظر الإنسان الغضوب، ألا تحرس نفسك ضد التشبُّه به؟  
إنك تتضايق وتزعج وتغضب بدورك مثله، وتعطي لمشاعرك عذراً لأنه بدأ الإساءة. إنك  
بالأمور التي تفعلها أنت نفسك، إنما تحرره من الذنب، وتدين نفسك.

إن كان الغضب شراً، فلماذا لا تهرب أنت من هذا الشر؟

إن كان جديراً بالمغفرة والمسامحة، فلماذا تتضايق من الشخص السيئ المزاج والعصبي؟  
هكذا، إن كنت التالي في غضبك، فترد على الإساءة بمثها، فهذه ليست ميزة تَنَمَّعُ بها.  
لأنه في مباريات المصارعة، لا يُكَلَّلُ من يتحرك أولاً في الحلبة، بل من ينتصر في النهاية.  
ومن ثمَّ، فإن من يُحاكي شيئاً مزعجاً، ليس هو فقط المُدَان، بل يُدَان أيضاً الذي يتبع قائداً شريراً  
في طريق الخطية<sup>1</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## حطّم سهام الغضب بالمسيح الوديع!

يليق بالمؤمن أن يواجه غضب الشرير باللين المقدس. فإن كان عدو الخير يثيره ضدك،  
فيتهمك بالفقر، فعوض الثروة عليه، اقتن الغني الذي بفقره يغنيك!  
إن أثاره العدو، فاتهمك بالحماسة والغباوة، التصق بالسيد المسيح "حكمة الله" الذي من أجلك  
أُتهم بالحماسة والغباوة، لكي تصير به بالحق حكيماً!

❖ لنفترض أنه يدعوك عاملاً فقيراً، فإن كان يتكلم بالصدق اعترف بالحقيقة، وإن كان يكذب، فما  
هي قيمة كلماته بالنسبة لك؟

في الحالتين لا تنتفخ بخداع المديح الذي يتجاوز الحقيقة، ولا تتهزم وتحزن من جراء  
الإهانات التي تلحق بك. ألا ترى كيف أن السهام تخترق بشكلٍ طبيعي الأشياء الجامدة والصلبة  
وتضعف قوتها أمام الأشياء الطرية واللينة؟ اعتبر أنت أن طبيعة الإساءة هي بهذا الشكل. فإن  
من يقاومها يتلقاها في نفسه، ومن يلين أمامها وينسحب، تنوب هي بسبب رقته، وينصهر الشر  
الموجّه إليه حينذاك.

<sup>1</sup> Against Those Who Are Prone to Anger (Frs. Of the Church, volume 9, Homily 10).

ترجمة د. جرجس كامل يوسف.

لكن لماذا تتضايق من كلمة "فقير" أو "مسكين"؟ تذكر طبيعتك الذاتية: إنك أتيت إلى العالم عرياناً، وسوف تتركه عرياناً (أي ١ : ٢١). هل هناك أفقر من العريان؟ أنت إذن لم تسمع شيئاً مُزعجاً، إذا عرفت أن ما يقال لك هو من طبيعتك. هل سمعت أبداً عن فقير اقتادوه إلى السجن، لأنه فقير؟ أن تكون مسكيناً، هذا ليس عاراً، لكن من الخزي ألا تحتمل فقرك في شرف وعزة نفس. تذكر السيد الرب الذي "وهو غني، قد افتقر لأجلنا" (٢ كو ٨ : ٩).

وإن دُعيت أحمق وغيبياً، تذكر إهانات اليهود التي بها شتم "الحكمة"، قالوا له: "أنت سامري وبك شيطان؟" (يو ٨ : ٤٨). لهذا، إذا سلكت في غضب، فقد صدقت على التوبيخات، لأنه أي شيء أكثر حماقة من الغضب؟ إن بقيت بلا غضب، تُخزي من يهينك، مُظهراً ضبط النفس بأفعالك<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

نشبه برّبك وخدمه!

يليق بنا كأعضاء في جسد المسيح أن نسلك ببرّه، نحمله فينا ونقتدي به، فما حلّ بنا لا يُقارن بما حلّ به. قد نقول إنه هو الرب القادر على الاحتمال، فلنتطّلع إلى خادمه داود النبي والملك، وهو في ظل العهد القديم واجه عنف الأشرار وإهاناتهم له بتوبته، حاسباً أن ما حلّ به هو بسماح من الله لأجل بنيانه الروحي.

❖ هل ضربت أو لطمت؟ هكذا أيضاً لطم الرب.

هل بصقوا عليك؟ هكذا أيضاً كان سيدنا. لأنه لم يرد وجهه عن خزي البصاق (إش ٥٠ : ٦).  
هل اتهموك زوراً؟ هكذا اتهموه هو أيضاً.

هل مزقوا ثوبك؟ هكذا أيضاً قد عرّوا ربّي، وعلى ثيابه ألقوا قرعة فيما بينهم (مت ٢٧ : ٣١، ٣٥).

أنت لم يذلّك أحد بعد، ولم يصلبك أحد بعد. إن أشياء كثيرة تنقصك، إن كنت تحاول هزيمة (الشرير) بتقليدك للرب.

فلينشغل ذهنك بكل هذه الأمور. دعها تحجز عنك النيران، لأننا بتجهيزنا واستعدادنا لتقويم نفوسنا مسبقاً من خلال مثل هذه التأمّلات، نتوقّف كغافرين للآخرين وتسرع قلوبنا، وتحجز أفكارنا، لتثبت وتهدأ. هذا أيضاً ما قاله داود، "مستعد أنا، ولست مضطرباً" (راجع مز ١١٩ : ٦٠ LXX).

<sup>١</sup> ترجمة د. جرجس كامل يوسف. *Against Those Who Are Prone to Anger*



وهكذا، من الضروري أن ندجز حركة النفس الهائجة المضروبة بالغضب، وذلك بتذكّر أمثلة الرجال المباركين: كيف في وداعة يحتمل العظيم داود عنف شمعي. لأنه لم يُعطِ فرصة لحركة الغضب فيه، بل إذ أعاد توجيه أفكاره نحو الله، قال: "الرب قال لشمعي: سبّ داود" (٢ صم ١٦ : ١٠). لهذا حين سمع عن نفسه أنه يُدعى رجل دماء، وإنسان وضيع (حقير)، لم يغضب بل تواضع، حاسبًا أنه يستحق الإهانات<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## كيف نهرب من ضرر الغضب ونفسح الطريق له؟

❖ كيف، إذن، نهرب من الضرر الناجم عن الغضب؟ يمكننا أن نُهدئ من الغضب لنمنعه من الخروج قبل إمعان الفكر، ولنهتّم قبلاً ألا يثور على العقل، فأنحفظه كخيلٍ تحت نير، يضبط العقل وكأنه سرج له، فلا يخرج من مكانه المُحدّد، بل ينقاد بالعقل حيث يقوده.

أيضًا فإن ملكة النفس في حدة الانفعال نافعة لنا في العديد من أعمال الفضيلة. مثل جندي قد وضع كل أسلحته تحت وصاية قائده، سرعان ما تقدّم بالمساعدة عند تلقّي الأوامر، ربما يتحالف مع العقل ضد الخطية، لأن الانفعال *temper* عصب النفس وقوتها، يُثمر نشاطًا فيها لإتمام الصالحات. وحين تسترضي النفس بسبب الملذّات، ومثلما يتقسّى الحديد بالطرق، فإن ملكة الانفعال هذه تقودها من حالة اللين والتراخي إلى حالة الصلابة والإقدام<sup>٢</sup>.

❖ سؤال: كيف يمكن للشخص تجنّب إفساح الطريق للغضب؟

الإجابة: إن كان أحد يعتبر على الدوام أن الله يُراقب الكل، وأن الرب الحاضر ينظر، بالحقيقة عندما يفعل أمر ما أمام عيني الحاكم، هل يمكن عمل ما لا يسره؟ إن كان عوضًا عن أن يتوقّع الشخص أن الآخرين يخضعون له، يهيئ نفسه أن يطيع هو الآخرين، بهذا يحسب الكل أفضل منه (في ٢ : ٣).

إن طلب الإذعان لسد احتياجه ولمنفعته، فليعلم أن كلمة الله تُعلم كل واحد منا أن يتنازل ويخدم الآخرين (مت ٢٠ : ٢٦-٢٧؛ مر ٩ : ٣٥؛ لو ٢٢ : ٢٦-٢٧).

وإن أراد إصلاح عصيان (أحد) لوصايا الرب، فالحاجة ليس إلى الغضب، بل إلى الحنو واللفظ، وذلك مثل ذاك القائل: "من يضعف، وأنا لا أضعف"؟ (٢ كو ١١ : ٢٠)<sup>٣</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>١</sup> ترجمة د. جرجس كامل يوسف. *Against Those Who Are Prone to Anger*.

<sup>٢</sup> ترجمة د. جرجس كامل يوسف. *Against Those Who Are Prone to Anger*.

<sup>٣</sup> *Regulae brevius tractatae*, 29.

## مارس سُلطانك في الرب!

في حديث القديس عن خِلقَة الإنسان يدعونا إلى التمسُّك بعطايا الله لنا. لقد أعطى الإنسان سُلطانًا على الحيوانات والطيور والأسماك ... الخ (تك ١ : ٢٦). وما نحن نرى الإنسان يُروِّض الوحوش المفترسة، فبالأولى أن يُروِّض بنعمة الله الوحوش التي في داخله من شهوات وغضب وكبرياء ... الخ. لنثق في إلهنا، عوض أن نلوم خالقنا بأننا بطبيعتنا عاطفيون أو سريعو الانفعال والغضب.

❖ بالحق، لديك آلاف الوحوش، جمع عظيم من الحيوانات داخل نفسك، ولكن لا تعتبر هذا الكلام ازدراء بك. الغضب هو وحش صغير عندما ينبح في القلب. أليس هذا أكثر وحشيَّة من أي كلب؟...

ف عندما تتحكَّم في الحيوانات الخارجِيَّة ولا تترك الداخليَّة دون سيطرة، تكون قد صرت مُتسلِّطًا على الحيوانات. هل ستتسلط حقًا بعقلك على الأسد وتزدرى بزئيره، بينما تصر على أسنانك مُصدِرًا أصواتًا غير واضحة عندما ينفجر كل غضبك الداخلي مرة واحدة؟ ما هو أكثر خطرًا من هذا: عندما يُقتاد الإنسان بواسطة الشهوة، عندما يطرح الغضبُ العقلَ خارجًا ويتحكَّم في النفس؟

بالحق لقد خُلِقَت مُتسلِّطًا وسيِّدًا على شهواتك، مُتسلِّطًا على الحيوانات والزحافات والطيور. لا يكن لك أفكار خياليَّة، ولا يكن عقلك طائشًا ومتزعزعًا. قد عُيِّنت لتكون مُتسلِّطًا على الطيور. فإذا كنت تصطاد الحيوانات التي لا تطير، فأنت بذلك خارج منزلتك. لا تنتفخ، لا تتعجرف ولا تُفكِّر في الأمور التي تفوق قدرة الطبيعة البشريَّة الإنسانيَّة. لا تنتفخ بالمدح، لا تذهب أعلى من القدرة البشريَّة، لا تُعظِّم ذاتك، ولا تعتبر نفسك شيئًا عظيمًا. لأنك بذلك ستكون طائرًا غير مستقرٍّ تُحرِّكه طبيعته غير الثابتة!

❖ تسلِّط على الأفكار داخل نفسك، حتى تصبح مُتسلِّطًا على كل الكائنات. وهكذا فسُلطان التسلُّط على الحيوانات الذي أخذناه يقودنا للتحكُّم في أنفسنا. فمن غير اللائق للإنسان الذي يسود على بيته ويحكم شعوبًا ويرأس مدينة أن تُسيطر عليه زانية. إنه من الضروري أن تُرتَّب أمور المنزل جيدًا، وأن تُرتَّب أعماله الخاصة بدقة كي ما يتقلَّد زمام السُلطة على الآخرين.

يقول الكتاب: "أيها الطبيب اشفِ نفسك!" (لو ٤ : ٢٣) فلنشفِ أنفسنا أولاً. لا نجد أحدًا أدين لأنه لم يصطد أسدًا، لكن الذي لا يسيطر على غضبه، فهو أضحوكة للكل.

الذي لا يسود على شهواته بَدَان، بيد أن الذي لا يسود على الحيوانات المتوحشة لن يكون مستوجباً لأي لوم<sup>١</sup>.

❖ هل أنت عنيف وسريع الانفعال؟ من أين يأتيك الغضب؟ أمن الخزي؟ ألم تستطع أن تصغي إلى كشف ضالة تكوينك؟ هل استشاط الغضب فيك في الحال؟ هل تُباري في قول شيءٍ أسوأ مما سمعته؟ اطرح نظرك ودع الغضب يكف عنك. انظر إلى الأرض، وأدخلها إلى قلبك. فالإنسان أكثر نبلاً من الأرض التي تطأها قدماه. لأنني، بعد أن فهمت طبيعتي، أدرك من أكون، ومن أين أتيت. ولكن التذكُّر بأننا قد خُلِقنا من الأرض لا يسمح لغضبنا أن يثور أبداً. فليت الأرض بتواجدها وبتذكُّرها الدائمين تكون حليفة للعقل.

عندما تركض في الأرض بدافع الطمع، تذكُّر في قلبك كيف جُبلت. فكّر أنك ستتحل في الأرض، وسيتوقَّف جنون الشهوة "لأنك تراب وإلى ترابٍ تعود" (تك ٣: ١٩). تذكُّر أن أعضاءك التي تنبض بالحياة الآن ستتعثَّن في الأرض عما قريب، وستتلاشى شهوات الجسد. تذكُّر طبيعتك حتى ينقطع عنك كل اندفاع نحو الشر. ليت هذا التذكُّر يكون حماية لنا ضد كل خطيئة. "وجبَل الربُّ الإله آدم تراباً من الأرض". عظيم هو التواضع الذي يُدكِّرنا بطبيعتنا. إذا كان قد قيل: إن الله جبَل الإنسان سمائياً، متى كنا ننظر ذاك الشيء الذي يُدكِّرنا بطبيعتنا؟ ليتنا نضع تذكُّر عدمنا وفناءنا نصب أعيننا وأن يكون تحت أقدامنا. انحنِ نحو الأرض، وادرك أنك جُبلت من الأرض ومن شيء تطأه الأقدام<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## ترفُّق بأخيك الغضوب

يليق بالمؤمن خلال محبته لخلاص كل البشرية أن يتطلَّع إلى من يُسيء إليه كمريضٍ يحتاج إلى الحب والحنو واللطف والهدوء كأدوية لمساندته على خلاص نفسه. بنفس الروح يدعونا القديس أغسطينوس إلى التطلُّع نحو من يُسيء إلينا كابنٍ صغيرٍ مُصاب بحمى، نترفُّق به ولا نتضايق منه، بل نحتضنه حتى يُشفى من الحمى.

❖ يجب أن يُعامل فاعل الشر كما بواسطة طبيب الذي لا يغضب على المريض، وإنما يحارب المرض. هكذا تُهاجم الرنيلة، ويُصلح من ضعف النفس... كمثال يُصلح الكبرياء بالمطالبة

<sup>١</sup> في خلق الإنسان (١)، ترجمة: ريمون يوسف مترجم بالجمعية اليونانية بالقاهرة.

<sup>٢</sup> في خلق الإنسان (٢)، ترجمة: ريمون يوسف مترجم بالجمعية اليونانية بالقاهرة.



بممارسة التواضع. والكلام الباطل بالصمت، والكسل بالعمل، والشراة بالامتناع عن الطعام، والتذمر بالاعتزال من جماعة الإخوة<sup>1</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## الغضب المقدس ملكة صالحة

الغرائز هي عطية من الله صانع الخيرات. وكل ما وهبنا هو صالح، لكننا بشرنا حوّلنا ما هو صالح ليصير شريراً. فالغضب عطية عظيمة بدونها لا نقدر أن نحارب عدو الخير، الشيطان، ونحارب الخطية، لكننا وجّهنا هذه البذار الجميلة توجيهاً شريراً، فصرنا نغضب على إخواننا، لا على العدو.

قد عرض القديس غريغوريوس أسقف نيصص في شرحه لمثل صاحب الحقل الذي زرع الحنطة، وفي الليل جاء العدو وزرع زواناً، فلما نميا معاً طلب الحصادون أن ينزعوا الزوان، فأمرهم صاحب الحقل أن يتركاها ينميان معاً حتى وقت الحصاد، لئلاً إذا اقتلعوا الزوان ينتزعون الحنطة معه. وقد شرح ذلك في ثوب رمزي، فقال: الحقل هو النفس التي كثيراً ما نطلب من الله أن ينزع منها المحبة والغضب، بسبب استخدامنا لها استخداماً شريراً، فإن نزعنا هذه فقدت النفس جمالها<sup>2</sup>.

❖ إن لم يهب انفعالك (غضبك) ضد الشرير، لن تقوى على كراهيته بالقدر الذي يستحقه، لأنني أعتقد أن من الضروري أن تتوفر لديك غيرة لحبّ الفضيلة مساوية لكراهية الشر. لهذا كله، فإن الانفعال نافع. فيكون مثل كلب يرافق راعياً، فإنه يتبع ملكة العقل جيداً. وبظل رقيقاً وأيضاً مع الذين يساعدونه أو يربونه، ومتاحاً لهم في أي وقت ينادونه فيه، بينما هو نفسه يصبح متوحشاً أمام الوجه أو الصوت القوي، حتى وإن كان يبدو كمن يؤدي خدمة. لكنه يركع ويخضع حين يناديه صوت مألوف له من صديق أو رفيق.

إن التعاون القائم بين ملكة الانفعال مع الجزء العاقل والحسين من النفس، راقٍ وسامٍ ولائق. لأن مثل هذا الشخص لا يتصالح ولا يهادن الأمور التي تخطط ضده. فلا يقبل أن يُغرم بما هو ضار، ولكن كذئب ينبح ويعوي ويمزق أية لذة مقترحة إلى أشلاء. تلك هي حقاً منفعة الانفعال لمن يعرفون كيف يتعاملون معها.

وحسب الطريقة التي تستخدمها به، فإن أية ملكة أخرى قد تصبح شريرة أو صالحة لمن يمتلكها. فبالنسبة لملكة الشهوة في النفس فإن من يستعملها للذة الجسد واستهلاك الملذات النجسة تكون مقززة ومنفرة. بينما من يحوّلها إلى محبة الله والشوق إلى الأبديات، تكون محل

<sup>1</sup> Reg. Fus. 51.

<sup>2</sup> للمؤلف: الحب الأخوي: ، ٢٠٠٤، ص ٤١١



حسد الآخرين ومباركة. أيضًا فإن كل من يوظف ملكة العقلانية حسنًا فهو حكيم ونكي، بينما من يُسخر عقله لأذية قريبه فهو فاعل شر وشرير<sup>1</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## اغضبوا ولا تخطئوا

❖ سؤال: ماذا كان يقصد الرسول عندما قال: "اغضبوا ولا تخطئوا، لا تغرب الشمس على غيظكم" (أف ٤ : ٢٦)، بينما قال في موضع آخر: "ليرفع من بينكم كل مرارة وسخط وغضب" (أف ٤ : ٣١)؟

الإجابة: أعتقد أن الرسول يقصد بهذه الكلمات أن نقتدي بالرب. وكما يقول الرب في الإنجيل في البداية: "قد سمعتم أنه قيل للقديس... ثم يضيف: "وأما أنا فأقول لكم" (مت ٥ : ٢١، ٢٧، ٣٣ الخ).

أيضًا هنا يقول الرسول أولاً أن نتذكر ما سبق أن قيل: "اغضبوا ولا تخطئوا" (مز ٤ : ٥). وفي نفس الوقت يضيف شيئًا منه يمكن تطبيقه علينا، قائلاً: "ليرفع من بينكم كل مرارة وسخط وغضب" (أف ٤ : ٣١)<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

يقول القديس أغسطينوس: [أي شيء أكثر برًا من أن يغضب كل أحد على خطايا الخاصة أكثر من خطايا الآخرين، فإنه إذ يُدين نفسه يُقدّم ذبيحة لله؟!] ويقول القديس أمبروسيوس: [ليكن لغمك باب، يُغلق عند الضرورة، وليدع بمزلاج مُحكم، فلا يقدر شيء ما أن يثير صوتك بالغضب، ولا أن ترد الفساد بالفساد، فقد سمعت اليوم ما تُملى على مسمعك: "اغضبوا ولا تخطئوا"<sup>٣</sup>.  
سمح الله بالغضب في العهد القديم على الأمم الوثنية، لأنها كانت تجتذب المؤمنين في العبادة الوثنية والرجاسات.

❖ ليتنا لا نستخدم القدرات التي وهبنا إياها الخالق لأجل خلاصنا كفرصةٍ أن نخطئ ضد أنفسنا. لكي نوضح ذلك، الغضب متى استثير في الوقت المناسب وبأسلوب لائق يُنتج شجاعة وصبرًا وضبطًا للنفس، أما إذا أُستخدم لسبب غير لائق، يصبح حماقة. لذلك يُحذّرنا المزمّل: "اغضبوا ولا تخطئوا" (مز ٤ : ٥ LXX).

<sup>1</sup> ترجمة د. جرجس كامل يوسف. *Against Those Who Are Prone to Anger*.

<sup>2</sup> *Regulae brevius tractatae*, 243.

<sup>3</sup> *Duties of the Clergy*, 1: 3 (13).

يُهَدِّدنا الرب بإدانة من يعطي طريقًا للغضب بسهولة، ولكنه لا يمنع توجيه الغضب إلى هدفه الصحيح كعلاج<sup>١</sup>.

❖ دعنا لا نجعل الملكوت المُعطى لنا للخلاص من الخالق بداية للخطية في نفوسنا. هكذا أيضًا في الحقيقة، فإن الانفعال وحِدْته والمُتحرِّك عند ما هو ضروري وكلما لزم الأمر، ليمنح شجاعة ومثابرة، وضبطًا للنفس. ولكنه وحين يعمل ضد الفعل الصحيح يصبح ضريًا من الجنون. لهذا السبب أيضًا فإن المزمور ينصح: "اغضبوا ولا تخطئوا" (مز ٤: ٥). والرب يُهدِّد بالعقاب ضد من يغضبون باطلاً (مت ٥: ٢٢)، لكنه لا يرفض تطويع الغضب في أمور ضرورية لنا، كعلاج. إن الكلمات: "أضع عداوة بينك وبين الحيَّة" (تك ٣: ١٥)، و"عادوا المديانيين" (عد ٢٥: ١٧)، تُعلِّمنا أن نستخدم الانفعال (الغضب) كسلاح<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## الانفعال والغضب

❖ لما كان الانفعال والغضب كلمتين مختلفتين، فإن معناهما أيضًا مختلفا اختلافًا شاسعًا الواحد عن الآخر.

فالانفعال نوع من سخونة تيار المشاعر وسرعة ارتفاعها، لكن الغضب هو حزن مقيم وينبض دائمًا، ويميل مستمر نحو الانتقام ضد فاعلي الشر، وكأن النفس تشتهي الانتقام.

لهذا من الضروري أن نعرف أن البشر يسيئون إلى الآخرين من خلال الميول، سواء تلك الميول الداخلية والتي تستقرهم بالنزوات، أو من طريق الخديعة والكذب والغش ضد الذين أحزنوهم، وعلينا أن نحترس من كلا الخطأين.

إن، كيف يمكن أن نُوجِّه الغضب أو الانفعال في اتجاه ما كان يجب علينا تحاشيه؟ يمكنكم ذلك، إذا ما تعلمتم مسبقًا كيف تتواضعون وهو ما يصنعه الرب بالقول، والذي حَقَّقَه بالفعل كنموذج نقدي به. فهو يقول مرة: "إذا أراد أحد أن يكون أولاً، فليكن آخر الكل" (مر ٩: ٣٥). وفي مرة أخرى، وديعًا راسخًا، محتملاً من يلطمه (يو ١٨: ٢٢، ٢٣). لأن خالق السماء والأرض وسيدهما. الذي يعبد كل عقل وكل الخليقة الحسية والعاقلة، "الذي يمسك كل شيء". بكلمة قدرته" (عب ١: ٨)، لم يرسله حيًّا إلى الهاوية ولا شق الأرض تحت الأرياء. بالحري،

<sup>1</sup> Against Anger.

<sup>2</sup> ترجمة د. جرجس كامل يوسف. Against Those Who Are Prone to Anger.

فإنه نصح وعلم "إن كنت قد تكلمت رديًا، فاشهد على الردي، وإن حسنا فلماذا تضربني؟" (يو ١٨ : ٢٣).

لأنك إن اعتدت أن تكون آخر الكل بحسب وصية الرب، فمتى تتضايق إذا ما انتقص أحد من كرامتك؟ وحين يشتمك صبي صغير، فإن الإهانات تثير الضحك. وحين يتفوه مجنون مُصاب بمرض عقلي بكلمات التحقير، فإنك تحسبه مُستحقًا للشفقة لا الكراهية. هكذا فإن حركة الحزن لا تثار بكلمات إهانة، بل بخطرستنا وكبريائنا تجاه الذي شتمنا، والخيلاء التي تتاب كل واحد منا، من نفسه.

لهذا، إذا ما تركت جانبًا، وأبعدت عن ذهنك، أيًا من هذه الأشياء، فإن صخب الكلمات التي هرعت إليك تبدو مُجرّد صدى فارغ. لهذا "كفّ عن الغضب، واترك السخط" (مز ٣٧ : ٨). لتتجو من الدينونة ضد الغضب، الذي يُستعلن من السماء على كل فجور الناس وإثمهم (قابل رو ١ : ١٨). لأنك إن كنت بالفكر الحكيم تستأصل الجذور المريرة للغضب، فإنك تستأصل معها أهواء عديدة أخرى، تبدأ من هذا المنبع. لأن الغش والشك والضلال والمكر والخيانة والتهور... هي أغصان ذلك الشر.

لهذا، دعنا لا نجلب على أنفسنا مثل هذا الشر العظيم.

إنه سقم النفس، وظلمة الفكر، واغتراب عن الله، وتجاهل الصلة القرابية، وسبب المنازعات، ومنتهى الشقاوة. إنه شيطان شرير، يُولد في نفوسنا. كأن ساكنًا مخزيًا قد تملك نفوسنا الداخلية، فأعلن المدخل أمام الروح القدس. كأنه حيث حلت العداوة والمرارة والسخط والغضب والشجار والنزاع والصياح والتجديف مع كل خبث، في النفس، لا يستقر روح الوداعة.

لنصغ إلى نصائح الطوباوي بولس، فنطرح عنا كل غضب وسخط وتجديف مع كل خُبث (أف ٤ : ٣١)، فنصبح شفوقين لطفاء وادين بعضنا بعضًا، منتظرين الموعد المبارك الذي وُعد به الودعاء. "لأنه طوبى للودعاء، لأنهم يرثون الأرض" (مت ٥ : ٥)، في المسيح يسوع ربنا الذي له المجد والسُلطان إلى دهر الدهور. آمين<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>١</sup> عظة على الكلمات "احترز لنفسك..." (تث ١٥ : ٩)، ترجمة د. جرجس كامل يوسف.

## الباب الثاني عشر

### سمات المؤمن (خاصة الراهب)

١. سمات المسيحي.
٢. الخُبّ الإلهي عند القديس باسيليوس الكبير.
٣. الخُبّ الأخوي عند القديس باسيليوس الكبير.
٤. الفرح عند القديس باسيليوس الكبير.
٥. عربون الأبدية عند القديس باسيليوس الكبير.
٦. الاحتمال عند القديس باسيليوس الكبير.



## سمات المسيحي

في الباب الرابع "الرهبنة والحياة الروحية" تعرّضنا لمفهوم القديس باسيليوس لبعض سمات المؤمن، في حديثنا عن العقّة وملاحج السلوك الرهباني، والرهبنة وحياة الشركة.

وفي الباب العاشر تحدّثنا عن الكثير من الفضائل التي يليق بالمؤمن أن يتحلّى بها، والرزائل التي يلزم للمؤمن أن يتخلّص منها.

الآن أود تقديم بعض السمات الهامة التي أشرنا إليها ما أمكن، ألا وهي التمتع بالحُبّ الإلهي، والفرح الروحي في الرب، وخبرة عربون الأبدية، وأخيرًا الاحتمال.

## سمات المسيحي والقانون الثمانون من كتاب الأخلاقيات

يدعونا العهد الجديد ككنيسة المسيح إلى ترجمة النعمة الإلهية في حياتنا العمليّة، حتى لا نُحرّم من الثبات في السيد المسيح، والتمتع بنعم إلهية بلا توقّف، كقول الإنجيل: "ومن ملئه نحن جميعًا أخذنا، نعمة فوق نعمة" (يو ١ : ١٦). وقول الرسول بولس: "لا تُشاكلوا هذا الدهر، بل تغيّروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم، لتختبروا ما هي إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة" (رو ١٢ : ٢). في القانون الثمانين من كتاب الأخلاقيات، يُحدّثنا القديس باسيليوس الكبير عن سمات المسيحيين، فيكشف عن مفهوم الفضيلة المسيحية. يكشف عن علاقتهم بالسيد المسيح، خلال هذه العلاقة، يلزمهم أن يتمتعوا بعمله فيهم أو عمل نعمته الإلهية فيهم، فيصيروا بالحق أيقونة له، بل يصير المسيح نفسه هو سرّ برّهم وتقواهم، أو كما يقول العلامة أوريجينوس إن المسيح هو فضيلتنا.

فضيلتنا ليست أوامر نُنفّذها، إنما هي في المسيح نفسه، ننعم بالشركة الدائمة معه، فنمو بلا توقّف لنحمل أيقونته. فإن أردنا اقتناء الحياة الفاضلة، يلزمنا أن نتعرّف على مسيحن وعلاقتنا به، كما نتعرّف على أنفسنا خلال اتحادنا به. يليق بنا أن نُدرِك حقيقتنا خلال اتحادنا الحقيقي به، كما يكشف لنا الكتاب المقدس.

لقد جمع القديس باسيليوس بعض الألقاب التي وُهِبَت للمؤمنين، كي يدرك الإنسان مركزه، ويعتز بعلاقته بالثالوث، مما يسنده في ممارسة حياة الفضيلة خلال النعمة الإلهية.

الفصل ١ : تلاميذ المسيح. الفصل ٢ : قطيع المسيح.

الفصل ٣ : أغصان في الكرمة. الفصل ٤ : أعضاء المسيح.

- الفصل ٥: عروس المسيح. الفصل ٦: هياكل الله.
- الفصل ٧: ذبيحة لله. الفصل ٨: أبناء الله.
- الفصل ٩: نور العالم. الفصل ١٠: ملح الأرض.
- الفصل ١١: ثابتون في الرجاء في الحياة الحقيقية.
- الفصل ١٢: مؤتمنون على الكرازة بالإنجيل.
- الفصل ١٣: معنونون عن ملكوت السماوات.
- الفصل ١٤: نموذج وقانون للتقوى. الفصل ١٥: كعين بالنسبة للجسد.
- الفصل ١٦: رعاة لقطيع المسيح. الفصل ١٧: أطباء يعالجون أمراض النفس.
- الفصل ١٨: كآباء ومرضعات للأطفال. الفصل ١٩: عاملون مع الله.
- الفصل ٢٠: كرامون في حقول الله. الفصل ٢١: بنّاءون لهيكل الله.
- الفصل ٢٢: ما هي علامة المسيحي؟

بدأ القانون الثمانون بعرض أية أو أكثر مقتبسة من الكتاب المقدس، يليها تعليق القديس عن التزامنا بسمة أو سمات لائقة بنا، غير أنه أحياناً يقوم بالعكس، يُقدّم أولاً السمة اللائقة ثم يستشهد بالآية من الكتاب المقدس. ربما حدث هذا في النسخة، لذلك آثرت أن أعيد الترتيب فأضع الآيات أولاً وبعدها تعليق القديس عليها.

### ✠ الفصل ١: تلاميذ المسيح

"احملوا نيري عليكم وتعلموا مني" (مت ١١: ٢٩).

"أنتم تدعونني مُعلِّماً وسيِّداً، وحسناً تقولون، لأنني أنا كذلك. فإن كنت وأنا السيد والمُعَلِّم قد غسلت أرجلكم، فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض. لأنني أعطيتكم مثلاً، حتى كما صنعت أنا بكم، تصنعون أنتم أيضاً" (يو ١٣: ١٣-١٥).

السمات التي يتطلبها الكتاب المقدس من المسيحيين أن يقتنوها كتلاميذ المسيح، تُطابق النموذج الذي يرونه (في المسيح) أو يسمعون منه.

### الفصل ٢: قطيع المسيح

"خرافي تسمع صوتي، وأنا أعرفها، فلتبني" (يو ١٠: ٢٧).

"وأما الغريب فلا تتبعه، بل تهرب منه، لأنها لا تعرف صوت الغريب" (يو ١٠: ٥).

كقطيع المسيح، يليق (بالمسيحيين) أن يسمعون صوت راعيهم وحده ويتبعوه.

### الفصل ٣: أغصان في الكرمة

"أنا الكرمة وأنتم الأغصان (يو ١٥ : ٥).

كأغصان في الكرمة التي هي المسيح، يلزمهم أن يثبتوا فيه، فيأتوا بثمر، يعملوا ما يليق به، ويقتنوا ما يتناغم معه.

### الفصل ٤: أعضاء المسيح

"ألستم تعلمون أن أجسادكم هي أعضاء المسيح؟" (١ كو ٦ : ١٥).

"بل صادقين في المحبة، ننمو في كل شيء، إلى ذلك الذي هو الرأس المسيح. الذي منه كل الجسد مركبًا معًا ومقترنًا بمؤازرة كل مفصل، حسب عمل على قياس كل جزء يحصل نمو الجسد لبنانيته في المحبة" (أف ٤ : ١٥-١٦).

كأعضاء المسيح، يلزمهم أن يكونوا كاملين في مراعاة وصايا الرب، أو في إظهار مواهب الروح القدس، في انسجام مع كرامة الرأس الذي هو المسيح.

### الفصل ٥: عروس المسيح

"من له العروس فهو العريس" (يو ٣ : ٢٩).

"لأنني خطبتكم لرجل واحد، لأقدم عذراء عفيفة للمسيح" (٢ كو ١١ : ٢).

كعروس المسيح، يجب أن تحافظ على الطهارة، وتسلك حسب إرادة العريس وحده.

### الفصل ٦: هياكل الله

"إن أحبني أحد يحفظ كلامي، ويحبه أبي وإليه نأتي، وعنده نصنع منزلًا" (يو ١٤ : ٢٣).

كهياكل الله، يليق بها أن تكون مقدسة ومملوءة بما يليق بعبادة الله وحده.

### الفصل ٧: ذبيحة لله

"فأطلب إليكم أيها الإخوة برفقة الله أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حيّة مقدسة مرضية عند الله، عبادتكم العقلية" (رو ١٢ : ١).

كذبيحة لله، يلزم أن تكون بلا لوم ولا دنس، في كل عضو، وأن تراعي تكامل العبادة الإلهية.

### الفصل ٨: أبناء الله

"يا أولادي أنا معكم زمانًا قليلًا" (يو ١٣ : ٣٣).

"يا أولادي الذين أتمخض بكم أيضًا، إلى أن يتصوّر المسيح فيكم" (غلا ٤ : ١٩).

كأبناء الله، يُشكّلون صورة الله حسب القياس الممنوح للبشر.

## الفصل ٩: نور العالم

"أنتم نور العالم" (مت ٥ : ١٤).

"تُضيئون بينهم كأنوار في العالم" (في ٢ : ١٥).

كنور العالم، يلزمهم ألا يتقبلوا الشر، بل ينيروا من يلتقون بهم، ليقبلوا معرفة الحق، فيصيروا إلى ما يليق بهم ويبرهنوا على ما هم عليه (كنور).

## الفصل ١٠: ملح الأرض

"أنتم ملح الأرض" (مت ٥ : ١٣).

كملاح الأرض، يلزمهم أن يجددوا في الروح أولئك الذين يلتصقون بهم إلى عدم الفساد.

## الفصل ١١: ثابتون في الرجاء في الحياة الحقيقية

"تُضيئون بينهم كأنوار في العالم، متمسكين بكلمة الحياة لافتخاري في يوم المسيح" (في ٢ : ١٥-١٦).

ككلمة الحياة، يثبتون في الرجاء في الحياة الحقيقية، بأمانتهم في أمور هذه الحياة (الزمنية).

## الفصل ١٢: مؤتمنون على الكرازة بالإنجيل

"ها أنا أرسلكم كغنم في وسط ذئاب" (مت ١٠ : ١٦).

"فأذهبوا وتلمذوا جميع الأمم" (مت ٢٨ : ١٩).

"هكذا فليحسبنا الإنسان كخدام المسيح ووكلاء سرائر الله" (١ كو ٤ : ١-٢).

ما يُردده الكتاب المقدس من أولئك الذين أوتمنوا على الكرازة بالإنجيل، كرسل المسيح وخدامه، كأوعية أمينة لسر الله، تتفد وصايا الرب وحده بالكلام والعمل.

## الفصل ١٣: معنونون عن ملكوت السماوات

"وفيما أنتم ذاهبون اكرزوا قائلين، إنه قد اقترب ملكوت السماوات" (مت ١٠ : ٧).

"أنا أناشدك إذاً أمام الله والرب يسوع المسيح، العتيد أن يدين الأحياء والأموات عند ظهوره وملكوته. اكرز بالكلمة" (٢ تي ٤ : ١-٢).

كمعنونين عن ملكوت السماوات، لمن يُدمرهم سلطان مملكة الخطية.

## الفصل ١٤: نموذج وقانون للتقوى

"إذ أنا أنسى ما هو وراء وأمتد إلى ما هو قدام. أسعى نحو الغرض لأجل جعالة دعوة الله العليا في المسيح يسوع. فليفتكر هذا جميع الكاملين منا وإن افترتم شيئاً بخلافه، فالله سيعلن



لكم هذا أيضًا. وأما ما قد أدركناه فانسلك بحسب ذلك القانون عينه ونفكر ذلك عينه" (في ٣: ١٣-١٦).

"كُنْ قدوة للمؤمنين في الكلام في التصرف في المحبة في الروح في الإيمان في الطهارة" (١ تي ٤: ١٢).

"اجتهد أن تُقيم نفسك لله مُركزي، عاملاً لا يخزي، مفصلاً كلمة الحق بالاستقامة" (٢ تي ٢: ١٥).

كنموذج وقانون للتقوى، للذين يكملون كل البر في الذين يتبعون الرب، ويظهرون الإثم في الذين يأثمون بأي عصيان.

#### الفصل ١٥: كعين بالنسبة للجسد

"سراج الجسد هو العين، فإن كانت عينك بسيطة، فجسدك كله يكون نيرًا" (مت ٦: ٢٢).  
كما العين بالنسبة للجسد. هكذا يُميّزون الصلاح عن الشر، ويقودون أعضاء المسيح كما تتطلب ظروف كل واحدٍ منهم.

#### الفصل ١٦: رعاة لقطيع المسيح

"الراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف" (يو ١٠: ١١).

"احترزوا إذاً لأنفسكم ولجميع الرعية، التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة الله" (أع ٢٠: ٢٨).

كرعاة لقطيع المسيح، لا يرفضون بذل حياتهم عنهم إن استدعى الأمر، وذلك بغية أن يُقدّموا إنجيل الله لهم.

#### الفصل ١٧: أطباء يُعالجون أمراض النفس

"لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى" (مت ٩: ١٢).

فيجب علينا نحن الأقوياء أن نحتمل أضعاف الضعفاء" (رو ١٥: ١).

مثل أطباء يُعالجون أمراض النفس بحنوٍ عظيم، حسب معرفة تعاليم الرب، ليردوا الصحة في المسيح مع المثابرة الدائمة.

#### الفصل ١٨: كآباء ومرضعات للأطفال

"يا أولادي أنا معكم زمانًا قليلًا" (يو ١٣: ٣٣).

"لأنني أنا ولدتكم في المسيح يسوع بالإنجيل" (١ كو ٤: ١٥).

"بل كنا مُترقّقين في وسطكم، كما تُربّي المرّضعة أولادها، هكذا إذ كنا حانين إليكم، كنا

نرضى أن نعطيكم لا إنجيل الله فقط بل أنفسنا أيضًا، لأنكم صرتم محبوبين إلينا" ( ١ تس ٢ : ٧-٨).

كآباء ومرضعات لأطفال أنجبوهم، يُقدّمون لهم ليس فقط إنجيل الله، بل يُقدّمون حياتهم لهم بنزعات حُبّ ملتهب في المسيح.

### الفصل ١٩ : عاملون مع الله

"فإننا نحن عاملان مع الله، وأنتم فلاحه الله ببناء الله" ( ١ كو ٣ : ٩).  
كعاملين مع الله، يُكرّسون أنفسهم تمامًا، مُتفرّغين لحساب الكنيسة للأعمال الخاصة بالله واللائقة به.

### الفصل ٢٠ : كرامون في حقول الله

"أنا الكرمة الحقيقية وأبي الكرام. كل غصن فيّ لا يأتي بثمر ينزعه، وكل ما يأتي بثمر يُنقى ليأتي بثمر أكثر" (يو ١٥ : ١-٢).

"أنا غرست وأبلوس سقى، لكن الله كان ينمي" ( ١ كو ٣ : ٩).

ككرامين في حقول الله، لا يغرسون شيئًا غريبًا عن الكرمة التي هي المسيح؛ لا يغرسون شيئًا مجذبًا، وإنما بكل اجتهادٍ يرعون ما هو لائق ومثمر.

### الفصل ٢١ : بناءون هيكل الله

"حسب نعمة الله المعطاة لي كبنّاءٍ حكيمٍ قد وضعت أساسًا، وآخر يبني عليه، ولكن فالينظر كل واحدٍ كيف يبني عليه. فإنه لا يستطيع أحد أن يضع أساسًا آخر غير الذي وُضع الذي هو يسوع المسيح" ( ١ كو ٣ : ١٠-١١).

"قلستم إذا بعد غرباء ونزلاء، بل رعية مع القديسين وأهل بيت الله. مبنين على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية. الذي فيه كل البناء مركبًا معًا ينمو هيكلًا مقدسًا في الرب. الذي فيه أنتم أيضًا مبنيون معًا مسكنًا لله في الروح" (أف ٢ : ١٩-٢٢).

كبنّائين لهيكل الله، يشكّلون كل النفس مع بقية النفوس لتوضع (كحجارة) على أساس الرسل والأنبياء.

### الفصل ٢٢

ما هي علامة المسيحي؟

الإيمان العامل بالمحبة.

ما هي علامة الإيمان؟

الاقتناع الأكيد بحق الكلمات الموحى بها، فلا يهتز بأية فكرة، أو بأي ادعاء لمتطلبات طبيعية، ولا بمظهر تقوى باطل.

ما هي علامة النفس الأمانة؟

أن تكون في تلك الترتيبات للقبول الكامل لسُلطان كلمات [الكتاب المقدس]، دون مغامرة لرفض أي شيء أو وضع إضافات.

فإن كان كل ما هو ليس من الإيمان خطية كقول الرسول (رو ١٤ : ٢٣)، والإيمان يأتي من السمع، والسمع بواسطة كلمة الله، فكل شيء خارج الكتاب المقدس بكونه ليس من الإيمان، فهو خطية.

ما هي علامة المحبة لله؟

حفظ وصاياه لأجل مجده.

ما هي علامة المحبة للقريب؟

ألا يطلب الإنسان ما لنفسه، بل ما هو لصالح المحبوب، لصالح جسده ونفسه.

ما هي علامة المسيحي؟

أن يولد من جديد خلال المعمودية الماء والروح.

ما هي علامة المولود من الماء؟

الموت وعدم التحرك بالنسبة لكل خطية، وذلك كما مات المسيح مرة لأجل الكل بسبب الخطية، كما هو مكتوب: "إننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته، فدُفِنَّا معه بالمعمودية للموت... عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صُلِبَ معه، ليُبطل جسد الخطية، كي لا نعود نُستعبد أيضًا للخطية" (أع ٦ : ٣، ٤، ٦).

ما هي علامة المولود من الروح؟

أن يصير في القياس الممنوح له الذي يولد منه، كما هو مكتوب: "المولود من الجسد جسد هو، والمولود من الروح هو روح" (يو ٣ : ٦).

ما هي علامة المولود جديدًا؟

أن يخلع الإنسان العتيق بأفعاله وأطماعه، ويلبس الإنسان الجديد، "الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه" (كو ٣ : ١٠). كما هو مكتوب: "لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح، قد لبستم المسيح" (غل ٣ : ٢٧).

ما هي علامة المسيحي؟

أن يتطهر من كل أدناس الجسد والروح في دم المسيح، ويكمل بالتقديس في مخافة الله وحُب المسيح (٢ كو ٧: ١). ولا يكون به لوم، ولا غضن، ولا شيء من هذا، فيكون مُقَدَّسًا بلا لوم (أف ٥: ٢٧)، وبهذا يتناول جسد المسيح ويشرب دمه. لأن من يأكل ويشرب بدون استحقاق، يأكل ويشرب دينونة لنفسه (١ كو ١١: ٢٩).

ما هي علامة الذين يتناولون الجسد ويشربون كأس المسيح؟

أن يحفظوا نكراه على الدوام، ذاك الذي مات لأجلنا وقام.

ما هي علامة الذين يحفظون مثل هذه الذكرى؟

أن يعيشوا لا لأنفسهم، بل لذاك الذي مات لأجلهم وقام (٢ كو ٥: ١٥).

ما هي علامة المسيحي؟

أن يفوق بزه في كل الأشياء أكثر من الكتبة والفرسيسيين، وذلك حسب التعليم الذي تسلمناه في إنجيل الرب (مت ٥: ٢٠).

ما هي علامة المسيحي؟

أن يحب إخوته، كما أحبنا المسيح (أف ٥: ٢).

وأن يضع الرب دومًا نصب عينيه (مز ١٥ [١٦]: ١).

أن يكون حريصًا كل يوم وفي كل ساعة، ويقف مستعدًا في حالة الكمال هذه التي يُسَرُّ بها الله، عالمًا أنه لا يعرف في أية ساعة يأتي الرب (لو ١٢: ٤٠).<sup>١</sup>

القديس باسيليوس الكبير

<sup>١</sup> The Morals, Rule 80.



## الحُبّ الإلهي

عند

### القديس باسيليوس الكبير

سبق لنا الحديث عن الحب الأخوي في الباب الثالث تحت عنوان "الرهبنة وحياة الشركة، كيف نعيش مع بعضنا البعض؟"، والآن أتحدث عن "الحب الإلهي" في حياة القديس باسيليوس الكبير.

### الحبّ الإلهي والجمال الإلهي

جاء في القانون الثاني من القوانين المطوّلة سؤال عن كيفية تنفيذ وصية الحُبّ لله، إذ قيل له: إننا نسمع أنه يلزم أن يحبّ الإنسان الله، لكننا نسأل كيف يمكننا أن نتعلّم تنفيذ ذلك بحق<sup>١</sup>.

جاءت إجابته على هذا التساؤل تتلخّص في النقاط التالية:

١. لا يمكن أن نتعلّم محبة الله من مدرسة خارج عن الإنسان نفسه. فلم يُعلّمنا أحد أن نفرح بالنور، وأن نُحبّ والدينا، إنما أقام الله في الإنسان مدرسة في أعماقه تغرس فيه هذا الحب، ويتمّمه الإنسان عملياً بواسطة نعمة الله. حيث ينمو الإنسان بالنعمة في معرفة الله سالكاً نحو الكمال.
٢. محبة الإنسان مغروسة في داخلنا، وبالغيرة المقدسة تلتهب شرارة الحب هذه المخفية فينا، والموجودة في أعماقنا منذ تشكلنا.
٣. قدّم لنا الله وصية الحُبّ، وهو الذي يُقدّم لنا القوة لحفظها، فلا نُتمّمها كأمرٍ غريبٍ عنا، ولا كنيرٍ ثقيلٍ علينا.
٤. هذه العطية الإلهية المغروسة في خلقنا، تسكّب على نفوسنا جمالاً فائقاً لا يُعبّر عنه. إنها أشبه بأشعة الشمس المُشرّقة على نفوسنا.
٥. يدعونا هذا الحب لاشتھاء الانطلاق إلى الله، للتمتّع بالجمال الإلهي.  
"يا الله، عطشت إليك نفسي" (مز ٦٣ : ١).
- "الآن تطلق عبدك يا سيد بسلام" (لو ٢ : ٢٩).
- "لي اشتھاء أن أنطلق وأكون مع المسيح، ذاك أفضل جداً" (في ١ : ٢٣).
٦. خلق الله الصالح فينا شوقاً طبيعياً نحو الصلاح والحب، ورغبة نحو الله، الجمال ذاته.

<sup>١</sup> راجع دير السربان: القديس باسيليوس، ٢٠٠٣. ص ٩٢-٩٩

❖ أتوق إلي عطية واحدة، أصرع من أجل مجدٍ واحدٍ وحده، مجد ملكوت السماوات... كلما أشرق هذا الجمال الإلهي على أحد القديسين يترك فيه حافزاً لرغبة لا تُحتمل، فيصرخ مضطرباً من جهة الحياة الحاضرة: "ويل لي، فقد طالت غربتي عليّ، متى أترأى أمام حضرة الله؟!!" (مز ١٢٠: ٥؛ ٤٢: ٢)¹.

### القديس باسيليوس الكبير

❖ يقول باسيليوس الكبير: لا يمكننا أن نتمتع بالروح الطاهر ما دامت الأدناس في قلوبنا، وأيضاً حبوا الله بدون غشٍّ، من كل نفوسكم ومن كل قلوبكم ومن كل نياتكم، فلا يعتري إيمانكم ريب أو شك في أن الله هو المُعين. وأيضاً "اسكبوا قلوبكم" معناه ابدلوا جهدكم وفرغوا غايتكم للتضرع والابتهاال لله.

السكب معناه الغزارة والوفرة، كقول الرسول إن محبة الله انسكبت في قلوبنا.

### الأب أنسيمس الأورشليمي

#### ١. في داخلك مدرسة الله الطبيعية!

ما كان يشغل قلب القديس باسيليوس الكبير، ليس أن يتحدث عن عظمة وصية محبتنا لله، ولا عن ضرورتها، إنما بالأكثر كيف يمكننا أن نمارس هذه الوصية الإلهية التي يحسبها السيد المسيح نفسه الأولى والعظمى في الوصايا!

يُوجّه القديس أنظارنا إلى ما يدعوها "مدرسة وصايا الله". إنها ليست معهداً لاهوتياً يقوم بالتدريس فيه أساتذة مُتخصّصون من بني البشر، ولا من بين الطغمت السماوية، وإنما مؤسسها الخالق نفسه، وموقعها الإنسان الداخلي. لا يُقدّم فيها دروساً للحفظ عن ظهر قلب، أو للتأمل فيها، إنما يلقي الزارع الإلهي بذاره في أعماق الطبيعة البشرية لكي تثمر شجرة حُب حقيقي. فمع خَلقة الإنسان، يتمتع بغرائزٍ أو دوافعٍ في أعماقه، تتعهدها نعمة الله، لكن ليس قسراً، بل بكامل حرية إرادته، حتى تشعل فيه شرارة الحُب الإلهي الكامنة في أعماقه!

كما يُخلَق في الرضيع منذ اليوم الأول لولادته حُبّه لأمه وأبيه، وبهجته بالنور ورغبته في الحياة، هكذا يُخلَق فيه دافعاً لحُبِّ الله خالقه! هذا الحُب تتعهده النعمة الإلهية، ويُتمِّيه تأمل الإنسان في عطايا خالقه المجانية، وتقديره لله مُحب البشر، صانع الخيرات.

ما هي المدرسة التي تعلّمنا الوصايا وتدرّبنا عليها؟ مدرسة الوصايا الإلهية!

أين موقعها؟ إنساننا الداخلي!

¹ Reg. Feus 2: 1.

من هو عميدها؟ الله نفسه!

ما هو أهم دراستها؟ الحب لله والغريب!

ما هي الإمكانيات التي تقدّمها؟ النعمة الإلهية والدوافع الطبيعية!

ما هي مكافأة الناجحين فيها؟ التمتع بالتلمذة للمسيح، نزع المسوح وارتداء ثوب العرس

السماوي. وإدراك عطايا الله الثمينة، والتمتع بالجمال الإلهي مع التجديد المستمر.

ما هي نتائج من يتجاهلها؟ بسببه يُعير العدو ربّ المجد بأولاده الفاشلين!

❖ محبة الله ليست موضوعًا يمكن أن نتعلّمه (من آخرين)، فإننا لم نتعلّم من الغير أن نُسرّ

بالنور، ونرغب في الحياة. ولم نُعلّمنا أحد أن نحبّ والدينا أو الذين قاموا بتربيتنا. هكذا بنفس

الطريقة، بل وبدرجةٍ أعظم جدًّا، لا يتم تعليم الشريعة الإلهية من الخارج، إنما نتعلّمها في تزامن

مع خلقتنا، أو مع خلقه الإنسان. ففينا ميل وراثي يدفعنا نحو الحب.

هذه البذرة (التي في خلقتنا) تُسَلّم في مدرسة وصايا الله، حيث تُغرس فينا بعنايةٍ وتُرى

فينا بمهارةٍ، وبنعمة الله تبلغ إلى كمالها.

لذلك، فإننا إذ نستحسن غيرتكم بكونها أمرًا جوهريًا لبلوغ الهدف، نسعى بقوة لننالها بالروح

(القدس)، لكي نُشعل شرارة الحب الإلهي الكامنة فيكم<sup>1</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## ٢. المحبة تحوي كل الوصايا

تُقدّم هذه المدرسة درسها الأول والرئيسي، ألا وهو محبة صانع الخيرات للإنسان، فإن تجاوب

معها انطلق من وصية إلى أخرى، لا كتقليل يلتزم بحمله، إنما كطعامٍ أحلى من العسل وقطر الشهد.

ممارسة وصية حبّ القدوس تُقدّم للإنسان تذوقًا عذبًا لمحبة القريب كنفسه، فيستطعم القداسة والبرّ،

ويحسب شريعة الله قانونه الطبيعي مصدر الفرح والتهليل.

يقول القديس باسيليوس إن وصية محبتنا لله ولقربينا ولعدونا واسعة بلا حدود، لأنها تشمل

الكل، فهي تحوي مجموع كل كمالتنا، وهي الاختيار الذي يُتوجّها.

❖ الآن يلزمكم أن تعرفوا أن (محبة الله) هي الفضيلة الواحدة الوحيدة، ومع هذا لها فاعليتها، إذ

تحوي فيها كل الوصايا وتُحقّقها. يقول الرب: "إن أحبّني أحدٌ يحفظ كلامي، ويحبّه أبي، وإليه

نأتي، وعنده نصنع منزلاً" (يو ١٤ : ٢٣). وأيضًا: "بهاتين الوصيتين (محبة الله ومحبة القريب)

يتعلّق الناموس كله والأنبياء" (مت ٢٢ : ٤٠). مع هذا، فإننا في الوقت الحاضر لا نتحدث في

<sup>1</sup> راجع دير السريان: القديس باسيليوس، ٢٠٠٣، ص ٩٣. Reg. Fus. 2.

مقالنا عن الوصايا كلها... لكن من اللائق واللازم في الوقت الحاضر أن نحتكم على الحب، إذ نحن مدينون لله<sup>1</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

### ٣. وهبنا الله إمكانية تنفيذ الوصية الإلهية

تقوم هذه المدرسة التي في أعماقه بتهذيبه في الرب، فيجد في الوصايا الإلهية ليس واجباً ثقيلًا على نفسه، بل تجاوزًا عميقًا في النفس، فالوصية ليست غريبة عنه.

❖ أولاً، يلزم تأكيد حقيقة أننا بالفعل نلنا من الله القوة لتنفيذ الوصايا التي أعطانا إياها، حتى لا يكون التزامنا بها أمرًا كريهًا، كأن الوصايا غريبة عنا وغير متوقَّعة، ونُطالب بها. لا نشعر بأنها غير واقعية (خيالية)، وكأننا نُسأل أن نقدم ما لم يُعط لنا<sup>2</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

### ٤. حُسن استخدام الإمكانيات الإلهية!

كان يمكن للإنسان الأول ألا يكسر الوصية، إذ وهبه الله إمكانية ممارستها بفرح ورضا، حيث يوجّه كل طاقاته في الطريق الحق، لو لم يُفسدها بإرادته الحرّة حين لم يُبالِ بشركته مع خالقه. فالوصية ليست صعبة، بل هي مصدر فرح داخلي.

❖ بهذه القوة المُعطاة لنا من الله بحقٍ وبطريقةٍ لائقةٍ نستخدمها، فنقضي حياتنا كلها بقداسة حياة فاضلة. أمّا إن أسأنا استخدامها، فإننا نسقط تدريجيًا فريسةً للرذيلة.

بهذا فإن تعريف الرذيلة هو الاستخدام الخاطيء، وانتهاك وصية الرب لما أُعطي لنا بواسطة الله لغرض صالح.

بنفس الطريقة، تعريف الفضيلة التي يتطلّبها الله منا، هو استخدام هذه العطايا بضميرٍ صالحٍ حسب أمر الرب.

هذا هو الحال، نُطبِّقه على المحبة. فقد تسلّمنا وصية محبة الله، ولدينا القوة الغريزية للحُبّ منذ اللحظة الأولى لخلقنا<sup>3</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

### ٥. بالطبيعة نكتشف ما هو جميل!

نتساءل: ماذا كان يحدث لو لم يعص أبوانا الوصية؟

<sup>1</sup> Reg. Fus. 2.

<sup>2</sup> Reg. Fus. 2.

<sup>3</sup> Reg. Fus. 2.



يرى القديس أن التجاوب مع الوصية الإلهية يهب أعماق النفس انعكاس الجمال الإلهي والبهاء السماوي عليها. يمكننا القول: لو أطاع أبوانا الوصية، لصارا أشبه بملائكة الله يحملان سمات فائقة! ففي تفسير القديس باسيليوس للمزامير بحسب الوصية هي خلع للمسوح وارتداء ثوب العرس السماوي.

هذا، ومن جانب آخر لانفتحت أعينهما لا على معرفة الخير والشر، وإنما على التمتع بالجمال الإلهي، وسبَّحاً الله بروح الفرح: "نصيبي هو الرب، قالت نفسي" (مرا ٣: ٢٤).

❖ هذا لا يحتاج إلى برهان خارجي، حيث يمكن لكل إنسان أن يكتشف ذلك بنفسه، وفي داخله. إننا بالطبيعة نشتهي ما هو جميل، حتى وإن اختلفت مفاهيم الجمال من شخصٍ إلى آخر بطريقة واسعة<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## ٦. يا لعظمة جمال الخُبِّ الإلهي!

كان يمكن لأبونا في جنة عدن أن ينطلقا من يومٍ إلى يومٍ إلى خياراتٍ جديدةٍ لا تشيخ في تنوُّق الجمال الإلهي.

هذه الخبرة سنعيشها في أروع صورة حين ينطلق بنا مُخْلِصنا على السحاب إلى سماواته، فنبقى طوال الأبدية نتغنَّى: "هوذا الكل قد صار جديداً" (٢ كو ٥: ١٧)، لأننا مع كل تطلُّعٍ إلى الثالوث القدوس، ننعم بما لم ترَ عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على بال إنسان (١ كو ٢: ٩). مع كل لحظة من لحظات الأبدية - إن صحَّ التعبير - يزداد عطشنا إلى رؤية الجمال الإلهي، ونتحقَّق قول الرب في سفر ابن سيراخ: "من أكلني عاد إليَّ جائعاً، ومن شربني عاد ظامناً" (سي ٢٤: ٢٩).

يمكننا القول إن مدرسة وصايا الله لا تُقدِّم أوامر ونواهي تلتزم النفس بها خشية السقوط تحت عقوبة أبدية، إنما هي دعوة للتجاوب مع نعمة الله التي تعمل في الإنسان بلا توقُّف، لتُعِدَّه كل صباح للقيام من المزبلة والانضمام إلى الطغمت السماوية لينعم بعربون السماء!

❖ علاوة على هذا، لدينا دون أن نتعلَّم حُباً لمن هم قريبون منا وأعضاء علينا...

أي شيءٍ أكثر إبداعاً من الجمال الإلهي؟

أي انعكاس علينا أكثر عذوبة من التفكير في عظمة الله؟

<sup>١</sup> Reg. Fus. 2.

أية شهوة للنفس مُثيرة وقوية بطريقة فائقة مثل الاشتياق الذي غرسه الله في النفس النقيّة من كل عيبِ والمُتَّسِمة بالإخلاص "إني مريضة حُبًّا" (نش ٢ : ٥). إن البروق المُشرِّقة بالجمال الإلهي لا يُنطَق بها ولا تُوصَف قط. لا تستطيع كلمات أن تُعبّر عنها، ولا تقدر أن أن أن تستوعب (السماع إليها). إن أشعة كوكب الصبح وبهاء القمر ونور الشمس، هذا كله لا يمكن أن يقف للمقارنة بينه وبين هذا السماوي كل هذه الأجسام السماوية أقل تمامًا من النور الحقيقي، وذلك كما يُقارَن عمق ظلام الليل الكالح الذي بلا قمرٍ ببهاء الظهيرة.

هذا الجمال، غير المنظور لعينيّ الجسد، يُدركه العقل والنفس وحدهما. عندما يلقي نوره على أحد القديسين، يترك فيه شعورًا لا يُحتمَل من الشوق إليه، ويشعر بالملل من الحياة على الأرض.

"ويل لي، فإن غربتي قد طالت عليّ" (مز ١٢٠ : ٥ LXX).

"متى أجيء وأترأى قدام الله؟" (مز ٤٢ : ٢).

"لي اشتها أن أنطلق وأكون مع المسيح، ذاك أفضل جدًّا" (في ١ : ٢٣).

"عطشت نفسي إلى الله، إلى الإله الحي" (مز ٤٢ : ٢).

"الآن، تطلق عبدك يا سيد" (لو ٢ : ٢٩).

إذ يشعرون بتقل الحياة الحاضرة كسجن، كانوا قادرين بصعوبة أن يمسكوا أنفسهم تحت دوافع لمس الحب الإلهي المثار داخل نفوسهم. بالحقيقة بسبب غيرتهم الشديدة نحو التمتع برؤية الجمال الإلهي، سألوا التأمّل في فرح الرب الذي يدوم طوال الحياة الأبدية.

بالطبيعة يشتهي البشر ما هو جميل. ولكن ما هو بالحق جميل ومُشتهى فهو الصالح.

الصالح هو الله، وإذ كل الخلائق (البشرية) تشتهي الصالح، لذلك كل الخلائق تشتهي الله<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## ٧. محبة الله تُمارَس خلال حرية إرادتنا

الله الذي خلق الإنسان كائنًا له كمال حرية الإرادة، لا يُلزمه بالشركة معه لينعم بالعرس السماوي والأمجاد الأبدية بغير إرادته. رَفَض الإنسان لاختيار محبة الله فيه، هو تَعَرُّب عن الله وانفصال عن مصدر حياته، بهذا يعاقب نفسه بنفسه بما هو أكثر مرارة من الانحدار في جهنم!

للأسف برفضه التجاوب مع الله محبوبه، يصير أقل تعقلًا من الطفل الذي يلتصق بأمه طبيعيًا، وأكثر وحشية من الحيوانات المفترسة التي تأنس مع من يهتم بثوتها!

<sup>١</sup> Reg. Fus. 2.

❖ كل ما يُفعل بما هو حقّ خلال حرية الإرادة هو كائن فينا بالطبيعة، على الأقل بالنسبة للذين لا ينحرفون بقدراتهم العقلية بواسطة الأثم. لذلك تُطلب منا محبة الله كالتزامٍ دقيقٍ، أما النفس التي تفشل في ذلك، فهي تمارس كل الشرور التي لا تُحتمل.

الانفصال عن الله، والتغرّب عنه لا يُحتملان، ويُحسبان أفسى من عقوبة جهنم المحفوظة (للأشرار)، وهي أكثر ثقلًا لمن يُعاني منهما ممن تُحرم عيناه من النور، حتى وإن لم يوجد معه ألم، وأبشع من فقدان الحياة للحيوان.

علاوة على ذلك، فإن محبة الأطفال لوالديهم هي هبة طبيعية، وهي تُلاحظ حتى في سلوك الحيوانات غير العاقلة، كما في عواطف الكائنات البشرية في طفولتها المُبكرة نحو أمهاتها. ليتنا لا نظهر أقل تعقلًا من الأطفال، ولا أكثر وحشية من الحيوانات المفترسة، بنفورنا من الله الذي خلقنا وعدم محبتنا له. حتى إن كنا لم نعرف من هو، فخلال صلاحه يلزمنا أن نشعر نحوه بحنوٍ فوق الطبيعي، ونلتصق بالتذكّر الدائم له، وذلك كأطفالٍ نحو أمهاتهم<sup>1</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## ٨. نلتصق بمن يفيض علينا بعطاياه

إن كان الله يدعونا أن نسترد صورته، ونكون على مثاله، للأسف في غباوة لا نحمل أحيانًا حتى إخلاص بعض الحيوانات كالكلاب والخيول التي تُعرض نفسها للموت من أجل أصحابها.

❖ صانع الخيرات معنا هو في المقام الأول بين الذين نحبههم حسب الطبيعة. هذا العرفان بالجميل هو سمة ليس فقط للبشر، وإنما يشعر بها غالبًا كل الحيوانات، إذ تلتصق بالذين يُقدّمون لها أشياءً صالحة. يقول النبي: "الثور يعرف صاحبه، والحمار معلف صاحبه" (إش ١ : ٣). حاشا أن ينطبق علينا ما ورد بعد ذلك "أما إسرائيل فلا يعرف، شعبي لا يفهم" (إش ١ : ٣).

أما بالنسبة للكلب وحيوانات أخرى كثيرة، فلا أحتاج أن أتحدث عن حنوها العظيم الذي تُظهره نحو الذين يقومون بتربيتها. الآن إن كنا نحمل حُبًا طبيعيًا وإرادة صالحة نحو من يُقدّمون لنا خيرات، ونتحمّل أي نوعٍ من المتاعب لنرد لهم مقابل ما قدّموه لنا، فأية كلمات يمكن استخدامها مقابل عطايا الله؟ إنها كثيرة من جهة العدد، فهي لا تُحصى، وعظيمة وعجيبة، فإن واحدة منها تستحق أن نقدم كل امتنانٍ له<sup>2</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>1</sup> Reg. Fus. 2.

<sup>2</sup> Reg. Fus. 2.

## ٩ . عطاياه الزمنية!

يليق بنا ونحن تحت رعاية النعمة الإلهية في مدرسة وصايا الله أن نتعرّف على عطايا الله، التي يُقسّمها القديس باسيليوس إلى مجموعتين:

١. العطايا الزمنية التي مع عظمتها وكثرتها بلا عدد، تبقى كالنجوم التي مع جمالها تكاد تختفي عن أعيننا تمامًا في الظهيرة، أمام نور الشمس العظيم.
٢. العطايا الخالدة التي يُقدّمها لنا شمس البرّ ليُشرقَ بنور برّه علينا.

❖ سأعبر على بعض عطاياه بالرغم من عظمتها الفائقة ومجدها، إذ يوجد ما يفوقها من أمورٍ أعظم منها، وذلك كما يحدث للنجوم ببزوغ أشعة الشمس حتى تبدو كأنها بلا قيمة. إنني في الواقع لست مستريحًا أن أترك عطاياه الفائقة مقابل عطاياه الأقل خلال صلاح صانع الخيرات معنا. ليتنا إذن لا نتكلم عن شروق الشمس، ومراحل القمر، والمناخ، وتغيّر الفصول، والأمطار الساقطة من السحب، والرطوبة النابعة من الأرض، والبحر نفسه، وكل الأرض وثمارها، والمخلوقات التي في المياه، والتي (تطير) في الجو، وأنواع الحيوانات التي بلا حصر. كل هذه الكائنات مُعيّنة لسعادتنا<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## ١٠ . عطاياه الخالدة! أعدّ الخلاص للإنسان الساقط!

عطايا شمس البرّ التي تُحسب خلقة جديدة، حيث ترد لنا صورة الله ومثاله، وهي خاصة بخطة تدبير خلاصنا بواسطة الثالوث القدوس:

١. أرسل لنا الناموس، لِيُعِينَنَا على إدراك فقداننا لصورة الله وانحرافنا عن أن نسلك على مثاله.
٢. الله في محبته عَيّن السمائيين للاهتمام بنا، فأقام للبشرية حراسة ملائكية.
٣. أرسل الأنبياء، خاصة في أحلك العصور لبثّ روح الرجاء في مراحم الله، والتعرّف على خطة خلاصه.
٤. جاء كلمة الله متجسدًا، أخلى نفسه وأخذ شكل العبد، وصُلِبَ لأجلنا، ورفع اللعنة عنا، وبنيامته دخل بنا إلى بهجة الميراث الأبدي.

❖ أمّا ما يلزمنا أن نُعبّر عنه حتى إن أردنا ذلك، فإن هذه لا يمكن لإنسانٍ عاقلٍ وذهنه سليم أن يقف صامتًا عنها، وهي حقيقة أن الله خلق الإنسان على صورته ومثاله، إذ يعتبره أهلاً لمعرفة

<sup>١</sup> Reg. Fus. 2.



(اللَّهُ)، مُفضِّلاً إياه عن كل الحيوانات. لقد زَيَّنَه بالعقل، ومنحه الفرصة أن يَتَمَتَّعَ بجمال  
الفردوس الذي لا يُصدَّق. خلقه سيِّداً على كل مخلوقات الأرض.  
حتى بعد أن خدعته الحيَّة وسقط في الخطية، وبالخطية سقط في الموت والشرور الملازمة  
له، لم يتركه الله.

١. أولاً، أعطاه الناموس كمُعِينٍ له.

٢. عَيَّن ملائكة لحراسته والاهتمام به.

٣. أرسل أنبياء لدحض الشر وتعليم الفضيلة، وضبط دوافع الشر بالتهديدات، وإثارة الغيرة  
نحو الصلاح بالمواعيد (الإلهية)، والإعلان مرة أخرى عن مصير الطبقتين [الصالحين  
والأشرار]، وإظهار أحكام مسبقة في حالة أشخاصٍ مختلفين لأجل تحذير البقية.

٤. بالإضافة كل هذه الاحسانات وغيرها، لم يترك الإنسان حتى عندما صَمَّم على  
العصيان. إننا لا نُحرِّم من صلاح الله، ولا نُعاق عن حُبِّه لنا بسبب غباوتنا في التعامل مع  
صانع الخيرات، متمردين لعدم معرفتنا عظم محاسنه الممنوحة لنا. على العكس ردنا ربنا يسوع  
المسيح من الموت إلى الحياة مرة أخرى.

حتى الوسيلة التي منحنا بها هذا الإحسان تدعو إلى عجبٍ عظيم: "الذي إذ كان في صورة  
الله، لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله، لكنه أخلى نفسه، آخذاً صورة عبد" (في ٢: ٦-٧).  
علاوة على ذلك، أخذ على عاتقه ضعفاتنا، وحمل أحراننا (إش ٥٣: ٤). لقد صُلِبَ من  
أجلنا لكي بجراحاته تُشْفَى (إش ٥٣: ٥).

أيضاً خَلَّصنا من اللعنة، إذ صار لعنة من أجلنا (غل ٣: ١٣). واحتمل أشنع أنواع الموت  
لكي ما يرد لنا حياة المجد، ولم يكتفِ بمجرد ردِّ الحياة للذين ماتوا، بل وهبنا كرامة اللاهوت  
وأعدَّ لنا الراحة الأبدية التي تفوق كل فهمٍ بشريٍّ في عظمة فرحها (١ كو ٢: ٩).

لذلك، ماذا نرد للرب عن كل الإحسانات التي منحنا إياها (مز ١١٦: ١٢)؟ بالحق إنه  
صالح، لا يطلب مكافأة، إنما يكتفي بمجرد حُبنا له مقابل عطاياه<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## ١١. لا تهينوا المُحسِنَ إليكم

الآن إذ قدَّم لنا الخلاص، يليق بنا بالأكثر أن نراعي محبة مُخَلِّصنا، فتلتهب قلوبنا بالشوق  
نحو الاتحاد معه، وتُسَرَّ السماء بنا ويخزي عدو الخير الذي يود أن يشمت فينا.

<sup>1</sup> Reg. Fus. 2.

❖ عندما أستدعي كل هذه الأشياء في ذاكرتي (إن كنت أتحدث حسب مشاعر)، فإنني أُضرب بنوع من المخافة الرهيبة ورعبٍ باردٍ، لئلاً خلال تشتيت الفكر والانشغال بالأباطيل أسقط من محبة الله وأصير موضع إهانة للمسيح. لأن ذلك الذي يخدعنا الآن ويسعى بكل وسيلة أن يحثنا على تجاهل المُحسِن إلينا خلال الارتباك بإغراءات العالم التي تقفز علينا وتطأ علينا لتحطيم نفوسنا، عندئذ في حضرة الرب تويخنا على وقاحتنا، وتشمّت لعصياننا وارتدادنا. ذلك الذي لم يخلقنا قط ولا مات لأجلنا ليحسبنا بين تابعيه في عصيانٍ وإهمالٍ لوصايا الله.

هذه الإهانة الموجهة للرب، وهذه النُصرة لعدونا تبدو لي أكثر رُعبًا من عقوبات جهنم، لأننا نعطي لعدو المسيح المادة ليفتخر، والحجة لكي يتشامخ على من مات لأجلنا وقام. من أجل ذلك فإننا مدينون له بمعنى خاص جدًا كما هو مكتوب (رو ٨: ١٢). لهذا يليق بنا بالأكثر أن نراعي محبة الله.

ليس هدفي، كما قلت سابقًا، أن أعرض كل الموضوع، إذ هذا مستحيل، بل أن أغرس في نفوسكم باختصار تذكُر الاحتفاظ بالشوق الإلهي يقظًا داخلكم<sup>١</sup>.

❖ سؤال: ما هو معيار حُبنا لله؟

الإجابة: أن تتسع النفس أكثر من قوتها تجاه إرادة الله، وأن تجعل مجده هو شغلها الشاغل والرغبة الدائمة لها<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## مخافة الرب

بعد أن أطال الحديث عن التزامنا أن نحب الله، كوصية أولى وأساسية، بها يمكننا أن نُتمم كل الوصايا، خاصة محبة القريب، أوضح ضرورة الالتزام بمخافة الرب، خاصة بالنسبة للمبتدئين. قال أحد آباء البرية: [كما أن مصباحًا يُضيء حجرة مُظلمة هكذا مخافة الرب إذ تخترق قلب إنسان نيره، مُعلِّمة إياه كل الفضائل ووصايا الله].

❖ بالنسبة للذين دخلوا حديثًا في طريق التقوى، التدريب الرئيسي لنفعهم بالأكثر هو "المخافة"، وذلك حسب مشورة سليمان أحكم من في البشر: "رأس الحكمة مخافة الرب" (أم ١: ٧). أمّا بالنسبة لكم يا مَنْ عبرتم طفولتكم في المسيح، ولستم بعد تطلبون اللبن، بل أنتم قادرين على أن

<sup>1</sup> Reg. Fus. 2.

<sup>2</sup> Regulae brevius tractatae, 211.

تصيروا كاملين في الإنسان الداخلي بطعام التعليم القوي (عب ٥: ١٣-١٤)، أي أنكم محتاجون إلى الوصايا العالية التي بها يتدفق كل الحق الخاص بالمحبة في المسيح.

ولكن يلزمكم أن تكونوا حريصين تمامًا لئلا بفيض عطايا الله تقعون تحت حكم قاسٍ، إن كنتم جاحدين للمُعطي (الله)، إذ يقول: "كل من أعطي كثيرًا يُطلب منه كثير" (لو ١٢: ٤٥).<sup>١</sup>

❖ أجل، إن الرب صالح، ولكنه عادل أيضًا، ومن خصائص العادل أن يجازي بحسب الاستحقاق... إن الرب رحوم، ولكنه ذو إنصافٍ أيضًا، فقد قيل: "الرب يحب الرحمة والعدل" (مز ١٠٠: ١).<sup>٢</sup>

❖ إنه رحوم، لكنه هو ديان أيضًا، لأن الرب "يحب الرحمة والحكم" كما يقول المرتل... أنتم ترون كيف بظنة يهب الرحمة؛ لكنه ليس رحومًا دون عدل، ولا هو عادل دون الرحمة، لأن الرب رحوم وعادل (مز ١١٥: ٥).<sup>٣</sup>

❖ تدمر الشعب لأنه لم يوجد ماء. سُجِّد أن قال موسى لشعبه: "أمن هذه الصخرة تُخرج لكم ماء؟" (عد ٢٠: ١٠) هكذا تردد (موسى) إلى حد ما، ولكن من أجل هذا وحده، للحال استلم التهديد أنه لا يدخل أرض الموعد، التي كانت في ذلك الوقت رأس كل الوعود المُعطاة لليهود. عندما أرى هذا الإنسان يسأل ولا ينال صفيحًا، عندما أراه لا يتأهل لنوال المغفرة من أجل هذه الكلمات القليلة بجانب أعمال برٍّ كثيرة هكذا، بالحق أدرك في كلمات الرسول صرامة الله (رو ١١: ٢٢). أدرك تمامًا هذه الكلمات الحقيقية: "إن كان البار بالجهد يخلص، فالفاجر والخاطيء أين يظهران" (١ بط ٤: ١٨).<sup>٤</sup>

❖ سؤال: كيف نخاف من دينونة الله (عب ١٠: ٢٧)؟

الإجابة: توقُّع أي شيء مُرعب يدفع الإنسان إلى الخوف. هكذا نحن نخاف من الحيوانات المفترسة وكذلك من الحكام، متوقعين بعض الشر من جانبهم. وبالتالي لو أن شخصًا آمن بأن بتحذيرات الله عن الدينونة الأخيرة حقيقية، وتوقُّع أنها مخيفة ومُرعبة، إذن فمن الطبيعي فإننا نخشى أحكام الله.

<sup>1</sup> Reg. Fus. 2.

<sup>٢</sup> حفظ الوصايا والتعليم: ٤ ترجمة يوسف شماس المخلصي.

<sup>3</sup> The Long Rules.

<sup>4</sup> Preface on The Judgment of God.

<sup>5</sup> Regulae brevius tractatae, 209.

❖ سؤال: كيف يستطيع الإنسان أن يتَّمم حُبّه لله؟

الإجابة: عندما نكون في حالة شكر وعرقان دائم من أجل نِعَم الله، والتي هي السبب ذاته - كما نراها - مع الحيوانات الغير عاقلة. فالكلاب مثلاً تُحب الذين يُقدِّمون لها الطعام. أيضاً نتعلَّم هذا المبدأ من اتِّهام الرب لشعب بنى إسرائيل على لسان إشعياء النبي، قائلاً: "رَبَّيت بنين ونشأتهم، أمّا هم فعصوا عليّ، الثور يعرف قانيه، والحمار معلف صاحبه، أمّا إسرائيل فلا يعرف. شعبي لا يفهم" (إش ١: ٢-٣).

كما أن الحُبّ ينمو بطريقة عفوية بين الحمار تجاه صاحبه، والثور تجاه قانيه، كذلك نحن أيضاً. لو أننا نشكر الله ممتنين على نِعَمه التي يُعطيها لنا، فكيف إذن لا نحب من يمنحنا الكثير من تلك العطايا العظيمة؟! كيف لا تتشكّل مثل هذه الفضيلة في وجدان النفس السوية بطريقة طبيعية بدون أن تتعلَّمها (تتدرَّب عليها) إن جاز التعبير؟!<sup>١</sup>

❖ سؤال: ما هي العلامات الكامنة فينا التي تدل على الحب تجاه الله؟

الإجابة: لقد علَّمنا الرب نفسه ذلك، عندما قال: "إن كنتم تحبونني، فاحفظوا وصاياي" (يو

١٤: ١٥)<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير



<sup>1</sup> *Regulae brevius tractatae*, 212.

<sup>2</sup> *Regulae brevius tractatae*, 213.



## الحبّ الأخويّ

عند

القديس باسيليوس الكبير

### الحبّ الأخويّ والوحدة

يقول القديس أغسطينوس: [إن كان جسد المسيح والأعضاء المنتمون إليه هم واحد، فلا تجعلوا من الأعضاء جسدين!] [وربما في شيء من المبالغة يقول: [يمكننا بصدق أن ندعو كل هؤلاء المسيح، الذين مسحوا بالمسحة ما دام الجسد كله مع رأسه هو مسيح واحد].<sup>٢</sup>

❖ أي شيء أكثر بهجة من رؤية كل الذين انفصلوا بمسافات بعيدة ارتبطوا معًا بوحدة الحب في تناغم كأعضاء في جسد المسيح؟!<sup>٣</sup>

❖ الرب نفسه الذي فصل الجزائر عن القارة بالبحر يربط جزيرة المسيحيين بالقارة خلال الحب. يا إخوة، ليس شيء يفصلنا عن بعضنا البعض سوى النفور المتعمد.<sup>٤</sup>

❖ سؤال: ماذا يعني الحنو تجاه شخص مع الحبّ الأخوي (رو ١٢ : ١٠)؟

الإجابة: يظهر الحنو بشدة أكبر في شكل الصداقة في توطد العلاقة بين الحبيب ومحبيه باشتياقٍ وغيره. وبناء على ذلك لكي لا يكون الحبّ الأخوي سطحيًا، بل يكون فطريًا ووطيدًا، قيل: "وآدين بعضكم بعضًا بالمحبة الأخوية" (رو ١٢ : ١٠).<sup>٥</sup>

القديس باسيليوس الكبير

### الشركة الأخويّة

لا يرضى القديس باسيليوس أن يُضَحّي بالفرد الإنساني لحساب المجتمع، ولا المجتمع لحساب الإنسان. فهو يبرز بكل قوّة أهميّة الكائن البشري ورفعة كرامته، وفي نفس الوقت أهميّة الحياة الاجتماعيّة.<sup>٦</sup>

<sup>1</sup> Sermons on New Testament Lessons, 41:7.

<sup>2</sup> City of God 17:5.

<sup>3</sup> Mike Aquilina: The Way of the Fathers, Indiana 2000, article 514

<sup>4</sup> Mike Aquilina: The Way of the Fathers, Indiana 2000, article 515

<sup>5</sup> Regulae brevius tractatae, 242.

<sup>6</sup> الأب إلياس كويتر المخلصي: القديس باسيليوس الكبير . منشورات المكتبة البولسية، بيروت، ١٩٨٩، ص ١٠١

❖ ليس أحد منا يقدر أن يقوم وحده بكل حاجاته الجسدية، بل نحتاج بعضنا إلى بعض لقضاء تلك الحاجات.<sup>1</sup>

❖ لا يتمتع الإنسان في العيشة الاجتماعية بموهبته الخصوصية فقط، بل يضاعفها بإشراك الآخرين فيها، ويجتني ثمرًا من مواهبهم كما يجتني من موهبته.<sup>2</sup>

❖ الإنسان الذي يخفي في ذاته ما منحه الله من النعم والمواهب ولا يشرك سواه في فوائدها، يُدان كأنه دفن وزنته.<sup>3</sup>

القديس باسيليوس الكبير

## الحب الأخوي والعطاء

❖ يليق أن نكون رحماء وكرماء فمن لا يكونون هكذا يُسجَبون (مت ٥ : ٧ ، ١ تي ٦ : ١٨).<sup>4</sup>

❖ كل ما يقتنيه الإنسان بزيادة وما لديه كضرورة للحياة يلزم يعمل به ما هو للخير حسب وصية الرب الذي يهبنا ما لدينا (لو ٣ : ١١ ؛ ١ كو ٤ : ٧).<sup>5</sup>

❖ يلزمنا أن نهتم باحتياجات الإخوة وندافع عنهم حسب إرادة الله (مت ٢٥ : ٣٤-٣٦).<sup>6</sup>

القديس باسيليوس الكبير

## خدمة القديسين

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [عندما يركز شخص ما وأنتم تخدمونه، تشاركونه أكاليه. فإنه حتى في المصارعة لا يأخذ الإكليل من يغلب فقط، وإنما يشاركه فيه مُدْرِبُه والحاضرون وكل الذين أَعَدُّوا حلقة المصارعة. فالذين يقودونه ويُدْرِبُونه بحق يُشاركونه نُصْرَتَه].<sup>7</sup>

❖ مُباركٌ هو الله الذي يختار هؤلاء الذين في كل جيل يسرّونه، ويُعرفون كأولٍ مختارة منه، ويستخدمهم لخدمة القديسين.<sup>8</sup>

القديس باسيليوس الكبير

<sup>1</sup> *Regulae fusius tractatae. Question 7.*

<sup>2</sup> *Regulae fusius tractatae Question 7.*

<sup>3</sup> *Regulae fusius tractatae Question 62.*

<sup>4</sup> *Morals Rule 48:1.*

<sup>5</sup> *Morals Rule 48:2.*

<sup>6</sup> *Morals Rule 48:6.*

<sup>7</sup> *Homilies on Philipians, homily 1.*

<sup>8</sup> *Mike Aquilina: The Way of the Fathers, Indiana 2000, article 970*

## فن الحوار

❖ لتتعلموا كيف تتناقشون، كيف تسترجعون بدون مبالغة في الجدية، وكيف تجاوبون بدون رغبة في التباهي، مع عدم مقاطعة من يتركلم في أمورٍ نافعة، وعدم الرغبة في نسب كلمة آخر إليكم من أجل الطموح. يليق بكم أن تزنوا كل كلمة مقولة ومسموعة، مع عدم الخجل من قبول أية معلومة، وعدم إنكار الجميل لما تعلمتموه من الآخرين...

يليق بالشخص أن يفكر أولاً فيما سيقوله وعندئذ ينطق به.

كونوا لطفاء عندما تُخاطبون، ورفيقيين في الحوار المتبادل، دون الهدف أن تُسرَّ بالحداقة، بل تبقوا على اللطف بنصائح رقيقة. لتتجنبوا الفظاظة تمامًا حتى في توجيه اللوم<sup>1</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## وفاء الكلاب

❖ ما يحفظه الحيوان من ذكر المعروف الذي ناله ما يُخجل الإنسان الناصر الجميل لمن أحسن إليه. ويحفظ لنا التاريخ ذكر كثير من الكلاب التي ماتت يأسًا على مقتل أسيادها في أماكن مقفرة. وفي أحوال أخرى دلت على القاتل، ودفعت إلى القبض عليه.

فماذا يقول من ليس فقط يتغافلون عن حُبِّ الله الذي خلقهم ويقوتهم، بل يشتركون مع من يجذفون على اسمه؟<sup>2</sup>

❖ يلزمنا ألا نلجأ إلى خصومات قضائية بخصوص أمورٍ جسدية، حتى إن كانت هناك ضرورة للوقاية (لو ٦ : ٢٩-٣٠)<sup>3</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## اللطف والصلاح

❖ سؤال: ما هو الاختلاف بين اللطف والصلاح؟! (غل ٥ : ٢٢)

الإجابة: يقول داود في موضع: "الرب لطيف (صالح) مع الكل" (مز ١٤٥ : ٩)، وأيضًا: "الرجل اللطيف يترآف ويقرض" (مز ١١٢ : ٥)، وفي موضع آخر: "الرب صالح للصالحين" (راجع مز ١٢٥ : ٤)، بينما يقول إرميا النبي: "صالح هو الرب للذين يترجونه" (مرا ٣ : ٢٥). لهذا أعتقد أن اللطف أوسع، من خلاله يستطيع الإنسان أن يُقدّم نعم للذين يحتاجون إليها. أما الصلاح فهو أضيق حدودًا من المحبة مع اعتبار أنه يضم (يحوي) مبادئ العدالة<sup>4</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>1</sup> Mike Aquilina: *The Way of the Fathers*, Indiana 2000, article 601.

<sup>2</sup> ترجمة الأب ج. عقيقي اليسوعي.

<sup>3</sup> *Morals Rule 49:1.*

<sup>4</sup> *Regulae brevius tractatae*, 214.

## الفرح

عند

القديس باسيليوس الكبير

الرب سرُّ فرحنا

غاية الرهبنة ليست مُجَرَّد الانسحاب من هموم العالم، إنما بالأكثر تذوُّق خبرة السماء المُتهلِّلة خلال رحلة حياتنا على الأرض. لذلك كثيرًا ما يدعو الحياة الرهبانية حياة ملائكية، ويدعو الرهبان إلى ممارسة التسبيح.

❖ ما هو "الفرح في الرب" (في ٣ : ١ ؛ ٤ : ٤)؟ وماذا يجب أن نفعل إذ نفرح؟

الفرح في الرب هو التمتع بالابتهاج بكل شيء يتم بحسب وصية الرب ولمجده. هكذا في كل وقت نعمل وصايا الرب أو حتى متى نتألم من أجل اسمه بوسيلة ما، يجب أن نفرح ونشارك بعضنا البعض<sup>١</sup>.

❖ سئَل: ما هو الفرح بالرب؟

فأجاب: عندما نُكَمِّل وصايا الرب، أو إذا تألمنا من أجل اسمه، حينئذ ينبغي أن نفرح. وهذا النوع أيضًا ينبغي فيه أن نفرح بعضنا مع البعض<sup>٢</sup>.

❖ فوق هذا كله ليُزَاع كلمات الرسول: "إن آلام الزمان الحاضر لا تُقَاس بالمجد العتيد أن يُستعلن فينا" (رو ٨ : ١٨)، وتوقع الإعلان مع داود من أجل الذين يحفظون الوصايا، توجد مكافأة عظيمة (مز ١٩ : ١٢)، وجزاء وأكاليل البرّ، والسكنى الأبدية، والحياة التي بلا نهاية، والفرح غير المنطوق به، والمواضع غير الزائلة مع الآب والابن والروح القدس، الذي هو الله الحق في السماء، واللقاء وجهًا لوجه، والرقص مع الملائكة والآباء البطارقة والأنبياء والرُّسل والشهداء لثُحَسَب مع هؤلاء بنعمة ربنا يسوع المسيح، الذي له السُّلطان والمجد إلى أبد الأبد. آمين.

❖ "اهتفوا أيها الصديقون بالرب، بالمستقيمين يليق التسبيح" (مز ٣٣ : ١).

كثيرًا ما نسمع عن صرخات الهتاف في الكتاب المقدس، التي تُعبّر عن حالة النفس السعيدة جدًّا، والمملوءة فرحًا. ليس لأن كل شيء يسير على ما يرام، وليس لأجل صحة

<sup>١</sup> *Regulae brevius tractatae*, 193.

راجع دير السريان: القديس باسيليوس، ٢٠٠٣، ص ٢٢٦



جسدية، ولا لأن الحقول أتت بالثمار من كل نوع، بل لأنهم اقتنوا الرب. فهو الجميل والطيب والحكيم. ألا يكفيكم هذا الفرح الذي ملاكم به...؟

يحث هذا النص الصديقين أن يدركوا مقدار كرامتهم، لكونهم استحقوا أن يكونوا من قطيع هذا المعلم، وأن يشعروا بالفخر وهم يخدمونه. لقد امتلأوا بفرح لا يُنطق به، وهم يقفون وكان قلوبهم تندفع في حماس المحبوب نحو الله المحب.

إن أحسست في قلبك بمثل هذا النور الذي يُؤد فيك معرفة شاملة نحو الله، إن أنار الله قلبك لتُحبه، يقل اهتمامك بالعالم وأموره المادية. بهذا الإحساس الغامض القصير تستطيع أن تُدرك ملء امتلاء الصديقين الذين استمدوا سعادتهم من الله باستمرار وبلا توقّف.

نادرًا ما تشعر بهذا الإحساس الذي يُعطى لك بتدبير من الله. بهذا الإحساس تعود وتتذكر ما تفتقده. أمّا الإنسان البار، فيشعر بهذه السعادة الإلهية المستمرة، لأن فيه يسكن الروح، وأول ثمار الروح "محبة وفرح وسلام" (غل ٥ : ٢٢).

"اهتفوا أيها الصديقون بالرب" (مز ٣٣ : ١). يحلّ إله الصديقين في النفوس التي تستطيع أن تسعه، والذي يحل فيه يتّسم بالشجاعة. ويتهلل ويصير البار مسكنًا للرب عندما يقبله في قلبه. أمّا الذي يُخطئ، فيترك المكان لإبليس، ويغلق أذنه عن سماع تلك الكلمات: "لا تعطوا إبليس مكانًا" (أف ٤ : ٢٧) ولا تلك التي جاءت في سفر الجامعة: "إن صعبت عليك روح المُتسلط... فلا تترك مكانك" (جا ١٠ : ٤) ليتنا ننظر، قدر ما نستطيع، في الرب، ولنخزن الفرح في قلوبنا ونحن نتأمل في هذه الكلمات: "بالمستقيمين يليق التسبيح" (مز ٣٣ : ١)¹.

القديس باسيليوس الكبير

## فرحنا بالنصرة على الشيطان

❖ "أحسنوا العزف لمجده بالرياب بهتاف" (مز ٣٣ : ١)، مثل الجنود المُلتزمين الذين انتصروا على أعدائهم، فرفعوا أصواتهم بهتافات النصر. لقد قال: "تقوا أنا قد غلبت العالم" (يو ١٦ : ٣٣)؛ فمن هو الإنسان الذي يستطيع أن يُحارب الشرير دون أن يختبئ في ظل قدرة قائده؟ ونحن في ملء الرجاء، فيه نطرح عدونا، ونعصيه بالسهام...

التهتاف صرخة غير منظوفة، يتفق عليها جميع المحاربين ويطلقونها بنفس واحدة، وقد ارتبطوا جميعًا برباط المحبة².

القديس باسيليوس الكبير

¹ تفسير المزمور ٣٣ (٣٢).

² تفسير المزمور ٣٣ (٣٢).

## الحزن المفرط يُفسد العقل

❖ لا تُحبَط، فإن الحزن الزائد يصير مصدرًا للخطية. يفيض الحزن على العقل (فيُفسده)، يُسبب العجز ارتباكًا، ويؤدِّد الاضطراب أفكار جحود<sup>1</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## التسبيح والفرح والتهليل

عمل عدو الخير أن يُحطِّم حياة الإنسان ويُفقد سلامه وفرحه، ليُشاركه البؤس الذي حلَّ عليه باعتزله خالقه. لذا يدعونا القديس باسيليوس إلى التسبيح بالمزامير.

❖ المزامير تهب النفس الطمأنينة، وتعطيها السلام وتهدئ فيها بلبلة الأفكار وتراكم الشهوات.

هذا الكتاب هو كتاب المحبَّة...

هو سلاح ضد الشيطان...

هو سبب راحة بعد تعب النهار...

هو تعزية الشيوخ،

هو باعث أفراحنا وأحزاننا المقدَّسة...

هو نشيد رائع، هو صوت الكنيسة، هو بخور زكي الرائحة<sup>2</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## البشاشة والفرح

كثيرًا ما يرتبط الصوم بالأعياد في العهد القديم، إذ هو طريق التقاء الإنسان مع الله بكونه عيدًا الدائم، ومصدر فرحه الداخلي. فالمؤمن الحقيقي في صومه لا يعرف العبوسة بل البشاشة كانعكاس لفرحه الداخلي. يليق أن يُمارَس الصوم بالشكر في بهجة قلب.

بتدبيرٍ عجيبٍ وَضَعَت الكنيسة أغلب أصوامها تنتهي بالاحتفال بعيد ما، وكان غاية الصوم هو التأهّل للتمتع بالعيد السماوي، أو نوال خبرة الفرح السماوي. فحين نمارس الصوم لفترات طويلة وينتهي بعيد الميلاد المجيد أو عيد الفصح المسيحي. فإن ما يشغل ذهن المؤمن في صومه ليس الامتناع عن الطعام في فترة الانقطاع أو عن أطعمة مُعَيَّنة في بقية اليوم، بل تتهلَّل نفوسنا بربِّ المجد يسوع الذي وُلِدَ لكي يُقدِّم لنا حياته خبزًا سماويًا يُشبع نفوسنا. ننشغل بعمله الخلاصي حيث وهبنا قيامة نفوسنا التي حلَّ بها الموت، وقد فسدت تمامًا بالخطية المُدمِّرة.

<sup>1</sup> In the Time of Famine and Drought, 5.

<sup>2</sup> راجع الأب الياس كويتز المخلصي: القديس باسيليوس الكبير، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، ١٩٨٩، ص ٢٩٢. عظة على المزامير.

❖ يقول الرب: "ومتى صُمتُم فلا تكونوا عابسين كالمرائين. فإنهم يُغيِّرون وجوههم، لكي يظهروا للناس صائمين. الحق أقول لكم إنهم استوفوا أجرهم. وأما أنت فمتى صُمت فادهن رأسك واغسل وجهك" (مت ٦: ١٦-١٧).

دعونا نتصرَّف كما تعلَّمنا، فلا نظهر عابسي الوجه في أيام الصوم القادمة، لكن علينا أن نظهر بوجهٍ بشوشٍ كما يليق بالفديسين.

فعدم الشفقة لا يُتَّوَّج، ولا عابس الوجه يحتفل بنصرٍ. فلا يليق أن أفرح وأسعى نحو صحة النفس، بينما ينتابني حزن بسبب تغيير الأطعمة في فترة الصوم، لماذا أفرح وأهتم براحة الجسد، في الوقت الذي لا أبالي براحة النفس!؟

بالحقيقة إن الرفاهية تعوق استمتاع البطن بالمأكولات، أما الصوم فيجلب فائدة إلى النفس. لهذا ينبغي عليك أن تفرح إذ أعطي لك دواء فعَّال من الطبيب، دواء يمحي الخطية. فكما تموت الديدان التي تحيا في أمعاء الأطفال بدواءٍ فعَّال، هكذا الصوم عندما يدخل إلى عمق النفس، يُميت الخطية التي تسكن فيها.

تدعوك كلمات الرب: "ادهن رأسك، واغسل وجهك" (مت ٦: ١٧) إلى ممارسة الأسرار. فالذي يُدهن يُمسح، والذي يغتسل يتطهَّر. ونحن نتكلَّم عن الإنسان الداخلي، فهيا طهِّر نفسك من الخطايا، ولتمسح رأسك بالمسحة المقدسة، لتصير شريكًا للمسيح.

هكذا تأتي إلى الصوم. فلا تكتتب وتكسي وجهك بالسواد مثل المرائين. فالوجه يكسوه السواد عندما يتلوَّن الإنسان الداخلي بالرياء، فيتغطَّى الشكل الخارجي بقناع كاذب مُزيَّف. فالممثل هو الذي يلبس قناعًا على وجهه، وهو على المسرح.

كما أن العبد مرات كثيرة يلبس قناعًا ليتشبه بالسيد، وأحيانًا يلبس قناعًا ليتشبه بالملك. هكذا في هذه الحياة نجد الأغلبية من البشر كأنهم على مسرح، يلعبون أدوارًا تمثيلية، فيحملون في القلب أمورًا دفينية، بينما يُظهرون إلى الناس أمورًا أخرى مُغايرة. إذا لا تضع قناعًا على وجهك، بل عش على حقيقتك.

لا تتملَّق وتظهر بوجه عابس، لتقتنص مجدًا ليس لك. فبالإحسان الذي تفعله علنًا وبالصوم الذي لا تتوانى في إعلانه جهارًا لن تستفيد شيئًا، لأن أمور النفاق والتملُّق التي تمارسها بطريقة ظاهرة لا تأتي بثمار للحياة الأبدية، إنك تُفسد الثمار بقبولك مديح الناس. أسرع إذا بفرح إلى نعمة الصوم. فالصوم هو عطية وهبت لنا منذ القَدَم، وهو لا يهرم ولا يشيخ. بل يتجدد دائمًا وينمو ويزهر لكي يأتي بثمارٍ ناضجة<sup>١</sup>.

<sup>١</sup> عظتان عن الصوم عن الصوم: ١:١-٢

❖ متى صُمّت لا تكن عابسًا مثل اليهودي، لكن اجعل ذاتك مُشْرِقة بالفرح (انظر مت ٦ : ١٦ - ١٧). بمعنى أنه لا ينبغي أن تحزن لأجل حرمان بطنك من الأطعمة، بل أن تفرح من كل نفسك من أجل المُتَع الروحية<sup>١</sup>.

❖ "وعند المساء يببب البكاء... وفي الصباح ترنم" (مز ٣٠ : ٦). تذكر أوقات آلام الرب... لتفهم ما أقول...

في المساء بكى تلاميذ الرب عندما رأوه معَلَّقًا على الصليب... وفي الصباح تعالت أصوات الفرحة بعد القيامة... ركضوا في فرح يُبشِّرون بعضهم البعض بالبشارة المُفرحة... لقد رأوا الرب.

وإذ تكلمنا بصفة عامة... يشير المساء إلى الحياة في هذا العالم... فالذين يبكون... بالفرح يتعزُّون حينما يأتي الصباح "طوبى للحزاني، لأنهم يتعززون" (مت ٥ : ٤). "طوباكم أيها الباكون الآن، لأنكم ستضحكون" (لو ٦ : ٢١).

والذين أمضوا حياتهم... التي اقتربت من نهايتها... واقترب غروب شمسها... يُقاومون الخطية بدموع... سيفرحون عندما يأتي الصباح الحقيقي... "الذين يزرعون بالدموع، يحصدون بالابتهاج" (مز ١٢٦ : ٥) في المستقبل<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير



<sup>١</sup> عظتان عن الصوم ٢ : ٣، ص ٣٢.  
<sup>٢</sup> مز ٣٠.



## عربون الأبدية

### عند القديس باسيليوس الكبير

#### ١. خلق الإنسان تدعونا للاتصاق بالسماء

يُعتبر الإنسان عند الله أعز ذليقة على الأرض، خلقه على صورته ومثاله، ربما ليعبر إلى السماء، ويوجد في حضن الله أبدياً.

❖ الإنسان شيء عظيم، والإنسان الذي يرثى له مكرم (أم ٢٠: ٦ LXX)، هذا الذي كرامته في بنيته الطبيعية. لأنه أي شيء آخر على الأرض خلق على صورة الخالق (تك ١: ٢٧)؟  
ماذا من الحيوانات التي تعيش على اليابسة أو في الماء أو في الهواء، أعطي لها أن تحكم ولها سلطان على كل الأشياء (تك ١: ٢٨)؟...

"ونفخ في أنفه" (تك ٢: ٧)، بمعنى أنه أقام في الإنسان شركة نعمته، حتى يُعرف الشبه بالشبه. ومع ذلك إذ له هذه الكرامة العظيمة، إذ خلق على صورة خالقه، كرم فوق السماوات والشمس وكل مجرات الكواكب. فإنه أية أجساد سماوية قيل عنها إنها على صورة الله العليّ؟  
أي نوع من صورة خالقه احتفظت بها الشمس؟

وماذا عن القمر؟

وماذا عن بقية الكواكب؟

فإن هذه جميعها لها أجسام مادية جامدة، وواضح أنها قابلة أن تكون منظورة، لكن ليس لها عقل ولا عواطف إرادية ولا حرية إرادة، بل على العكس خائفة، تتحرك بالضرورة المفروضة عليها، لذلك تسلك على الدوام بدقة بحركة واحدة في الظروف نفسها...

حقاً توجد غباوة متزايدة، إذ يتشبه ذلك الذي خلق على صورة الخالق بالبهيمة التي بلا عقل. إنه لا يعرف بنيانه منذ البداية، ولا يرغب في أن يفهم التدابير العظيمة التي صنعت لأجله؛ على الأقل أن يتعلم كرامته منها، إنما لا يُبالي بالحقيقة، مُلقياً عنه صورة السماوي، ليأخذ صورة الترابي. ولكي لا يبقى في الخطية، من أجله "الكلمة صار جسداً، وحلّ بيننا" (يو ١: ١٤)، وأخلى نفسه حتى أطاع إلى الموت، موت الصليب" (في ٢: ٨).

إن كنتم لا تُبالون بأصلكم الأول، فمن أجل الثمن الذي دفع عنكم، اقبلوا على الأقل شيئاً من التفكير في كرامتكم، وتطلّعوا إلى ما قدّم عوضاً عنكم، وتحققوا ممّا تأهلتُم له. لقد اشتريتم

بدم المسيح الثمين، فلا تكونوا عبيدًا للخطية. افهموا كرامتكم، فلا تتشبهوا بالبهايم البليدة<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## ٢. دعوة الجسد والنفس البشرية للتطلع نحو السماء

❖ كيف ترى هيئة ذوات الأربع؟ إن رأسها مُنحِن صَوْبَ الأرض، وهي تنظر إلى بطنها، تُفْتَس عن الأشياء التي تتلذذ بها. أما أنت أيها الإنسان، فأرسك مُرتَفِع نحو السماء، وعيناك تنظران إلى العُلَى، فإذا كنت تتلَطَّح بشهوات الجسد، وتتعبَّد للذَّات الجوف، وللذَّات السُّفلية، فأنت بهذا تقترب من الحيوانات التي لا تعقل، وتتشبه بها (مز ٥٨ : ١٣).

إني أعرض عليك الاهتمام بأمرٍ آخر يليق بك: "أطلب الأشياء السامية، حيث المسيح" (كو ٣ : ١). وارتفع فوق أعراض الدنيا الفانية، وتعلَّم من تكوينك الجسدي، واجعله قانونًا لحياتك: فمدينتك هي السماء، ووطنك الحقيقي هو أورشليم العليا، ومواطنوك هم الأبرار، الذين كُتِبَت أسماؤهم في السماوات<sup>٢</sup>.

❖ مَنْ مِنَ الكائنات الأَرْضِيَّة خُلِق على صورة الله إِلَّا الإنسان؟ ولمن أُعطي السُّلطان على كل الطبيعة ومخلوقاتنا ليختصَّها لذاته؟ إنه لشرف عظيم يُكَلِّل جبينه ويسمو به إلى السماء، فوق الكواكب، أرفع من الشمس تشامخًا وعزَّة... ومع أنه أَوْضَع منزلة عن الملائكة لارتباطه بجسدٍ ماديٍّ فقد وَهَبَ قوَّة لفهم ومعرفة ربِّه وخالقه<sup>٣</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## السماء غاية حياتنا على الأرض

لم يُخَفِ باسيليوس من وصف البركات السماويَّة في أبهى ألوانها. لكنه يرى أن رجاء السماء هو الحافز لحياتنا على الأرض هنا. الفرح الرئيسي للسماء هو مكافأة الإيمان [الرؤية وجهًا لوجه<sup>٤</sup>].

❖ أتوق إلى عطية واحدة؛ أن أصارع من أجل مجدٍ واحدٍ وحده، مجد ملكوت السماوات... كلما أشرق هذا الجمال الإلهي علي أحد القديسين، يترك فيه حافزًا لرغبة لا تُحتمَل، فيصرخ مضطربًا من جهة الحياة الحاضرة: "ويل لي، فقد طالت غربتي عليّ، متى أترأى أمام حضرة الله؟" (مز ١٢٠ : ٥؛ ٤٢ : ٢)<sup>٥</sup>.

<sup>1</sup> Homily 19:8, (On Ps 48 LXX). Unto the End, A Psalm for the Sons of Core on the Prosperity of the Wicked.

<sup>2</sup> راجع الأب الياس كويتز المخلصي: القديس باسيليوس الكبير، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، ١٩٨٩، ص ٣١١. عظة ٣:٣.

<sup>3</sup> Hom. In Ps 48, 8, PG 29:450 b.

<sup>4</sup> De Ass. Disc, ad fin.

<sup>5</sup> Reg. Feus 2: 1.

❖ يحمل كل حيوان دوافع قُدِّمت له من الله لحفظ جنسه، لذلك قَدِّم لنا المسيح هذا التحذير أن ما يُمارسه الحيوان بالطبيعة يلزمنا أن نمارسه نحن بالعقل والحكمة، فنهرب من الخطيئة كما تهرب الحيوانات من الطعام القاتل، ونطلب البرّ كأعشاب مُفيدة.

يقول: "احذروا لأنفسكم"، أي ميِّزوا ما هو مميت ممّا هو صحّي.

لما كان هناك طريقان للحدّز لأنفسنا، واحد خلال الأعين الجسديّة، والآخر خلال وظائف النفس، وإذ لا تستطيع العين الجسديّة أن تبلغ الهدف، لذا فإنه يتحدّث هنا عن عمل النفس.

"احذروا"، بمعنى انظروا حولكم من كل جانب، بعين دائمة السهر لحراسة أنفسكم...

يوجد حولكم غنى وفنون وكل مباحج الحياة، يلزمكم ألا تهتمُّوا إلا بنفوسكم اهتمامًا خاصًا.<sup>1</sup>

القديس باسيليوس الكبير

## مدينتك هي السماء!

❖ وَجّه سعيك نحو السماء، واستفد من كل شيء تُصادفه في مسيرة حياتك على الأرض.<sup>2</sup>

❖ فالغاية التي نسعى إليها والتي نصبروا إلى الوصول إليها بكل حرص واجتهاد هي الحياة السعيدة مع الله في السماء الخالدة. ولا شيء في الدنيا يوازي هذا السعي الحميد شرفًا وعظمة للخليفة العاقلة.<sup>3</sup>

❖ من أراد بالحقيقة أن يكون تابعًا لله، يلزمه أن يقطع القيود التي تربطه بهذه الحياة. هذا يتحقّق بالعزل الكامل ونسيان العادات القديمة. فما لم ننتزع أنفسنا من كل الرباطات الجسديّة والمجتمع الزمني، وننتقل كما إلى عالم آخر خلال سلوك حياتنا، وكما قال الرسول: "هدايتنا (مواطنتنا) في السماء" (في ٣: ٢٠)، يستحيل تحقيق هدفنا نحو مسرّة الله.

وكما قال الرب بصورة دقيقة: "فكذلك كل واحدٍ منكم لا يترك جميع أمواله، لا يقدر أن يكون لي تلميذًا (لو ١٤: ٣٣). إذ نفعل هذا، يلزمنا أن نلاحظ قلوبنا بكل يقظة، ليس فقط أن نحذر لئلاّ نفقد فكر الله أو نلطح ذكرى عجائبه بتخيّلات باطلة، وإنّما لكي نحمل أيضًا فكر الله المقدّس مختومًا على نفوسنا، كختم دائم لا يُمحي، وذاكرة ظاهرة.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> *In Illud Attende 1.*

<sup>2</sup> راجع الأب الياس كويتر المخلصي: القديس باسيليوس الكبير، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، ١٩٨٩، ص ٣١٤. عظة ١٢ عن العلوم الإنسانيّة.

<sup>3</sup> راجع الأب الياس كويتر المخلصي: القديس باسيليوس الكبير، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، ١٩٨٩، ص ٣١٢. عظة على مزمور ٤٨: ١.

<sup>4</sup> *The Long Rules, Question 3.*



❖ الزهد هو حل رباطات هذه الحياة الماديّة الزائلة، وتحرُّر من الارتباطات البشريّة حتى نهى أنفسنا بالأكثر لنكون على الطريق الذي يقود إلى الله.

إنه الدافع الذي لا يُعاق لاقتناء الخيرات النفيسة جدًّا، التي هي "أشهى من الذهب والحجارة الكريمة" (مز ١٩ : ١٠) والتمتعُّ بها.

باختصار الزهد هو انتقال من القلب البشري إلى طريقة حياة سماويّة، فيمكننا القول: "فإن هدايتنا نحن هي في السماوات" (في ٣ : ٢٠). أيضًا النقطة الرئيسيّة - هي الخطوة الأولى نحو التشبُّه بالمسيح، الذي وهو الغني افتقر لأجلنا (٢ كو ٨ : ٩). فإن لم ننل هذا الشبه يستحيل علينا أن نبلغ طريق الحياة حسب إنجيل المسيح<sup>١</sup>.

❖ بينما نسحب جسدنا على الأرض مثل ظل، نحفظ نفوسنا في صُحْبَةِ الأرواح السمائيّة<sup>٢</sup>.

❖ نحن لا نقيم الصلوات وقوفًا يوم الأحد أول الأسبوع بدون سبب. ليس فقط لأننا قائمون مع المسيح، ونطلب ما هو فوق ممتدين إليه، بل أيضًا لأن هذا اليوم إنما هو بشكلٍ ما صورة الدهر الآتي. ولأجل ذلك أيضًا إذ هو مبدأ الأيام لا يُسمّى أولًا بل واحدًا، فموسى يُردّد قائلاً: "كان مساء وكان صباح".

القديس باسيليوس الكبير

## أورشليم العليا مدينة الله السماوية!

❖ يُعرّف البعض "المدينة" بأنها اجتماع لكائنات في جسم واحد مُنظَّم، يحكمه قانون. هذا التعريف الذي أُطلق على المدينة يتناسب مع المدينة السماوية، لأن هناك كنيسة أبقار المكتوبة أسماؤهم في السماويات (عب ١٢ : ٢٣). لأنها مُنظمة أيضًا، حيث لا يتوقّف انسياب حياة القديسين فيها، ويحكمها القانون السماوي.

ولا يمكن للطبيعة البشرية إدراك مدى استعداد هذه المدينة ونظامها، لأنه "ما لم تر عين، ولم تسمع به أذن، ولم يخطر على بال إنسان، ما أعده الله للذين يحبونه" (١ كو ٢ : ٩).

أيضًا يوجد في هذه المدينة ربوات من الملائكة، وكنيسة أبقار مكتوبين في السماوات (عب ١٢ : ٢، ٣). يذكر داود هذه المدينة فيقول: "قد قيل بك أمجاد يا مدينة الله" (مز ٨٧ : ٣).

ما وعد الله لهذه المدينة ينقله لنا إشعياء: "أجعلك فخرًا أبدياً فرح دورٍ فدورٍ"، لا يُسمع بعد ظلم في تخومك، بل تسمين أسوارك خلاصًا (إش ٦٠ : ١٥ ، ١٨).

<sup>1</sup> The Long Rules, Question 8.

<sup>2</sup> Concerning Baptism, ch. 2.



فلنرفع عيون نفوسنا، ولنبحث عن الخيرات العليا اللائقة بمدينة الله. نحن نرى من حيث الله ولكن من ذا الذي يعتبر نفسه مُستحقاً لمثل هذه السعادة التي يُفَرِّجها نهر الله، حيث الله نفسه هو صانعها وخالقها...

"قَدَّس العلي مسكنه" ربما يشير هنا إلى الجسد الذي حمل لاهوته، تقَدَّس الجسد باتجاهه بالله. من هنا ندرك أن مسكن العلي هو استعلان الله في الجسد. "الله في وسطها، فلن تتزعزع"، يعينها الله عند إقبال الصبح. إن كان الله في وسط مدينته، فهي راسخة، لأن الله يعينها عند إقبال الصباح.

تتطبق هذه الأوصاف على أورشليم العليا أو الكنيسة هنا، فيها "قَدَّس العلي مسكنه" (مز ٤٦: ٥).

القديس باسيليوس الكبير

## حرب الشيطان

يرى القديس باسيليوس أن عمل الحيّة أي الشيطان هو إفساد طبيعتنا فلا ننظر إلى فوق، بل ننحني كالحيوانات نحو التراب، نطلب الأرضيات، لذا ينصحنا، قائلاً: [لأن رأس البهائم تتطلع نحو الأرض، أما رأس الإنسان، فقد خُلقت لتتنظر نحو السماء، وعيناه تتجهان إلى فوق، لهذا يليق بنا أن نطلب ما هو فوق، وببصيرتنا نخترق الأرضيات].<sup>٢</sup>

## توجيه الفقراء إلى الغنى الأبدي

❖ لا تخف ولا تيأس، يا من تعيش وضيعاً ومرذولاً. أنت فقير ابن فقراء، بدون بيت ولا عائلة، أنت ضعيف، وتفترق إلى خبزك اليومي. ترتجف أمام الأقوياء، وتخاف الجميع بسبب ذلك وتواضع حياتك...

انهض وارفع نظرك إلى الله، واشكره على نعمه لك، وتأمل بالخيرات التي أعدها الله لمُحِبِّيه...

ألسنت ابنًا لله على صورته؟ افرح إذن فهذا يكفيك...  
وبما أنك على صورته، يمكنك أن تبلغ كرامة الملائكة ضمن حياة اجتماعية منُنظمة.  
أليست كل الحيوانات على هذه الأرض، الأليفة منها والبرية، وكل ما يحوي البحر وما يطير في الهواء تخضع لك؟ والأرض والبحر وكل شيء في خدمتك؟ تأمل إذن ولتُدرك أن هذه انعامات خصّ الله بها الطبيعة الإنسانية.

<sup>١</sup> تفسير المزمور ٤٦ (٤٥).

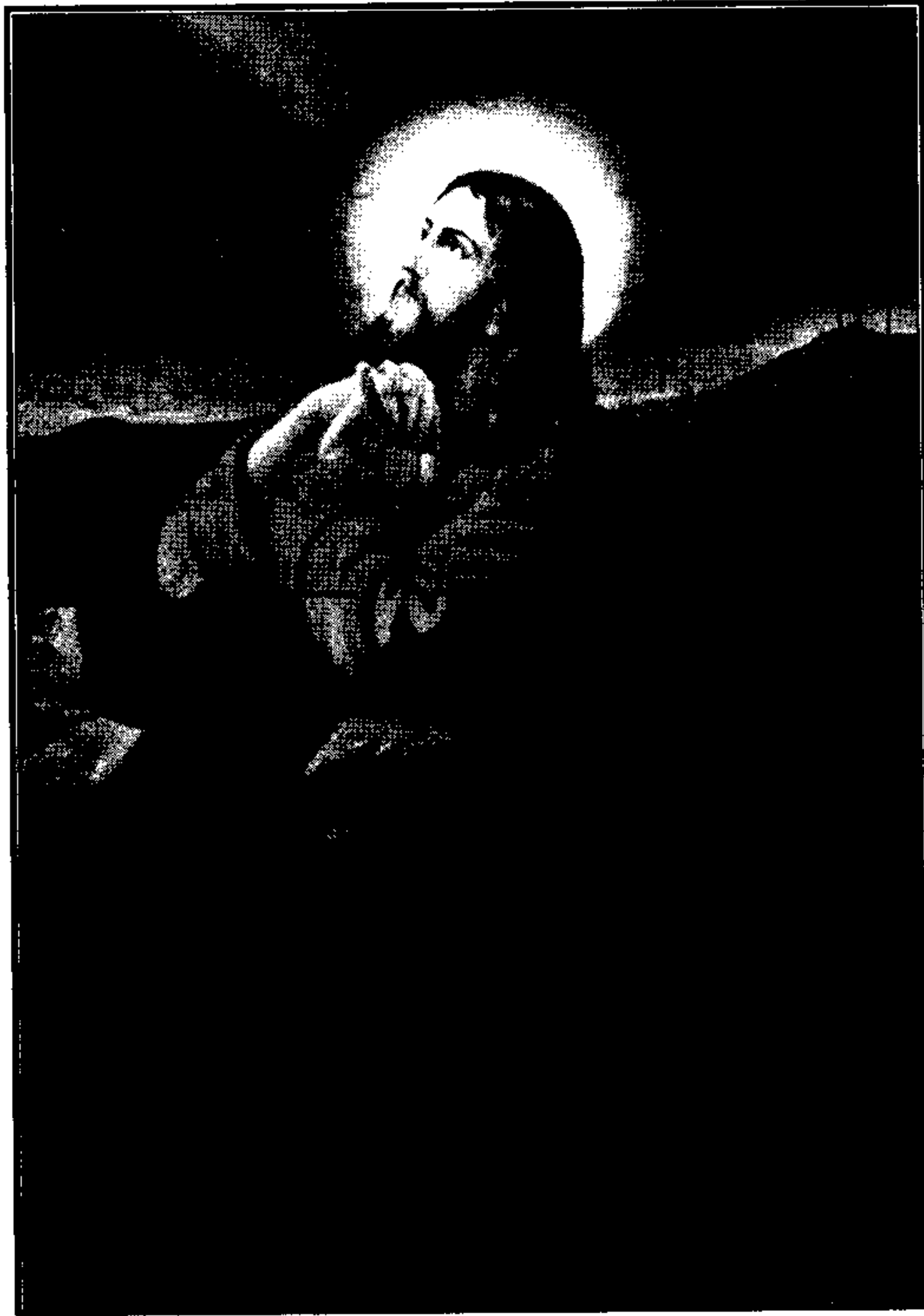
<sup>٢</sup> Hexam. Hom 9.

أضف إلى ذلك ما هو أسمى بكثير، الله ذاته بيننا، والروح القدس يوزع مواهبه على كل واحد. فالموت أبدي، وانتعش رجاء القيامة، وفتحت لك أبواب السماء، فأصبح بإمكانك بلوغ المراتب الإلهية ودخول الملكوت. ها الأكاليل والجوائز السماوية معدة لمن يكتنز الفضيلة، ويعمل بوصايا الله<sup>١</sup>.

❖ يجب ألا نتوقع أن الاحتياجات الخاصة بهذه الحياة ستستمر بعد القيامة، بل لنتحقق أن الحياة في العالم العتيد ملائكية ليس فيها عوز (لو ٢٥ : ٣٤-٣٦)<sup>٢</sup>.

❖ لا نتوقع مجيء الرب في مكان مُعَيَّن، أو بطريقة حسب الجسد، إنما يأتي فجأة عبر العالم كله في مجد الأب (مت ٢٤ : ٢٣-٢٤)<sup>٣</sup>.

القديس باسيليوس الكبير



الأب الياس كويتر المخلصي: القديس باسيليوس الكبير، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، ١٩٨٩، ص ٩٥-٩٦

<sup>2</sup> *Morals, Rule 68:1.*

<sup>3</sup> *Morals, Rule 68:2.*

## الاحتمال

عند

القديس باسيليوس الكبير

### احتمال الألم

❖ لو حُصِرَ رجاء المسيحيين في حدود هذه الحياة، لكان نصيبنا مُرًا بحق، إذ يُحصَرُ في الجسد قبل الأوان (أوان الأبدية)، أما إن كانت لهم محبة الله، وتعتزل نفوسهم قيود الجسد، فإنهم يحسبون ذلك بداية الحياة الحقيقية، فلماذا تحزن كمن لا رجاء لهم؟ إذن فلتسترح ولا تسقط تحت متاعبك، وإنما لتظهر نفسك أسمى من المتاعب ومُترَفَع فوقها<sup>١</sup>.

❖ أيها الأحباء، هل التجربة صعبة؟ دعونا نحتمل المصاعب، لأنه ليس أحد يتجنب الرياح وتراب المعركة يفوز بالإكليل. هل العدو يخدعكم، وحره بلا فائدة؟...

هذه التجارب مُتعبة... لكن دعونا نحذر من صراخنا بصوت عالٍ بسبب ألم قليل. إننا بهذا نكون مُدانين. إذ تحرمون أنفسكم من المكافأة الأبدية التي تُعطى للأبرار.

أنتم أبناء الذين اعترفوا بالمسيح. أنتم أبناء الشهداء. لقد قاوموا حتى الدم ضد الخطيئة. لذلك اجعلوا أمثلة من هؤلاء قريبة وعزيزة لديكم لتصبحوا شجعان لأجل مسيحييتكم.

ليس فينا من يُقطع جسده من الجلد... لم يُعانِ أحدٌ منا من مُصانرة مسكنه... لم نُسَقِ إلى المنفى، لم نُسَجَن... إذن ما حجم المُعاناة التي تكبناها... حقيقة ربنا نعتبر مصدر ألما هو أننا لم نُعانِ شيئًا. وأنا غير مستحقين لآلام المسيح<sup>٢</sup>.

❖ كان هذا أشبه بصرخة منه: "كنت أدعى أبًا إلى زمن طويل، إذ أراد من خلقتني أن أكون هكذا. لقد أراد بدوره أن ينزع عني إكليل النسل. لا أقاومه فيما يخصه. ما يحسن في عينيه فليتحقق. إنه خالق أبنائي، أما أنا فأداة. لماذا وأنا العبد أستسلم لحزنٍ غير نافع وشكوى مرّة ضد قرار عبثًا أستطيع أن أتجنبه؟" يمثل هذه الكلمات طُرح الشيطان أرضًا<sup>٣</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>1</sup> Ep. 101.

<sup>2</sup> Letter, 240. ترجمة دكتورة ايغا انوارد بدمياط.

<sup>3</sup> On Detachment..

## لماذا يسبق الفرح الألم؟

❖ في العهد القديم اعتاد أن يسبق الفرح الحزن، لأن التلذذ بالفرح يتحقق عندما تسبقه الأحزان. هكذا قال الرب: "أنا أميت وأحيي" (تث ٣٢ : ٣٩)، فالحياة تأتي بعد الموت. "سحقت وأنا أشفي" (تث ٣٢ : ٣٩). نفس الشيء، فهو يسحق بالألم، وهو الذي يأمر بتوقُّفه. يضرب ويداه تشفيان. الألم يسبق حتى نتشدد في أوقات الخيرات، ونستطيع أن نحافظ على ما أخذناه<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## واهب المكافأة غني

❖ لا تياسوا بسبب ضيقاتكم التي تتوالى الواحدة تلو الأخرى مباشرة. فإن أكاليكم قريبة، معونة الرب قريبة. لا تسمحوا أنتم جميعًا أن يكون خضوعكم بلا نفع، لا تُبطلوا الجهاد الذي صار مشهورًا في كل العالم. الحياة البشرية ليست إلا قصيرة. "كل جسد عشب، وكل جماله كزهرة الحقل... يبس العشب، ذبل الزهر، وأما كلمة إلهنا فتثبت إلى الأبد" (إش ٤٠ : ٦ ، ٨). لنتمسك بالوصية التي تبقى، ولتستخفوا بالبطلان الذي يعبر. كثير من الكنائس فرحت بمثالكم. بدعوتكم أبطالاً جُددًا في الحقل، كسبتم مكافأة عظيمة لكم. واهب المكافأة غني، وقادر أن يكافئكم ليس عن عدم استحقاق من أجل أعمالكم الشجاعة<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## الأمنا وخلص الآخرين

بعث القديس باسيليوس برسالة إلى ثلاثة من أساقفة مصر كانوا في المنفى وهم أولوجيوس وألكسندر وهاروبوكراشيون، جاء فيها:

❖ في كل الأمور نجد العناية الكلية القدرة التي يُقدِّمها إلهنا الصالح لكنائسه، وهكذا فإن الأمور التي تبدو لنا أنها كئيبة وليست حسبنا نحب، مُدبَّرة لأجل المنفعة، حسب حكمة الله الخفية، وبأحكام حسب برّه التي لا تُفحص. الآن قد نقلكم الرب من كور مصر، وجاء بكم وثبَّتكم في وسط فلسطين، وذلك مثل إسرائيل القديم الذين حملهم بالسبي إلى أرض الأشوريين، وهناك حطَّ الوثنية خلال رحلة قديسيه. الآن نجد أيضًا نفس الشيء، متى لاحظنا أن الرب جعل جهادكم معروفًا من أجل الديانة الحقيقية، فاتحًا لكم خلال نفيكم ميدانًا لمناقشاتكم الطوباوية، ولكل الذين

<sup>١</sup> تفسير المزمور ٣٠ (٢٩).

<sup>٢</sup> Letter 220 to the Bereans (Berea = Aleppo or Haleb in Syria).



يرون مثابرتكم النبيلة مُعطيًا لنعمة مثالكم الصالح أن تقودهم للخلاص. بنعمة الله سمعت عن استقامة إيمانكم وغيرتكم على الإخوة<sup>١</sup>.

❖ الذين يؤمنون بالله، ويعتمدون، يلزمهم في الحال أن يستعدوا للتجارب التي تحلُّ عليهم حتى من أقربائهم وأصدقائهم حتى الموت، فمن لا يستعد هكذا يهتز بسهولة أمام محنة مفاجئة (٢ تي ٣: ١٢)<sup>٢</sup>.

❖ لا يليق بأحد أن يضع نفسه في طريق تجربة قبل أن يسمح الله له بها، إنما يلزمنا أن نصلي كي لا نسقط في تجربة (مت ٦: ٩-١٠)<sup>٣</sup>.

❖ لنسحب في وقت صالح قبل أو لئلا الذين يطلبون أن يصطادونا، ومع ذلك إن حدث أن سقط أحد في تجربة، يلزمه أن يُصلي، لكي ما يستطيع أن يحتمل التجربة وأن تتمَّ إرادة الله (مت ١٠: ٢٣؛ ١ كو ١٠: ١٣)<sup>٤</sup>.

❖ يلزم على المسيحي في كل تجربة تهاجمه، أن يتذكَّر ما قيل في الكتاب المقدس بخصوص الشر الذي يُجابِبه، وأن يحفظ نفسه بدون أذى، ويجعل خصومه كلا شيء (مت ٤: ١-٤)<sup>٥</sup>.

❖ يليق بالمسيحي ألا يخاف ولا يكتئب في الظروف الصعبة، فينصرف عن ثقته في الله، بل يتشجَّع كما لو كان الرب لديه ما يُوجِّه شئونه ويُقوِّيه ضد كل خصومه، وكما لو أن الروح القدس يُقدِّم له تعليمات ويُجيبه كيف يتصرَّف مع أعدائه (مت ١٠: ٢٨-٣١)<sup>٦</sup>.

❖ لنفرح أننا نحتمل كل شيء حتى الموت من أجل اسم الرب ولأجل وصاياها (مت ١٠: ١٢-١٠)<sup>٧</sup>.

❖ يلزمنا ألا نتخلَّى عن المُجاهدين من أجل الإيمان (٢ تي ٤: ١٦)<sup>٨</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## الاحتمال والتسامح

❖ إننا نُعلِّم خصومنا درسًا في الاحتمال والتسامح، على رجاء اهتدائهم إلى ملء قياس الاهتمام الذي نُظهره نحوهم عمليًا (٢ تي ٢: ٢٤-٢٦)<sup>٩</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>1</sup> Letter 165: 1.

<sup>2</sup> Morals, Rule 62:1.

<sup>3</sup> Morals, Rule 62:2.

<sup>4</sup> Morals, Rule 62:3.

<sup>5</sup> Morals, Rule 62:4.

<sup>6</sup> Morals, Rule 63:1.

<sup>7</sup> Morals, Rule 64:1.

<sup>8</sup> Morals, Rule 66:1.

<sup>9</sup> Morals, Rule 70:32.

## الباب الثالث عشر

### الحياة الرهبانية والخلاص

١. تدبير الخلاص عند القديس باسيليوس الكبير.
٢. منهج الخلاص والفداء.
٣. خلاصنا وعمل الروح القدس فينا عند القديس باسيليوس
٤. الخلاص وتقديس النفس والعقل والجسد.

## تدبير الخلاص

### عند القديس باسيليوس الكبير

#### الخلاص في كتابات القديس باسيليوس<sup>١</sup>

كانت مناقشة عقيدة التثليث والمصطلحات اللاهوتية الخاصة به، وتوضيح التمييز بين الجوهر الإلهي والأقانيم الثلاثة، وتأكيد لاهوت الابن والروح القدس هي مواضيع العصر في أيام القديس باسيليوس.

ولم يكن الحديث عن الخرسطولوجي (مثل طبيعة السيد المسيح) تشغل اللاهوتيين كثيرًا، كما سبق أن رأينا، وأيضًا الحوار فيما يخص الخلاص. يصعب أن نجد عرضًا منظومًا في خلاص الإنسان في كتابات القديس، إنما جاء في عظاته على المزامير، خاصة المزمور ٤٩ (LXX ٤٨)، مع إشارات بسيطة في كتاباته الأصيلة الأخرى. جاءت تعاليمه عامة تتحدث عن سقوط الإنسان وفساد إرادته وطبيعته، وحاجته إلى تجديد طبيعته بعمل الصليب الكفاري وفاعلية دم المسيح في حياتنا.

#### يُمكن تلخيص نظريته إلى الكفارة في الآتي:

صار البشر في وضع مُرعبٍ وخطير بسبب الفساد الذي حلَّ بطبيعتهم، لأن الإنسان عصى الله القدوس، وخضع لمشورة إبليس المقاوم لله. لقد فقد الإنسان حرّيته، وصار في حاجة إلى من يُحرّره من نير الخطية وعبودية إبليس.

لا يستطيع الإنسان أن يُحرّر نفسه، لأن ما حلَّ به، إنما حلَّ بالبشرية كلها. ومن جانب آخر، صار الإنسان في حاجة إلى مُخلّصٍ إلهيٍّ يشترهم، وقادر أن يُحرّرهم من سلطان إبليس ويُقيمهم من الموت الأبدي. فلا يستطيع إنسان ما مهما بلغت قداسته أن يُقدّم تكفيرًا وخلصًا وقيامًا من الموت، لأنه هو نفسه خاطئ.

يقول القديس باسيليوس الكبير إن الطبيعة البشرية هي حائط وقد هزته صدمة الخطية، فمال إلى السقوط، ولا يمكن إعادة بنائه إلا بالهدم ونقض بنيانه، لذلك سمح الله أن يكون الموت الحسي ناقضًا للحائط المزروع ليعيد بناءه بالقيامة العامة وإعادة وثيقة ومؤيدة.

<sup>1</sup> M.A. Orphanos: *Creation and Salvation according to St. Basil of Caesarea, Athens 1975*

## موسي عاجز عن تقديم الخلاص

يرى القديس باسيليوس في شخص موسى مثلاً واضحاً لعجز الإنسان عن تقديم الخلاص، فبالرغم من تقواه، وما ناله من مواهب وعطايا إلهية ومزايا، عجز عن أن يُخَلَّص إخوته، بل وعجز عن أن يُخَلَّص نفسه من خطاياهم.

لقد علّم باسيليوس أن كلَّ البشر خاضعون لسُلطان رئيس هذا العالم، وأن المسيح وحده يستطيع القول إنه ليس له فيه شيء (يو ١٤:٣٠)، وهذا لا يمكن أن يكون في كائنٍ بشريٍّ عاديٍّ. صارت الحاجة مُلِحَّةً إلى شخص يسمو فوق الطبيعة البشرية؛ في الواقع هو الإله المتأنس يسوع المسيح.

## جرم خطايانا لا يُعادل عظمة بَرِّ المسيح

هذا ما يؤكِّده القديس باسيليوس، إذ يتحدث عن ابن اللّهِ الذي بذل حياته عن العالم<sup>١</sup>. وذلك عندما قدّم نفسه ذبيحة وتقدمة لله الأب من أجل خطايانا، لا يوجد إنسان يقدر أن يُقدّم نفسه كفارة، بكونه هو نفسه خاطئ. إن الإله المتجسد وحده يقدر أن يُقدّم للآب كفارة عن الناس جميعاً.

❖ في كل مرة نحني الركبة ونقوم، نظهر بهذا العمل أن الخطية تطرحنا أرضاً، ومحبة المسيح تدعوننا إلى السماء<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## الصورة والمثال<sup>٣</sup>

يرى القديس باسيليوس الكبير، أننا نحوز على "صورة اللّهِ" بقوة الخلق، ونحوز على "مثاله" بقوة الإرادة. ويعني ذلك، أن الإنسان يوجد طبيعياً على صورة اللّهِ، أما التمثُّل به والتشبُّه بصفاته، فلا يتم إلا بقوة الإرادة. وهكذا خُلِقَ الإنسان في حالة كمال وفي مرحلة نضوج، ودُعِيَ أن يصل إلى درجات أكمل وأنضج.

بمعنى آخر، خُلِقَ الإنسان كاملاً ليس في "الواقع" بل في "الإمكانية" فقد مُنِحَتْ له الصورة، ودُعِيَ لاكتساب المثال عن طريق الجهاد. لقد وضع اللّهُ الإنسان على الطريق القويم، لكن الطريق التي تصل به إلى الهدف طويلة. إذاً، الإنسان - حسب رأي باسيليوس - هو كائن حي أرضي نال نعمة خاصة ليصير إلهاً<sup>٤</sup>.

<sup>1</sup> Hom. In ps. 29 (28):5

<sup>2</sup> Treatise on the Holy Spirit, 27.

<sup>4</sup> PG 36:560.



لا يجب، بحسب رأى القديس باسيليوس، أن يتبادر إلى ذهننا بأن الصورة التي عناها الله في الأصحاح الأول من سفر التكوين هي صورة جسدية. فالصورة الجسدية هي صورة إنسان يفنى. وحاشا لله أن يُصَوَّر ما هو غير فانٍ بصورة كائنٍ فانٍ. إن الجسد الإنساني ينمو ويشيخ ويفنى، بينما الله ثابت إلى الأبد، وصورته لا تتغيَّر ولا تزول أبدًا.

لننتبه إلى حكمة الرب في قوله: "لنخلق الإنسان على صورتنا كشبهنا، ليتسلَّط على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض" (تك ١: ٢٦). إن هناك ترابطًا مُحكَم العروة بين خلق الإنسان على صورة الله وبين السُّلطان على سمك البحر وطيور السماء والبهائم وكل الدبابات الدابة على الأرض. ومن الطبيعي أن هذا التسلُّط لا يكون إلا بواسطة العقل. فجسد الإنسان هو أضعف من جسد الحيوان، ولا يستطيع الإنسان التسلُّط على الحيوان بواسطة الجسد، إنما بواسطة العقل. وهكذا تحدد الإنسان بأنه كائن حَبَاهُ الله بالعقل، فأصبح بذلك صورة لله خالقه، أي أن الإنسان هو صورة الله في عقله وإدراكه.

## والمرأة هي أيضًا صورة الله<sup>١</sup>

"فخلق الله الإنسان على صورته. على صورة الله خلقه ذكرًا وأنثى خلقهم" (تك ١: ٢٧). فالمرأة حسب فكر الله، هي أيضًا خُلِقَتْ على صورة الله. الرجل والمرأة يتشابهان في الطبيعة البشرية، وفي الفضيلة، وفي المكافأة والقصاص. والكتاب المقدس عندما يذكر دومًا الرجل ولا يذكر المرأة إلا قليلًا، ليس ذلك نبذًا للمرأة وخطأ بكرامتها، حاشا! لكن لأن الكتاب يريد تسمية الكل بإسم الجزء المُهم. ويُعَلِّم أب الكنيسة باسيليوس أن سعي الإنسان إلى تحقيق مقامه "الملكي" أي تحقيق نفسه كمثال لله، مشروط بمعرفة ومحبة ذاك الذي منه نال العقل وبه يتشبه. لذا عندما أخفق الإنسان في إنشاء هذه العلاقة الشخصية مع خالقه سقط من دعوته الرئيسية (المثال) وأظلمت صورته. ويُرجع باسيليوس سبب الإخفاق هذا إلى سوء استعمال الإنسان لإرادته الحرَّة. وإظلام الصورة يعني ارتباك العقل وفقد الإنسان لقدرته على التحكُّم في نفسه وعلى التسلُّط على الخليفة. هكذا أصبح الإنسان عاجزًا على تحقيق "المثال"، وهذا ما عناه السيد بالتحديد

<sup>١</sup> دياكون د. مجدى وهبه: تدبير الخلاص عند الشنيس باسيليوس الكبير.

بقوله لأدم وحواء، إنه يوم أن تأكلا من شجرة معرفة الخير والشر موتًا تموتا (موتًا روحيًا) (انظر تك ٢: ١٧)¹.

## الخلاص (إصلاح الصورة)²

السقوط - كما رأينا - غير مسيرة الإنسان التي أرادها له الله، وأضاع نظام الخليقة الذي رتبته القدير، لذلك سعى الخالق بنفسه إلى إعادة تحقيق هدف الخلق، وذلك بعمل خلق جديد. ولقد تحقّق هذا السعي على مرحلتين:

المرحلة الأولى: هي مرحلة العناية بالعالم وإعداده، وذلك بإرسال الشريعة، وإلهام الأنبياء ممثلة في مرحلة العهد القديم.

المرحلة الثانية: هي مرحلة تجسّد الابن الوحيد، الذي كان أفضل وسيلة لتحقيق الخلق الجديد، لأن الإلهية باتحادها بالبشرية قدستها وقوّتها وأعادتها مرة أخرى إلى هدف وجودها.

ويؤمن قديسنا صاحب السيرة أن مجيء السيد المسيح كان أساسًا لكي يُصلح الصورة التي أضلّمتها الخطية، ويُعيد إليها البهاء مرة أخرى. ويُشدّد في كتاباته أن إصلاح الصورة، كان لا يمكن أن يتمّ إلاّ بقوة تجسد ربنا يسوع المسيح وموته وقيامته. وذلك لأن "طاعته حتى الموت" (في ٢: ٨) أصبحت لنا مغفرة للخطايا، وتحرّرًا من الموت، ومصالحة مع الله، وقدرة نصبح بها مُتمثّلين بالله ومرضىين عنده، ووارثين لملكوته السماوي.

بمعنى آخر، كان قصد الله من التجسد والفداء، هو محو نتائج السقوط الأول، وعودة حياة الصداقة وتثبيت العلاقة الحميمة بين الله والإنسان. وهكذا وضح جليًا أن الإنسان بواسطة الإيمان بالمسيح والاقتران به، يستطيع أن يُحقّق من جديد هدف دعوته العليا. يقول السيد له المجد: "أنا قد جنّبت نورًا إلى العالم، حتى كل من يؤمن بي لا يمكث في الظلمة" (يو ١٢: ٤٦). وفي موضع آخر يقول: "أنا هو نور العالم، من يتبعني فلا يمسي في الظلمة بل يكون له نور الحياة" (يو ٨: ١٢). ويؤكد معلّمنا بولس الرسول هذا بقوله: "إذا إن كان أحد في المسيح فهو خليفة جديدة. الأشياء العتيقة قد مضت. هوذا الكل قد صار جديدًا" (٢ كو ٥: ١٧).

---

يمكن ملاحظة هذه النتائج بوضوح بعد السقوط مباشرة، فمثلاً حاول آدم وحواء الاختباء من وجه الرب في وضوح النهار، وبدأ كل واحد منهما يضعف أمام نفسه ويخجل منها، كما فقدوا كلاهما شجاعة الاعتراف بالخطأ، وبدأت العداوة بينهما وبين الخليقة (الحية).  
دياكون د. مجدى وهبه: تدبير الخلاص عند القديس باسيليوس الكبير.

## فاعلية دم المسيح

إذ يكشف القديس باسيليوس عن تقدير الله العجيب للإنسان، لذا قَدَّم دمه الثمين فدية عنه. كثيرًا ما تحدّث عن فاعلية الدم في خلاص المؤمن، نذكر منها:

١. لم يُقدِّم المسيح فدية مادية ثمينة، إنما قَدَّم دمه الذي لا يُقدَّر ثمنه *all-precious blood*.

٢. بدمه الثمين المُقدَّم فدية عن الإنسان حَطَمَ الخطية والموت والشيطان، وردَّ العلاقة الوثيقة بين الله والإنسان.<sup>٢</sup>

٣. أزال العداوة التي كانت قائمة بين السماء والأرض، وأعاد السلام المفقود، لأن بسفك دمه ملكَ السيد المسيح واهب السلام.<sup>٣</sup>

٤. أزال سلطان إبليس وحَطَمَ مملكته.<sup>٤</sup>

٥. أعاد فتح الفردوس، ووهب المؤمن ملكوت السموات، وصار له حق التمتع بشجرة الحياة إلى الأبد، هذه التي فقدتها بخداع الحية.<sup>٥</sup>

يرى القديس باسيليوس الكبير أن كلمة "خلاص" في المزمور ٦٢ تعني السيد المسيح نفسه، وذلك كقول سمعان الشيخ حين حمل الطفل يسوع: "لأن عينيَّ قد أبصرتا خلاصك" (لو ٢: ٣٠).

❖ الابن الذي هو من الله (الآب) هو إلهنا. هو نفسه أيضًا مُخلِّص الجنس البشري، الذي يسند ضعفنا، ويُصلِّح الاضطراب النابع في قلوبنا من التجارب.<sup>٦</sup>

### القديس باسيليوس الكبير

هذا ولا يفصل القديس باسيليوس بين سفك دم المسيح فداء عنا وتجسده وخدمته، إذ يقول:

❖ تدبير إلهنا ومُخلِّصنا بشأن الإنسان هو إعادة الإنسان من السقوط، والعودة من الاغتراب الذي حدث له بسبب المعصية، إلى شركة مباشرة مع الله، لذلك جاء المسيح في الجسد، وعاش حسب المثال الذي نراه في الأنجيل، وتألَّم على الصليب وقُبِرَ وقام، لكي يُخلِّص الإنسان باقتدائه بالمسيح ويعود إلى رتبة البنوة القديمة.

<sup>1</sup> Hom. in Psalm 47. PG 29:452 B.

<sup>2</sup> Hom. De gratiarum actione. PG 31:224 A.

<sup>3</sup> Hom. in Psalm 33 PG 29 561 C.

<sup>4</sup> On the Holy Spirit 8:18.

<sup>5</sup> Hom. quod Deus non auctor malorum, 10.

<sup>6</sup> Homilies on Psalm 61 (62): 2.

التشبه بالمسيح هو وحده الذي يقود إلى كمال الحياة، ليس فقط للتشبه بسيرته كمثالٍ للوداعة والتواضع والصبر كمنهج لحياتنا، بل بموته أيضًا. لذلك يقول بولس المُتَشَبِّه بالمسيح: "لأشبه بموته، لعلّي أبلغ إلى القيامة من بين الأموات" (في ٣: ١٠-١١)<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## حقوق الشيطان<sup>٢</sup>

إذ قَبِلَ آدم مشورة الشيطان، سَلَّمَ نفسه له، وصار لعدوّ الخير حق الملكية عليه. لا يستطيع حد أن ينتزع منه هذا الحق إلا بتقديم فدية. وقد تحدّث كثيرٌ من آباء الشرق والغرب عن هذه الحقوق، مُعتمدين على نصوص كتابية، مثل: "الآن يُطرح رئيس العالم خارجًا" (يو ١٢: ٣١)؛ "رئيس هذا العالم يأتي، وليس له فيّ شيء (يو ١٤: ٣٠)؛ "لأن رئيس هذا العالم قد دين" (يو ١٦: ١١).

تحدّث عن حقوق الشيطان في البشرية الساقطة كل من القديس إيريناؤس<sup>٣</sup>، والعلامة أوريجينوس<sup>٤</sup>، والقديس غريغوريوس النيصي<sup>٥</sup>، والقديس أغسطينوس<sup>٦</sup>.

يقول القديس باسيليوس الكبير إن البشرية صارت في ملكية إبليس بعد سقوط الإنسان بسبب خطية آدم، فصار كل البشر أسرى لن يطلقهم ما لم تُدفع فدية عنهم<sup>٧</sup>.

لن يستطيع أحد أن يُقدّم الفدية سوى السيد المسيح نفسه، لأنه وحده ليس تحت سلطان الشيطان ولا في ملكيته<sup>٨</sup>.

تحدّث العلامة أوريجينوس والقديس غريغوريوس النيصي بإسهاب عن هذه النظرية، فقد خُدع الشيطان، إذ ظن في المسيح إنسانًا مجردًا مثلنا، فأدرك أنه الإله المتأنس الذي لن يستطيع الموت أن يُمسك به، فصار كالسمكة التي تُصطاد بصنارة.

يبدو أن القديس باسيليوس لم يسترح لفكرة أن السيد المسيح خدع الشيطان، فقال إنه ليس المسيح هو الذي خُدع، إنما الشيطان هو الذي حاول أن يخدع المسيح ففشل. المكر الذي استخدمه الشيطان ضد الإنسان ارتدّ عليه لشُرّه، وما دَبَّرَه للبشرية مارسه ضد نفسه لا شعوريًا. قرّر القديس باسيليوس أن الشبكة التي أَعَدَّها الشيطان للرب اقتنصته هو، فصُلِبَ حين صُلِبَ السيد المسيح، ومات بواسطة نفس الموت التي أراد أن يُحطّم به الرب<sup>٩</sup>.

<sup>1</sup> The Holy Spirit 15:35.

<sup>2</sup> Orphanos, p. 109-111.

<sup>3</sup> Contra Haer. 5:1. PG 7:1121.

<sup>4</sup> In Mat 13:8.

<sup>5</sup> Oratio catechetica magna 22,23.

<sup>6</sup> De Trinit. 13:15.

<sup>7</sup> Hom in Psalm 49 (48):3- 4.

<sup>8</sup> Hom in Psalm 34 (33):14.

<sup>9</sup> Hom de humilitate 2.



## كيف ينتقل هذا الخلاص إلينا؟

هذا التجديد يستلزم من الإنسان، بحسب رأى القديس باسيليوس، إنهاء حياة قديمة، وبداية حياة جديدة، مثلما قال السيد له المجد لنيقوديموس في (يو ٣: ٥): "الحق الحق أقول لك إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله".

هذه الحياة الجديدة يمكن اقتناءها عن طريق الآتي:

### أ. المعمودية<sup>١</sup>

فانطلاقاً من سرِّ المعمودية، وتشبُّهًا ببولس الرسول، يُعلِّم القديس باسيليوس أن قبول العماد، هو قبول بالموت كموت المسيح، وبالدفن كدفنه وبالنهوض معه بقيامته "أتجهلون أننا كل مَنْ اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته، فدُفنا معه بالمعمودية للموت، حتى كما أُقيم المسيح من الأموات بمجد الأب، هكذا نسلك نحن أيضاً في جدة الحياة" (رو ٦: ٣-٤).

❖ تَعَدُّ الأسرار هو عمل مقصود حسب تدبير الخليقة الجديدة، لأن المعمودية تُجَدِّد أصلنا، والميرون يعطي لنا القداسة والمواهب الروحية والإفخارستيا تعطي لنا الغذاء الإلهي.

❖ إن كان الخلق هنا يعني إحياء السوتى ثانية، فكيف لا تكون أعمال الروح القدس قديرة، هذا الذي يُعَدُّ بالنسبة لنا واهب الحياة التي بعد القيامة، والذي يناغم نفوسنا مع الحياة الروحية في الدهر الآتي؟ أو إن كان الخلق هنا يعني التغيُّر إلى حالةٍ أفضل للذين سقطوا في الخطية في هذا العالم الحاضر (لأنه كان هكذا تُفهم بحسب الكتاب المقدس كما جاء في كلمات بولس: "إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة"). والتغيُّر الذي يحدث في هذه الحياة، والتحوُّل من حالتنا الأرضية الحسية إلى السيرة السماوية، والذي يحدث فينا بالروح القدس، ومن ثم تُرْفَع نفوسنا إلى أعلى حالات الإعجاب<sup>٢</sup>.

❖ هذا تجديدها، يجعلنا على صورة الله من جديد، وذلك بغسل التجديد والروح القدس الذي يُجَدِّدنا فنصير أبناء الله، نصير خليقة جديدة مرة أخرى بشركة الروح، ويُخَلِّصنا ممَّا كان عتيقاً<sup>٣</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>١</sup> دياكون د. مجدى وهبه: تدبير الخلاص عند القديس باسيليوس الكبير.

<sup>٢</sup> دياكون د. مجدى وهبه: تدبير الخلاص عند القديس باسيليوس الكبير.

<sup>٣</sup> On the Spirit, 19 (49).

<sup>٤</sup> Ad. Eunom. 5.

## ب. الإفخارستيا<sup>١</sup>

حيث يُقيم رئيس أساقفة قيصرية بين الإفخارستيا، التي بها تكتمل التنشئة المسيحية، والعماد صلة وثيقة ودائمة. فالغذاء الوحيد الذي يتلاءم وحياة المعتمد الجديدة، والذي يستطيع أن يحفظ هذه الحياة، ويغذي القدرات الجديدة ويعطي العبادة بالروح والحق إنما هو غذاء الإفخارستيا. لذلك لا يتردد القديس باسيليوس في أن يوصي المؤمنين بالتناول المتكرر بل اليومي: [إن تناول حتى اليومي من جسد المسيح ودمه هو أمر جميل ونافع، لأن السيد يُعلن بوضوح: "إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان، وتشربوا دمه، فليس لكم حياة فيكم" (يو ٦: ٥٣)، فمن يشك إذاً بأن تناول الحياة بشكل دائم هو ملء الحياة؟<sup>٢</sup>]

## ج. كلمة الله<sup>٣</sup>

أيضاً بحسب مُعَلِّم الكنيسة الجامعة "كل كلمة تخرج من فم الله" هي كالإفخارستيا، طعام حقيقي للحياة الأبدية، في قدرته أن يُغذي حياة المعتمد الجديدة. ولقد جزم القديس باسيليوس القول بصلة أساسية بين مائدة كلمة الله ومائدة جسد المسيح. فالكتب المقدسة هي كالإفخارستيا، ولو بشكلٍ آخر، إلهية ومقدسة وضرورية، قد تُلَفِّظ بها الله مرة واحدة وللأزمان كلها. فإلى كلمات الكتاب المقدس يجب أن يعود دائماً كل مسيحي في كل خياراته، واضعاً نفسه إزاءها "كطفل"، باحثاً فيها عن الدواء الأكثر فاعلية لكل ما يعتره من أمراضٍ، فلا يتجرأ على القيام بخطوة واحدة دون الاستشارة بالأضواء الإلهية التي تبعثها هذه الكلمات.

أخيراً: نصائح مفيدة يُقدِّمها القديس باسيليوس لكل إنسان في مسيرة حياته الروحية<sup>٤</sup>

### ١. الحياة تمضي كالعلم

الحياة هي طريق يسلكه الإنسان للوصول إلى الغاية التي رتبها الله له. وكلنا فيها مسافرون نمخر عباب بحر هذا العالم، حتى نصل بهدوء وسلام إلى الميناء الهادئ. ولذا لا بد أن تقتنع أيها الإنسان بهذه الحقيقة بأنك في هذه الحياة مُسافرٍ يبتغي عالم الأبد، وبأن كل شيء ستتركه وراءك (عظة ٥: ٣-٤).

<sup>١</sup> دياكون د. مجدى وهبه: تدبير الخلاص عند القديس باسيليوس الكبير.

<sup>٢</sup> Epistula 93, P.G.M 32,484b.

<sup>٣</sup> دياكون د. مجدى وهبه: تدبير الخلاص عند القديس باسيليوس الكبير.

<sup>٤</sup> هذه المقطعات ترجمها الأب إلياس كويتر المخلصى عن:

## ٢. انظر إلى الأعلى

يتساءل القديس باسيليوس: كيف ترى هيئة نوات الأربع؟ ويجيب، أن رأسها مُنحني صوب الأرض، وهي تنظر إلى بطنها مُفتّشة عن الأشياء التي تلذُّ لها. أما أنت أيها الإنسان فرأسك مُرتفع نحو السماء، وعيناك تنظران إلى العلي. لذا تعلّم من تكوينك الجسدي، واجعله قانونًا لحياتك وارفع إلى فوق، وأعرض عن الدنيا الفانية واطلب "ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله" (كو ٣: ١). واهتم بما فوق لا بما على الأرض: فمدينتك هي السماء، ووطنك الحقيقي هو أورشليم العُليا، ومواطنوك هم الملائكة والقديسون الذين كُتبت أسماؤهم في السموات. تطلع إلى السماء وتأمل في الخيرات المُعدّة فيها للأبرار والصالحين. إنها عظيمة وتفوق الوصف، وهي تفوق بكثير خيرات الأرض التي هي كلها زائلة، وباطلة. (عظة ١٢ على العلوم الإنسانية وعظة ٣: ٣).

## ٣. لا بد من جهاد

الحياة الجديدة التي نحن مدعوون إليها، هي الحياة التي وصفها الإنجيل والتي عاشها السيد المسيح على الأرض. وهذه تستلزم من الإنسان وداعة وصبرًا واحتمالًا وطهارة قلب وجسد وتجردًا عن الغنى.

هكذا تتحقّق على الأرض حياة الطوباويين في السماء. وهذا الأمر يبدو لك صعبًا، ولا تستطيع تحمّل مشقته. لكني أسألك أي أمر هو سهل المنال في نظام الخير. تأكد أنك لن تصل إلى الانتصار في أي شيء كان وأنت نائم، ولن تنال مكافأة الأبطال والمجاهدين الشجعان، إن لم تجاهد الجهاد الحسن. إني أُكرّر على مسامعك قول الرسول بولس: "إنه بضيقات كثيرة ينبغي أن ندخل ملكوت الله" (أع ١٤: ٢٢)¹.

## ٤. أخيرًا "انتبه لنفسك"

"انتبه لنفسك" هي الكنز الثمين والخير الأعظم، وهي تستحق أن توليها أشد الاهتمام، فاحرص عليها أكثر من حرصك على الأمور التي تحيط بك من مالٍ ووظيفةٍ وأسرةٍ، وأكثر من الأمور التي تُخسك من جسدٍ وصحةٍ وجمالٍ. اهتم بنفسك فوق كل شيء. زينها بالفضائل، نقّها من الخطيئة، وجملها بزينة المحبة التي هي أجمل زينة. تأمل جيدًا بهذه الفكرة: إن الجسد يزول ويفنى أما النفس فهي خالدة².

¹ عظة ٧: ١٣

² عظة ٣: ٣

هكذا نرى أن كل تعليم باسيليوس عن الخلاص، هو تعليم مسيحي أصيل، وبشارة خلاص مُفرحة، فأى تبشير أكثر عزاء من التبشير بعماد يعيد ولادتنا، وإفخارستيا تغذيها، وكلمة الله التي تنيرنا؟

❖ "غرست كرمًا وسيجت حوله". من المؤكد أن الرب يدعو النفوس البشرية كرمه، تلك النفوس التي أحاطها بسُلطان تعاليمه وحراسة ملائكته<sup>1</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## الحاجة إلى الخلاص

بالسقوط أظهر الإنسان نفسه أنه غير أهلٍ للنعمة الفائقة، وصار في معزل عن خالقه، ومع هذا لا تزال توجد إمكانية نوال الاتحاد مع الله خلال صليب المسيح.

❖ بعد أن خُدع الإنسان الأول بواسطة الحيّة، ونال مشورة في الخطيئة، وبالخطيئة واجه الموت، وبالموت البؤس، لم ينسَ الله. لم ينسنا صلاح الله بالرغم من جفافنا نحو حنو الله ومقاومتنا صانع الخيرات بعنف. مع هذا لن نقدر أن نطمس حُبّه لنا، فإننا قد قُمنّا من الموت، وصرنا أحياء برينا يسوع المسيح نفسه... هذا ولم يكفه بأن يدعونا إلى الحياة من جديد، بل يعدنا للراحة الأبدية، التي في عظمة فرحها تفوق كل فكرٍ بشري<sup>2</sup>.

❖ "ليس أحد بلا وصمة، ولو كانت حياته يومًا واحدًا" (أي ١٤ : ٤). ويثن داود قائلاً: "بالآثام حُبِل، بي، وفي الخطايا ولدتني أمي" (مز ٥١ : ٥). أيضًا يُعلن الرسول: "إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله، مُتبرّرين مجانًا بنعمته الذي ببسوع المسيح، الذي قدّمه الله كفارة بالإيمان بدمه" (رو ٣ : ٢٣ - ٢٥). لذلك فإن غفران الخطايا يُمنح للذين يؤمنون، إذ قال الرب نفسه: "هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يُسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا" (مت ٢٦ : ٢٨)<sup>3</sup>.

❖ "اجتهدوا أن تدخلوا من الباب الضيق" (لو ١٣ : ٢٤)... الطريق المستقيم ضيق، أي انحراف عنه مملوء بالمخاطر، سواء على اليمين أو اليسار. إنه كجسرٍ، من يزلّ عنه من أي جانب منه يسقط في النهر<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> Haexaameron 5: 6.

<sup>2</sup> Regulae fusius tractatae 2:3.

<sup>3</sup> Concerning Baptism, Book 1, chapter 2.

<sup>4</sup> Catena Aurea.



❖ إن كان الحكم على الخطايا التي ترتكب بجهل هكذا عنيفًا، وتحتاج إلى ذبيحة للتكفير عنها، هذه الحقيقة التي شهد لها أيوب بتقديمه ذبيحة عن أولاده، فماذا يُقال عن الذين يرتكبون الخطية بمعرفة، أو الذين في صمتهم يذعنون إلى السلوك المُخطئ الذي للآخرين؟<sup>١</sup>

القديس باسيليوس الكبير

## الصليب

❖ (طاعة المسيح) طاعته حتى الموت... أصبحت لنا مغفرة للخطايا تحررًا من الموت في الخطيئة المألقة في العالم، مصالحة مع الله، قدرة بها نصبح مرضيين لله، عطية البر، مشاركة القديسين في الحياة الأبدية، وميراث ملكوت السماوات.<sup>٢</sup>

❖ السلام الحقيقي علوي. ما دمنا مرتبطين بالجسد، نحمل نيرًا لأمرٍ كثيرةٍ تتعبنا. ابحثوا إذن عن السلام، وتحرروا من متاعب هذا العالم. اقتنوا ذهنًا هادئًا، ونفسًا هادئة غير مرتبكة، لا تثيرها الأهواء، ولا تجتذبها التعاليم الباطلة، فتتحدّى إغراءاتها لقبولها حتى يمكنكم أن تنالوا "سلام الله الذي يفوق كل فهمٍ يحفظ قلوبكم" (في ٤ : ٧). من يطلب السلام يطلب المسيح، لأنه هو نفسه سلامنا، الذي يجعل الاثنين إنسانًا جديدًا واحدًا (أف ٢ : ١٤)، عاملاً سلامًا بدم صليبه، سواء على الأرض أم في السماوات.<sup>٣</sup>

القديس باسيليوس الكبير

## صقل السيف لأجل توبتنا

❖ "إن لم ترجعوا، يصقل سيفه".

قوله هذا للتهديد، يحث المنباضئين في التوبة على الرجوع *conversion*. إنه لا يُهدد في الحال بجراحات وضربات والموت، إنما يصقل أسلحة مع إعدادٍ مُعينٍ كما للانتقام. يشير بهذا العمل الهجوم في حربٍ. لذلك إذ تشاق إلى حيز حركة الله نحو الانتقام، يقول الكتاب المقدس إنه يصقل سيفه، يحني قوسه، ويجعله مستعدًا، وفيه يُعدّ آلة الموت (مز ٧ : ١٣). آلات الموت هي القوى التي تُحطّم أعداء الله.

"يجعل سهامه ملتهبة" (مز ٧ : ١٣). أوجد الخالق النار للمواد التي تحترق. بالتأكيد لم تُخلَق للفولاذ الذي لا ينصهر بالنار، إنما بالنسبة للخشب الذي يحترق، هكذا أيضًا أوجد الله السهام لأجل النفوس التي يمكن أن تلتهب...

<sup>1</sup> On the Judgment of God.

<sup>2</sup> De Baptismo 1: 2. PG 31:1537a.

<sup>3</sup> Homilies. 16:10.

هؤلاء إذن الذين قُبلوا مقدمًا، وتمسَّكوا في داخلهم بالأسهم النارية التي لإبليس، هم الذين يقبلون سهام الله.

لهذا السبب "يجعل سهامه مُلتهبة".

الحُب الشهواني يحرق النفس، وهكذا شهوة محبة المال، والسخط الناري، والأحزان التي تلهب النفس وتصهرها، والمخاوف الغريبة عن الله. من لا يُصب بسهام العدو، ويرتدي سلاح الله (أف ٦: ١١)، يبقى غير متأثر بالسهام الجالبة للموت<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

### عناية القدير الفائقة

نزول كلمة الله متجسدًا، وحلوله بيننا كواحدٍ منّا، يؤكِّد انشغال الله بنا، ورعايته لنا في كل الأمور الكبيرة والصغيرة. إنه لم يخلقه ويتركه لقوانين الطبيعة التي وهبها الله للمسكونة، إنما يبقى الله في محبته ينشغل برعايته لنا.

❖ "الله قاضٍ عادل، وإله لا يسخط في كل يوم" (مز ٧: ١١ LXX).

يبدو أن النبي قال هذا مُلمحًا إلى أولئك الذين يكونون في اضطرابٍ دائمٍ عند أي حدث، كما لكي يُهدّئ من ارتباك الناس، لئلا يفقدوا ثقتهم في العناية الإلهية للمسكونة في أي وقتٍ، عندما يرون أبًا لا ينتقم لتمرد ابنه، ويعتبر شر أبسالوم يُوضِّح ما يقترحه هنا.

لأجل إصلاح غباوة أفكارهم، شهد لهم: "قاض عادل قوي وطويل الأناة، لا يسخط في كل يوم". لا يفعل شيئًا عن محاباة، أمّا الله فيقيس لكل شخصٍ بنفس المقياس الذي قاس به في الأول بخصوص حياتهم.

عندما أرتكب خطية أتقبَّل مجازاة حسب استحقاقي. "لا تتطقوا بشرُّ ضد الله"، لأن الله قاضٍ عادل. لا تقرّر شيئًا ضد الله بشكل سيء، ظانًا أنه ضعيف جدًا غير قادر على الانتقام، إذ هو قوي.

لماذا إذن لا يتم (التأديب) سريعًا على الخاطيء؟ لأنه طويل الأناة! "إنه لا يسخط كل

يوم".<sup>٢</sup>

القديس باسيليوس الكبير

<sup>1</sup> Homily 11:7 on Psalm 7.

<sup>2</sup> Homily 11:7 on Psalm 7.

## دينونة الله للمتدين ولغير المتدين

الإمكانيات الروحية والمعرفة تسند المؤمن، وفي نفس الوقت تصير علة دينونة له في حزم أشد من دينونة غير المؤمنين. وكما يقول السيد المسيح: "وأما ذلك العبد الذي يَعْلَمُ إرادة سيده، ولا يستعد ولا يفعل بحسب إرادته، فيضرب كثيرًا. ولكن الذي لا يَعْلَمُ ويفعل ما يستحق ضربات، يُضرب قليلاً، فكل من أُعطي كثيرًا يُطلب منه كثير، ومن يودعونه كثيرًا يطالبونه بأكثر" (لو ١٢: ٤٧-٤٨). وكما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [أي عذر لنا نحن الذين دخلنا القصر، وحسبنا أهلاً أن ندخل الهيكل، وصرنا شركاء في التمتع بالأسرار غافرة الخطايا، ومع هذا نسلك أشد من اليونانيين (الأمم) الذين لم يشتركوا في شيء من هذا القبيل؟<sup>1</sup>]

❖ "الرب يدين الشعوب"، يدين اليهودي بطريقة، والسكثي بطريقة أخرى. الأول وجد راحته برضا في شريعة الله وأمجاده، ونال أمورًا صالحة. فقد تعلم الناموس، بالإضافة إلى المفاهيم العامة (السليمة)، تعلم الأسفار النبوية والشرائع، خلال التسبيح والعمل. فإن قام بخطوة خاطئة ضد الشريعة تُسبب إليه خطايا أخطر.

أما بالنسبة للبدو السكثيين الذين تربوا على ممارسة أعمال شرسة قاسية، واعتادوا على أعمال النهب والعنف ضد الغير، وعدم ضبط انفعالاتهم، وسرعة غضبهم بمرارة على الآخرين، كما اعتادوا على استخدام السيف في المناقشة وإنهاء معاركهم بالموت، هؤلاء إن أظهروا أية أعمال إنسانية أو صلاح في معاملاتهم بعضهم البعض، يجلبون علينا عقوبة أشد من أجل أعمالهم الفاضلة<sup>2</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## النعمة الإلهية تود خلاص الكل

إن كان المرتل يشتهي خلاص حتى المقاومين له والأشرار، فإنه في محبته للبشرية يطلب خلاص كل الشعب (ربما يقصد كل الأمم).

❖ "مجمع الشعب يحيط بك" ٧: ٧ LXX.

واضح أنه إن كان أحد شريرًا فليؤدب، وبالتالي يهتدي كثيرون. ليعاقب شر هذا الإنسان، حتى يلتف حولك مجمع عظيم من الشعب.

<sup>1</sup> In Ioan hom 34: 1.

<sup>2</sup> Homily 11:5 on Psalm 7.

"ومن أجلهم عُذ فوقها إلى الأعالي" [٧]. من أجل الشعب المحيط بك، الذي اقتنيتته بتعطفك بنعمتك وتجسدك، لئُعدّ لأعالي المجد الذي أعددتَه قبل العالم<sup>١</sup>.

✦ الرب أمين في كل كلماته، إنه لا يكذب حين يقول: "إن كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج، إن كانت حمراء كالوددي تصير كالصوف" (إش ١: ١٨). الطبيب العظيم للنفوس، المحرر المتأهب لا لتحريك وحدك، بل وكل المُستعبدين للخطية، مستعد ليشفي مرضك<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## بين الرحمة الإلهية والعدل الإلهي

اللَّهُ في حُبِّه للبشرية يريد أن الكل يخلصون، وإلى معرفة الحق يقبلون (١ تي ٢: ٤). ولئلا يسيء الإنسان لمحبة الله وحنانه ورحمته، أكد أيضًا العدالة الإلهية، إذ يقول: "الرب يدين الشعوب". لكلمة "يدين" معانٍ كثيرة. لهذا عدالة الله لا تُفهم بمعنى حرفي جامد، وقد أبرز القديس باسيليوس من خلال الكتاب المقدس النقاط التالية:

١. بالإيمان يَتَمَتَّع الإنسان بالبنوة لله في مياه المعمودية، فلا يرتعب من أبيه كديان.
  ٢. تُستخدَم كلمة "يدين" أو "يحكم" بمعنى مُفْرِح، حيث يطلب المُرتَل من الله أن يحكم له، أي يفحصه ويمتحنه ويبرره.
  ٣. يقوم قانون العدالة الإلهية على مبدأ "بالكيل الذي به تكيلون يُكال لكم" (مت ٧: ٢)، فمن لا يدين أحدًا لا يُدان!
  ٤. لا تقوم الدينونة بطريقة جامدة، إنما يكشف الله عن حيثيات دينونتهم، فيقبَل الخطاة التأديب الذي يسقطون تحته.
  ٥. يُدان كل جيلٍ حسب الظروف التي يعيشها، لهذا ستدين ملكة سبأ الجيل المعاصر للسيد المسيح (مت ١٢: ٤٢).
  ٦. لا تتجاهل الدينونة ظروف الإنسان، فمن يعرف أكثر ويعيش في جوٍ أفضل يُعاقب أكثر.
- ✦ "الرب يدين الشعوب" (مز ٧: ٨). الحديث عن الدينونة مُنتشر في مواضع كثيرة في الكتاب المقدس، بكونه تعليمًا أساسيًا ومقننًا بالنسبة للديانة الحقيقية لمن يؤمن بالله في المسيح يسوع.
- وردت كلمة "دينونة" (ومشتقاتها) بمعانٍ كثيرة، مما يُسبب ارتباكًا للذين لا يُميِّزون بدقة بين المعاني.

<sup>1</sup> Homily 11:4 on Psalm 7.

<sup>2</sup> Epistle, 46: 6.



قيل: "من يؤمن به لا يُدان، وأما من لا يؤمن فقد دين" (راجع يو ٣: ١٨). من لا يؤمن، مثله مثل الذين لا يؤمنون، فكيف يُقال عن الشرير إنه لا يقوم في الدينونة؟ إن كان المؤمنون قد صاروا أبناء الله الذين لا يُدان، لهذا صاروا أهلاً أن يكونوا هم أنفسهم آلهة، فكيف يقف الله في مجمع الآلهة (مز ٨٢: ١)، وفي وسطهم يدين آلهة؟

يبدو أن كلمة "يدين" تُستخدم أحياناً في الكتاب المقدس بمعنى الاستحسان، كما في العبارة: "احكم لي يارب إن سرت في براءتي". إذ يكمل: "جربني يارب وامتحني".

أيضاً معنى "إصدار حكم"، كما في العبارة: "إن حكمتنا على أنفسنا، فلا يُحكّم علينا" (راجع ١ كو ١١: ٣١). إن امتحنا أنفسنا حسناً، لا نخضع للدينونة.

مرة أخرى قيل إن الرب يدخل في المحاكمة مع كل جسد (إر ٢٥: ٣١)، أي في فحصه الأعمال في حياة كل أحدٍ يُخضع نفسه للمحاكمة، ويقارن وصاياه بأعمال الخطاة، مدافعاً عن نفسه ببراهين مؤكداً أنه يفعل كل شيءٍ من أجل خلاص الذين يُدانون، حتى يقتنع الخطاة أنهم يستحقون ما يحدث عليهم من عقوبة بسبب خطاياهم، ويدركون العدالة الإلهية، ويقبلون بإرادتهم العقوبة التي تحل بهم<sup>١</sup>.

❖ لا زال يوجد معنى آخر لكلمة "يدين"، وذلك كقول الرب: "ملكة الجنوب ستقوم في يوم الدين وتدين هذا الجيل" (مت ١٢: ٤٢).

إنه يقال إن الذين يرفضون التعليم الإلهي، ولا يُحِبُّون النبلاء والصالحين، بل ويهجرون تماماً التعاليم التي تُعلّم الحكمة، فبمقارنتهم وتضادهم لمن كانوا في جيلهم أكثر غيرة نحو النبلاء والصالحين، بنالون دينونة أقسى بسبب الأمور التي أهملوها.

أعتقد أن الذين لهم هذا الجسد الترابي لا يُدانون بطريقة واحدة، بواسطة الديان العادل متى كانت لهم عوامل خارجية متباينة تماماً عن غيرهم، لهذا فإن الحكم يتفاوت من حالة إلى أخرى. الظروف التي نحن فيها ليست في سلطاننا، بل وُجدنا فيها بغير إرادتنا، مما يجعل خطايانا قد تكون أكثر خطورة أو أخف في حدتها.

تخيّل ابنة الزنا، فالإنسان الذي سقط فيه منذ بداية حياته بممارسات شريرة ووُجد مع والدين فاسقين، ونشأ بعادات شريرة كالسُّكر والعريضة وسماع قصص مُخزية، بينما آخر كان يقوم بتحدّي التمتع بالبر سامية للغاية، ونال تعليماً وكان له مدرسون، واستمع إلى وصايا إلهية أكثر، وتمتع بقراءة مفيدة ونصائح من الوالدين، وأنصت إلى قصصٍ تحث على الجدّة وضبط النفس وانتهاج أسلوب حياة راقياً، فإن اندفع الأخير نحو الخطية مثل الأول، فإنه إذ يُقدّم حساباً عن

<sup>1</sup> Homily 11:4 on Psalm 7.

حياته، كيف يمكن لمثل هذا أن يكون غير مستحق لعقوبة أشد بمقارنته بعقوبة الأول؟! يُتَّهَم أحدهما (الأخير) على أساس أنه لم يستخدم الميول المغروسة في أفكاره باستقامة. أمّا الآخر فيُتَّهَم - بالإضافة إلى ذلك - أنه غرَّر بنفسه في وقت قصير بالرَّغم من نواله عونًا لخلاصه، وعدم ضبط نفسه وعدم حرصه.

بنفس الطريقة أيضًا من تدرَّب منذ بداية حياته على التقوى والهروب من كل انحرافٍ عن تعاليم الله، ونشأ في شريعة الله التي تهاجم كل خطية وتدعو إلى عكسها، لا يكون له عذر إن عبد الأصنام مثل من تربي على يدي والدين فوضويين، أو مثل أناسٍ تعلَّموا منذ البداية عبادة الأوثان<sup>1</sup>.

القديس باسيليوس الكبير



<sup>1</sup> Homily 11:5 on Psalm 7.

## منهج الخلاص والفداء

أو

### دعوة كل البشرية للحياة المُطوَّبة

المزمور التاسع والأربعون (LXX ٤٨)

للقدّيس باسيليوس الكبير

#### المزمور التاسع والأربعون ومنهج الخلاص

يرى بعض الدارسين أن العظة التي قدّمها القدّيس باسيليوس كشرح للمزمور الثامن والأربعين حسب الترجمة السبعينية غاية في الأهمية. فإن كان لم يُسجّل لنا مقالاً لاهوتياً يشرح فيه نظرية الخلاص، يُمكن اعتبار هذه العظة مقالاً شعبياً يُحقّق هذا الهدف. فقد جاءت تشرح نظرتَه للخلاص في النقاط التالية:

١. إن الإنسان عند الله أعرّ خليفة على الأرض، خلقه على صورته ومثاله، ربما ليُعبر إلى السماء ويوجد في حضن الله أبدياً. لهذا يليق بالإنسان أن يذكر على الدوام نظرة الله العجيبة نحو محبوبه الإنسان، وخطته الإلهية الخاصة به، وما هي رسالته؟ وما هي نهاية حياته؟ إنها التمتع بالحياة المُطوَّبة الأبدية!

٢. إن كانت طبيعة الإنسان قد فسدت بالسقوط في العصيان، فإن الله يدعو كل البشرية إلى الاستماع إليه، فهو "يريد أن الكل يخلصون، وإلى معرفة الحق يُقبلون" (١ تي ٢: ٤).

٣. يدعو الله البشر، ليس لأنه محتاج إلى عبادتهم أو خدمتهم له، إنما ليُقيم منهم قيّارة يعزف عليها روحه القدوس سيمفونية الفرح السماوي الدائم.

٤. مع الدعوة للتمتع بالفرح الإلهي، يدعونا المرثّل ألا نتكل على ذراع بشر أو إمكانيات زمنية، إذ لا يستطيع إنسان، مهما بلغت قامته الروحية أن يفدي نفسه ويُحرّرها من عبودية إبليس، وبالتالي لا يقدر إنسان ما أن يفدي أخاه.

٥. ليس في إمكانية إنسان ما أن يُقدّم فدية عن النفس البشرية التي أسرها العدو لأنها ثمينة للغاية. ما يشغل فكر القدّيس باسيليوس أن النفس في عيني الله لا تُقدّر بثمن، فمن من المخلوقات يقدر أن يُقايضها أو يفديها؟

## نصّ المزمور في الترجمة السبعينية<sup>١</sup>

إلى النهاية، مزمور لبني قورح على نجاح الأشرار

اسمعوا هذا يا كل الأمم، أصغوا يا سگان الأرض أجمعين.

يا بني البشر، الأصاغر منهم والأكابر، الأغنياء والفقراء على السواء.

إن فمي يتكلم بالحكمة، وقلبي يلهج بالفهم.

أميل أذني إلى الأمثال، وأكشف الغازي على القيثارة.

لماذا أخاف في يوم السوء إن أحاط بي إثم الذين يتعقبونني؟

الذين على قوتهم يتكلمون، وبكثرة غناهم يفتخرون.

لا يقدر أخ أن يفدي أخًا أبدًا. أفيفتدي إنسان ذاته؟ إنه لا يملك أن يؤدي إلى الله فكأنًا عن

ذاته،

أو قيمة فدية نفسه حتى ولو كدَّ إلى الأبد،

أو عاش ما طال الأمد دون أن يرى الفساد.

لأنه يرى الحكماء يموتون، والجهلاء والأغنياء يهلكون جميعًا، ويتركون غناهم للغرباء.

وتصير قبورهم مساكن لهم إلى الأبد، ومنازل إلى جيلٍ فجيلٍ، أطلقوا أسماءهم على أراضيهم.

لمَّا كان الإنسان في كرامةٍ، ولم يعتبر قيسَ بالبهائم التي لا عقل لها وشبَّه بها.

طريقهم هذه ضلالة لهم، ومع ذلك يُحبَّذ من يخلفهم أقوالهم.

يُغَيَّبون في القبور كالغنم، والموت يرعاهم. أما أنا فإن الله يفدي من يد القبر نفسي حين

يلقاني.

فلا تخف إذا اغتنى إنسان، وازداد مجد بيته.

لأنه إذا مات لا يأخذ معه شيئًا، ولا ينزل مجده معه.

لأنه وإن عدَّ نفسه سعيدًا في حياته (وقد يغبطونك سُدَى على رغد عيشك).

فإنه ينضم إلى جيل آبائه، ولا يعود يرى النور أبدًا من بعد.

لمَّا كان الإنسان في كرمه ولم يعتبر قيسَ بالبهائم التي لا عقل لها وشبَّه بها.

منشورات مطرانية الروم الأرثوذكس بلبنان: كتاب المزامير لداود النبي والملك، نقله إلى اللغة العربية عن الترجمة السبعينية رزق الله فتح الله عرمان.



## أقسام المزمور

- ١ . نهاية الإنسان الحياة المطوّبة الأبدية.
- ٢ . دعوة البشرية كلها للاستماع.
- ٣ . دعوة إلهية مُفرحة.
- ٤ . من يقدر أن يفديكم ويحرّركم من الطاغية؟
- ٥ . الحاجة إلى المُخلّص السماوي.
- ٦ . الخلاص والجهاد.
- ٧ . بيوت الحمقى والجهّال مدافن لهم إلى الأبد.
- ٨ . أجساد الحمقى والجهّال مقابر لنفوسهم.  
(افهموا كرامتكم، فلا تتشبهوا بالبهائم البليدة!)
- ٩ . التحرّر من أشع عبودية!
- ١٠ . لماذا يُتّجح المُخلّص طريق الأشرار؟
- ١١ . الاتكال على خبرة الآباء مع عدم التمتع بالشركة مع الله.

## ١ . نهاية الإنسان الحياة المطوّبة الأبدية

"إلى النهاية، مزمور لبني قورح، عن نجاح الأشرار."

تكشف عظة القديس باسيليوس الكبير على هذا المزمور عن فكر آباء الكنيسة الأولى بخصوص الخلاص، وحبّهم لكل البشرية. فيتركّز مفهوم القديس يوحنا الذهبي الفم للعمل الكهنوتي الرعوي الكرازي، في أبوة "الكاهن الراعي والكارز" لكل بني البشر. فالأسقف أو (الكاهن)، إذ "أؤتمن على العالم كله، صار أبًا لجميع الناس"<sup>١</sup>. ينحني بروح الأبوة، ليحمل إن أمكن كل إنسانٍ على كتفيه ويدخل به، بالروح القدس، إلى أعماق الكلمة، يتفاعل معها، ويتعرّف على أسرارها ويتذوّق عذوبتها! بنفس الروح يشتهي القديس باسيليوس في أبوته خلاص البشرية كلها. جاء في إحدى عظاته: [من يسمح لي أن أقف على عتبة منصة العالم المُتّسع؟ من يعطيني صوتًا واضحًا يخترق (العالم) مثل بوق؟]<sup>٢</sup>

الآن في تعليقه على عنوان المزمور حسب الترجمة السبعينية، يركّز على تعبير "إلى النهاية"، ماذا يعني بها النبي، وهو يُقدّم المزمور لِيُسَبِّحَهُ بنو قورح في وسط الشعب؟

<sup>1</sup> De Sacerdotis 6:4.

<sup>2</sup> Homilia adversus eos qui per calumniam dicunt dici a nobis deos tres. Philip Rousseau, p. 270

يليق بالإنسان ككائنٍ عاقلٍ خُلِقَ على صورة الله ومثاله، أن تتحرَّك أفكاره وأحاسيسه وعواطفه  
ولسانه كما سلوكه نحو الغاية أو الرسالة التي من أجلها خلقه الله، بل وخلق كل البشر.  
أ. يرى البعض أن غاية حياتهم أن يتمتَّعوا بالمعرفة، وينموا فيها كل يوم.  
ب. آخرون كل ما يطلبونه هو أن تكون حياتهم مملوءة بالحيوية العاملة، في أي نشاطٍ، فلا تعرف  
الخمول.

ج. آخرون تسحبهم أفكارهم الجسدية الزمنية نحو اللذة، مهما كانت التكلفة.

د. أمّا المؤمنون الحقيقيون، فلن يشغلهم أمرٌ ما عن تمتَّعهم بالأمجاد الغلوية حتى ينطلقوا إلى  
الفردوس، ويلتقوا مع الله وجهًا لوجه، وينعموا بالحياة المُقامة السماوية. لا يطلبون هذا  
لأنفسهم فحسب، ولا لعائلاتهم فقط، وإنما للبشرية كلها، فيشتهون تحقيق نبوة صفيان، حيث  
تترنم كل الشعوب معًا بشفاه نقيّة كعروسٍ واحدة، تعبد الرب بكتفٍ واحدٍ (صف ٣ : ٨-٩).  
ما هذه التسبحة التي تتشدها كل الأمم؟ إنها أغنية النصر والغلبة على الموت (١ كو ١٥ :  
٥٤). كيف تتحقّق؟ باتحاد الجميع بالقائل: "أنا قد غلبت العالم" (يو ١٦ : ٣٣). هذا ما يشتهي  
المؤمن، أن يرى كل البشر في تهليلٍ لا ينقطع، يتدربون على الحياة المطوّبة الغالبة لإبليس وكل  
قوات الظلمة، والخطية والفساد! بهذا الروح لا يعرف البشر الإحباط، ولا الحزن القاتل للنفس!

❖ يوجد حتى بين الأمم بعض الناس شكّلوا أفكارًا بخصوص نهاية الإنسان، وبلغوا إلى آراء متباينة  
بخصوص النهاية.

أعلن البعض أن النهاية هي البلوغ إلى المعرفة؛ آخرون أنها حيوية عملية، وآخرون أنها  
استخدام مُغاير للحياة والجسد، أمّا الشهوانيون فرأوا أن النهاية هي اللذة.  
أمّا بالنسبة لنا، فالنهاية التي لأجلها نعمل كل شيءٍ فهي أن نتَّجه مُسرِّعين إلى الحياة  
المطوّبة في العالم العتيد. هذه نبلغ إليها عندما يقودنا الله.

إلى هذا الزمان ليس شيء أفضل من الفكرة الأخيرة التي توجد في الطبيعة العاقلة، ويحثنا  
إليها الرسول بقوله: "بعد ذلك النهاية، متى سلّم الملك لله الأب" (١ كو ١٥ : ٢٤).

وضع (أمامنا) صفيان نفس الشيء في نبوة، قائلاً على لسان شخص الله: "حكمتي أن  
أجمع الأمم لأجمع الملوك وأصعب سخطي عليهم، لأنه بنار غيرتي تؤكل الأرض. لأنني حينئذ  
أحول الشعوب إلى شفة نقيّة، ليدعوا كلهم بإسم الرب، ليعبدوه بكتفٍ واحدة" (صف ٣ : ٨-٩  
LXX).

أظن أن المزمور يشير إلى هذه النهاية، إذ له هذا العنوان. إلى النهاية، مزمور لبني قورح على نجاح الأشرار.

هؤلاء الأشخاص أيضًا في توافقٍ مع هذا الفكر، إذ يكتبون: "لأجل النصر" أو "أغنية نصر" أو "إلى الغالب". إذ أبتلع الموت إلى غلبة (١ كو ١٥ : ٥٤). وقد تَدَمَّر تمامًا بواسطة ذاك القائل: "أنا قد غلبت العالم" (يو ١٦ : ٣٣). إذ غلب المسيح كل الأشياء، وتجتو باسمه كل رُكبة مَمَّن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض" (راجع في ٢ : ١٠). لعلَّ الروح القدس يُعلنُ مقدِّمًا في قصائد النَّصرة عن الأمور المحفوظة لنا<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## ٢. دعوة البشرية كلها للاستماع

جاء في تفسيرنا للمزمور في سلسلة "من تفسير وتأملات الآباء الأولين":  
[توجَّه دعوة جامعية للبشرية في كل مكان، للعظماء والعامَّة، للأغنياء والفقراء، لليهود والأمم، بكون الجميع عبيد الله مدعوين للاستماع لله وطاعته، كي يتمتعوا بكلمة الله وحكمته.  
يبدأ المزمور بكلمة "اسمعوا"، وهي ذات الكلمة التي بدأت بها الوصايا العشرة: "اسمع يا إسرائيل". هذه هي بداية الوصية الإلهية. هي أمر يحوي ضمناً وعدًا إلهيًا، فإن الذي يُطالبنا بالاستماع هو الذي يهب آذاننا الختان، لكي تكون لنا أذنٌ روحية قادرة على الاستماع والفهم والطاعة بفرح وبهجة قلبٍ. لهذا قيل: "من له آذان للسمع فليسمع".]

وها هو يصنف ثلاثة أنواع:

أ. مَفْضَر الأمم، أي غير المؤمنين، فقد جاء السيد المسيح طبيبًا للسقام، يشفي الأمم بدعوتهم للالتقاء مع الله.

ب. سُكَّان العالم، الأرضيون.

ج. بني البشر، سواء كانوا أغنياء أو فقراء.

يُلاحظ في هذه الدعوة المُوَجَّهة للعالم كله الآتي:

١. يدعو الرب العالم كله للاستماع.

٢. يقف المُرْتِّل في دهشةٍ، فالدعوة المُوَجَّهة للبشرية علنية وعجيبة. يصوِّر الرب وكأنه يقف

على برج مراقبة مُرتفع للغاية، تراه كل المسكونة، وعيناه تحتضنان كل البشر. فهو لا يتكلم بفمه فحسب، إنما عيناه موجهتان لكل إنسانٍ، فيحسب الدعوة مُوجَّهة إليه شخصيًا.

<sup>1</sup> Homily 19:1, (On Ps 48 LXX). Unto the End, A Psalm for the Sons of Core on the Prosperity of the Wicked.

يصرخ خلال أنبيائه في العهد القديم ورُسله في العهد الجديد، ويدوي صوته في أنني كل إنسانٍ كما في قلبه!

٣. وجّه الدعوة أولاً لمن هم أضعف، إذ يهتم الطبيب بالمرضى.  
٤. إن كان الله يدعو الجميع، فيليق بالكل أن يكرم كل واحدٍ أخاه. فلا يحتقر الغني الفقير، ولا يرتجف الفقير والمسكين من أصحاب السلاطين.

❖ "اسمعوا هذا يا جميع الشعوب، أصغوا يا جميع سكان الدنيا. يا أيها الأرضيون (*earthborn*)، وأنتم يا بني البشر، الأغنياء والفقراء سواء" [١-٢].

مكان الاجتماع ضخم جداً، حيث يدعو المزمور كل الأمم للاستماع، كما كل الذين يملأون العالم بمساكنهم. أظن أنه بهذا الإعلان السامي يجتذب ليس فقط الأرضيين *earthborn* بل كل بني البشر، الأغنياء والفقراء، ويدعوهم إلى الإصغاء.

أي نوع برج المراقبة هذا القائم في ارتفاعه على كل الأرض ليرى كل الأمم من بعيد، ويحتضن كل العالم بعينيه؟

أي مذياع عالي الصوت هكذا، يصرخ فتسمعه آذان كثيرة في نفس الوقت؟

أي مكان قادر أن يستوعب تلك التجمعات؟

آية عظمة وآية حكمة لهذا المُعلِّم، ليُقدِّم تعليمات تليق بهذا المَحْفَل العظيم؟

انتظروا قليلاً، فستتعلمون أن ما يتبع هذا يليق بالوعد (المُقدِّم لهم). فإن الذي يجمع الكل، ويدعوهم للإعلان هو الباراقليط، روح الحق، الذي يجمع معاً الأنبياء والرسل الذين يخلصون. الذين قيل عنهم: "بلغت أقوالهم إلى كل الأرض، وكلماتهم إلى أقاصي العالم" (مز ١٩: ٥ *LXX*). لذلك جُمِعَت الكنيسة من كل طبقات البشر (الحياة)، حتى لا يُترك أحد بدون عونٍ منها.

توجد ثلاث مجموعات مدعوة، يضمها كل جنس البشر: وثنيون، وسكان العالم وهم أرضيون *earthborn*، وبنو البشر الأغنياء والفقراء.

من إذن تُرك ولم يُدعَ للاستماع؟ أولئك الذين هم خارج الإيمان مدعوون بدعوة الوثنيين. سكان العالم هم الذين في الكنيسة.

الأرضيون *earthborn* هم الذين حكماء في شئون الأرضيات، وملتصقون بملذات الجسد. بنو البشر هم أولئك الذين يسلكون بشيءٍ من الجدية ويُدرَّبون عقولهم، لأن التعقُّل هو سِمة الإنسان.



الأغنياء والفقراء لهم هويتهم تُعرَف منهم: الأولون لهم المقتنيات المتزايدة لضروريات الحياة، والآخرون يقفون في عَوْرٍ إليها.

وحيث أن طبيب النفوس لم يأت ليدعو الأبرار، بل الخطاة إلى التوبة (مت ٩: ١٣)، ففي دعوته وضع أولاً في كل مجموعة الذين يُدانون. فالوثنيون أشد من سكان العالم، ومع ذلك اختيروا أولاً في الدعوة، لكي يأتي المرضى أولاً، يَتَمَتَّعون برعاية الطبيب. وبعد ذلك الأرضيون *earthborn* وضعوا قبل بني البشر، والأغنياء قبل الفقراء.

المجموعة التي كانت ميثوساً منها وخلصها أصعب دُعيت قبل الفقراء. هكذا هو حنو الطبيب، يُقَدِّم معونته لمن هم أضعف أولاً.

في نفس الوقت، المشاركة في الاستدعاء هي اتحاد في سلام، حتى أن أولئك الذين كانوا حتى ذلك الوقت يقاومون بعضهم بعضاً، بسبب اختلاف العادات، باجتماعهم معاً، يعتادون على بعضهم البعض في حُب.

لِيَعْلَمَ الغني أنه مدعو بنفس الإعلان مثل الفقير. يقول: "أغنياء وفقراء سواء" [٢]

لِيُتْرَكَ خارجاً التسامخ على الذين هم في أكثر احتياجٍ وخطرسة الثروة، بهذا ادخلوا كنيسة الله. إن لبيت الأغنياء لا يُعاملون الفقير بازدراء، ولا ينكش الفقير مُرتعداً تحت سلطان الأثرياء.

ليت بني البشر لا يستخفون بالأرضيين *earthborn*، ولا الأرضيون *earthborn* يعزلون أنفسهم عنهم. ليت الوثنيين يعتادون على التعامل مع سكان العالم، وسكان العالم خلال المحبة يقبلونهم كأصدقاء ضيوف خلال العهود<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

### ٣. دعوة إلهية مُفرجة

إذ يطلب المُرتل من الأمم أن تستمع إلى دعوة الله، يؤكد أنه ككارز بهذه الدعوة، إنما يُقَدِّمها خلال تسبحة الفرح.

يأتيهم بقيثارة ليبت فيهم روح الخلاص المُفرج. مع القيثارة التي يأتيهم بها على يديه، يركز لهم بقيثارة حياته كلها سواء بفمه أو بقلبه.

فالكارز المُتهلّل بالروح، والذي تتناغم أوتار سلوكه مع أوتار فمه، يتناغم فهمه مع حكمته، كلماته مع أعماله. كأنه هو قيثارة يعزف عليها روح الله-واهب الفرح، لتُكِيم إن أمكن من كل البشرية قيثارة روحية.

<sup>1</sup> Homily 19:1, (On Ps 48 LXX). Unto the End, A Psalm for the Sons of Core on the Prosperity of the Wicked.

بروح الفرحة يتحدّى المتاعب، وروح الفرحة يكشف عن أسرار محبة الله الفائقة للبشرية والتي تبدو ألبازًا صعبة.

في اختصار، الفرحة هو مفتاح الكرازة، يعطي عنوبة للدعوة كما للكازر بها وأيضًا للمدعوين من كل الشعوب.

ينتقل المرثل من وقوفه أمام الشعب يدعو إلى الخلاص المفرح، إلى لقائه مع الدين في يوم الرب العظيم. إنه يوم رهيب حيث يقف الإنسان كما في محكمة، أما المتهمون له والشهود ضد الإنسان فهي شروره التي تتكشف مع الظروف المحيطة بها. أما إنسان الله فلا يخشى هذا اليوم، إذ لا تقف علامات الخطاة أو الاتهامات أمام من تحولت حياته بالإيمان العملي الروحي إلى قيامة الله.

❖ "فمي يتكلم بالحكمة، وقلبي يلهم بالفهم" [٣].

حيث أنه بحسب الرسول: "القلب يؤمن (به) للبر، والفم يعترف به للخلاص" (رو ١٠: ١٠)، بالحقيقة عمل الاثنين في البشر يوحى بالكمال. لذلك جمعت العبارة الاثنين معًا في نفس الموضوع، عمل الفم وتأمل القلب. بالحقيقة إن كان الصلاح لم يكن قد خزن مقدمًا في القلب، كيف يمكن لمن لم يقتنيه في الخفاء أن يظهر الكنز خلال فمه؟ وإن كان لديه أشياء صالحة في قلبه، فإن لم نعمل هذه علانية بالحديث، يقال له: "الحكمة المخفية، والكنز الذي لا يرى ما الفائدة في هذين، ليتكلم فمي بالحكمة، ولأجل تقدمي ليلهم قلبي بالتعقل.

"أميل أذني إلى الأمثال؛ وأكشف ألبازي على قيامة 4" [psaltery].

لا يزال يُقدّم النبي شخصه، حتى لا تُحتقر كلماته كما لو قُدمت بابتكار بشري. يقول ما أعلم به من الروح (القدس)، هذا أعلنه لكم، ولا أنطق بشيء من عندي، ليس شيئًا بشريًا. ولكن حيث أنني أسمع ألباز الروح الذي يُنزل حكمة الله سرّيًا. إنني أكشف لكم وأظهر الألباز. علاوة على هذا لا أظهر شيئًا آخر خلال القيامة psaltery. القيامة هي أداة موسيقية تظهر صوتها بتناغم مع لحن الصوت.

تبعًا لذلك فإن القيامة العقلية مكشوفة، خاصة في ذلك الوقت عندما تعزف الأعمال في تناغم مع الكلمات. فمن يعمل بما يُعلم يكون قيامة روحية. إنه هو الذي يكشف الألباز في المزمور، يُعد إمكانية التعليم بكونه نموذجًا. لذلك إذ يدرك أنه لا يوجد شيء متنافر أو خارج نغم حياته، ينطق بثقة بالكلمات التالية: "لماذا أخاف في يوم السوء، عندما يحيط بي إثم الذين يتعقبونني" [٥].

يقصد بيوم السوء يوم الدينونة، الذي قيل عنه: "يوم الرب يوم لا علاج له، على كل الأمم" (راجع إش ١٣: ٩)، يقول عنه النبي: "مكائده تقلق كل واحد".

في ذلك الوقت، إذن، إذ لم أفعل شيئاً ضد الشريعة في طريق الحياة، لا أخشى يوم السوء. فإن علامات الخطاة لا تقف حولي ولا تقلقني، في اتهامات صامته تقوم اتهامات ضدي. لا يقف أحد كمتهم لك إلا نفسك، أو أعمالك ذاتها، يقف كل عمل في شكله - الزنا والسرقة والفسق - كما بالليل، بالظروف المعينة التي تُظهر سماتها، وبصفة عامة كل خطية بسمتها تكون حاضرة تحمل تذكراً واضحاً.

علامات الخطاة إذن لا تقلقني، لأنني أميل أنني إلى مثل، أكشف بقيثارة ألغازي<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

#### ٤. من يقدر أن يفديكم ويحرركم من الطاغية؟

أعلن المرثل في عنوان مزموره بضرورة مراجعة الإنسان هدفه ورسالته ليأخذ قراراً مصيرياً يمس حياته إلى الأبد.

وإذ يميل بأذنيه نحو خالقه ومخلصه يسمعه يدعو كل الأمم لإنجيل الخلاص المفرح. يتحول المرثل إلى قيثارة، يعزف عليها روح الله بأوتار الفم والقلب والعمل ليدعو جميع البشرية أن تتحول إلى قيثارة تُشاركه بهجة قلبه. حقاً يقوم عدو الخير بمقاومة، لكنه لا يضطرب حتى في يوم الدينونة، إذ لا يحيط به شهود أشرار، أي أعمال شريرة، إنما يحيط به خلاص الرب.

الآن يُقدّم المرثل نفسه مثلاً لكل الشعوب، إذ يرفعه إنجيل المسيح فوق كل ما هو زمني، فلا تأسره ثروة ما أو حُب السُلطة. إنه يشتهي أن يُشاركه كل البشرية هذا السمو فوق الزمن بمغرياته كما بمتاعبه.

الآن يتحدث بالقيثارة إلى الأرضيين، ليتحرروا من محبة التراب، كما إلى الأغنياء ليكتشفوا غنى المسيح.

أخيراً، من هو هذا القادر أن يفدي الإنسان ويحرره من عبودية إبليس؟ إن كان الإنسان مهما بلغ برّه. لا يقدر أن يُحرّر نفسه، فهل يقدر أن يُحرّر أخاه؟

❖ "الذين يثقون في قوتهم، ويكثر غناهم يفتخرون" [٦].

هذه العبارة يُوجّهها النبي إلى نوعين من الأشخاص: إلى الأرضيين *earthborn*

<sup>1</sup> Homily 19:2, (On Ps 48 LXX). Unto the End, A Psalm for the Sons of Core on the Prosperity of the Wicked.

والأغنياء. يتكلم إلى الأولين، لكي ينزعوا عنهم المفاهيم الخاطئة لسُلطانهم. وللآخرين الذين يفتخرون بمقتنياتهم. يقول: أنتم يا من تتكلمون على قوتكم.

يتكلم هؤلاء الأرضيون *earthborn* على قوة الجسد، ويؤمنون أن الطبيعة البشرية فيها الكفاية في تحقيق ما يريدونه ببراعة. يقول: وأنتم يا من تتقون في عدم يقينية الغنى، أصغوا. إنكم محتاجون إلى فديات حتى تنتقلوا إلى الحرية التي حرمتكم منها عندما غلبتكم قوة الشيطان الذي سحبكم تحت سُلطانه، فإنه لا يترككم في حرية من طغيانه حتى يعمل فيكم مُخلص قدير يريد أن يقايضكم. لا تكون الفدية من نفس نوع الذي سقط تحت سُلطانه، بل يختلف عنه تمامًا، إن أراد بحق أن يُحرر المسبيين من العبودية.

لذلك فإن الأخ يعجز عن أن يفديكم. فإنه لا يقدر إنسان أن يحث الشيطان أن ينزع سُلطانه عن ذاك الذي خضع له مرة!

أيضًا يعجز (الأخ) عن أن يُقدّم لله كفارة عن خطاياها، فكيف يكون له سلطان أن يفعل هذا عن الآخرين؟

وأي شيء ثمين يملكه في هذا العالم يكفي ليقايض به ثمنًا لنفسٍ ثمينة بطبيعتها، هذه التي خلقت على صورة خالقها؟ وأي عملٍ في الزمن الحاضر يكفي تقديمه للنفس البشرية كوسيلةٍ وعونٍ لها في الحياة العتيدة؟

يمكننا أن نحسب هذه الأشياء بسيطة. فإنه حتى إن بدا إنسان أنه صاحب سُلطان عظيم في هذه الحياة، حتى وإن أحاط به عدد عظيم من المقتنيات، فإن هذه الكلمات تُعلّمه أن ينزل عن مثل هذا الفكر، وأن يتواضع تحت يد الله القدير (١ بط ٥: ٦)، لا أن يتكلم على سُلطان أحدٍ مشهورٍ، ولا أن يفتخر بكثرة غناه.

مع هذا يمكن أن يصعد إلى العلو قليلاً في الفكر، وبالنسبة للذين يتكلمون على سُلطانهم أو يفتخرون بثرواتهم أن يفكروا في قدرات (وسُلطان) النفس، بقدر ما هي غير كاملة في ذاتها لتحقيق الخلاص. فإنه إن وُجد أحد كامل بين بني البشر، إن كانت تنقصه حكمة الله، فلا يفتخر بشيء. فإنه وإن نال كثرة من النظريات من حكمة العالم، وجمع الكثير من غنى المعرفة، فليسمع الحق كله من الأمر: كل نفسٍ بشرية انحنت تحت نير العبودية التي فرضها عدو الجميع العام، وإذ حرّم من الحرية ذاتها التي نالها من الخالق، قادته الخطية أسيرًا. كل مسبيٍّ في حاجة إلى فدية من أجل حرّيته.

الآن، لا يقدر أخ أن يفدي أخاه، ولا يقدر أحد أن يفدي نفسه، لأن الذي يفدي يلزمه أن يكون أفضل من الذي هُزم وصار عبدًا.



في الواقع ليس لي إنسان نه سلطان أمام الله كي يكفّر عن خاطئ، ما دام هو نفسه خاضعًا للخطية: "إذ الجميع أخطأوا، وأعوزهم مجد الله؛ مُتَبَرِّرين مجانًا بنعمته بالفداء الذي ببسوع المسيح ربنا" (رو ٣: ٢٣-٢٤)<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## ٥. الحاجة إلى المُخَلَّص السماوي

يؤكد القديس باسيليوس أنه لا يوجد استثناء واحد، فإن كان موسى العظيم في الأنبياء لم يستطع أن يُخَلَّص نفسه، فكيف كان يمكنه أن يُخَلَّص الشعب؟ إنه كان يُصَلِّي من أجلهم، ويقودهم في طريق الحق، أمّا عمل الخلاص فخاص بالمسيح وحده.

ما يعتزُّ به القديس باسيليوس وما يُكْرِّره، أن النفس البشرية ثمينة للغاية، ليس من يقدر أن يفديها سوى خالقها، كلمة الله المتجسد المصلوب من أجل خلاصها.

❖ "إنه لا يملك أن يؤدي إلى الله كفارة عن نفسه، أو قيمة فدية نفسه، (حتى لو كدًا إلى الأبد)"

[LXX ٨-٧]. إذن لا تسأل أخاك فدية عنك، بل اسأل ذاك الذي يفوق طبيعتك، فهو ليس

إنسانًا مُجَرِّدًا، لأن الله المتأنس يسوع المسيح؛ الذي وحده قادر أن يُقدِّم فدية لله (الآب) عَنَّا جميعًا. لأن الله قَدَّمَهُ كفارة بالإيمان بدمه (رو ٣: ٢٥). كان موسى أخًا لإسرائيل، ولم يكن

قادرًا على خلاصه. الآن هل يمكن لأي إنسانٍ عادي أن يُخَلَّص؟ لذلك تعلن العبارة: "لا يقدر

أخ أن يُخَلَّص؟" وعبارة أخرى في جديّة يستفهم: "هل الإنسان يُخَلَّص؟" [LXX ٧]

لم يُحَرِّز موسى شعبه من الخطية، إنما سأل الله الإغفاء من العقوبة عن الخطية. على

أي الأحوال، لم يكن قادرًا أن يفدي نفسه عندما أخطأ. فإنه بعد أن صنع عجائب كثيرة عظيمة

وآيات رآها، نطق بهذه الكلمات التي تُعبّر عن الشك: "اسمعوا أيها المُتَمَرِّدون المرتابون: أمن

هذه الصخرة يمكننا أن نخرج لكم ماء؟!!" (راجع عد ٢٠: ١٠). لهذا، من أجل هذه الكلمات قال

الرب لموسى وهرون: "من أجل أنكما لم تؤمنا بي حتى تُقدِّساني أمام أعين بني إسرائيل، لذلك

لا تُدخلان هذه الجماعة إلى الأرض التي أعطيتهم إياها" (عد ٢٠: ١٢)، لذلك لم يُقدِّم لله فدية

عن نفسه.

بالحقيقة ماذا يقدر الإنسان أن يجد شيئًا عظيمًا كافيًا ليُقدِّمه فدية عن نفسه؟ لكن وُجِدَ

شيء واحد يستحق أن يُقدِّم عن كل الناس معًا. هذا قُدِّم كُثْمَنٍ لفداء نفوسنا، دم ربنا يسوع

<sup>1</sup> Homily 19:3, (On Ps 48 LXX). Unto the End, A Psalm for the Sons of Core on the Prosperity of the Wicked.

المسيح المقدس والمُكْرَم جداً، الذي سفكه من أجلنا جميعاً، لذا فنحن أشترينا بثمن عظيم (١ بط ٢: ٢٢).

إن كان الأخ لا يُخَلِّص، فهل يقدر إنسان أن يَخْلُص؟ لكن إن كان الأخ لا يقدر أن يُخَلِّصنا، إذن فإن الذي خَلَّصنا ليس إنساناً. لهذا لا تظنُّوا لأنه حلٌّ بيننا في شكل جسدنا الخاطيء (رو ٨: ٣)، إن ربنا إنسانٌ مُجَرَّد، عاجزين عن إدراك قوة لاهوته، هذا الذي ليس في حاجة أن يُقَدِّم فدية عن نفسه، ولا أن يفدي نفسه، لأنه "لم يفعل خطية، ولا وُجِدَ في فمه مكر" (١ بط ٢: ٢٢). ليس أحد فيه كفاية أن يُخَلِّص نفسه، ما لم يأتِ ذاك الذي يزيل سبي البشر لا بفديات، ولا بعطايا كما هو مكتوب في إشعياء (٥٢: ٣)، وإنما بدمه.

وإن كنا لسنا إخوته، إذ صرنا أعداء بعصياننا، فإن ذاك الذي ليس إنساناً مُجَرَّدًا وإنما هو الله، بعد الحرية التي وهبنا إيَّها دعانا إخوته. إنه يقول: "أخبر باسمك إخوتي" (مز ٢٢: ٢٢؛ عب ٢: ١٢)، ذاك الذي يُخَلِّصنا، إن فحصتم طبيعته، فهو ليس أخًا ولا إنساناً، إنما إن فحصتم تنازله إلينا بالنعمة يدعوننا إخوته، ينزل إلى طبيعتنا البشرية ذاك الذي لا يُعطي الله فدية عن نفسه، إنما عن العالم كله.

إنه ليس في حاجة إلى فدية، هو نفسه كفارة. "لأنه كان يليق بنا رئيس كهنة مثل هذا قدوس بلا شرٍّ ولا دنس قد انفصل عن الخطاة، وصار أعلى من السماوات، الذي ليس له اضطرار كل يومٍ مثل رؤساء الكهنة أن يُقَدِّم نبائح أولاً عن خطايا نفسه، ثم عن خطايا الشعب" (عب ٧: ٢٦-٢٧). عندئذ يقول: "وعمل (حتى ولو كدًّا) إلى الأبد أو عاش إلى النهاية" (راجع مز ٤٩: ٨-٩). فإن وجود (الفادي) بذاته، وقدرته، وطبيعته المثابرة تعمل بكدٍّ في هذه الحياة، وعندما تعب من الرحلة جلس عند البئر (يو ٤: ٥)¹.

القديس باسيليوس الكبير

## ٦. الخلاص والجهاد

بعد أن أكَّد القديس باسيليوس أنه لن يتحقَّق الفداء إلا بدم ذاك القادر أن يفِي الدين، ويحرِّر النفس، ويرد الصورة المفقودة، أبرز دور الإنسان الجاد في بلوغه الخلاص، والالتزام بالسلوك حسب الروح، وقبول الألم بفرح، فينعم بالراحة الحقيقية.

❖ يقول القديس باسيليوس الكبير إن مدينة الرب (مز ١٠١) هي الإنسان، لأن الله خلقه على صورته ومثاله. وأمَّا أشرار الأرض وفاعلو الإثم فهم الأفكار الشريرة الخارجة من القلب مثل

¹ Homily 19:4, (On Ps 48 LXX). Unto the End, A Psalm for the Sons of Core on the Prosperity of the Wicked.

القتل والفجور والزنا والسرقة وشهادة الزور والتجديف وما إلى ذلك. يجب علينا قتلها وإبادتها من مدينة الرب باكراً، أي في بداياتها أو في حداثة عمرنا، ولا ندعها تنمو فينا بالأكثر.

الأب أنسليمس الأورشليمي

لقد أبرز القديس باسيليوس الكبير النقاط التالية:

أ. مات فادينا حكمة الله، لكنه لم يفسد، لأن الأب لا يدع قدوسه يرى فساداً (مز ١٦: ١٠)، أما حكماء هذا العالم والجهلاء مع الأغنياء فيموتون، ويتركون كل ما لديهم، إذ يحل بهم الفساد.

ب. لم يتوقف رجال الإيمان عن الجهاد وقبول التعب والمشقة بفرح وسرور.

أيوب رجل التجارب حسب الإنسان يُولد للمشقة (أي ٥: ٧).

ويولس الكارز بخلص المسيح المجاني تعب أكثر من جميع الرسل (١ كو ١٥: ١٠).

ودعا مسيحننا المتعبين والثقيلي الأحمال من المؤمنين للتمتع بالراحة (مت ١١: ٢٨).

ج. لعنه يحسب أن التخلي عن حكمة هذا العالم من أجل قبول حكمة الله المُعلنة بالصليب هو

قبول الصלב مع المسيح.

❖ "لا يرى هلاكاً، عندما يرى الحكماء يموتون" [راجع ١٠]، لأن الأب لا يدع قدوسه يرى فساداً (مز ١٦: ١٠).

عندما يموت الذين يفتخرون بحكمتهم التي تبطل. ولكن إن أخذت هذه الكلمات عن

الأبرار، تذكر قول أيوب: "يولد الإنسان للشقاء" (راجع أي ٥: ٧). وأيضاً قول الرسول: "تعبت

أكثر من جميعهم" (١ كو ١٥: ١٠)، وأيضاً "في أعاب كثيرة" (٢١ كو ١١: ٢٣).

إن، من يتعب في هذه الحياة يحيا إلى الأبد، أمّا من يقضي زمانه في نعومة وتهيأون

بسبب الحياة المترفة، الذي "يلبس الأرجوان والبز وهو ينعم كل يوم مترفها" (لو ١٦: ١٩)،

ويهرب من المتاعب التي تطلبها الفضيلة، فإنه لا يتعب في هذه الحياة ولا يحيا في الحياة

العتيدة، بل سيرى حياة بعيدة، بينما يتألم في نار الأتون.

أما الذي يفرق في صراعات بلا عدد من أجل الفضيلة، ويبلغ إليها، ويُحقق متاعب أكثرنا

فيحيا إلى النهاية مثل لعازر (لو ١٦)، الذي تعب في أحزان كثيرة، ومثل أيوب الذي انهمك في

صراعات ضد العدو. إنه يقول: "الذين ينهمكون في تعب يستريحون" (راجع أي ٣: ١٧). لذلك

دعا الرب المتعبين والثقيلي الأحمال إلى الراحة (مت ١١: ٢٨).

الآن كيف يُقال عن الذين يتعبون في الأعمال الصالحة ثقيلي الأحمال؟ لأن: "الذاهبين

ذهاباً بالبكاء، حاملين بذور الزرع، مجيئاً يجيئون بالترثم حاملين حزمهم" (مز ١٢٦: ٦). معلومة



بالثمار، التي رجعت إليهم من غرسهم البنور. لذلك يُقال إنهم ثَقِيلُوا الأحمال، هؤلاء الذين غرسوا بوفرة وحصدوا بوفرة (٢ كو ٩: ٦)، وبفرح أبديّ يلقون على أكتافهم حزم الثمار الروحية. إذن، الذي يخلص بواسطة الله، الذي يُقدِّم له فداء، يتعب في هذه الحياة، وبعد هذا يعيش إلى النهاية. إنه لا يرى فسادًا، عندما يرى الحكماء يموتون.

الذي يختار الطريق الضيق والكرب عوض الواسع والرحب، ففي وقت افتقاد الله، عندما يُلقَى هؤلاء الذين لم يؤمنوا بكلمات الله، بل يسرون وراء شهوات قلوبهم الباطلة في عقوبة أبدية، أقول إنه لا يرى الدمار الأبدي، البؤس الدائم. لكنه يقول بالحقيقة إن الحكماء قد تدرَّبوا على الخبث. ويقول إرميا بخصوصهم: "هُم حكماء في عمل الشر، ولعمل الصالح ما يفهمون" (إر ٤: ٢٢). كما قيل أيضًا: "بينما هم يزعمون أنهم حكماء صاروا جهلاء" (رو ١: ٢٢). "لأن حكمة هذا العالم هي جهالة عند الله" (١ كو ٣: ١٩).

ولأن هذه الحكمة تجعل الناس جهلاء. يقول الله إنه سيُحطِّم حكمة الحكماء، ويبطل فهم الفهماء. لذلك فإن هذه المعتقدات الباطلة والتي تُدعى معرفة تجلب موتًا للذين يقبلونها. لكن هذا الموت لا يراه الذين خلصوا بواسطته، هذا الذي يُسر أن يُخلِّص الذين يتقون في جهالة إعلانه<sup>١</sup>.

"ارجعي يا نفسي إلى راحتك، لأن الرب قد أحسن إليك". (مز ١١٦: ٧) المتباري الشجاع يُطبِّق على نفسه هذه الكلمات المُعزية تمامًا، مثل بولس عندما يقول: "جاهدت الجهاد الحسن، أكملت السعي، وحفظت الإيمان، وأخيرًا وُضِعَ لي إكليل البرِّ" (٢ تي ٤: ٧-٨). وقال النبي هذا عينه لنفسه: "حيثُ أنكِ تُتَمِّين بكفاية طريق هذه الحياة، ارجعي إلى راحتك، لأن الرب قد أحسن إليك". لأن الراحة الأبدية تُوضَع قدام الذين يُجاهدون في الحياة الحاضرة، حافظين الشرائع، راحة ليست مُقابل دين بسبب أعمالنا، بل من أجل نعمة لله السخي للذين يتَرَجَّونه<sup>٢</sup>.

❖ إنه يصف الراحة المستقبلية، مقارنًا إياها بالأمر الحاضرة. يقول: هنا أحزان الموت قد أحاقت بي، أما هناك فقد خلص نفسي من الموت. هنا عيناى تسكبان الدموع بسبب المتاعب، وأما هناك فلا تعود توجد دمة تظلم أعين الذين يتهللون بالتأمل في جمال مجد الله. إذ يمسح الله كل دمة من كل وجه<sup>٣</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>1</sup> Homily 19:5, (On Ps 48 LXX). *Unto the End, A Psalm for the Sons of Core on the Prosperity of the Wicked.*

<sup>2</sup> Homilies, 22. F.C. vol 46 ,p. 356-57.

<sup>3</sup> Homilies on Ps. 114.



## ٧. بيوت الحمقى والجهال مدافن لهم إلى الأبد

في العبارات السابقة إذ يدعونا القديس باسيليوس للتمتع بالخلاص والبشارة بها وسط الأمم، أبرز لنا سمات المؤمن الحكيم الذي ينعم بالشركة مع المختص ودعوة الشعوب للتمتع بها. فالحكيم في عينيه يتسّم بالآتي:

١. يتعرّف على غاية حياته أو نهايتها، وهي التمتع بالحياة المطوّرة الأبدية.

٢. لن تستريح أعماقه حتى يرى كل الشعوب تتمتع بالخلاص المجاني.

٣. يشهد المؤمن للخلاص بلسانه وقلبه وسلوكه، كما على أوتار قيثارة، تتناغم معاً بروح الفرح، فتجذب الأمم.

٤. لا يتكل الحكيم على إنسان يعجز عن خلاص نفسه، إنما يطلب خلاص القادر.

٥. لا يتكل الحكيم على غناه ولا على سلطانه أو مواهبه، إنما على السيد المسيح الذي وحده يُحرّرنا من سلطان الطاغية إبليس.

٦. الخلاص مجاني، لكن لن يتمتع به المتكاسلون الناضجون والمخطفون. يلزم الجهاد القافوني، فنصيب مع المصلوب.

٧. الآن يُقدّم لنا القديس باسيليوس تمييزاً بين الحكيم الحقيقي وذلك الذي يظن في عيني نفسه أنه حكيم، بينما هو بليد أو جاهل. وفي نفس الوقت يُتميّن القديس بين البليد (الأحمق) والجاهل. البليد: إن كان الحكيم هو من يستطيع أن يُتميّن بين ما هو نافع له وما هو مضر في حياته الزمنية، فإن البليد أو الأحمق، هو من ينقصه الإحساس العام بالخير وما هو لصلته وما هو لضرره.

الجاهل: هو من لا يتمتع بعمل الثالوث القديس في حياته، فلا يفهم أبوة الأب العملية في حياته، ولا يقبل الكلمة المتجسّد ليعمل فيه، ولا ينعم بنور الروح القدس.

الجاهل يُنكر وجود الله سواء كعقيدة يؤمن بها، أو برفضه عمل الله في حياته. لذلك حُسب اليهود الرافضون للإيمان بالمسيح جهلاء.

يشارك البليد والجهلاء في الآتي:

١. يهلكون معاً.

٢. يتركون ثروتهم لآخرين، ولا ينتفعون بها.

٣. قبورهم هي مساكنهم. هذا هو كل ما ينالونه من الحياة على الأرض.

٤. يدعون ممتلكاتهم مثل قصورهم وحقولهم وأراضيهم بأسمائهم ليُخلدوا ذكراهم، عوض أن يهتموا بتسجيل أسمائهم في سفر الحياة، ونقشها على كف الله لتُخلد أبدياً.

❖ الجهال والبلداء (الحمقى senseless) يهلكون معاً، ويتركون ثروتهم لآخرين. مقابريهم هي مساكنهم إلى دورٍ فدورٍ، ينادون بأسمائهم على الأراضى" [١٠-١١].

دُعِيَ الحكماء أعلاه بِاسْمٍ واحدٍ عامٍ، أمّا الآن فيُقَسَّمُهم إلى بلداء (حمقى) وجُهَّال. في صراحة قال إنهم "حكماء"، مستعيراً المصطلح من وجهة نظرهم. وذلك كما يدعو آلهة الذين ليسوا آلهة بالطبيعة، إنما يتبعون ما يُمارسه المخادعون. كذلك يدعو البلداء والجهال حكماء، بينما في تفكيرنا نفضل البلداء عن الجهال.

البليد (senseless) بالحقيقة هو من يُنقصه الإحساس العام، والذي ليس لديه بصيرة سليمة بالنسبة للأعمال البشرية العادية. بنفس الطريقة، عادة يُدعى الذين يُميّزون في شئون الحياة ما بين ما هو نافع وما هو ضار بالحكماء أو العقلاء prudent. هذا ما عبّر عنه في الإنجيل: "لأن أبناء هذا الدهر أحكم من أبناء النور في جيلهم" (لو ١٦ : ٨). إنهم ليسوا حكماء بطريقة مُطلقة، وإنما بسبب حصافتهم في تدبير حياتهم الحاضرة في الجسد، يُدعون أيضاً خدام الظلم. بحسب هذا المعنى، فإن الحكماء هم أيضاً أفاعي، التي تُعد أماكن خفية لنفسها، وفي حالة الخطر تتجنّب بكل وسيلة الضربات أن تسقط على الرأس.

يُقال جاهل على من ليس لديه خصال الإنسان الرفيعة. هذه التي هي فهم الله الأب، وقبول الكلمة، الذي "في البدء كان مع الله" (يو ١ : ٢)، والنور الذي يأتي من الروح القدس. هؤلاء الأشخاص الذين لهم هذا الفكر، القادرون على القول مع بولس: "لكن لنا فكر المسيح" (١ كو ٢ : ١٦). ومع ذلك يستخدم الكتاب المقدس النقيض، بالقول إن الشرير بليد في الكلمات التالية: "قال الجاهل في قلبه ليس إله" (مز ١٥ : ١). مرة أخرى يدعو ما هو ضار للحياة غباوة، وذلك كما فعل الرسول في حديثه عن أولئك الذين سقطوا في شهوات غبية ومُضِرَّة (١ تي ٦ : ٩).

هكذا فإن البليد (الأحمق) والجاهل ينزلان إلى نهاية واحدة، وهي الهلاك. ويمكن لأحد أن يقول إن الذي يعيش مثل الوثنيين يُدعى أحمق، وأما الذي يسلك حياته كيهوديٍّ بمظهر خارجي (حرفي) في حفظ الناموس فهو جاهل. إذ قال الرب للإنسان الأحمق بسبب إلهاده (عدم إيمانه) الذي فيه: "يا غبي هذه الليلة تُطلب نفسك منك" (لو ١٢ : ٢٠). أمّا إسرائيل الذي سلك حسب الجسد فدُعِيَ جاهلاً، كقول النبي: "وصار أفرام كحمامة رعاء، يدعون مصر، يمضون إلى آشور (هو ٧ : ١١).

حيث هلك هؤلاء تمامًا بجهلهم، صرنا نحن الغرباء ورثة لثروتهم. صارت لنا الوصايا، وصار لنا الأنبياء والآباء، وهكذا صار الأبرار في العالم لنا. هؤلاء الذين هلكوا في جهلهم تركوا لنا ثروتهم.

على أي الأحوال صارت بيوت هؤلاء الحمقى والجهال لهم مقابر إلى الأبد. لأن مقابر هؤلاء الذين امتلأت حياتهم بأعمال مَيِّتة بكل نوع من الخطايا هي بيوتهم إلى الأبد. ذاك الذي هو مَيِّت بالخطايا، لا يسكن في بيت، بل في قبر، لأن نفسه مَيِّتة.

الآن يعقوب البريء في سلوكه وبسيط، سكن في بيت. كُتِبَ عنه أنه إنسان بسيط وصالح سكن في بيت (راجع تك ٢٥: ٢٧)، أما الرجل اللئيم فيسكن في قبر، ولا يضع أساسًا للندامة، بسبب أعماله المَيِّتة، إنما يُشبه قبرًا مبيضًا من الخارج رائعًا جدًا، ولكن من الداخل مملوء عظامًا مَيِّتة وكل نجاسة (مت ٢٣: ٢٧). لهذا عندما يتكلم مثل هذا، لا يفتح فمه بكلمة الله، إنما له قبر، حنجرته قبر مفتوح. لذلك إن كان أحد يؤمن بالمسيح ولا يمارس أعماله في تناغم مع إيمانه، فإنه إذ يصغي إلى تعاليم فاسدة، ويُجَدِّف على معاني الكتاب المقدس، يَتَحَطَّم على صخرة قبره<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## ٨. أجساد الحمقى والجهال مقابر لنفوسهم

يُكَمِّلُ القديس حديثه عن ما بلغ إليه البلاء والجهال من غباوة، إذ اشتركوا في الأمور السابق ذكرها خاصة أنهم يحصرون سعادتهم في دوام ذكراهم أثناء حياتهم على الأرض وبعد موتهم، فينقشون أسماءهم كما على التراب، وذلك بنحتها على مقابرهم الفخمة أو منشآتهم وقصورهم. أما أخطر ما يبلغونه أنهم يُحوّلون أجسادهم إلى قبور تضم نفوسهم المَيِّتة، لأنها تحرم نفسها من الحياة المُقامَة مع المسيح.

تصل الغباوة بالبعض أنهم عوض الانتساب إلى السيد المسيح واهب الخلود، فيُدعَوْنَ مسيحيين، ينسبون أنفسهم للهراطقة مثل أتباع الغنوصيين كمرقيون وفالنتينوس وماني.

❖ "بيوتهم إلى الأبد مساكنهم إلى دورٍ فدورٍ" [١٢]، بمعنى أن قبورهم هي بيوتهم إلى الأبد. عندئذ، إذ يشرح ماذا يعني بالقبور، لكي يُظهر أنه كان يتكلم عن أجسادهم التي تهلك فيها نفوسهم بشروهم، يضيف هذه الكلمات: "مساكنهم إلى كل الأجيال؛ لأن الأجساد البشرية تُدعى دومًا مساكن".

<sup>1</sup> Homily 19:6, (On Ps 48 LXX). Unto the End, A Psalm for the Sons of Core on the Prosperity of the Wicked.



هؤلاء أيضًا يدعون أراضيهم بأسمائهم. فإن اسم الإنسان اللئيم لا يُسجّل في سفر الأحياء، ولا يُحسب مع كنيسة الأبرار المحصاة في السماء. إنما تبقى أسماؤهم على الأرض، إذ فضّلوا هذه الحياة الزائلة القصيرة المدى عن المساكن الأبدية.

ألا ترون كيف أن الذين يبنون الأسواق والمدارس في المدن، ويُقيمون أسوارًا، وينشئون قنوات، يكتبون أسماءهم على المباني الأرضية؟

بالفعل قام البعض بنقش أسمائهم على قطعان الخيل، ووضعوا خططًا أن يبسطوا ذكراهم إلى زمن طويل في الحياة، أقاموا أبنية فخمة لمقابرهم، ونقشوا أسماءهم على الأنصاب. هؤلاء هم الحكماء في الأمور الأرضية، الذين يهتمون بالمجد الحاضر ويحسبون تذكر الناس لهم فيه الكفاية لتحقيق السعادة.

فإنكم إن رأيتم أحدًا من هؤلاء الذين يتشامخون جدًّا، فيما يدعونه باطلاً بالمعرفة، ويكرسون أنفسهم لتعاليم فاسدة صادقوا عليها، وعوض اسم المسيحيين نسبوا أنفسهم لأحد هراطقة: مرقيون أو فالنتينوس أو أحد المعاصرين في الحاضر، مكرسين أنفسهم للعمل لحساب أناس مُدمرين، وفي اختصار في الأمور الأرضية<sup>1</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

**افهموا كرامتكم، فلا تشبهوا بالبهايم البليدة!**

أمران متكاملان يشغلان أذهان أكثر آباء الكنيسة الأولى، وهما عظمة الإنسان، وعظمة حب الله الفائق له.

وهب الله الإنسان نفسًا على صورته ومثاله، لكي لا يسحب قلبه شيء سوى الخالق المُحب له. فخلال الصورة والشبه يشتهي الإنسان أن ينظر الله نفسه. ومن جانب آخر، يُعاني الإنسان من الفراغ ما دام يحمل هذه الصورة التي لا تعرف الاستكانة، بل تتحرّك دومًا في تقدّم لا ينقطع، لكي تنال من فيض الأصل، فتزداد الصورة بهاءً وجمالاً.

يقول القديس مار يعقوب السروجي:

[إنها (نفس الإنسان) صورة الملك وصورة اللاهوت العظيمة، وجمال كل المخلوقات يأتي

بعدها.

انظر كم هو جميل النور الذي صار في اليوم الأول، لم تُصوّر فيه صورة اللاهوت

العظمى.

<sup>1</sup> Homily 19:7, (On Ps 48 LXX). Unto the End, A Psalm for the Sons of Core on the Prosperity of the Wicked.



انظر إلى الجلد، الخيمة المثبتة على كل الجهات، لم يكف ليصير صورة للملك بعلوه العظيم.

البحار المحبوسة وكل المسكونة مع جهاتها كانت أصغر من صورة الملك في حدودها. ولما كانت الشمس والقمر بأشعثهما وإشراقاتهما جميلة، لم تُصوّر فيهما الأيقونة العظمى. لا الفردوس ولا لثمارة الروحانية صار صورة للكائن العظيم يوم خلقه. لم يصوّر صورته على مركبة السمايين، ولا على الأجنحة، ولا على العجلات الناطقة. شبهه ليس مصوّرًا على الكاروبيم ولا على السيرافيم ولا في الجموع ولا في صفوف اللهب. لم يشأ أن يصور على لهيب آل جبرائيل، ولا على روح آل ميخائيل المملوء عجبًا. ترك في الأعالي كل الأركان العالية، وجعل له نفس الإنسان شبهًا وصوّر عليها صورته<sup>١</sup>. انحدر الإنسان ليصير مثل البهيمة المتبلدة، لكن الخالق في محبته قدّم نفسه ذبيحة ليرد للإنسان كرامته.

❖ "والإنسان الذي كان في كرامة لم يفهم. إنه يقارن بالبهايم المتبلدة، ويصير مثلهم. طريقهم

هذا عثرة لهم، وبعد ذلك يبتهجون بأقوالهم" [LXX ١٢-١٣]

الإنسان كائن عظيم، والإنسان الذي يرثى له مُكْرَم (أم ٢٠: ٦ LXX)، هذا الذي كرامته في بنيته الطبيعية. لأنه أي شيء آخر على الأرض خُلِقَ على صورة الخالق (تك ١: ٢٧)؟ مَنْ مِنَ الحيوانات التي تعيش على اليابسة أو في الماء أو في الهواء، أُعطي لها أن تحكم ولها سلطان على كل الأشياء (تك ١: ٢٨)؟

لقد أنقصه قليلاً عن كرامة الملائكة بسبب اتّحاده بالجسد الأرضي (مز ٨: ٦). حقًا لقد خُلِقَ الإنسان من الأرض (تك ٢: ٧). وخذّامه لهيب نار (عب ١: ٧). لكن لا زالت قوة الفهم ومعرفة خالقهم وصانعهم تخص الإنسان أيضًا.

"ونفخ في أنفه" (تك ٢: ٧)، بمعنى أنه أقام في الإنسان شركة نعمته، حتى يُعرَفَ الشبه بالشبه. ومع ذلك إذ له هذه الكرامة العظيمة، إذ خُلِقَ على صورة خالقه، كُرِّمَ فوق السماوات والشمس وكل مجرات الكواكب. فإنه أية أجساد سماوية قيل عنها إنها على صورة الله العليّ؟ أي نوع من صورة خالقه احتفظت بها الشمس؟ وماذا عن القمر؟ وماذا عن بقية الكواكب؟ فإن هذه جميعها لها أجسام مادية جامدة، وواضح أنها قابلة أن تكون منظورة، لكن ليس لها عقل ولا عواطف إرادية ولا حرية إرادة، بل على العكس خائفة، تتحرّك بالضرورة المفروضة عليها، لذلك تسلك على الدوام بدقّة بحركة واحدة في الظروف نفسها.

<sup>١</sup> الميمر ٣٠ (راجع نص الدكتور بهنام سوني).

أما الإنسان وهو مُتَقَدِّم على كل هذه في الكرامة، لم يفهم وتجاهل تبعية الله والرغبة في أن يتشبهه بخالقه، وصار عبدًا لشهوات الجسد. "إنه يُقَارَن بالبهائم البليدة وصار يشبهها".

تارة يشبه حصانًا شهوانيًا، يصهل على امرأة صاحبه (إر ٥ : ٨).

وتارة مثل ذئبٍ خاطفٍ، يترئص للغرباء (حز ٢٢ : ٢٧).

وفي وقت آخر بسبب خداعه لأخيه، يجعل من نفسه ثعلبًا خسيسًا (حز ١٣ : ٤).

حقًا توجد غباوة متزايدة، إذ يتشبه ذلك الذي خُلِقَ على صورة الخالق بالبهيمة التي بلا عقلٍ. إنه لا يعرف بنيانه منذ البداية، ولا يرغب في أن يفهم التدابير العظيمة التي صنعت لأجله؛ على الأقل أن يتعلم كرامته منها، إنما لا يُبالي بالحقيقة، مُلقيًا عنه صورة السماوي، ليأخذ صورة الترابي. ولكي لا يبقى في الخطية، من أجله "الكلمة صار جسدًا، وحلَّ بيننا" (يو ١ : ١٤)، "وأخلى نفسه حتى أطاع إلى الموت، موت الصليب" (في ٢ : ٨).

إن كنتم لا تبالون بأصلكم الأول، فمن أجل الثمن الذي دُفِعَ عنكم اقبلوا على الأقل شيئًا من التفكير في كرامتكم، وتطلّعوا إلى ما قُدِّمَ عوضًا عنكم، وتحققوا ممَّا تأهَّلتم له. لقد اشتريتم بدم المسيح الثمين، فلا تكونوا عبيدًا للخطية. افهموا كرامتكم، فلا تتشبهوا بالبهائم البليدة.

"طريقهم هذا عثرة لهم" [LXX ١٣]. الله الذي يُدبِّر شئوننا يعوقنا عن السلوك في الشر، فيضع عوائق وموانع حتى نفر من الحياة غير المتعقِّلة، بعد ذلك نبتهج بلساننا. القلب يُؤمِّن به للبرِّ، والفم يُعترف بالإيمان به لخلصنا (رو ١٠ : ١٠). اضطهد بولس كنيسة المسيح، لقد سلبها، وضغط من جانبه بالشر (أع ٨ : ٣)، وبعد ذلك ابتهج بفهمه، مُعلنًا للمجمَع أن هذا هو المسيح (أع ٩ : ٢٢)¹.

القديس باسيليوس الكبير

## ٩. التحرُّر من أبشع عبودية!

يُقَدِّم لنا القديس باسيليوس إحدى صور الخلاص التي تحققت بقيامة المسيح من الأموات، فيُصوِّر لنا موكبين متناقضين:

١. الموكب الأول تحت قيادة الطاغية عدو الخير إبليس. والثاني تحت قيادة مُحب البشر، الخالق.

٢. الأول يقود البشرية بالخداع، فيقيمهم كبهائم بلا عقلٍ ولا قوة للمقاومة، والثاني يرد البشرية

¹ Homily 19:8, (On Ps 48 LXX). Unto the End, A Psalm for the Sons of Core on the Prosperity of the Wicked.

إلى كرامتها الأولى، ليحملوا صورة الله ومثاله، يحملهم في حضنه، وعلى منكبيه، كأبناء لله أعزاء لديه.

٣. الأول ينزل بهم إلى الهاوية، ويخلق عليهم كما في سجنٍ أبديٍّ، والثاني يهبهم ملكوت السماوات ليتمتعوا بالشركة مع السمائيين.

٤. الأول يُسَلِّمهم إلى الموت في مملكة الظلمة كما في ليلٍ دامسٍ رهيبٍ، والثاني ينطلق بهم إلى فجر قيامته، ليصيروا أبناء نهار وأبناء نور.

٥. الأول يقيم عليهم قوات الظلمة كمسخرين لهم، والثاني يُرسل لهم ملائكته، يرافقونهم في الطريق، طوال رحلة حياتهم، حتى يعبروا إلى الفردوس.

٦. الأول يدفعهم إلى سادة عنفاء، والثاني يُقَدِّم لهم ملائكته لحراستهم وبث روح الفرح والسلام فيهم.

٧. الأول يُسَلِّمهم لعبودية الخطية والفساد، والثاني يهبهم برّه الفائق.

٨. الموكب الأول يضمُّ الذين خدعهم العدو، فأنكَلوا على ثروتهم أو مجدهم أو سُلطانهم، لكن يحل بهم الموت، فيكتشفون أن كل ما ظنُّوه كسندٍ لهم إذا به باطل، أمّا الموكب الثاني فيضمُّ الذين سلكوا الطريق الضيق واحتملوا المتاعب، فإنهم وإن نزلوا إلى الهاوية ينزل إليهم ذاك الذي مات على الصليب ليُحَطِّم متاريس الهاوية، ويُطَلِّقهم من هذا السجن الكئيب. بمعنى آخر في الهاوية يكتشف الأشرار أنهم قد خُدِعُوا، ولكن لا مجال للتوبة، ويكتشف المؤمنون قوة الصليب وبهجة القيامة بالمسيح يسوع ربنا.

❖ "مثل الغنم للهاوية يُساقون؛ الموت يرعاهم" [١٤].

هذا الذي يقود إلى السبي أولئك الذين يشبهون البهائم، ويُقارنون بالقطعان البليدة مثل غنم، التي بلا عقل ولا قدرة على الدفاع عن نفسها، وهو عدو نزل بهم إلى سجنه، وسَلِّمهم إلى الموت ليرعاهم. فإن الموت قد ملك عليهم من أيام آدم حتى قيادة موسى (رو ٥: ١٤)، حتى جاء الراعي الحقيقي وبذل حياته من أجل قطيعه، وأقامهم معًا وقادهم (يو ١٠: ١-٣-١٨) من سجن الهاوية إلى فجر القيامة، وسَلِّمهم للأبرار، أي لملائكته لكي يرعوهم.

"ويسودهم المستقيمون في الصباح (الغداة)" [١٤]. كل مؤمنٍ يصحبه ملاك مستحق أن يتطلع إلى الآب في السماء. هؤلاء المستقيمون إذن، يسودون عليهم عندما يتحررون من أقسى عبودية مُرَّة، ويسودونهم في الصباح، بمعنى عندما يتقدّمون في شروق النور.

تأملوا في كل مجموعات الكلمات المكتوبة. عندما كان الإنسان في كرامة لم يفهم، صار يُشبه بهائم بليدة. ذاك الذي له كرامة، ولم يعرف نفسه بسبب الخطية الساكنة فيه، صار يُشبه

بهائم بليدة. لذلك إذ تَغَرَّبَ عن كلمة الله وصار بهيمة عجماء، ساقهم العدو مثل قطع غير مُعتنى به، وألقى به في الهاوية، وسلَّمه إلى الموت ليرعاه.

لذلك إذ يخلص من هذا، ويتحرَّر من الراعي الشرير (الموت)، يقول: "الرب راعي" (مز ٢٣: ١). لا يعود بعد موت بل حياة، وعوض السقوط تكون قيامة، وعوض الخداع يكون الحق. "ومعونتهم تبلى في الهاوية" [١٤]. ربما يتكلم هنا عن الموت، إذ لا يمكن بكل عونه أن يحفظ من رعاهم، هذا الذي يُحطِّمُه (المسيح) الذي له سلطان على الموت (عب ٢: ١٤)، فإن كل معونتهم قديمة وضعيفة. في ذلك الوقت معونة هؤلاء الذين خُدِعُوا في الفكر، وكانوا متشامخين بسبب الثروة أو المجد أو السلطان، يظهرون باطلاً.

"تبلى في الهاوية" إذ يتحقَّق ضعفهم. أو ربما معونة الأبرار الذين خلصوا بالرب تتحل في الهاوية، إذ لم ينالوا بعد الوعود، لأن الله أعدَّ لنا ما هو أفضل، وهو أن الذين سبقونا "لن يكملوا بدوننا" (عب ١١: ٤٠).

"إنما الله يفدي نفسي من يد الهاوية، لأنه يأخذني" [١٥].

واضح أنه يتنبأ عن نزول الرب إلى الجحيم، هذا الذي يخلص نفس النبي مع آخرين، ولا يبقى هناك<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## ١٠. لماذا يُنَجِّح الله طريق الأشرار؟

كثيراً ما يقف الإنسان في حيرة: إن كان الله يهتم بخلص البشر، فلماذا يُنَجِّح طريق الأشرار، فيهبهم غنى وأمجاداً زمنية وسلطاناً، يستخدمونها في مقاومة الأبرار، بينما يسمح بالضيق والمقاعب للأبرار؟

يُطالبنا الكتاب المقدس أن ننتظر قليلاً، فماذا نرى؟

يصير الغني المُعْتَرَّ بسُلطانه وقدراته جثة هامدة، لا يستطيع أن يرتدي الثياب التي كان يتشامخ بها، إنما يقوم الذين حوله بستر جثمانه بالكفن، ويوضع في مقبرة صغيرة، ويسمع الصوت الإلهي: "قد استوفيت خيراتك، فالآن تتعذب".

أما الذي سلك الطريق الضيق، فيجد الله نفسه يمدحه، ويُقدِّم له تعزيات وبركات سماوية!

<sup>1</sup> Homily 19:9, (On Ps 48 LXX). Unto the End, A Psalm for the Sons of Core on the Prosperity of the Wicked.



❖ "لا تخشى إذا اغتنى إنسان، إذا زاد مجد بيته" [١٦]...

هذا الإعلان ضروري لسكان العالم، سواء للأرضيين *earthborn* أو لبني البشر، للأغنياء كما للفقراء أيضًا. "لا تحف عندما يغتنى إنسان"، يقول: عندما ترى الظالم صار غنيًا والبار فقيرًا، لا تخف على نفسك. لا يفرح ذهرك، كما لو كانت عناية الله لا تتطَّع إلى الشئون البشرية، أو أن السهر الإلهي يمتدُّ إلى بعض الأماكن، وليس إلى كل الأرض، لكي يرعى شئوننا.

إن كانت توجد عناية إلهية، لكانت تمتد إلى كل إنسان بما يناسبه. فالأبرار الذين يفهمون كيف يستخدمون الثروة يصيرون أغنياء، والأشرار الذين يستخدمون الثروة كأداة لشُرِّهم يلزم أن يكونوا فقراء.

الآن، حيث يوجد كثيرون في الأمم وبين الأرضيين الذين لهم مثل هذه المفاهيم، وبسبب التناقض الواضح في توزيع الثروات للحياة، يظنون أن العالم ليس من عمل العناية الإلهية. يُوجِّه الكتاب المقدس حديثه إليهم، لكي يُهدِّئ من انفعالاتهم غير السليمة في البداية عينها. يدعوهم أن ينصتوا إلى التعاليم. بالتأكيد، تشير على وجه الخصوص فقط إلى الشخص الفقير، عندما تقول: "لا تخشى إذا اغتنى إنسان". هؤلاء على وجه الخصوص يحتاجون إلى تعزية، ألا يرتعدوا أمام أصحاب السُلطان. إذ تقول إن الإنسان الغني ليس لديه ميزات عند موته، إذ لا يستطيع أن يأخذ ثروته معه. على أي الأحوال، إنه يحسب أن كل ما يفتنيه هو التمتع بها، إذ تظن نفسه أنها سعيدة في هذه الحياة بواسطة المُتملِّقين له. أمَّا عند موته فلا يأخذ كل تلك المقتنيات.

تقول: إنه يأخذ فقط الثوب الذي يستر به عاره، وهذا كما يبدو أفضل ما يُقدِّمه له أهل بيته عندما يُغطُّونه. يلزمه أن يكون راضيًا أن ينال قطعة أرض صغيرة يُقدِّمونها له إذ يحنو عليه الذين يدفنونه، يُقدِّمونها إليه من أجل تكريم الطبيعة البشرية بوجه عام، وليس كامتيازٍ خاصٍ به، بل لتكريم البشرية.

إن لا تضطربوا من أجل الأمور الحاضرة، إنما انتظروا تلك الحياة المُطوَّبة. فإنكم سترون أن ما يحلّ بالبار من فقرٍ وإهانةٍ وحرمانٍ من الترف، إنما هو لصالحه. لا تضطربوا الآن، من جهة ما تحسبونه خيرات، أنها تورَّع كما بطريقة غير عادلة. ستسمعون كيف سيُقال لغنيٍّ ما. "إنك استوفيت خيراتك في حياتك" (لو ١٦ : ٢٥). أمَّا للفقير فقد حَلَّت به بلايا في هذه الحياة، لذلك فالأخير يتعزَّى والأول يتعذب.

"وسيحمدك إذا أحسنت إليه" [LXX ١٨].

بالنسبة للإنسان الأرضي وذاك الذي يظن أن الخيرات هي الميزات التي في هذه الحياة من ثروة وصحة وسلطة خاصة به. بالحقيقة مثل هذا الإنسان يحمده الله عندما ينفرد بأمور حسنة، ولكن في الظروف الخطيرة ينطق باللعنات... هكذا أيضًا بالنسبة للاتهامات التي وجهها الشيطان ضد أيوب (أي ١ : ٩)، وهي أن أيوب لم يكرم الله مجاءً، إنما نال مكافأة عن تقواه: الغنى وكل بقية الممتلكات. لذلك لكي يبرهن على فضيلته سحب الله كل ما لديه لكي يكون شكر الإنسان نحو الله مشرفًا خلال كل شيء<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## ١١. الاتكال على خبرة الآباء مع عدم التمتع بالشركة مع الله

يختم القديس العظة بتحذير من الاتكال على أقوال الأجيال السابقة وخبراتهم الصالحة والخاطئة دون التمتع بالشركة مع الله. فلن يختبر المؤمن خلاص الله، ما لم يدخل في شركة عملية مع الله.

جاء تحذيره هنا يشمل الآتي:

١. الحرفية في العبادة، ففي صلواتهم يقولون للرب: "أنت قريب"، بينما يحرمون أنفسهم من الاقتراب نحو الله، خلال تراخيهم وعدم جديتهم.
٢. الالتصاق بمُعَلِّمين عميان، فيحرمون أنفسهم من التمتع بالنور.
٣. تبرير شرورهم بأنهم تسلموها من خبرة الأجيال السابقة، فعوض التوبة يكملون مكيال آبائهم.
٤. عدم إدراك المؤمن لحقيقة مركزه كإنسان الله، يحمل صورة الله وعلى مثاله.

هكذا افتتح القديس باسيليوس الكبير العظة وختمها بالتركيز على اهتمام المؤمن بالتعريف على نظرة الله إليه بكونه صورته ومثاله، يعتز به، قَدَّم الدم الثمين ليفتديه ويردّه إلى كرامته، ويهبه شركة الأمجاد الأبدية.

❖ "ستدخل إلى جيل آباءك" [١٩]. أظن أنه يتكلم عن الخاطئ الذي يعرف الله حسب ما سلّمه له آباءه، لكنه لم يكتسب شيئًا إضافيًا بفكره، ولا أضاف إلى معرفته للحق بنفسه. يقول: "أيها الرب أنت قريب"، وفي نفس الوقت لديه فكرة عظيمة عنك بكونك موجودًا في أجيال آباءه. بينما يسلك بكسل، وروحه تتشغل بالأرضيات والجسديات، التي تترنح في الثروات والترف، وفكره مشحون باهتمامات الحياة، لذلك "لا يُعاين النور" [انظر ١٩].

<sup>1</sup> Homily 19:10, (On Ps 48 LXX). Unto the End, A Psalm for the Sons of Core on the Prosperity of the Wicked.

إذ يعهدون بقيادتهم إلى العلمين عميان، يحرمون أنفسهم من بركة النور. يحمل هذا القول: "يدخل إلى جيل آبائه"، نفس المعنى. هذا يُقال بالنسبة للذين يجتازون حياة شريرة، ومن تعاليم صادرة من آبائهم، ولكنهم مُتغريون عن التقوى، ليس فقط ستعاقبهم، بل تطرد واضعي التعاليم الفاسدة. هذا ما يقصده بالقول: "يدخل إلى جيل آبائه". ليس فقط ذاك الذي له أفكار ملومة عن الله، بل والذي يقود الآخرين إلى هذا الدمار.

هكذا هم الذين يتقبلون هذا الشر من آبائهم السابقين، والتي تقوى خلال الاستمرار فيه بعادات لمدة طويلة، وتوجد صعوبة في تنقيتها.

"لا يعاين النور"، إذ يُرسلون إلى الظلمة الخارجية، حيث البكاء وصرير الأسنان (مت ٨: ١٢). هذا يحل بهم حسب حكم الله العادل، إذ أبغضوا النور في هذه الحياة، لأنهم صنعوا شرًا. "إذ كان الإنسان في كرامة ولم يفهم، صار يُقارن بالبهائم البليدة، ويشبهها".

يا له من تقرير بغيض! الإنسان؟ هذا الذي وضعته قليلاً عن الملائكة" (عب ٢: ٧)، والذي يقول عنه سليمان: "الإنسان شيء عظيم، الإنسان الذي يرثى له مُكرّم" (أم ٢٠: ٦ [LXX]). إنه يُقارن بالبهائم البليدة، ويصير مثلها، لأنه لا يدرك كرامته، وينحني لشهوات الجسد<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير



<sup>1</sup> Homily 19:11 (On Ps 48 LXX). Unto the End, A Psalm for the Sons of Core on the Prosperity of the Wicked.

## خلاصنا وعمل الروح القدس فينا

عند القديس باسيليوس الكبير

في صُحْبَةِ الروح القدس

جاءت كتابات القديس باسيليوس عن الروح القدس تكشف عن خبرته الشخصية في عمل الروح القدس في حياته. وقد انتهى أن يُشاركه كل مؤمن هذه الخبرة المُمتعة، ليتَّقد قلبه بنيران الحُبِّ الإلهي، ويتذوق حرية مجد أولاد الله، ويحمله روح الله ليصعد به يومًا فيومًا نحو الأمجاد السماوية. وجدت لزامًا أن أسجِّل في اختصار شديد فكرة عن كتابه "عن الروح القدس"، وأترك أحاديثه اللاهوتية في بندٍ خاص فيما بعد إن شاء الرب وعشنا.

كتب القديس باسيليوس الكبير عن الروح القدس، بناء على طلب أمفيلوخوس<sup>1</sup> *Amphilochius* أسقف أيقونية *Iconium*، في حوالي سنة ٣٧٥م، أي قبل انعقاد المجمع المسكوني الثاني عام ٣٨١م الذي ناقش الانحرافات الخاصة بالروح القدس، وأكمل قانون الإيمان، إذ لم يُشر مجمع نيقية إلى علاقة الروح القدس بالابن، لأنه لم يكن ذلك قد طُرِح بعد للبحث. لقد سبق فكتب القديس أثناسيوس للأسقف سرابيون عدة رسائل عن الروح القدس؛ وأيضًا للقديس ديديموس الضرير، وبعده القديس باسيليوس الكبير ثم القديس أمبروسيوس. غاية هذا الكتاب هو الدفاع عن إلهية الروح القدس، وعن اشتراكه في جوهر اللاهوت.

### ١. المؤمن والتمتع بالحضور الإلهي

يتصوّر القديس باسيليوس الروح القدس وهو يمسك بأيدي النفس الروحية في رحلة هذا العالم. حقًا الروح القدس يفوق الفكر البشري، ولا يمكن إدراكه، غير أن المؤمن يختبر حضوره الإلهي فيه. يشعر المؤمن أن الروح القدس كله - إن صحَّ التعبير - فيه. يشعر كما لو كان الروح القدس وُهبَ له وحده، مع أنه حاضر في كل مكان، وعلى وجه الخصوص في أعماق كل مؤمن. حقًا إن حضور الروح في المؤمن حضور عمل، يفتح مخازنه ليعطي نعمته تكفي كل البشرية، لكن كل مؤمن ينال ما يمكن لطبيعته أن تحتل.

❖ (الروح القدس) بطبيعته غير مُدرك، ولكن يُمكن الاقتراب منه ومعرفته بصلاحه، يملأ كل الأشياء بقدرته (حك ١: ٧). يُعطى للمستحقين فقط، ولا يُعطى بمكيال، بل يُوزَّع قوته على قدر الإيمان (رو ١٢: ٦).

<sup>1</sup> Letter 231.



جوهره بسيط، وقوته متنوّعة، حاضر كله في كل أحد، لأنه حاضر في كل مكان<sup>1</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## ٢. إشراق الروح القدس وتمتّع النفس بجمالها المفقود

ليس في الخليقة كلها ما يمكن أن يُقارَن بعمل الروح القدس في حياتنا، غير أن أقرب تشبيهه

يجده القديس باسيليوس كي يوضح عمل الروح هو الشمس.

١. عندما يتمتّع الإنسان بحرارة الشمس وضوئها، يشعر كأنها تُقَدِّمُ ذلك له شخصيًا، مع أنها تشرق

على الأرض والبحر، وتُقَدِّمُ ضوءها وحرارتها للجميع، دون أن يقول أحد إنه أخذ جزءًا من

الشمس خاصًا به. هكذا يشرق روح الله القدوس على كل مؤمنٍ دون أن يحلّ به تقسيم.

٢. الروح القدس غير مادي ولا محسوس، فكيف يتّحد بالنفس المحسوسة؟ كلما تنفّت النفس من

خطاياها وشهوات الجسد والأهواء وتصير مقدّسة بالنعمة الإلهية تتمتّع بروح الله القدوس. بهذا

تعود النفس إلى جمالها الملوكي المفقود بسبب الخطية، وبالتالي تُدخل إلى أعماق جديدة في

التصاقها بالروح القدس.

❖ إنه مُوزَع على الكل دون أن يُعاني التقسيم، يشترك فيه الكل دون أن يفنى. مثل أشعة الشمس

تسقط على كل من يريد أن يتمتّع بها، كما لو كانت أشعة الشمس لكل فردٍ على حدة، لكنها

تضيء الأرض والبحر وتمتزج بالهواء. هكذا الروح القدس بالنسبة لمن يأخذه يكون كمن أُعطي

له وحده، إلا أنه يرسل نعمته التي تكفي الكل التي تملأ الإنسانية. الذين ينالونه يتمتعون به على

قدر ما تحتمل طبيعتهم، وليس على قدر قوة الروح القدس.

يبقى أن نقول إن الروح القدس لا يتّحد بالنفس ويستقر في مكانٍ منها، عندما تختفي

الأهواء، فكيف تحدث صلة محسوسة بمن هو غير محسوس؟!

وإنما اتحاد الروح بالنفس يحدث عندما تختفي الأهواء التي تنمو في النفس بسبب اتحادها

ومحبتها للجسد، وهو ما يجعل النفس تتغرّب عن الشركة مع الله. وعندما تنتقى النفس من عار

الدينس الذي لحق بها بسبب فسادها، وتعود إلى جمالها الطبيعي، تتمسك بالصورة الملوكية

(الإلهية) وتسترد شكلها الأول (القديم)، عند ذلك فقط يمكن أن تقترب من الباراقليط<sup>2</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>1</sup> On the Holy Spirit chap IX,22.

<sup>2</sup> On the Holy Spirit chap IX,22.

### ٣. في الروح القدس ترى النفس الجمال الإلهي الفائق

١. الله في محبته للإنسان يريد أن يُقدِّم له معرفة الحق، ويكشف لها عن الأسرار الإلهية قدر ما تستطيع أن تحتمل. عمل الروح القدس أن يُطَهِّر النفس ويُنقِّها ويُقدِّسها حتى تتمكن أن تتمتع بقبضات من الجمال الإلهي الفائق.

٢. يُشَبَّه القديس باسيليوس الشركة مع الروح القدس، بطفلٍ يمسكه والده (أو والدته) ليُعْبُر به في الطريق بأمان. يمسك الروح القدس النفس، ويصعد بها يومًا فيومًا، وإذ تتجاوب معه يملك في أعماقها، ويفتح بصيرتها الداخلية، وتتعرَّف على الأسرار الفائقة.

٣. في طريق غربتنا يُشرق الروح القدس علينا، فيكون كالشمس التي تبعث أشعتها على الأجسام الشفافة اللامعة، فتعكس هذه الأشعة على الآخرين، وتتمتع معهم ببهائها العجيب.

❖ الروح القدس مثل الشمس، يساعد العين النقية، فترى في الروح القدس نفسه صورة غير منظورة أي الله، وبالرؤيا المباركة لهذه الصورة ترى الجمال الفائق الذي تعجز عن أن تتطرق به.

بمعونته ترتفع النفس إلى فوق، ويمسك بأيدي الضعفاء، أما الذين يتقدمون فهو يملكهم. يشرق على الذين تطهروا من كل وصمة، ويجعلهم روحيين بشركتهم معه. ويكون ذلك مثل سقوط أشعة الشمس على الأجسام الشفافة اللامعة، فتصبح بدورها لامعة، وتشع منها الأشعة، هكذا النفوس التي يسكن فيها الروح القدس، وتستتير به، تصبح بدورها روحانية وتشع منها، نعمة للآخرين<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

### ٤. الروح القدس يُوزَع مواهبه

يوزع الروح القدس مواهبه *charismatoon* حسب مشيئته الإلهية، بسُلطانه، حسب ما يناسب كل شخص، وما فيه نفع الكل.

❖ إذ لا يستطيع أحد أن يتقبَّل كل العطايا الروحية، إنما تُعطى نعمة الروح بما يتناسب وإيمان كل واحد، وعندما يكون شخص ما يعيش في جماعة مع آخرين، فإن النعمة التي تُوهب بصفة خاصة لكل فردٍ تصير ملكًا عامًا للآخرين... من يقتني أية موهبة من تلك المواهب، لا يمتلكها لأجل نفسه، بل بالحري لأجل الآخرين<sup>٢</sup>.

<sup>1</sup> On the Holy Spirit chap IX,23.

<sup>2</sup> The Long Rules, 7.. PG 82:323.

❖ نحن نعتقد أن الروح بالنسبة لتوزيع المواهب هو مثل الكل الحاضر في الأجزاء، لأننا جميعًا أعضاء بعضنا البعض، ولكن نكل واحد موهبته حسب النعمة التي توهب لنا" (رو ١٢: ٥-٦). لذلك لا تقدر العين أن تقول لليد، ليس لي حاجة إليك، ولا الرأس للرجلين لا حاجة إليكما" (١ كو ١٢: ٢١) وإنما الكل يكمل جسد المسيح في وحدة الروح، ويقدم كل عضو للآخر الخدمة الضرورية التي تأتي من المواهب. ووضع الله الأعضاء في الجسد حسبما شاء (١ كو ١٢: ١٨) وأعضاء وهبت الاهتمام بالأعضاء الأخرى حسب الشركة الروحية التي تقدم العطف المتبادل. لذلك إذا تألم عضو، تألمت معه باقي الأعضاء، وإذا أكرم عضو فرحت معه بقية الأعضاء (١ كو ١٢: ٢٥-٢٦). وكما أن الأجزاء في الكل، هكذا نحن كل فرد منا في الروح، لأننا جميعًا "اعتمدنا إلى جسد واحد بروح واحد" (١ كو ١٢: ١٣)¹.

القديس باسيليوس الكبير

## ٥. عطايا أخرى للروح القدس

في مواضع كثيرة يُعدّد القديس فيض عطايا الروح القدس للنفوس البشرية التي تتجاوب معه، نذكر هنا الآتي:

١. معرفة المستقبل، إذ ينطلق بالنفوس الصادقة في إيمانها الحي العملي كما إلى السماء، لتتذوق وهي بعد في هذا الجسد عربون السماء.
٢. إدراك الخفايا، إذ تتدرب النفوس على الدخول في مُناجاة صريحة مع الله، الذي يُسر بأن يُعلن لها الخفايا التي تسندها في جهادها على الأرض.
٣. يهبها الحب، فُسر أن تقدم خيرات لإخوتها في البشرية.
٤. يضمها كما إلى خورس السمائيين، فلا تشعر بأنها غريبة عنهم، تُسر بهم، ويعتزون هم بها كعضوة معهم في الخورس.
٥. يسكب فيها فرح الروح الذي لا ينقطع.
٦. تتشبه بالله، وتغرف من سماته العجيبة.

❖ تتال هذه النفوس من الروح معرفة المستقبل، وفهم الأسرار، وإدراك الخفايا، وتوزيع العطايا الصالحة، والمواطنة السماوية، ومكانا في خورس تسبيح الملائكة، وفرحًا بلا نهاية، وبقاء دائمًا في الله والتشبه به، وأسمى من كل هذا أن نصير آلهة. هذه هي بعض المبادئ عن الروح

¹ On the Spirit, chap. XXVI, 61.

القدس وهي جزء من الكل الذي تعلّمناه عن عظّمته وكرامته وأعماله، وكل هذا تعلّمناه من الأقوال التي أعطانا إياها الروح<sup>1</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## ٦. الروح القدس يهب الاستنارة

لا يستطيع أحد أن يُنير نفسه، فالنور كله يصدر من السماء، من "روح الحق الذي من عند الأب ينبثق" (يو ١٥ : ٢٦). به نرى الابن الكلمة كما نرى الأب، بل به نرى حقيقة أنفسنا، إذ ينير بصيرتنا، فنكتشف ضعفنا، ونشعر بحاجتنا إلى الخلاص. به يُضيء لنا "إنارة إنجيل مجد المسيح... لأن الله الذي قال أن يُشرق نور من ظلمة، هو الذي أشرق في قلوبنا لإنارة معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح" (٢ كو ٤ : ٤-٦).

❖ كما هو مكتوب: "بنورك نُعاين النور"، أي باستنارة الروح القدس، النور الحقيقي الذي يُضيء لكل إنسان آتٍ إلى العالم... فيظهر مجد الابن الوحيد، ويهب معرفة الله للعابدين الحقيقيين.

القديس باسيليوس الكبير

## ٧. الروح القدس والتمتع بالبنوة الإلهية

الروح القدس الذي يهب الاستنارة، يعمل في قلوب المؤمنين ليُدركوا حقيقة الدعوة المُقدّمة لهم، ألا وهي التمتع بالبنوة لله خلال المعمودية. هذه البنوة التي تملأ النفس رجاءً، إذ يرى المؤمن أن قلبه وفكره وكل أعماقه إنما ترتفع كما إلى الفردوس ليسكن المؤمن بأعماقه فيها.

❖ بالروح القدس استعادة سكننا في الفردوس،

وصعودنا إلى ملكوت السماوات،

وعودتنا إلى البنوة الإلهية،

ودالتنا لتسمية الله "أبانا"،

واشتراكنا في نعمة المسيح،

وتسميتنا أبناء النور، وحقنا في المجد الأبدي،

وبكلمة واحدة حصولنا على ملء البركة في هذا الدهر وفي الدهر الآتي<sup>2</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>1</sup> On the Holy Spirit chap IX,23.

<sup>2</sup> De Spir, Sanc. 15:35.



## ٨. الروح القدس مَسْكَن القديسين

تتغنى النفس البشرية: "أنا لحيبي، وحيبي لي، الراعي بين السوسن" (نش ٦ : ٣). هكذا تتطلع النفس المقدسة إلى عريستها القدوس، فتري لها موضعًا خاصًا فيه، وتفتح قلبها لتدعوه كي يحتل قلبها تمامًا. هذا بالنسبة لعلاقة المؤمن بالسيد المسيح. على نفس المستوى بالنسبة لعلاقته بالروح القدس، قيل: "إن كان روح الله ساكنًا فيكم" (رو ٨ : ٩)؛ "أما تعلمون أنكم هيكل الله، وروح الله ساكنًا فيكم" (١ كو ٣ : ١٦). يرى القديس باسيليوس أنه كما يسكن الروح القدس في قلوب المؤمنين المقدسين هكذا يسكن القديسون في الروح القدس.

❖ ما أقوله الآن يبدو غريبًا، لكنه مع ذلك فهو حق. يوصف الروح عادةً بأنه مقر الذين تقدسوا، وحقًا إن الروح هو مكان القديسين، وكل قديس هو حقًا مكان الروح القدس، لأنه يُقدّم ذاته ذبيحة وهيكلًا لسكنى الله، ولذلك قيل إنهم هيكل الله (١ كو ٦ : ١٩)<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## ٩. الروح القدس مصدر التقديس والتجديد

في لحظات العباد أو الاعتراف أو تناول ... الخ. يعمل الروح القدس باستحقاقات دم السيد المسيح، ويُقدّم للإنسان إمكانيات للتقديس والتطهير أو الثبات في ربنا يسوع، مُقدّمًا للآب ثمنًا هذا مقداره! دم يسوع المسيح الذي يُطهر من كل خطية!

إنه يُقدّس القلب والنفس والروح لتكون كل الطاقات عاملة فيما للرب. فالتقديس هو من اختصاص روح الله القدوس، الذي يُقدّسنا لربنا يسوع، لأنه يربطنا ويثبتنا في الابن القدوس، ويُظهر الرب فينا، ونختفي نحن فيه.

لكن الصعوبة كل الصعوبة. أن يظن الإنسان أنه قادر على حياة القداسة بذاته، فيسعى ويُدرّب نفسه بذاته، فتزداد ذاتيته، وتغرق نفسه في هاوية اليأس. والجهل كل الجهل أن يعتقد الإنسان في روح الرب أنه يعمل في حياة الإنسان بغير جهادٍ من جانب الإنسان أو دخوله في الطريق الضيق وحمل الصليب والتدرب في وصايا الرب. موضوع تقديسك يهم الثالوث القدوس ويشغله!<sup>٢</sup>

❖ الابن والروح القدس هما مصدر التقديس، بهما تتقدّس كل خليفة عاقلة حسب استعدادها<sup>٣</sup>.

<sup>١</sup> On the Holy Spirit chap. XXVI, 62.

<sup>٢</sup> للمؤلف: الحب الإلهي، الإسكندرية ٢٠١٠، ص ١١٠.

<sup>٣</sup> Epis. 8 to the Caesareans, 2.

❖ الروح القدس المنبثق عن الله (الآب) هو مصدر القداسة، القوة الواهبة للحياة، النعمة التي تعطي كمالاً. خلاله ينعم الإنسان بالتبني، يصير الفاسد في عدم فساد، إنه واحد مع الآب والابن في كل شيء، في المجد والأبدية والقوة والملكوت واللاهوت، هذا ما يُختبر بتقليد معمودية الخلاص<sup>1</sup>.

❖ هذا تجديدنا، يجعلنا على صورة الله من جديد، وذلك بغسل التجديد والروح القدس الذي يُجددنا، فنصير أبناء الله، نصير خليفة جديدة مرة أخرى بشركة الروح ويُخلصها مما كان عتيقاً<sup>2</sup>.

❖ يُدعى الروح، و"الله روح" (يو ٤ : ٢٤)، "سمة أنوفنا، ومسحة الرب (مرا ٤ : ٢٠).

يُدعى القدوس، كما أن الآب قدوس، والابن قدوس، فإنه بالنسبة للخليفة القداسة تأتي من الخارج؛ أما بالنسبة للروح فالقداسة هي ملء الطبيعة. ولهذا يوصف لا بكونه يَنْقَدَس بل يُقَدَّس<sup>3</sup>.

❖ التجديد الذي نحوزه في هذه الحياة، وانتقالنا من حياة أرضية حسب الجسد إلى حياة سمائية روحية، إنما يحدث فينا بفعل الروح القدس.

القديس باسيليوس الكبير

## ١٠. الروح القدس يُعلن الأسرار

❖ إن الإعلان عن الأسرار هو بنوع خاص عمل الروح القدس حسبما كُتب: "الله يُعلنه لنا بالروح" (١ كو ٢ : ١٠)<sup>٥</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## ١١. الروح القدس يُفرّج مدينة الله

يُحدِّثنا الكتاب المقدس عن مجرى النهر الذي يُفرّج مدينة الله، أورشليم العليا. رآه القديس يوحنا الحبيب، فقال: "وأراني نهراً صافياً من ماء حياة لامعاً كبلورٍ خارجاً من عرش الله والحمل" (رؤ ٢٢ : ١). كما قال في نفس الأصحاح عن أورشليم العليا: "في وسط سوقها وعلى النهر من هنا ومن هناك شجرة حياة..." (رؤ ٢٢ : ٢).

إن كان الله يقيم من قلب المؤمن الحقيقي أورشليم الجديدة، فإن النهر الذي يرويها هو روح الله القدوس.

<sup>1</sup> Epis. 15 to the Deaconesses, the daughters of Count Terentius.

<sup>2</sup> Adv. Eunom 5.

<sup>3</sup> Mike Aquilina: The Way of the Fathers, Indiana 2000, article 136.

<sup>5</sup> On the Holy Spirit chap XVI, 38.

❖ "مجرى النهر يُفَرِّح مدينة الله" (مز ٤٦ : ٤).

مياه البحر الهائجة بفعل الرياح تزيد وترتفع، أمّا مجرى النهر، فينساب بدون إزعاج. ينساب بهدوء، لمن استحقوا أن يقبلوه. لذلك يُفَرِّح مدينة الله، والآن يشرب البار من المياه الحيّة (يو ٤ : ١٠)، لكنه في المستقبل سيشرب بفيضٍ عندما يُكْتَب اسمه في الساكنين في مدينة الله. الآن يشرب كما في مرآة في لغزٍ (١ كو ١٣ : ١٢)، لأن ما يأخذه من تأملات إلهية قليلة، لكن حينئذ يمتلئ، ونهره يستطيع أن يفيض بالفرح في مدينة الله.

فما هو نهر الله؟ إنه الروح القدس الذي يجري في الذين يستحقون، الذين لهم الإيمان بالمسيح حقاً. "الذي يؤمن بي، كما يقول، تجري في بطنه أنهار...". (يو ٧ : ٣٨) أيضاً من يشرب من الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية (يو ٤ : ١٣). هذا هو النهر الذي يُفَرِّح مدينة الله. إنه مجرى الروح القدس<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

### تشبيهات لعمل الروح القدس

١. الشكل والقوة في المادة.
٢. قوة الإبصار في العين السليمة.
٣. الصحة والحرارة كامنة في الجسد.
٤. الإدراك للفكرة في القلب، مثل التعبير عن الفكر باللسان.

❖ تُعبّر الفلسفة<sup>٢</sup> عن القضايا الرئيسية على هذا النحو: الشكل في المادة، فلا مادة بلا شكل. والقوة الكامنة فيما تقدر عليه والعادة تثبت في الذي يتأثر، لأن الروح القدس هو الذي يُكْمَل الكائنات العاقلة، ويُعطيها القدرة على الوصول إلى غاية اكتمالها. فمن هذه الزاوية بالذات يمكن أن نُشَبّه الروح القدس بالشكل بالنسبة للكائنات، لأن الذي "لا يحيا حسب الجسد" (رو ٨ : ٢٢)، بل ينقاد "بروح الله" (رو ٨ : ١٤) يُدعى ابن الله، لأنه يتغيّر إلى صورة ابن الله (رو ٨ : ٢٩)، أي يصبح روحانياً.

كذلك يمكن أن نُشَبّه عمل الروح القدس بقوة الإبصار في العين السليمة، لأن عمله في تنقية النفس يُشبه قوة الإبصار. وهذا ما جعل بولس يُصَلّي للذين في أفسس، لكي "تستتير عيونهم بروح الحكمة" (أف ١ : ١٧-١٨). وكما أن الذي يتعلّم الفن يظل فيه، هكذا الروح

<sup>١</sup> تفسير المزمور ٤٦ (٤٥).

<sup>٢</sup> الإشارة هنا إلى أفلاطون في "حوار طيماوس"، وإلى أرسطو "ما بعد الطبيعة".

القدس يظل في الذي يقبله حاضرًا دائمًا، ولكن لا يعمل في النفس بشكلٍ دائمٍ... لأن الفن يظل كامنًا في الفنان، ويعمل فقط عندما يسمح الفنان لقوة الفن بأن توجهه. هكذا الروح القدس، حاضر دائمًا في الذين يستحقون عمله، ولكنه يعمل حسب الاحتياج في النبوة، أو الشفاء، أو القوات الأخرى.

ويمكن أن نضيف تشبيهًا آخر، فكما أن الصحة والحرارة كامنة في الجسد مع القوات الأخرى، لذلك بشكلٍ دائمٍ يكون الروح القدس في النفس، لكنه لا يسكن بفاعلية في الذين بسبب عدم إرادتهم يجحدون النعمة التي نالوها. والمثال الواضح على ذلك نراه في شاوول الملك (١ صم ١٦ : ١٤) وفي السبعين شيخًا من أبناء إسرائيل، ماعدا الذين ظل الروح القدس فيهما وخذهما (عد ١١ : ٢٥).

ويظل هكذا في كل من يشبه هذين الاثنين. والروح القدس يسكن في النفس مثل الإدراك الذي يكون فكرة في القلب، وأحيانًا يتحوّل إلى كلمة ينطقها اللسان، وهكذا يكون عمله عندما يشهد لأرواحنا (رو ٨ : ١٦). أو عندما يصرخ في قلوبنا "أبا أيها الآب" (غل ٤ : ٦)، أو عندما يتكلم نيابة عنا، كما قيل: "لستم أنتم المتكلمين، ولكن روح أبيكم هو الذي يتكلم فيكم" (مت ١٠ : ٢٠).<sup>١</sup>

القديس باسيليوس الكبير

## الروح القدس العامل مع الآب والابن في الخلق

يرى القديس باسيليوس أن الثالوث القدوس في محبته للبشر، قام بثلاثة أنواع من الخلق:

١. الخلق الأول، حيث جاء بالخلقة من العدم إلى الوجود.
  ٢. إذ أفسد الإنسان طبيعته احتاج إلى التجديد، أو إلى خليقة جديدة خلال المعمودية، حيث يهبنا الميلاد الجديد، لكي نصير على صورة خالقنا.
  ٣. الخلق في يوم الرب العظيم، حيث يُقيّمنا من الموت إلى الحياة، ونتمتع بالحياة الأبدية.
- أوضح القديس دور الروح في هذه الأنواع الثلاثة معتمداً على نصوص كتابية.

❖ يشير الكتاب المقدس إلى ثلاث خلائق (أنواع من أعمال خلقة):

١. الأول: هو التحوّل *evolution* من العدم إلى الوجود (الخلق).
٢. الثاني: التحوّل من الرديء إلى الأفضل (بالمعمودية).
٣. الثالث: القيامة من الأموات.

في هذه تَجِدُونَ الروح القدس يعمل مع الآب والابن:

١. فقد جاء بالسموات إلى الوجود، ماذا يقول داود؟ "بكلمة الرب صنعت السموات، وينسمة فيه كل جنودها" (مز ٣٣ : ٦).

<sup>1</sup> On the Holy Spirit chap. XXVI, 61.



٢. مرة أخرى يُخلَق الإنسان بالمعمودية، فإنه "إن كان أحدٌ في المسيح، فهو خليفة جديدة" (٢ كو ٥: ١٧). ولماذا يقول المُخلَّص لتلاميذه: "اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمِّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس" (مت ٢٨: ١٩)؟ هنا ترون الروح القدس حاضرًا مع الآب والابن.

٣. وماذا تقولون أيضًا عن قيامة الأموات، عندما ننحَلُّ ونرجع إلى التراب؟ فإننا تراب وإلى التراب نعود (تك ٣: ١٩). فإنه يُرسل الروح القدس ويخلقنا ويُجَدِّد وجه مسكننا. فما يدعوه القديس بولس قيامة، يدعوه داود تجديدًا. لنسمع مرة أخرى ذاك الذي أُختطف إلى السماء الثالثة. ماذا يقول؟ أنتم هيكل الروح القدس الساكن فيكم (راجع ١ كو ٦: ١٩). كل هيكل هو هيكل الله، فإن كنا هيكل الروح القدس، فالروح القدس هو الله. لقد دُعي أيضًا هيكل سليمان، لكن هذا معناه أنه بانيه.

فإن كنا هيكل الروح القدس بهذا المعنى، فالروح القدس هو الله، لأن "باني الكل هو الله" (عب ٣: ٤). إن كنا هيكل المعبد، وهو يسكن فينا، إذن فلنعترف أنه هو الله وهو وحده الذي نخدمه<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير



<sup>1</sup> Letter 8 to the Caesareans, 11.

## الخلاص وتقديس النفس والعقل والجسد

عند

القديس باسيليوس

### ضبط الأفكار

خُلِقَ الإنسان سيدًا لا على المخلوقات الأرضية فحسب، وإنما على أفكاره أيضًا. لقد خُلِقَتْ بالحق مُتسلِّطًا، سيدًا على شهواتك، مُتسلِّطًا على الحيوانات، على الزخافات وعلى الطيور. لا يكن لك أفكار خياليَّة ولا يكن عقلك طائشًا ومتزعزعًا...

تسلِّط على الأفكار داخل نفسك، حتى تصبح مُتسلِّطًا على كل الكائنات. وهكذا فسُلطان التسلُّط على الحيوانات الذي أخذناه يقودنا للتحكُّم في أنفسنا. فإنه من غير اللائق للإنسان الذي يسود على بيته ويحكم شعوبًا ويرأس مدينة أن تسيطر عليه زانية.

إنه من الضروري أن تُرتَّب أمور المنزل جيدًا، وأن تُرتَّب أعماله الخاصة بدقة كي ما يتقلد زمام السُلطة على الآخرين. يقول الكتاب: "أيها الطبيب اشفِ نفسك!" (لو ٤ : ٢٣)، فلنشفِ أنفسنا أولاً.

لا نجد أحدًا أدين لأنه لم يصطد أسدًا، لكن الذي لا يسيطر على غضبه فهو أضحوكة لكل. ولهذا، فالذي لا يسود على شهواته يُدان، بيد أن الذي يسود على الحيوانات المتوحشة لن يكون مستوجبًا لأي لوم<sup>١</sup>.

خلال عمل الله الخلاصي بالصليب والقيامة والصعود نتمتع بسُلطاننا على الفكر لضبطه من الشرور، وإنما يهبنا أن نتمتع بفكر سماوي في المسيح يسوع.

❖ قبل كل شيء ينبغي لنا أن نضبط الأفكار بكل وسيلة، ونتيقظ ونحترس ونتأمل قلوبنا بكل ثبات، لئلا نسمح لنفوسنا (بالتسيب)، فلا نلجمها عن الميلان إلى أهواء الجسد بحركات غير جيِّدة<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>١</sup> ترجمة: ريمون يوسف. *The Origin of Man, homily 1:19*

<sup>٢</sup> راجع دير السريان: القديس باسيليوس، ٢٠٠٣، ص ٦٢

## النفس والعقل

يرى القديس أن الإنسان الداخلي، خاصة العقل بما له من قدرة وسلطان يحمل صورة الله. فجسم الإنسان أضعف بكثير من الحيوانات، لكن بقُدرة العقل يمكن للإنسان أن يتسلط على الكائنات الأكثر قوة من الإنسان، فيقود الفيل الأكثر ضخامة منه، ويستخدم الثور الأكثر منه في الطاقة ... الخ.

يقول: "ما ينقص الجسم من قوة، يكمله العقل".

❖ ماذا يعني الكتاب المقدس عندما قال إنا قد خُلِقْنَا على صورة الله؟

لنتعلم الأمور التي تخص الله، ولنفهم تلك التي تخص أنفسنا، وهو أننا ليس لنا ما هو على صورة الله في شكل جسدي، لأن شكل الجسد قابل للفساد. إن ما هو غير قابل للفساد لا يُوصَف بما هو قابل للفساد، كما أن ما هو قابل للفساد ليس صورة لِمَا هو غير قابل للفساد... كيف، إذًا، يتشابه ما هو قابل للتغيير مع ما هو غير مُتغيّر؟ إن جسدنا البشري يهرب منا مثل نهر يتدفق قبل أن نراه ينتهي. يظهر في هيئة ما ثم في هيئة أخرى.

"على صورتنا"! أنحصل من الطبيعة غير المتغيرة على صورة متغيرة؟

أنحصل على شكل من من ليس له شكل؟

إذن كيف نفحص ما هو بحسب الصورة؟ من الأمور التي نطق بها الرب ذاته. إذا كنت أتكلم بشيء من عندياتي فلا تقبله، أما إذا كان كلام الرب فبالحق أقبله في قلبك.

"لنعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا، فيتسلطون على سمك البحر" (تك ١: ٢٦). هل بالجسم أم بالعقل؟ أتكمن تلك القوة المتسلطة في الروح أم في الجسم؟ إن الجسم أضعف من الحيوانات، فما هي المقارنة التي توجد بين جسم الإنسان وجسم الجمل؛ بين الإنسان والثور؛ بين الإنسان وأي حيوان متوحش تختاره؟ جسم الإنسان يسهل أسره ومهاجمته بواسطة حيوان مفترس. فيما يكمن مبدأ التسلط؟

في سمو شأن العقل. ما كان ينقص قوة الجسم أكمل بالعقل! لكن كيف يتسنى للإنسان أن ينقل أوزان ثقيلة ضخمة؟ هل بالفكر أم بقوة الجسد؟<sup>1</sup>

❖ نور الجسد هو العين، وبصيرة النفس هي العقل المخلوق فيها بالطبع، ولست أقول أن العقل هو غير النفس كأنهما منفصلان أحدهما عن الآخر. كلا، بل إن النفس هي والعقل مرتبطان

ترجمة: ريمون يوسف. *The Origin of Man, homily 1:6*<sup>1</sup>

باتِّحاد. لأنَّ العقل هو قوة طبيعية للنفس. وهو أحشاؤها: خُلِقَ معها، وليس هو غريبًا عليها، ولا دَخَلَ إليها بعد زمان<sup>١</sup>.

❖ إذا ما تحرَّكت النفس إلى معقولها الذي هو العقل (هذا الذي جعله الثالوث القدوس خالق كل شيء مغروسًا فيها منذ جبلها)، وفكَّر العقل فيما ينبغي ويليق بالله، حينئذ تصير النفس مُخلِصة، وتهرب من جميع استعمالات الأهواء.

وعندما تسبق النفس فتتظر حركات الجسد وتضبطها، حينئذ تكون في هدوءٍ وورعٍ يليقان بها. فإذا ما صارت في المناظر الفاضلة كطبيعتها، تبقى مُتفكِّرة في جميع أعمال الله ومجده بخوفٍ وهدوءٍ، من غير قلقٍ. بل دفعات تجدها في دهشٍ، ناظرة قدامها إلى الثالوث، تفكِّر في مجد اللاهوت الذي لا يُدرَك من أجل عظمة نوره. وتبقى مُتفكِّرة في ذلك النور الطوباوي والحكمة التي بلا انتهاء وعدم الاضطراب.

فإذا ما حفظت النفس عقلها متيقظًا كطبيعتها، وتفكَّرت فيما ينبغي، لا بد للعقل أن يكون في تاوريا الأعمال المُمجدة وكل ما هو للسلام<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

### الروح القدس يُحرِّرنا من أهواء الجسد

تحدَّث القديس باسيليوس الكبير عن عمل الروح القدس في حياة المؤمن، قائلاً: إن غاية المعمودية مزدوجة<sup>٣</sup>:

أولاً: القضاء على جسد الخطية لكي لا يُثمر للموت، "عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صُلِبَ معه ليُبطل جسد الخطية، كي لا نعود نُستعبد أيضًا للخطية." (رو ٦ : ٦) "لأنه لما كنا في الجسد كانت أهواء الخطايا التي بالناموس تعمل في أعضائنا، لكي نُثمر للموت." (رو ٧ : ٥)

ثانياً: الحياة بالروح التي تُثمر القداسة "وأما الآن إذ أعتقتم من الخطية، وصرتُم عبيدًا لله، فلکم ثمرکم للقداسة والنهاية حياة أبدية." (رو ٦ : ٢٢) يَحْدُثُ هذا عندما تتقبَّل المياه الجسد مثلما يتقبَّل القبر الجسد، بينما يَسْكَبُ الروح القوة المحيية، ويُجدِّد نفوسنا من موت الخطية، ويُعيدنا إلى الحياة الأولى. هذا ما يَحْدُثُ في الميلاد الجديد من الماء والروح، أي الموت الذي يتم في الماء، كذلك الحياة التي تُبعَثُ فينا من جديد بواسطة الروح. وبغطسات ثلاث، واستدعاء الأقانيم الثلاثة، يتم سرّ المعمودية العظيم، ويتحقَّق رمز الموت، ويتم تسليم المعرفة الإلهية للمُعَمِّدين عندما تستتير

<sup>١</sup> راجع دير السريان: القديس باسيليوس، ٢٠٠٣، ص ٦٣

<sup>٢</sup> راجع دير السريان: القديس باسيليوس، ٢٠٠٣، ص ٦٣-٦٤

<sup>٣</sup> On the Spirit.,35.



نفوسهم. ومن هذا يتضح لنا أن النعمة ليست من المياه، فهي بذاتها لا تستطيع أن تُعطينا شيئاً، وإنما حضور الروح القدس.

❖ إذا ملّت النفس، ولم تُفكّر في ما ينبغي، ولم تنظر بنقاوة، حينئذ تقوم عليها أهواء الجسد كالكلاب، وتهر على الذي هو لها، وتبدأ تشقه، ويجتذب كل واحد من هذه الأوجاع النفس إلى ما يريد<sup>١</sup>.

القدّيس باسيليوس الكبير

## تقدّيس القوتين اللتين للنفس

يرى القدّيس باسيليوس أن للنفس قوتين رئيسيتين:

١. قوة الحياة، فمتى انفصلت عن الجسد، يموت الجسد ويفسد ثم ينحل. هذه القوة طبيعية وليس حسب اختيار الإنسان.
  ٢. القوة العاقلة، وقد خلقها الله كي تقود الإنسان ككلّ في الاشتياق إلى الحياة الصالحة المقدسة، خاصة عندما يُقدّس الروح القدس الإرادة، وتُحسب هذه القوة العاملة المقدسة شهوات الروح التي هي ضد أهواء الجسد. هذه القوة حسب اختيار الإنسان وليست بالطبيعة.
- تحدّث القدّيس باسيليوس عن الروح القدس الذي يُقدّس الروح والعقل والجسد، بهذا تتقدّس القوتين اللتين للنفس مع تقدّيس الجسد والعقل. فإذا تقدّست إرادة الإنسان، فباختياره وليس طبيعياً، أي ليس بالإلزام، يمكن للنفس أن تقود الجسد معها في طريق القداسة.

❖ لأنّي أقول - كما أظن - إن قوتى النفس اثنتان، وإن كانت النفس واحدة. إحدى القوتين متصلة بالجسد حتى يعيش بها (يقصد الحياة التي تُعطيها النفس للجسد)، والأخرى هي التي تنظر جميع الأشياء، هذه التي تُدعى النطقية (يقصد القوة العاقلة أو العقل)، وهي التي تُفكّر في الأمور الممجّدة.

لكن إحدى القوتين، وهي التي منها يعيش الجسد (أي الحياة) لا تعطيها النفس للجسد باختيارها، بل هي فيه كطبيعة منذ خلقه. لأن الله منذ البداية جعل الإنسان واحداً من النفس والجسد معاً. فكما أن الشمس لا يمكن أبداً ألا تُضيء على الموضع الذي تشرق عليه، كذلك لا يمكن ألا تعطي النفس الحياة للجسد الذي تسكن فيه.

والقوة الثانية التي للنفس (أي القوة العاقلة) هي التي خلقها الله فيها لتتظر وتُفكّر كل حين

<sup>١</sup> راجع دير السريان: القدّيس باسيليوس، ٢٠٠٣، ص ٦٤

من ذاتها في الأعمال المملوءة مجداً. وجعل لها حركة في ذاتها من جهة سلطان الهمة (أي أن هذا لها بالاختيار وليس بالطبيعة).

القديس باسيليوس الكبير

### لمن تكون القيادة؟

إن كان للنفس مع قوة الحياة للجسد الطبيعية، القوة العاقلة لتقود معها الجسد في طريق القداسة، فإن سلّمت الإرادة البشرية القيادة للنفس المقدسة، فستقود النفس الجسد، أما إذا لم تتقدّس الإرادة يتسلّم الجسد القيادة، ويسحب معه النفس لتخضع للشهوات الجسدية الفاسدة.

بمعنى آخر إننا في حاجة إلى تقديس الإرادة كمعطية إلهية لمن يطلبها بإخلاص وفي جدية.

❖ إذا ما حفظت النفس الجزء الناظر المُفكّر الحارس كل حين، حينئذ تجعل آلام الجسد تهتدي عن طريقين: الأول بأن تتفرّغ النفس إلى طلب المناظر الفاضلة المناسبة (لطبيعتها)، والآخر بأن تُمَيِّز قلق الجسد، وتردّه إلى ما هو أفضل.

فإذا ما كسلت النفس، وتركت الجزء الناظر (أي العقل) غير متحرّك بفكره إلى ما يليق بطبعه، فإن آلام الجسد تجد جزء النفس الآخر الذي قُلبت إن الجسد يعيش به فارغاً بطلاً، فتقسمه عليها كخبثها، إذ ليس من يتراأس عليها ويمنع حركتها، أعني الجزء الناطق عندما تهمله النفس<sup>٢</sup>. وهكذا تجذب آلام الجسد النفس إلى عمق الشر<sup>٣</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

### الجسد ليس علّة الشر

يؤكد القديس باسيليوس أن الله الصالح خلق الجسد صالحاً، فهو ليس مصدر الشر، إنما الإرادة الشريرة التي لنا هي التي تقود الجسد ليسلك في الشرّ ويقود النفس معه في الشرّ.

❖ هذه الأهواء تخضع إذا كان الجزء الفكري متيقظاً، حارساً لها كما ينبغي، مُتفكراً دائماً في ما يليق بالله، لا يُعطي الأهواء اهتماماً حتى لا تجد وقتاً ترفع فيه رؤوسها. فلا يلم إنسان الجسد، إذ هو ليس علّة الشر عند المُدبّرِين له باستقامة كما يظن الهراطقة الأريباء<sup>٤</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>٢</sup> هذه الحاشية موجودة في الأصل وليست مزيدة بواسطتنا للتوضيح كما في الحواشي، راجع دير السريان: القديس باسيليوس، ٢٠٠٣، ص ٦٤-٦٥

<sup>٣</sup> هنا يشرح القديس باسيليوس كيف أن الجسد لا يجد فرصة للانحراف عن الخير إلا في غلة من القوة العاقلة الخيرة بطبيعتها، إذا ما أهملت النفس استخدام هذه القوة العاقلة في توجيه الجسد الذي هو أيضاً خير بطبيعته. وهكذا يضل الجسد الخير إذ لا يجد من يقوده فتجرفه الآلام... ولا يكتفي بضلاله وحده، وإنما يشرك النفس معه، لأن فيها عنصر الحياة التي يعيش بها الجسد ويحس.

<sup>٤</sup> راجع دير السريان: القديس باسيليوس، ٢٠٠٣، ص ٦٥-٦٦  
<sup>٥</sup> راجع دير السريان: القديس باسيليوس، ٢٠٠٣، ص ٦٦

## الجسد للنفس العاقلة كالحصان لراكبه

يُشَبَّه القديس النفس بالفارس الذي يعرف كيف يُرَوِّض فرسه ويقوده، فيكون هو والفارس في أمان. أما إذا كان الفارس عديم الخبرة، فبقيادته الخاطئة يُسَبِّب لنفسه وللفرس أذية وربما هلاكًا.

❖ انظر الآن يا حبيب إلى ما أقول: اعلم أنه كما أن الحصان إنما يكون جيدًا من جهة إسراره في الخدمة المُحَدَّدة له، لكنه يحتاج إلى مُرَوِّض يركبه ويثنيه إلى الموضع الذي يريده، لأن البهيمة وحدها لا تعرف ما ينبغي فعله. وكما أنه إذا رُكِب الحصان، فلا بد أن يستعمل الأمور الطبيعية له أعني أن يثب ويقفز، فإذا دَبَّر راكبه أسباب حركاته جيدًا زال الضرر وحصل المنفعة. وكما أن الراكب لا يكفي أن يُدَبَّر الحصان فقط، بل وأن يقتني أيضًا معرفة واعتيادًا للثبوت عليه، حينئذ تكتمل بذلك الحاجة والسلامة للراكب والمركوب. فأما إذا لم يُدَبَّر جيدًا، ولم يكن عارفًا ومعتادًا للثبوت عليه، فإن الحصان دفعات كثيرة يُحيد عن الطريق المستقيمة... ويخرج إلى طرق شاهقة وعرة، فيتعثَّر ويسقط معه راكبه، ويصيران كلاهما في شدة. وسبب ذلك جميعه غفلة راكبه، إمَّا لكونه لم يكن عارفًا برياضته، ولا معتادًا للثبوت عليه، وإمَّا لأنه أهمل سياسته وتدريبه وردّه إلى الطريق المستقيمة.

كذلك أيضًا بهذا المثل خلق الله الإنسان، وجعل فيه عقلاً يعقل به إكرامًا للنفس التي خلقها مع الجسد. فإذا ما تدبَّرت النفس جيدًا، وترأست كما ينبغي، وألجمت حركات الجسد، فإنها تتجو، وتخلِّص الجسد من السقوط في الشدة. أمَّا إذا توانت، ولم تُدَبَّر حركات الجسد كما يجب، وتغافلت وكسلت وأطلقت لجام الجسد، فمن أجل أنه لا فكر له يخرج إلى الطرق الوعرة وتسقط النفس معه في هذه الشرور. هذا ليس من أجل شرِّ في الجسد - حاشا لله - بل من أجل أن النفس لم تُدَبَّر كما يجب<sup>1</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## الإرادة الشريرة هي الملوثة

لا يلقي القديس اللوم على الجسد أو النفس، فإن الله الصالح خلقهما صالحين، إنما الإنسان إذ يفسد إرادته، لا يُمارس الجسد ولا النفس الحياة المقدسة.

❖ لو كانت النفس لا استطاعة لها أن تُدَلَّل أهواء الجسد وتُرَوِّض حركاته، لكان لهم (أي الهراطقة)

<sup>1</sup> راجع دير السريان: القديس باسيليوس، ٢٠٠٣، ص ٦٦-٦٨

حجة في لوم الجسد. إلا أن الأبطال المجاهدين قد قهروا أوجاع الجسد، وزوّضوا حركاته، واستخدموه في المنافع، والنفس هي التي يلزمها اللوم، لأنها توانت، مع أن لها السلطان على الجسد.

والنفس أيضًا ليس فيها شرّ بطبيعتها - حاشا لله - إنما وُجِدَ فيها الشر من جهة أنها لم تعمل الخير الذي أعطيت لها القدرة عليه والاختيار فيه. فإن الشرّ في الإنسان ليس هو إلاّ انعدام الفضيلة، وحيث لا فضيلة فهناك الشر حقًا.

القديس باسيليوس الكبير

### تقديس الجسد

عمل الله في حياة التوبة، ليس أن يهلك الجسد ويُدَمِّره، إنما إذ يُقَدِّس الإرادة وتتقدّس النفس، يقود النفس الجسد في طريق الحق، فما كان أداة للشرّ، يصير أداة للبرّ. يقول الرسول: "أتكلم إنسانياً من أجل ضعف جسديكم، لأنه كما قدّمتم أعضاءكم عبيداً للنجاسة والإثم للإثم، هكذا الآن قدّموا أعضاءكم عبيداً للبرّ للقداسة" (رو 6: 19).

"أنتم عبيد للذي تطيعونه، إمّا للخطية للموت أو للطاعة للبرّ" (رو 6: 16).

"إذ أعنتم من الخطية صرتم عبيداً للبرّ" (رو 6: 18).

❖ "اعترفوا للرب بالعود، بريابة ذات عشرة أوتار، رنّموا له" (مز 33: 3)

نبدأ بالاعتراف للرب بريابة، أي بتنظيم تصرّفاتنا الجسدية، فإن كنا قد أخطأنا بجسدنا، عندما قدّمنا أعضاءنا أداة للخطية لنفعل الشرّ، ينبغي أن يعترف جسدنا بالخطأ باستعمال نفس الأداة لمحو الخطية (رو 6: 19)

هل شتمت أحداً؟ قلّ عنه خيراً!

هل أسأت استخدام سلطانك؟ ردّ ما أخذت!

هل أرضيت شهوة بطنك؟ صم!

هل تكبرت؟ تواضع!

هل رفضت أن تأخذ من أجل كرامتك؟ اسأل!

هل قتلت؟ احتمل آلام الاستشهاد أو ما يُعادلها.

اكسر جسدك بالاعتراف العلني. بعد هذا الاعتراف العلني، تستحق أن تحمد الرب بريابة

ذات عشرة أوتار.



ينبغي أولاً أن تُعالج خطايا جسدك حتى تسير في تناسق وتناغم نحو الكمال من خلال كلمة الله، وترتفع إلى أن تُعاين الخيرات الروحية. فالنفس التي تبحث عن الخيرات السماوية تُدعى رباة، ولها شكل الرباة حيث تصدر الأنغام عن جزئها العلوي، وأعمال الجسد تعترف لله من أسفل، ولكن الأسرار التي تُكشَف للمعرفة فتأتي من فوق وفي النفس صدى الروح. الذي يعمل بكل الوصايا يُكوّن منها سيمفونية جميلة. فهو يُعْني لله على رباة ذات عشرة أوتار، إشارة إلى الوصايا العشرة المكتوبة في الشريعة<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير



<sup>١</sup> تفسير المزمور ٣٣ (٣٢).

## الباب الرابع عشر

### الحياة الرهبانية والوصية الإلهية

١. الحياة الرهبانية والوصية الإلهية.
٢. أسئلة عن الوصية الإلهية.

## الحياة الرهبانية والوصية الإلهية

انشغل القديس باسيليوس بالوصية الإلهية في أغلب كتاباته عن الحياة الرهبانية والنسك. ينظر القديس باسيليوس الكبير إلى الوصية الإلهية في جوهرها أنها ليست أوامر ونواهي، تُمثّل ثِقلاً على نفس الإنسان في ضعفه البشري، وعجزه عن تحقيق ما يطلبه الله منه، إنما هي لقاء مع كلمة الله مُحِب البشر، ومصدر سعادته.

إنه يوصي أن نطلب نعمته، ونختبر عمله فينا. يُهيئنا أن نحيا كأبناء لله، نحمل أيقونته، وننتهيًا للعُرس السماوي. نتجاوب مع عمل روحه القدوس الساكن فينا، فنصير هيكلًا مقدسًا، ونتجدد يوميًا فيومًا، نزداد جمالاً روحياً وبهاءً داخلياً، فيُعجّب السمائيون مما نبلغ إليه، حيث نصير أعضاء في خورسهم السماوي.

يعالج القديس خلال كتاباته ما يمسّ الوصايا الإلهية:

- ❖ هل يوجد نظام مُعيّن وترتيب للوصايا؟
- ❖ ما هو مفهوم الوصايا الإلهية؟
- ❖ وصايا سلبية ووصايا إيجابية.
- ❖ الوصايا بين تنفيذها الشكلي وعملها في أعماقنا.
- ❖ إمكانية تنفيذ الوصايا.
- ❖ ثمار الوصايا في هذا العالم وفي تنفيذها.
- ❖ تحذير من التعدي على الوصية.

ما شغل قلب القديس باسيليوس وفكره منذ شبابه المُبكر، وهو طالب بأكاديمية أثينا، هو أن تختبر البشرية كلها الحياة مع المسيح يسوع. هذا الشوق له جذوره العميقة في نفسه، ربما منذ طفولته.

خلال حوارهِ مع صديقه غريغوريوس النزينزي، كانا يعتقدان بأن الفيلسوف الحقيقي هو إنسان يُحب الحكمة ويمارسها. لذا احتلّت الوصية الإلهية المكانة الأولى في أفكاره وعواطفه كما في سلوكه، هذه التي لا يمكن الدخول إلى أعماقها وتدوّن عذوبتها إلا بالمسيح يسوع ربنا. جاءت قوانينه في مجملها تدور حول الحياة حسب الوصايا الإلهية. ففي القانون السابع عشر من القوانين المُطوّلة يتحدّث عن سامبيه كأبطال في السلوك حسب وصايا المسيح.

هذا وقد بدأ القوانين المختصرة أيضاً بمناقشة الوصايا، مشيراً إلى السيد المسيح بكونه شمس البر "ينيرنا بوصاياه كما بأشعته"<sup>١</sup>.

جاء في القوانين المطوّلة (٢٤) عن تدبير الوصايا: "ليكن كل شيء بلياقة وبحسب ترتيب" (١ كو ١٤ : ٤٠). فالوصايا سواء الخاصة بالشخص أو بالجماعة لم توضع بطريقة حرفية نلتزم بها في جمود، إنما يليق بالمؤمن كما بالجماعة أن تسلك بروح الكتاب المقدس بطريقة مهذّبة لائقة للبنيان وبغير تشويش.

## الوصايا والكتاب المقدس

إذ انشغل قلبي وفكري بشخصية القديس باسيليوس الكبير، تلمست من حياته عنوبة الوصية الإلهية. لماذا يشتكي البعض أنها وصايا مستحيلة بالنسبة للبشر، تليق بالطغmates السماوية؟ بينما يشعر البعض أنها أعظم هدية يُقدّمها الله للبشرية، لذتها عجيبة وفائقة؟

لقد درس القديس في أكاديمية أثينا الفلسفية، ومع ما لدراسته من دورها في تفكيره غير أنه هو أولاً وقبل كل شيء خادم كلمة الله. الكتاب المقدس هو محور مناقشاته، وهو الدعامة التي يستند عليها في محاوراته.

خلال حوار مع صديقه القديس غريغوريوس النزينزي كانا يعتقدان بأن الفيلسوف الحقيقي هو إنسان يُحب الحكمة ويمارسها. لذا احتلّت الوصية الإلهية المكانة الأولى في أفكاره وعواطفه كما في سلوكه، هذه التي لا يمكن الدخول إلى أعماقها وتذوّق عنوبتها إلا بالمسيح يسوع المسيح ربنا. جاءت قوانينه في مجملها تدور حول الحياة حسب الوصايا الإلهية.

❖ إن كان إنسان يعترف بالرب ويسمع كلماته، لكنه لا يطيع وصاياه، فإنه يُدان حتى وإن كان له امتياز إلهي، إذ وهب عطية مواهب روحية (مت ٧ : ٢١ - ٢٣)<sup>٢</sup>.

❖ يليق بنا ألا نتردّد في احترامنا لكلمات الرب، بل نقتنع تماماً أن كل كلمة من الله حق وممكنة، حتى إن ثارت الطبيعة، فإن في هذا امتحان للإيمان (مت ١٤ : ٢٥ - ٣١)<sup>٣</sup>.

❖ من لا يتكل على الله في الأمور الصغيرة، بالأكثر يكشف عن عدم إيمانه بالأكثر في الأمور العظيمة<sup>٤</sup>.

<sup>١</sup> Shorter Rules, 1. (cf. Longer Rules 23).

<sup>٢</sup> Morals, Rule, 7:1.

<sup>٣</sup> Morals, Rule, 8:1.

<sup>٤</sup> Morals, Rule, 8:2.



❖ هذا هو واجب من هم غيرون في سرّة الله الصالحة أن يسألوا ما هو الأفضل لهم أن يفعلوه<sup>1</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

### الوصايا الإلهية والتدبير الحكيم

لا نعجب إن بدأ القديس مجموعة القوانين الطويلة بسؤال قدّمه له الإخوة بخصوص الوصايا الإلهية، هل لها نظام وتدبير مُعيّن، أم هي متداخلة معًا؟

❖ سؤال: إذ أعطانا الكتاب المقدس أن نقترح أسئلة، فإننا نسأل أولاً وقبل كل شيء أن نُخبر إن

كانت وصايا الله لها نظام مُعيّن وتسلسل متعاقب، كما لو أن وصية تأتي أولاً فأخرى ثانية وهكذا، أم متداخلة فيما بينهما ومتساوية... فقد يبدأ أحد بوصية كما يشاء كما في دائرة.

الإجابة: سؤالك قديم، أفتح في الإنجيل عندما جاء ناموسي (دارس في الناموس) إلى الرب وسأله: "يا مُعَلِّم، أية وصية هي العظمى في الناموس؟" أجابه الرب: "تحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل فكرك. هذه هي الوصية الأولى والعظمى. والثانية مثلها، تحب قريبك كنفسك" (مت ٢٢: ٣٥ - ٣٩).

إذن، وضع الرب نفسه نديراً لوصاياه، مُعتبراً وصية حبّ الله هي الوصية الأولى والأعظم، وعليها تعتمد محبة القريب. بمساندة هذه المنطوقات وأشباهاها، يمكننا أن نكتشف نظاماً وتسلسلاً في كل مجموعة الوصايا<sup>2</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

### وصية محبة الله ووصية محبة القريب

يُمكن اعتبار كل قوانينه المُطوّلة تفسيراً لهاتين الوصيتين، خاصة السبعة قوانين الأولى التي تُمثّل وحدة واحدة، حيث تعتمد على نص الكتاب المقدس عن الوصيتين. يُعالج القانون الثاني موضوع محبة الله، والثالث محبة القريب. والسادس يُدافع عن الانسحاب من الانشغال بارتباكات العالم كي يجد المؤمن جواً مناسباً لتذكّر الله، والسابع يرفض بكل قوة اعتزال الآخرين وذلك، من أجل وصية الحب.

يرى في محبة القريب، ليس فقط وصية تلي الوصية الأولى الخاصة بمحبة الله، وإنما تُكملها. فالمؤمن يحب القريب في الله، ويحب الله في القريب. من يحفظ الوصية الأولى يحفظ أيضاً الثانية، وخلال الثانية يعود إلى الأولى.

<sup>1</sup> *Morals, Rule, 9:3.*

<sup>2</sup> *The Long Rules, Q. 1.*

## الوصية ومحبة الله

يكشف لنا القديس باسيليوس الكبير عن سرّ اختلال محبة الله المركز الأول في الوصايا.

١. الله القدوس هو سرّ صلاحنا وُقداستنا؛ حُبنا له ليس عقيدة فكرية مُجرّدة، ولا اعتراف بالفم في صلواتنا وتسبيحنا وأحاديثنا أننا نحبه، وإنما هو شركة مع القدوس. بالتصاقنا به نتقدّس، فنتمّم وصاياه. وباعتزالنا عنه نخطئ، إذ لا ننعّم بعمله فينا، وليس لنا صلاح وقداسة ويرّ خارجاً عنه.

٢. حُبنا لله عملي يشغل أفكارنا وعواطفنا، ويكون كختم على النفس لا ينفك، نذكره على الدوام، فيشبع قلوبنا به، ولا يجد عدو الخير باباً أو مجالاً ليتسلّل فينا.

٣. يدخل الحب بنا إلى أعماق الوصية. فقد يمارس الإنسان العبادة بانتظام، بل وقد يصنع عجائب باسم الله، لكن حتى هذه الأعمال بدون المحبة تصير لدينونتنا. بدون الحب تتحوّل عبادتنا ونقوانا إلى تجارة، حيث نطلب مجدنا الذاتي وليس مجد الله؛ نهتم بما هو لنا، لا بما هو لإخوتنا. هذا ما يؤكد الرسول بولس في الأصحاح الثالث عشر من رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس.

❖ البُعد عن العمل بوصايا الله هو بُعد عن الله؛ وهذا هو جوهر الخطيئة التي هي انفصال عن الله، وبُعد عن الوحدة معه<sup>١</sup>.

❖ (إن نُشئت أفكارنا) إن حملنا فكر الله المُقدّس كختم لا ينفك، ينطبع على قلوبنا بالذكرى الدائمة الطاهرة. بهذا نصير شركاء في حب الله، الذي يوحى إلينا بإتمام وصايا الرب، ويبقى ذاته محفوظاً فينا بلا تشييت<sup>٢</sup>.

❖ هذه شهادة لا يستطيع أحد أن يتنكّر لها، أنه لو أتمنا كل الطقوس وأعمال البرّ، وحفظنا كل وصايا الرب، وصنعنا عجائب عظيمة بدون المحبة، فإنها ستُحسب كأعمال إثم وليس كمواهب للروح، لا لأن شيئاً ما معيياً في هذه الأعمال ذاتها، بل لأن من يقومون بها كل غاياتهم هي أن يُعظّموا نواتهم، كما يقول الرسول: الذين "يظنّون أن التقوى تجارة" (١ تي ٦: ٥).

وفي موضع آخر يقول: "أما قوم فعن حسدٍ وخصامٍ يكرزون بالمسيح، وأما قوم فعن مسرّة، فهؤلاء عن تحزّب ينادون بالمسيح لا عن إخلاص، ظانين أنهم يُضيفون إلى وثقي ضيقاً" (في ١: ١٥ - ١٦). وفي موضع آخر يؤكد: "فإننا لم نكن قط في كلام تملق كما تعلمون، ولا في

<sup>١</sup> راجع الأب إلياس كويتز المخلصي: القديس باسيليوس الكبير، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، ١٩٨٩، ص ٣١٣. عظة ٣: ١

<sup>٢</sup> Reg. Fus. 52.

عِلَّة طمع. اللّٰه شاهد. ولا طلبنا مجدًا من الناس، لا منكم ولا من غيركم، مع إننا قادرون أن نكون في وقارٍ كرسل المسيح" (١ تس ٢: ٥ - ٦)¹.

❖ إن كان أحد لا يحفظ وصاياہ، فهذا دليل على عدم محبته للّٰه ومسيحه؛ أما حفظ وصايا المسيح باحتمال التجارب حتى الموت فهو برهان الحب (يو ١٤: ٢١، ٢٤؛ رو ٨: ٣٥ - ٣٧)².

❖ من يفعل مشيئته يكرمه اللّٰه ويُمجِّده، أما من يعصى ناموسه فيُهينه (مت ٥: ٦؛ رو ٢: ٢٣)³.

القديس باسيليوس الكبير

### الوصية قائدَة الفكر والسلوك

يليق بالمؤمن لا أن يتذكَّر الوصية الإلهية في كل تصرُّف فحسب، وإنما تمسك الوصية الإلهية عجلة القيادة في الفكر والقلب وفي كل قرارٍ يأخذه وكل سلوكٍ.

❖ إن كان بالنسبة لي "الحياة هي المسيح" (في ١: ٢١)، بالحق يليق أن تكون كلماتي عن المسيح، وكل فكري وعملي يعتمد على وصاياہ، وأن تتشكَّل نفسي لتكون مثله⁴.

القديس باسيليوس الكبير

### الوصية قائدَة للميناء الهادي

يخفي المؤمن وصية اللّٰه - كنزه الثمين - في قلبه، أثنى ما في حياته، مَرَكز الحب والحياة، وموضع الأمان، فلا يقدر العدو أن يسطو عليه ليغتصبها منه. نُحَبِّئ وصية اللّٰه، فلا تقدر خطية ما أن تختفي في القلب أو تتسلَّل إليه، إذ لا يمكن للظلمة أن تجد لها موضعًا حيث يوجد النور.

من يحفظ الوصية إنما يقتني السيد المسيح سلامنا الحقيقي. يقول القديس جيروم: [المسيح ربنا هو السلام... لنحفظ السلام، فيحفظنا السلام في المسيح يسوع]⁵.

❖ ارفع عينيك إلى السماء، مثل ذاك القائل: "إليك رفعت عيني يا ساكنًا في السماوات" (مز ١٢٣: ١). تطلَّع إلى شمس البرّ، فإنه إذ توجَّهك وصايا الرب، التي تُمَثِّل أكثر الكواكب بهاءً، تكون لك عينان يقظتان.

لا تسمح لعيني (النفس) أن تنعسا، ولا لجفني العين أن يستريحا (مز ١٣٢: ٤)، حتى تقودك الوصايا على الدوام. يقول: "تاموسك هو سراج لرجلي ونور لسبيلي" (مز ١١٩: ١٠٥).

¹ راجع الراهب القمص مرقوريوس الأنبا بيشوي: المعمودية المقدسة، ٢٠٠٨، ص ٣٢-٣٣ (ك ١، ف ٢، ب ٢٥).

² *Morals, Rule, 3:2.*

³ *Morals, Rule, 4:1.*

⁴ *Letter 159 to Eupaterius and his daughter, 1.*

⁵ *On Ps. Hom. 41.*

بالحقيقة إن كنت لا تنام قط وأنت عند الدفة التي تدير الحياة... فإنك تنال معونة الروح الذي يقودك في نسيم هاديٍّ وأمان مملوء سلامًا حتى تَعْبُرَ وتبلغ الميناء الهاديِّ في سكونٍ وبدون أية أذية لك بمشيئة الله<sup>1</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

### التزام المسيحي بحفظ الوصية

إذ يكتب القديس باسيليوس الكبير رسالة تعزية للأسقف اليبيدوس، يكشف له عن التزام المسيحي بحفظ وصية الرب، فهو مُطالب بما هو أسمى مما يُطلب من غير المسيحي. يليق به أن يسمو في حياته تاركًا مثالاً للغير في الصبر والاحتمال والثبات في وقت الضيق والسمو فوق الأحزان مع التمتع بالفرح في رجاء! بهذا يدعوننا ألا نعتذر بأننا بشر ضعفاء، إذ يُقدّم لنا الرب إمكانيات الحياة السامية!

✦ يطلب الرب منا (كمسيحيين) ما لا يطلبه من كل أحد. فجماعة البشرية تعيش حسب العادات التي تتسلمها، أما قانون المسيحي في الحياة فهو وصية الرب، والاقترداء بالقديسين القدامى الذين كانت عظمة نفوسهم مُعلّنة فوق كل محنة!

في النهاية يليق بك أن تترك لهم مثالاً للآتين بعدك للثبات (الجلد) والثقة الصادقة فيما تترجاه، مُظهرًا أن حزنك لن يقهرك، بل تسمو فوق أحزانك، وتصبر في الآلام، وتبتهج في رجاء<sup>2</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

### ب لعذوبة الوصية!

شأن بين من يبحث في الوصية الإلهية بعقله ودراساته، وبين من يمارسها تحت قيادة روح الله القدوس. فالوصية لها عذوبتها العجيبة عند ممارستها.

يُحدّثنا القديس باسيليوس الكبير عن مكافأة حفظ وصايا الرب، قائلاً: [توجد مكافأة عظيمة للذين يحفظون الوصايا، مجازاة جزيلة، أكاليل عدل، مسكن دائم، حياة بلا نهاية، فرح لا يُنطق به، مواضع لا تفتنى مع الأب والابن والروح القدس، الإله الحق في السماوات، لقاء وجه لوجه، طرب في صحبة الملائكة والآباء والأنبياء والرسل والشهداء والمُعترفين وكل الذين يرضون الله منذ البدء<sup>3</sup>.]

<sup>1</sup> Homily on the Beginning of Proverbs 17.

<sup>2</sup> Letter 206 to Elipidius the bishop. Consolatory.

<sup>3</sup> On Ascetical Discipline.



❖ أتحب المتعة والملذات؟ تطلع إلى وصايا الرب، فهي بالنسبة للنفس السوية أحلى من العسل والشهد!<sup>1</sup>

❖ إنه سحر الحق الذي عبّر عنه المرثل، مؤكداً ذلك عند قوله: "كم هي حلوة كلماتك لحلقي، إنها أحلى من العسل في فمي".

❖ نير المسيح حلو، وحمله خفيف في انعاش من يخضعون له، أما كل ما هو غريب عن تعليم الإنجيل، فهو ثقيل و مُتعب (مت. ١١ : ٢٨ - ٣٠).<sup>2</sup>

❖ "ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب" (مز ٣٤ : ٨)... الذي لم يذُق العسل، لا يمكن أن يدرك مذاقه. هكذا لا يمكن التلذذ بكلمة الله عن طريق التعليم، بل ينبغي أن نختبر عمق تعاليم الحق، ونلمس محبة الرب في علاقة شخصية. يقول: "ذوقوا"، ولم يقل اشبعوا، "فإننا ننظر الآن في مرآة في لغز" (١ كو ١٣ : ١٢)، ولكن سيأتي وقت فيه أقتني ما أنال عربونه الآن. أستطيع بالنعمة أن أتذوقه بهذا المذاق في ملء الفرح.

ينبغي على الذين لا يستطيعون تذوق الأطعمة، وليس لهم أية شهية لها، بل يبتعدون باشمئزاز عن كل المأكولات، أن يعرضوا أنفسهم على الطبيب، ليفتح شهيتهم بمأكولات شهية، مضافاً إليها أطعمة ذات (رائحة) نفاذة لتفتح شهيتهم أكثر فأكثر. هكذا بخصوص كلمة الحق، نحتاج إلى اختبار حي لها، كما يقول المزمور إنه سيشعل فيكم الرغبة المستمرة، لذلك يقول: "ذوقوا"، لكي تأخذوا الطوبى، لإحساسكم الدائم بأنكم "جياع وعطاش إلى البر"<sup>3</sup> (مت ٥ : ٦).

❖ ما الصعب والمؤلم أو المستحيل في قول الرب: "بع ما عندك وأعطه للمساكين". لو أنه كلفك أن تحرث الأرض أو تخاطر في التجارة، وتتحمل ما يتبع ذلك من جهود، لفهمت ما يعتريك من الحزن، لكنه يعرض عليك الحصول على السعادة الأبدية، بطريقة سهلة وبدون عمل أو عرق، فلماذا لا تسر بسهولة الخلاص، بدلاً من التحسر وتعريض نفسك لفقدان الأجر على عملك؟

فإذا كنت لم تقتل حقاً كما تقول، ولم تسرق، ولم تشهد زوراً، فإنك تجعل كل جهودك باطلة، حين لا تضيف إلى ذلك ما يمكنه أن يفتح لك ملكوت الله. لو تقدّم إليك طبيب ليصلح لك عضواً من أعضائك، فإنك لا تتردد، بل تقبل ذلك بطيب خاطر، فلماذا تحزن وتتضايق

<sup>1</sup> Ep. 8:8.

<sup>2</sup> Morals Rule 44:1.

<sup>3</sup> تفسير المزمور ٣٤ (٣٣).

حين يتقدّم إليك طبيب النفوس، وهو يريد أن يُصَيِّرَكَ كاملاً بأن تضيف إليك ما ينقصك جوهرياً.

لاشك إنك بعيداً جداً عما يقتضيه حُبّ القريب، وتشهد زوراً بأنك تُحِبُّه مثل نفسك. إن ما يعرضه عليك الرب دليل قاطع على خلوك من المحبة الحقيقية. لأنك لو كنت قد حفظت حقاً منذ صغرك وصية الحُبّ لقريبك، وساويت ما بينك وبين أخيك، لما أمكن أن تكون لديك هذه الثروة الطائلة؟ إن الاهتمام بالفقراء يستدعي نفقات عظيمة، إذا أردنا أن ينال كل واحدٍ منهم الضروري، وأن يستفيد جميع الناس من خيرات الأرض، ويحصلوا على ما يسد حاجتهم. فمن يُحِبُّ قريبه بنفسه، ينبغي ألا يكون عنده أكثر من أخيه. من الأكيد أن عندك أملاً واسعاً، فمن أين نشأ هذا التفاوت، إلا من إيثارك تمتّعك الشخصي على سعادة الآخرين؟ فكُلِّمنا زدت غنى نقصت حُباً. لو أنك أحببت قريبك لكنت قد وزّعت منذ زمان طويل جزءاً من أموالك. ولكنك تتعلّق بهذه الخيرات تتعلّقك بجزء من روحك. ويؤلمك حرمانك منها كما يؤلمك قطع عضو من أعضائك<sup>1</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## الوصية الإلهية ومحبة المديح

❖ سؤال: كيف يمكن أن نفعل كل شيء لمجد الله؟...

إن فعلنا كل شيء حسب الله ووصاياه، ولا نطلب مديح الناس<sup>2</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## وصايا سلبية ووصايا إيجابية

يرى القديس باسيليوس في المزمور الأول أن الوصايا الإلهية أشبه بسلم يصعد بالمؤمن من الأرض، مُتَّجِهاً نحو السماء. يبدأ السلم بالانطلاق من الأرضيات مع الشوق إلى سماويات.

يبدأ السلم بالسلبيات مثل عدم السلوك حسب مشورة الأشرار، وعدم الوقوف في طريق الأشرار، وعدم الجلوس في مجلس المستهزئين، بمعنى آخر عدم الدخول في شركة مع الأشرار، لا في مشوراتهم، ولا في طريقهم، ولا في الجلوس معهم. بهذا نصعد نحو السماء، حيث ننعم بنقاوة القلب، وندوِّق عذوبة الشركة مع السماوي!

إن كان سلم يعقوب يشير إلى السيد المسيح الذي ينطلق بقلوبنا وأفكارنا وعواطفنا وكل طاقاتنا

<sup>1</sup> راجع الأب ج. عقيقي اليسوعي: القديس باسيليوس الكبير الإنسان والقديس (العظة ٦،٣).

<sup>2</sup> Reg. Brev., 195.

نحو السماء، فإنه يشير أيضاً إلى الرصية الإلهية التي تدعونا كل يوم للفرح بالشركة مع كلمة الله،  
ربنا يسوع المصلوب عنا!

يمكننا أن نقول إن الوصية الإلهية هي صلب عن الزمنيات والأرضيات، فلا تحتل مكاناً في  
قلوبنا، وهي قيامة مع المسيح السماوي لنختبر قوتها ومجدها وبهجتها!

❖ يرسم لنا المزمور (الأول) طريق لفضيلة، بعلم وفن، فالبعد عن الشر هو بداية الخير، إن طلبت  
من البداية كمال الفضيلة، تراجعنا قبل أن تبدأ، ولكن المزمور يُمهّد لنا الطريق لنواجهه بشجاعة.  
واعتقد أن النمو في حبّ الله، يُشبه السلم الذي رآه يوماً ما الطوباوي يعقوب، والذي من  
ناحية على الأرض، وفي الناحية الأخرى كان ينطلق نحو حياة الفضيلة، حيث يبدأ الإنسان  
بصعود درجات السلم الأولى، وبعد ذلك يرتفع إلى درجة أعلى بترو وتأن حتى يصل إلى ما  
يمكن للطبيعة البشرية أن تصل إليه.

إذن، بصعود درجات السلم الأولى، نرتفع فوق الأرض، لنحيا الحياة التي يريدنا الله.  
وبداية التقدّم، هو الابتعاد عن الشر، حيث يكون مثل هذا الابتعاد سهلاً مثل "لا تقتل،  
لا تزني، لا تسرق" (مر ١٠ : ١٩)، لا يتطلّب هذا عملاً إيجابياً. أما عندما نُطالب بتلك  
الوصية: "حب قريبك كنفسك"، "بع أملاكك وأعط للفقراء" (مت ١٩ : ٢١)، "من سخرك ميلاً  
واحداً، فذهب معه اثنين" (مت ٥ : ٤١)، هذه الأعمال يقوم بها المصارع الذي اختبر القوة  
بالحكمة الإلهية، الذي من خلال الأعمال الصغيرة، يقودنا إلى الكمال.

فهو يعرض علينا ثلاثة أمور يجب أن نتجنّبها، السلوك في مشورة الأشرار، والوقوف  
في طريق الخطاة، والجلوس في مجلس المستهزئين. هذا الترتيب يبدأ باتخاذ القرار ثم تنفيذ  
البداية هنا في الفكر النقي، فأساس أعمال الجسد تتبع من نقاوة القلب، والزنا يبدأ في النفس  
الشهوانية، وينتهي بزنا الجسد، لذا قال الرب: "الذي يُنجس الإنسان يخرج من القلب"  
(راجع مت ١٥ : ١٨).<sup>١</sup>

❖ يليق بالمسيحي أن يفكر هكذا في دعوته السماوية، وأن تكون حياته لائقة بإنجيل المسيح (فل  
٢٧). يليق بالمسيحي ألا يكون فكراً مزودج (لو ١٢ : ٢٩)، ولا يكون منشغلاً عن تذكر الله  
وأهدافه وأحكامه.<sup>٢</sup>

القديس باسيليوس الكبير

<sup>١</sup> عظة على المزمور ١.

<sup>٢</sup> Letter 22 On the Perfection of the Life of Solitaries.

## وصية الاتكال على الرب إلهي

يتساءل القديس باسيليوس: هل يستطيع كل إنسان أن يُصَلِّي: "يا رب إلهي، عليك توكلت؟". يكشف لنا القديس عن أعماق الوصية خلال حديثه عن وصية الاتكال على الرب. فهي ليست مجرد صلاة تخرج من الشفتين يُعلن بها الشخص أنه مُتَّكِل على الله، إنما هي حياة عملية يعيشها المؤمن، علاماتها الآتي:

١. يشعر المؤمن أن الله هو إلهه الشخصي، علاقته مع الله تحمل دالة الابن الذي يتحدث مع أبيه في دالةٍ ويقينٍ بحب الله له شخصياً، ورعايته الفائقة له.

٢. من يضع ثقته في البشر، الرؤساء وأصحاب السلاطين والأغنياء، يُسلمهم عجلة القيادة، ويُجلسهم على عرش قلبه، فيصيرون بالنسبة له آلهة. وكأنه قد استبدل الله الحي القدير بهم، فكيف يدَّعي أنه مُتَّكِل على الله؟

٣. علامة الاتكال الحقيقي على الله، أنه يُسَبِّحَه بكل قلبه، حتى في وسط الضيقات. يشعر أن كل حياته، بل كل العالم في يد الله ضابط التاريخ، وأن كل الأمور تعمل معاً للخير.

٤. من هنا نرى الوصايا الإلهية في حقيقتها هي كما يقول العلامة أوريجينوس المسيح نفسه، من يقتنيه يقتني كل الوصايا والفضائل. ومن جانب آخر، فإن كل وصية في حقيقتها تحوي كل الوصايا في داخلها. بمعنى آخر، تنفيذ وصية مُعَيَّنَة لا يتحقق ما لم تتفاعل حياة المؤمن ككل معاً في المسيح يسوع.

٥. لما كانت الوصية تَمْتَعًا بالمسيح نفسه، فهي لا تَمُثِّل ثِقلاً على النفس، مهما بدت صعبة أو مستحيلة، إنما هي مصدر سعادتنا ومجدنا. تُقَدِّم لنا سلاماً داخلياً في هذا العالم وسط ضيقاته، ومجداً في الحياة الأبدية. إنها تُقَدِّم لنا عربون الملكوت هنا، وكماله في الحياة العتيدة. يُقَدِّم لنا القديس باسيليوس أمثلة عن فاعلية ممارسة الوصية في حياتنا على الأرض، وثمارها في الأبدية.

❖ "يا رب إلهي، عليك توكلت" (مز ٧: ١)...

بالرغم من أن هذه الصلاة بسيطة، ويمكن أن يُقَدِّمها أي شخص، غير أنها لم تُقَدِّم هنا هكذا. فإن من يجعل اتكاله على إنسان، أو يتكئ على شيء آخر في الحياة مثل السلطة أو الممتلكات، أو أي شيء مما يعتبره الكثيرون أمراً جيداً، لا يستطيع أن يقول: "يا رب إلهي، عليك توكلت".



بالحقيقة توجد وصية، وهي أنه لا يليق بنا الاتكال على الرؤساء. "ملعون الرجل الذي يتكلم على الإنسان" (إر ١٧: ٥). كما يليق بنا ألا نعبد شيئاً بجانب عبادتنا لله. هكذا يليق بنا ألا نتكلم على آخر غير الله رب كل الأشياء. قيل: "الرب رجائي وتسبحتي" (مز ٧٠: ٥؛ ١١٧: ١٤)<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

### الوصايا ارتداء للباس العرس

كثيراً ما يُميّز آباء الكنيسة بين من يرغب في أن يكون إنساناً رقيقاً، ذا أخلاق سامية، وبين أن يسلك كابن لله، أو تهتم نفسه أن تكون عروساً للعريس السماوي، تتشكّل يوماً فيوماً لتحمل أيقونته. فما يشغل الأول مظهره الخارجي، وما يقوله الناس عنه، أما ما يشغل الثاني فهو إنسانه الداخلي الذي لن يعرفه سوى ربّ المجد، حيث يُقيم ملكوته فيه.

لهذا فان القديس مار يعقوب السروجي يتحدّث عن الوصايا الإلهية بكونها الحلي والجواهر واللائي التي تتزيّن بها عروس المسيح، عند دخولها في حجال العريس السماوي، ويُعجّب بها السماويون. إنها انعكاس بهاء شمس البرّ عليها. وبنفس الروح يتحدّث القديس باسيليوس الكبير عن الوصايا الإلهية بكونها ارتداء لباس العرس. فالتوبة في نظره لها شقان، الشق الأول الحزن على الخطايا التي يرتكبها الإنسان، والشق الثاني هو التمتع بثياب العرس، حيث يُشرق شمس البرّ على المؤمن، ويسكب بهاءه وجماله عليه. فبينما يحزن المؤمن على خطاياهِ ويبكي بدموعٍ كما على ميت، يفرح برجوعه إلى الرب ويتهلّل مُتمتّعاً بقوة قيامته وبهجتها. يليق ألا ينطبق عليه القول الذي نطق به السيد المسيح على غير التائبين: يشبهون أولاداً جالسين في السوق، ينادون بعضهم بعضاً، ويقولون: "زمرنا لكم فلم ترقصوا. نُحنّا لكم فلم تبكوا" (لو ٧: ٣٢ - ٣٣).

الحزن على الخطية تمزيق للمسوح، وتنفيذ الوصايا ارتداء للباس العرس.

❖ يُعبّر القلق عن قبح النفس وضعفها، لانفصالها عن الله. فلنُصلّ إذن حتى يُشرق علينا نور وجه الله. فنكون مثل القديسين في وداعتهم وسلامهم في كل الظروف. وعلى استعداد دائم لعمل الخير، كقول المزمور: "أسرعت ولم أقلق" (مز ١١٩: ٦) من أجلي حوّلت نوحى إلى فرح لي، مزقت مسحي ومنطقتني بالفرح (مز ٣٠: ١٢).

<sup>1</sup> Homily 11:2 on Psalm 7.

فرح الله لا يستقر في كل النفوس، بل في تلك النفوس التي بكت على خطاياها، بآيات كثيرة ودموع مستمرة، كمن مات لها عزيز لديها. مثل تلك النفس يُحوّل الله نوحها إلى فرح. يُحَدِّثنا ربُّ المجد من التشبُّه بأولادِ جالسين في السوق، ينادون بعضهم بعضًا ويقولون: "تُحْنَا لكم فلم تبكوا، زمّنا لكم فلم ترقصوا" (لو ٧: ٣٢). المزمارة آلة موسيقية، تصدر نغمًا عندما يُنفخ فيها، لذلك أعتقد إن كل نبي قديس هو مزمارة بالمعنى الروحي، يعمل بنفخة الروح القدس. قيل: "زمّنا لكم فلم ترقصوا"، وتحتنا كلمات النبوة للعمل بحسب الوصية، وهو ما يطلق عليه تعبير "رقص".

يبكي الأنبياء علينا، ويدعوننا لنبكي، حتى نكتشف أخطاءنا في ضوء كلماتهم النبوية، عندئذ نبكي على هلاكنا ونقمع جسدنا بالجهاد والعقاب. الإنسان الذي يسلك مثل هذا الطريق، تُمزق مسوحه ويرتدي لباس الغُرس المُزَيَّنة حتى لا يُطرَد خارج الغُرس (مت ٢٢: ١١-١٣)¹.

القديس باسيليوس الكبير

### وصية الفقر الاختياري

كما أن الغنى في ذاته ليس رذيلة، هكذا الفقر في ذاته ليس فضيلة. إنما الطمع والرغبة في الغنى مع تجاهل حق الفقير في نصيب مما لدى المؤمن هو خطية. والفقر من أجل محبة الله والإخوة بفرح وسرور وبحكمة هو سمو. وصية الفقر الاختياري جوهرها لا الاحتياج، وإنما الغنى بالحب والعطاء. هذا ما يعنيه المُرتِّل بخصوص المسكين: هذا المسكين صرخ، والرب استمعه (مز ٣٤: ٦).

❖ ليس الفقر مصدرًا دائمًا للفخر، بل الفقر الاختياري من أجل الإنجيل. هذا هو الكمال! كثيرون افتقروا للغنى، ولكنهم يشتهونه في أعماقهم. لم يخلصوا لأنهم فقراء، ونيّتهم الداخلية تدينهم. ليس سعيدًا من يفتقر في كل شيء، بل الذي يعتبر أن الوصية هي أفضل من كنوز العالم. هكذا يُطوِّبه الرب: "طوبى للمساكين بالروح" (مت ٥: ٣). لا للذين يفتقرون إلى الغنى، بل الذين اختاروا الفقر من داخل نفوسهم. فلا تأتي السعادة إلا لمن اختار ذلك. فكل فضيلة، خاصةً فضيلة الفقر هي فعل إختياري².

القديس باسيليوس الكبير

¹ عظة على المزمور ٣٠  
¹ عظة على المزمور ٣٤

## الوصية الإلهية تتأوه بصوت عالٍ

إذ كتب القديس باسيليوس إلى عذراء سقطت في خطية الزنا قال: "حقًا إن الوصية الإلهية تتأوه بصوت عالٍ". بهذا يُشخصن القديس الوصية، وكأنه يتطلع إلى الوصية لا كأوامر ونواهٍ تصدر إلينا، إنما بكونها رب المجد يسوع القديس الذي يريد أن يصير الكل قديسين، يتمتعون بشركة المجد الأبدي. يشاركه القديسون هذا الحب. فيننون معه من أجل كل نفسٍ ساقطة في الخطية.

❖ إن كان إرميا قد رأى الذين جرحوا في الحرب يستحقون النحيب الدائم، فماذا نقول بالأكثر من أجل تلك الكوارث التي تلحق بالنفوس؟! لقد قال (إشعيا): "قتلاك ليس هم قتلى السيف، ولا موتى الحرب" (إش ٢٢: ٢).

إنني أندب لدغة الموت الحقيقي، وخطورة الخطية، وسهام الشرير المتقدمة، تلك التي تلهب النيران بقسوة لأجل الأرواح كما الأجساد أيضًا.

حقًا إن الوصية الإلهية تتأوه بصوت عالٍ عندما ترى نجاسة كهذه تدب على الأرض، فتعلن في القديم "لا تشته امرأة قريبك" (خر ٢٠: ١٧؛ تث ٥: ٢١). وفي الإنجيل المقدس أيضًا تقول: "إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهها، فقد زنى بها في قلبه" (مت ٥: ٢٨). وها هي الآن توى عروس الرب ذاتها، تلك التي رأسها السيد المسيح، ترتكب بجسارة خطية الزنا. إنه حتى جماعات القديسين يننون عليها!

القديس باسيليوس الكبير

## الوصية والتلمذة

يتساءل القديس باسيليوس: من هو التلميذ؟ وتأتي إجابته تربط بين التلميذ والالتزام بالوصية الإلهية.

بمعنى آخر، التلمذة للسيد المسيح تستلزم التمتع بالتحرُّر من سلطان إبليس والخطية، والالتصاق بالمُعَلِّم خلال الطاعة لوصاياه، فنحمل برّه ونسلك بنعمته الإلهية.

❖ حسب تعريف الرب، هو ذاك الذي يقبل إلى الرب، بغية أتباعه وسماع كلماته. يؤمن به ويقدم له الطاعة كربٍّ وملكٍ وطبيبٍ ومُعَلِّمٍ للحق، على رجاء الحياة الأبدية (انظر تي ١: ٢)، حافظًا وثابتًا في مقصده.

كما هو مكتوب: "إنكم إن ثبتتم في كلامي فبالحقيقة تكونون تلاميذي، وتعرفون الحق، والحق يُحرِّركم" (يو ٨: ٣١). أي تصير نفوسنا حُرَّة من عبودية الشيطان. لا تعود الخطية

٢ رسالة ٤٦: رسالة إلى عذراء ساقطة.

تسود علينا بعد، كقول الرب: "من يعمل الخطية هو عبد للخطية" (يو ٨ : ٣٤). كما ننال النجاة من حُكْم الموت، كما علّمنا الرسول بولس: "لأنه جعل الذي لم يعرف خطية، خطية لأجلنا، لنصير نحن بزّ الله فيه" (٢ كو ٥ : ٢١). وأيضًا يقول في موضع آخر: "لأنه كما بسعصية الإنسان الواحد جُعِل الكثيرون خطاة، هكذا أيضًا بإطاعة الواحد سيُجْعَل الكثيرون أبرارًا" (رو ٥ : ١٩)'.<sup>١</sup>

القديس باسيليوس الكبير

## وصية المحبة لله والاهتمام بأهل البيت

تدعونا الوصية الإلهية إلى محبة الجميع وتكريم الوالدين (خر ٢٠ : ١٢؛ تث ٥ : ١٦؛ سي ٣ : ٩؛ مت ١٥ : ٤، أف ٦ : ٢)، والاهتمام باحتياجات أهل البيت (١ تي ٥ : ٤، ٨). غير أن هذه الروابط يلزم أن تبقى مُقَدَّسة في الرب. فلا نتجاهل مركز المحبة الإلهية، إذ لها المركز الأول والأسمى في القلب، ومن خلالها تتقدّس محبتنا للجميع.

❖ علّمنا الرب ليس أن لا نهتم بأي أمر فيما يختص بمقتنياتنا وضرورات هذه الحياة فحسب، بل أيضًا أن نرتفع فوق المشاعر الطبيعية، إذ قال: من أحبّ أبًا أو أمًا أكثر مني فلا يستحقني" (مت ١٠ : ٣٧). وهذا أيضًا ما ينطبق على الروابط العميقة كالصداقات الحميمة. فكم بالأكثر مع الصلات البعيدة والغرباء عن الإيمان. لذا أضاف: "من لا يحمل صليبه ويتبعني، فلا يستحقني" (مت ١٠ : ٣٨). يكتب لنا الرسول الذي نجح في هذا: "قد صُلب العالم لي وأنا للعالم... فأحيا لا أنا، بل المسيح يحيا فيّ" (غلا ٦ : ١٤؛ ٢ : ٢٠). دعونا نعود إلى كلمات الرب التي قالها مباشرة لكل واحد منا.

حين سأله ذلك الرجل قائلاً: "أئذن لي أن أمضي أولاً وأدفن أبي". أجابه: "دع الموتى يدفنون موتاهم، وأما أنت فاذهب وناذ بملكوت الله" (لو ٩ : ٥٩ - ٦٠). وذاك الآخر الذي قال له: "أئذن لي أولاً أن أودّع الذين في بيتي"، أجابه مؤبّخًا ومُعَنِّفًا إيّاه، قائلاً: "ليس أحد يضع يده على المحراث وينظر إلى الوراء، يصلح لملكوت الله" (لو ٩ : ٦١ - ٦٢)...

وبالطبع ليس المقصود بالبغضة هنا الإساءة إلى الآخرين، أو تدبير الشرّ تجاههم، بل الامتناع عن سماع أيّ صوت يجعلنا نحيد عن طريق الكمال والتقوى... إذ يقول: "من لا يحمل صليبه ويأتي ورائي، فلا يقدر أن يكون لي تلميذًا" (لو ١٤ : ٢٧). هذا الأمر نقوم به

<sup>١</sup>راجع الراهب القمص مرقوريوس الأنبا بيشوي: المعمودية المقدسة، ٢٠٠٨، ص ٢٨ (ك ١، ف ١، ب ٢).



حينما نجوز مياه المعمودية حيث نُعلن إيماننا ونعترف بأننا صُلبنا مع المسيح ومُتنا ودُفنا معه... كما هو مكتوب (انظر روم ٦ : ٤ - ١١)¹.

القديس باسيليوس الكبير

### بقيامته يهبنا الرب إمكانية تنفيذ الوصية الإلهية

إن كان داود المرثّل يُعلن في المزامير أنه لم يرد للأشرار شرورهم بالشرور، وهذه عطية من قِبَل النعمة الإلهية، فإن الرب الذي هو مُخلّصه ومُنجّيه، ينتقم من كسر الوصايا الإلهية. لقد صُلب من أجل الخطاة كاسري الوصايا، وقام ليهبهم الحياة المقامة الغالبة لكسر الوصايا.

لعل النبي كان يتطلّع بروح النبوة إلى القيامة كانتقام من كسر الوصية فيطلب من الرب بقيامته أن ينزع كسر الوصية من الأشرار، فيسلكون كأبناء لله خاضعين للوصية، ولا يحملون شرًا على النبي ولا على غيره من البشر.

❖ "فم أيها الرب إلهي... بالوصية التي أوصيت بها" (راجع مز ٧ : ٨). هذا القول يُمكن أيضًا أن يُشير إلى سرّ القيامة، إذ يدعو المرثّل من الديّان أن يقوم لينتقم من كل خطية، ويُتمّ الوصايا التي سبق أن وضعها لنا. أيضًا يُمكن أن يقال إنها تشير إلى الزمن الذي عاش فيه النبي، لقد وُجِدَت وصية "أكرم أباك وأمك" (خر ٢٠ : ١٢) التي أوصى بها الله والتي تخص بالحقيقة الابن نفسه (أي الإنسان الذي يليق به أن يسمع لصوت الله بكونه أباه). فلكي يمنع الكثيرين (من كسر هذه الوصية) لا يطيل الله أناته بعد، بل يقوم بغضبه وينتقم لوصيته. كان المرثّل يقول: "إنك لا تنتقم لي، بل لوصيتك التي أمرت بها، واستخفوا بها"².

القديس باسيليوس الكبير

### الوصية تُخلّص اللصوص المُتشرّدين

إذ ألقى القبض على بعض المُتشرّدين سرقوا ملابس ليست بذات قيمة، وصاروا في يد السلطات، بعث القديس باسيليوس برسالة يؤكد فيها أنه يُمكن إصلاح حالهم لا بالجلدات في المحاكم البشرية، إنما ببثّ روح مخافة الرب، وحثهم على حفظ الوصية: [أما بالنسبة للأثمة، فلأجل إصلاح حالهم بالتأديب والنصح في الرب. فإنه بهذه الوسيلة أرجو أن تكون ناجحة في

¹ القديس باسيليوس الكبير: المعمودية المقدسة، ترجمة وإعداد. الراهب القمص مرقوريوس الأنبا بيشوي.

² Homily 11:4 on Psalm 7.

إصلاحهم. فحين تفشل جلدات المحاكم البشرية اعرف أنه غالبًا ما يكون للمخافة من أحكام الله فاعليتها<sup>١</sup>.

## الوصية والحرفية

يرى القديس باسيليوس الكبير أن الانشغال بالحرفية في الوصية، خاصة ما ورد في العهد القديم مثل التساؤل عن أكل لحم الخنزير أو النذر بعدم أكله هو أمر سخيف.

❖ يبدو لي أنه من السخافة أن ينذر أحد أن يمتنع عن لحم الخنزير. لتعمل أمرًا صالحًا أن تُعلم البشر أن يمتنعوا عن النذور والوعود الغبية... ليس شيء من خليقة الله تقبله بشكر يُرْفَض. فإن النذر سخيف والامتناع (عن أكل لحم الخنزير) أمر غير ضروري<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## عشرة التعدي على الوصية

يرى القديس باسيليوس الكبير أن التعدي على الوصية وعدم حفظها في حياة المؤمن، سببه

الآتي:

١. التركيز على المظاهر الخارجية، مع عدم الاهتمام بنقاوة القلب وتقديس الداخل.

٢. التسبب والتراخي وعدم الاكتراث، أي الاستهانة بطول أناة الله.

٣. طلب مديح الناس لا مجد الله.

٤. الكبرياء والتشامخ بالبر الذاتي.

٥. الاتكال على الذراع البشري، لا على الرب إلهنا.

❖ إذ كان الخطر يُصاحِب قانون الوصية التي هي فخرنا، فلنتذكر قول الرسول: "خير لي أن أموت من أن يُعطل أحد فخري" (١ كو ٩: ١٥). ويقول بإسهاب أكثر في موضع آخر: "من سيفصلنا عن محبة المسيح، أشدّة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عُري أم خطر أم سيف؟" (رو ٨: ٣٥). هنا نتعلم بتعبير أقوى أن نطيع الوصايا، وكيف نُظهر محبتنا الشديدة لله الذي قال: "إن أحبني أحد يحفظ كلامي" (يو ١٤: ٢٣)، كما أيضًا في مواضع أخرى. ولأجل أن تتسكب الراحة في نفوسنا...

<sup>1</sup> Letter 286 to the Commentariensis (مراقب السجن أو مسجل السجن)

<sup>2</sup> Letter 199 to Amphilochius Canonica Secunda, 28.

من هذه الآيات يتضح أن من يتعدى ولو على وصية واحدة، سيخضع للحكم العام، إذ أعلن الرب: "من ردلني ولم يقبل كلامي، فله من يدينه في اليوم الأخير" (يو ١٢ : ٤٨). والكلمات التي تلتها أكثر رعباً... (يو ٣ : ٣٦)<sup>١</sup>.

❖ كما تقودنا نصوص الكتاب المقدس لفهم أن العثرة هي كل ما يجذبنا بعيداً عن التقوى الحقيقية بأية صورة من صور الانحراف، أو ارتكاب الأخطاء، أو عدم مراعاة التقوى. بصفة عامة هي كل ما يعوقنا عن حفظ الوصية، حتى ولو كان نتيجة ذلك الموت<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

### الوصية الإنجيلية والناموس

غاية الناموس أن يقودنا إلى الإيمان بالمسيح المخلص، وهذا هو غاية كرازة التلاميذ والرسول بالإنجيل أن ندخل إلى المسيح ونسمع له ونصير أيقونته. يقول السيد المسيح: "لا تظنوا إنني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل" (مت ٥ : ١٧). يرى القديس يوحنا الذهبي الفم أن السيد المسيح لم يكمل الناموس في نفسه فحسب، وإنما يكمله أيضاً فينا، قائلاً: [هذا هو العجب ليس أنه هو حَقَّق الناموس، بل وهبنا نحن أيضاً أن نكون مثله، الأمر الذي أعلنه بولس بقوله: "لأن غاية الناموس هي المسيح للبر لكل من يؤمن" (رو ١٠ : ٤)، كما قال: "دان الخطية في الجسد، لكي يتم حكم الناموس فينا، نحن السالكين ليس حسب الجسد" (رو ٨ : ٣ - ٤) وأيضاً: أفنبتل الناموس بالإيمان؟! حاشا! بل نُثبِت الناموس" (رو ٣ : ٣١). فإنه ما دام الناموس كان عاملاً لكي يُبَرَّر الإنسان، لكنّه عجز عن تحقيق ذلك. جاء (المسيح) ودخل بالإنسان إلى طريق البر بالإيمان مثبتاً غاية الناموس. ما لم يستطع الناموس أن يُتممه بالحروف تحقّق بالإيمان، لهذا يقول: "ما جئت لأنقض بل لأكمل"<sup>٣</sup>.

❖ لا نظن أن الرب قد جاء ليُحطِّم الناموس والأنبياء، إنما ليُتمِّمهم ويضيف إليهم ما هو أكثر كمالاً (مت ٥ : ١٧؛ رو ٣ : ٣١)<sup>٤</sup>.

❖ كما أن الناموس يحرم الأعمال الشريرة، هكذا الإنجيل يمنع إيواء الرذائل نفسها المختفية في النفس (مت ٥ : ٢١ - ٢٢)<sup>٥</sup>.

<sup>١</sup> القديس باسيليوس الكبير: المعمودية المقدسة، ترجمة وإعداد الراهب القمص مرقوريوس الأنبا بيشوي.

<sup>٢</sup> القديس باسيليوس الكبير: المعمودية المقدسة، ترجمة وإعداد الراهب القمص مرقوريوس الأنبا بيشوي، ص ٩٩

<sup>٣</sup> In Matt. hom 16:3.

<sup>٤</sup> Morals Rule 42:1.

<sup>٥</sup> Morals Rule 43:1.

يظهرون البر حسب الإنجيل الأعظم مما ورد في الناموس لا يمكن أن يحسبوا أهلاً  
للسماوات (مت ٥: ٢٠).<sup>١</sup>

الناموس جزئياً، ويطلب الإنجيل الاستقامة الكاملة في كل عمل صالح (لو ٨).<sup>٢</sup>

الله بالأمانة؛ ماذا يعني هذا؟ إن السماوات وأنظمتها تجدها نمرشداً إلى الإيمان، فإنها  
تشهد لصانعها. وإن رأيتم نسق الأرض، فإنها تزيد إيمانكم بالله. مع هذا فإنه ليس من خلالنا  
نحن بعبودتنا الجسدية نؤمن به، وإنما بقوة العقل ندرك غير المنظور خلال دلائل المنظورات.<sup>٣</sup>

**القديس باسيليوس الكبير**



<sup>1</sup> *Morals Rule 43:3.*

<sup>2</sup> *Morals Rule 43:2.*

<sup>3</sup> *On Ps. 32. no. 3.*



## أسئلة عن الوصية الإلهية

ما هو الموقف مع من يُنفذ الوصية بدون إخلاص قلب؟

❖ مَنْ يقوم بتنفيذ وصية الله بدون إخلاص، لا يُمنع. ففي المظهر يبقى كمن يُتمّ تعليم الرب بكل استقامة. ومع أنه ليس أحد يخطئ بسبب هذا العمل ذاته، بل قد ينتفع البعض منه، لكن مثل هذا الشخص يلزم نصحه، لكي يكون دوافعه مُتَّفِقة مع عمله الصالح... (يُقَدِّم لنا الرسول بولس كمثال عملي) "أما قوم فعن حسب خصام يكرزون بالمسيح، وأما قوم فعن مسرّة. فهؤلاء عن تحزّب ينادون بالمسيح لا عن إخلاص، ظانين أنهم يضيفون إلى وثقي ضيقًا. وأولئك عن محبة، عالمين إني موضوع لحمية الإنجيل. فماذا غير أنه على كل وجه، سواء كان بعلة أم بحق يُنادى بالمسيح، وبهذا أنا أفرح بل سأفرح أيضًا" (في ١: ١٥ - ١٨)¹.

القديس باسيليوس الكبير

هل من يتعمّد الهروب من معرفة إرادة الله هذا يعفيه من المسؤولية؟

❖ سؤال: إن سمع أحد قول الرب: "ذلك العبد الذي يظن إرادة سيده ولا يستعد ولا يفعل بحسب إرادته، فيضرب كثيرًا. ولكن الذي لا يعلم، ويفعل ما يستحق ضربات، يضرّب قليلاً" (لو ١٢: ٤٧ - ٤٨)، لكنه لا يهتم أن يعرف إرادة الرب، فهل له أي عذر؟

الإجابة: مثل هذا نزع إلى الجهل، فلا يهرب من الحُكم على خطيته. يقول الرب: "لو لم أكن قد جنّت وكلمتهم، لم تكن لهم خطية، وأما الآن فليس لهم عذر في خطيتهم" (يو ١٥: ٢٢). هكذا يُعلن الكتاب المقدس في كل موضع إرادة الله للكل. لهذا فإن مثل هذا الشخص لا يُدان مع الجهال قليلًا، بل بالحري يُدان بأكثر شدة مع الذين كُتِبَ عنهم: "مثل الصلّ الأصم يسد أذنه، الذي لا يستمع إلى صوت الحواة الراقين، ليُشفَى بدواء يُعده الحكيم" (مز ٥٨: ٤ - LXX ٥).

أما الذي عُيِّنَ لنشر كلمة الله ويُهمل في الإعلان عنها، فإنه يُدان كقاتل النفوس كما هو مكتوب (حز ٣٣: ٨)².

القديس باسيليوس الكبير

¹ *Morals Rule 19:2.*

² *Regulae brevius tractatae, 45.*

سؤال: كيف يمكن لمن صار متراخياً في الوصية، أن يسترد غيرته ويقتضه؟

الإجابة: بالافتناع بحضرة الرب الإله الذي يسهر على كل الأشياء في كل مكان، وأن يضع أمام عينيه التهديد ضد المتراخين، والرجاء بمكافأة عظيمة من الله، الذي وعد بها خلال ولس الرسول، قائلاً: "كل واحدٍ سيأخذ أجرته بحسب تعبته" (١ كو ٣: ٨)، والعبارات المشابهة التي تشجع على الغيرة والصبر من كل أحدٍ لمجد الله<sup>١</sup>.

سؤال: ماذا إن أوصي أحد فرفض الوصية، لكنه بعد ذلك ترك رفضه هذا بإرادته وتَمَّ الوصية؟ (مت ٢١: ٢٩).

الإجابة: برفضه يُعتبر مُعارضاً (للوصية)، ومُثيراً للآخرين ليُمارسوا شرواً مُماثلة. ليته يدرك أنه يخضع لهذا الحكم: "المُعارض يُثير كل شرٍ، فيُطلق الرب عليه رسول قاسي" (راجع أم ١١: ١١). لهذا فيقتنع إنه لا يقاوم إنساناً أو يطيعه، إنما الرب القائل: "الذي يسمع منكم يسمع مِنِّي، والذي يردلكم يردلني" (لو ١٠: ١٦).

أما بتذكُّره الوصية، فأظهر ندامة، فليعتذر أولاً وبعد ذلك إن سُمح له، يُتَمَّ العمل<sup>٢</sup>.

سؤال: ماذا إن أطاع، لكنه يتذمَّر وهو يعمل؟

الإجابة: إذ يقول الرسول: "افعلوا كل شيء بلا دممة ولا مجادلة" (في ٢: ١٤). المُتذمَّر يحرف عن وحدة الإخوة، وربما لا يستخدمون عمله. لأن مثل هذا واضح أنه مُصاب بقلة الإيمان وعدم ثباته في الرجاء<sup>٣</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

سؤال: كيف يمكن أن يُتَمَّ إنسان وصايا الرب بوازعٍ داخليٍّ وبغيرة؟

الإجابة: بالطبيعة، خلال خبرة ما هو حلٌّ ونافع، وتوقُّع أي شيءٍ من هذا النوع، يُولد في النفس وازع وشوق إليه.

لذلك إن أبغض أحد الإثم ومقته (مز ١١٩: ١٦٣)، وتطهَّر من كل خطية - فكما عندما يلفد الجسم الشهية ولذَّة الطعام بسبب مرض، هكذا خلال مرض الخطية تعاني النفس من السلاطة والنفور من أحكام الله البارّة.

وإن اقتنع أحد تماماً أن وصية الله هي حياة أبدية (يو ١٢: ٥٠)، وأن كل المواعيد التي للدين يحفظونها هي حق، عندئذ بهذا يعمل الوازع فيه، إذ قيل: "أحكام الرب حق عادلة كلها.

<sup>١</sup> Regulae brevius tractatae, 37.

<sup>٢</sup> Regulae brevius tractatae, 38.

<sup>٣</sup> Regulae brevius tractatae, 39.

أشهى من الذهب والحجارة الكريمة جداً، وأحلى من العسل وقطر الشهاد. أيضاً عبدك يُحذّر بها، وفي حفظها ثواب عظيم<sup>١</sup> (مت ١٢ - ١٤).

❖ سؤال: من هو (الذي يدعى

ولا يطفأ الآخر) (مت ١٢: ٢٠)؟

الإجابة: حسب ان العهد

مُعِين. لا يجوز لأحد أن يكسر

"احترزوا من أن تصنعوا صدقة

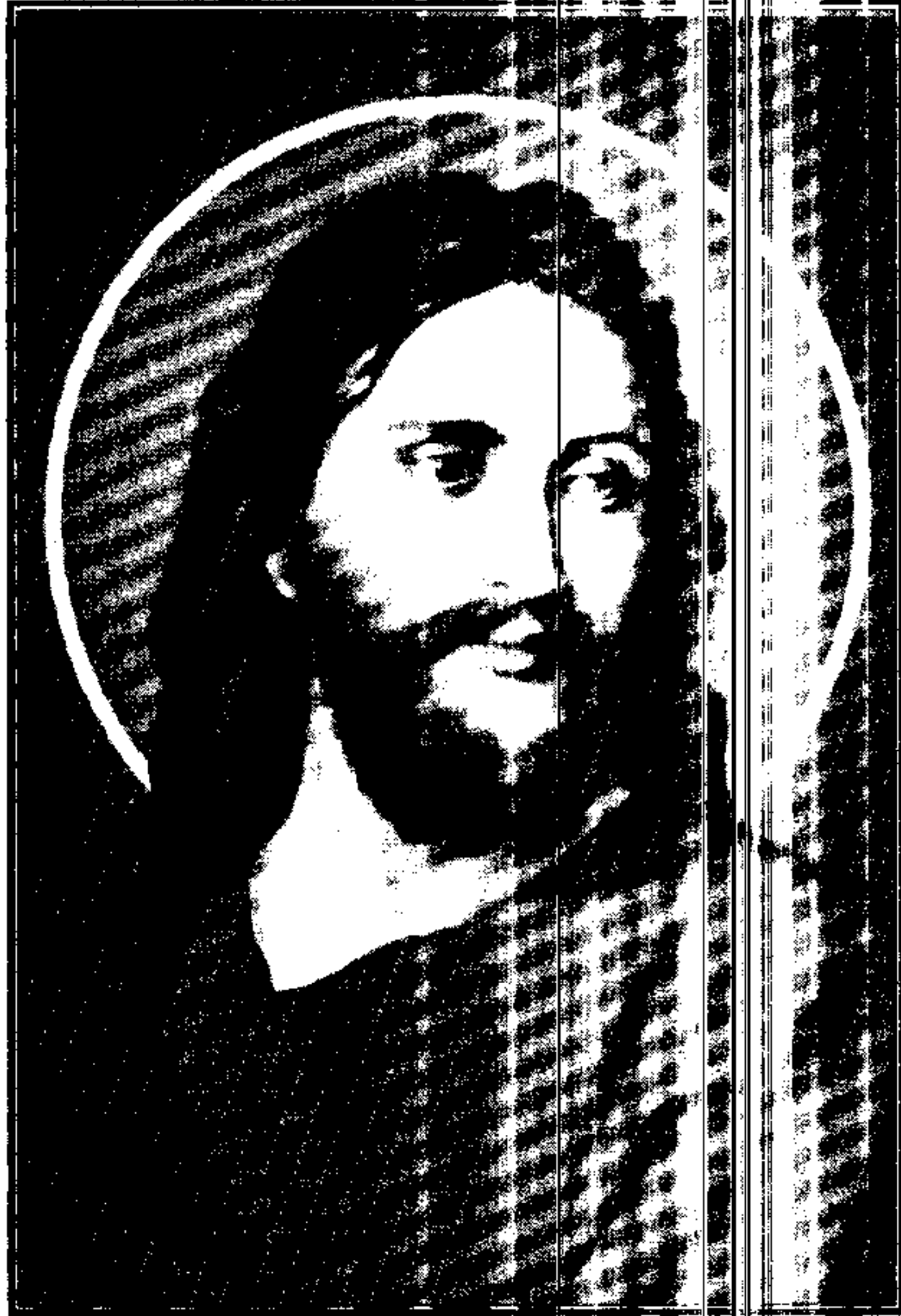
"افعلوا كل شيء بلا دنس

أو بعجب" (في ٣: ٣).

والفتيلة المدخنة هي أرواح

نظام، ويلزمنا ألا نكبح متى

نظام، ويلزمنا ألا نكبح متى



<sup>1</sup> Regulae brevius tractatae, 174.

<sup>2</sup> Regulae brevius tractatae, 291.

## الحياة المقدسة والتوبة

١. التوبة والاعتراف عند القديس باسيليوس الكبير.
٢. أسئلة حول التوبة.
٣. صلاة من أجل التوبة للقديس باسيليوس الكبير.
٤. الدموع عند القديس باسيليوس الكبير.
٥. حول رسالتين تدعوان إلى التوبة.



## التوبة والاعتراف

عند

القديس باسيليوس الكبير

إذ سجّل لنا القديس باسيليوس الكبير عمله الرائع "الأخلاقيات Morals"، افتتحه بالحديث عن التوبة، فإن جوهر إنجيلنا المُفرح هو التمتع بملكوت السموات، خلال لقائنا مع الله مُحب البشر، ورجوعنا إليه بالتوبة.

### ربنا يسوع محب الخطاة والعشارين

الإنجيل بشارة مُفرحة، سرّ بوجدتها أنها تضمد النفوس التي جرحتها الخطية، وتُطَيّب خاطرهم. لقد جاء ربنا يسوع الذي دُعي بحق محب للخطاة والعشارين. ومع كونه ديان العالم، جاء ليُخلّص لا ليدين، جاء إلى كل نفس بلا استثناء، يترفق ويحنو، يتوق أن يعود بالكل إلى أحضانه، مهما بلغت شرورهم.

إنه الطبيب الحنون الذي فتح أبواب الفردوس أمام لصٍ حسبته البشر لا يستحق أن يعيش في العالم، وقبل امرأة شريرة خرج كثيرون يحملون حجارة لرجمها. يستضيف نفسه بنفسه عند رئيس للعشارين قاسي القلب محب للمال، رغم تذرُّم الجموع ضده! يعرف كيف تذل الخطية الإنسان فيترفق بالخطاة، لا يُعاتب ولا ينتهر إنسانًا مُنكسر القلب. "لا يصيح ولا يسمع أحد في الشوارع صوته". قصة مرضوضة لا يقصف، وفتيلة مدخنة لا يطفئ" (مت ١٢: ١٩-٢٠).

إنه يُحبك ويُحبني، حتى في لحظات عصياننا عليه، وتجديفنا على اسمه، يتوق أن نرجع لنتمتع به. يقف يقرع لعنا نتحنن عليه، فنُعطيه القلب الذي له، الذي اشتراه بدمه، وإن لم نعطه، ما هو له، لا يجبرنا على الدخول، بل يفتك باكبنا كما وقف عند دخوله إلى أورشليم.

في رقة بالغة ينادي، ويكرّر النداء. "صوت حبيبي قارعًا. افتحي لي يا أختي، يا حبيبتي، يا حمامتي، يا كاملتي! لأن رأسي امتلأ من الطل، وقصصي من ندى الليل" (نش ٥: ٢). يقف أمام النفس وراء الحائط الذي صنعه لنفسها (نش ٢: ٩) بإرادتها الذاتية، يرجوها أن تفتح له. لا يكلمها عن أفضاله عليها من برديات زمنية وروحية ولا عن احتياجها له كخالق وفادٍ ومُخلّصٍ وديانٍ ولا يُعاتبها على ما صنعه منها، ولا يزدري بها بالرغم من نجاستها وعدم استحقاقها له، بل

ذوية يدعوها: "يا أختي، يا حبيبتي"، ثم يعود فيُشجّعها، فيكشف لها عن جمال داخلها المخفي  
قائلاً "يا كاملتي".

ألم ير ربنا يسوع في زكا العشار حباً، وفي المرأة الزانية التي جاءت في بيت سمعان الفريسي  
أحبّت كثيراً، وفي السامرية الشريرة أنها صادقة؟! إنه يُشجّع نفوس المُنكسرين بالرغم من  
أثامهم وشرهم.

إنه يطلب مأوى ومسكناً وهو متألم، لقد مد يده من الكوة، ليكشف جراحاته وآلامه من أجلنا،  
لعل أحشائنا تتن عليه. إذ راحته ولدته في بني آدم التائب.

### حُبُّ بلا تدليل

وماذا أقول عن حُبِّ ربنا يسوع ورقته ولطفه مع الخطاة؟! إنه يريد أن يُقيم ملكوته فيهم، فإنه  
ليحبهم ببعيد عنهم، هو أقرب إليهم من نفوسهم. والوسيلة سهلة وبسيطة جداً "توبوا لأنه قد اقترب  
ملكوت السموات" (مت ٣ : ٢).

بقدر ما كانت أحاديث الرب وأمثاله علناً وخفية تدور حول الملكوت، كان أيضاً يؤكد ذلك  
الطريق: الحاجة إلى "التوبة" فإنه لا معرفة للملكوت بغير "توبة". وبقدر رفته نحو الخطاة التائبين  
ولطفه معهم، بقدر ما بدا قاسياً مع قساة القلوب غير الراغبين في التوبة.

لقد ترفق بالخطاة والزناة واللصوص، لأنهم تاقوا أن يتوبوا، لكنه وبخ وانتهر الكتبة والفريسيين  
الذين أصروا في عنادهم على عدم التوبة.

بالحُبِّ يُقدّم الرقة لمنكسري القلوب، وبالحُبِّ يستخدم التوبيخ والتعنيف بلا تدليل. إنه حنون  
جداً ومهوب جداً أيضاً. وهكذا يليق بخُدامه وتلاميذه أن يكون لهم روحه، يحبون ولكن في  
حزم، يطيبون خاطر المنكسرين ولكن بلا تملق.

يليق بنا ألا نستهيّن بطول أناة الله، فنتهاون مع الخطية مُتكلّين على أن المُخلّص مُحِبُّ  
البشر وغافر الخطايا. وكما يقول الرسول بولس: "أم تستهيّن بغنى لطفه وإمهاله وطول أناته غير  
عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة (رو ٢ : ٤).

من يُؤدّب على خطاياهم القديمة وينال المغفرة، فليعدّ نفسه لغضبٍ أشد من الأول إن أخطأ  
ثانية... "ها أنت قد برئت، فلا تخطئ أيضاً لئلا يكون لك أشر" (يو ٥ : ١٤)'.<sup>١</sup>

القديس باسيليوس الكبير

<sup>١</sup> Morals, Rule 11: 2.

## تقديم كلمة الله

الراعي في عطفه على أولاده، يكون مسوقًا في ذلك بروح الفادي فيه لتمكينهم من تمتعهم بالخلاص كأبناء لله، فينبغي أن يهتم الراعي بالخدمة التي يقدمها لهم، وأبيهم.

لذلك وإن كان لزامًا على الكاهن أن يسعى لإرضاء الكل في كل شيء (١ كو ١٣: ٤)، لكن ليس على حساب إرادة الفادي المُعلن في كلمات الله على فمه. فهو بذلك لا يود كسب حب الناس له، وإنما يكسبهم لفاديتهم الذي يهبهم نفسه بكونه الحق والحياة.

رسالة الراعي إذا أن يختفي وراء واهب الحياة - كلمة الله - الذي وحده يقدر أن يرعى الإنسان الميت بالخطية ويُقيمه وهو بعد في العبر مدفونًا مهما بلغت نتانته.

عمل الراعي أن يُعلن بقلبٍ صادق كلمة الإنجيل، الرسالة المُفرحة التي تسند النفوس التي أدلتها الخطية. يُعلنها كما هي بلا تزيين ولا تحريف ولا تأويل. يُقدّم السيد المسيح، القائل: "من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني، فله حياة أبدية، ولا يأتي إلى دينونة، بل قد انتقل من الموت إلى الحياة" (يو ٥: ٢٤). وكما يقول الله على لسان النبي: "هكذا تكون كلمتي التي تخرج من فمي، لا ترجع إليّ فارغة، بل تعمل ما سررت به وتنجح في ما أرسلتها له" (إش ٥٥: ١١).

هذه الكلمة هي نور، تنير البصيرة، وتبديد ظلمته، فيشتاق للالتصاق بالله، ويستيقظ ضميره ويوبخه على كل فكرٍ أو كلمة لا تليق بأولاد الله.

فالراعي الحقيقي، إذ يُقدّم الكلمة بلا محاباة للوجوه، يطلب ثمرتها التي لأجلها تجسد كلمة الله وهي التوبة "وتوبوا وأمنوا بالإنجيل" (مر ١: ١٥). وبذلك تصير رسالة الراعي تقديم يسوع كفادي ومُخلص له ولراعيته.

لهذا تخرج كلمات فمه في حب، لكن بحزم بلا رخاوة أو تساهل في كلمة الله القوية القادرة أن تدخل إلى أعماق النفس لتهزها وتبكيها وتسحقها. وإلا سمع ذلك التوبيخ "أنبياؤك رأوا كذبًا وباطلاً ولم يعلنوا إثمك ليردوا سبيك، بل رأوا لك وحبًا كاذبًا وطوائج" (مرا ٢: ١٤). وسمع تقريرات النبي للرعاة المُتملقين الذين عوض توبيخهم للخطاة يضعون لهم وسائل حتى يسمعون كلمات المدح ويكسبون عطفهم وحبهم، "ويل للواني الذين يضعون وسائل لكل أوصال الأيدي، ويضعن مخدات لرأس كل قامة لاصطياد النفوس" (حز ١٣: ١٨).

هكذا يلزم للراعي أن يكون حازمًا، فيغضب لكن ليس ضد رعيته، إنما ضد العدو (الخطية) لحماية الرعية. وفي الحزم ينكشف الأبناء الذين يتجاوبون مع روح الحق ويرحبون بالخدمة، وينكشف

أغرياء الذين دخلوا إلى الإيمان خلصة الذين يطلبون "الناعمات" (إش ٣٠: ٩ - ١١). هؤلاء ينبغي أن نرفع عنهم صلوات، حتى يخضعوا للحق ويعودوا إلى صفوف الرعية.

هذا الروح - روح الحب الحازم - نراه بصورة واحدة في الرسالتين التاليتين للقديس باسيليوس، هما موجهة إلى راهب ساقط، والأخرى إلى عذراء ساقطة. ليعطينا الرب أن تكون الكلمات مثمرة لنا نحن أيضاً، قائمين من سقوطنا نامين في كل عمل صالح.

## الجانب الإيجابي للتوبة

يميل القديس باسيليوس إلى الاهتمام بالأكثر بالعمل الإيجابي، وإن كان لا يتجاهل الحرص بالاهتمام بالجوانب السلبية.

يبرز العمل الإيجابي في الآتي:

١. عوض مقاومة الخطايا والشروع بمجرّد محاولة الامتناع عنها، يبدأ المؤمن بطلب نعمة الله لاستبدال الطاقات التي تحوّلت إلى آلات للشركي تصير آلات بئاءة لحساب ملكوت الله. • فمن يستخدم فكره أو لسانه في التجديف، يستخدمهما في الشكر والتسبيح لله. هكذا يجد في معالجته لأخطائه وضعفاته فرصة ليغرف من نعمة الله للعمل لحساب ملكوت الله. • الذي اعتاد على السرقة، لا يحطّم وقته عند الامتناع عن السرقة، إنما يُقدّم خيارات للمحتاجين والمتألمين، حاسباً أن كل إمكانياته هي هبة من الله قدّمها له لحساب إخوته في البشرية. • عوض أن يتوقّف عن المُسكر، يُمارس الصوم عن المُسكر والطعام والشراب. • ٢. لا يُفسد المؤمن وقته في انشغاله بماضيه أو هيامه في تصوّرات خيالية عن المستقبل، إنما يحيا الآن في خبرة عربون الأبدية.

٣. اهتمامه بالعمل الجماعي والعبادة الجماعية البئاءة.

إن الذي أخطأ في جسده يلتزم باستعمال الجسد في التعويض والتكفير.

إنك جدّفت، فعليك أن تُسبّح الله بفمك.

إنك سرقت، فعليك أن تُعوّض بالحسنة.

إنك شربت المُسكر، فعليك أن تصوم.

إنك تكبّرت، فعليك أن تتواضع.

إنك حسدت الغير، فعليك أن تُصَلّي من أجل من حسدته.

إنك ربّما قتلت، فعليك أن تتحمّل ألم الاستشهاد، وأن تُرهِقَ جسدك بالإماتة<sup>١</sup>.

١. الياس كويتر المخلصي: القديس باسيليوس الكبير، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، ١٩٨٩، ص ٧٠.



❖ بالحق كل الحياة البشريّة تقوم على التوبة، لا تقتنع بما قد عبر، ولا تقتات على الماضي كما على المستقبل. إذ كيف يكون الإنسان في حال أفضل لو أن معدّته كانت ممثلة بالأمس بينما لا يجد اليوم ما يُشبع جوعه كما يلقى؟ بنفس الطريقة، فإن النفس لا تريح شيئًا بفضيلة الأمس ما لم يتبعها سلوك لائق اليوم.<sup>1</sup>

❖ إذ يبدأ اليوم في بزوغ الفجر ليجتمع الكل كما بفمٍ واحدٍ وقلبٍ واحدٍ، ويرفعون للرب مزموراً الاعتراف (مز ٥٠)، فيحسب كل واحدٍ منكم أن كلماته لتوبته هو<sup>2</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## الحاجة إلى التوبة

حياتنا في هذا العالم هي هبة من الله، حيث تُحسب رحلة في رقة الله، تُمارس فيها التوبة حتى نعبّر إلى المجد الأبدي. التوبة هي طريق الدخول إلى الملكوت والتمتع بالمجد الأبدي.

❖ الذين يؤمنون بالرب يلزمهم أولاً أن يُقدّموا توبة حسب بشارة يوحنا ورّينا يسوع المسيح (مت ٤: ١٧). فإن الذين لا يتوبون الآن، ينالون عقوبة أشد من أولئك الذين أُدينوا قبل وقت الإنجيل (مت ١١: ٢٠ - ٢١)<sup>3</sup>

❖ الحياة الحاضرة هي زمن التوبة وفران الخطايا، وفي الحياة العتيدة يأتي زمن الدينونة العادلة.<sup>4</sup>  
❖ بعد الرحيل من هذه الحياة، لا توجد فرصة للأعمال الصالحة، حيث أن الله في طول أناته يمدنا بالحياة الحاضرة لممارسة الأشياء التي ترضيه.<sup>5</sup>

القديس باسيليوس الكبير

## التوبة عمل مستمر

بينما كان رئيس الأساقفة باسيليوس يُعاني من الأمراض المتوالية، كان يشعر بحاجته المستمرة لحياة التوبة. ففي عام ٣٧٣م كتب إلى بوسابيوس أسقف ساموساطا:  
[إنها جلادات من الرب أن يزداد المي حسب استحقاقاتى. لهذا فإنى أتقبل مَرَضًا فوق مرضٍ، حتى إن نظر طفل إلى قوقعة (جسمي). يشعر حتمًا بنهايتي، ما لم تتدخل رحمة الله، فتهدني بطول أناته زمنًا للتوبة.

<sup>1</sup> Letters, 42:1.

<sup>2</sup> Mike Aquilina: *The Way of the Fathers*, Indiana 2000, article 420.

<sup>3</sup> *Morals, Rule, 1:1.*

<sup>4</sup> *Morals, Rule, 1:2.*

<sup>5</sup> *Morals, Rule, 1:5.*

والآن كما كان يخدمه كثرة الخطايا والأعمال السيئة، غلبت ضرورته وتوق الرحمة البشرية. هذا يحدث حسب مسرته لصالحه<sup>1</sup>.  
[... أن لا يأخذ منه مخلصاً من السماء...]

❖ "ليس أحد بلا وصحة، ولو كانت حياته يوماً واحداً" (أي ١٤ : ٤). يثن داود قائلاً: "بالآثام خبل بي، وفي الخطايا ولدني أمي" (مز ٥١ : ٥). أيضاً يعلن الرسول: "إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله، متبرزين مجاباً بظلمة الفساد الذي يتسوع المسيح، الذي تكلم الله كقارة بالإيمان بدمه" (رو ٣ : ٢٣-٢٥). تلك هي **عنوان الخطايا** يملح للذين يؤمنون، إذ قال الرب نفسه: "هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا" (مت ٢٦ : ٢٨).  
[...]

**القديس باسيليوس الكبير**

### الاعتراف

اعترافنا بخطايانا أمام الله في مخاضه، وأيضاً في حضور أب الاعتراف، غاية الالتقاء مع الله كطبيب للنفوس. من لا يشعر بضعفاته وخطاياهم لا يشعر باحتياجه للطبيب السموي، وبالتالي لا يختبر حنو الله ولطفه. [...]

كثيراً ما يشعر الإنسان أنه متى قورن بالآخرين يُحسب إنساناً تقياً، إذ لا يرتكب خطايا خطيرة مؤذية للآخرين. أما المؤمن الحقيقي فلا يُميز بين خطايا كبيرة وأخرى قافية، لأن ما يشغله أن يكون أيقونة المسيح، سفيراً للقدس، ووكيلاً عن السماء التي بلا عيب.

❖ من الضروري أن نعترف عن خطايانا للذين أعطى لهم تدبير أسرار الله. الذين أظهروا ندامة في القديم قدموها أمام القديسين. جاء في الإنجيل أنهم اعترفوا بخطاياهم ليوحنا المعمدان (مت ٣ : ٦)، وفي سفر الأعمال اعترفوا للرسول الذين اعتمدوا بواسطتهم أيضاً (أع ١٩ : ٢٨).  
[...]

❖ سؤال: كيف يكون التعامل مع الذين يتجنبون الخطايا الكبرى، ويتهاونون في الخطايا الأقل؟  
الإجابة: أول كل شيء يلزم أن نفهم أن هذا التمييز لا أساس له في العهد الجديد. إعلان واحد قُدّم عن كل الخطايا، عندما يقول الرب: "من يعمل الخطية، هو عبد للخطية" (يو ٨ : ٣٤)... إن كان يمكننا بأمان أن نقول عن خطية صغيرة وخطية عظيمة، فتوجد شهادة لا تقبل، الجدل مع أحد أن الخطية العظيمة هي التي تقتنص الشخص تحت سلطانها، بينما

<sup>1</sup> Letter 136 to Eusebius bishop of Samosata.  
<sup>2</sup> Concerning Baptism, Book 1, chapter 2.  
<sup>3</sup> Regulae brevius tractatae, 288.

الصغيرة فهي التي لا تبلغ اليد العليا، وذلك مثل المصارعين، فإن الأقوى هو المنتصر،  
وأما الضعيف فهو المهزوم بواسطة الأعظم منه أيًا كان<sup>1</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## التوبة والاعتراف والإرشاد

يُميّز القديس باسيليوس الكبير بين سقوط المندفعين مثل القديس بطرس وسقوط الآخرين،  
قائلًا بأن الله يسمح للمندفعين في الغيرة بالسقوط أحيانًا كعلاج لهم من الاتكال على الذات، وغالبًا  
ما يتم ذلك خفية وعن ضعف الإنسان وليس عن جحود وإصرار، أما الآخرون فيسقطون عن جحود  
وإصرار. لهذا فالأولون يحتاجون إلى عون إلهي مع رقة لإقامتهم من السقوط،  
أما الآخرون فغالبًا ما يحتاجون إلى توبيخ وتأديب حتى يدركوا أن الله ديان فيتوبون.

تحدّث عن الاعتراف في شيء من التفصيل. أمّا عن التأديب فكان حازمًا. فقد قسم الذين  
تحت التأديب إلى أربع مجموعات:

١. الباكون: يبقون خارج الكنيسة، يبكون على خطاياهم.
٢. السامعون: يدخلون الكنيسة، ولا يُسمح لهم إلا باستماع القراءات الكتابية والعظة.
٣. الراكعون: يحضرون الصلاة راكعين طوال الخدمة المقدسة، لكنهم لا يشتركون في الأسرار  
المقدسة.
٤. الواقفون: يحضرون الصلوات واقفين، دون أن يكون لهم حق التناول من الأسرار  
المقدسة.

قائمة الخطايا الخطيرة عند القديس باسيليوس التي تتطلّب الاعتراف العلني هي: الإجهاض،  
والقتل، والخطايا الجنسية، التزوج بامرأتين أو رجلين الخ. هذا وقد طالب أن يكون الاعتراف في  
بعض الحالات سرّيًا.

يشهد القديس باسيليوس أن في كنيسته توجد أربع فئات من التائبين العلنيين، وفي قوانينه  
الرهبانية يوحى لأبنائه الرهبان بالاعتراف بكل الخطايا حتى الباطنية، ويجب أن يكون ذلك أمام أب  
مُحنّك، وخاصة أمام الرئيس أو مندوب عنه. لكنه لا يقول إن هذا الرئيس أو مندوبه (بالنسبة  
للرهبان) يجب أن يكون كاهنًا ولا يتحدّث عن تحاليل، فالاعتراف الذي يتحدّث عنه بهذه الطريقة لم  
يكن اعترافًا سرّيًا، إنّما إرشاد روحي.

<sup>1</sup> *Regulae brevius tractatae*, 293.



## التأديب

يكشف الله عن حُبِّه وحنوِّه ورعايته لنا نحن الخطاة، ليس فقط حين يغفر، وإنما أيضًا حين يؤدِّب. فيتأديبه الأبوي ينقلنا من الطفولة المُدَلَّلة إلى النضوج.

بدون التأديب قد لا نشعر بخطورة الخطية، ولا نجاهد لأجل التمتع بالحياة المقدسة. فنفقد الغرض للتمتع بالنصرة ونوال الإكليل السماوي.

❖ لنعدُ ثانية إلى نفس النبي (عاموس) الذي سمعناه في بداية المقال: "وأنا أيضًا منعت عنكم المطر، إذ بقي ثلاثة أشهر للحصَّادين، وأمطرت على مدينة واحدة، وعلى مدينة أخرى لم أمطر. أمطر على ضيعة واحدة، والضيعة التي لم يُمطر عليها جفَّت. فجالت مدينتان أو ثلاث إلى مدينة واحدة لتشرب ماءً ولم تشبع. فلم ترجعوا إليَّ يقول الرب" (عا ٤ : ٧ - ٨).

يلزمنا أن نتعلَّم إذن، أنه بسبب بُغدنا عن الرب، وعدم مبالاةنا بطرقه، سبَّب الله لنا تلك الجراحات. إنه لا يطلب هلاكنا، بل بالحري يسعى أن يردُّنا إلى الطريق السليم، وذلك كما يهتم الوالدان الصالحان بأطفالهما بحزم، ينتهرانهم عندما يمارسون خطأ ما، لا لأنهما يطلبان أذيتهم، بل بالحري يرغبان في قيادتهم من الإهمال الطفولي وخطايا الصبَا لبلوغ اليقظة الناضجة<sup>١</sup>.

### القديس باسيليوس الكبير

## مثال للتأديبات

من يُخطئ مع أخته من والده أو من والدته يبقى لمدة ثلاث سنوات باكيًا خارج أبواب الكنيسة حتى يُدرك مدى خطورة ما ارتكبه، طالبًا من الداخلين إلى الكنيسة أن يذكره في صلواتهم ليجد نعمة عند الله. بعد ذلك ينضم إلى جماعة السامعين، بعد القراءات والعهدة يُطرَد من الكنيسة، ولا يُسمح له بحضور قداس المؤمنين. وبعد ذلك ينضم إلى جماعة المؤمنين.

❖ إلى متى لا نطيع المسيح، الذي يدعونا إلى ملكوته السماوي؟...

هذا هو وقت التوبة، وذاك هو وقت المكافأة.

هذا وقت التعب والمشقة، وذاك وقت نوال الأجرة.

هذا وقت الصبر، وذاك وقت الراحة<sup>٢</sup>.

<sup>١</sup> In the Time of Famine and Drought, 2.

<sup>٢</sup> Reg Fus. Introduction, 1.



❖ حين تتشغل بخطية ما، كن مُتَّهِمًا لنفسك (أم ١٨ : ١٧)، ولا تنتظر الآخرين أن يُقدِّموا الاتهام. بهذا تصير أشبه بإنسانٍ بارٍ يتَّهم نفسه في أول حديث له في المحكمة، أو تكون كأيوب الذي لم يَعْقه جمهور الشعب في المدينة عن الإعلان عن جريمته أمام الكل<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## توبة أهل نينوى

اتَّسَمَت كتابات القديس باسيليوس بالاهتمام بالجانب العملي الواقعي، لذلك يميل في كتاباته إلى تقديم أمثلة عملية من العهدين القديم والجديد. يُقدِّم مثلاً هامين في العهد القديم، وهما توبة أهل نينوى كمدينة وثنية فاسدة، وتوبة داود النبي كملكٍ لشعب الله ونبي سقط في خطايا خطيرة لم يسقط فيها قبل توليه العرش. بالنسبة لأهل نينوى، فقد نجحوا في الالتجاء إلى الأطفال أن يصرخوا إلى الله، هؤلاء الذين لا يعرفون يمينهم من شمالهم، ولهم دالة خاصة لدى الله. ما أروع أن يشترك أطفالنا حين نُقدِّم توبة جماعية.

يُقدِّم لنا القديس باسيليوس الكبير توبة أهل نينوى نموذجًا ساميًا للتوبة:

❖ آه، يا لانسجام التوبة! يا له من حزن حكيم وقوي! إنهم لم يتركوا الحيوانات خارجًا عن التدبير، إنما بطرقٍ بديعة ألزموها أن تصرخ هي أيضًا. لقد عزلوا العجل من أمه، وحرّموا الحمل من الرضاعة.

أخذوا الأطفال الرُّضَّع من أذرع أمهاتهم. وُضِعَ الأمهات في موضع، والأطفال في موضعٍ آخر، يدعون بعضهم البعض، ويجيبون بأصواتٍ حزينة. يطلب الرُّضَّع الجائعون مصدر لبنهم، بينما تُنخَس الأمهات بغريزة الأمومة، يصرخن نحو أطفالهن بأصوات مغمومة. يصرخ الرُّضَّع الجائعون، فقد أمسكت بهم صرخات استغاثة مُرَّة، أما قلوب الأمهات، فكانت مُعذَّبة بآلام العاطفة الطبيعية. لهذا فإن الكلمة الموحى بها حفظت توبتهم نموذجًا جامعياً عن كيفية الحياة.

حزن الشيوخ بسبب التأديب الذي هُدِّدوا به، كانوا في مرارة، وهم في شيبتهم.

ينوح الصبيان والصغار بأكثر حرقه.

يتنهَّد الفقراء، بينما نسي الأغنياء راحتهم، وارتدوا المسوح التي تليق بالحزاني.

ترك ملك نينوى نفسه مجده وسموه مُتَّجِهًا نحو الخزي. ترك تاجه، ووضع ترابًا على رأسه، ونزع الثوب الملوكي والتَّحَفَ بالمسوح. ترك مجده العالي المجيد، وزحف على الأرض في

<sup>١</sup> On Humility.

مسكنة. ترك الترف الخاص به كملك، لكي يحزن مع الشعب. صار واحداً منهم عندما رأى غضب سيد الكل<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## الطوباوي داود نموذج للتوبة

❖ مَنْ يُصَلِّي بمجاري من الدموع، لكي يتقبل عواصف من الأمطار في الوقت المناسب؟ مَنْ يغسل الخطايا متمثلاً بالطوباوي داود، الذي سكب الدموع على سريره؟ من غسل أقدام الغرباء، وشطف تراب السفر، حتى في وقت الاحتياج يشفع هذا الشخص لدى الله، طالباً وَقْفَ الجفاف؟ من يسند طفلاً محروماً من الوالدين، لكي ما في مقابل هذا يمدّه الله بالقمح، كيتيم تَحَطَّم بريح مضادة؟ من يهتم بأرملة أصابتها مصاعب الحياة حتى ترد إلينا المعونات التي يحتاج إليها؟ مَزَّقوا العقود الظالمة، حتى تُحَل أيضاً الخطايا. ارفعوا الديون التي بفوائد باهظة، حتى تأتي الأرض بالثمار العادية<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## التوبة والصوم

❖ لو مارست حواء الصوم، وتجنبت الأكل من ثمر هذه الشجرة، ما كُنَّا في حاجة إلى هذا الصوم لأنه "لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى" (مت ٩: ١٢). فخطيتنا هي التي جلبت علينا المرض. فدعونا إذا نُشْفَى بالتوبة، غير أن التوبة بدون ممارسة الصوم هي باطلة "ملعونة الأرض بسببك. وشوكاً وحسكاً تُثبِت لك، وتأكل عشب الحقل" (تك ٣: ١٧-١٨)<sup>٣</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>1</sup> In the Time of Famine and Drought, 3.

<sup>2</sup> In the Time of Famine and Drought, 4.

<sup>3</sup> الصوم المقدس للقديس باسيليوس الكبير، ترجمة دكتور جورج عوض ودكتور سعيد حكيم، عظة ١

## أسئلة حول التوبة

بين مشاعر البائس في خطاياهِ وبهجة التائب

❖ سؤال: بأي خوفٍ ودموعٍ يلزم للنفس التي تعيش ببؤسٍ في خطايا كثيرة، وبأي رجاءٍ ونزعةٍ يلزمها أن تقترب من الرب؟

الإجابة: يلزمها في المكان الأول أن تبغض طريق حياتها القديم الباعث على الأسى، وترتعد وتشمئز من مُجرّد ذكره، إذ مكتوب: "أبغضت الإثم ومقته، أما شريعتك فأحببتها" (مز ١١٩: ١٦٣).

ثانياً: لتحسب التهديد بالدينونة الأبدية والعقاب مُعلّماً للخوف، وتتعرّف على زمن الدموع كزمن التوبة كما علّمنا داود في المزمور السادس (مز ٦: ٧ - ٩)، فتسلك هكذا في فيض الدموع، تغسل خطايانا خلال دم المسيح بعظمة مراحم الرب وكثرة حنوّه، القائل: "إن كانت خطاياكم كالقرمز اجعلها تبيض كالثلج. وإن كانت كالدودي اجعلها بيضاء كالصوف" (إش ١: ١٨).

بعد أن تتال القوة والقدرة أن تسر الله، تقول: "عند المساء يببب البكاء، وفي الصباح ترئم" (مز ٣٠: ٥) حوّلت قرعات الصدر إلى فرح لي، حللت مسحي، ومنطقتي فرحاً لكي يرئم لك مجدي (مز ٣٠: ١١ - ١٢). بهذا تقترب إلى الرب مُغنية بالمزامير، قائلة: "أعظمك يا رب، لأنك نشلتني، ولم تُشمت بي أعدائي" (مز ٣٠: ١).

القديس باسيليوس الكبير

### بغض الخطية

❖ سؤال: كيف يمكن للشخص أن يبلغ إلى كراهية الخطايا (مز ١١٩: ١٦٣)؟

الإجابة: تثور الكراهية في الناس من الأحداث البغيضة والمُحزنة نحو الذين يُسببون مثل هذا الاضطراب. لذلك إن كان أحد مُقتنعاً تماماً بخطورة الشرور الكثيرة التي تُسببها الخطايا، فإنه تلقائياً وبدون أن يحثه أحد، وبنزعة داخلية يختبر الكراهية لها، وذلك كما أظهر القائل: "أبغضت الإثم ومقته" (مز ١١٩: ١٦٣).<sup>٢</sup>

القديس باسيليوس الكبير

<sup>1</sup> Regulae brevius tractatae, 10.

<sup>2</sup> Regulae brevius tractatae, 11.

## هل غفرت خطاياي؟

❖ سؤال: كيف تقتنع النفس تمامًا أن الله يغفر لها خطاياها؟

الإجابة: عندما تلاحظ في داخلها نزعة ذاك القائل: "أبغضت الإثم ومقته" (مز ١١٩: ١٦٣). عندما أرسل الله ابنه الوحيد لغفران خطايانا يغفرها لنا ما دمنا نؤمن بدوره. يترنم القديس داود بالرحمة والحكم (مز ١٠١: ١)، ويشهد بأن الله رحوم وعادل (مز ١١٥: ٥)، فمن الضروري يلزم أن تدخل فينا ما يقوله الأنبياء والرسل في العبارات الخاصة بالتوبة، أن أحكام برّ الله (مز ١١٩: ٦٢) ظاهرة، ورحمته كاملة في غفران الخطايا<sup>١</sup>.

❖ سؤال: كيف تتأكد النفس تمامًا أنها تتطهر من الخطية؟

الإجابة: إن عرف الإنسان دافع داود القائل: "أبغضت الإثم ومقته" (مز ١١٩: ١٦٣)، أو يعرف أنه يُتَمَّم وصية الرسول القائل: "أميتوا أعضاءكم التي على الأرض: الزنا، النجاسة، الهوى، الشهوة الرديئة، الطمع - الذي هو عبادة الأوثان - الأمور التي من أجلها يأتي غضب الله" ويضيف إلى ذلك كامتداد للحكم ضد كل خطية "على أبناء المعصية" (كو ٣: ٥ - ٦)، حتى يستطيع القول: "قلب معوج يبعُد عني. الشرير لا أعرفه" (مز ١٠١: ٤).  
مرة أخرى، يتحقّق الإنسان أن له مثل هذا الوازع، إن كان يحمل عاطفة برعدةٍ مثل ما يفعله القديسون. لهذا يقول داود: "رأيت الغادرين ومقتًا، لأنهم لم يحفظوا كلمتك" (مز ١١٩: ١٥٨). ويقول الرسول: "من يضعف وأنا لا أضعف؟ من يعثر وأنا لا ألتهب؟" (٢ كو ١١: ٢٩).

الآن، إن كان بحسب حق الكلمة تسمو النفس فوق الجسد (مت ١٠: ٢٨)، ونحن نهتم بالجسد، فنشتمز من كل قذارة ونكرهها ونتعاطف ونحزن قلبياً عند رؤيتنا لجراحات أو لأذية تحلّ بالجسد، فكم بالأكثر بالنسبة لما يحلّ بالخطاة. فإن المُحب للمسيح والمُحب لإخوته يتألم من أجلهم حين يرى نفوسهم مجروحة كما بوحوش مُفترسة، وفي وحشية يتعرّضون لهجمات شرّ مُميت. هكذا يقول داود: "قد أنتنت، فاحت حُبر ضربي من جهة حماقتي، لويت انحنيت إلى الغاية. اليوم كله ذهبت حزينًا. لأن خاصرتي قد امتلأتا احتراقًا، وليست في جسدي صحة" (مز ٣٨: ٥ - ٧). يقول الرسول: "أما شوكة الموت فهي الخطية" (١ كو ١٥: ٥٦).

لذلك عندما يعرف إنسان أن نفسه صارت في مثل هذا الوضع، من أجل خطاياها وخطايا

القديس باسيليوس الكبير

الأخرين، يثق أنه يتنقّى من الخطية تمامًا<sup>٢</sup>.

<sup>١</sup> *Regulae brevius tractatae*, 12.

<sup>٢</sup> *Regulae brevius tractatae*, 296.



❖ سؤال: كيف يلزم للإنسان أن يرجع عن الخطايا (أع ٣ : ١٩)؟

الإجابة: خلال الغيرة التي لزرعة داود الذي قال أولاً: "أعترف لك بخطيتي، ولا أكتُم إثمي. قلت اعترف للرب بذنبي" (مز ٣٢ : ٥) عندئذ أعلن عن حالة من يتعلّم أن يعمل بطرقٍ متنوعة في المزمور السادس وفي المزامير الأخرى.

قد يتعلّم إنسان من الرسول تلك الأشياء التي شهد بها لأهل كورنثوس بخصوص خطية الآخرين، عندما قال: "الحزن بحسب مشيئة الله يُنشئ توبة لخلص بلا ندامة" (٢ كو ٧ : ١٠). ويضيف علامات الحزن: "فإنه هوذا حزنكم هذا عينه بحسب مشيئة الله، كم أنشأ فيكم من الاجتهاد، بل من الاحتجاج، بل من الغيظ، بل من الخوف، بل من الشوق، بل من الغيرة، بل من الانتقام، في كل شيءٍ أظهرت أنفسكم أنكم أبرياء في هذا الأمر" (٢ كو ٧ : ١٠-١١). واضح من هذا أنه لا يليق بنا فقط أن نترك الخطية، وأن نحتمل هذه الأمور من أجل الخطاة، وإنما يلزمنا أيضاً أن ننسحب من الخطاة أنفسهم. فعل داود هذا بوضوح عندما قال: "ابعدوا عني يا جميع فاعلي الإنم" (مز ٦ : ٨)، وأوصانا الرسول: "لا تؤاكلوا مثل هذا" (١ كو ٥ : ١١)¹.

القديس باسيليوس الكبير

❖ سؤال: هل الكلمة تسمح لنا أن نفعل الصلاح كما يحلو لكل واحد منا؟

الإجابة: من يرضي نفسه، يرضي إنساناً، لأن كل واحد منا هو بشر. لكن عندئذ "ملعون الرجل الذي يتكل على إنسان، ويجعل البشر ذراعه" وهذا واضح في من يتكل على نفسه. ويضاف إلى ذلك: "وعن الرب تحيد نفسه (قلبه)" (إر ١٧ : ٥). هكذا من يرضي آخر، أو يفعل شيئاً لإشباع ذاته يسقط من التقوى، ويسقط في التردّد لنفعٍ بشريّ. يقول الرب: "كل أعمالهم يعملونها لكي تنظرهم الناس" (مت ٢٣ : ٥؛ ٦ : ٢). ويعترف الرسول: "قلو كنت بعد أرضي الناس، لم أكن عبداً للمسيح" (غل ١ : ١٠). لكن يوجد تهديد أخطر يُقدّمه كتاب الله المقدس، قائلاً: "الله قد بدّد عظام الذين يرضون البشر (مز ٥٢ : LXX ٦)²".

القديس باسيليوس الكبير

ما هو موقف من يسقط في خطايا بعد عماده؟

قُدّم له السؤال التالي بسبب انتشار رأي أن من يمارس خطايا خطيرة بعد العماد لا رجاء له. وقد أكّد القديس باسيليوس أننا لا نفقد الرجاء مُطلقاً ما دامت توبتنا جادة ولها ثمرها اللائق بها ألا

¹ *Regulae brevius tractatae*, 297.

² *Regulae brevius tractatae*, 298.

وهو الرجوع إلى الله الذي ينتظر الكل. يقول القديس أغسطينوس أنه مادام يوجد نفس واحد في الإنسان، فهذا معناه أن الله يترجى توبته، وإلا فلماذا لم يأخذ نفسه؟!

❖ سؤال: هل يسقط في اليأس من خلاصه من اصطيد في كثرة من الشرور، فأخطأ بعد عماده؟ أو ما هو المقياس الذي فيه لا يزال يستمر الإنسان في رجائه في محبة الله للبشر خلال التوبة؟

الإجابة: إن أمكن أن تُعادل بين حنو الله الفائق أو ثقل عظمة رحمة الله وبين عدد الخطايا وثقلها فلا يوجد موضع لليأس.

أما إذا كان من المعقول أن الأخيرة تخضع للقياس والعدد، بينما استحالة قياس رحمة الله أو إحصاء حنوه، فلن يكون لليأس موضع قط. وإنما بمعرفة الرحمة وإدانة الخطايا، توجد مغفرة في دم المسيح كما هو مكتوب (مت ٢٦: ٢٨).

غير أنه توجد أماكن وطرق كثيرة خلالها نتعلم أنه يلزمنا ألا نياس. تأملوا على وجه الخصوص مثل ربنا يسوع المسيح بخصوص الابن الذي أخذ ثروة أبيه وبددّها في الخطايا. فمن كلمات الرب نفسه نتعلم ما هو نوع الوليمة وعظمتها التي تليق بالتوبة (لو ١٥: ٢٢-٢٤).

أضيف إلى ذلك يقول الله بإشعياء: "إن كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج، وإن كانت حمراء كالوددي تصير كالصوف" (إش ١: ١٨). لكن يجب أن نعرف أن هذا يتحقق فقط متى كانت توبتنا تستحق ذلك، إن صدرت عن مقتنا للخطية، كما هو مكتوب في العهدين القديم والجديد، وكانت تحمل ثمارًا لائقة بها كما قلنا في الإجابة على السؤال<sup>١</sup> الخاص بذلك<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

ثمار التوبة

❖ سؤال: ما هي الثمار التي تُختبر للتوبة الحقيقية؟

الإجابة: أسلوب أولئك الذين يتوبون، والنزعات التي لهؤلاء الذين ينسحبون من الخطية، وصرايحهم من أجل الثمر اللائق بالتوبة (لو ٣: ٨) الذي قيل عنه في المواضع الخاصة بها<sup>٣</sup> (وهي الرجوع إلى الله)<sup>٤</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

<sup>1</sup> Regulae brevius tractatae, 5.

<sup>2</sup> Regulae brevius tractatae, 13.

<sup>3</sup> Regulae brevius tractatae, 5, 10.

<sup>4</sup> Regulae brevius tractatae, 14.

## لماذا يلتهب قلب البعض بالشوق للتوبة، بينما يعاني آخرون من الفتور في التوبة؟

❖ سؤال: لماذا يوجد أحياناً نوع من كآبة القلب والندامة في مخافة الرب تحل على النفس دون مجهود كبير، ويتم تلقائياً، وفي مرات أخرى يوجد في النفس نوع من البلادة، حتى إن غضب الإنسان نفسه، لا يستطيع أن يشعر بأية ندامة للقلب؟

الإجابة: مثل هذه الندامة هي عطية من الله حيث تثير الرغبة، فتندوّق النفس عذوبة مثل هذه الندامة التي تُثار، فتتبنّاها (تتبنّى النعمة الموهوبة لها). أو لتُبزهن أن النفس قادرة خلال الغيرة الشديدة أن تكون في ندامة دائمة. بهذا فإن من يفقد هذه النعمة خلال تراخيه ليس له عذر.

لكننا أحياناً نغضب أنفسنا (على الندامة)، ومع هذا نعجز عن اقتنائها، كدليلٍ على إهمالنا السابق في دفعاتٍ أخرى. فإنه يستحيل أن ينجح الإنسان في عملٍ بمُجرد أن يأتي إليه دون أن يعطيه عناية شديدة مع تدريب باجتهاد مع آخرين، ويظهر أن نفسه تشمئز من الرذائل والأهواء التي تعوق ممارسة ما هو لائق. وبحسب التعليم الذي نطق به الرسول القائل: "أما أنا فجسدي مبيع تحت الخطية. لأنني لست أعرف ما أنا أفعله. إذ لست أفعل ما أريده، بل ما أبغضه فأياه أفعل" (رو ٧: ١٤-١٥). مرة أخرى يقول: "لست بعد أفعل ذلك أنا، بل الخطية الساكنة فيّ" (رو ٧: ١٧).

يسمح الله أن يحدث هذا عينه معنا بهدفٍ صالح، حتى أننا بواسطة الأمور التي تعاني منها النفس لإرادياً، تدرك الأمور التي تسطو عليها، وإذ تتعرّف على الطرق التي بها صارت مُستعبدة للخطية بغير إرادتها (رو ٦: ٢٠) تصحو من جديد، وتتحفّظ من شباك إبليس (١ تي ٣: ٧؛ ٦: ٩)، كما تكتشف أن رحمة الله تحت على مساندة أولئك الذين بحق يتوبون<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

### ما هو موقفنا ممن يخفي خطاياهم

يبدو أن السؤال التالي كان موجهًا بخصوص التوبة، لأن السؤال السابق له (رقم ٢٩٩) والتالي له (رقم ٣٠١)، يخصان الحديث عن كيف يُحطّم المجد الباطل النفس البشرية، وماذا نعمل مع من يدّعي أن ضميره لا يدينه على خطايا يرتكبها. بهذا يكون هذا السؤال خاص بمن يُحدّث إنساناً عن التوبة، وقد أخفى المُستمع خطاياهم، أو يحاول إخفاءها. يليق بروح التوصية لا العنف أن نُذكّره

<sup>١</sup> Regulae brevius tractatae, 16.

بكلمات الرب: "ليس مكتومٍ لن يُستعلنَ" (مت ١٠ : ٢٦). "من فضلة القلب يتكلم الفم" (مت ١٢ : ٣٤).

❖ سؤال: ما هي طريقة التوجيه عندما تكون الكلمة خاصة بأمرٍ غير منظورٍ؟

الإجابة: يظهر أسلوب التوصية في الإجابة على هذا السؤال مُعالِجًا كيف يلزمنا أن نتحوّل عن خطايانا. ولكن عندما تكون الكلمة خاصة بأمرٍ غير منظورة، فلنتذكر كلمات الرب: "ليس مكتومٍ لن يُستعلنَ" (مت ١٠ : ٢٦). "من فضلة القلب يتكلم الفم" (مت ١٢ : ٣٤).<sup>١</sup>

القديس باسيليوس الكبير

ما هو موقفنا ممن لا يدينه ضميره

❖ سؤال: ماذا إن قال (الشخص): "إن ضميري لا يدينني؟".

الإجابة: يَحْدُثُ نفس الأمر أيضًا بالنسبة للأمراض الجسدية. إذ توجد أمراض كثيرة لا يُدركها من يُصاب بها. ومع ذلك يتقون في تشخيص الطبيب أكثر من عدم شعورهم الشخصي بالمرض.

هكذا أيضًا بالنسبة لأمراض النفس، أي الخطايا. إن كان أحد غير مُدركٍ لخطيته، فلا يدين نفسه، إلا أنه يجب أن يثق في هؤلاء الذين يستطيعون أن يروا حالته بأكثر وضوح. هذا يوضّح الرسل القديسون الذين مع اقتناعهم بنزعتهم الصادقة نحو الرب، غير أنهم إذ سمعوا: "إن واحدًا منكم يُسلّمني" (مت ٢٦ : ٢١)، فضّلوا أن يتقوا في كلمة الرب وأذعنوا لقوله، قائلين: "هل أنا هو يا رب؟" (مت ٢٦ : ٢٢).

أما القديس بطرس فيُعَلِّمنا بأكثر وضوح، فمع أنه في غيرة تواضعه رفض خدمة سيده وإلهه ومُعَلِّمه (أن يغسل قدميه)، إذ سمع كلمات الرب: "إن كنت لا أغسلك، فليس لك معي نصيب" (يو ١٣ : ٨)، اقتنع بالحق كما ورد في الكلمات، وقال: "ليس رجليّ فقط بل أيضًا يديّ ورأسي" (يو ١٣ : ٩).<sup>٢</sup>

القديس باسيليوس الكبير

❖ سؤال: ماذا يلزم أن يفعل من يتوب عن خطية، ويعود فيسقط في نفس الخطية؟

الإجابة: من تاب مرة وارتكب نفس الخطية مرة أخرى، فليقتنع أولاً أمام نفسه أنه لم ينزع السبب الرئيسي للخطية، كما من جذرٍ فاسدٍ، لهذا بالضرورة ينبت نفس الشرور مرة أخرى. فإنه

<sup>1</sup> *Regulae brevius tractatae*, 300.

<sup>2</sup> *Regulae brevius tractatae*, 301.



يكون كمن يرغب في قطع أغصان شجرة، تاركًا الجذر كما هو، وإذ يبقى الجذر في الأرض مخزونًا ينبت ذات (الخطية) بدرجة قل. لذلك حيث توجد بعض الخطايا أصلها ليس فيها، إنما تصدر من خطايا أخرى، يلزم لمن يريد أن يُنقّي نفسه تمامًا من الخطية أن يقطع الأسباب الأولى ذاتها لهذه الخطايا.

كمثال لذلك، فإن النزاع والحسد (رو ١٣: ١٣) لا ينبعان من نفسيهما، وإنما من جذر العجرفة ومحبة المجد (الباطل)، فمن يطلب مجدًا من البشر يتبارى مع من له شهرة عظيمة تفوق شهرته، ويحسده عليها.

لهذا من يسقط في يديّ رذيلة الحسد أو النزاع، ويعود فيسقط فيها مرة أخرى، فلئدرك أن السبب البدائي هو محبة المجد التي تكلمنا عنها قبلاً. بهذا فليهتم بهذا المرض، إذ يحتاج إلى الشفاء منه، وذلك بما يناقضه، أي بالتواضع، حيث يقوم بخدمات بسيطة ممارسًا التواضع. بهذا إذ يتأسس في نزعة التواضع لا يعود يسقط في نتاج العجرفة ومحبة المجد<sup>١</sup>.

**القديس باسيليوس الكبير**



<sup>1</sup> Regulae brevius tractatae, 289.

## صلاة من أجل التوبة

### للقدّيس باسيليوس الكبير

تكشف لنا صلّاته من أجل التوبة عن الآتي:

١. يُرَكِّزُ عَيْنِيهِ عَلَى فَيْضِ حُبِّ اللَّهِ وَحَنَوِهِ، وَلَيْسَ عَلَى خَطَايَاهُ وَحَدَهَا.
٢. يَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَهَبَهُ التَّوْبَةَ حَتَّى لَا يَنْحَرِفَ فِي تَوْبَتِهِ.
٣. يَمْزِجُ دُمُوعَ التَّوْبَةِ بِالْفَرْحِ وَالشُّكْرِ لِغَافِرِ الْخَطَايَا.
٤. يُعْلِنُ عَنِ اعْتِزَالِهِ بِاللَّهِ بِكَوْنِهِ مَحْبُوبٌ لَهُ حَتَّى النِّهَايَةِ.
٥. يَطْلُبُ مِنْهُ قُوَّةَ لِيَتَخَلَّصَ مِنْ عَدُوِّ الْخَيْرِ وَوَحْلِ الْعَالَمِ.
٦. لَا يَعِدُ أَنَّهُ يَصْنَعُ الصَّلَاحَ، بَلْ يَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَهَبَهُ الصَّلَاحَ.

❖ أَيُّهَا السَّيِّدُ، إِلَهَ الْجَمِيعِ، وَالْأَبَ الصَّالِحِ بِلَا حُدُودٍ! أَيُّهَا الدَّائِمُ الْوَجُودِ وَالْبَاقِي (إِلَى الْأَبَدِ).

أَيُّهَا السَّابِقُ لِلْوَجُودِ قَبْلَ كُلِّ الدَّهْرِ، أَكْثَرَ مِمَّا بِلَا بَدَايَةِ.

أَنْتَ مَوْجُودٌ دَائِمًا بِلَا تَغْيِيرٍ، لَمْ يَكُنْ لَكَ قَطُّ بَدَايَةٌ، وَلَنْ تَتَوَقَّفَ.

غَيْرِ الْمُدْرَكِ فِي الْجَوْهَرِ، وَبِلَا حُدُودٍ فِي الْعِظْمَةِ،

مُطَّلَقٌ فِي الصَّلَاحِ، وَمُتَدَفِّقٌ بِالطَّبِيعَةِ،

لَا يُعْبَرُ عَنْ عَمَقِ قُوَّتِكَ وَحِكْمَتِكَ.

إِنِّي أَبَارِكُكَ، إِذْ تَتَطَّلَعُ بِحَنُوٍ وَرَأْفَةٍ عَلَى بَوْسِي،

لَأَنَّكَ تَخَلَّصْتَنِي مِنْ وَحْلِ الْعَالَمِ الْحَقُودِ الْبَاطِلِ، الْمَصْنُوعِ مِنَ الْقَرْمِيدِ<sup>١</sup>.

تَخَلَّصْتَنِي مِنْ شِبَاكِ رَيْسِ ظِلْمَةِ هَذَا الدَّهْرِ الْمُتَنَوِّعَةِ الْكَثِيرَةِ.

❖ أَبَارِكُكَ يَا رَبِّ، لِأَنَّكَ تَقَدَّمْتَ لِي أَنَا الْخَاطِي مَرَاحِمَ عَجِيبَةٍ،

وَصَرْتَ الْمَحْبُوبَ لِي إِلَى النِّهَايَةِ فِي كُلِّ شَيْءٍ.

أَنْتَ هُوَ الْمُرَبِّيُّ وَالْمُدَبِّرُ، الْحَارِسُ وَالْمُعِينُ،

الْمَلْجَأُ وَالْمُخَلَّصُ، الْحَصْنُ لِكُلِّ مِنَ النَّفْسِ وَالْجَسَدِ!

❖ أَبَارِكُكَ يَا رَبِّ إِذْ تُظْهِرُ لِي أَنَا غَيْرَ الْمَسْتَحَقِّ حُبِّكَ الْوَفِيرِ غَيْرِ الْمَحْدُودِ.

فَمَعَ أَنْنِي فِي كُلِّ يَوْمٍ أَسَلِّمُ نَفْسِي لِلشَّيْطَانِ بِكَسَلِي،

<sup>١</sup> مَا يُدْطَلَى بِهِ كَالْجِصِّ وَنَحْوَهُ (يُونَانِيَّة).

- إلا أنك تحرسني وتُخَلِّصني، وتنتزعني من فخاخي.
- ❖ أباركك يا رب إذ تمنحني قوة التوبة عن خطاياي،  
وتُظهِر لي ربوات الفرص لأرجع عن خبثي.
- ❖ أباركك يا رب، فمع كوني بلا قوة، إلا أنك تُقَوِّي ضعفي،  
ولا تسمح لي بالسقوط تمامًا، إنما تبسط في الحال يدك المُعِينة من الأعالي، وتُرْدني إليك.
- ❖ ماذا أزد لك يا سيد، يا كلي الصلاح،  
من أجل كل الصالحات التي تفضلها معي، ولا تزال مستمرًا في العمل من أجلي أنا الخاطي؟
- ❖ أية تشكرات أقدمها لك؟  
لهذا أصرخ إليك من الفجر حتى المساء مثل السنونة<sup>١</sup>،  
ومثل العندليب أتغنى بفرح.  
ولن أكف عن أن أباركك كل أيام حياتي، يا خالقي، المُحسِن إليّ، وحارسي.
- ❖ إني لست أهلاً أن أتحدّث معك يا رب، فإنني خاطي للغاية.  
غير أنني أشكرك يا رب، إذ أنت طويل الأناة على معاصي،  
ولم تُعاقبني حتى هذه اللحظة.
- ❖ أشكرك يا رب، فإنك لا تشاء موت الخاطي، مثلما يرجع ويحيا (حز ١٨ : ٢٣).  
فإنني مستحق أن أتعدّب كثيرًا، وأطرد يا رب من حضرتك.  
لكن حُبِّكَ الذي يحتملني أطال أُناتك عليّ.
- ❖ أشكرك يا رب وإن كنت عاجزًا عن أن أشكرك كما يليق باحتمالك لي.  
ارحمني يا رب، ولتجعل حياتي مستقيمة حسب إرادتك.  
قُدني، إذ حنوك يعرف ما هو أفضل لي.  
حسب كثرة رافاتك اجعلني كاملاً في كل عمل صالح يسرك،  
ولتُحرّرني من جسدي البائس.  
فإن من عملك الرحمة وخلصنا يا الله،  
ولك تُرسِل المجد والشكر والسجود،  
مع ابنك الوحيد، وروحك الكلي القداسة والصلاح واهب الحياة،  
الآن وإلى الأبد وإلى دهر الدهور، آمين<sup>١</sup>.

<sup>١</sup> نوع من الخطاطيف من فصيلة السنونيات، سريع الطيران.

## الدموع

عند

### القديس باسيليوس الكبير

#### دموع الحب

مع ما اتَّسَمَت به شخصية القديس باسيليوس المتألم من بشاشة وابتسامة تحمل انعكاسًا للسلام الداخلي والفرح، غير أنه يدعونا لدموع الحب.

فالدموع عند القديس باسيليوس هي ذبيحة حب لله خلال التوبة والرغبة الكاملة أن يصير المؤمن أيقونة محبوبة للرب نفسه. ومن جانب آخر تُقدِّم ذبيحة حب أخوي، إذ لا يكف قلب المؤمن عن التتهُّد ودموعه عن البكاء من أجل إخوته في البشرية، طالبًا خلاص كل أحد إن أمكن. يشارك المؤمن مُخلَّصه الذي يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى الحق يقبلون (١ تي ٢: ٤).

أجاب القديس باسيليوس الكبير على السؤال: هل يجوز للإنسان أن يضحك؟ بأنه لا يقدر أن يفهم كيف يمكن لمسيحي صالح أن يضحك [خاصة عندما يرى كثيرين يهينون الله بكسرهم انناموس، واقتربهم للموت بالخطيَّة، إذ يليق بنا أن نحزن ونبكي على هؤلاء<sup>١</sup>].

كما يقول في عظته عن الشهيدة يوليطة: [عندما ترى أخاك ينوح في توبة عن خطاياها إبك معه. هكذا خلال أخطاء الغير تريح نفسك من الخطأ. من يسكب الدموع الساخنة على أخطاء قريبه يبرأ هو بحزنه على أخيه. هذا هو حال القائل: "الكآبة امتلكتني من أجل الخطاة الذين حادوا عن ناموسك" (مز ١١٨: ٥٣)<sup>٢</sup>].

❖ واضح أن الفضائل تصير ممتلكاتنا عندما تصير عمليًا منسوجة في طبيعتنا. إنها لا تتركنا ونحن نجاهد على هذه الأرض، ما لم نطردها نحن بإرادتنا ونلزمها بذلك، وذلك بفتح الباب للرزيلة لتدخل. إنها تجري بنا مُتلهِّفة كلما أسرعنا نحو العالم الآخر. إنها تقيم ممن يمتلكوها في رتبة الملائكة، وتشرق أبدياً في عيني الخالق. أما الغنى والسلطة واللذة وكل حشد مثل هذه

<sup>1</sup> Nikolaos S. Hatsimikolaou: *An Anthology of Patristic Prayers*, Holy Cross Orthodox Press, Massachusetts, 1988, p. 53-55.

<sup>1</sup> *Short Rules* 31.

<sup>2</sup> PG 31:257 D.



الغبوات التي تتزايد يوميًا بسبب غباوتنا، هذه لا تدخل معنا في هذه الحياة، ولا تصحب أحدًا عند تركه هذا العالم. فإن قول الرجل البار قديمًا: "عريانا خرجت من بطن أمي، وعريانا أعود إلى هناك" (أي ١: ٢١)، هو قول بحق راسخ سائد بالنسبة لكل إنسان<sup>١</sup>.

❖ "من أجلي حوّلت نوحى إلى فرح لي، مزقت مسحي، ومنطقتني بالفرح" (مز ٣٠: ١١).

فرح الله لا يستقر في كل النفوس، بل في تلك النفوس التي بكت خطاياها بدموع مستمرة، كمن مات لها عزيز لديها. مثل تلك النفس يُحوّل الله نوحها إلى فرح، والحزن نافع هنا...  
يبكي الأنبياء علينا، ويدعونا لنبكي حتى نكتشف أخطاءنا في ضوء كلماتهم النبوية، عندئذ نبكي على هلاكنا، ونقمع جسودنا بالجهاد والتأديب.

الإنسان الذي يسلك مثل هذا الطريق، تُمزق مسوحه، ويلبس لباس العرس المزيّنة حتى لا يخرج خارج العرس (مت ٢٢: ١١ - ١٣)<sup>٢</sup>.

❖ سؤال: إذا كان واحد سيسقط تحت ضربات كثيرة، بينما آخر تحت ضربات قليلة (لو ١٢: ٤٧)، فكيف يقول البعض إن العقاب لا نهائي؟

الإجابة: الأشياء التي قيلت بشكل مُفْتَعٍ وغامضٍ في مواضع مُعَيَّنَةٍ في كتاب الله الموحى به، وضحت في عبارات صريحة في مواضع أخرى. يُعلن الرب مرة أن هؤلاء يذهبون إلى العذاب الأبدي (مت ٢٥: ٤٦)، ومرة أخرى أنه يرسل أشخاصًا إلى النار الأبدية المُعَدَّة لإبليس وملائكته (مت ٥: ٤١)، ويضيف: "حيث دودهم لا يموت والنار لا تُطفأ" (مر ٩: ٤٨)، الأمر الذي قاله بحق النبي منذ فترة طويلة: "دودهم لا يموت، ونارهم لا تُطفأ" (إش ٦٦: ٢٤).

حيث أن الكثير من مثل هذه الأقوال موجود في كل موضعٍ في الكتاب المقدس الموحى به؛ هذه بالتأكيد إحدى استراتيجيات الشيطان؛ أن الكثير من البشر بتجاهلهم هذا الكلام القيم والذي له وزنه وإعلانات من الرب، يطمنون أنفسهم بأن العقاب له نهاية، حتى يفعلوا الخطية بتبجح شديد. إذا كان هناك نهاية للعذاب الأبدي، عندئذ بكل تأكيد الحياة لن تكون أبدية.

الآن إذا كنا لا نتحمّل التفكير بهذه الطريقة تجاه الأبدية، بأي منطوق من الممكن أن نجعل للعذاب الأبدي نهاية؟ سِمة "أبدي" مربوطة بشكلٍ متساوٍ بكلا العنصرين. لذلك يقول: "قيمضي هؤلاء إلى عذاب أبدي، والأبرار إلى حياة أبدية" (مت ٢٥: ٤٦).

<sup>١</sup> On Detachment..

<sup>٢</sup> تفسير المزمور ٣٠ (٢٩).

من وجهة نظر الأقوال الصريحة، يجب علينا أن نفهم أن الذين يُضربون ضربات كثيرة ومن يُضربون ضربات قليلة، لا يعني هذا هبات العذاب، وإنما يشعرون إلى الدرجات المختلفة. إذا كان الله وبالعدل، ليس فقط بالظلمة الظلمة ولكن أيضًا بالنسبة للأشجار، "سيجازي كل ما جازي حسب أعماله" (روا ٢: ٤٦)، لذلك يستحق شخصيًا ظلمًا لا تطفأ، التي من الممكن أن تحرق بحبوت أو ببطء، ووفقًا للفكر أن يصلح آخر الحدود الذي لا يموت، وهذا يمكن أن يكون معتدلاً أو كثيرًا حسب ما يستحقه الشخص تمامًا. وقد يستحق ثالث جهنم، التي بها نوع مختلف من العذاب، بينما آخر يستحق الظلام الخارجي (مت ٨: ١٢، ٢٢: ١٣، ٢٥: ٣٠) حيث أن كل ما فعله هو البكاء، وآخر يعاني من صرير الأسنان بسبب الألم المبرح. والظلام الخارجي يدل بالتأكيد على وجود ظلام داخلي أيضًا.

علاوة على ذلك قيل في الأمثال عن أعماق الهاوية (أم ٩: ١٨) مما يظهر أن بعضًا ممن في الهاوية ليس في أعماقها بل حداثا بل حداثا من أعماقها. من الممكن أيضًا أن يكون مع الألم مع الألم حالة الحمى يعاني أحد من الحمى مع أعراض وآلام أخرى، وهذا يعاني آخر من الحمى لكن ليس بالأسبق. وبطريقة أخرى ثالث يختلف عن الشمس الأول لا يعاني من الحمى مريض لكن لديه ألم في أطرافه من الممكن أن تكون أكثر من ذلك. الآن في الحالة المتعددة الكثير والقليل مما قاله الرب في المثلوب المعتاد بتعبيرات مختلفة. وبالنسبة لنا في الحديث يتم تطبيقه على الحمى بمرضى ما، وكما نقول متعجبين من جهة الحمى أو من الحمى في حالته: كم من الوقت كان يعاني، أو ما هي الحمى منها. مرة أخرى أقول عدة أو لين لا يوقف إصابته أو حمى الوقت ولكن باختلاف العقاب<sup>١</sup>.

❖ سؤال: ما الفرق بين "الحنن بحسب مشيئة الله" و"حنن العالم"؟ (٢ كو ٧: ١٠)؟

الحنن بحسب مشيئة الله هو: أن يحزن الإنسان على إهماله أو احتقاره وصية الله، كما يقول المزمور: "الحمية أخذتني بسبب الأشرار تاركي شريعتك" (مز ١١٩: ٥٣). أما الحزن بمشيئة العالم فيحدث إذا كان ما يُسببه شيء بشري أو خاص بالعالم<sup>٢</sup>.

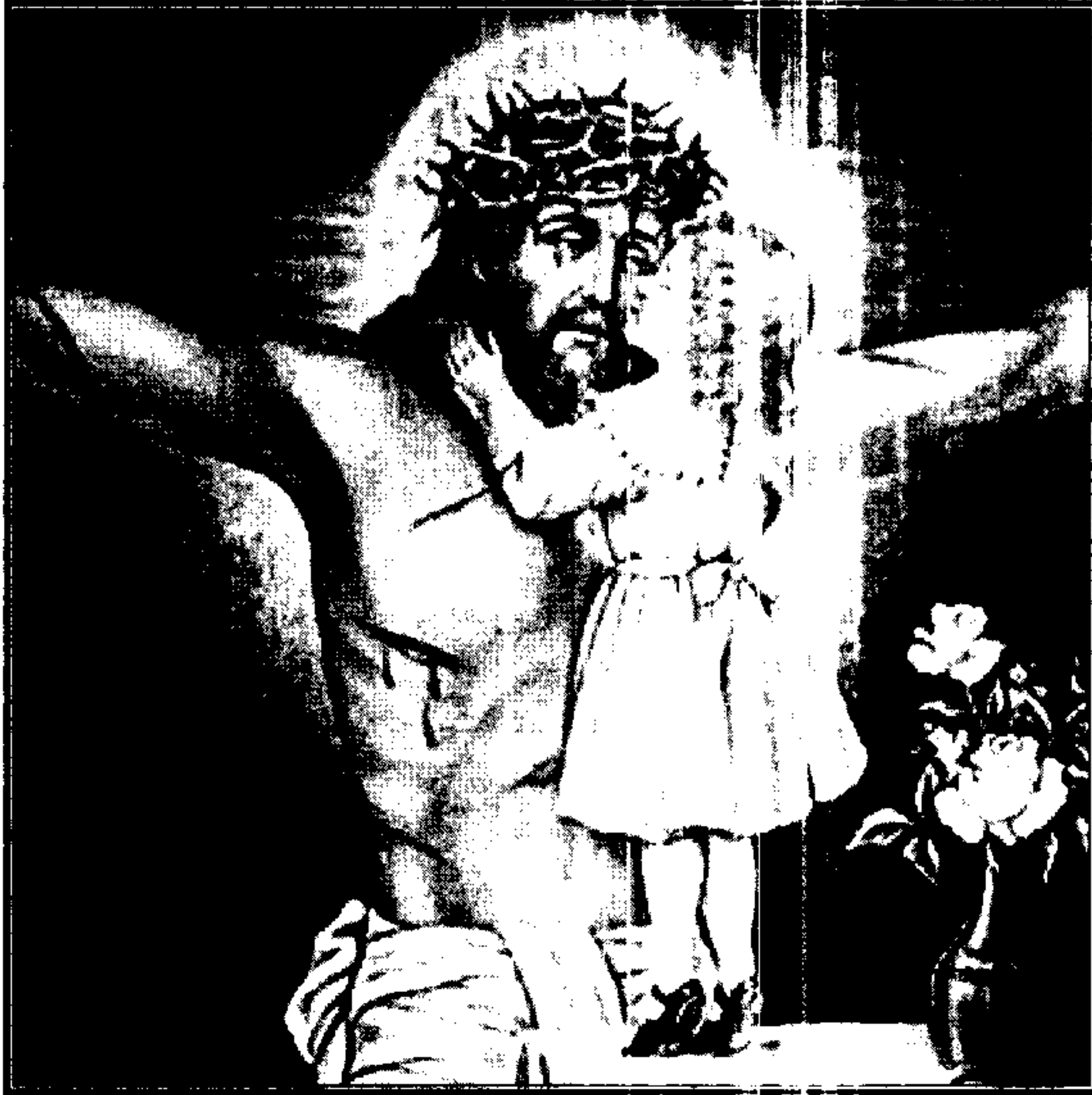
<sup>1</sup> Regulae brevius tractatae, 267.

<sup>2</sup> Regulae brevius tractatae, 192.

❖ سؤال: ما هو الحزن الذي يجب ان نتحمّله لكي نستحق التطويب؟! (مت ٥ : ٤).

لقد أجبنا على هذا السؤال من قبل عندما تحدّثنا عن "الحزن بحسب مشيئة الله" (٢ كو ٧ : ١١)، وهو عندما نحزن على خطايانا سواء كانت بسبب إهانة الله، وذلك لأن التعدي على الناموس يهين الله (رو ٢ : ٢٣). أو حين نبكي على هؤلاء الغارقين في خطر الخطية، لأن "النفس التي تخطيء هي تموت" (جز ١٨ : ٤)، فنقتدي بالقائل: "أنوح على كثيرين من الذين أخطأوا من قبل ولم يتوبوا" (٢ ك ١٢ : ٢١)<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير



<sup>١</sup> Regulae brevius tractatae, 194.



## حول رسالتين تدعوان إلى التوبة

للقدّيس باسيليوس الكبير

### حُبّ بلا تدليل

في يونيو ١٩٦٦م قامت كنيسة مار جرجس بسبورتج بنشر رسالتين بعث بهما القدّيس باسيليوس، إحداهما لراهبٍ ساقطٍ والأخرى لعذراءٍ ساقطةٍ، تحت عنوان "حُبّ بلا تدليل". يشعر فيهما القارئ بالقلب المُلتهب نارًا نحو خلاص النفس والغيرة المُتقدّة على الحياة المقدّسة، فمع حزنه الشديد عليهما، وتنهّئات قلبه وبكائه، غير أن أسلوبه كان في حزمٍ شديدٍ وتوبيخٍ يبدو قاسيًا للغاية.

إذا قورنت الرسالتان بالرسالتين اللتين بعث بهما القدّيس يوحنا الذهبي الفم إلى ثيودور الذي سقط مع فتاة يهودية جميلة تُدعى هرموان *Hermoine*، تزوجها ولم يرجع إلى دير، نجد في كلمات الذهبي الفم دعوة للتوبة بلطفٍ شديدٍ وحنوٍ عجيب. ولعل السبب في ذلك أن القدّيس باسيليوس كتب إلى الراهب والعذراء وكانا متصلفين، أعثرا الكثيرين بعد أن كانا قدوةً صالحةً، وصارا غير مباليين بالعثرة، أما ثيودور فقد تحطّمت نفسه باليأس، وكان محتاجًا إلى من يرد له الرجاء في مراحم الرب وحنانه. رسالة الذهبي الفم تصلح للنفوس التي حطّمتها الخطية، أما رسالتا باسيليوس الكبير فتصلحان لمن تصلّف ولم يبالي بخلاصه وخلاص إخوته.

رسالة رقم ١٤٤

### رسالة إلى راهب ساقط

أذكر من أين سقطت

يقف القدّيس باسيليوس في حيرة أمام مشاعر هذا الراهب الذي كان مثلاً رائعًا لحياة النسك، جاذبًا الكثيرين بتعليمه وأحاديثه الخلاصية وجهاده المُستمر، قد انحدر إلى هاوية الفساد، فأعثر الكثيرين.

❖ "إنني لا أود أن أفركك، لأنه لا فرح للأشرار.

تعرّيب ب. عطا الله، ن. م. مكرم، القمص تادرس يعقوب ملطي.

رسالة ١٤٤ : ١



إنني إلى الآن لا أستطيع أن أصدق ما حدث، وقلبي لا يقدر أن يدرك إثماً عظيماً كهذه الجريمة التي ارتكبتها، إن كان ما قد فهمته (من أمرك) بصفة عامة هو حقيقي.

إنني متحير في تفكيري، كيف يمكن أن تختفي عنك حكمة عميقة كهذه؟ كيف لا تمارس انضباطاً دقيقاً؟ كيف خيم عمى عميق كهذا حولك؟ كيف تحيك لنفسك دماراً كهذا باستهتار شديد؟

إن كان هذا الأمر حقيقي، فإنك تكون قد دفعت بروحك إلى الهاوية، وتخطم همم كل المجاهدين الذين سمعوا عن جحودك، لأنك فقدت الإيمان، وخسرت الحرب المجيدة<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

### هوذا الكل يبكيك!

يُصَوِّرُ القديس للراهب مدى الحزن الذي حلَّ على الكنيسة بسبب سقوطه، سواء من رجال الكهنوت أو النساك أو الشعب، بل حتى الخليقة الجامدة كالشمس والحجارة كادت أن تثن على ما حلَّ به. قوات السماء التي كانت مُتهلِّلة بحياته المقدسة وخدمته المُثمرة، تهتز أمام ما حلَّ به من دمار.

يُصَوِّرُ القديس الأعداء المُقاومين له، اهتزت قلوبهم لسبب سقوطه، ففسوا عداوتهم له، وصاروا يبكونه! أفلا يليق به أن يبكي حاله، ويرجع بالتوبة إلى الله؟!<sup>٢</sup>

❖ إنني أحزن عليك. لأنه أي كاهن لا ينتحب عندما يسمع هذا؟!<sup>١</sup>

أي إنسان كنسي لا يقرع صدره؟! أي علماني لا يكتب؟! أي ناسك لا يحزن؟!<sup>٢</sup>  
ربما حتى الشمس أيضاً تظلم بسبب سقوطك، وقوات الملائكة تهتز أمام دمارك، بل والحجارة الجامدة تذرف الدمع لأجل جنونك، بل وأعداؤك يبكون إثمك العظيم!

آه. يا لها من قسوة قلب! آه. يا لها من قسوة! هوذا أنت لا تخاف الله، ولا تُبالي بأصدقائك. لقد حطمت الجميع دفعة واحدة، واستهنت بالكل<sup>١</sup>.

مرة أخرى، إنني أحزن عليك يا أيها الإنسان البائس!

القديس باسيليوس الكبير

<sup>١</sup> رسالة ٤٤ : ١  
<sup>٢</sup> رسالة ٤٤ : ١

## تعثرت وأعثرت كثيرين

لقد أعمت الشهوات عيني، فكم يبصر ما صار عليه حاله، حيث انحرف من القداسة إلى الدنس، ومن التقوى في كل جوانب الصلاح إلى الفساد. لقد تعثر به كثيرون. لقد جرح قلب القديس باسيليوس، وليس من دواء يشفيه أو من رباطات يضمدها جروحه. وكأنه يطلب منه إن كان لا يُشفق على نفسه، فليُشفق على المتعثرين بسببه، وهى القديس كاتب الرسالة.

❖ كنت تُعلن عن قوّة الملكوت للجميع، وهذا الآن تسقط أنت منه.

كنت تجعل سامعيك في خشية من تعاليمك، والآن لم يعد خوف الله أمام عينيك.

كنت تُعلم الجميع النقاوة، وها أنت توجد مُدنّسًا.

كنت تعتر بفقرك، والآن أنت تشغف بالطمع.

كنت تؤكّد تأديبات الرب وتوضّعها، وهذا تجلب على رأسك العقوبات.

كيف أبكيك وأندبك!؟

كيف سقط لوسيفر الذي كان كوكب الصبح المُشرق (إش ١٤ : ١٢)، واندفع إلى

الحضيض!؟

هوذا أننا كل مستمع مرتبكان. كيف أن نادر العفة، الأكثر بريقًا من الذهب، قد صار مظلماً في حلقة. ابن صهيون صار إناءً فاسدًا. الذي كانت ذاكرته في الكتب المقدسة موضع حديث الكل، صارت ذاكرته اليوم هالكة بالطنين. الإنسان الحاد الذكاء هلك سريعًا. الذكي في كل لون يضع لنفسه إثمًا من كل جانب.

هوذا الذين انتفعوا بتعليمك يصيبهم الضرر بسقوطك، وكل الذين جاءوا ليُنصتوا إلى أحاديثك، قد سدوا آذانهم عند (سماع خير) سقوطك.

إنني حزين ومُنكسر خاطر، وهن قلبي في كل طريق، أكل الرماد عوض الخبز، وأضع المسوح فوق جرحي.

إنني أحكي أمجادك ولكن لا شيء يريحني أو يشفيني، بل كمن ينحت نقشًا لوضعه على قبر. لأن الراحة تختفي من عيني، ولم يعد لي دهن أو زيت أو رباطات أضمد بها الجراحات. هوذا جرحي متقيح، كيف أشفي!؟

القديس باسيليوس الكبير

## ارجع وثب... يسوع المسيح والكنيسة ينتظرك

إذ خشي القديس من أن يسقط الراهب في اليأس بعد أن صَوَّر له خطورة خطيئته، وأثرها على الكثيرين، دعاه أن يتطَّلع إلى السماء، ليرى الراعي الصالح ينتظره. يدعوهُ أن يذكر مراحم الله، فإنه يريد له أن يحيا لا أن يموت. يسأله أن يرجع فالكل يُرَحِّب به؛ الكنيسة تفرح به، ولا تُعَاتِبُه، ولا تجرح مشاعره. أبوابها، بل وأبواب قلوب الكل مفتوحة له.

أخيراً يطلب أن يُشْفِقَ على نفسه وعلى إخوته الذين لن يستريحوا حتى يرجع إلى إلهه ويستريح في أحضانه الإلهية.

❖ إن كان لك أي رجاء في خلاصك. إن كان لك أدنى تفكير بخصوص الله، أو أقل رغبة في صنْعِ الخير، إن كان لك أي خوف من العقوبات المحفوظة لغير التائبين، استيقظ بلا تأخير. ارفع عينيك إلى السماء، عُدْ إلى حواسك، كف عن شرِّك، انفض عنك الركود الذي اكتنفتك، وأصمد أمام العدو الذي طرحك أرضاً. جاهد أن تقوم من على الأرض. تذكر الراعي الذي يتبعك ويُنجِّيك...

انكر مراحم الله، كيف يشفي (كالسامري الصالح) بزيتٍ وخمر. لا تياس من الخلاص، مُسترجِعاً إلى ذاكرتك ما ورد في الكتاب المقدس أن الذي يسقط يقوم، والضال يعود (إر ٨ : ٤) والمجروح يُشْفَى، والفريسة تهرب (من الوحش)، ومن يعترف بخطيئته لا يُحتقَر.

الرب لا يشاء موت الخاطي، بل بالحري أن يعود ويحيا (حز ١٨ : ٣٢).

لا تستهتر فتكون كالشرير في هوة الشر (أم ١٨ : ٣).

إنه الآن وقت للجَدِّ وطول الأناة (عليك) والشفاء والإصلاح.

هل عثرت؟ قم.

هل أخطأت؟ كُفْ عن الخطيئة. ولا تقف في طريق الخطاة (مز ١ : ١٠)، بل اهرب.

عندما تتدم وتتأوه تخلص، إذ يخرج من العمل صحَّة، ومن العرق خلاصاً.

احذر لئلا من أجل رغبتك في الاحتفاظ بالتزامات مُعَيَّنة (في الخطيئة) تكسر تعهُدات الله

التي اعترفت بها أمام شهود كثيرين (١ تي ٦ : ١٢).

أرجوك ألا تتردّد في أن تأتي إليّ لأي اعتبار أرضي، فإنني أنتحب إذ أجد ميّتي، الأزمه

وأبكيه من أجل "خراب بنت شعبي" (إش ٢٢ : ٤).

هوذا الكل مستعد للترحيب بك. الكل يساهمون معك في جهادك، فلا تتراجع، بل تذكر أيام  
القدم.

إنه وقت للخلاص. إنه زمن للإصلاح.

كن منبسط الأسارير ولا تياس. فإنها ليست شريعة لتدين الخاطئ حتى الموت بلا رحمة،  
بل هي شريعة رحمة، تزيل العقوبة وتنتظر الإصلاح.

هوذا الأبواب لم تُغلق بعد، العريس يسمع، والخطيئة ليست هي السيّد.  
جاهد مرّة أخرى ولا تتردد. أشفق على نفسك وعلينا نحن جميعًا في ربنا يسوع المسيح،  
الذي له المجد والقدرة الآن وإلى الأبد. آمين.

القديس باسيليوس الكبير





## رسالة إلى عذراء ساقطة

هل أقدر أن أصمت؟!

لم يكن يتصورّ القديس باسيليوس عذراء عروس للعريس السماوي تسقط في خطية الزنا، لذا تفجرت ينابيع دموعه في أعماقه. وهو في هذا يمثل بما ورد في الكتاب المقدس:

١. لم يحتمل إرميا النبي انهيار يهوذا أمام جيش بابل، رؤيته لقتلى بنت شعبه.

٢. الوصية الإلهية ذاتها، كما تعود القديس أن يُشخصنها، رآها بعيني قلبه تئن وتبكي من أجل الخطاة، خاصة الذين يتدنسون بخطية الزنا. ولعله يقصد بالوصية الإلهية، كلمة الله المكتوبة بكونها تخفي وراءها كلمة الله الذي تجسد في ملء الزمان.

٣. القديسون الذين رحلوا، وإن عجزوا عن الحديث المباشر معنا بعبورهم إلى الفردوس، غير أن صوتهم يدوي في أذاننا. من بين هؤلاء القديسين فينحاس الكاهن الذي لم يحتمل ارتكاب كاهن الخطية بارتباطه بامرأة وثنية. وأيضا هابيل الذي وإن صمت بسبب قتله، فدمه صرخ وسمعه السماوي. أما يوحنا المعمدان فإنه إذ رأى عرسًا غير لائق حيث تزوج هيرودس امرأة أخيه، أعلن "لا يحل أن تأخذ هيروديا امرأة لك" (مر ٦ : ١٨).

❖ إنه الآن وقت فيه أقتبس كلمات النبي قائلاً: "يا ليت رأسي ماء، وعيني ينبوع دموع، فأبكي نهارًا وليلاً قتلى بنت شعبي" (إر ٩ : ١). فإنهم وإن كانوا قد وُضِعُوا في الأكفان في صمت، وانطرحوا في كارثتهم بغير وعي، وصيّرتهم الضربة القاتلة معلوبي الشعور، إلا أنه يلزمني على أي الأحوال ألا أترك مثل هذا السقوط من غير أن أندب.

إن كان إرميا قد رأى الذين جرحوا في الحرب يستحقون النحيب الدائم، فماذا نقول بالأكثر من أجل تلك الكوارث التي تلحق بالنفوس؟! لقد قيل: "قتلك ليس هم قتلى السيف، ولا موتى حرب" (إش ٢٢ : ٢).

إنني أندب لدغة الموت الحقيقي، وخطورة الخطيئة، وسهام الشرير المنقّدة، تلك التي تلهب النيران بقسوة لأجل الأرواح كما الأجساد أيضًا.

حقًا إن الوصية الإلهية تتأوه بصوت عالٍ عندما ترى نجاسة كهذه تدب في الأرض، فتعلن في القديم "لا تشته امرأة قريبك" (خر ٢٠ : ١٧)، وفي الإنجيل المقدس أيضًا تقول: "كل من ينظر إلى امرأة ليشتهها، فقد زنى بها في قلبه" (مت ٥ : ٢٨). وما هي الآن ترى عروس الرب ذاتها، تلك التي رأسها السيد المسيح، ترتكب بجسارة خطيئة الزنا.

إنه حتى جماعات القديسين يثنون عليها!

إن كان الآن لا يقدر فونجاس العصور أن يسلط بيوتها لئلا يتم بسبب تدليس الأجساد (عد ٢٥: ٧ الخ)، ولا في استطاعة يوحنا المعمدان أيضًا أن يتولى المملكة العلوية (الفردوس)، كما سبق أفترك حياته في البروتة منسرحًا لكي يدين الشؤم إذ كان يافمه أن يعتمل حتى الموت، مفضلًا قطع رأسه عن الامتناع عن الكلام (بالحق) لكنه ربما يكون كهاريل الذي وإن مات إلا أنه لا زال يُكلمنا بعد (راجع عب ١١: ٤). فبتكلم الآن بوضوح أكثر عما كان له مع هيرودس حين قال: "لا يخل لك أن تأخذ هيروديا" (مت ١٤: ٤). لأنه إن كان معسد يوحنا في طاعته لقانون الطبيعة (إذ لا يُسمع للإنسان أن يتزوج بامرأة أخيه) فطق بلسان الله ولسانه صمت، لكن كلمة الله لا تُقيد (٢: ٢-٩). . . . .

إن كان يوحنا انتهر بجساره حتى الموت، عندما رأى عزيتا ما كان ينبغي أن يكون، فكم بالأكثر تكون مشاعره عندما يرى انتهاكًا لعزوس خاص بالرب!؟  
القديس باسيليوس الكبير

## تذكري الحياة الأولى

عندما يسقط الإنسان في الخطية، قد يحل به روح اليأس، ويظن العودة إلى ما كان عليه قد صار مستحيلًا. وأحيانًا لكي يهزب من تبكيت ضميره، يحاول أن ينسى أو يتناسى ما كان عليه حين كان سالكًا في طريق الرب. لهذا قبل أن يؤبخها على ما وصلت إليه، سألها أن تذكر ما كانت عليه في حياتها الأولى قبل السقوط.

١. كانت في شركة مع الله "الاتحاد الإلهي".
٢. كانت العروس الجميلة الملكة صاحبة السلطان، تحيا في العجبال المقدس للملك السماوي.
٣. كانت في عهد مع الله، هو ميثاق الحب للتمتع بالأبدية معه.
٤. كانت شاهدة أمينة تعترف بمخلصها أمام الله والملائكة والناس.
٥. كانت في صحبة العذارى، جماعة الرب المقدسة، تتمتع بحياة التسبيح والفرح الحقيقي.
٦. سلكت على منوال جدتها وأمها وأختها وكل آباتها في غيرة مقدسة، أي في موكب أسري كأبطالٍ مقدسين.

❖ لقد أقيت عنك نير الوحدة الإلهية.

لقد هربت من العجبال المقدس الذي للملك الحقيقي.

لقد سقطت في ذلك الهلاك الفاسد الدنس.

والآن إذ لا تقدرين أن تتجنبي هذا الثقل المؤلم، وليس لديك وسيلة ونصيحة لنزع أتعابك،  
تندفعين بتهورٍ في تلك القباحة.

الإنسان الشرير، عند سقوطه في هاوية الخطيئة دائماً يبدأ يستهين. وها أنت تجحدين  
العهد الحقيقي الذي بينك وبين العريس الحقيقي. فتقولين أنك لست عذراء، ولم تنزري البتولية رغم  
تعهداتك واعترافك العلني بنذرك هذا.

تذكري الاعتراف الحسن الذي اعترفت به (اتي ٦: ١) أمام الله والملائكة والناس.

تذكري العلاقة المقدسة، وصحبة العذارى المقدسة، جماعة الرب، كنيسة القديسين.

تذكري جدتك التي نمت إلى الشيخوخة في الكنيسة، إنها لا زالت من جهة الفضيلة في  
صباها وغيرتها. وأمك تُنافسها في الرب، وتُجاهد لكي تحتل في حياتها العادية متاعب غريبة.  
تذكري أختك التي تقفدي بهما، لا بل بالحري تسعى لكي تفوقهم وتسمو على آبائهم ببركات  
البتولية التي لها. وهي تناضل بغيرة بالكلام والعمل لتتحدأك أنت أختها. فهي تُحب الجهاد،  
مقدمة صلوات حارة حتى تحتفظي ببتوليتك.

استعيدي هذا كله في ذاكرتك، واذكري أيضاً خدمتك المقدسة للرب معهم، وحياتك الروحية  
مع أنك في الجسد، اذكري مناجاتك السماوية مع أنك على الأرض.

اذكري أيام الهدوء والليالي المنيرة والأغاني الروحية والترتيل الموسيقي بالمزامير،  
والصلوات المقدسة، اذكري المضجع النقي غير الدنس، وموكب العذارى، وقوتهم المعتدل<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

## انظري ماذا صار إليه حالك؟

بعد أن كشف لها عن المجد الحقيقي الذي كانت تعيش فيه، عربون السماء على الأرض،  
حوّل نظرها إلى ما آلت إليه بسقوطها في الخطية، وألا وهو:

١. ما حلّ بداخلها من دنسٍ داخليٍّ، صار له فاعليته حتى على مظهرها، الذي فقد الوقار  
وجمال الوداعة والحياء، وانطفأ البريق الذي كان يشع منها. لقد تحوّلت إلى الزينة المزيفة لتخفي ما  
حلّ بها.

٢. فقدت الكرامة التي وهبها لها العريس السماوي.

٣. فقدت كنزها الداخلي، وصارت في فقرٍ.

<sup>١</sup> رسالة ٤٦: ٢

٤. فقدت عنوية الحياة مع الله وصارت في مرارة العلقم الذي تحاول أن تخفيه.

❖ ماذا قد حدث لمظهرك الوقور، وسيرتك العظيمة وملبسك البسيط اللائق بالعداري، وجمال الحياء الذي لوداعتك، وكمال جهادك وبريقه اللائق بالمتابرة والسهر الأكثر بريقًا من أي جمال صناعي مُزَيَّف؟

كيف لا تُصَلِّين، ولو بدموع، حتى تحفظي بتوليتك بغير دنس!  
كيف لا تكتبي إلى القديسين، متوسِّلة إليهم أن يقدِّموا صلوات من أجلك، لا لكي تتزوَّجي، إذ يكون أفضل من تمرُّغكِ في الفساد المعيب، بل بالحري لكي لا تسقطي بعيدًا عن الرب يسوع؟

كيف أنك تتالين عطايا من العريس؟ لماذا أحصي الكرامات المعطاة لك من أجله بواسطة أولئك الذين له؟

لماذا أخبركِ عن رفقتكِ للعداري، وتقدِّمكِ معهم، ونوالكِ الكرامة معهم بسبب البتولية، والمدائح الخاصة بالبتوليين؟

الآن، كأنك كما لو بنفخة صغيرة من سلطان الهواء الذي يعمل في أبناء المعصية (أف ٢: ٢) قد أفسدت هذا كله.

إنك تُغيِّرين الكنز المجيد، الذي يستحق أن يُجاهد الإنسان من أجله مهما كانت التكلفة، تُغيِّرينه من أجل تراخٍ في فترة الحياة القصيرة لنسبتي لذنك إلى لحظة، وفي يوم ما ستدركين أنها (لم تكن لذَّة) ولكنها أمرٌّ من العلقم!

القديس باسيليوس الكبير

هوذا الكل يبكيك!

ما حلَّ بها لم يحوِّل فقط أعماقها من عنوية الشركة مع الله إلى العلقم الذي تحاول أن تخفيه، إنما حلَّ الحزن على كل من هم حولها. إذ يرون القرية المقدسة الآمنة قد صارت زانية.

ما حلَّ بها يشغل الكثيرين، فيرفعون الصلوات عنها أمام القديس.

ما حلَّ بها إنما هو أمرٌّ مما حلَّ بحواء بخداع الحية لها. لأنها أفسدت أعضاء المسيح وجعلتها زانية (١ كو ٦: ١٠).

السماء والأرض تقشعران لتمردهما على مُخلَّصها وخضوعها للخطية والدنس. استبدلت عريستها

المحبوب بإبليس المُستبد!



❖ من لا يحزن على مثل هذه الأمور قائلاً: "كيف صارت القرية الأمينة زانية؟" (إش ١ : ٢١).

كيف لا يقول الرب نفسه لأولئك الذين يسلكون بروح إرميا "هل ترون ماذا صنعت بي عذراء إسرائيل؟" (راجع إر ١٨ : ١٣). لقد خطبتها لنفسي بالعدل والنقاوة والبر والإحسان والرحمة، وذلك كما وعدتها على لسان هوشع النبي (راجع هو ٢ : ١٩). لكنها أَحَبَّت الغرياء، وأنا زوجها لا زلت بعد حيًّا. إنها تُدعى زانية، ولا تخف أن تُسب لزوج آخر.

بماذا يجيب وسيط<sup>١</sup> العروس، بولس الإلهي الطوباوي، الذي بواسطته وتعاليمه تركتني بيت أبيك وأتحدث بالرب؟ ألا يقول في حزن من أجل هذا الاضطراب (مع أيوب): "لأنني ارتعابًا ارتعبت فاتاني، والذي فزعت منه جاء عليّ" (أي ٣ : ٢٥). "لأنني خطبتكم لرجل واحد، لأقدم عذراء عفيفة للمسيح" (٢ كو ١١ : ٢).

وأنا أيضًا بالحقيقة خائف "أنه كما خدعت الحية حواء بمكرها، هكذا يفسد ذهنك عن البساطة التي في المسيح" (راجع ٢ كو ١١ : ٣). لهذا فإنني أجاهد بكل طرق الجنب أن أضبط حواسك الثائرة، وبكل وسائل الحفظ أن أصون عروس الرب.

هكذا إنني أضع أمامي حياة العذراء غير المتزوجة، وأرى كيف أن "غير المتزوجة تهتم فيما للرب، لتكون مقدسة جسدًا وروحًا" (١ كو ٧ : ٣٤).

لقد اعتدت أن أصِفَ عظمة كرامة البتولية، وأحدِّثك كهيكل للرب، واعتدت كما لو أنني أهب غيرتك جناحين إذ أود أن أرفعك عند يسوع.

لكن بالتخويف من الشر، ساعدتك بالكلام ألا تسقطي قائلاً: "إن كان أحد يُفسد هيكل الله، فسيفسده الله" (١ كو ٣ : ١٧).

كذلك حاولت بالصلوات أن أجعلك في أمان أكثر، حتى يكون جسدك ونفسك وروحك محفوظة بلا عيب إلى مجيء ربنا يسوع المسيح (١ تس ٥ : ٢٣).

ولكن هوذا كل جهادي من أجلك ضاع باطلاً. صارت المرارة نهاية لعذوبة أتعابي. والآن فإنني محتاج أن أنتهد مرة أخرى عمًّا كان يلزمني أن أبتهج به.

لقد خدعتك الحية بأكثر مرارة ممَّا صنعتها مع حواء، ولم تخدع ذهنك فحسب، بل وصيرت جسدك مُدَنَسًا.

إنني لا أقدر أن أصمت إلى أن يعبر هذا الفرع الأخير، الذي يرتعب بدني لذكرك. إنه كنار مُحْرِقَةٌ تلتهب في عظامي، فإني غير قادر أن أعمل شيئًا وغير مُحْتَمِلٍ إيَّاه.

<sup>١</sup> الكلمة اليونانية تعني الإنسان الذي يأتي بالعروس من بيت أبيها أو من بيتها إلى بيت العريس.

لقد أخذت أعضاء المسيح وجعلتها أعضاء زانية (١ كو ٦ : ١٥). هذا شرٌّ لا نظير له. هذا انتهاك جديد للحياة. "اعبروا جزائر كَثِيم، وانظروا وأرسلوا إلى قيذار، وانتبهوا جدًّا، وانظروا هل صار مثل هذا هل بدلت أمة آلهة، وهي ليست آلهة؟" (إر ٢ : ١٠-١١). لكن العذراء قد بدلت مجدها في عارها.

ابتهتي أيتها السماوات ... ، واقطعي أيتها الأرض وتطيري جدًّا - كما يقول الرب - لأن العذراء قد ارتكبت شرين (إر ٢ : ١٢ - ١٣). تركتني أنا عريس النفوس المقدسة الحقيقي، وسلّمت نفسها إلى مُفْسِدٍ قاسٍ وظالمٍ مُهْلِكٍ للنفس كما للجسد.

لقد تمرّدت على الله مُخْلِصها، وأخضعت أعضائها خادمة للخطيئة والدنس (رو ٦ : ١٩). لقد نستني وذهبت وراء محبوبها الذي لا تنتفع منه بشيء (هو ٢ : ١٣)'.<sup>١</sup>

القديس باسيليوس الكبير

### ألا تعلمي قدر خطيئتك؟

بعد أن صوّر لها موقفها أنها أشبه بحواء الجديدة التي خدعتها الحية، بل وأخطر منها، لأنها بعد أن صارت أعضاؤها أعضاء المسيح جعلتها زانية، قدّم لها تكلمة خطيرة لهذه الصورة. ألا وهي أنها بعد أن اشتراها السيد المسيح بدمه، وصارت عروسًا للمسيح، سمحت لإنسان أن يرتكب الخطية معها. إنها مسئولة أيضًا عن خطية هذا الإنسان، إذ سمحت له أن يعتدي على صورة الله، ويقتمح حجال المسيح. إنها بتول لم تكسر النذر فحسب، بل وتركت مجالاً لمن ارتكب الشر معها أن يُفسد بتوليئتها المُكْرَسَة للمسيح!

❖ إن من يطوّق عنقه بحجر رحي، ويُلْقَى في البحر، أفضل من ذاك الذي يُخْطِئ مع عذراء الرب.

أي عبد يصل به الجنون أن يقتمح مخدع سيّده؟!

أي لص يبلغ به الغباء أن يسطو على تقدمات الله ذاتها، لا على أوانٍ ميّنة، بل يسطو على أجساد حيّة بها نفس على صورة الله؟!

من عرّف عنه أنه قد بلغت به الجسارة أن يرسم صورة خنزير دنس على تمثال ملكي في قلب المدينة وسط النهار؟!

إن الإنسان الذي يصنع رجسًا، على شاهدين أو ثلاثة يموت بغير رحمة (تث ١٧ : ٦).

فكم بالأكثر تكون مرارة عقابك، يا من وطئت دم ابن الله تحت قدمين ونجست عروسه المتعهد بها، واحتقرت روح البتولية (عب ١٠ : ٢٩)؟!<sup>١</sup>

القديس باسيليوس الكبير

### من أجبرك على الخطيئة؟

يجيب القديس على تساؤل أو تبرير ربما كان يجول في ذهنها، ألا وهو: إنه كان يغويني! وكأنها تلقي باللوم ولا جزئياً على الخداع. هنا يبرز القديس الآتي:

١. لم يكن موقفها أصعب من موقف يوسف مع سيده امرأة فوطيفار، ومع هذا لم تستطع أن تلزمه بارتكاب الخطية، مُعرضاً نفسه للمخاطر مُقابل طهارته.

٢. إنها ليست بصبيبة صغيرة، لكنها عذراء المسيح.

٣. أن اعتذرت بأن من ارتكب معها الخطية يرتكبها مع غيرها فهي لم تعثره. هذا ليس بعذر، لأن العثرات موجودة في العالم، وفي كل الأجيال، لكن الويل للذي تأتي بواسطته العثرات.

❖ إنه يغوي المرأة ويقنعها، لكنه لا يقدر أن يجبرها على المعصية.

هكذا أيضاً المرأة المصرية غير العفيفة قد اشتعل في قلبها حبها ليوسف الجميل، لكن عفة هذا الشاب لم تغلبها نزوة المرأة الشريرة، بل وحينما وضعت يدها عليه لم تقدر أن تُجبره على المعصية.

لكنه لا زال يغويني! هذا ليس بأمر جديد.

إنها ليست بصبيبة، فإنها وإن أصرت على الرفض فستفسد بأخر غيري.

نعم. فإنه مكتوب أن ابن الإنسان لا بد وأن يُخَانَ، ولكن الويل لذلك الإنسان الذي يخونه (مر ١٤ : ٢١). أنه لا بد وأن تأتي العثرات، ولكن الويل لذلك الإنسان الذي به تأتي العثرة (مت ١٨ : ٧)<sup>٢</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

### لماذا لا تقومين؟!

إن كان سقوطها يُمثّل ضربة مُرة، فإن عدم توبتها أكثر مرارة، لأن فيه استهانة بالطبيب السماوي القادر أن يعطي اللسان للشفاء!

<sup>٢</sup> رسالة ٤٦ : ٤

<sup>٢</sup> رسالة ٤٦ : ٤

إنه يستخدم كل أنواع الأدوية لشفاء مرضاه، يُقدِّم قيامته رصيِّداً للموتى، بها يتمتَّعون بقوة القيامة ومجدها عِوَضَ فساد الموت. ويُهَدِّد بالعقوبة لمن لا يرجع بالحنو والرافة. أبواب التوبة مفتوحة على الدوام، وطرقها كثيرة، فليس لأحدٍ أن يُبَرَّرَ عدم رجوعه إلى الله الذي ينتظره مهما كانت ثقل خطاياها.

❖ في مثل هذه الحالات "هل يسقطون ولا يقومون؟ أو يرتدُّ أحد ولا يرجع؟" (إر ٨ : ٤)  
لماذا ولَّت العذراء ظهرها بعاري، مع أنها سمعت كلمات السيِّد المسيح عريسها يقول على لسان إرميا: "فقلت بعدما فعلت كل هذا (أي ارتكبت كل هذا الزنا) ارجعي إليّ، فلم ترجع" (إر ٣ : ٧). "أليس بلسان في جلعاد، أم ليس هناك طبيب، فلماذا لم تُعصَّب بنت شعبي؟" (إر ٨ : ٢٢)

إنك ستجدين أدوية كثيرة ضد الشرِّ في الكتاب المقدَّس، تجدين علاجاً للخلاص من الخراب والعودة إلى الصِّحة، وهي:  
أسرار الموت والقيامة،  
عبارات العقوبة الأبديَّة،

تعاليم التوبة ومغفرة الخطايا (باستحقاق دم المسيح)،  
تلك الصور التي لا حصر لها للحديث (عن الأدوية)، مثل الدرهم المفقود، والخروف الضال، والابن الذي أضاع كل ماله على الزواني، الذي كان ضالاً ووَجِدَ وميِّتاً فعاش.  
ليتنا لا نستخدم هذه الأدوية لأجل مرضنا (لكي تكون شاهداً علينا)، بل لكي تشفي نفوسنا<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

### اذكري يومك الأخير

ينطلق بها إلى يوم الرب الأخير الذي لن يهرب منه إنسان، ولا يقدر أحد أن يُبَرَّرَ خطاياها أمام الناس والطغمت السماوية.

❖ اذكري يومك الأخير، فإنك بالتأكيد لن تختلفي عن كل بقية النساء فتعيشين (هنا) إلى الأبد.  
اذكري تلك الكارثة، حشجة الموت وساعته، كلمة الله الرهيبة، إسراع الملائكة في طريقها، ارتعاب النفس خائفة.



اذكري لحظة الاحتضار حين تتألم النفس بسبب الشعور بالخطيئة، حزينه على تلك الحياة الحاضرة مع ضرورة وجودها في الحياة الطويلة (الأبدية).

صوري لي - كما تتخيلين - نهاية الحياة البشرية عندما يأتي ابن الله في مجده مع ملائكته "يأتي إلها ولا يصمت" (مز ٥٠ : ٣). يأتي ليدين الأحياء والأموات، ويعطي كل واحد حسب أعماله، فعندما يبوق ذلك البوق المرعب يخرج كل أولئك الذين رقدوا عبر الأجيال، فيأتي الذين صنعوا الصالحات إلى قيامة الحياة، وأما الذين صنعوا السيئات فإلى قيامة الدينونة (يو ٥ : ٢٩).

تذكرني رؤية دانيال كيف أوضح يوم الدينونة أمامنا. "كنت أرى أنه وضعت عروش، وجلس القديم الأيام. لباسه أبيض كالثلج، وشعر رأسه كالصوف النقي، وعرشه لهيب نار، وبكراته نار مُتَقَدَّة. نهر نار جرى وخرج من قدامه. ألوف ألوف تخدمه، وربوات ربوات وقوف قدامه. فجلس الدَّيْنُ، وفتحت الأسفار" (دا ٧ : ٩-١٠).

سيعلن علنا أمام الناس والملائكة الصالحات والسيئات، الأمور العلانية والخفية، أعمال الكل وأقوالهم وأفكارهم.

إذا ماذا يفعل أولئك الذين يعيشون حياة شريرة؟!

أين تختبئ تلك النفوس التي يفضح خزيتها أمام الجميع؟!

بأي جسد يحتمل هؤلاء ما لا يُحتمَل من الآلام في النار التي لا تُطفأ والدود الذي لا يموت، في أعماق الهاوية حيث الظلمة والرُعب والنحيب المر والعويل والبكاء وصرير الأسنان الذي بلا نهاية؟!

هناك لا يوجد مجال للانطلاق من هذه الويلات بعد الموت، فلا نصيحة ولا وسيلة للهروب من الألم<sup>١</sup>.

القديس باسيليوس الكبير

اهربي لحياتك

أخيراً يختم رسالته إليها بتوجيه نظرها إلى المسيح المُخَلَّص، لتهرب إليه وليس منه، فهو مُخَلَّص الخطاة، قادر أن يرد لنا طهارتنا وبتوليتنا ونقاوتنا بنعمته. إنه الطبيب السماوي الذي يشفي كل مريض. وهو النور الحقيقي الذي ينطلق بنا من الظلمة إلى النور. إنه مشغول بخلصنا، لن يتوانى في عمله الخلاصي، والراعي الصالح الذي يبذل نفسه عن خرافه المفقودة. إنه لا يقف ينتظر

<sup>١</sup> رسالة ٤٦ : ٥

الخطاة، بل يركض إليهم، ويقع على عنقهم ويحتضنهم بحبه، ويلبسهم ثياب العرس، ويدخل بهم إلى الفرحة السماوي.

سيقف مدافعًا عن الخطاة، مُعلنًا أنهم كانوا موتى والآن هم أحياء به وفيه!

❖ الآن نستطيع أن نهرب. فإذ يمكننا ذلك، لننقّم من السقوط، فلا نياس من أنفسنا مادمنًا نهرب من الشرّ.

لقد جاء يسوع المسيح لكي ينقذ الخطاة. لنأتي ونسجد أمامه مُتعبدين، لنبكي قدامه (مز ٩٥: ٦).

إن الكلمة الذي يدعونا إلى التوبة يُنادينا بصوت عالٍ: "تعالوا إليّ يا جميع المُتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم" (مت ١١: ٢٨).

إنه يوجد طريق للخلاص إذا أردنا. "يُبلع الموت إلى الأبد، ويمسح السيّد الرب الدموع عن كل الوجوه" (إش ٢٥: ٨)، أي عن كل التائبين.

الرب صادق في كل أقواله (مز ١٤٥: ١٣). إنه لا يكذب عندما يقول: "إن كانت

خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج، وإن كانت حمراء كالنودي تصير كالصوف" (إش ١: ١٨).

إن طبيب النفوس العظيم، الذي يُريد أن يُحرّر، هو مستعد أن يشفي مرضك، لا أنت وحدك فحسب، بل كل الذين أسرتهم الخطية.

فمنه قد صدر ذلك القول الذي من شفّته العذبتين المُخلّصتين، قائلاً: "لا يحتاج الأصحاء

إلى طبيب بل المرضى... لم آت لأدعو أبرارًا بل خطاة إلى التوبة" (مت ٩: ١٢-١٣).

فأي عُذر لك؟ أي عُذر لأي إنسان ما دام الرب قال هذا؟

إنه يريد أن يُنقّيكَ من ضعفك ويُريك النور بعد الظلمة.

إن الراعي الصالح الذي يترك الخراف التي لم تضل، يبحث عنك. إن قدّمت له نفسك،

فإنه لن يتوانى عنك. إنه في حبه لن يكف عن أن يحملك على كتفيه، فرحًا لأنه قد وجد خروفه الذي قد فُقد.

يقف الأب وينتظر عائدة إليه من ضلالك.

فقط ارجعي، فإنك وأنت من بعيد يجري ويقع على عنقك، وعندئذ تغتسلين بالتوبة،

ويحيطك بأحضان الحبّ، وسيلبسك ثوب النفس الرئيسي الذي خلعه الإنسان العتيق بكل

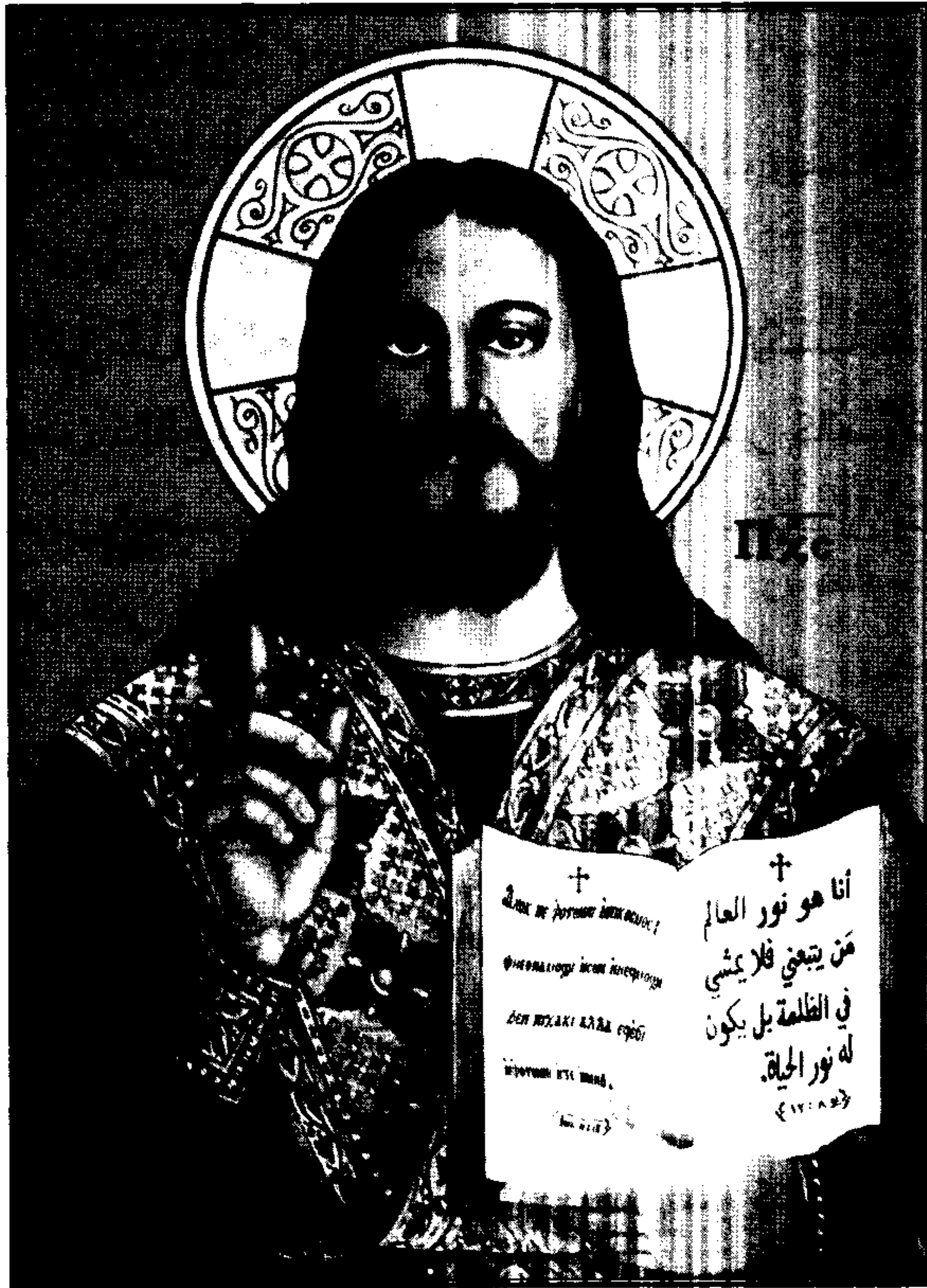
أعماله، إنه سيلبسك خاتمًا في يدك، ويفسلك من دم الموت، ويلبسك حذاءً في قدميك اللتين

تحيدان عن طريق الشرّ نحو طريق إنجيل السلام. يُعلن أنه يوم فرح وسرور لكل خواصه من

ملائكة وبشر، مكرماً خلاصك كثيراً. إذ يقول: "الحق أقول لكم إنه يكون فرح عظيم في السماء  
بخاطئ واحد يتوب" (لو ١٥ : ٣٢).

وإن احتجَّ أحد ممن يحسبون في أنفسهم أنهم قائمون، وذلك بسبب سرعة قبولك، فسيجيئه  
الآب الصالح نفسه، قائلاً: كان ينبغي أن نفرح ونُسّر، لأن ابنتي كانت ميّنة فعاشت، وضالة  
فوجدت (راجع لو ١٥ : ٣٢)¹.

القديس باسيليوس الكبير



¹ رسالة ٤٦ : ٦

# المحتويات

## الباب الأول

٥

### باسيليوس والحياة الرهبانية

#### ١. الرهينة والنسك

الرهينة الباسيلية والكنيسة المعاصرة.

#### ٢. مدرسة رهبانية جديدة

الحياة الرهبانية والتمتع بخلص الله، أنظمة الرهينة، القديس باسيليوس ونظام الشركة، تشجيعه الشركة مع المجاهدين، الرهينة الخادمة وبركات التوحد، التزام المتوحدين بعدم التراجع، تكامل بين النظامين لا تعارضهما! شهرته الرهبانية.

#### ٣. قوانينه وكتابه النسكية والرهبانية

مجموعتان من القوانين.

#### ٤. غاية الرهينة

غاية الرهينة: ١. خلاص النفس، ٢. الانشغال بالسماويات، ٣. الانسحاب من الارتباك بهوم العالم، ٤. التجرد من حركات الأهواء نحو الشر، ٥. التجرد من الممتلكات الزمنية.

#### ٥. الرهينة والأساس الإنجيلي

حفظ الوصايا الإنجيلية، نقندي بمسيحنا ونحمله فينا!

#### ٦. الرهينة والحياة الكنسية

أسقف عظيم وقائد حركة رهبانية، الرهينة الباسيلية والكنيسة، الأديرة الباخومية والأديرة الباسيلية وخدمة الكنيسة.

٤٥

## الباب الثاني

### الالتحاق بالأديرة

#### ١. الانسحاب من العالم

١. اخرجوا من وسطهم واعتزلوا! ٢. حفظ الحواس من الفساد للتأمل في الإلهيات! ٣. لنحمل الصليب ونتبع المصلوب، ٤. لنحذر إدانة الآخرين! ٥. ارتبكات الحياة تُفقد النفس بهجتها في الله.



## ٢. التجرد والزهد

١. التجرد والتدرب على حرفة واحدة سماوية! ٢. التجرد والحرية الداخلية! ٣. التجرد تمتع بخبرة الصلب والقيام! ٤. التجرد وتصحيح المسار! ٥. التجرد وتقديس الشهوات! ٦. التجرد من الملكية الخاصة بالحب للجميع، ٧. التجرد والبتولية، ٨. التجرد والانسحاب من ارتباكات العالم، ٩. التجرد من إرضاء الناس والالتصاق بالوصية الإلهية.

الزهد والتجرد في حياة القديس باسيليوس، كيف أمكن القديس باسيليوس ممارسة التجرد؟  
١. لتذكّر أن الله ناظر إلينا! ٢. ليكن غرضنا إرضاء الله لا الناس! ٣. عدم الخلطة بالأشرار!  
٤. تنقية النفس في الوحدة! ٥. شركة في حمل الصليب!

لماذا لا نستطيع التجرد الكامل ونحن وسط الناس؟ يرفض الإنسان كل ما له ليتقدم إلى الفضيلة، التجرد والشركة مع السيد المسيح: ١. الالتزام بالتجرد للتمتع بالشركة مع السيد المسيح، ٢. أمثلة عملية للتجرد، ٣. شهادة من كلمات الرب عن التجرد، ٤. المفهوم الإيجابي للتجرد.

## ٣. الانخراط في السلك الرهباني

الدعوة للرهبنة، الانضمام للحياة الرهبانية، قبوله في حضور الجميع، فترة الاختبار، انتقال طالب الرهبنة إلى الترشيح للرهبنة.

## الرهبنة والحياة الروحية

### ١. الراهب وحياته الروحية

المؤمن وحياته الروحية، الراهب وحياته الروحية، الحياة الرهبانية والبتولية الداخلية، الحياة الرهبانية والإيمان، الحياة الرهبانية والخلوص، حرارة الروح، فحص الضمير اليومي، الاهتمام بالأمر العظيم، الحياة الرهبانية وتذكر يوم الدينونة، الحياة الرهبانية والتغصّب، لا تؤجل حتى الساعة الأخيرة! الحياة الرهبانية والنمو الروحي.

### ٢. العفة *Continenca*

العفة في حياة المؤمن، تحذير من عدم العفة وحث على اقتنائها، العفة والاعتدال، عفة المشاعر (انضباط الضحك والتميز بين الرقص الروحي والرقص الماجن)، بين العفة أو ضبط النفس *continenca* والشبع بالرب! معايير العفة وضبط النفس، المعمودية وطهارة الجسد والنفس، العفة وتجنب العثرات، خطورة فقدان العفة! العفة والاتحاد مع الله.

### ٣ . ملامح السلوك الرهباني

أحاديث مختصرة عملية عن السلوك الرهباني، المظهر اللائق بالراهب، حب التعلم المستمر، ليكن النوم خفيفاً، عدم الارتباط بملكية خاصة، عدم ترك القلاية إلى زمان! الهروب من التجمعات الشبابية غير الناضجة، الهروب من الأحاديث الغبية، عدم الافتراء، عدم الحسد، عدم الطمع، عدم اليأس، الرهبة والحياة الكنسيّة، الرهبة والحياة الاجتماعيّة، البعد عن النساء ومنع دخول النساء أديرة الرجال.

### ٤ . الرهبة وحياة الشركة

#### كيف نعيش مع بعضنا البعض؟

نظام الشركة ووصية الحب، الحياة الرهبانيّة والحب لله والناس، الحب الأخويّ علامة التلمذة للمسيح، الحب الأخويّ والوحدة، الحياة الرهبانيّة وبث روح السلام، الشركة الأخويّة في الرب، الحب الأخوي وخلص الإخوة، كيف نمارس حياة الشركة؟ تكريم كل عضو الآخر، خدمة القديسين، أيهما تختار: عمل مريم أم مرثا؟ فن الحوار، ما هو موقفنا إن وُجدت مناقشات أو حوار بين بعض الإخوة؟ وفاء الكلاب، الصداقة، الصداقات الخاصة

### ٥ . المنازعات وحياة الشركة

بخصوص المنازعات في الجماعة، خطوات عملية لحلّ المنازعات، مراعاة الخصم، ليتوقف تدفق خطية الخبيث، الصلاة من أجل الصديق ليثبت في الله

### ٦ . أسئلة حول سلوك المؤمن في ظل نظام الشركة

مباركتنا للشاتمين، الحاجة إلى المصالحة قبل تقديم الذبائح، ما هو موقف جماعة فقيرة من جماعة لا تريد الشركة معها؟ محبة أخوية ببناءة، ما هو موقف أخ أصغر طلب منه أن يعلم أخاً أكبر منه في السن؟ هل يلتزم الراهب أو الدير بدفع الضرائب الموضوعه عليه؟ التزام الأقوياء بحمل ضعفات الضعفاء، المحبة الصادقة للعدو، إن أحزن أخ أخاه، كيف يمكن إصلاحه؟ كيف نقندي بإخوتنا الأتقياء؟ هل نتدخل في مشاكل إخوتنا؟ ماذا إن كان الشخص الذي أحزن أخاه لا يقدر أن يتقدم ليعتذر؟ ماذا لو أن الذي سبب الحزن اعتذر، أما الذي حزن فلم يقبل المصالحة؟ كيف نتعامل مع إخوتنا الذين لنا دالة عليهم؟ ما هو موقف الراهب من كاهنٍ يخطئ إليه؟ هل نلتزم الصمت أمام من يخطئ إلينا من أجل طول الأناة؟ حول قانون الطاعة، ما هو موقف الجماعة ممن يبثون تعاليم خاطئة؟ ما هو موقفنا من أخٍ يخطئ؟ ما هو موقفنا ممن يهوى النقد المستمر لتبرير نفسه؟ ما هو

موقفنا ممن يسلك بعجرفة؟ كيف يليق بنا أن نستقبل الراهب الراجع تائبًا بالحق من كل قلبه؟ بين الخطية والتجديف، قبول خدمة الغير، من هم الأحياء الذين نموت من أجلهم؟ بخصوص الصفقات التجارية في الاجتماعات العامة.

## ٧. الراهب والنصرة على إبليس

الشیطان وملائكته، اسم الشيطان، سقوط الشيطان، عمل الشيطان والأرواح الشريرة، سلطان إبليس على البشر، الرهبة معركة سماوية مع إبليس، تحني الشياطين نفوس الأشرار نحو التراب كالحوانات، اطرحهم تحت قدميك، التمييز بين الأفكار التي تأتي من تهاون النفس والتي تأتي من محاربة الشيطان، عدو لا يهدأ! هل الشيطان هو المبتدع لكل خطية؟

كيف ننتصر على إبليس؟ ١. الالتصاق بالثالوث القدوس، ٢. رفع القلب نحو الإكليل السماوي، ٣. رفع القلب والفكر نحو السماء، ٤. بالصليب يتحطم العدو وينعم المؤمن بالقيامة، ٥. الجهاد المستمر في ممارسة الوصايا خاصة المحبة، ٦. الانشغال بممارسة عمل يومي، ٧. الاقتداء بالمجاهدين المنتصرين، ٨. الجدية والهروب من مجال العثرات، ٩. الصلاة من أجل المُجربين والساقطين، ١٠. تذكر فرح الكنيسة كلها بنصرتنا.

## ٨. أسئلة حول معركتنا مع إبليس

هل لإبليس سلطان أن يعوق أناس الله القديسين؟

١٩١

## الباب الرابع

### النظام الرهباني والعبادة

#### ١. حول العبادة

العبادة في فكر القديس باسيليوس، العبادة والليتورجيا.

#### ٢. الحياة الرهبانية والعبادة

العبادة العقلية، الصلاة وتسبيح المزامير بفهم، العبادة والمخدع.

#### ٣. الحياة الرهبانية والصلاة

الصلاة في حياة وفكر القديس باسيليوس الكبير، يا لبركات الصلاة، الصلاة المقبولة، الصلاة والحياة السماوية، صلاة أم ثرثرة! الصلاة العقلية، الصلاة والتأمل في الله، الصلاة ومذبح القلب الهادئ، الصلاة وطياشة العقل أو تثنتيت الفكر، الصلاة الدائمة، الصلاة الدائمة وممارسة الحياة

لملائكية، الصلاة الدائمة وصلوات السواعي والمزامير، ذبيحة الشكر، شفاعة الآخرين، الصلاة وحياة السهر، لتطلب من الله ما يليق به، كيف نصلي؟ الصلاة بروح التواضع، الصلاة بلجاجة، الصلاة والتغصّب، هل الله محتاج إلى صلاتنا؟ الصمت في بيوت الصلاة، الصلاة من أجل الخلاص والنجاة!

#### ٤. أسئلة حول الصلاة

عدم التركيز في الصلوات والتسابيح على شخص أو اثنين، استجابة الصلاة، اتفاق اثنين في أي شيء يطلبانه فيكون لهما (مت ١٨ : ١٩)، هل يستطيع كل إنسان أن يصلي: "يا رب إلهي، عليك توكلت"؟ هل نصلي ألا يدخلنا في تجارب؟

#### ٥. الحياة الرهبانية والتسبيح

التمتع بحياة تسبيح متهلّة، التسبيح وكلمة الله، التسبيح وسفر المزامير في حياة الكنيسة، سفر المزامير دواء للنفس، سفر المزامير وعذوبة طريق الفضيلة الوعر، يا لعظمة التسبيح بالمزامير! المزامير والموسيقى، تسبحة جديدة، التسبيح الدائم.

#### ٦. الحياة الرهبانية والصوم

التمتع بحياة تسبيح متهلّة، التسبيح وكلمة الله، التسبيح وسفر المزامير في حياة الكنيسة، سفر المزامير دواء للنفس، سفر المزامير وعذوبة طريق الفضيلة الوعر، يا لعظمة التسبيح بالمزامير! المزامير والموسيقى، تسبحة جديدة، التسبيح الدائم، الصوم في حياة وفكر القديس باسيليوس الكبير، العظة الأولى، العظة الثانية، الصوم في حياة القديس باسيليوس الكبير، يا لعظمة الصوم! الصوم أول وصية إلهية، الصوم بنظام جماعي، الاعتدال في الصوم، أهمية الصوم، بالصوم نقرب من الله وننعم بروئيته، الصوم وتقديس النفس والجسد، الصوم طريق للسلام الداخلي، الصوم طريق النصر على الشيطان، الصوم يعلّم الوحوش، التخلص من شهوة الطعام مهلكة، كيف تُمارس الصوم؟: ١. الصوم والصلاة مع الشعب بكلمة الله والتناول من الأسرار الإلهية، ٢. الصوم بدون رياء، ٣. الصوم بغير مقدسة.

#### ٧. الحياة الرهبانية والتقدمة المقبولة

##### عظة ١٣ على المزمور ٢٩ (مزمور ٢٨ السبعينية)

التقدمة المقبولة، المفهوم الحرفي للمزمور والمفهوم الروحي، أولاً: الانتهاء من الخيمة *Finishing the Tabernacle*، ثانياً: التقدمة عظيمة ومقدّمة عظيم، ثالثاً: التدمات اللائقة



باللَّه، ١. المجد والعز لله، ٢. الطاعة للوصية الإلهية، ٣. غرسنا في بيت الرب، ٤. قبول صوته الإلهي فينا كينبوع مياه حية، ٥. تمتُّعنا بروح القوة خلال صوت الرب، ٦. تمتُّعنا بالجلال خلال صوت الرب، ٧. تمتُّعنا بكسر روح لكبرياء خلال صوت الرب، ٨. تمتُّعنا بقطع لهيب النار خلال صوت الرب، ٩. تمتُّعنا بزلزلة البرية خلال صوت الرب، ١٠. صوت الرب يُعدُّنا غزلاً، ١١. قبولنا جلوس الرب فينا، ١٢. قبول وحيد القرن فينا، أين نُقدِّم تقدمتاً؟

٢٧٣

## الباب الخامس

### الحياة في الدير

#### ١. الحياة الرهبانية والطعام

الروحانية والسلوك العملي، لنهتَم بالطعام الروحي والشراب الروحي أو الملابس الروحي، كل شيء ظاهر للطاهرين، نأكل لكي نحيا لا من أجل اللذة، الهروب من النهم، آداب المائدة.

#### ٢. الحياة الرهبانية والملبس

الملبَس وروح التواضع، معايير ملابس المؤمن، الزي الرهباني، المنطقة (الطوق)، الاهتمام بالوصية الإلهية يرفعه فوق كل الاحتياجات، إساءة استخدام الملابس، هل من حق الراهب أن يُعطي أحداً من الملابس؟

#### ٣. الحياة الرهبانية والعمل

مدينة مثالية! العمل وغايته، التخصص في العمل، الأمانة والجدية في العمل، إضرار الوزن، العمل في الدير والنزعة المقدسة، العمل في الدير ورفع القلب للأبدية، بين حياة الصلاة والعمل، العمل خارج الدير، الأعمال المناسبة للمُكرَّسين، الأسلوب الذي نتخذه في بيع منتجاتنا والذي نستخدمه في رحلاتنا.

#### ٤. أسئلة بخصوص العمل

العمل واستضافة الزائرين، تغيير العمل، الالتزام بتعليمات الرؤساء، العامل وأدوات العمل، العمل والصمت، العمل والعثرة.

#### ٥. العدالة الاجتماعية عند القديس باسيليوس الكبير

العدالة الاجتماعية، العدالة الأخوية والحب الأخوي، احتفظ بثروتك ولا تُبدِّدها! لماذا تدفن قلبك مع الذهب؟! زَيْن نفسك ببرِّ المسيح عوض تزيين بيتك بذهب العالم! حُبُّ الاقتناء والفراغ الداخلي،

نلتقي بالديان وحولك خورس! بين الذهب والحجارة الكريمة! محبة الغنى الفاحش تُدمر المجتمع، العطاء والاهتمام باحتياجات الأطفال، حوّل ثروتك إلى زينة لا تتفصل عنك! أهدم مخازني، لبيتك تبني المخازن للجائعين مثل يوسف! تمثّل بالأرض السخية في العطاء، لنشارك المحتاجين مشاعرهم! تمثّل بالآبار التي تمتلئ بنزحها، يا لغباوة القرار بالبناء المتكرر مع الهدم، هل أنا ظالم بحفظي ما هو لي؟! الله لا يطلب حرماننا بالمجاعة بل رجوعنا مع أطفالنا إليه، ما قيمة ثروتك بدون رعاية الله لك؟! ماذا وراء تجربة المجاعة القاسية؟ دعوة للتعقل وسط الضيقة الشديدة، أعط من إعواذك، خدام الله مصدر الفرح، لبيتنا نقتدي حتى بالحيوانات! الربا واستغلال المجاعة، التزام المفترض بالحكمة والدراسة الجادة، تحذيرات أخيرة من التسرع في الاقتراض، العطاء والعتو الإلهي، الحاجة إلى محبتنا للقريب.

٣٤٩

الباب السادس

## النظام الرهباني

### ١. العاملون في الدير

العمل والعاملون في الدير، علاقة العاملين القدامى بالعاملين الجدد، مبادئ أمين المخزن، المبالغة في العمل، الخدمة في دور العجزة، حول خدمة المخازن، العاملون في الدير والعطاء.

### ٢. الرؤساء والآباء الروحيون

الحاجة إلى رئيس للدير وإلى آباء مرشدين، سمات رئيس الدير وأب الاعتراف: ١. مقدّس، ومحِب لإخوته في الرب، ٢. متواضع، ٣. الاختفاء في المسيح القائد الحقيقي، ٤. كل مقتنياته ملك مشاع لأبنائه الروحيين، ٥. ليكن أخًا مُحبًا ونموذجًا لهم، ٦. ليكن طبيبًا لإخوته يُعالج أمراضهم، ٧. لا يداهن الخاطئ ليتملّقه من أجل زيادة شعبيته، ٨. يسلك بروح الوحدة مع بقية رؤساء الأديرة، ٩. أن يكون حكيمًا كالأفعى وبسيطًا كالحية، ١٠. ألا يعثر أحد بإهانتته للمقدسات، ١١. استخدام الحزم تدريجيًا مع العصاة، خطورة وجود قادة أشرار أو فاسدين.

هل نصمت على خطأ الرؤساء؟ عدم الافتراء على الرئيس، قوانين أخرى بخصوص القادة في الدير، الطاعة للأب الروحي والرئيس، قبول التأديب والتوبيخ من أجل الشفاء، عدم إخفاء الخطايا عن الرئيس، طاعة ليس على حساب الوصية الإلهية، عدم فحص أعمال الرئيس بحُبّ الفضول، تعامل الرؤساء معًا، التزام الرؤساء أن يتبادلوا الرأي فيما بينهم.

مشاكل خاصة بالرؤساء: ١. وجود أكثر من شخصية لها سمات قيادية في دير واحد أو إيبارشية واحدة، ٢. وجود أكثر من جماعة ديرية في إيبارشية واحدة، ٣. الحاجة إلى جماعة ديرية واحدة في الإيبارشية واحدة.  
سمات مُدبّر احتياجات الإخوة (الروبيطة)

### ٣. ترك الدير

لماذا يترك البعض الإخوة (الجماعة الرهبانية أو جماعة المُكْرَسِين)؟ الرحلات والخدمة خارج الدير.

٣٩٧

## الباب السابع

### حول الحياة الرهبانية

#### ١. العلاقة بالأقرباء

الانسحاب من الأقرباء، ما هو موقف الراهب من أقربائه حسب الجسد؟ ماذا لو طلبوا منا استضافتنا في بيوتهم؟

#### ٢. الرهبة والعطاء

الرهبة والعطاء، فحص حالات الفقراء، مسئولية أمين المخزن والعطاء.

#### ٣. الرهبة والاهتمام بالمرضى

الطب والأدوية.

#### ٤. الرهبة وإضافة الغرباء

الحب وإضافة الغرباء، خدمة مائدة الضيوف، البذخ في استضافة الضيوف.

٤١٥

## الباب الثامن

### الأديرة والعالم الخارجي

#### ١. الحياة الرهبانية والحياة الزوجية

بين الحياة الرهبانية والحياة الزوجية، الدعوة للكمال موجهة للجميع، هل يُقبَل المتزوجون في الرهبة؟ الزواج والبتولية.

## ٢ . دعوة الصغار والحياة الرهبانية

الرهبنة والمدارس، السن المناسب للتكريس، موقف الدير من الصغار الذين يندرون البتولية. خبرات عملية في تكريس الصغار: ١. قبولهم في حضور شهودٍ كثيرين، ٢. عدم التسرع في تسجيلهم كأعضاء في المجتمع الرهباني أو جماعة المُكرَّسين، ٣. الفصل بين البنات والأولاد، ٤. حفظ الأطفال من الاعتداد بأنفسهم، ٥. حفظ الأطفال من التصرفات الطفولية، ٦. عزل مساكن الرهبان عن مساكن الأطفال، ٧. الاهتمام بتدبير النوم والاستيقاظ ووجبات الطعام للأطفال، ٨. تهذيب الأطفال وتأديبهم، ٩. تعليم الصغار.

## ٣ . التعليم عند القديس باسيليوس الكبير

التعليم والثقافة الهيلينية، مقال: "كيف ينتفع (الشباب) من الثقافة الهيلينية؟ الباسيليون الأوائل ومقال "كيف ينتفع (الشباب) من الثقافة الهيلينية؟ العوامل التي أثَّرت على القديس باسيليوس، الأفكار الرئيسية في المقال، الإيمان المسيحي والثقافات المعاصرة، القديس باسيليوس والثقافات المعاصرة له، باسيليوس رجل الفكر.

## ٤ . عدم قبول الهاريين من القانون

## ٥ . حول حياة التكريس (الرهبنة أو البتولية)

إيداع المُكرَّسين أموالهم لدى أقربائهم، طالبو التكريس، التكريس والعبيد، المُكرَّسون والنكث بالوعد.

٤٤٩

الباب التاسع

## أديرة الراهبات

أديرة الراهبات في بدء انطلاقها، أديرة الراهبات عند القديس باسيليوس، الأم الرئيسة وعلاقة الأخوات بها، الطريقة اللائقة للحوار مع المُكرَّسات، بين تأديب الحداث والعجائز! الاشتراك في التسبحة.

٤٥٧

الباب العاشر

## الفضيلة في حياة المؤمن

## ١ . المؤمن والفضائل عند القديس باسيليوس الكبير

المؤمن راهبًا كان أو كاهنًا أو من الشعب، طريقا الفضيلة والرذيلة، الخطوط الرئيسية للحياة الفاضلة، الفضائل والرذائل في حياة الإنسان، الحياة الفاضلة وتذوق عذوبة صلاح ربنا يسوع، الفضيلة وشركة الروح القدس، النفس الفاضلة ملكة سماوية، مجد القديسين ومجد الأرضيين.



## ٢ . بعض الفضائل

روح التمييز واهب الجمال والقوة، السلوك بروح الفهم والحكمة، التذكُّر الدائم لله، الانشغال الدائم بمجد الله، نقاوة القلب، المسكنة بلروح، المجد الداخلي، اختبار إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة، صنُّع السلام، الوداعة والتواضع، بساطة القلب، الهروب من المجد الباطل، الشكر الدائم، الطاعة، الاحتمال، الإخلاص، السهر الروحي، العفة، السكون، الاعتدال واستقامة القلب، الصمت بحكمة والكلام البتاء.

## ٣ . بعض الرذائل

الكبرياء، الحب غير اللائق، الشهوات الدنيئة، حبل بالشهوة أثيم! الزنا، محبة السلطة، تملُّق الناس وإرضائهم (غل ١ : ١٠)، الغضب، محبة العالم، الطمع، الطمع وخدمة الفقراء، المناقشات الغيبية، القلق والخوف، الكذب، الخداع والخبث، الإدانة، الكسل والتراخي، العثرة وحجز الحق بالإثم، مبتدعو الشرور، القسَم والإصرار على تنفيذ قسَم بفعل شر، اختيار الباب الواسع والطريق الرحب، التجديف على الروح القدس، السلوك بغبوة وعدم الفهم، رذائل أخرى.

حول الخطية الواحدة أو الخطية الصغيرة: الحكم الإلهي ليس بكثرة الخطايا! لتحفر مع إبراهيم  
بتراً لا جباً.

## ٤ . أسئلة حول الفضائل والرذائل

بين الحياة المُقدَّسة والحياة البارة، اكل فضيلة وزنها الخاص، هل الأفكار الصالحة والاهتمامات الصالحة تُضعف شخصية الإنسان وتفكيره؟ بين التقى المخطئ والشرير المخطئ! مكافأة الفضيلة في هذا الدهر وفي الدهر الآتي، أبناء الغضب، حساب النفقة للحياة الفاضلة.

## ٥ . مصدر الشر والجهاد ضده

هل الله مصدر الشر؟! ليس أحد بلا خطية.

٥٤٥

## الباب الحادي عشر

### رذيلة الغضب

الغضب والسخط والصياح، هل يمكن التحرُّر من الغضب؟ لا تضعوا مكاناً للغضب، الاستشارات الروحية والممارسة العملية.

### يا لخطورة الغضب!

١ . يُفقد السيطرة على الإرادة، الحواس والجسد، ٢ . أم ولود حيث يلد رذائل أخرى، ٣ . يُشوّه جمال النفس، ٤ . يُظلم البصيرة الداخلية، ٥ . يُبطل العقل ويُصيب بالجنون.

الغضب والعلاقات، صعوبة وقف اندفاع ثورة الغضب، الغضب يثير كل كيان الغضوب.

## تدريب عملية لعلاج الغضب

١. الصمت والهدوء، ٢. إيقاف الشر منذ البداية المُبكرة، ٣. التواضع، ٤. الصلاة من أجل من يغضب علينا وَيَشْتِمُنَا، ٥. حسابان الغضب تجربة للتركيب، ٦. الاحتمال وترك الغضب يرتد على من يُسيء إلينا، ٧. عدم الظن بأننا أفضل ممن يُسيء إلينا، ٨. حسابان الإهانة مدرسة للحكمة، ٩. حياة التسبيح، ١٠. حياة السكون.

بالغضب نفقد ملكوت السماوات، حطّم سهام الغضب بالمسيح الوديع! تشبّه برّبك وخُدّامه! كيف نهرب من ضرر الغضب ونُفسح الطريق له؟ مارس سلطانتك في الرب! ترفّق بأخيك الغضوب، الغضب المقدس ملكة صالحة، اغضبوا ولا تخطئوا، الانفعال والغضب.

٥٧١

## الباب الثاني عشر

### سمات المؤمن (خاصة الراهب)

#### ١. سمات المسيحي

سمات المسيحي والقانون الثمانين من كتاب الأخلاقيات.

- الفصل ١: تلاميذ المسيح، الفصل ٢: قطيع المسيح، الفصل ٣: أغصان في الكرمة، الفصل ٤: أعضاء المسيح، الفصل ٥: عروس المسيح، الفصل ٦: هياكل الله، الفصل ٧: ذبيحة لله، الفصل ٨: أبناء الله، الفصل ٩: نور العالم، الفصل ١٠: ملح الأرض، الفصل ١١: ثابتون في الرجاء في الحياة الحقيقية، الفصل ١٢: مؤتمنون على الكرازة بالإنجيل، الفصل ١٣: معلنون عن ملكوت السماوات، الفصل ١٤: نموذج وقانون للتقوى، الفصل ١٥: كعين بالنسبة للجسد، الفصل ١٦: رعاية لقطيع المسيح، الفصل ١٧: أطباء يعالجون أمراض النفس، الفصل ١٨: كآباء ومرضعات للأطفال. الفصل ١٩: عاملون مع الله، الفصل ٢٠: كرامون في حقول الله، الفصل ٢١: بنّاءون لهيكل الله، الفصل ٢٢: ما هي علامة المسيحي؟

#### ٢. الحُب الإلهي عند القديس باسيليوس الكبير

١. في داخلك مدرسة الله الطبيعية! ٢. المحبة تحوي كل الوصايا، ٣. وهبنا الله إمكانية تنفيذ الوصية الإلهية، ٤. حسن استخدام الإمكانيات الإلهية! ٥. بالطبيعة نكتشف ما هو جميل! ٦. يا لعظمة جمال الحُب الإلهي! ٧. محبة الله تُمارس خلال حرية إرادتنا، ٨. لتلتصق بمن يفيض علينا بعطاياه، ٩. عطاياه الزمنية! ١٠. عطاياه الخالدة! أعدّ الخلاص للإنسان الساقط! لا تهينوا المُحسِن إليكم، مخافة الرب.

#### ٣. الحُب الأخوي عند القديس باسيليوس الكبير

١. الحب الأخوي والوحدة، الشركة الأخوية، الحب الأخوي والعطاء، خدمة القديسين، فن الحوار، وفاء الكلاب، اللطف والصلاح.

#### ٤. الفرح عند القديس باسيليوس الكبير

الرب سرُّ فرحنا، فرحنا بالنصرة على الشيطان، الحزن المفرط يُفسد العقل، التسبيح والفرح والتهليل، البشاشة والفرح.

#### ٥. عربون الأبدية عند القديس باسيليوس الكبير

١. خلقه الإنسان تدعونا للاتصاق بالسمائي، ٢. دعوة الجسد والنفس البشرية للتطلع نحو السماء، السماء غاية حياتنا على الأرض، مدينتك هي السماء! أورشليم العليا مدينة الله السماوية! حرب الشيطان، توجيه الفقراء إلى الغنى الأبدي.

#### ٦. الاحتمال عند القديس باسيليوس الكبير

احتمال الألم، لماذا يسبق الفرح الألم؟ واهب المكافأة غني، آلامنا وخلص الآخرين، الاحتمال والتسامح.

٦٠٩

#### الباب الثالث عشر

### الحياة الرهبانية والخلص

#### ١. تدبير الخلاص عند القديس باسيليوس الكبير

الخلص في كتابات القديس باسيليوس، موسي عاجز عن تقديم الخلاص، جرم خطايانا لا يُعادل عظمة برّ المسيح، الصورة والمثال، والمرأة هي أيضًا صورة الله، الخلاص (إصلاح الصورة)، فاعلية دم المسيح، حقوق الشيطان.

#### كيف ينتقل هذا الخلاص إلينا؟

أ. المعمودية، ب. الإفخارستيا، ج. كلمة الله

نصائح مفيدة يُقدّمها القديس باسيليوس لكل إنسان في مسيرة حياته الروحية:

١. الحياة تمضي كالطم، ٢. انظر إلى الأعلى، ٣. لا بد من جهاد، ٤. "انتبه لنفسك".

الحاجة إلى الخلاص، الصليب، صقل السيف لأجل توبتنا، عناية القدير الفائقة، دينونة الله

للمتدين ولغير المتدينين، النعمة الإلهية تود خلاص الكل، بين الرحمة الإلهية والعدل الإلهي.

#### ٢. منهج الخلاص والفداء أو دعوة كل البشرية للحياة المطوّبة

#### المزمور التاسع والأربعون (LXX ٤٨)

المزمور التاسع والأربعون ومنهج الخلاص، نص المزمور في الترجمة السبعينية.

١. نهاية الإنسان الحياة المطوّبة الأبدية، ٢. دعوة البشرية كلها للاستماع، ٣. دعوة إلهية مُفرحة، ٤. من يقدر أن يفديكم ويحرّركم من الطاغية؟ ٥. الحاجة إلى المُخلّص السماوي، ٦. الخلاص والجهاد، ٧. بيوت الحمقى والجهّال مدافن لهم إلى الأبد، ٨. أجساد الحمقى والجهّال مقابر لنفوسهم (افهموا كرامتكم، فلا تتشبهوا بالبهائم البليدة!)، ٩. التحرّر من أشع عبودية! ١٠. لماذا يُنجح المُخلّص طريق الأشرار؟ ١١. الاتكال على خبرة الآباء مع عدم التمتع بالشركة مع الله.

### ٣. خلاصنا وعمل الروح القدس فينا عند القديس باسيليوس

١. المؤمن والتمتع بالحضور الإلهي، ٢. إشراق الروح القدس وتمتع النفس بجمالها المفقود، ٣. في الروح القدس ترى النفس الجمال الإلهي الفائق، ٤. الروح القدس يُورّع مواهبه، ٥. عطايا أخرى للروح القدس، ٦. الروح القدس يهب الاستتارة، ٧. الروح القدس والتمتع بالبنوة الإلهية، ٨. الروح القدس مسكن القديسين، ٩. الروح القدس مصدر التقديس والتجديد، ١٠. الروح القدس يُعلن الأسرار، ١١. الروح القدس يُفرّج مدينة الله.

### تشبيهات لعمل الروح القدس

١. الشكل والقوة في المادة، ٢. قوة الإبصار في العين السليمة، ٣. الصحة والحرارة كامنة في الجسد، ٤. الإدراك للفكرة في القلب، مثل التعبير عن الفكر باللسان.
- الروح القدس العامل مع الأب والابن في الخلقة

### ٤. الخلاص وتقديس النفس والعقل والجسد

- ضبط الأفكار، النفس والعقل، الروح القدس يُحرّنا من أهواء الجسد، تقديس القوتين اللتين للنفس، لمن تكون القيادة؟ الجسد ليس علة الشر، الجسد للنفس العاقلة كالحصان لراكبه، الإرادة الشريرة هي الملومة، تقديس الجسد.

## الحياة الرهبانية والوصية الإلهية

### ١. الحياة الرهبانية والوصية الإلهية

الوصايا والكتاب المقدس، الوصايا الإلهية والتدبير الحكيم، وصية محبة الله ووصية محبة القريب، الوصية محبة الله، الوصية قائدة الفكر والسلوك، الوصية قائدة للميناء الهادي، التزام المسيحي بحفظ الوصية، يا لعذوبة الوصية! الوصية الإلهية ومحبة المديح، وصايا سلبية ووصايا إيجابية، وصية الاتكال على الرب إلهي، الوصايا ارتداء للباس العزس، وصية الفقر الاختياري، الوصية الإلهية تتأوه بصوت عالٍ، الوصية والتلمذة، وصية المحبة لله والاهتمام بأهل البيت، بقيامته



يهبنا الرب إمكانية تنفيذ الوصية الإلهية، الوصية تُخَلَّص اللصوص المُتشرِّدين، الوصية والحرفية،  
عثرة التعدي على الوصية، الوصية الإنجيلية والناموس

## ٢. أسئلة عن الوصية الإلهية

ما هو الموقف مع من يُنقذ الوصية بدون إخلاص قلب؟ هل من يتعمد الهروب من معرفة إرادة  
الله هذا يعفيه من المسؤولية؟

٦٩١

## الباب الخامس عشر

### الحياة المقدسة والتوبة

#### ١. التوبة والاعتراف عند القديس باسيليوس الكبير

ربنا يسوع محب الخطاة والعشارين، حُبُّ بلا تدليل، تقديم كلمة الله، الجانب الإيجابي للتوبة،  
الحاجة إلى التوبة، التوبة عمل مستمر، الاعتراف، التوبة والاعتراف والإرشاد، التأديب، مثال  
للتأديبات، توبة أهل نينوى، الطوباوي داود نموذج للتوبة، التوبة والصوم.

#### ٢. أسئلة حول التوبة

بين مشاعر البائس في خطايا وبهجة التائب، بغض الخطية، هل غفرت خطاياي؟ ما هو  
موقف من يسقط في خطايا بعد عماده؟ ثمار التوبة، لماذا يتهيب قلب البعض بالشوق للتوبة، بينما  
يعاني آخرون من الفتور في التوبة؟ ما هو موقفنا ممن يخفي خطايا، ما هو موقفنا ممن لا يدينه  
ضميره.

#### ٣. صلاة من أجل التوبة للقديس باسيليوس الكبير

#### ٤. الدموع عند القديس باسيليوس الكبير دموع الحُب

#### ٥. حول رسالتين تدعوان إلى التوبة حُبُّ بلا تدليل

رسالة رقم ٤٤: رسالة إلى راهب ساقط

أذكر من أين سقطت، هوذا الكل يبكيك! تعثرت وأعثرت كثيرين، ارجع وثب... يسوع المسيح  
والكنيسة ينظرانك.

رسالة ٤٦: رسالة إلى عذراء ساقطة

هل أقدر أن أصمت؟! تذكرني الحياة الأولى، انظري ماذا صار إليه حالك؟ هوذا الكل يبكيك! ألا  
تعلمي قدر خطيئتك؟ من أجبرك على الخطية؟ لماذا لا تقومين؟! انكري يومك الأخير، اهربي  
لحياتك.